سلسلة نصوص تراثية للباحثين (٦١٥)

الإخبات و المخبتون

فضلهم و صفاتهم

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٤هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

"١٨٢٤ – مالك؛ أن أحسن ما سمع في الخيل، والبغال، والحمير، أنها لا تؤكل؛ لأن الله تبارك وتعالى، قال: ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة﴾ [النحل ١٦: ٨].

وقال، تبارك وتعالى، في الأنعام: ﴿لتركبوا منها ومنها تأكلون﴾ [غافر ٤٠: ٧٩].

وقال تبارك وتعالى: ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين﴾ [الحج ٢٢: ٣٤] ﴿فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر ... ﴾ [الحج ٢٢: ٣٦].

الصيد: ١٥

أخرجه أبو مصعب الزهري، ٢١٧٢ في الضحايا؛ وأبو مصعب الزهري، ٢١٧٤ في الضحايا؛ والحدثاني، ٤١٤ في الصيد والذبائح؛ والحدثاني، ٤١٤أفي الصيد والذبائح؛ والجامع لابن زياد، ١٠٤ في أكل الدواب، كلهم عن مالك به.." (١)

"" إنما سمي البيت العتيق؛ لأنه لم يظهر عليه جبار " فإن ثبت هذا فهو هو.

* * *

قوله تعالى: (ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور (٣٠) حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق (٣١) ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧)

وقوله: (ذلك ومن يعظم حرمات الله) قوله: (ذلك) جائز أن يكون الذي تقدم ذكره." (٢)

"بعض الناس، يبيحون الانتفاع بالهدايا والقلائد قبل أن تنحر وتذبح، لكن عندنا ذلك في وقت الحاجة الشديدة المضطر إليها، ففي مثل ذلك يجوز الانتفاع بملك غير ببدل، فعلى ذلك بالهدايا ينتفع بها بما ذكرنا ويضمن ما نقصها ركوبه لها.

---

(١) موطأ مالك ت الأعظمي، مالك بن أنس ٧١١/٣

(٢) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، أبو منصور المَاتُرِيدي ٤١٢/٧

وجائز أن يكون قوله: (لكم فيها منافع إلى أجل مسمى) إلى أن تهلك أو تهلكون أنتم، كقوله: (ومتاع إلى حين)، أي: إلى وقت هلاكها، فعلى ذلك الأول.

ثم يكون قوله: (ثم محلها إلى البيت العتيق) - والله أعلم - ابتداء سؤال سئل عن محل الهدايا والقلائد، فقال عند ذلك: (محلها إلى البيت العتيق)، والله أعلم.

والأول أشبه وأقرب لما ذكرنا.

وقوله: (إلى البيت العتيق) ذكر البيت العتيق، ومعلوم: أنه لم يرد به نفس البيت، ولكن إنما أراد به البقعة التي فيها البيت؛ لأن الدماء لا تراق في البيت إنما تراق في تلك البقعة التي هو فيها، الحرم كله منحر ومذبح، وأراد بقوله: (وليطوفوا بالبيت العتيق)، نفس البيت؛ ألا ترى أنه قال هاهنا: (بالبيت)، فإنما يطاف به، وقال هنالك: (إلى البيت)، أضاف إليه؛ دل أنه لم يرد به نفس البيت، ولكن البقعة التي فيها البيت، والله أعلم.

وقوله: (ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) قال بعضهم: المنسك: الموضع الذي يعبدون وينسكون فيه ويصيرون إليه لعبادتهم، ومن ثمة يقال للرجل العابد: ناسك؛ ولذلك قال من قال: (منسكا)، أي: يصيرون ويخرجون إليه للعبادة، وقال: المنسك: الدين، وقال: الشريعة.

وقال بعضهم: المنسك: المنحر والمذبح.." (١)

"وجائز أن يسمى في اللغة الذبح: نسكا، كقوله: (ففدية من صيام أو صدقة أو نسك) وهو الذبح، وقوله: (إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي)، ولو كان النسك عبادة كذكر الصلاة وهي عبادة لكان لا يذكر النسك، فدل أنه أراد بالنسك الذبح.

وقوله: (ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام)، دل قوله: (ليذكروا اسم الله) أن ذكر اسم الله من شرط الذبيحة، حيث ذكر اسم الله ولم يذكر الذبح، ففهموا من ذكر اسم الله الذبح؛ دل أنه من شرط جوازه وحله، سوى الشافعي فإنه لم يفهم ما فهم الناس والأمم جميعا، حيث لم يجعل ذكر اسم الله من شرط الذبيحة.

وقوله: (فإلهكم إله واحد) كأنه ذكر قوله: (ولكل أمة جعلنا منسكا) لقوم أنكروا الذبائح، فقال: (ولكل أمة جعلنا منسكا)، أي: ذبحا ذبحوه، وذكروا اسم معبودهم عليه، ثم أخبر أن معبودهم واحد (فله أسلموا)، أي: أخلصوا ذلك كله، (وبشر المخبتين) قال: المتواضعين.

وقال بعضهم: المطمئنين.

وقال بعضهم الخاشعين.

وقال بعضهم: كل مجتهد في العبادة هو المخبت.

ويقال: المخلصين.

---

(١) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، أبو منصور المَاتُرِيدي ٤١٦/٧

وتفسير المخبت: ما ذكر على إثره، حيث قال: (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم. . .) الآية.

ومن قال: المخبت: المطمئن، قال: والخبتة: الطمانينة.

قوله: (منسكا) و (منسكا)، فيه لغتان:

قال الكسائي: من قرأ: (منسكا) بكسر السين فهو من نسك ينسك، ومن قرأ: (منسكا) بالنصب فهو من نسك ينسك، ثم لا خلاف بين أهل العلم في أن البدن التي تساق والهدايا التي تقلد في الحج والعمرة لا يجوز أن تنحر في غير الحرم، إنما اختلفوا في المحصر إذا أراد أن يحل أين ينحر ويذبح هديه الذي يحل به؟ وقد ذكرنا أقاويلهم واختلافهم في سورة البقرة.

ولم يختلف في أن معنى قول الله: (ثم محلها إلى البيت العتيق) يدخل فيه الحرم كله على ما ذكرنا، وعلى ذلك رويت الأخبار: روي عن جابر بن عبد الله قال: قال." (١)

"وقال بعضهم: هو عذاب يوم القيامة وهو شديد.

وجائز أنه سماه عقيما؛ لأنه لا يرجى النجاة منه، وكذلك سميت المرأة التي لا تلد: عقيما؛ لما لا يرجى منها الوليد.

وقوله: (الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم (٥٦) قال الحسن: الملك في الأحوال كلها لله في الدنيا والآخرة، لكن تأويل قوله: (الملك يومئذ لله) أي: الحكم يومئذ لله، هو يحكم بينهم دون الخلائق؛ لأن في الدنيا من قد حكم غيره، فأما يومئذ فالحكم له.

وعندنا: تخصيص الحكم يومئذ له بالذكر وإن كان الملك في الأيام كلها لله؛ لأنهم جميعا يقرون له بالملك يومئذ، لا أحد ينازع، وفي الدنيا من قد ادعى الملك لنفسه، وهو ما ذكره في قوله: (وبرزوا لله جميعا)، (وإلى الله المصير) (وإلى الله ترجع الأمور)، ونحوه، فعلى ذلك هذا، والله أعلم.

وقوله: (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم (٥٦) والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين (٥٧) ظاهر تأويله.

وقوله: (والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين (٥٨) أما أهل التأويل فإنهم صرفوا تأويل الآية إلى الغزاة والمجاهدين في سبيل الله فقتلوا أو ماتوا حتف أنفهم، فإن لهم ما ذكر من الرزق الحسن والمدخل المرضي، وظاهره أن يكون في الذين هاجروا إلى رسول الله، فإن كان فيهم ففيه دلالة نقض قول الروافض، حيث قالوا: ارتد عامتهم، حيث شهد الله لهم بالجنة، والرزق الحسن، والمدخل المرضي، قتلوا أو ماتوا حتف أنفهم؛ فلا يحتمل أن يكون منهم ما قالوا.

قال القتبي: قوله: (فتخبت له قلوبهم)، أي: تخضع وتذل، وهو ما ذكرنا في قوله: (وبشر المخبتين).

وقال: (عذاب يوم عقيم) كأنه عقم عن أن يكون فيه خيرا وفرجا للكافر.

---

(١) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، أبو منصور المَاتُرِيدي ٤١٧/٧

وقال أبو عوسجة: (عذاب يوم عقيم): شديد، وهو ما ذكرنا.

وقوله: (ليرزقنهم الله رزقا حسنا) قيل: هو الجنة؛ لأنه إنما ذكر بعد الموت والقتل؛ فلا يكون رزق حسن إلا في الجنة يستحسنها كل طبع وعقل.." (١)

"وقيل: يعظم البدن المشعرة، أي: يسمنها ويكبرها.

(إلى أجل مسمى)

إلى أن يقلد.

وقيل: ينحر.

(ولكل أمة جعلنا منسكا)

عيدا وذبائح.

وقيل: حجا.

(وبشر المخبتين)

المطمئنين بذكر الله.

و (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم)." (٢)

"[سورة الحج (٢٢): آية ٣٤]

ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤)

قوله تعالى: (ولكل أمة جعلنا منسكا) لما ذكر تعالى الذبائح بين أنه لم يخل منها أمة، والأمة القوم المجتمعون على مذهب واحد، أي ولكل جماعة مؤمنة جعلنا منسكا. والمنسك الذبح وإراقة الدم، قاله مجاهد. يقال: نسك إذا ذبح ينسك نسكا. والذبيحة نسيكة، وجمعها نسك، ومنه قوله تعالى:" أو صدقة أو نسك"»

[البقرة: ١٩٦]. والنسك أيضا الطاعة. وقال الأزهري في قوله تعالى:" ولكل أمة جعلنا منسكا": إنه يدل على موضع النحر في هذا الموضع، أراد مكان نسك. ويقال: منسك ومنسك، لغتان، وقرى بهما. قرأ الكوفيون إلا عاصما بكسر السين، الباقون بفتحها. وقال الفراء: المنسك في كلام العرب الموضع المعتاد في خير أو شر. وقيل مناسك الحج لترداد الناس إليها من الوقوف بعرفة ورمي الجمار والسعي. وقال ابن عرفة في قوله:" ولكل أمة جعلنا منسكا": أي مذهبا من طاعة الله تعالى، يقال: نسك نسك «٢» قومه إذا سلك مذهبهم. وقيل: منسكا عيدا، قاله الفراء. وقيل: حجا، قاله قتادة. والقول الأول أظهر، لقوله تعالى: (ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) أي على ذبح ما رزقهم. فأمر تعالى عند الذبح بذكره وأن يكون الذبح له، لأنه رازق ذلك. ثم رجع اللفظ من الخبر عن الأمم إلى إخبار الحاضرين بما معناه فالإله واحد لجميعكم، فكذلك الأمر في الذبيحة إنما ينبغي أن تخلص له. فوله تعالى: (فله أسلموا) معناه لحقه ولوجهه وإنعامه آمنوا

---

(١) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، أبو منصور المَاتُرِيدي ٧/٤٣٤

(٢) باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن، النيسابوري، بيان الحق ٢/٩٥٤

وأسلموا. ويحتمل أن يريد الاستسلام، أي له أطيعوا وانقادوا. قوله تعالى: (وبشر المخبتين) المخبت: المتواضع الخاشع من المؤمنين. والخبت ما انخفض من الأرض، أي بشرهم بالثواب الجزيل. قال عمرو بن أوس: المخبتون الذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لم ينتصروا «٣». وقال مجاهد فيما روى عنه سفيان عن ابن أبي نجيح: المخبتون المطمئنون بأمر الله عز وجل.

---

(١). راجع ج ٢ ص ٣٦٥ فما بعد.

(٢). مثلثة النون، وبضمتين.

(٣). الانتصار: الانتقام.." (١)

"[سورة الحج (٢٢): آية ٣٥]

الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)

فيه مسألتان: الأولى: قوله تعالى: (وجلت قلوبهم) أي خافت وحذرت مخالفته. فوصفهم بالخوف والوجل عند ذكره، وذلك لقوة يقينهم ومراعاتهم لربهم، وكأنهم بين يديه، ووصفهم بالصبر وإقامة الصلاة وإدامتها. وروي أن هذه الآية قوله:" وبشر المخبتين" نزلت في أبي بكر وعمر وعلي رضوان الله عليهم. وقرأ الجمهور:" الصلاة" بالخفض على الإضافة، وقرأ أبو عمرو:" الصلاة" بالنصب على توهم النون، وأن حذفها للتخفيف لطول الاسم. وأنشد سيبويه:

الحافظو عورة العشيرة «١» ...

الثانية- هذه الآية نظير قوله تعالى:" إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون" «٢» [الأنفال: ٢]، وقوله تعالى:" الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله" «٣» [الزمر: ٢٣]. هذه حالة العارفين بالله، الخائفين من سطوته وعقوبته، لا كما يفعله جهال العوام والمبتدعة الطغام من الزعيق والزئير، ومن النهاق الذي يشبه نهاق الحمير، فيقال لمن تعاطى ذلك وزعم أن ذلك وجد وخشوع: إنك لم تبلغ أن تساوي حال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حال أصحابه في المعرفة بالله تعالى والخوف منه والتعظيم لجلاله، ومع ذلك فكانت حالهم عند المواعظ الفهم عن الله والبكاء خوفا من الله. وكذلك وصف الله تعالى أحوال أهل المعرفة عند سماع ذكره وتلاوة كتابه، ومن لم يكن كذلك فليس على هديهم ولا على طريقتهم، قال الله تعالى:

---

(١). البيت بتمامه:

الحافظو عورة العشيرة لا ... يأتيهم من ورا انا نطف

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٢/٥٨

(٢). راجع ج ٧ ص ٣٦٥. [.....]

(٣). راجع ج ١٥ ص ٢٤٨.." (١)

"[سورة الأنفال (٨): الآيات ٢ الى ٤]

إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون (٢) الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣) أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم (٤)

قوله تعالى: (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون (. فيه ثلاث مسائل: الأولى- قال العلماء: هذ الآية تحريض على إلزام طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أمر به من قسمة تلك الغنيمة. والوجل: الخوف. وفي مستقبله أربع لغات: وجل يوجل وياجل وييجل وييجل، حكاه سيبويه. والمصدر وجل جلا ومؤجلا، بالفتح. وهذا مؤجلة (بالكسر) للموضع والاسم. فمن قال: ياجل في المستقبل جعل الواو ألفا لفتحة ما قبلها. ولغة القرآن الواو" قالوا لا توجل «١» " ومن قال:" ييجل" بكسر الياء فهي على لغة بني أسد، فإنهم يقولون: أنا إيجل، ونحن نيجل، وأنت تيجل، كلها بالكسر. ومن قال:" ييجل" بناه على هذه اللغة، ولكنه فتح الياء كما فتحوها في يعلم، ولم تكسر الياء في يعلم لاستثقالهم الكسر على الياء. وكسرت في" ييجل" لتقوي إحدى الياءين بالأخرى. والأمر منه" إيجل" صارت الواو ياء لكسرة ما قبلها. وتقول: إني منه لأوجل. ولا يقال في المؤنث: وجلاء: ولكن وجلة. وروى سفيان عن السدي في قوله جل وعز:" الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم" قال: إذا أراد أن يظلم مظلمة قيل له: اتق الله، ووجل قلبه. الثانية- وصف الله تعالى المؤمنين في هذه الآية بالخوف والوجل عند ذكره. وذلك لقوة إيمانهم ومراعاتهم لربهم، وكأنهم بين يديه. ونظير هذه الآية" وبشر المخبتين. الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم «٢» ". وقال" وتطمئن قلوبهم بذكر الله «٣»". فهذا يرجع إلى كمال

---

(١). راجع ج ١٠ ص ٣٤.

(٢). راجع ج ١٢ ص ٥٨ فما بعد.

(٣). راجع ج ٩ ص ٣١٤ فما بعد.." (٢)

"﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ من الْمُؤمنِينَ ﴿جَعَلْنَا مَنسَكاً﴾ مذبحاً لَهُم لحجهم وعمرتهم ﴿لِّيَذْكُرُواْ اسْم الله على مَا رَزَقَهُمْ مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَام﴾ على ذَبِيحَة الْأَنْعَام ﴿فإلهكم إِلَه وَاحِدٌ﴾ بِلَا ولد وَلَا شريك ﴿فَلَهُ أَسْلِمُواْ﴾ أَخْلصُوا بِالْعبَادَة والتوحيد ﴿وَبَشِّرِ المخبتين﴾ الْمُجْتَهدين المخلصين بِالْجنَّةِ." (٣)

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٥٩/١٢

(٢) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣٦٥/٧

(٣) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، الفيروزآبادي ص/٢٨٠

"حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق (٣١) ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤)." (١)

"زيد بن أسلم قال: مكة، لم يجعل الله لأمة قط منسكا غيرها، والأول أولى لقوله:

(ليذكروا اسم الله) والمعنى جعلنا لكل أهل دين من الأديان أو لجماعة مسلمة سلفت قبلكم ذبحا يذبحونه ودما يريقونه أو متعبدا أو طاعة أو عيدا أو حجا يحجونه ليذكروا اسم الله وحده ويجعلوا نسكهم خاصا به (على) ذبح (ما رزقهم من بهيمة الأنعام) سماها بهيمة لأنها لا تتكلم، وقيد بالأنعام لأن القربان لا يكون إلا من الأنعام دون غيرها وإن أجاز أكله، وفي القاموس البهيمة كل ذات أربع قوائم ولو في الماء، أو كل حي لا يميز، والجمع بهائم، والأبهم الأعجم، واستبهم استعجم فلم يقدر على الكلام.

وفي الآية دليل على أن المقصود من الذبح المذكور هو ذكر اسم الله عليه، وقد وردت أحاديث في الأضحية ليس هذا موضع ذكرها. ثم أخبرهم سبحانه بتفرده بالإلهية وأنه لا شريك له فقال:

(فإلهكم إله واحد) الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها، ثم أمرهم بالإسلام والانقياد لطاعته وعبادته فقال: (فله أسلموا) أي انقادوا وأخلصوا وأطيعوا وتقديم الظرف على الفعل للقصر، والفاء كالفاء التي قبلها.

(وبشر المخبتين) من عباده، أي المتواضعين الخاشعين المخلصين. وقال مجاهد: أي المطمئنين، وقال عمرو بن أوس: هم الذين لا يظلمون الناس، وإذا ظلموا لم ينتصروا، وهو مأخوذ من الخبت وهو المنخفض من الأرض، والمعنى بشرهم يا محمد بما أعد الله لهم من جزيل ثوابه وجليل عطائه، ولا يخفى حسن التعبير بالمخبتين هنا من حيث إن نزول الخبت مناسب للحجاج لما فيهم من صفات المتواضعين، كالتجرد عن اللباس وكشف الرأس والغربة عن الأوطان، ولذا وصف سبحانه هؤلاء المخبتين بقوله:." (٢)

"حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق (٣١) ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) * * *." (٣)

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٤٦/٩

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٤٩/٩

(٣) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة ٤٩٧٧/٩

"(ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤)

" المنسك " اسم مكان من " نسك " وهو مكان العبادة، والعبادة يطلق عليها النسك، وقد اختار الله لأمة محمد البيت الحرام مكانا لنسكها وأداء العبادة في حج البيت الحرام، والإقامة فيما حوله، وأن يكون الذبح، وإطعام الفقراء، (ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام)، أي يذكروا اسم الله تعالى عند ذبحها، شاكرين له نعمته وإذا كان الله تعالى شارع الشرائع قد جعل لكل أمة منسكا هم ناسكوه؛ فذلك لأنه إلهكم أنتم وغيركم إلها واحدا، فكان للماضين من الأمم." (١)

"منسك لكل أمة واحد، وإذا كان الله واحدا أحدا، فالمناسك كلها في ماضيها وحاضرها له سبحانه، وهو مبينها للماضين، كما بينها للحاضرين، وجعل منسك أمة خاتم النبيين هي مكة المكرمة التي بها البيت العتيق، أول بيت وضع للناس بمكة المكرمة.

و" الفاء " في قوله تعالى: (فإلهكم إله واحد) هي فاء الإفصاح؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر، إذ المعنى إذا كان لكل أمة منسك فالله الذي شرع المناسك واحد، وكلها لعبادته والتقرب إليه سبحانه وتعالى، كذلك كان منسككم، وكان للماضين مناسك شرعها (فله أسلموا وبشر المخبتين)، " الفاء " عاطفة، (أسلموا)، أي أذعنوا، وأطيعوا متطامنين غير متمردين، ولا متطاولين ولا مستطيلين على أحد، ولذا قال تعالى: (وبشر المخبتين) بالثواب الجزيل والنعيم المقيم، ورضوان الله تعالى، وهو أكبر الجزاء، فرضا الخالق بديع السماوات والأرض غاية أهل الإيمان العليا التي هي فوق كل مبتغى.

والمخبت هو المتطامن المتواضع الذي لا يتعالى، ولا يستطيل على أحد، وقد قال الراغب الأصفهاني في مادة خبت: " الخبت المطمئن من الأرض، وأخبت الرجل قصد الخبت أو نزله نحو أسهل وأنجد، ثم استعمل الإخبات استعمال اللين والتواضع، (وبشر المخبتين)، أي: المتواضعين، فالتواضع سمة المؤمنين، والغطرسة سمة الكافرين، والذين لم يشرب قلوبهم حب الإيمان، وهم ليسوا أذلاء، بل هم الأعزاء، ولقد قال محمد – صلى الله عليه وسلم –: " ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا. وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله " (رحمه الله ١).

وقد وصف الله تعالى المخبتين الذين بشرهم سبحانه وتعالى بقوله:

رحمه الله ____________

(رحمه الله ١) رواه مسلم (٦٥٤٤)، وقد سبق تخريجه.

(الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)." (٢)

"تفسير قوله تعالى: (ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله)

قال تعالى: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين﴾ [الحج:٣٤].

---

(١) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة ٤٩٨٣/٩

(٢) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة ٤٩٨٤/٩

يقول تعالى: هذه المناسك التي تقومون بها: من سعي وطواف وقيام ومبيت في منى وإحرام وهدي وضحايا وقربات ونحوها ليست محصورة عليكم، وقد سبق أن كلفت الأمم قبلكم بذلك، فقد كان لها هدايا تتقرب بدمها إلى الله، ثم يستفيد منها القانع والمعتر والفقير والمحتاج.

قال تعالى: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا﴾ [الحج:٣٤] أي: لكل أمة سابقة من الأمم ولكل جيل سابق من الأجيال، فقد كلفوا به من قبل أنبيائهم عن الله جل جلاله، فلكل هؤلاء منافع وضحايا وهدايا ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا﴾ [المائدة:٤٨] فالعقيدة واحدة، والدعوة إلى الله واحدة، دعا إليها الأنبياء منذ آدم أبينا إلى نبينا عليهم جميعا صلوات الله وسلامه، فهم جميعا دعوا إلى عبادة الله الواحد.

قال تعالى: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ [الحج:٣٤] أي: ليذكروا اسم الله خالصا له وحده، ولا يشركوا به أحدا من خلقه كما يفعل المشركون وعباد الصليب والوثنيون، وإنما يذكرون الله وحده، ويتقربوا بالهدايا له وحده.

والبهيمة تشمل الأنعام، أي: الإبل والبقر والضأن، كما تشمل الدواب المركوبة من خيل ومن بغال ومن حمير، وهنا يراد بهما الأنعام فقط التي يؤكل لحمها، وتذبح ضحايا وقربات وهدايا.

قال تعالى: ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ [الحج:٣٤] أي: ليقدموها ويقربوا دمها هدايا لله، وليأكلوا من لحمها ويستفيدوا من ظهورها وينتفعوا بأشعارها وأوبارها، وليستنسلوا من ذكورها ففي كل ذلك منافع وخير لهم قبل أن يذبحوها وبعدما يذبحوها.

ولا يجوز ذبح الذبيحة ولا نحرها إلا مع ذكر اسم الله، والنبي عليه الصلاة والسلام كان إذا ذبح قال: (بسم الله، الله أكبر، عن محمد وأمته ممن لم يضح)، فإذا ضحى الثانية قال: (بسم الله، الله أكبر، عن محمد وآل محمد)، فهذه الضحايا تذبح وتنحر على اسم الله وحده، ويكبر عليها اسم الله وحده، لا كما كانوا يصنعون في الجاهلية من الذبح على غير اسم الله، أو كانوا يشركون مع اسم الله غيره.

فهذه المناسك والعبادات شرائع ومناهج، وقد جعل الله لكل نبي وأمة شريعة ومنهاجا، كما قال تعالى: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا﴾ [المائدة:٤٨]، والدعوة إلى الله واحدة، قال تعالى: ﴿فإلهكم إله واحد فله أسلموا﴾ [الحج:٣٤]، فالشعوب والأمم جميعا دعاهم رسلهم وأنبياؤهم إلى عبادة الله الواحد وإلى نبذ الشرك وترك عبادة غير الله، وما من رسول إلا وبعث بالتوحيد وبعبادة الله ونبذ الشرك والشركاء كما قال تعالى: ﴿فإلهكم إله واحد فله أسلموا﴾ [الحج:٣٤] أي: لله الواحد استسلموا، وله يكون إسلامكم وعبادتكم وطاعتكم، لا شريك له لا في ذات ولا في صفة ولا في فعل، فمن فعل ذلك فقد فعل ما سولت له نفسه، وأوحى له به شيطانه، والأنبياء والرسل ما جاءوا جميعا إلا بعبادة الله الواحد، بهذا جاء نبينا وقبله عيسى وقبلهما موسى وهكذا إلى النبي الأول آدم عليهم جميعا سلام الله وصلواته، فلم يقل عيسى: اعبدوني ومريم مع الله، ولم يقل موسى لليهود: اعبدوا العجل واعبدوا العزير مع الله، ولم يقل للوثنيين: اعبدوا مع الله النار ولا الهوام ولا الملائكة ولا الناس، وما ذلك إلا افتراء على الله وكذب، وما أوحى به إلا الشياطين.

قوله: ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج:٣٤] أي: بشر المطيعين لك والمطيعين لربهم والمتواضعين لله ورسوله وللمؤمنين والمخلصين

في عبادتهم، الذين لا يشركون بالله شركا ظاهرا ولا خفيا، ومنه التظاهر أمام الناس ليروا العبادة، فذلك الشرك الخفي، بل لابد أن تكون عبادتهم في الظاهر وفي الخفاء لله الواحد، فلا يراءون ولا يتقربون إلا لله الواحد الأحد.

وبكل ذلك فسر المخبتون، فالمخبتون جمع مخبت، وقد فسر بالمتواضعين وبالمخلصين وبالمطيعين، وبالعاملين لله بما أمرهم وبترك ما نهاهم عنه، وقد عرفهم الله فلا حاجة إلى نزاع المفسرين في معناها.." (١)

"تفسير قوله تعالى: (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم)

قال تعالى: ﴿وبشر المخبتين * الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾ [الحج:٣٤ - ٣٥].

اتصلت هذه الآية بالكلمة السابقة اتصال المعنى الواحد واتصال الآية الواحدة وإن كانتا آيتين، قال تعالى: ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج:٣٤] فكأنه قيل: ومن المخبتون؟ فقال: ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ [الحج:٣٥] أي: إذا ذكر الله وقدر وعظم وذكر: بتلاوة كتابه، وقراءة سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وبهدي سنة من أرسله، وجلت القلوب وخافت من عذاب الله ونقمته، فإن عصت هذه الروح، وخرجت عن الطاعة، وقلدت الكفار والمنافقين خافت ألا تقبل طاعتها وألا ترحم يوم القيامة، وخافت أن تكون عبادتها قد دخلها شيء من الرياء وعدم الإخلاص، فتجدها تعبد الله وهي تخشى وتخاف ألا تقبل عبادتها وإخلاصها، وتخاف ألا يكون ذلك خالصا لوجه الله، وألا تكون تلك العبادة تامة الشروط كما شرطها ودعا إليها رسول الله صلوات الله وسلامه عليه.

والصبر ذكر عشرات المرات في كتاب الله، وخصصت به سورة، وهي قوله تعالى: ﴿والعصر * إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ [العصر:١ - ٣].

ولا بد من الصبر على لأواء الحياة، وعلى ما يعرض للإنسان من مرض أو فقر أو حاجة، وعلى ما يصيبه من بلايا الدنيا في جسده ونفسه، وعلى ما يعرض له من ابتلاء من الله؛ ليختبر صدقه من كذبه، وإيمانه وإخلاصه من عدمها.

قال تعالى: ﴿والصابرين على ما أصابهم﴾ [الحج:٣٥] أي: يصبرون ولا يترددون ولا يشتكون، فهم صابرون على ما أصابهم الله به، مستشعرون الأجر منه، وما ذكر أيوب في سورة الأنبياء -السورة السابقة- إلا ليكون المثال الكامل الوافي لكل من أصيب في هذه الدنيا، وقد كانت العاقبة له، والعاقبة للمتقين على أي حال: رسلا وأنبياء وأتباع الرسل والأنبياء، والمخبتون من تمام صفتهم أنهم الذين يخشون الله، ويصبرون على ما أصابهم، ويسألون الله أن يوفقهم.

قال تعالى: ﴿والمقيمين الصلاة﴾ [النساء:١٦٢]، وإقامة الصلاة هي الإتيان بها بأركانها وبشرائطها وبفرائضها وبسننها خالصة لله، لا ينظر لأحد معه فيها، ومن هنا يقول عليه الصلاة والسلام: (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد)، فالسجود عبادة لا تكون إلا لله، والركوع عبادة لا تكون إلا لله، فهم راكعون وساجدون، مكبرون وذاكرون، ويكون ذلك لله فقط.

وإقامة الصلاة تشمل الصلاة في أوقاتها، والطمأنينة فيها، والقيام بأركانها: من تكبير وقيام وتلاوة وتسبيح وتعظيم وتكبير

---

(١) تفسير المنتصر الكتاني، الكتاني، محمد المنتصر ٤/٧٣

في جميع الحركات وتسليم عند النهاية، وإقامتها في أوقاتها، واستقبال الكعبة، والتطهر لها من تطهير المكان والأعضاء والملابس، فيتطهر حسا ومعنى، يتطهر حسا من الأوساخ والنجاسات إن كانت على بدنه أو في مكان صلاته، ويتطهر معنى بالوضوء أو بالغسل إن كان هناك داع للغسل.

والمخبتون: من خشوا الله في العبادة ولم يخشوا سواه، ومن خشوا ألا تقبل وأن يضرب بها وجوههم، ومن صبروا على اللأواء وأتعاب الحياة في البدن والنفس، وفي الرزق والحياة، ومن أقاموا الصلوات الخمس في أوقاتها بشرائطها وبأركانها وبواجباتها وبسننها، ومن تصدقوا لله مما رزقهم الله.

قال تعالى: ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ [الحج:٣٥]، والنفقة تكون واجبة على العيال، وصدقة على المحتاجين والفقراء، وزكاة واجبة على من أمر الله تعالى من الأصناف الثمانية، وصلة للأرحام، واستجابة للسائل.

وقد وصف الله المؤمنين فقال: ﴿والذين في أموالهم حق معلوم﴾ [المعارج:٢٤]، فالمحروم يعطيه من حق الله زكاة وصدقة، والسائل له حق ولو جاء على فرس، والأرحام لهم حق الصلة وحق الاتصال بالمال والزيارة والكلمة الطيبة، والأصناف الثمانية لهم زكاة واجبة، والآية شملت كل ذلك.

﴿والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾ [الحج:٣٥] فهم ينفقون من مال الله لا من مال أتوا به ولا من مال خلقوه، وليس لهم ذلك، هذا تفسير المخبتين، ﴿وبشر المخبتين * الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾ [الحج:٣٤ – ٣٥]، فلا يكون مخبتا إلا بهذه الصفات الأربع: صفة الخشية عند ذكر الله.

وصفة الصبر على بلاء الله.

وصفة إقامة الصلاة والمحافظة عليها دائما.

وصفة الإنفاق من مال الله الذي أعطاه الله إياه، نفقة على العيال، وصلة للأرحام، وصدقة على الفقراء والسائلين، وزكاة واجبة لمن ذكر الله من أصحاب الأصناف الثمانية.." (١)

"

المنسك: هو العبادة، كما جاء في قول الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام:﴿ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.. ﴾[الأنعام: ١٦٢].

ومعنى ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكاً.. ﴾ [الحج: ٣٤] لأن الشعائر والمناسك والعبادات ليس من الضروري أنْ تتفق عند جميع الأمم، بل لكل أمة ما يناسبها، ويناسب ظَرْفها الزمني والبيئي.

لذلك، فإن الرسل لا تأتي لتُغير القواعد والأسس التي يقوم عليها الدين؛ لأن هذه القواعد وهذه الأسس ثابتة في كل رسالات السماء، لا تتبدل ولا تتغير بتغيُّر الرسل.

يقول تعالى:﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُواْ الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ.. ﴾[الشورى: ١٣].

---

(١) تفسير المنتصر الكتاني، الكتاني، محمد المنتصر ٥/٧٣

هذا في الأصول العَقَدية الثابتة، أما في الفرعيات فنرى ما يصلح المجتمع، وما يناسبه من طاعات وعبادات.

ثم يُبيِّن الحق سبحانه الحكمة من هذه المناسك: ﴿ لِّيَذْكُرُواْ اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ.. ﴾ [الحج: ٣٤] أي: يذكروا الله في كل شيء، ويشكروه على كل نعمة ينالونها من بهيمة الأنعام.

لذلك نذكر الله عند الذبح نقول: بسم الله، الله أكبر، لماذا؟ لأن الذبح إزهاق روح خلقها الله، وما كان لك أنْ تزهقها بإرادتك، فمعنى " بسم الله والله أكبر " هنا أنني لا أزهق روحها من عندي، بل لأن الله أمرني وأباحها لي، فالله أكبر في هذا الموقف من إرادتك، ومن عواطفك.

ونرى البعض يأنف من مسألة الذَّبْح هذه، يقول: كيف تذبحون هذا الحيوان أو هذه الدجاجة؟ يدَّعي الرحمة والشفقة على هذه الحيوانات، لكنه ليس أرحم بها من خالقها، وما ذبحناها إلا لأن الله أحلَّها، وما أكلناها إلا بسم الله، بدليل أن ما حرمه الله علينا لا نقرب منه أبداً.

وهل أنا أكرم القطة عن الأرنب، فأذبح الأرنب وأترك القطة؟ وهل احترم الكلب عن الخروف؟ أبداً، المسألة مسألة تشريع وأمر ثبت عن الله، فَعَليَّ أنْ أُعظِّمه وأُطيعه.

وقوله تعالى: ﴿ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ.. ﴾ [الحج: ٣٤] الرزق يعني: أنه تعالى أوجدها لك، وملكك إياها، وذَلَّلها لك فاستأنسْتها وسخّرها لك فانتفعتَ بها، ولولا تسخيره ما انقادتْ لك بقُوتك وقدرتك.

ثم يقول سبحانه: ﴿ فَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ.. ﴾ [الحج: ٣٤] يعني: إن اختلفت الشرائع من أمة لأمة فإيَّاك أنْ تظنَّ أن هذا من إله، وهذا من إله آخر، إنما هو إله واحد يشرّع لكل أمة ما يناسبها وما يصلحها؛ لأن التشريعات السماوية تأتي علاجاً لآفات اجتماعية.

والأصل الأصيل هو إيمان بإله واحد فاعل قادر مختار، يُبلِّغ عنه رسول بمعجزة تُبيِّن صدقه في التبليغ عن الله. هذا أصل كل الديانات السماوية، كذلك قواعد الدين وأساسياته واحدة مُتفق عليها، فالسرقة والزنا وشهادة الزور.

. إلخ كلها مُحرَّمة في كل الأديان.

لكن، هناك أمور تناسب أمة، ولا تناسب أخرى، والمشرّع للجميع إله واحد، الناس جميعاً من لَدُن آدم وإلى أنْ تقومَ الساعة عياله، وهم عنده سواء، لذلك يختار لكلٍّ ما يُصلحه.

ألا ترى ربَّ الأسرة كيف يُنظِّم حياة أولاده – ولله المثل الأعلى – فيقول: هذا يفعل كذا، وهذا يفعل كذا، وإذا جاء الطعام قال: هذا يأكل كذا وكذا لأنه مريض مثلاً، لا يناسبه طعام الآخرين، ويأمر الأم أنْ تُعِدَّ لهذا المريض ما يناسبه من الطعام. ذلك لأنه رَاعٍ للجميع مسئول عن الجميع، وعليه أنْ يراعيَ مصلحة كل واحد منهم على حِدَة.

إذن: اختلاف التشريعات في هذه المسائل الجزئية بين الأمم لا يعني تعدُّد الآلهة كلاَّ وحاشا لله، بل هو إله واحد، يعطي عبادة كُلاً على حسب حاجته، كي يتوازنَ المجتمع ويستقيم حاله.

نذكر أنه كان عند طبيب الوحدة الصحية دورقان، في كل منهما مزيج معين، وكان يعطي كل المرضى مع اختلاف أمراضهم من هذين النوعين فقط؛ لذلك كانت عديمة الجدوى، أما الآن فالطبيب الماهر لا بُدَّ أن يُجري على مريضه

الفحوص والتحاليل اللازمة ليقف على مرضه بالتحديد، ثم يصف العلاج المناسب لهذه الحالة بمقادير دقيقة تُبرئ المرض ولا تضرُّ المريض من ناحية أخرى.. كذلك الأمر في اختلاف الشرائع السماوية بين الأمم.

وما دام أن إلهكم إله واحد، وما دُمْتم عنده سواء، وليس منكم مَنْ هو ابنٌ الله، ولا بينه وبين الله قرابة. إذن: ﴿ فَلَهُ أَسْلِمُواْ.. ﴾ [الحج: ٣٤] يعني: أَسلِموا كل أموركم لله، فإنْ أمر فعظِّموا أمره، وخذوه على الرَّحْب والسَّعَة، فإنْ ترك مجالاً لاختيارك فاصنع ما تشاء. ولا تنسَ أن الله تعالى أعطاك فرصة للترقِّي الإيماني، وللترقِّي الإحساني، وفتح لك مجال الإحسان إنْ أردتَ.

ثم يقول سبحانه: ﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾ [الحج: ٣٤] المخبت: في المعنى العام: يعني الإنسان الخاشع الخاضع المتواضع لكل أوامر الله، والمعنى الدقيق للمخبت: هو الذي إذا ظُلم لا ينتصر لنفسه، عملاً بقول الله تعالى:﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾[الشورى: ٤٣] هكذا بلام التوكيد.

أما في وصية لقمان لولده:﴿ وَاصْبِرْ عَلَىا مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾[لقمان: ١٧] بدون توكيد لماذا؟

قالوا: لأن لقمان يوصي ولده بالصبر على ما أصابه، والمصائب قسمان: مصيبة تصيب الإنسان، وله فيها غريم هو الذي أوقع به المصيب، وهذه يصاحبها غضب وسعار للانتقام، ومصيبة تصيب الإنسان وليس له غريم كالمرض مثلاً، فإنْ كان له غريم فالصبر أشدُّ، لذلك احتاج إلى التوكيد، على خلاف المصيبة التي ليس أمامك فيها غريم، فهي من الله فالصبر عليها أهونُ من الأولى.

ومع ذلك جعل الحق – سبحانه وتعالى – للنفس البشرية منافذ تُنفِّس من خلالها عن نفسها، حتى لا يختمر بداخلها الغضب، فيتحول إلى حقد وضغينة، قد تؤدي إلى أكثر مما وقع بك؛ لذلك أباح لك الرد لكن حبَّبك في مَرَاقٍ أخرى، هي أجدى لك، فقال تبارك وتعالى:

﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[آل عمران: ١٣٤] وهذه مراحل ثلاث، تختار منها بحَسْب فَهْمك عن الله وقُرْبك منه:

الأولى:﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ.. ﴾[آل عمران: ١٣٤] يعني: تكظم غيظك في نفسك، دون أنْ تترجم هذا الغيظ إلى عمل نزوعيّ فتنتقم، فالغيظ – إذن – مسألة وجدانية في القلب، وموجود في مواجيد نفسه، وهذه مرحلة.

الثانية:﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ.. ﴾[آل عمران: ١٣٤] يعني: لا ينتقم، ولا حتى يجعل للغَيْظ مكاناً في نفسه، فيُصفِّيها من مشاعر الحَنَق والغيظ راضياً.

الثالثة:﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[آل عمران: ١٣٤] وهي أعلى المراتب، وهي ألا تكتفي بالعفو، بل وتُحسِن إلى مَنْ أساء إليك، والبعض يقول: هذا ضد طباع البشر، نعم هي ضد طباع البشر العاديين، لكن الذين يعرفون الجزاء، ويعرفون أنهم بذلك سيكونون في حضانة ربهم يهون عليهم هذا العمل، بل ويُحبون الإحسان إلى مَنْ أساء.

لذلك؛ فالحسن البصري – رضوان الله عليه – لما بلغه أنَّ شخصاً نال منه في أحد المجالس – وكان الوقت بواكير الرُّطَب – أرسل خادمه إليه بطبق من الرطب، وقال له: بلغني أنك أهديْتَ إليَّ حسناتك بالأمس.

ومعلوم أن الحسنات أغلى وأثمن بكثير من طبق الرُّطَب. ومن هنا يقولون: ما أعجب من الذي يُسيء إلى مَنْ أساء إليه، لأنه أعطاه حسناته، وهي خلاصة عمله، فكيف يُسِيء إليه؟!

وكأن الحق سبحانه يريد أنْ يُحدِث توازناً في المجتمع، ويقضي على دواعي الحقد وأسباب الضغائن في النفس البشرية، فحين تُحسِن إلى مَنْ يُسِيء إليك فإنك تجتثّ جذور الكُرْه والحِقْد من نفسه، كما قال سبحانه وتعالى:﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾[فصلت: ٣٤] فقد أخرجتَ خَصْمك من قالب الخصومة، إلى قالب الولاية والمحبة.

فالمخْبِت المتواضع لله. أما غير المخبِت فتراه متكبراً (يتفرعن) على مَنْ حوله، ويرى نفسه أعظم من الجميع، ولو أنه استحضر جلال ربه لخشع له، وتواضع وانكسر لخَلْقه، فالتكبر دليل غفلة عن عظمة الله، كأنه لم يشهد خالقه.

إذن: تستطيع أن تقول أن الإخبات على نوعين: إخبات لله بالخضوع والخشوع والتعظيم لأوامره، وإخبات لخَلْق الله، بحيث لا ينتصر لظلمه ولا يظلم، إنما يتسامح ويعفو؛ لأنه يعلم جيداً أنه إذا ظُلِم من مخلوق تعصَّب له الخالق.

ولك أن تنظر إلى أولادك إذا ظلم أحدهم الآخر فإلى مَنْ تنحاز، ومع مَنْ تتعاطف؟ لا شك أنك ستميل إلى المظلوم، وتحنو عليه، وتريد أنْ تُعوّضه عَمَّا لحقه من الظلم، حتى إن الظالم ليندم على ظُلْمه؛ لأنه ميَّز أخاه المظلوم عليه، وربما تمنى أنْ يكونَ هو المظلوم لا الظالم.

كذلك حال المخبِت يرى أن الخَلْق جميعاً عيال الله، وأن أحبّهم إليه أرأفهم بعياله؛ لذلك يعفو عَمَّن ظلمَه، ويترك أمره لله رب الجميع، كما أن المظلوم إذا رَدَّ الظلم فإنه يَرُدُّه بقوته ومقدرته هو، إنما إنْ ترك الردَّ لله جاء الردُّ على مقدار قوته سبحانه.

مَلْحظ آخر ينبغي أن يتنبه له المظلوم قبل أن يُفكِّر في الانتقام، وهو: مَنْ يدريك لعلك ظلمتَ أنت أيضاً دون أنْ تدري، لعل للناس عندك مظالم لا تشعر بها، وليست في حُسبْانك، فالمسألة – إذن – لك وعليك.

لذلك يقول الحق سبحانه في الحديث القدسي: " يا ابن آدم دعوتَ على مَنْ ظلمك ".

وهذا مباح لك بقوله تعالى﴿ لاَّ يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ.. ﴾[النساء: ١٤٨] يعني: أعطيناك فرصة أنْ تدعو على من ظلمك.

ثم يقول سبحانه: " ودعا عليك مَنْ ظلمتَه، فإنْ شئتَ أجبناك وأجبنا عليك، وإن شئت أخَّرتكُما للآخرة فيسعكُما عَفْوي ".

فالمخبت يستحضر هذا كله، ويركن إلى العفو والتسامح؛ ليأخذ رَبَّه عز وجل في صفه؛ لذلك يقولون: لو علم الظالم ما أعده الله للمظلوم من الكرامة لضَنَّ عليه بالظلم.

فحين ترى المظلوم يعفو عنك ويتسامح معك، فلا تظن أنك أخضعته لك، إنما هو خضع لله الذي سيرفعه عليك، ويُعْلي رأسه عليك في يوم من الأيام.

لذلك من أنماط السلوك السوي إذا تشاجر اثنان يقول أحد العقلاء: لكما أب نرد عليه، أو لكما كبير نرجع إليه في هذه الخصومة.

ثم يقول الحق سبحانه: ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ.. ﴾

.

(١) ".

"شرائها فقد كانوا يغالون في ثلاث ، ويكرهون المكاس فيهن الهدي والأضحية والرقبة ، وروى ابن عمر عن أبيه رضي الله عنهما "أنه أهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فيها جمل لأبي جهل في أنفه برة من ذهب" وكان ابن عمر يسوق البدن مجللة بالقباطي فيتصدق بلحومها وجلالها ويعتقد أن طاعة الله في التقرب بها وإهدائها إلى بيته المعظم أمر عظيم لا بد أن يقام به ويسارع فيه ﴿فإنها﴾ أي : تعظيمها ناشيء ﴿من تقوى القلوب﴾ فمن للابتداء فإن جعلت تبعيضية فلا بد من حذف تقديره : فإن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات ولا يستقيم المعنى إلا بتقديرها لأنه لا بدمن راجع من الجزاء إلى من ليرتبط به وإنما ذكرت القلوب لأنها مراكز التقوى التي إذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر أثرها في سائر الأعضاء وسميت تلك البدن شعائر لإشعارها بما يعرف به أنهار هدي كطعن حديدة بسنامها قال البقاعي : ولعله مأخوذ من الشعر لأنها إذا جرحت قطع شيء من شعرها أو أزيل عن محل الجرح فيكون من الإزالة ﴿لكم فيها﴾ أي : البدن ﴿منافع﴾ كركوبها والحمل عليها بما لا يضرها وعن إبراهيم : من احتاج إلى ظهرها ركب ومن احتاج إلى لبنها شرب وقال أصحاب الرأي : لا يركبها إلا إذا اضطر إليها ﴿إلى أجل مسمى﴾ وهو وقت نحرها ﴿ثم محلها﴾ أي : مكان حل نحرها ﴿إلى البيت العتيق﴾ أي : عنده والمراد الحرم جميعه وقيل المراد بالشعائر المناسك ومشاهد الحج وبالمنافع الأجر والثواب في قضاء المناسك إلى انقضاء آجالها وبحملها إلى محل الناس من إحرامهم إلى البيت يطوفون به طواف الزيارة ﴿ولكل أمة﴾ أي : جماعة مؤمنة سلفت قبلكم ﴿جعلنا منسكا﴾ أي : متعبدا وقربانا يتقربون به إلى الله تعالى ، وقرأ حمزة والكسائي منسكا هنا وفي آخر السورة بكسر السين في الموضعين فيكون بمعنى الموضع والباقون بفتحها مصدر بمعنى النسك ﴿ليذكروا اسم الله﴾ أي : الملك لا على وحده على ذبائحهم وقرابتهم لأنه الرازق لهم وحده فيقولون عند النحر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر اللهم منك وإليك ثم علل الذكر بالنعمة تنبيها على التفكر فيها فقال تعالى : ﴿على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ فوجب شكره لذلك عليهم ، وفيه تنبيه على أن القربان يجب أن يكون من الأنعام ﴿فإلهكم﴾ أي : الذي شرع هذه المناسك كلها ﴿إله واحد﴾ وإن اختلفت فروع شرائعه ، ونسخ بعضها بعضا ، وإذا كان واحدا وجب اختصاصه بالعبادة فلذا قال تعالى : ﴿فله﴾ وحده ﴿أسلموا﴾ أي : انقادوا بجميع ظواهركم وبواطنكم في كل ما أمر به أو نهى عنه ﴿وبشر المخبتين﴾ أي : المطيعين المتواضعين من الخبث ، وهو المطمئن من الأرض وقيل : هم الذين لا يظلمون ، وإذا ظلموا لم ينتصروا.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٦١٠

---

(١) تفسير الشعراوي، ص/٢٦١١

ثم بين علاماتهم بقوله تعالى : ﴿الذين إذا ذكر الله﴾ أي : الذي له الجلال والجمال ﴿وجلت﴾ أي : خافت خوفا مزعجا ﴿قلوبهم﴾ فيظهر عليها الخشوع والتواضع لله تعالى ﴿والصابرين﴾ الذين صار الصبر عادتهم ﴿على ما أصابهم﴾ من الكلف والمصائب ولماكان ذلك قد يشغل عن الصلاة قال تعالى ﴿والمقيمي الصلاة﴾ في أوقاتها والمحافظة عليها ، وإن حصل لهم من المشاق بأفعال الحج وغيره ما عسى أن يحصل ، ولذلك عبر بالوصف دون الفعل إشارة إلى أنه لا يقيمها على الوجه المشروع مع تلك المشاق والشواغل إلا راسخ في حبها فهم لما تمكن حبها في قلوبهم والخوف من الغفلة عنها كأنهم دائما في صلاة ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ في وجوه الخير من الهدايا التي يغالون في أثمانها وغير ذلك إحسانا إلى خلق الله تعالى. ٦١١." (١)

"ولما قدم تعالى الحث على التقرب بالأنعام كلها وكانت الإبل أعظمها خلقا وأجلها في أنفسهم أمرا خصها بالذكر فقال تعالى : ﴿والبدن﴾ أي : الإبل المعروفة جمع بدنة كخشب وخشبة وانتصابه بفعل يفسره ﴿جعلناها لكم من شعائر الله﴾ أي : من أعلام دينه التي شرعها الله تعالى وقيل لأنها تشعر وهي أن تطعن بحديدة في سنامها ليعلم بذلك أنها هدي ﴿لكم فيها خير﴾ أي : نفع في الدنيا وثواب في العقبى كما قال ابن عباس دنيا وأخرى ، وروى الترمذي وحسنه عن عائشة رضي الله تعالى عنه "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما عمل ابن آدم يوم النحر عملا أحب إلى الله من هراقة الدم وأنه ليؤتي يوم القيامة بقرونها وأظلافها وأشعارها وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع إلى الأرض فطيبوا بها نفسا" وروى الدارقطني في السنن عن ابن عباس قال "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنفقت الورق في شيء أفضل من نحيرة في يوم عيد" وعن بعض السلف أنه لم يملك إلا تسعة دنانير فاشترى بها بدنة فقيل له في ذلك فقال سمعت ربي يقول ﴿لكم فيها خير﴾ ﴿فاذكروا اسم الله عليها﴾ أي : على ذبحها بالتكبير حال كونها ﴿صواف﴾ أي قائمة على ثلاث معقولة اليد اليسرى لأن البدنة تعقل إحدى يديها فتقوم على ثلاث ﴿فإذا وجبت جنوبها﴾ أي : سقطت سقوطا بردت به بزوال أرواحها فلا حركة لها أصلا ، من وجب الحائط وجبة سقط ، ووجبت الشمس وجبة غربت ، قال ابن كثير وقد جاء في حديث مرفوع ولا تعجلوا النفوس أن تزهق وقوله تعالى ﴿فكلوا منها﴾ أي : إذا كانت تطوعا أمر إباحة دفعا لما قد يظن أنه يحرم الأكل منها للأمر بتقريبها لله تعالى : ﴿وأطعموا القانع﴾ أي المتعرض للسؤال بخشوع وانكسار ﴿والمعتر﴾ أي : السائل وقيل بالعكس وهو قول الشاعي رحمه الله تعالى قال في كتاب اختلاف الحديث القانع هو السائل ، والمعتر هو الزائر ، وقيل : القانع هو الجالس في بيته المتعفف الذي يقنع بما يعطى ولا يسأل ولا يتعرض ، والمعتر المعترض وقيل القانع هو المسكين والمعتر الذي ليس بمسكين ، ولا تكون له ذبيحة فيجيء إلى القوم فيتعرض لهم لأجل لحمهم ﴿كذلك﴾ أي مثل هذا التسخير العظيم الذي وصفناه من نحرها قياما ﴿سخرناها﴾ بعظمتنا التي لولاها ما كان ذلك ﴿لكم﴾ وذللناها ليلا ونهارا مع عظمها وقوتها تأخذونها منقادة فتعقلونها وتحبسونها ولو شئنا لجعلناها وحشية لم تطق ولم تكن بأعجز من بعض الوحش التي هي أصغر منها جرما وأقل قوة ﴿لعلكم تشكرون﴾ إنعامنا عليكم لتعرفوا أن ما ذللها لكم إلا الله تعالى ، فيكون حالكم حال من يرجو شكره فتوقعوا لشكر بأن لا تحرموا منها إلا ما حرم عليكم ولا تحلوا منها إلا ما أحل ،

---

(١) تفسير السراج المنير . ، ٤٣٦/٢

وتهدوا منها ما حث على إهدائه وتتصرفوا بحسب ما أمركم.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٦١٠

ولما حث تعالى على التقرب بها مذكورا اسمه عليها قال تعالى : ﴿لن ينال الله﴾ الذي له صفات الكمال ﴿لحومها﴾ المأكولة ﴿ولا دماؤها﴾ المهراقة أي : لا يرفعان إليه ﴿ولكن يناله التقوى منكم﴾ أي : يرفع إليه منكم العمل الصالح الخالص له مع الإيمان ، كما قال تعالى : ﴿والعمل الصالح يرفعه﴾ (فاطر : ١٠) أي : يقبله وقيل : كان أهل الجاهلية إذ انحروا البدن نضحوا

٦١٢

الدماء حول البيت ولطخوه بالدم فلما حج المسلمون أرادوا مثل ذلك فنزلت.

ثم كرر سبحانه وتعالى التنبيه على عظيم تسخيرها منبها على ما أوجب عليهم به بقوله تعالى : ﴿كذلك﴾ أي : التسخير العظيم ﴿سخرها لكم﴾ بعظمته وغناه عنكم ﴿لتكبروا الله على ما هداكم﴾ أي : أرشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه ، كأن تقولوا الله أكبر على ما هدانا والحمد لله على ما أولانا ، فاختصر الكلام بأن ضمن التكبير معنى الشكر وعدي تعديته.

ثم وعد من امتثل الأمر بقوله تعالى : ﴿وبشر المحسنين﴾ أي : المخلصين فيما يفعلونه ويذرونه كما قال تعالى من قبل ﴿وبشر المخبتين﴾ والمحسن هو الذي يفعل الحسن من الأعمال ويتمسك به فيصير مخبتا إلى نفسه بتوفير الثواب عليه ، وقال ابن عباس : الموحدين. وقوله تعالى :

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٦١٠." (١)

" عليكم قال إلا الميتة وما لم يذكر اسم الله عليه

عبد الرزاق قال أنا معمر عن قتادة في قوله تعالى فكأنما خر من السماء قال هذا مثل ضربه الله لمن أشرك بالله في بعده من الهدى وهلاكه فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق

عبد الرزاق قال أنا معمر عن الحسن في قوله تعالى الذين إن مكنهم في الأرض أقاموا الصلوة الآية قال هذه الأمة

عبد الرزاق قال أنا معمر عن قتادة في قوله تعالى وبشر المخبتين هم المتواضعون

الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وبشر المخبتين قال المخبتون المتواضعون

عبد الرزاق قال أنا معمر عن قتادة في قوله تعالى في حرف ابن مسعود فاذكروا اسم الله عليها صوافن أي معلقة قياما

عبد الرزاق قال معمر وقال صواف خالصة لله

معمر عن ابن أبي نجيح في قوله تعالى القانع والمعتر قال القانع الطامع بما قبلك ولا يسألك والمعتر الذي يعتر بك ويسألك

---

(١) تفسير السراج المنير ، ٤٣٧/٢

عبد الرزاق قال أنا إسرائيل عن فرات القزاز عن سعيد بن جبير قال القانع الذي يسأل فيعطى في يده والمعتر الذي يعتر فيطوف ." (١)

"﴿ ٣٤ - ٣٥ ﴾ ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ * الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ .

أي: ولكل أمة من الأمم السالفة جعلنا منسكا، أي: فاستبقوا إلى الخيرات وتسارعوا إليها، ولننظر أيكم أحسن عملا والحكمة في جعل الله لكل أمة منسكا، لإقامة ذكره، والالتفات لشكره، ولهذا قال: ﴿ لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ وإن اختلفت أجناس الشرائع، فكلها متفقة على هذا الأصل، وهو ألوهية الله، وإفراده بالعبودية، وترك الشرك به ولهذا قال: ﴿ فَلَهُ أَسْلِمُوا ﴾ أي: انقادوا واستسلموا له لا لغيره، فإن الإسلام له طريق إلى الوصول إلى دار السلام. ﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾ بخير الدنيا والآخرة، والمخبت: الخاضع لربه، المستسلم لأمره، المتواضع لعباده ، ثم ذكر صفات المخبتين فقال: ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ أي: خوفا وتعظيما، فتركوا لذلك المحرمات، لخوفهم ووجلهم من الله وحده، ﴿ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ ﴾ من البأساء والضراء، وأنواع الأذى، فلا يجري منهم التسخط لشيء من ذلك، بل صبروا ابتغاء وجه ربهم، محتسبين ثوابه، مرتقبين أجره، ﴿ وَالْمُقِيمِي الصَّلاةِ ﴾ أي: الذين جعلوها قائمة مستقيمة كاملة، بأن أدوا اللازم فيها والمستحب، وعبوديتها الظاهرة والباطنة، ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ وهذا يشمل جميع النفقات الواجبة، كالزكاة، والكفارة، والنفقة على الزوجات والمماليك، والأقارب، والنفقات المستحبة، كالصدقات بجميع وجوهها، وأتي بـ ﴿ من ﴾ المفيدة للتبعيض، ليعلم سهولة ما أمر الله به ورغب فيه، وأنه جزء يسير مما رزق الله، ليس للعبد في تحصيله قدرة، لولا تيسير الله له ورزقه إياه. فيا أيها المرزوق من فضل الله، أنفق مما رزقك الله، ينفق الله عليك، ويزدك من فضله.." (٢)

"الكعبة أعتقها من الجبابرة.فوجه هؤلاء تأويل ذلك إلى سمي منحر البدن والهدايا التي أوجبتموها إلى أرض الحرم، وقالوا: عنى بالبيت العتيق أرض الحرم كلها. وقالوا: وذلك قوله:(فلا يقربوا المسجد الحرام) والمراد: الحرم كله.

وقال آخرون: معنى ذلك: ثم محلكم أيها الناس من مناسك حجكم إلى البيت العتيق أن تطوفوا به يوم النحر بعد قضائكم ما أوجبه الله عليكم في حجكم.

*ذكر من قال ذلك: حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا داود بن أبي هند، عن محمد بن أبي موسى:(ثم محلها إلى البيت العتيق) قال: محل هذه الشعائر كلها الطواف بالبيت.

وقال آخرون: معنى ذلك: ثم محل منافع أيام الحج إلى البيت العتيق بانقضائها.

*ذكر من قال ذلك:- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله:(ثم محلها إلى البيت العتيق)

---

(١) تفسير الصنعاني، ٣٨/٣

(٢) تفسير السعدي، ص/٥٣٨

حين تنقضي تلك الأيام، أيام الحج إلى البيت العتيق.

وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ثم محل الشعائر التي لكم فيها منافع إلى أجل مسمى إلى البيت العتيق، فما كان من ذلك هديا أو بدنا فبموافاته الحرم في الحرم، وما كان من نسك فالطواف بالبيت.

وقد بينا الصواب في ذلك من القول عندنا في معنى الشعائر.

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) ﴾

يقول تعالى ذكره:(ولكل أمة) ولكل جماعة سلف فيكم من أهل الإيمان بالله أيها الناس، جعلنا ذبحا يهريقون دمه(ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من." (١)

"بهيمة الأنعام) بذلك لأن من البهائم ما ليس من الأنعام، كالخيل والبغال والحمير. وقيل: إنما قيل للبهائم بهائم لأنها لا تتكلم.

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله:(جعلنا منسكا) قال أهل التأويل.

*ذكر من قال ذلك:حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال. حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد:(ولكل أمة جعلنا منسكا) قال: إهراق الدماء(ليذكروا اسم الله عليها).

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال. ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

وقوله:(فإلهكم إله واحد) يقول تعالى ذكره: فاجتنبوا الرجس من الأوثان، واجتنبوا قول الزور، فإلهكم إله واحد لا شريك له، فإياه فاعبدوا وله أخلصوا الألوهة.وقوله:(فله أسلموا) يقول: فلإلهكم فاخضعوا بالطاعة، وله فذلوا بالإقرار بالعبودية.وقوله:(وبشر المخبتين) يقول تعالى ذكره: وبشر يا محمد الخاضعين لله بالطاعة، المذعنين له بالعبودية، المنيبين إليه بالتوبة. وقد بينا معنى الإخبات بشواهده فيما مضى من كتابنا هذا.

وقد اختلف أهل التأويل في المراد به في هذا الموضع، فقال بعضهم: أريد به: وبشر المطمئنين إلى الله.

*ذكر من قال ذلك:حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد:(وبشر المخبتين) قال: المطمئنين.

حدثني أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله:(وبشر المخبتين) المطمئنين إلى الله.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى. وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله:(وبشر المخبتين) قال: المطمئنين.

حدثنا الحسن، قال: ثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله:(وبشر المخبتين) قال: المتواضعين.." (٢)

---

(١) تفسير الطبري، ٥٢٧/١٨

(٢) تفسير الطبري، ٦٢٨/١٨

"" والجنة حق " هي البستان الكثير الأشجار (رحمه الله١)، وشرعاً: الدار التي أعدها الله في الآخرة للمتقين (رحمه الله٢)

قال تعالى: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (رحمه الله٣).

" والنار حق " هي عنصر طبيعي فعال يمثله النور والحرارة المحرقة (رحمه الله٤)، وشرعاً هي الدار التي أعدها الله للكافرين (رحمه الله٥) قال تعالى ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (رحمه الله٦).

والساعة حق قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ السَّاعَةَ ءاتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا ﴾ (رحمه الله٧).

" اللهم لك أسلمت " قال تعالى: ﴿ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُواْ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾ .

قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب: الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد، والإنقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله.

" وبك آمنت " الإيمان لغة: هو التصديق الجازم (رحمه الله٨) ، وشرعاً: قول اللسان، واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح والأركان (رحمه الله٩).

رحمه الله______________

(رحمه الله١) المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، ص ١٢١، (جن).

(رحمه الله٢) شرح لمعة الاعتقاد، محمد العثيمين، ص ١٣١.

(رحمه الله٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.

(رحمه الله٤) المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، ص ٦٣٩.

(رحمه الله٥) شرح لمعة الاعتقاد، محمد العثيمين، ص ١٣١.

(رحمه الله٦) سورة البقرة، الآية (٢٤).

(رحمه الله٧) سورة الكهف، الآية: ٢١.

(رحمه الله٨) المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، ص ٢٥، (أَمِنَ).

(رحمه الله٩) التعليقات الزكية على العقيدة الواسطية، عبدالله الجبرين، (١/ ٦٩).." (١)

"" صفحة رقم ٣٢١ "

يذهبن كيده ما يغيظ وكذالك أنزلناه ءايات بينات وأن الله يهدى من يريد إن الذين ءامنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شىء شهيد ألم تر أن الله يسجد له من فى السماوات ومن فى الا رض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدوآب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشآء هاذان خصمان اختصموا فى ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رءوسهم الحميم يصهر به ما فى بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلمآ أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق إن الله يدخل الذين ءامنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الا نهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد إن الذين كفروا ويصدون عن

---

(١) أحاديث الاستفتاح رواية ودراية، ص/٤٣

سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سوآء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطآئفين والقآئمين والركع السجود وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فىأيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الا نعام فكلوا منها وأطعموا البآئس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ذالك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الا نعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الا وثان واجتنبوا قول الزور حنفآء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السمآء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق ذالك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلهآ إلى البيت العتيق ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الا نعام فإلاهكم إلاه واحد فله أسلموا وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على مآ أصابهم والمقيمى الصلواة ومما رزقناهم ينفقون والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا." (١)

"قال صاحب (الكشاف) ذالك خبر مبتدأ محذوف أي الأمر والشأن ذلك كما يقدم الكاتب جملة من كلامه في بعض المعاني فإذا أراد الخوض في معنى آخر قال هذا وقد كان كذا والحرمة ما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله تعالى بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها يحتمل أن يكون عاما في جميع تكاليفه ويحتمل أن يكون خاصا فيما يتعلق بالحج وعن زيد بن أسلم الحرمات خمس الكعبة الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمشعر الحرام وقال المتكلمون ولا تدخل النوافل في حرمات الله تعالى فهو خير له عند ربه أي فالتعظيم خير له للعلم بأنه يجب القيام بمراعاتها وحفظها وقوله عند ربه يدل على الثواب المدخر لأنه لا يقال عند ربه فيما قد حصل من الخيرات قال الأصم فهو خير له من التهاون بذلك ثم إنه تعالى عاد إلى بيان حكم الحج فقال وأحلت لكم الانعام فقد كان يجوز أن يظن أن الإحرام إذا حرم الصيد وغيره فالأنعام أيضا تحرم فبين الله تعالى أن الإحرام لا يؤثر فيها فهي محللة واستثنى منه ما يتلى في كتاب الله من المحرمات من النعم وهو المذكور في سورة المائدة وهو قوله تعالى غير محلى الصيد وأنتم حرم وقوله حرمت عليكم وقوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه (الأنعام ١٢١) ثم إنه سبحانه لما حث على تعظيم حرماته وحمد من يعظمها أتبعه بالأمر باجتناب الأوثان وقول الزور لأن توحيد الله تعالى وصدق القول أعظم الخيرات وإنما جمع الشرك وقول الزور في سلك واحد لأن الشرك من باب الزور لأن المشرك زاعم أن الوثن تحق له العبادة فكأنه قال فاجتنبوا عبادة الأوثان التي هي رأس الزور واجتنبوا قول الزور كله ولا تقربوا منه شيئا لتماديه في القبح والسماجة وما ظنك بشيء من قبيله عبادة الأوثان وسمى الأوثان رجسا لا للنجاسة لكن لأن وجوب تجنبها أوكد من وجوب تجنب الرجس ولأن عبادتها أعظم من التلوث بالنجاسات ثم قال الأصم إنما وصفها بذلك لأن عادتهم في المتقربات أن يتعمدوا سقوط الدماء عليها وهذا بعيد وقيل إنه إنما وصفها بذلك استحقارا واستخفافا وهذا أقرب وقوله من الاوثان بيان للرجس وتمييز له كقوله عندي عشرون من الدراهم لأن الرجس لما فيه من الإيهام يتناول كل شيء فكأنه قال فاجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان وليس المراد أن بعضها ليس كذلك والزور من

---

(١) تفسير البحر المحيط. (الكتب العلمية)، ٣٢١/٦

الزور والإزورار وهو الانحراف كما أن الأفك من أفكه إذا صرفه والمفسرون ذكروا في قول الزور وجوها أحدها أنه قولهم هذا حلال وهذا حرام وما أشبه ذلك من افترائهم وثانيها شهادة الزور عن النبي (صلى الله عليه وسلم) (أنه صلى الصبح فلما سلم قام قائما واستقبل الناس بوجهه وقال عدلت شهادة الزور الإشراك بالله) وتلا هذه الآية وثالثها الكذب والبهتان ورابعها قول أهل الجاهلية في تلبيتهم لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك

أما قوله تعالى حنفاء لله فقد تقدم ذكر تفسير ذلك وأنه الاستقامة على قول بعضهم والميل إلى الحق على قول البعض والمراد في هذا الموضع ما قيل من أنه الإخلاص فكأنه قال تمسكوا بهذه الأمور التي أمرت ونهيت على وجه العبادة لله وحده لا على وجه إشراك غير الله به ولذلك قال غير مشركين به وهذا يدل على أن الواجب على المكلف أن ينوي بما يأتيه من العبادة الإخلاص فبين تعالى مثلين للكفر لا مزيد عليهما في بيان أن الكافر ضار بنفسه غير منتفع بها وهو قوله ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق قال صاحب (الكشاف) إن كان هذا تشبيها مركبا فكأنه قيل من أشرك بالله فقد أهلك نسه إهلاكا ليس وراءه هلاك بأن صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرقت أجزاؤه في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المهالك البعيدة وإن كان تشبيها مفرقا فقد شبه الإيمان في علوه بالسماء والذي ترك الإيمان وأشرك بالله كالساقط من السماء والأهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المختطفة والشيطان الذي يطرحه في وادي الضلالة بالريح التي تهوى بما عصفت به في بعض المهاوي المختلفة وقرىء بكسر الخاء والطاء وبكسر الفاء مع كسرهما وهي قراءة الحسن وأصلها تختطفه وقرىء الرياح ثم إنه سبحانه أكد ما تقدم فقال ذلك ومن يعظم شعائر الله واختلفوا فقال بعضهم يدخل فيه كل عبادة وقال بعضهم بل المناسك في الحج وقال بعضهم بل المراد الهدى خاصة والأصل في الشعائر الأعلام التي بها يعرف الشيء فإذا فسرنا الشعائر بالهدايا فتعظيمها على وجهين أحدهما أن يختارها عظام الأجسام حسانا جساما سمانا غالية الأثمان ويترك المكاس في شرائها فقد كانوا يتغالون في ثلاثة ويكرهون المكاس فيهن الهدى والأضحية والرقبة روي عن ابن عمر رضي الله عنهما عن أبيه (أنه أهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار فسأل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل أهدها) (وأهدى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مائة بدنة فيها جمل لأبي جهل في أنفه برة من ذهب) والوجه الثاني في تعظيم شعائر الله تعالى أن يعتقد أن طاعة الله تعالى في التقرب بها وإهدائها إلى بيته المعظم أمر عظيم لا بد وأن يحتفل به ويتسارع فيه فإنها من تقوى القلوب أي إن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات ولا يستقيم المعنى إلا بتقديرها لأنه لا بد من راجع من الجزاء إلى من ارتبط به وإنما ذكرت القلوب لأن المنافق قد يظهر التقوى من نفسه ولكن لما كان قلبه خاليا عنها لا جرم لا يكون مجدا في أداء الطاعات أما المخلص الذي تكون التقوى متمكنة في قلبه فإنه يبالغ في أداء الطاعات على سبيل الإخلاص فإن قال قائل ما الحكمة في أن الله تعالى بالغ في تعظيم ذبح الحيوانات هذه المبالغة فالجواب

لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلهآ إلى البيت العتيق ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من

بهيمة الا نعام فإلاهكم إلاه واحد فله أسلموا وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على مآ أصابهم والمقيمى الصلواة ومما رزقناهم ينفقون." (١)

"أما قوله تعالى فإلاهكم إلاه واحد ففي كيفية النظم وجهان أحدهما أن الإله واحد وإنما اختلفت التكاليف باختلاف الأزمنة والأشخاص لاختلاف المصالح الثاني فإلاهكم إلاه واحد فلا تذكروا على ذبائحكم غير اسم الله فله أسلموا أي اخلصوا له الذكر خاصة بحيث لا يشوبه إشراك ألبتة والمراد الانقياد لله تعالى في جميع تكاليفه ومن انقاد له كان مخبتا فلذلك قال بعده وبشر المخبتين والمخبت المتواضع الخاشع قال أبو مسلم حقيقة المخبت من صار في خبت من الأرض يقال أخبت الرجل إذا صار في الخبت كما يقال أنجد وأشأم وأتهم والخبت هو المطمئن من الأرض وللمفسرين فيه عبارات أحدها المخبتين المتواضعين عن ابن عباس وقتادة وثانيها المجتهدين في العبادة عن الكلبي وثالثها المخلصين عن مقاتل ورابعها الطمئنين إلى ذكر الله تعالى والصالحين عن مجاهد وخامسها هم الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا عن عمرو بن أوس ثم وصفهم الله تعالى بقوله الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم فيظهر عليهم الخوف من عقاب الله تعالى والخشوع والتواضع لله ثم لذلك الوجل أثران أحدهما الصبر على المكاره وذلك هو المراد بقوله والصابرين على ما أصابهم وعلى ما يكون من قبل الله تعالى لأنه الذي يجب الصبر عليه كالأمراض والمحن والمصائب فأما ما يصيبهم من قبل الظلمة فالصبر عليه غير واجب بل إن أمكنه دفع ذلك لزمه الدفع ولو بالمقاتلة والثاني الاشتغال بالخدمة وأعز الأشياء عند الإنسان نفسه وماله أما الخدمة بالنفس فهي الصلاة وهو المراد بقوله الذين إذا وأما الخدمة بالمال فهو المراد من قوله ومما رزقناهم ينفقون قرأ الحسن الذين إذا بالنصب على تقدير النون وقرأ ابن مسعود والمقيمين الصلاة على الأصل

والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صوآف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذالك سخرناها لكم لعلكم تشكرون لن ينال الله لحومها ولا دمآؤها ولاكن يناله التقوى منكم كذالك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين

اعلم أن قوله تعالى والبدن فيه مسائل

المسألة الأولى البدن جمع بدنة كخشب وخشبة سميت بذلك إذا أهديت للحرم لعظم بدنها وهي الإبل خاصة ولكن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ألحق البقر بالإبل حين قال (البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة) ولأنه قال." (٢)

"ابن الأعرابي يقال عروت فلانا وأعررته وعروته واعتريته إذا أتيته تطلب معروفه ونحوه قال أبو عبيد والأقرب أن القانع هو الراضي بما يدفع إليه من غير سؤال وإلحاح والمعتر هو الذي يتعرض ويطلب ويعتريهم حالا بعد حال فيفعل ما يدل على أنه لا يقنع بما يدفع إليه أبدا وقرأ الحسن والمعتري وقرأ أبو رجاء القنع وهو الراضي لا غير يقال قنع فهو قنع وقانع أما قوله كذالك سخرناها لكم فالمعنى أنها أجسم وأعظم وأقوى من السباع وغيرها مما يمتنع علينا التمكن منه فالله تعالى جعل الإبل والبقر بالصفة التي يمكننا تصريفها على ما نريد وذلك نعمة عظيمة من الله تعالى في الدين والدنيا ثم لما بين

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . ، ٢٩/٢٣

(٢) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . ، ٣١/٢٣

تعالى هذه النعمة قال بعده لعلكم تشكرون والمراد لكي تشكروا قالت المعتزلة هذا يدل على أنه سبحانه أراد من جميعهم أن يشكروا فدل هذا على أنه يريد كل ما أمر به ممن أطاع وعصى لا كما يقوله أهل السنة من أنه تعالى لم يرد ذلك إلا من المعلوم أن يطيع والكلام عليه قد تقدم غير مرة

أما قوله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ففيه مسائل

المسألة الأولى لما كانت عادة الجاهلية على ما روي في القربان أنهم يلوثون بدمائها ولحومها الوثن وحيطان الكعبة بين تعالى ما هو القصد من النحر فقال لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولاكن يناله التقوى منكم فبين أن الذي يصل إليه تعالى ويرتفع إليه من صنع المهدي من قوله ونحره وما شاكله من فرائضه هو تقوى الله دون نفس اللحم والدم ومعلوم أن شيئا من الأشياء لا يوصف بأنه يناله سبحانه فالمراد وصول ذلك إلى حيث يكتب يدل عليه قوله إليه يصعد الكلم الطيب (فاطر ١٠)

المسألة الثانية قالت المعتزلة دلت هذه الآية على أمور أحدها أن الذي ينتفع به المرء فعله دون الجسم الذي ينتفع بنحره وثانيها أنه سبحانه غني عن كل ذلك وإنما المراد أن يجتهد العبد في امتثال أوامره وثالثها أنه لما لم ينتفع بالأجسام التي هي اللحوم والدماء وانتفع بتقواه وجب أن تكون تقواه فعلا وإلا لكانت تقواه بمنزلة اللحوم ورابعها أنه لما شرط القبول بالتقوى وصاحب الكبيرة غير متق فوجب أن لا يكون عمله مقبولا وأنه لا ثواب له والجواب أما الأولان فحقان وأما الثالث فمعارض بالداعي والعلم وأما الرابع فصاحب الكبيرة وإن لم يكن متقيا مطلقا ولكنه متق فيما أتى به من الطاعة على سبيل الإخلاص فوجب أن تكون طاعته مقبولة وعند هذا تنقلب الآية حجة عليهم

المسألة الثالثة كلهم قرأوا ينال الله ويناله بالياء إلا يعقوب فإنه قرأ بالتاء في الحرفين فمن أنث فقد رده إلى اللفظ ومن ذكر فللحائل بين الاسم والفعل ثم قال كذالك سخرها لكم والمراد أنه إنما سخرها كذلك لتكبروا الله وهو التعظيم بما نفعله عند النحر وقبله وبعده على ما هدانا ودلنا عليه وبينه لنا ثم قال بعده على وجه الوعد لمن امتثل أمره وبشر المحسنين كما قال من قبل وبشر المخبتين (الحج ٣٤) والمحسن هو الذي يفعل الحسن من الأعمال ويتمسك به فيصير محسنا إلى نفسه بتوفير الثواب عليه." (١)

"/ أما قوله تعالى : ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ فالمعنى أن لكم في الهدايا منافع كثيرة في دنياكم ودينكم وأعظم هذه المنافع محلها إلى البيت العتيق أي وجوب نحرها أو وقت وجوب نحرها منتهية إلى البيت ، كقوله : ﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ وبالجملة فقوله : ﴿مَحِلُّهَآ﴾ يعني حيث يحل نحرها ، وأما البيت العتيق فالمراد به الحرم كله ، ودليله قوله تعالى : ﴿فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَاذَا ﴾ (التوبة : ٢٨) أي الحرم كله فالمنحر على هذا القول كل مكة ، ولكنها تنزهت عن الدماء إلى منى ومنى من مكة ، قال عليه السلام : "كل فجاج مكة منحر وكل فجاج منى منحر" قال القفال هذا إنما يختص بالهدايا التي بلغت منى فأما الهدى المتطوع به إذا عطب قبل بلوغ مكة فإن محله موضعه.

جزء : ٢٣ رقم الصفحة : ٢٢٧

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . ، ٣٣/٢٣

أما قوله تعالى : ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ فالمعنى شرعنا لكل أمة من الأمم السالفة من عهد إبراهيم عليه السلام إلى من بعده ضرباً من القربان وجعل العلة في ذلك أن يذكروا اسم الله تقدست أسماؤه على المناسك ، وما كانت العرب تذبحه للصنم يسمى العتر والعتيرة كالذبح والذبيحة ، وقرأ أهل الكوفة إلا عاصماً منسكاً بكسر السين وقرأ الباقون بالفتح وهو مصدر بمعنى النسك والمكسور بمعنى الموضع.

أما قوله تعالى : ﴿فَإِلَاهُكُمْ إِلَاهٌ وَاحِدٌ﴾ ففي كيفية النظم وجهان : أحدهما : أن الإله واحد وإنما اختلفت التكاليف باختلاف الأزمنة والأشخاص لاختلاف المصالح الثاني : ﴿فَإِلَاهُكُمْ إِلَاهٌ وَاحِدٌ﴾ فلا تذكروا على ذبائحكم غير اسم الله ﴿فَلَه ا أَسْلِمُوا ﴾ أي اخلصوا له الذكر خاصة بحيث لا يشوبه إشراك ألبتة ، والمراد الانقياد لله تعالى في جميع تكاليفه ، ومن انقاد له كان مخبتاً فلذلك قال بعده ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ والمخبت المتواضع الخاشع. قال أبو مسلم : حقيقة المخبت من صار في خبت من الأرض ، يقال أخبت الرجل إذا صار في الخبت كما يقال أنجد وأشأم وأتهم ، والخبت هو المطمئن من الأرض. وللمفسرين فيه عبارات أحدها : المخبتين المتواضعين عن ابن عباس وقتادة وثانيها : المجتهدين في العبادة عن الكلبي وثالثها : المخلصين عن مقاتل ورابعها : الطمئنين إلى ذكر الله تعالى والصالحين عن مجاهد وخامسها : هم الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا عن عمرو بن أوس.

ثم وصفهم الله تعالى بقوله : ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فيظهر عليهم الخوف من عقاب الله تعالى والخشوع والتواضع لله ، ثم لذلك الوجل أثران أحدهما : الصبر على المكاره وذلك هو المراد بقوله : ﴿وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَآ أَصَابَهُمْ﴾ وعلى ما يكون من قبل الله تعالى ، لأنه الذي يجب الصبر عليه كالأمراض والمحن والمصائب. فأما ما يصيبهم من قبل الظلمة فالصبر عليه غير واجب بل إن أمكنه دفع ذلك لزمه الدفع ولو بالمقاتلة والثاني : الاشتغال بالخدمة وأعز الأشياء عند الإنسان نفسه وماله. أما الخدمة بالنفس فهي الصلاة ، وهو المراد بقوله : ﴿الَّذِينَ إِذَآ﴾ وأما الخدمة بالمال فهو المراد من قوله : ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ قرأ الحسن ﴿الَّذِينَ إِذَآ﴾ بالنصب على تقدير النون ، وقرأ ابن مسعود والمقيمين الصلاة على الأصل.

جزء : ٢٣ رقم الصفحة : ٢٢٧

أما قوله تعالى : ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ فالمعنى شرعنا لكل أمة من الأمم السالفة من عهد إبراهيم عليه السلام إلى من بعده ضرباً من القربان وجعل العلة في ذلك أن يذكروا اسم الله تقدست أسماؤه على المناسك ، وما كانت العرب تذبحه للصنم يسمى العتر والعتيرة كالذبح والذبيحة ، وقرأ أهل الكوفة إلا عاصماً منسكاً بكسر السين وقرأ الباقون بالفتح وهو مصدر بمعنى النسك والمكسور بمعنى الموضع.

(١) ".

"أما قوله تعالى : ﴿فَإِلَاهُكُمْ إِلَاهٌ وَاحِدٌ﴾ ففي كيفية النظم وجهان : أحدهما : أن الإله واحد وإنما اختلفت التكاليف باختلاف الأزمنة والأشخاص لاختلاف المصالح الثاني : ﴿فَإِلَاهُكُمْ إِلَاهٌ وَاحِدٌ﴾ فلا تذكروا على ذبائحكم غير اسم الله

---

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث ، ص/٣٢٠٣

﴿فَلَه ا أَسْلِمُوا ﴾ أي اخلصوا له الذكر خاصة بحيث لا يشوبه إشراك ألبتة ، والمراد الانقياد لله تعالى في جميع تكاليفه ، ومن انقاد له كان مخبتاً فلذلك قال بعده ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ والمخبت المتواضع الخاشع. قال أبو مسلم : حقيقة المخبت من صار في خبت من الأرض ، يقال أخبت الرجل إذا صار في الخبت كما يقال أنجد وأشأم وأتهم ، والخبت هو المطمئن من الأرض. وللمفسرين فيه عبارات أحدها : المخبتين المتواضعين عن ابن عباس وقتادة وثانيها : المجتهدين في العبادة عن الكلبي وثالثها : المخلصين عن مقاتل ورابعها : الطمئنين إلى ذكر الله تعالى والصالحين عن مجاهد وخامسها : هم الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا عن عمرو بن أوس.

ثم وصفهم الله تعالى بقوله : ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فيظهر عليهم الخوف من عقاب الله تعالى والخشوع والتواضع لله ، ثم لذلك الوجل أثران أحدهما : الصبر على المكاره وذلك هو المراد بقوله : ﴿وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَآ أَصَابَهُمْ﴾ وعلى ما يكون من قبل الله تعالى ، لأنه الذي يجب الصبر عليه كالأمراض والمحن والمصائب. فأما ما يصيبهم من قبل الظلمة فالصبر عليه غير واجب بل إن أمكنه دفع ذلك لزمه الدفع ولو بالمقاتلة والثاني : الاشتغال بالخدمة وأعز الأشياء عند الإنسان نفسه وماله. أما الخدمة بالنفس فهي الصلاة ، وهو المراد بقوله : ﴿الَّذِينَ إِذَآ﴾ وأما الخدمة بالمال فهو المراد من قوله : ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ قرأ الحسن ﴿الَّذِينَ إِذَآ﴾ بالنصب على تقدير النون ، وقرأ ابن مسعود والمقيمين الصلاة على الأصل.

جزء : ٢٣ رقم الصفحة : ٢٢٧

٢٣١

/ اعلم أن قوله تعالى : ﴿وَالْبُدْنَ﴾ فيه مسائل :

المسألة الأولى : البدن جمع بدنة كخشب وخشبة ، سميت بذلك إذا أهديت للحرم لعظم بدنها وهي الإبل خاصة ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلّم ألحق البقر بالإبل حين قال : "البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة" ولأنه قال : ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ وهذا يختص بالإبل فإنها تنحر قائمة دون البقر ، وقال قوم البدن الإبل والبقر التي يتقرب بها إلى الله تعالى في الحج والعمرة ، لأنه إنما سمى بذلك لعظم البدن فالأولى دخولها فيه ، أما الشاة فلا تدخل وإن كانت تجوز في النسك لأنها صغيرة الجسم فلا تسمى بدنة.

المسألة الثانية : قرأ الحسن والبدن بضمتين كثمر في جمع ثمرة ، وابن أبي إسحق بالضمتين وتشديد النون على لفظ الوقف ، وقرىء بالنصب والرفع كقوله : ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ والله أعلم.

المسألة الثالثة : إذا قال لله على بدنة ، هل يجوز له نحرها في غير مكة ؟

قال أبو حنيفة ومحمد رحمهما الله يجوز ، وقال أبو يوسف رحمه الله لا يجوز إلا بمكة واتفقوا فيمن نذر هدياً أن عليه ذبحه بمكة ، ولو قال : لله على جزور ، أنه يذبحه حيث شاء ، وقال أبو حنيفة رحمه الله البدنة بمنزلة الجزور فوجب أن يجوز له نحرها حيث يشاء بخلاف الهدى فإنه تعالى قال : ﴿هَدْيَا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ (يس : ٣٩) فجعل بلوغ الكعبة من صفة الهدى ، واحتج أبو يوسف رحمه الله بقوله تعالى : ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَا ائِرِ اللَّهِ﴾ فكان اسم البدنة يفيد كونها قربة فكان كاسم الهدى ، أجاب أبو حنيفة رحمه الله / بأنه ليس كل ما كان ذبحه قربة اختص بالحرم فإن الأضحية قربة وهي

جائزة في سائر الأماكن.

جزء : ٢٣ رقم الصفحة : ٢٣١

". (١)

"المسألة الثالثة : كلهم قرأوا ﴿يَنَالَ اللَّهَ﴾ ويناله بالياء إلا يعقوب فإنه قرأ بالتاء في الحرفين فمن أنث فقد رده إلى اللفظ ومن ذكر فللحائل بين الاسم والفعل. ثم قال : ﴿كَذَالِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾ والمراد أنه إنما سخرها كذلك لتكبروا الله وهو التعظيم ، بما نفعله عند النحر وقبله وبعده على ما هدانا ودلنا عليه وبينه لنا/ ثم قال بعده على وجه الوعد لمن امتثل أمره ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ كما قال من قبل ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ (الحج : ٣٤) والمحسن هو الذي يفعل الحسن من الأعمال ويتمسك به فيصير محسناً إلى نفسه بتوفير الثواب عليه.

جزء : ٢٣ رقم الصفحة : ٢٣١

٢٣٤

/ اعلم أنه تعالى لما بين ما يلزم الحج ومناسكه وما فيه من منافع الدنيا والآخرة ، وقد ذكرنا من قبل أن الكفار صدوهم أتبع ذلك ببيان ما يزيل الصد ويؤمن معه التمكن من الحج فقال : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ (الحج : ٣٨) وفيه مسائل :

المسألة الأولى : قرأ أبو جعفر وشيبة ونافع بالألف ومثله ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ﴾ وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بغير ألف فيهما. وقرأ حمزة والكسائي وعاصم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ﴾ بالألف ﴿وَلَوْلا دَفْعُ﴾ بغير ألف ، فمن قرأ يدافع فمعناه يبالغ في الدفع عنهم ، وقال الخليل يقال دفع الله المكروه عنك دفعاً ودافع عنك دفاعاً والدفاع أحسنهما.

المسألة الثانية : ذكر ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ ولم يذكر ما يدفعه حتى يكون أفخم وأعظم وأعم ، وإن كان في الحقيقة أنه يدافع بأس المشركين. فلذلك قال بعده ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (الحج : ٣٨) فنبه بذلك على أنه يدفع عن المؤمنين كيد من هذا صفته.

المسألة الثالثة : قال مقاتل : إن الله يدافع كفار مكة عن الذين آمنوا بمكة ، هذا حين أمر المؤمنين بالكف عن كفار مكة قبل الهجرة حين آذوهم فاستأذنوا النبي صلى الله عليه وسلّم في قتلهم سراً فنهاهم.

المسألة الرابعة : هذه الآية بشارة للمؤمنين بإعلائهم على الكفار وكف بوائقهم عنهم وهي كقوله : ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى ﴾ (آل عمران : ١١١) وقوله : ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ (غافر : ٥١) وقال : ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ﴾ (الصافات : ١٧٢) ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾ (الصف : ١٣).

جزء : ٢٣ رقم الصفحة : ٢٣٤

أما قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (الحج : ٣٨) فالمعنى أنه سبحانه جعل العلة في أنه يدافع / عن الذين

---

(١)<تفسير الرازي: دار إحياء التراث- ، ص/٣٢٠٤

آمنوا أن الله لا يحب صدهم ، وهو الخوان الكفور أي خوان في أمانة الله كفور لنعمته ونظيره قوله : ﴿لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾ (الأنفال : ٢٧) قال مقاتل أقروا بالصانع وعبدوا غيره فأي خيانة أعظم من هذه ؟

أما قوله تعالى : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ﴾ ففيه مسائل :

المسألة الأولى : قرأ أهل المدينة والبصرة وعاصم في رواية حفص ﴿أَذِنَ﴾ بضم الألف والباقون بفتحها أي أذن الله لهم في القتال ، وقرأ أهل المدينة وعاصم ﴿يَقْتُلُونَ﴾ بنصب التاء ، وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي ﴿أَذِنَ﴾ بنصب الف بكسر التاء. قال الفراء والزجاج : يعني أذن الله للذين يحرصون على قتال المشركين في المستقبل/ ومن قرأ بفتح التاء فالتقدير أذن للذين يقاتلون في القتال.

المسألة الثانية : في الآية محذوف والتقدير أذن للذين يقاتلون في القتال فحذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه.

أما قوله : ﴿يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ﴾ فالمراد أنهم أذنوا في القتال بسبب كونهم مظلومين وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم كان مشركوا مكة يؤذونهم أذى شديداً وكانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلّم من بين مضروب ومشجوج يتظلمون إليه فيقول لهم اصبروا فإني لم أومر بقتال حتى هاجر فأنزل الله تعالى هذه الآية وهي أول آية أذن فيها بالقتال بعد ما نهى عنه في نيف وسبعين آية ، وقيل نزلت في قوم خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركوا مكة فأذن في مقاتلتهم.

أما قوله : ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ فذلك وعد منه تعالى بنصرهم كما يقول المرء لغيره إن أطعتني فأنا قادر على مجازاتك لا يعني بذلك القدرة بل يريد أنه سيفعل ذلك.

". (١)

" صفحة رقم ١٧

من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين " (قوله تعالى : (حنفاء لله (يعني مخلصين له) غير مشركين به (فدل ذلك على أن المكلف ينوي بما يؤتيه من العبادة الأخلاص لله بها لا غيره وقيل كانوا في الشرك يحجون ويحرمون البنات والأمهات والأخوات وكانوا حنفاء فنزلت) حنفاء لله غير مشركين به (أي حجوا لله مسلمين موحدين ومن أشرك لا يكون حنيفا) ومن يشرك بالله فكأنما خر (أي سقط) من السماء (إلى الأرض) فتخطفه الطير (يعني تسلبه وتذهب به) أو تهوي به الريح (يعني تميل وتذهب به) في مكان سحيق (يعني بعيد.

ومعنى الآية أن من أشرك بالله بعيد من الحق والإيمان كبعد من سقط من السماء فذهبت به الطير أو هوت به الريح فلا يصل إليه بحال وقيل شبه حال المشرك بحال الهاوي من السماء لأنه لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع حيث تسقط الريح فهو هالك لا محالة.

إما باستلاب الطير لحمه أو بسقوطه في المكان السحيق.

---

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- ، ص/٣٢٠٦

وقيل معنى الآية من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكا ليس وراءه إهلاك بأن صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير ففرقت أجزاءه في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المهالك البعيدة.

وقيل شبه الإيمان بالسماء في علوه والذي ترك الإيمان بالساقط من السماء والأهواء التي توزع أفكاره بالطير المختطفة والشياطين التي تطرحه في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة.

قوله عز وجل) ذلك (يعني الذي ذكر من اجتناب الرجس وقول الزور) ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (يعني تعظيم شعائر الله من تقوى القلوب قال ابن عباس : شعائر الله البدن والهدي وأصلها من الإشعار ، وهو العلامة التي يعرف بها أنها هدى وتعظيمها استسمانها واستحسانها وقيل شعائر الله أعلام دينه وتعظيمها من تقوى القلوب) لكم فيها (اي في البدن) منافع (قيل هي درها ونسلها وصوفها ووبرها وركوب ظهرها) إلى أجل مسمى (أي إلى أن يسميها ويوجبها هديا فإذا فعل ذلك لم يكن له شيء من منافعها.

وهو قول مجاهد وقتادة والضحاك ورواية عن ابن عباس وقيل معناه لكم في الهدايا منافع بعد إيجابها وتسميتها هدايا بأن تركبوها وتشربوا من ألبانها عند الحاجة إلى أجل مسمى يعني إلى أن تنحروها وهو قول عطاء.

واختلف العلماء في ركوب الهدي فقال مالك والشافعي وأحمد وإسحاق : يجوز ركوبها والحمل عليها من غير ضرر بها لما روي عن أبي هريرة أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رأى رجلا يسوق بدنه فقال : (اركبها فقال يا رسول الله إنها بدنة فقال : اركبها ويلك في الثانية والثالثة) أخرجاه في الصحيحين.

وكذلك يجوز له أن يشرب من لبنها بعد ما يفضل عن ري ولدها.

وقال أصحاب الرأي : لا يركبها إلا أن يضطر إليه وقيل أراد بالشعائر المناسك ومشاهدة مكة لكم فيها منافع يعني بالتجارة والأسواق) إلى أجل مسمى (يعني إلى الخروج من مكة وقيل) لكم فيها منافع (يعني بالأجر والثواب في قضاء المناسك إلى انقضاء أيام الحج) ثم محلها إلى البيت العتيق (يعني منحرها عند البيت العتيق يريد به جميع أرض الحرم.

وروي عن جابر في حديث حجة الوداع أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال (نحرت ها هنا ومنى كلها منحر فانحروا في رحالكم) ومن قال الشعائر المناسك قال معنى ثم محلها يعني محل الناس من إحرامهم إلى البيت العتيق يطوفون به طواف الزيارة.

قوله تعالى) ولكل أمة (يعني جماعة مؤمنة سلفت قبلكم) جعلنا منسكا (قرىء بكسر السين يعني مذبحا وهو موضع القربان منسكا بفتح السين وهو." (١)

" صفحة رقم ١٨

إراقة الدم وذبح القرابين) ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام (يعني عند ذبحها ونحرها سماها بهيمة لأنها لا تتكلم وقيد بالأنعام لأن ما سواها لا يجوز ذبحه في القرابين وإن جاز أكله.

قوله عز وجل) فإلهكم إله واحد (يعني سموا على الذبح اسم الله وحده فإن إلهكم إله واحد) فله أسلموا (يعني أخلصوا

---

(١) تفسير الخازن . ، ١٧/٥

وانقادوا وأطيعوا) وبشر المخبتين (قال ابن عباس : المتواضعين وقيل المطمئنين إلى الله وقيل الخاشعين الرقيقة قلوبهم وقيل هم الذي لا يظلمون وإذا ظلموا لا ينتصرون ثم وصفهم.

(

الحج : (٣٥ – ٤٠) الذين إذا ذكر...

" الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز " (فقال تعالى : (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم (يعني خافت من عقاب الله فيظهر عليها الخشوع والتواضع لله تعالى) والصابرين على ما أصابهم (يعني من البلاء والمرض والمصائب ونحو ذلك مما كان من الله تعالى وما كان من غير الله فله أن يصبر عليه وله أن ينتصر لنفسه) والمقيمي الصلاة (يعني في أوقاتها محافظة عليها) ومما رزقناهم ينفقون (يعني يتصدقون.

قوله تعالى) والبدن (جميع بدنه سميت بدنة لعظمها وضخامتها ، يريد الإبل الصحاح الأجسام والبقر ولا تسمى الغنم بدنة لصغرها) جعلناها لكم من شعائر الله (يعني من أعلام دينه قيل لأنه تشعر وهو أن تطعن بحديدة في سنامها فيعلم بذلك أنها هدي) لكم فيها خير (يعني نفع في الدنيا وثواب في العقبى) فاذكروا اسم الله عليها (يعني عند نحرها) صواف (يعني قياما على ثلاث قوائم قد صفت رجليها ويدها اليمنى والأخرى معقولة فنحرها كذلك

(ق) عن زياد بن جبير قال : (رأيت ابن عمر أتى على رجل قد أناخ بدنة ينحرها قال ابعثها قياما مقيدة سنة محمد (صلى الله عليه وسلم))) فإذا وجبت جنوبها (يعني سقطت بعد النحر ووقع جنبها على الأرض) فكلوا منها (أمر إباحة) وأطعموا القانع والمعتر (قيل القانع الجالس في بيته المتعفف يقنع بما يعطى ولا يسأل.

والمعتر هو الذي يسأل وعن ابن عباس القانع هو الذي لا يسأل ولا يتعرض.

وقيل : القانع هو الذي يسأل والمعتر هو الذي يريك نفسه ويتعرض ولا يسأل وقيل القانع المسكين والمعتر الذي ليس بمسكين ولا." (١)

" ٣٤ – ﴿ ولكل أمة ﴾ أي جماعة مؤمنة سلفت قبلكم ﴿ جعلنا منسكا ﴾ بفتح السين مصدر وبكسرها اسم مكان : أي ذبحا قربانا أو مكانة ﴿ ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ﴾ عند ذبحها ﴿ فإلهكم إله واحد فله أسلموا ﴾ انقادوا ﴿ وبشر المخبتين ﴾ المطيعين المتواضعين ." (٢)

(١) تفسير الخازن . ، ١٨/٥

(٢) تفسير الجلالين، ص/٤٣٨

"٦٨٢: ٢٢: ١٧ سفين عن سعيد بن مسروق عن عكرمة أمة جعلنا منسكا هذه قال ذبايح هم ذابحوها سنة (الآية ٣٤).

٦٨٣: ٣٣: ٢٥ سفين عن بن أبي نجيح عن مجاهد وبشر المخبتين قال المطمينين عمرو (الآية ٣٤).

٦٨٤: ٢٤: ١٠ سفين عن منصور عن إبراهيم فيها خير قال هي البدنة ان احتاج إليها ركب وان احتاج الى لبنها شرب (الآية ٣٦).

٦٨٥: ٢٥: ١١ سفين عن الأعمش عن أبي ظبيان قال سأل رجل عن بن عباس اسم الله عليها صواف قال قياما معقولة فقيل له ما يقولون عند النحر قال يقولون اكبر لا إله إلا الله اللهم منك ولك (الآية ٣٦).." (١)

" والمروة والبيت وغير ذلك وفى الآية التى تأتي ان البدن من الشعائر والمنافع التجارة وطلب الرزق او الأجر والمغفرة والأجل المسمى الرجوع الى مكة لطواف الافاضة ومحلها مأخوذ من إحلال المحرم والمعنى ثم اخروا هذا كله الى طواف الافاضة بالبيت العتيق فالبيت على هذا التأويل مراد بنفسه قاله مالك فى الموطإ ت واظهر هذه التاويلات عندى تاويل عطاء وفى الثالث بعض تكلف ثم اخبر تعالى انه جعل لكل امة من الامم المؤمنة منسكا اي موضع نسك وعبادة هذا على ان المنسك ظرف ويحتمل ان يريد به المصدر كأنه قال عبادة والناسك العابد وقال مجاهد سنة فى هراقة دماء الذبائح

وقوله ليذكروا اسم الله معناه امرناهم عند ذبائحهم بذكر الله وان يكون الذبح له لأنه رازق ذلك وقوله فله أسلموا اي ءامنوا ويحتمل ان يريد استسلموا ثم امر سبحانه نبيه صلى الله عليه و سلم ان يبشر بشارة على الإطلاق وهى ابلغ من المفسرة لأنها مرسلة مع نهاية التخيل للمخبتين المتواضعين الخاشعين المؤمنين والخبت ما انخفض من الأرض والمخبت المتواضع الذى مشيه متطامن كأنه فى حدور من الأرض وقال عمرو بن أوس المخبتون الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا قال ع وهذا مثال شريف من خلق المؤمن الهين اللين وقال مجاهد هم المطمئنون بأمر الله تعالى ووصفهم سبحانه بالخوف والوجل عند ذكر الله تعالى وذلك لقوة يقينهم ومراقبتهم لربهم وكأنهم بين يديه جل وعلا ووصفهم بالصبر وبإقامة الصلاة وإدامتها وروي أن هذه الآية قوله وبشر المخبتين نزلت في ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين

وقوله سبحانه والبدن جعلناها لكم من شعائر الله البدن جمع بدنة وهى ما اشعر من ناقة او بقرة قاله عطاء وغيره وسميت بذلك لأنها تبدن اي تسمن وقيل بل هذا الاسم خاص بالإبل والخير هنا قيل فيه ما قيل ." (٢)

"" صفحة رقم ١٢٦ "

الحج : (٣٣) لكم فيها منافع . . . . .

) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (أي لكم فيها منافع درها ونسلها وصوفها وظهرها إلى أن تنحر ثم وقت نحرها منتهية إلى البيت أي ما يديه من الحرم و) ثم (تحتلم التراخي في الوقت والتراخي في الرتبة أي لكم فيها منافع دنيوية إلى وقت النحر وبعده منافع دينية أعظم منها وهو على الأولين إما متصل بحديث النعام والضمير فيه لها

---

(١) تفسير الثوري، ص/٢١٣

(٢) تفسير الثعالبي، ٣/٨٠

أو المراد على الأول لكم فيها منافع دينية تنتفعون بها إلى اجل مسمى هو الموت ثم محلها منتهية إلى البيت العتيق الذي ترفع غليه الأعمال أو يكون فيه ثوابها وهو البيت المعمور أو الجنة وعلى الثاني) لكم فيها منافع (التجارات في الأسواق إلى وقت المراجعة ثم وقت الخروج منه منتهية إلى الكعبة بالإحلال بطواف الزيارة

الحج : (٣٤) ولكل أمة جعلنا . . . . .

) ولكل أمة (ولك أهل دين) جعلنا منسكا (متعبدا أو قربانا يتقربون به إلى الله وقرأ حمزة والكسائي بالكسر أي موضع نسك) ليذكروا اسم الله (دون غيره ويجعلون نسيكتهم لوجهه علل الجعل به تنبيها على أن المقصود من المناسك تذكر المعبود) على ما رزقهم من بهيمة الأنعام (عند ذبحها وفيه تنبيه على أن القربان يجب أن يكون نعما) فإلهكم إله واحد فله أسلموا (أخلصوا التقرب أو الذكر ولا تشوبوه بالإشراك) وبشر المخبتين (المتواضعين أو المخلصين فإن الإخبات صفتهم." (١)

"... ٤٧٤٠- غرلا: غير مختتنين. ذات الشمال: يعني إلى النار. أصحابي: أي من أمتي. مرتدين: تقدم عن القاضي عياض أنهم صنفان، الأول عصاة مرتدون عن الاستقامة، لا عن الإسلام، والثاني مرتدون إلى الكفر، واسم التبديل المذكور في رواية: " فأقول سحقا سحقا لمن بدل بعدي"، يشمل الجميع.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الحج

... مكية إلا: " ومن الناس من يعبد الله" الآيتين -١١ و١٢-، أو إلا: " هذان خصمان" الست آيات -١٩ إلى ٢٤- .

... وهي أربع، أو خمس، أو ست، أو سبع، أو ثمان وسبعون آية(١).

... " المخبتين": من قوله تعالى: " وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم" - الحج ٣٤ و٣٥-: المطمئنين، وقال البيضاوي: (المتواضعين المخلصين)(٢).

... إذا تمنى.. إلخ": من قوله تعالى: " وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبيء الا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله ءاياته والله عليم حكيم" - الحج ٥٢-: إذا حدث: أي تلا وقرأ، في حديثه: في قراءته، أي ما ليس من القرآن مما يرضاه المرسل إليهم. فيبطل الله: هذا تفسير قوله: " فينسخ الله". ويقال أمنيته: قراءته، ذكر هذا، وقوله: " إلا أماني" من قوله تعالى في سورة البقرة -٧٨-: " لا يعلمون الكتاب إلا أماني"، استشهادا على أن معنى "تمنى" قرأ.

---

(١) - هي أربع وسبعون في الشامي، وخمس في البصري، وست في المدني، وسبع في المكي، وثمان في الكوفي، انظر البيان

---

(١) تفسير البيضاوى ، ٤/١٢٦

ص:١٨٩، والكشف ١١٦/٢.

(٢) – أنوار التنزيل ٥٥/٤، وفيه: (المتواضعين أو المخلصين، فإن الإخبات صفتهم).." (١)

" وأما قوله : ! (وبشر المخبتين) ! أي : بشر المؤمنين المتواضعين لله – جل وعز . والإخبات : التضرع في وقت ، والإخبات : التواضع لله – عز و جل – في كل وقت . ! (بادي الرأي) ! من همز (بَادِىءَ الرَّأْيِ) أراد : في ابتداء الرأي . ومن قرأ ! (بادي الرأي) ! ولم يهمز (بَادِىء) أراد : في ظاهر الرأي ، فبدأ – مهموزا – : ابتدأ ، و بدا – غير مهموز – : ظهر .

". (٢)

"أو الثالثة" .

والأجل المسمى هو وقت نحرها، وهو يوم من أيام منى. وهي الأيام المعدودات.

والمحل: بفتح الميم وكسر الحاء مصدر ميمي من حل يحل إذا بلغ المكان واستقر فيه. وهو كناية عن نهاية أمرها، كما يقال: بلغ الغاية. ونهاية أمرها النحر أو الذبح.

و ﴿إلى﴾ حرف انتهاء مجازي لأنها لا تنحر في الكعبة، ولكن التقرب بها بواسطة تعظيم الكعبة لأن الهدايا إنما شرعت تكملة لشرع الحج، والحج قصد البيت. قال تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت﴾ ، فالهدايا تابعة للكعبة قال تعالى: ﴿هديا بالغ الكعبة﴾ وإن كانت الكعبة لا ينحر فيها، وإنما المناحر: منى، والمروة، وفجاج مكة أي، طرقها بحسب أنواع الهدايا. وتبيينه في السنة.

وقد جاء في قوله تعالى: ﴿ثم محلها إلى البيت العتيق﴾ رد العجز على الصدر باعتبار مبدأ هذه الآيات وهو قوله تعالى: ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت﴾.

[٣٤-٣٥] ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾

عطف على جملة: ﴿ثم محلها إلى البيت العتيق﴾.

﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا﴾

والأمة: أهل الدين الذين اشتركوا في اتباعه. والمراد: أن المسلمين لهم منسك واحد وهو البيت العتيق كما تقدم. والمقصود من هذا الرد على المشركين إذ جعلوا لأصنامهم مناسك تشابه مناسك الحج وجعلوا لها مواقيت ومذابح مثل الغبغب منحر العزى. فذكرهم الله تعالى بأنه ما جعل لكل أمة إلا منسكا واحدا للقربان إلى الله تعالى الذي رزق الناس الأنعام التي يتقربون

---

(١) إتحاف القاري بدرر البخاري، ٣/٧

(٢) ياقوتة الصراط، ص/٢٦٣

إليه منها فلا يحق أن يجعل لغير الله منسك لأن ما لا يخلق الأنعام المقرب بها ولا يرزقها الناس لا يستحق أن يجعل له منسك لقربانها فلا تتعدد المناسك.." (١)

"فالتنكير في قوله ﴿منسكا﴾ للإفراد أي واحدا لامتعددا ومحل الفائده هو إسناد الجعل إلى ضمير الجلالة.

وقد دل على ذلك قوله: ﴿ليذكروا اسم الله﴾ وأدل عليه التفريع بقوله: ﴿فإلهكم إله واحد﴾ . والكلام يفيد الاقتداء ببقية الأمم أهل الأديان الحق.

و ﴿على﴾ يجوز أن تكون للاستعلاء المجازي متعلقة بـ ﴿ليذكروا اسم الله﴾ مع تقدير مضاف بعد على تقديره: إهداء ما رزقهم. أي عند إهداء ما رزقهم. يعني ونحرها أو ذبحها.

ويجوز أن تكون ﴿على﴾ بمعنى: لام التعليل. والمعنى: ليذكروا اسم الله لأجل ما رزقهم من بهيمة الأنعام.

وقد فرع على هذا الانفراد بالإلهية بقوله: ﴿فإلهكم إله واحد فله أسلموا﴾ أي إذ كان قد جعل لكم منسكا واحدا فقد نبهكم بذلك أنه إله واحد، ولو كانت آلهة كثيرة لكانت شرائعها مختلفة. وهذا التفريع الأول تمهيد للتفريع الذي عقبه وهو المقصود، فوقع في النظم تغيير بتقديم وتأخير. وأصل النظم: فلله أسلموا، لأن إلهكم إله واحد. وتقديم المجرور في ﴿فله أسلموا﴾ للحصر، أي أسلموا له لا لغيره. والإسلام: الانقياد التام، وهو الإخلاص في الطاعة، أي لا تخلصوا إلا لله، أي فاتركوا جميع المناسك التي أقيمت لغير الله فلا تنسكوا إلا في المنسك الذي جعله لكم، تعريضا بالرد على المشركين.

وقرأ الجمهور ﴿منسكا﴾ بفتح السين وقرأه حمزة، والكسائي، وخلف بكسر السين. وهو على القراءتين اسم مكان للنسك، وهو الذبح. إلا أنه على قراءة الجمهور جار على القياس لأن قياسه الفتح في اسم المكان إذ هو من نسك ينسك بضم العين في المضارع. وأما على قراءة الكسر فهو سماعي مثل مسجد من سجد يسجد، قال أبو علي الفارسي: ويشبه أن الكسائي سمعه من العرب.

﴿وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾.

اعتراض بين سوق المنن. والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم. وأصحاب هذه الصفات هم المسلمون.." (٢)

"تقدم من قوله: ﴿فينسخ الله﴾ إلى قوله: ﴿ثم يحكم الله آياته﴾ ، أي أن المذكور هو الحق، كقول رؤية:

فيها خطوط من سواد وبلق

كأنه في الجلد توليع البهق

أي كان المذكور.

وقوله: ﴿فيؤمنوا به﴾ معناه: فيزدادوا إيمانا أو فيؤمنوا بالناسخ والمحكم كما آمنوا بالأصل.

والإخبات: الاطمئنان والخشوع. وتقدم آنفا عند قوله تعالى: ﴿وبشر المخبتين﴾ ، أي فيستقر ذلك في قلوبهم كقوله تعالى: ﴿قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾.

---

(١) التحرير والتنوير، ١٨٧/١٧

(٢) التحرير والتنوير، ١٨٨/١٧

وبما تلقيت في تفسير هذه الآية من الانتظام البين الواضح المستقل بدلالته والمستغني بنهله عن علالته، والسالم من التكلفات والاحتياج إلى ضميمة القصص ترى أن الآية بمعزل عما ألصقه بها الملصقون والضعفاء في علوم السنة، وتلقاء منهم فريق من المفسرين حبا في غرائب النوادر دون تأمل ولا تمحيص، من أن الآية نزلت في قصة تتعلق سورة النجم فلم يكتفوا بما أفسدوا من معنى هذه الآية حتى تجاوزوا بهذا الإلصاق إلى إفساد معاني سورة النجم، فذكروا في ذلك روايات عن سعيد بن جبير، وابن شهاب، ومحمد بن كعب القرطبي، وأبي العالية، والضحاك وأقربها رواية عن ابن شهاب وابن جبير والضحاك قالوا: "إن النبي صلى الله عليه وسلم جلس في ناد من أندية قريش كثير أهله من مسلمين وكافرين، فقرأ عليهم سورة النجم فلما بلغ قوله: ﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾ القي الشيطان بين السامعين عقب ذلك قوله: ﴿تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى﴾ ففرح المشركون بان ذكر آلهتهم بخير. وكان في آخر تلك السورة سجدة من سجود التلاوة. فلما سجد في آخر السورة سجد كل من حضر من المسلمين والمشركين. وتسامع الناس بان قريشا أسلموا حتى شاع ذلك ببلاد الحبشة. فرجع من مهاجرة الحبشة نفر منهم عثمان بن عفان إلى المدينة. وأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشعر بأن الشيطان ألقى. فأعلمه جبريل عليه السلام فاغتم لذلك فنزل قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك﴾ الآية تسلية له.

وهي قصة يجدها السامع ضغثا على إبالة، ولا يلقي إليها النحرير باله. وما رويت." (١)

"" صفحة رقم ١٨ "

) أن لا تشرك (يعني أمرناه وعهدنا إليه أن لا تشرك) بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين (يعني المصلين) والركع السجود (

.

) ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فأيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البآئس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ذالك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الانعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور حنفآء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السمآء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق ذالك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلهآ إلى البيت العتيق ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام فإلاهكم إلاه واحد فله أسلموا وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على مآ أصابهم والمقيمى الصلواة ومما رزقناهم ينفقون والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صوآف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذالك سخرناها لكم لعلكم تشكرون لن ينال الله لحومها ولا دمآؤها ولاكن يناله التقوى منكم كذالك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٢

الحج : (٢٧) وأذن في الناس . . . . .

) وأذن (يعني وعهدنا إلى إبراهيم ايضا أن أذن أي أعلم وناد في الناس) بالحج (.

---

(١) التحرير والتنوير، ٢١٩/١٧

فقال إبراهيم : يا رب وما يبلغ صوتي ؟ فقال : عليك الأذان وعلي البلاغ ، فقام إبراهيم على المقام وقيل : على جبل أبي قبيس ونادى : يا أيها الناس ألا إن ربكم قد بنى بيتا فحجوه ، فأسمع الله ذلك من في أصلاب الرجال وأرحام النساء ، وما بين المشرق والمغرب والبر والبحر ممن سبق في علم الله سبحانه أن يحج إلى يوم القيامة ، فأجابه : لبيك اللهم لبيك .

وقال ابن عباس : عنى بالناس في هذه الآية أهل القبلة وزعم الحسن أن قوله تعالى) وأذن في الناس بالحج (كلام مستأنف ، وأن المأمور بهذا التأذين محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أمر أن يفعل ذلك في حجة الوداع .

) يأتوك رجالا (مشاة على أرجلهم جمع راجل مثل قائم وقيام وصائم وصيام .

) وعلى كل ضامر (أي وركبانا ، والضامر البعير المهزول ، وإنما جمع) يأتين (لمكان كل ، أراد النوق) من كل فج عميق (طريق بعيد .

سمعت أبا الحسن محمد بن القاسم الفقيه يقول : سمعت أبا القاسم بشر بن محمد بن." (١)

"" صفحة رقم ٢٢ "

) إلى أجل مسمى (وهو أن يسميها هديا ويوجبها ، فإذا فعل ذلك لم يكن له من منافعها شيء ، هذا قول مجاهد وعطاء والضحاك وقتادة ، ورواية مقسم عن ابن عباس ، وقيل : معناه : لكم في هذه الهدايا منافع بعد إيجابها وتسميتها هديا بأن تركبوها إذا احتجتم إليها وتشربوا ألبانها إن اضطررتم إليها ، إلى أجل مسمى يعني إلى أن تنحر ، وهذا قول عطاء بن أبي رباح .

وقال بعضهم : أراد بالشعائر المناسك ومشاهد مكة ، ومعنى الآية : لكم فيها منافع بالتجارة والأسواق إلى أجل مسمى وهو الخروج من مكة ، وهذه رواية أبي ذر عن ابن عباس .

وقال بعضهم : لكم فيها منافع بالأجر والثواب في قضاء المناسك وإقامة شعائر الحج إلى أجل مسمى وهو انقضاء أيام الحج .

) ثم محلها إلى البيت العتيق (أي منحرها عند البيت العتيق يعني أرض الحرم كلها ، نظيرها قوله سبحانه) فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا (أي الحرم كله ، وقال الذين قالوا : عنى بالشعائر المناسك ، معنى الآية : ثم محل الناس من إحرامهم إلى البيت العتيق أن يطوفوا به طواف الزيارة يوم النحر بعد قضاء المناسك .

الحج : (٣٤) ولكل أمة جعلنا . . . . .

) ولكل أمة (جماعة مؤمنة سلفت قبلكم) جعلنا منسكا (اختلف القراء فيه فقرأ أهل الكوفة إلا عاصما بكسر السين في الحرفين على معنى الاسم مثل المجلس والمطلع أي مذبحا موضع قربان ، وقرأ الآخرون بفتح السين فيهما على المصدر مثل المدخل والمخرج أي إهراق الدماء وذبح القرابين .

) ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام (عند ذبحها ونحرها ، وإنما خص بهيمة الأنعام لأن من البهائم ما ليس من الأنعام كالخيل والبغال والحمير ، وإنما قيل بهائم لأنها لا تتكلم .

---

(١) الكشف والبيان ، ١٨/٧

) فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (قال ابن عباس وقتادة : المتواضعين ، مجاهد : المطمئنين إلى الله سبحانه ، الأخفش : الخاشعين ، ابن جرير : الخاضعين ، عمرو بن أوس : هم الذين لا يظلمون ، وإذا ظلموا لم ينتصروا .

الحج : (٣٥ - ٣٦) الذين إذا ذكر . . . . .

) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمى الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والبدن (أي الإبل العظام الضخام الأجسام ، وتخفف وتثقل واحدتها بدنة مثل تمرة وتمر وخشبة وخشب وبادن مثل فاره وفره ، والبدن هو الضخم من كل شيء ومنه قيل لامرئ القيس بن النعمان صاحب الخورنق والسدير : البدن لضخمه ، وقد بدن الرجل بدنا وبدانة إذا ضخم ، فأما إذا أشفى واسترخى قيل : بدن تبدينا .

وقال عطاء والسدي : البدن : الإبل والبقر .." (١)

"و " المخبتين " المتواضعين الخاشعين من المؤمنين والخبت ما انخفض من الأرض والمخبت المتواضع الذي مشيه متطامن كأنه في حدود من الأرض وقال عمرو بن أوس المخبتون الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا .

قال القاضي أبو محمد : وهذا مثال شريف من خلق المؤمن الهين اللين وقال مجاهد هم المطمئنون بأمر الله ووصفهم تعالى بالخوف والوجل عند ذكر الله وذلك لقوة يقينهم ومراعاتهم لربهم وكأنهم بين يديه ووصفهم بالصبر وبإقامة الصلاة وإدامتها وقرأ الجمهور الصلاة بالخفض وقرأ ابن أبي إسحاق الصلاة بالنصب على توهم النون وأن حذفها للتخفيف ورويت عن أبي عمرو وقرأ الأعمش والمقيمين الصلاة بالنون والنصب في الصلاة وقرأ الضحاك والمقيم الصلاة وروي أن هذه الآية قوله " وبشر المخبتين " نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم .

قوله عز وجل

سورة الحج الآية ٣٦٣٧

البدن جمع بدنة وهي ما أشعر من ناقة أو بقرة قاله عطاء وغيره وسميت بذلك لأنها تبدن أي تسمن وقيل بل هذا الاسم خاص بالإبل وقالت فرقة " البدن " جمع بدن بفتح الدال والباء ثم اختلفت فقال بعضها " البدن " مفرد اسم جنس يراد به العظيم السمين من الإبل والبقر ويقال للسمين من الرجال بدن وقال بعضها " البدن " جمع بدنة كثمرة وثمر وقرأ الجمهور والبدن ساكنة الدال وقرأ أبو جعفر وشيبة والحسن وابن أبي إسحاق البدن بضم الدال فيحتمل أن يكون جمع بدنة كثمر وعدد الله تعالى في هذه الآية نعمته على الناس في هذه " البدن " وقد تقدم القول في الشعائر والخير قيل فيه ما قيل في المنافع التي تقدم ذكرها والصواب عمومه في خير الدنيا والآخرة وقوله " عليها " يريد عند نحرها وقرأ جمهور الناس صواف بفتح الفاء وشدها جمع صافة أي مصطفة في قيامها وقرأ الحسن ومجاهد وزيد بن أسلم وأبو موسى الأشعري وشقيق وسليمان التيمي والأعرج صوافي جمع صافية أي خالصة لوجه الله تعالى لا شركة فيها لشيء كما

كانت الجاهلية تشرك وقرأ الحسن أيضا صواف بكسر الفاء وتنوينها مخففة وهي بمعنى التي قبلها لكن حذفت الياء تخفيفا على غير قياس وفي هذا نظر وقرأ ابن مسعود وابن عمر وابن عباس وأبو جعفر محمد بن علي صوافن بالنون جمع صافنة

---

(١) الكشف والبيان . ، ٢٢/٧

وهي التي قد رفعت إحدى يديها بالعقل لئلا تضطرب والصافن من الخيل الرافع لفراهيته إحدى يديه وقيل إحدى رجليه ومنه قوله تعالى " الصافنات الجياد "

وقال عمرو بن كلثوم

(تركنا الخيل عاكفة عليه

مقلدة أعنتها صفونا)

١٢٣

(١) ".

"﴿وبشر المخبتين﴾ ؛ المطمئنين بذكر الله ، أو المتواضعين ، أو المخلصين ، فإن الإخبات من الوظائف الخاصة بهم. والخبت : المطمئن من الأرض. وعن ابن عباس رضي الله عنه : هم الذين لا يظلمون ، وإذا ظلموا لم ينتصروا. وقيل : تفسيره ما بعده ، وهو قوله : ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ : خافت منه ؛ هيبة ؛ لإشراق أشعة جلاله عليها. ﴿والصابرين على ما أصابهم﴾ من مشاق التكاليف ومصائب الزمان والنوائب ، ﴿والمقيمي الصلاة﴾ في أوقاتها ، ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ في وجوه الخيرات.

﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر الله﴾ أي : من أعلام دينه ، وأضافها إلى نفسه ؛ تعظيما لها ، وهي : جمع بدنة ، سميت به ؛ لعظم بدنها ، ويتناول الإبل والبقر والغنم. ﴿لكم فيها خير﴾ أي : منافع دينية ودنيوية ، النفع في الدنيا ، والأجر في العقبى. ﴿فاذكروا اسم الله عليها﴾ بأن تقولوا عند ذبحها : بسم الله ، اللهم منك وإليك. حال كونها ﴿صواف﴾ أي : قائمات ، قد صففن أيديهن وأرجلهن. ﴿فإذا وجبت جنوبها﴾ : سقطت على الأرض ، وسكنت حركتها ، من وجب الحائط وجبة : سقط ، وهي كناية

٤١٤

عن الموت. ﴿فكلوا منها﴾ إن شئتم ﴿وأطعموا القانع﴾ : السائل ، من : قنع إليه قنوعا : إذا خضع ، ﴿والمعتر﴾ ؛ الذي يعرض ولا يسأل. وقيل : القانع : الراضي بما عنده وبما يعطي من غير سؤال ، والمعتر : المتعرض للسؤال. ﴿كذلك سخرناها لكم﴾ أي : كما أمرناكم بنحرها سخرناها لكم ، أي : ذللناها لكم ، مع قوتها وعظم أجرامها ؛ لتتمكنوا من نحرها ، ﴿لعلكم تشكرون﴾ أي : لكي تشكروا إنعام الله عليكم.

(٢) ".

"ففي الأولى : «أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ، وَإِنَّ اللَّهَ عَلى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا : رَبُّنَا اللَّهُ. وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَواتٌ وَمَساجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً. وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ. إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ. الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقامُوا الصَّلاةَ ، وَآتَوُا الزَّكاةَ ، وَأَمَرُوا

---

(١) المحرر الوجيز ، ٤/١٥٠

(٢) البحر المديد ، ٤/٦١٩

بِالْمَعْرُوفِ ، وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ. وَلِلَّهِ عاقِبَةُ الْأُمُورِ» ..

وفي الثانية : «يا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ. إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ. ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ. ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ» ..

ووراء هذا وذلك ، الدعوة إلى التقوى والوجل واستجاشة مشاعر الرهبة والاستسلام تبدأ بها السورة ، وتتناثر في ثناياها : «يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ» .. «ذلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعائِرَ اللَّهِ فَإِنَّها مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ» .. «فَإِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ ، فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ. الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ» .. «لَنْ يَنالَ اللَّهَ لُحُومُها وَلا دِماؤُها وَلكِنْ يَنالُهُ التَّقْوى مِنْكُمْ» ..

ذلك إلى استعراض مشاهد الكون ، ومشاهد القيامة ، ومصارع الغابرين. والأمثلة والعبر والصور والتأملات لاستجاشة مشاعر الإيمان والتقوى والإخبات والاستسلام .. وهذا هو الظل الشائع في جو السورة كلها ، والذي يطبعها ويميزها.

ويجري سياق السورة في أربعة أشواط :

يبدأ الشوط الأول بالنداء العام. نداء الناس جميعا إلى تقوى الله ، وتخويفهم من زلزلة الساعة ، ووصف الهول المصاحب لها ، وهو هول عنيف مرهوب. ويعقب في ظل هذا الهول باستنكار الجدل في الله بغير علم ، واتباع كل شيطان محتوم على من يتبعه الضلال. ثم يعرض دلائل البعث من أطوار الحياة في جنين الإنسان ، وحياة النبات مسجلا تلك القربى بين أبناء الحياة ، ويربط بين تلك الأطوار المطردة الثابتة وبين أن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور .. وكلها سنن مطردة وحقائق ثابتة متصلة بناموس الوجود .. ثم يعود إلى استنكار الجدل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير بعد هذه الدلائل المستقرة في صلب الكون وفي نظام الوجود. وإلى استنكار بناء العقيدة على حساب الربح والخسارة ، والانحراف عن الاتجاه إلى الله عند وقوع الضراء ، والالتجاء إلى غير حماه واليأس من نصرة الله وعقباه. وينتهي هذا الشوط بتقرير أن الهدى والضلال بيد الله ، وأنه سيحكم بين أصحاب العقائد المختلفة يوم الحساب .. وهنا يعرض ذلك المشهد العنيف من مشاهد العذاب للكافرين ، وإلى جواره مشهد النعيم للمؤمنين.." (١)

"رابعا: الحث على شكر الله والاعتراف له بالفضل والإحسان.

الأدلة لما تقدم:

قال الله جل وعلا وتقدس: ﴿ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون * قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين * فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم * إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم ﴾ ، وقال تعالى: ﴿ والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ﴾ إلى قوله: ﴿ والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون ﴾ ، وقال: ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون ﴾ ، وقال: ﴿ ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين ﴾ ، وقال: ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ ، وقال: ﴿ وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ﴾ ، وقال: ﴿ وبشر المخبتين *

---

(١) المفصل في موضوعات سور القرآن، ص/٧٤٧

الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾ .

١٢٥٤، ١٢٥٥- من هدي القرآن للتي هي أقوم:

أولا: الحث على التذكير والوعظ والثبات عليه، وأن لا يثنيه سوء أدب الظالمين والمنافقين وسوء اتهامهم؛ ليكون له أسوة برسول الله وصحابته.

ثانيا: نفي ثلاث صفات رمى به المشركون النبي – صلى الله عليه وسلم –، وهي: الكهانة، والجنون، والشعر.." (١)

"" " صفحة رقم ٨٥ " "

قوله : (فإنها من تقوى لقلوب) . أي : فإن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب ، فحذفت هذه المضافات ، ولا يستقيم المعنى إلا بتقديرها ، لأنه لا بد من راجع من الجزاء إلى (من) ليرتبط به ، وإنما ذكرت القلوب ، لأن المنافق قد يظهر التقوى من نفسه وقلبه خال عنها ، فلهذا لا يكون مجدا في الطاعات ، وأما المخلص الذي تمكنت التقوى من قلبه فإنه يبالغ في أداء الطاعات على سبيل الإخلاص . واعلم أن الضمير في قوله : (فإنها من تقوى لقلوب (فيه وجهان :

أحدهما : أنه ضمير الشعائر على حذف مضافه ، أي : فإن تعظيمها من تقوى القلوب .

والثاني : أنه ضمير المصدر المفهوم من الفعل قبله ، أي : فإن التعظيم من تقوى القلوب والعائد على اسم الشرط من هذه الجملة الجزائية مقدر تقديره : فإنها من تقوى القلوب منهم . ومن جوز إقامة (أل) مقام الضمير – وهم الكوفيون – ، أجاز ذلك هنا ، والتقدير : من تقوى قلوبهم كقوله : (فإن الجنة هي المأوى ([النازعات : ٤١] . والعامة على خفض " القلوب " ، وقرئ برفعها ، فاعلة للمصدر قبلها وهو " تقوى " .

(س / ٥ لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلهآ إلى البيت العتيق ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على مآ أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (

قوله : (لكم فيها منافع (أي : في الشعائر بمعنى الشرائع ، أي : لكم في التمسك." (٢)

"" " صفحة رقم ٨٨ " "

المصدر ، وقد شذت ألفاظ ضبطها النحاة في كتبهم مذكورة في هذا الكتاب .

فصل

" ولكل أمة " (أي : جماعة مؤمنة سلفت قبلكم من عهد إبراهيم عليه السلام " جعلنا منسكا ") أي ضربا من القربان ، وجعل العلة في ذلك أن يذكر اسمه عند ذبحها ونحرها فقال : (ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام (أي : عند الذبح والنحر لأنها لا تتكلم . وقال : " بهيمة الأنعام " قيد بالنعم ، لأن من البهائم ما ليس من الأنعام كالخيل والبغال والحمير لا يجوز ذبحها في القرابين ، وكانت العرب تسمي ما تذبحه للصنم العتر والعتيرة كالذبح والذبيحة .

---

(١) الأنوار الساطعات لآيات جامعات، ٢٧٨/٣

(٢) اللباب في علوم الكتاب، ٨٥/١٤

قوله : (فإل اهكم إل اه واحد (في كيفية النظم وجهان :

الأول : أن الإله واحد ، وإنما اختلفت التكاليف باختلاف الأزمنة والأشخاص لاختلاف المصالح .

والثاني : (فإل اهكم إل اه واحد (لا تذكروا على ذبائحكم غير اسمه . " فله أسلموا " انقادوا وأطيعوا ، فمن انقاد لله كان مخبتا فلذلك قال بعده " وبشر المخبتين " .

قال ابن عباس وقتادة : المخبت المتواضع الخاشع وقال مجاهد : المطمئن إلى الله . والخبت المكان المطمئن من الأرض .

قال أبو مسلم : حقيقة المخبت من صار في خبت من الأرض تقول : أخبت الرجل إذا صار في الخبت كما يقال : أنجد وأتهم وأشأم .." (١)

"" " صفحة رقم ٩٨ " "

وثالثها : أنه لما لم ينتفع بالأجسام التي هي اللحوم والدماء وانتفع بتقواه ، وجب أن يكون تقواه فعلا له ، وإلا كان تقواه بمنزلة اللحوم .

ورابعها : أنه لما شرط القبول بالتقوى ، وصاحب الكبيرة غير متق ، فوجب أن لا يكون عمله مقبولا وأنه لا ثواب له .

والجواب : أما الأولان فحقان ، وأما الثالث فمعارض بالداعي والعلم .

وأما الرابع : فصاحب الكبيرة وإن لم يكن متقيا مطلقا ، ولكنه متق فيما أتى به من الطاعة على سبيل الإخلاص ، فوجب أن تكون طاعته مقبولة ، وعند هذا تنقلب الآية حجة عليهم .

قوله : "كذلك سخرها " الكاف نعت مصدر أو حال من ذلك المصدر " ولتكبروا " متعلق به أي إنما سخرها كذلك لتكبروا الله ، وهو التعظيم بما يفعله عند النحر وقبله وبعده . و) على ما هداكم (متعلق بالتكبير ، عدي بعلى لتضمنه معنى الشكر على ما هداكم أرشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه ، وهو أن يقول : الله أكبر ما هدانا والحمد لله على ما أبلانا وأولانا ، ثم قال بعده على سبيل الوعد لمن امتثل أمره " وبشر المحسنين "كما قال من قبل " وبشر المخبتين " قال ابن عباس : المحسنين الموحدين . والمحسن الذي يفعل الحسن من الأعمال فيصير محسنا إلى نفسه بتوفير الثواب عليه .

(/ ١ إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور (

قوله تعالى : (إن الله يدافع عن الذين آمنو ا (قرأ ابن كثير وأبو عمرو " يدفع " ، والباقون " يدافع " . وفيه وجهان :

أحدهما : أن (فاعل) بمعنى (فعل) المجرد نحو جاوزته وجزته وسافرت وطارقت .." (٢)

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ٨٨/١٤

(٢) اللباب في علوم الكتاب، ٩٨/١٤

"أما الذكر الذي يقول فيه سبحانه وتعالى : « الذين آمنوا و تطمئن قلوبهم بذكر الله. » ثم يؤكده بقوله : « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » فهو الذكر الذي ينبعث عن إيمان ، فتهتز له المشاعر ، وتدفأ به الصدور ، وتطمئن به القلوب .. ولهذا قدم سبحانه الإيمان على الذكر .. حتى يكون للذكر أصل يرجع إليه ، ومنطق بنطق منه ، وهو الإيمان .. فإذا ذكر المؤمن بالله ربه ، غردت فى نفسه بلابل البهجة ، وزغردت فى صدره عرائس الرضا ، واستولت عليه حال من الشجا الممزوج بالنشوة ، حتى ليكاد يكون كله عاطفة ترف بجناحي الصبابة والوجد ، وتحلق فى سماوات عالية ، مشرقة بنور الحق ، معطرة بأريج الصفاء والطهر.

ولا يكون الذكر لله ذكرا يثمر هذه الثمرة ، التي يطمئن بها القلب ، إلا إذا انبعث من قلب عارف بالله ، مدرك لما ينبغى له سبحانه ، من صفات الكمال والجلال ، فذلك هو الذي يفيض على القلب خشية عند ذكر الله ، وهو الذي يستثير مشاعر الولاء لله ، والإخبات له ، فتقشعر الجلود ، وتدمع العيون ..

وهذا ما يشير إليه قوله تعالى : « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم » (٢ : الأنفال) .. وقوله سبحانه : « و بشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم » (٣٤ . ٣٥ الحج) وقوله جل شأنه « الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم و قلوبهم إلى ذكر الله » .. (٢٣ : الزمر)

التفسير القرآني للقرآن ، ج ٧ ، ص : ١١٢

فإذا ذكر المؤمن ربه ، وقد تلبست به تلك الحال ، واستولت عليه هذه المشاعر ، قرب من الله ، ودنا من مواقع رحمته ، وأحس برد السكينة يغمر قلبه ، ووجد ريح الأمن والطمأنينة تهب عليه ، معطرة الأنفاس ، زاكية الأرواح.." (١)

"و لكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا و بشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم و الصابرين على ما أصابهم و المقيمي الصلاة و مما رزقناهم ينفقون (٣٥) و البدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها و أطعموا القانع و المعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) لن ينال الله لحومها و لا دماؤها و لكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم و بشر المحسنين (٣٧)

التفسير :

قوله تعالى :

«و لكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا و بشر المخبتين »

.

المنسك : اسم مكان ، يؤدى فيه النسك .. والنسك : هو ما افترض الله على عباده من قربات يتقربون بها إليه.

والمخبتين : المطيعين ، المطمئنين ، الذين يؤدون أوامر الله فى رضا واطمئنان ..

---

(١) التفسير القرآني للقرآن، ١/٣٣

والمعنى : أن الله سبحانه وتعالى جعل لكل أمة « منسكا » أي معلما من

التفسير القرآني للقرآن ، ج ٩ ، ص : ١٠٣٧." (١)

"معالم دينهم ، يدعون فيه إلى التقرب إلى الله بالذبائح ، وذكر اسمه عليها عند ذبحها ، ليذكروا بذلك فضله عليهم ، فيما رزقهم من بهيمة الأنعام ، ينتفعون بها في وجوه كثيرة .. كما يقول سبحانه : « و الأنعام خلقها لكم فيها دف ء و منافع و منها تأكلون و لكم فيها جمال حين تريحون و حين تسرحون و تحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤف رحيم و الخيل و البغال و الحمير لتركبوها و زينة » (٥ ـ ٨ : النحل).

. وفى قوله تعالى : « فإلهكم إله واحد » إشارة إلى أن المناسك ، والشعائر ، والعبادات التي تعبد الله بها عباده على لسان رسله . وإن اختلفت صورا وأشكالا . هى من دين الله ، وهى طريق عباده إلى طاعته ورضاه .. وأن هذا الاختلاف فى صورها وأشكالها ، لا يجعل منها سببا إلى الاختلاف بين المؤمنين بالله .. فكلهم يعبدون إلها واحدا ، ومن شأنهم ، أن يكونوا أمة واحدة.

. وقوله تعالى : « فله أسلموا » هو دعوة للمؤمنين أن يسلموا وجوههم لله ، وأن ينقادوا له ، ثم هو دعوة لأهل الكتاب أن يدخلوا فى دين الله ، وهو الإسلام ، إن كانوا مؤمنين بالله حقا .. فما الإسلام إلا دين الله ، الذي اجتمع فيه ما تفرق منه فى الأمم السابقة ...

. وقوله تعالى : « و بشر المخبتين » هو استدعاء ، وإغراء للذين لم يمتثلوا بعد هذا الأمر . أن يسلموا لله وجوههم ، وأن يدخلوا فى دينه ، ليكونوا ممن لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ...

قوله تعالى :

«الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم و الصابرين على ما أصابهم

التفسير القرآني للقرآن ، ج ٩ ، ص : ١٠٣٨

و المقيمي الصلاة و مما رزقناهم ينفقون »

.." (٢)

"ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور (٣٠) حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق (٣(١) ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣(٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣(٣) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤)

الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)

---

(١) التفسير القرآني للقرآن، ٤٥٣/٢

(٢) التفسير القرآني للقرآن، ٤٥٤/٢

ج ١٧ ، ص : ٢٠٤

الإعراب :

ذلك خبر مبتدأ محذوف ، أي الأمر والشأن ذلك المذكور.

من الأوثان من : لتبيين الجنس لأنه أعم في النهي.

حنفاء لله غير مشركين به حنفاء : حال من ضمير فاجتنبوا وهو عامله ، وكذلك غير مشركين به.

من تقوى القلوب القراءة المشهورة جر القلوب بالإضافة ، وتقرأ برفع القلوب بالمصدر لأن « التقوى » مصدر كالدعوى ، فيرتفع به ما بعده.

البلاغة :

فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور تأكيد بإعادة الفصل بالفعل ، ويسمى الإطناب ، للعناية بشأن كل منهما على حدة.." (١)

"فإلهكم إله واحد ، فله أسلموا ، وبشر المخبتين أي فإن معبودكم واحد ، وإن تنوعت شرائع الأنبياء ، ونسخ بعضها بعضا ، فالجميع يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، كما قال سبحانه : وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون [الأنبياء ٢١/ ٢٥]. وقوله : فإلهكم ..

بمثابة العلة لما قبله من تخصيص اسمه الكريم بالذكر لأن تفرده تعالى بالألوهية يقتضي ألا يذكر على الذبائح غير اسمه. وإنما قال : إله واحد ولم يقل :

« فإلهكم واحد » لإفادة أنه تعالى واحد في ذاته وفي ألوهيته.

ومتى كان الإله واحدا فله أسلموا أي فيجب تخصيصه بالعبادة ، والاستسلام له والانقياد له في جميع الأحكام. وقوله فله أسلموا مرتب بالفاء على الحكم بوحدانية الإله.

وبشر أيها النبي بالثواب الجزيل المخبتين ، أي المتواضعين الخاشعين لله ، من

ج ١٧ ، ص : ٢١١

الخبت وهو المطمئن المنخفض من الأرض. وسر تحول الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم هو إظهار عظمة الألوهية وقهرها في مقام الأمر والنهي للعباد ، فلما انتهى أمر التكليف ، وجه الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لتبليغه الناس وعد الله للعاملين المخلصين.

وأوصافهم أربعة هي ما يأتي :

١- الخوف والخشوع عند ذكر الله : الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم أي إذا ذكر الله خافت منه قلوبهم.

٢- الصبر على المصائب : والصابرين على ما أصابهم أي الذين يصبرون على الآلام والمشقات في طاعة الله تعالى.

---

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ١٧/٢٠٥

٣- إقامة الصلاة : والمقيمي الصلاة أي الذين يؤدون الصلاة في أوقاتها تامة الأركان والشرائط ، مع الخشوع لله تعالى.." (١)

"١- الخوف التام من الله : الذين إذا ذكروا الله بقلوبهم ، وأحسوا بعظمته وجلاله ، وتذكروا وعده ووعيده ، خافوا منه أتم الخوف. كما قال تعالى في آية أخرى : وبشر المخبتين ، الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ... [الحج ٢٢/ ٣٤- ٣٥].

٢- زيادة الإيمان بتلاوة القرآن : الذين إذا تليت عليهم آياته القرآنية ، زادتهم إيمانا ويقينا وتصديقا ، وإقبالا على العمل الصالح لأن كثرة الأدلة والتذكير بها ، يوجب زيادة اليقين ، وقوة الاعتقاد ، فالرؤية البصرية أو الحسية مثلا تقوي القناعة الذاتية ، كما حدث لإبراهيم عليه السلام الذي كان مؤمنا ، وطلب من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى : قال : أولم تؤمن ؟ قال : بلى ، ولكن ليطمئن قلبي [البقرة ٢/ ٢٦٠] وهذا يدل على أن منزلة الطمأنينة في الإيمان أقوى وأعلى من مجرد الإيمان. ونظير الآية قوله تعالى : هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم [الفتح ٤٨/ ٤] وقوله :

وإذا ما أنزلت سورة ، فمنهم من يقول : أيكم زادته هذه إيمانا ؟ فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون [التوبة ٩/ ١٢٤].

٣- التوكل على الله أي الاعتماد عليه والثقة به والتفويض إليه : الذين يتوكلون على ربهم وحده ، وإليه يلجأون ، ولا يرجون غيره ، ولا يقصدون إلا إياه ، ولا يطلبون الحوائج إلا منه ، وذلك بعد اتخاذ الأسباب ، فمن تعاطى الأسباب المطلوبة منه عقلا وعادة ، ثم فوض الأمر لله ، وأيقن أن الأمر كله بيد الله ، فهو من أهل الإيمان. أما ترك الأسباب فهو جهل بمفهوم التوكل.

٤- إقامة الصلاة : الذين يقيمون الصلاة ، أي يؤدونها كاملة الأركان

ج ٩ ، ص : ٢٤٧." (٢)

"﴿ ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) ﴾

ولكل جماعة مؤمنة سلفت، جعلنا لها مناسك من الذبح وإراقة الدماء؛ وذلك ليذكروا اسم الله تعالى عند ذبح ما رزقهم من هذه الأنعام ويشكروا له. فإلهكم -أيها الناس- إله واحد هو الله فانقادوا لأمره وأمر رسوله. وبشر - أيها النبي- المتواضعين الخاضعين لربهم بخيري الدنيا والآخرة.." (٣)

---

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، ١٧/٢١٣

(٢) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، ٩/٢٤٦

(٣) التفسير الميسر، ٦/٥٤

"ج ٢ ، ص : ٥٨٢

والدوافع الدينية ، وهذه ميزة الإسلام يحمل المسلمين على العمل بكل الأساليب المرغبة ليقبلوا على العمل بعقيدة ثابتة ونفس راضية.

والأيام المعلومات هي أيام التشريق الثلاث ويوم العيد فتكون أربعة وقيل : هي العشر الأوائل من ذي الحجة ووقت الذبح يوم النحر ، وقيل : يوم العيد وأيام التشريق.

فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير : أما الأكل منها فالأمر فيه للإباحة جبرا لخاطر الفقير وإشعارا له بالمساواة في المأكل والمشرب ومخالفة لما كان في الجاهلية ، والأمر في قوله وأطعموا للوجوب ، ومذهب الشافعي رحمه الله أن الأكل مستحب والإطعام واجب فإن أطعمها جميعها أجزأه ، وإن أكلها جميعها لم يجزه ، هذا فيما إذا كان الذبح تطوعا. فأما الواجبات كالنذر والكفارات ودم الجبر الذي يذبح لنقص في أعمال الحج مثل دم القران والتمتع مثلا فلا يأكل منها ، وقيل : يجوز له الأكل.

ثم بعد تحللهم وخروجهم من الإحرام ليؤدوا تفثهم ، وليزيلوا أوساخهم ، ويتحللون بالحلق أو التقصير ، ونتف الإبط وإزالة الوسخ ، وتفسير القضاء في ليقضوا بالإزالة تفسيرا مجازيا.

وليطوفوا طواف الإفاضة والزيارة ، وهو غير طواف القدوم ، وطواف الوادع وليطوفوا بالبيت العتيق الطاهر القديم شكرا لله على توفيقه لأداء الحج.

ولعل في ذكر الحج والأذان به عقب التسجيل على الكافرين بالصد عن سبيل الله والمسجد الحرام ، وبيان مكانة البيت وطهارته ، ما يجعلنا نشعر بأن من يقف حائلا في يوم من الأيام ويمنع حج بيت الله الحرام يكون من الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله والمسجد الحرام ...

توجيهات إلهية لتعظيم حرمات الله وشعائره [سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٠ الى ٣٥]

ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور (٣٠) حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق (٣١) ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤)

الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)." (١)

"و الآيتان متصلتان بالسياق و الموضوع كما هو واضح. و احتمال مكيتهما و مدنيتهما واردان تبعا لورودهما في سياق واحد مع الآيات السابقة التي تحتمل ذلك كما هو المتبادر.

[سورة الحج (٢٢): الآيات ٣٤ الى ٣٥]

---

(١) التفسير الواضح ـ موافقا للمطبوع، ٥٨٢/٢

وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنا مَنْسَكاً لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلى ما رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعامِ فَإِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَ بَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤) الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَ الصَّابِرِينَ عَلى ما أَصابَهُمْ وَ الْمُقِيمِي الصَّلاةِ وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ (٣٥)

. (١) منسك: على وزن مفعل بمعنى محلّ نسك أو واجب نسك. و من معاني النسك في اللغة القربان. و قد ورد بهذا المعنى في آية سورة البقرة هذه: فَمَنْ كانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذىً مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ [١٩٦].

(٢) المخبتين: المتواضعين أو الخاشعين أو الخاضعين. و قيل إنها بمعنى المطمئن أيضا و المعاني الأولى أوجه و يؤيدها آية سورة هود هذه: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَ أَخْبَتُوا إِلى رَبِّهِمْ أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (٢٣).

و في هاتين الآيتين:

١- تنبيه على أن الله تعالى قد أوجب على كلّ أمة واجبات في صدد ذبح القرابين أمكنة و أشكالا، ليذكروا اسمه عند ذبح الأنعام شكرا له على تسخيرها لهم.

٢- و تعقيب على هذا التنبيه: فإن إله الناس جميعا هو واحد لا يصحّ عليه التعدد، و إن من واجبهم الإسلام و الإخلاص و الخضوع له.

٣- و أمر للنبي صلّى الله عليه و سلّم بتبشير المخلصين الخاضعين الذين إذا ذكروا الله استشعرت قلوبهم هيبته، و إذا ما أصابتهم مصيبة صبروا و تحمّلوا و الذين يواظبون على إقامة الصلاة له و الإنفاق مما رزقهم.

الجزء السادس من التفسير الحديث ٤ التفسير الحديث، ج ٦، ص: ٥٠." (١)

"التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، ج ٩ ، ص : ٣٠٩

ذبحها أو وقت تعيينها وتسميتها هديا ، أما بعد ذلك فاتركوا الانتفاع بها للفقراء والمحتاجين ، فهذا أكثر ثوابا لكم عند الله - تعالى - .

وقوله - سبحانه - ثم محلها إلى البيت العتيق بيان لمكان ذبحها.

والمحل مأخوذ من حل الشيء يحل - بالكسر - حلولا إذا وجب أو انتهى أجله. والمراد به في الآية مكان الحلول ، أى : المكان الذي ينتهى فيه أجل تلك الأنعام ، أو المكان الذي يجب ذبحها فيه.

والمعنى : لكم في تلك الانعام منافع إلى أجل مسمى ثم المكان الذي تذبح فيه منته إلى البيت العتيق. ومتصل به.

والمقصود بهذا المحل الحرم كله ، لأن البيت ليس مكانا للذبح.

وبعضهم يرى أن المراد بالمحل في قوله : ثم محلها إلى البيت العتيق : تحلل الحجاج من إحرامهم بعد أداء شعائر الحج المعبر عنها بقوله - تعالى - : ذلك ومن يعظم شعائر الله ....

قال القرطبي : قوله - تعالى - : ثم محلها إلى البيت العتيق يريد أنها تنتهي إلى البيت ، وهو الطواف فقوله : محلها مأخوذ من إحلال المحرم.

والمعنى : أن شعائر الحج كلها من الوقوف بعرفة ورمى الجمار والسعى ينتهى إلى طواف الإفاضة بالبيت العتيق. فالبيت

---

(١) التفسير الحديث، ص/٣٥٣٦

على هذا التأويل مراد بنفسه .. « ١ ».

ثم بين – سبحانه – أنه قد شرع لكل أمة الذبائح التي ينتفعون بها ، لكي يذكروه – سبحانه – ويشكروه ويخلصوا له العبادة ، ولكي يطعموا منها السائل والمحتاج ، فقال – تعالى – :

[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٤ الى ٣٧]

ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧)

---

(١) تفسير القرطبي ج ١٢ ص ٥٦.." (١)

"التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، ج ٩ ، ص : ٣١١

و قوله – تعالى – : ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام بيان للعلة التي من أجلها شرعت تلك الذبائح.

أى : شرعناها لكم وللأمم السابقة عليكم للإكثار من ذكر الله عند ذبحها فهو – سبحانه – الذي رزقكم إياها بفضله وإحسانه ، فعليكم أن تكثروا من ذكره وشكره ، ليزيدكم من خيره ورزقه.

وفي هذه الجملة الكريمة تقريع وتوبيخ لمن يذكرون غير اسم الله – تعالى – عند الذبح ، وتأكيد لوجوب ذكر اسمه – تعالى – ، حتى لكأن المقصود الأعظم من وراء ذبح هذه الأنعام ، هو المداومة على ذكر اسم الله – عز وجل – وعلى شكره – سبحانه – على نعمه ، أما ما سوى ذلك كالأكل منها ، والانتفاع بها .. فهي مقاصد فرعية.

ثم عقب – سبحانه – على ذلك بتقرير وحدانيته ، وبوجوب إسلام الوجه إليه ، فقال :

فإلهكم إله واحد فله أسلموا.

أى : شرعنا لكم ذلك لأن إلهكم إله واحد لا شريك له لا في ذاته ولا في صفاته ، فله وحده أسلموا وجوهكم ، وأخلصوها لعبادته وطاعته.

فجملة فإلهكم إله واحد بمثابة العلة لما قبلها من تخصيص اسمه الكريم بالذكر عند الذبح ، لأن تفرده – سبحانه – بالألوهية يستلزم هذا التخصيص.

وقوله – تعالى – : فله أسلموا مرتب على ما قبله ، لأنه متى ثبت أن المستحق للعبادة والطاعة هو الله الواحد الأحد ، فعليهم أن يسلموا وجوههم إليه.

ثم أمر الله – تعالى – نبيه صلى الله عليه وسلم أن يبشر المخبتين برضاه – سبحانه – وبمثوبته فقال : وبشر المخبتين أى :

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ٣٠٩/٩

المتواضعين لله – تعالى – المطمئنين إلى عدالة قضائه فيهم ، ولفظ المخبتين من الإخبات. وهو في الأصل نزول الخبت – بفتح الخاء وسكون الباء.

أى : المكان المنخفض ، ثم استعمل في اللين والتواضع. يقال : فلان مخبت ، أى :

متواضع خاشع لله رب العالمين.

وحذف – سبحانه – المبشر به لتهويله وتعظيمه ، أى : وبشر – أيها الرسول الكريم – هؤلاء المتواضعين لله – تعالى – بالثواب العظيم ، والأجر الكبير الذي لا تحيط بوصفه عبارة.

ثم مدحهم – سبحانه – بأربع صفات فقال : الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ...

أى : بشر هؤلاء المخبتين الذين من صفاتهم أنهم إذا سمعوا ذكر الله – تعالى – وصفاته ، ." (١)

"﴾ أي محلها عند البيت العتيق وهو الحرم حيث تنحر إن كان مما ينحر أو تذبح إن كان مما يذبح.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- وجوب تعظيم حرمات الله لما فيها من الخير العظيم.

٢- تقرير حلِّيَّة بهيمة الأنعام بشرط ذكر اسم الله عند ذبحها أو نحرها.

٣- حرمة قول الزور وشهادة الزور وفي الأثر عدلت شهادة الزور الشرك بالله.

٤- وجوب ترك عبادة الأوثان ووجوب البعد عنها وترك كل ما يمت إليها بصلة.

٥- بيان عقوبة الشرك وخسران المشرك.

٦- تعظيم شعائر الله وخاصة البدن من تقوى قلوب أصحابها.

٧- جواز الانتفاع بالبدن الهدايا بركوبها وشرب لبنها والحمل عليها إلى غاية نحرها بالحرم.

==

قال تعالى : (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكاً لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ * الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ)(الحج :٣٤-٣٧)

أيسر التفاسير :

شرح الكلمات:

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ٩/٣١١

﴿ منسكاً ﴾ : أي ذبائح من بهيمة الأنعام يتقربون بها إلى الله تعالى، ومكان الذبح يقال له منسك.

﴿ فله اسلموا ﴾ : أي انقادوا ظاهراً وباطنياً لأمره ونهيه.." (١)

"﴿ وبشر المخبتين ﴾ : أي المطيعين المتواضعين الخاشعين.

﴿ وجلت قلوبهم ﴾ : أي خافت من اله تعالى أن تكون قصَّرتْ في طاعته.

﴿ والبدن ﴾ : جمع بدنة وهو ما يساق للحرم من إبل وبقر ليذبح تقرباً إلى الله تعالى.

﴿ من شعائر الله ﴾ : أي من أعلام دينه، ومظاهر عبادته.

﴿ صوآف ﴾ : جمع صافَّة وهي القائمة على ثلاث معقولة اليد اليسرى.

﴿ فإذا وجبت جنوبها ﴾ : أي بعد أن تسقط على جنوبها على الأرض لا روح فيها.

﴿ القانع المعتمر ﴾ :القانع السائل والمعتر الذي يتعرض للرجل ولا يسأله حياء وعفة.

﴿كذلك سخرناهم ﴾ : أي مثل هاذ التسخير سخرناهم لكم لتركبوا عليها وتحملوا وتحلبوا.

﴿ لعلكم تشكرون ﴾ : أي لأجل أن تشكروا الله تعالى بحمده وطاعته.

﴿ لن ينال الله لحومها ﴾ : أي لا يرفع إلى الله لحم ولا دم، ولكن تقواه بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه.

﴿ لتكبروا الله على : أي تقولون الله أكبر بعد الصوات الخمس أيام التشريق ما هداكم ﴾ شكراً له على هدايته اياكم.

﴿ وبشر المحسنين ﴾ : أي الذين يريدون بالعبادة وجه الله تعالى وحده ويؤدونها على الوجه المشروع.

معنى الآيات:." (٢)

"الواجب بإفساد الحج وفواته وجزاء الصيد؟ فذهب قوم إلى أنه لا يجوز أن يأكل منه شيئاً، وبه قال الشافعي ، وكذلك ما أوجبه على نفسه بالنذر، وقال ابن عمر: لا يأكل من جزاء الصيد والنذر، ويأكل مما سوى ذلك، وبه قال أحمد و إسحاق ، وقال مالك : يأكل من هدي التمتع ومن كل هدي وجب عليه إلا من فدية الأذى وجزاء الصيد والمنذور، وعند أصحاب الرأي يأكل من دم التمتع والقران ولا يأكل من واجب سواهما. قوله عز وجل: " وأطعموا البائس الفقير "، يعني: الزمن الفقير الذي لا شيء و((البائس)) الذي اشتد بؤسه، والبؤس شدة الفقر.

==================================

قال تعالى : (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكاً لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ)(الحج:٣٤)

تفسير البغوي:." (٣)

---

(١) الحج والعمرة في القرآن الكريم، ص/٧١

(٢) الحج والعمرة في القرآن الكريم، ص/٧٢

(٣) الحج والعمرة في القرآن الكريم، ص/١٠٠

" وأخرج عن الضحاك مثله

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد حنفاء قال : متبعين

وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة في قوله ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء

قال : هذا مثل ضربه الله لمن أشرك بالله في بعده من الهدى وهلاكه

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله في مكان سحيق قال : بعيد

– قوله تعالى : ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين

أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله ذلك ومن يعظم شعائر الله قال : البدن

وأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله ذلك ومن يعظم شعائر الله قال : الاستسمان والاستحسان والاستعظام

وفي قوله لكم فيها منافع إلى أجل مسمى قال : إلى أن تسمى بدنا

وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن مجاهد ذلك ومن يعظم شعائر الله قال : استعظام البدن واستسمانها واستحسانها لكم فيها منافع إلى أجل مسمى قال : ظهورها وأوبارها واشعارها وأصوافها إلى أن تسمى هديا

فإذا سميت هديا ذهبت المنافع ثم محلها يقول : حين يسمى إلى البيت العتيق

وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن الضحاك وعطاء في الأية قال : المنافع فيها الركوب عليها إذا احتاج وفي أوبارها ." (١)

" وأخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم أنه قال : في هذه الآية ولكل أمة جعلنا منسكا أنه مكة لم يجعل الله لأمة قط منسكا غيرها

أخرج أحمد وأبو داود والترمذي وابن أبي حاتم والحاكم وصححه عن جابر بن عبد الله : " أن رسول الله صلى الله عليه و سلم صلى للناس يوم النحر فلما فرغ من خطبته وصلاته دعا بكبش فذبحه هو بنفسه وقال : بسم الله والله أكبر اللهم هذا عني وعمن لم يضح من أمتي "

وأخرج أحمد وأبو داود وابن ماجة وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن جابر قال : " ضحى رسول الله صلى الله عليه و سلم بكبشين في يوم عيد فقال حين وجههما : وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا مسلما وما أنا من المشركين ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين

---

(١) الدر المنثور، ٤٦/٦

اللهم منك ولك وعن محمد وأمته

ثم سمى الله وكبر وذبح "

وأخرج ابن أبي الدنيا في الاضاحي والبيهقي في الشعب عن علي أنه قال حين ذبح : وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا مسلما وما أنا من المشركين ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين

وأخرج أحمد والبخاري ومسلم والنسائي وابن ماجة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه و سلم ضحى بكبشين أملحين أقرنين فسمى وكبر

وأخرج ابن أبي الدنيا عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا ذبح قال : بسم الله والله أكبر اللهم منك ولك اللهم تقبل مني

وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل فله أسلموا يقول : فله أخلصوا

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم

عن مجاهد في قوله وبشر المخبتين قال : المطمئنين

وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا في ذم الغضب وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الايمان عن عمرو بن أوس وبشروا المخبتين قال : المخبتون الذين لا يظلمون الناس واذا ظلموا لم ينتصروا ".(١)

" وأخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن الضحاك رضي الله عنه وبشر المخبتين قال : المتواضعين

وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي رضي الله عنه وبشر المخبتين قال : الوجلين

وأخرج ابن سعد وابن أبي شيبة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه كان اذا رأى الربيع بن خثيم قال : وبشر المخبتين وقال له : ما رأيتك إلا ذكرت المخبتين

– قوله تعالى : الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين

أخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم عند ما يخوفون والصابرين على ما أصابهم من البلاء والمصيبات والمقيمي الصلاة يعني إقامتها بأداء ما استحفظهم الله فيها

وأخرج عبد بن حميد عن عاصم رضي الله عنه أنه قرأ والبدن خفيفة

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال : لا نعلم البدن إلا من الابل والبقر

---

(١) الدر المنثور، ٤٨/٦

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عمر رضي الله عنه قال : البدنة ذات الخف

وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن ابن عمر رضي الله عنه قال : البدنة ذات البدن من الابل والبقر ." (١)

"حنفاء﴾ قال : متبعين.

وأخرج عبد الرزاق ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم عن قتادة في قوله ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء﴾ ، قال : هذا مثل ضربه الله لمن أشرك بالله في بعده من الهدى وهلاكه.

وأخرج عبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله ﴿في مكان سحيق﴾ قال : بعيد.

– قوله تعالى : ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب * لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق * ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين.

أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله ﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله﴾ قال : البدن.

وأخرج ابن أبي شيبة ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله ﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله﴾ قال : الاستسمان والاستحسان والاستعظام ، وفي قوله ﴿لكم فيها منافع إلى أجل مسمى﴾ قال : إلى أن تسمى بدنا.

وأخرج ابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم عن مجاهد ﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله﴾ قال : استعظام البدن." (٢)

"ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين.

وأخرج أحمد والبخاري ومسلم والنسائي ، وابن ماجة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى بكبشين أملحين أقرنين فسمى وكبر.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا ذبح قال : بسم الله والله أكبر اللهم منك ولك اللهم تقبل مني.

وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل ﴿فله أسلموا﴾ يقول : فله أخلصوا.

وأخرج عبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، عن مجاهد في قوله ﴿وبشر المخبتين﴾ قال : المطمئنين.

وأخرج سعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن أبي شيبة ، وابن أبي الدنيا في ذم الغضب ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الايمان عن عمرو بن أوس ﴿وبشر المخبتين﴾ قال : المخبتون الذين لا يظلمون الناس واذا ظلموا لم

---

(١) الدر المنثور، ٤٩/٦

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٤٧٥/١٠

ينتصروا.

" (١)

"وأخرج ابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن الضحاك رضي الله عنه ﴿وبشر المخبتين﴾ قال : المتواضعين.

وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي رضي الله عنه ﴿وبشر المخبتين﴾ قال : الوجلين.

وأخرج ابن سعد ، وابن أبي شيبة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه كان اذا رأى الربيع بن خثيم قال : ﴿وبشر المخبتين﴾ وقال له : ما رأيتك إلا ذكرت المخبتين.

– قوله تعالى : الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون * لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين.

أخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ عند ما يخوفون ﴿والصابرين على ما أصابهم﴾ من البلاء والمصيبات ﴿والمقيمي الصلاة﴾ يعني إقامتها بأداء ما استحفظهم الله فيها.

وأخرج عبد بن حميد عن عاصم رضي الله عنه أنه قرأ ﴿والبدن﴾ خفيفة.

" (٢)

"[١٨٠٧] وقد روى ابن أبي شيبة من وجه آخر عن ابن عباس "أن المعلومات يوم النحر وثلاثة أيام بعده" ١.

قوله تعالى: ﴿وبشر المخبتين﴾ الآية: ٣٤

[١٨٠٨] أسند ابن عيينة في تفسيره عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿المخبتين﴾ المطمئنين، وكذا هو عند ابن المنذر من هذا الوجه ٢.

[١٨٠٩] ومن وجه آخر عن مجاهد قال: المصلين ٣.

[١٨١٠] ومن طريق الضحاك قال: المتواضعين ٤.

قوله تعالى: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا﴾ الآية: ٣٩

[١٨١١] وأخرج هو والترمذي وصححه الحاكم من طريق سعيد بن جبير

–

١ فتح الباري ٤٥٨/٢.

٢ فتح الباري ٤٣٨/٨.

أخرجه ابن جرير ١٦١/١٧ من طريق سفيان وغيره، عن ابن أبي نجيح، به. وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤٨/٦ ونسبه

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٤٨٠/١٠

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٤٨١/١٠

إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

قال ابن حجر: المخبت من الإخبات؛ وأصله الخبت بفتح أوله وهو المطمئن من الأرض.

٣ فتح الباري ٤٣٨/٨.

لم أقف على من ذكره غير ابن حجر.

٤ فتح الباري ٤٣٨/٨.

ذكره ابن كثير في تفسيره ٤٢١/٥ عن الضحاك تعليقا. وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤٩/٦ وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم. وورد مثله عن قتادة، فيما أخرجه عبد الرزاق ٣٨/٢ عن معمر، عنه، وعن مجاهد من طريق الثوري، عن ابن أبي نجيح عنه.." (١)

"قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾[(٣٨) سورة الحج].

..... جاء قوله حسب ما تقدم في الآية التي قبلها ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾[(٣٧) سورة الحج].

طالب:........

﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾[(٣٤) سورة الحج] الذين هم المحسنين، الذين سيأتي ذكرهم، يفسرهم بالأمرين أو بالوصفين؛ لأنهم اتصفوا بالإخبات وبالإحسان.

روي أنها نزلت بسبب المؤمنين لما كثروا بمكة وآذاهم الكفار وهاجر من هاجر إلى أرض الحبشة، أراد بعض مؤمني مكة أن يقتل من أمكنه من الكفار ويغتال ويغدر ويحتال، فنزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿كفور﴾ فوعد فيها سبحانه بالمدافعة، ونهى أفصح نهي عن الخيانة والغدر، وقد مضى في (الأنفال) التشديد في الغدر وأنه: ((ينصب للغادر لواء عند استه بقدر غدرته يقال: هذه غدرة فلان)) وقيل: المعنى يدفع عن المؤمنين بأن يديم توفيقهم حتى يتمكن الإيمان من قلوبهم فلا تقدر الكفار على إمالتهم عن دينهم، وإن جرى إكراه فيعصمهم حتى لا يرتدوا بقلوبهم، وقيل: يدفع عن المؤمنين بإعلائهم بالحجة، ثم قتل كافر مؤمناً نادر، وإن فيدفع الله عن ذلك المؤمن بأن قبضه إلى رحمته، وقرأ نافع: (يدافع) ولولا دفاع، وقرأ أبو عمرو وابن كثير: يدفع ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ﴾[(٤٠) سورة الحج] وقرأ عاصم وحمزة و الكسائي: يدافع ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ﴾ [(٤٠) سورة الحج] ويدافع بمعنى يدفع مثل عاقبت اللص وعافاه الله، والمصدر دفعاً.." (٢)

"﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين * الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون * لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين﴾

---

(١) الروايات التفسيرية في فتح الباري، ٨١١/٢

(٢) التعليق على تفسير القرطبي، ص/١٦

قوله تعالى: " ولكل أمة جعلنا منسكا﴾

- ١٤٧٥٧ عن ابن عباس في قوله:" " ولكل أمة جعلنا منسكا﴾، قال: عيدا".

- ١٤٧٥٨ عن مجاهد في قوله:" " ولكل أمة جعلنا منسكا﴾، قال: إهراق الدماء".

- ١٤٧٥٩ عن عكرمة:" " ولكل أمة جعلنا منسكا﴾، قال: ذبحاء".

- ١٤٧٦٠ عن زيد بن أسلم، أنه قال في هذه الأية" " ولكل أمة جعلنا منسكا﴾ إنه مكة، لم يجعل الله لأمة قط منسكا غيرها".

- ١٤٧٦١ عن جابر بن عبد الله"إن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى للناس يوم النحر، فلما فرغ من خطبته وصلاته دعا بكبش فذبحه هو بنفسه، وقال: بسم الله والله أكبر اللهم، هذا عني وعمن لم يضح من امتي"..". (١)

"- ١٤٧٦٢ عن جابر، قال"ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين في يوم عيد، فقال حين وجههما: وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا مسلما وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وذلك أمرت وأنا أول المسلمين، اللهم منك ولك وعن محمد وأمته، ثم سمي الله، وكبر وذبح".

- ١٤٧٦٣ عن مقاتل" " فله أسلموا﴾، يقول: فله أخلصوا".

- ١٤٧٦٤ عن مجاهد في قوله:" " وبشر المخبتين﴾، قال: المخبتون، الذين لا يظلمون الناس، وإذا ظلموا لم ينتصروا".

- ١٤٧٦٥ عن الضحاك رضى الله عنه" " وبشر المخبتين﴾، قال: المتواضعين".

- ١٤٧٦٦ عن السدى رضى الله عنه" " وبشر المخبتين﴾، قال: الوجلين". قوله تعالى: " الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾

- ١٤٧٦٧ عن مقاتل" " الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ عندما يخوفون " والصابرين على ما أصابهم﴾ من البلاء والمصيبات " والمقيمي الصلاة﴾ يعني إقامتها بأداء ما استحفظهم الله فيها". قوله تعالى: " والبدن﴾

- ١٤٧٦٨ عن ابن عمر رضي الله عنه، قال:"البدنة، ذات الخف".

- ١٤٧٦٩ عن ابن عمر رضي الله عنه، قال:"البدنة ذات البدن من الإبل والبقر".

- ١٤٧٧٠ عن مجاهد رضي الله عنه، قال:"ليس البدن إلا من الإبل".

- ١٤٧٧١ عن عبد الكريم، قال: اختلف عطاء والحكم، فقال عطاء"البدن من الإبل والبقر، قال الحكم: من الإبل".

- ١٤٧٧٢ عن مجاهد رضي الله عنه، قال:"إنما سميت البدن من قبل السمانة". قوله تعالى: " لكم فيها خير﴾." (٢)

" صفحة رقم ١٥١

ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على مآ أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) ٧٣

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ٣٨٠/٩

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، ٣٨١/٩

( ) ٧١

) ذلك) أي الأمر العظيم الكبير ذلك ، فمن راعاه فاز ، ومن حاد عنه خاب ؛ ثم عطف عليه ما هو أعم من هذا المقدر فقال : (ومن (ويجوز أن يكون حالا ، أي أشير إلى الأمر العظيم والحال أنه من) يعظم شعائر الله) أي معالم دين الملك الأعظم التي ندب إليها وأمر بالقيام بها في الحج ، جمع سعيرة وهي المنسك والعلامة في الحج ، والشعيرة أيضا : البدنة المهداة إلى البيت الحرام ، قال البغوي : وأصلها من الإشعار وهو إعلامها ليعرف أنها هدي – انتهى .

ولعله مأخوذ من الشعر لأنها إذا جرحت قطع شيء من شعرها أو ازيل عن محل الجرح ، فيكون من الإزالة ، وتعظيمها استحسانها ، فتعظيمها خير له لدلالته على تقوى قلبه) فإنها) أي تعظيمها) من) أي مبتدىء من) تقوى القلوب (التي من شأنها الشعور بما هو أهل لأن يعظم ، فمعظمها متق ، وقد علم بما ذكرته أنه حذف من هذه جملة الخير ومن قوله) ومن يعظم حرمات الله (سبب كونه خيرا له ، وهو التقوى ، ودل على إرادته هناك بذكره هنا ، وحذف هنا كون التعظيم خيرا ، ودل عليه بذكره هناك ، فقد ذكر في كل جملة ما دل على ما حذف من الأخرى كما تقدم في

٧٧ ( ) قد كان لكم آية فئتين ( ) ٧

[آل عمران : ٣] في آل عمران ، وأنه يسمى الاحتباك ، وتفسيري للشعائر بما بما ذكرته من الأمر العام جائزا الإرادة ، ويكون إعادة الضمير على نوع منه نوعا من الاستخدام ، فقوله : (لكم فيها (مهناه : البدن أو النعم المهداة أو مطلقا) منافع (بالدر والنسل والظهر ونحوه فكلما كانت سمينة حسنة كانت منافعها أكثر دينا ودنيا) إلى أجل مسمى (وهو الموت الذي قدرناه على كل نفس ، أو النحر إن كانت مهداة ، أو غير ذلك ، وهذا تعليل للجملة التي قبله ، فإن المنافع حاملة لذوي البصائر على التفكر فيها لا سيمت مع تفاوتها ، والتفكر فيها موصل إلى التقوى بمعرفة أنها من الله ، وأنه قادر على ما يريد .

وأنه لا شريك له .

ولما كانت هذه المنافع دنيوية ، وكانت منفعة نحرها إذا أهديت دينية ، أشار إلى تعظيم الثاني بأداة التراخي فقال : (ثم محلها) أي وقت حلول نحرها بانتهائكم بها) إلى البيت العتيق) أي إلى فنائه وهو الحرم كما قال تعالى

٧٧ ( ) هديا بالغ الكعبة ( ) ٧

[المائدة : ٩٥] .

ولما كان التقدير : جعل لكم سبحانه هذه الأشياء مناسك ، عطف عليه قوله : (ولكل أمة (اي من الأمم السالفة وغيرها) جعلنا (بعظمتنا الت يلا يصح أن تخالف." (١)

" صفحة رقم ١٥٢

) منسكا) أي عبادة أو موضع عبادة أو قربانا ، فإنه يكون مصدر نسك – كنصر و كرم – نسكا ومنسكا ، ويكون بمعنى الموضع الذي يعبد فيه ، والذي يذبح فيه النسك وهو الهدي ، وقال ابن كثير : ولم يزل ذبح المناسك وإراقة الدماء

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٥/١٥١

على اسم الله مشروعا في جميع الملل .

ثم أتبع هذا الجعل عتله بيانا لأنه ليس مقصودا في نفسه فقال : (ليذكروا (ولما كان الدين سهلا سمحا ذا يسر ، رضي بالدخول فيه بالظاهر فقال : (اسم الله) أي الملك الأعلى وحده ، على ذبائحهم وقرابينهم وعبادتهم كلها ، لأنه الرزاق لهم وحده ؛ ثم علل الذكر بالنعمة تنبيها على التفكر فيها فقال : (على ما رزقهم (فوجب شكره به عليهم) من بهيمة الأنعام (.

ولما علم أن الشارع لجميع الشرائع الحقة واحد ، وأن علة نصبه لها ذكره وحده ، تسبب عنه قوله : (فإلهكم) أي الذي شرع هذه المناسك كلها .

ولما كان الإله ما يحق له الإلهية بما تقرر من أوصافه ، لا ما سمي إلها ، قال : (إله (ووصفه بقوله : (واحد) أي وإن اختلفت فروع شرائعه ونسخ بعضها بعضا ، ولو اقتصر على (واحد) لربما قال متعنتهم : إن ا لمراد اقتصارنا على واحد مما نعبده .

والتفت إلى الخطاب لأنه أصرح وأجدر بالقبول .

ولما ثبت كونه واحدا ، وجب اختصاصه بالعبادة ، فلذا قال : (فله) أي وحده) أسلموا) أي انقادوا بجميع ظواهركم وبواطنكم في كل ما أمر به أو نهى عنه ناسخا وأجدر بالقبول .

كان أو لا وإن لم تفهموا معناه كغالب مناسك الحج .

ولما أمر بالإسلام من يحتاج إلى ذلك إيجادا أو تكميلا أو إدامة ، وكان الإسلام هو سهولة الانقياد من غير كبر ولا شماخة ، وكان منشأ الطمأنينة والتواضع اللذين هما أنسب شيء لحال الحجاج المتجرد من المخيط المكشوف الراس الطالب لوضع أوزاره ، وتخفيف آصاره لستر عوراه ، أقبل سبحانه وتعالى على الرأس من المأمورين ، الحائز لما يمكن المخلوقين أن يصلوا إليه من رتب الكمال ، وخلال الجمال والجلال ، إشارة إلى أنه لا يلحقه أحد في ذلك فقال : (وبشر المخبتين) أي المتواضعين ، المنكسرين ، من الخبت – للأرض المنخفضة الصالحة للاستطراق وغيره من المنافع ؛ ثم بين علاماتهم فقال : (الذين إذا ذكر الله) أي الذي له الجلال والجمال) وجلت) أي خافت خوفا مزعجا) قلوبهم (.

ولما كان في ذكر الحج ، وكان ذلك مظنة لكثرة الخلطة الموجبة لكثرة الأنكاد ولا سيما وقد كان أكثر المخالطين مشركين ، لأن السورة مكية ، قال عاطفا غير متبع ، إيذانا بالرسوخ في الأوصاف : (والصابرين (الذين صار الصبر عادتهم) على ما أصابهم (كائنا ما كان .." (١)

" سورة الحج ٣٥٣٧ للقصر أي فإذا كان إلهكم إلها واحدا فأخلصوا له التقرب أو الذكر واجعلوه لوجهه خاصة ولا تشوبوه بالشرك وبشر المخبتين تجريد للخطاب إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم أي المتواضعين أو المخلصين فإن الإخبات من الوظائف الخاصة بهم الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم منه تعالى لإشراق اشعة جلاله عليها والصابرين على ما أصابهم من مشاق التكاليف ومؤنات النوائب والمقيمي الصلاة في أوقاتها وقرئ بنصب الصلاة على تقدير النون وقرئ والمقيمين

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٥/١٥٢

الصلاة على الأصل ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخيرات والبدن بضم الباء وسكون الدال وقرئ بضمها وهما جمعا بدنة وقيل الأصل ضم الدال كخشب وخشبة والتسكين تخفيف منه وقرئ بتشديد النون على لفظ الوقف وإنما سميت بها الإبل لعظم بدنها مأخوذة من بدن بداية وحيث شاركها البقرة في الإجزاء عن سبعة بقوله صلى الله عليه و سلم البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة جعلا في الشريعة جنسا واحدا وانتصابه بمضمر يفسره جعلناها لكم وقرئ بالرفع على أنه مبتدأ والجملة خبره وقوله تعالى من شعائر الله أي من أعلام دينه التي شرعها الله تعالى مفعول ثان للجعل ولكم ظرف لغو متعلق به وقوله تعالى لكم فيها خير أي منافع دينية ودنيوية جملة مستأنفة مقررة لما قبلها فاذكروا اسم الله عليها بأن تقولوا عند ذبحها الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر اللهم منك وإليك صواف أي قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس إذا قام على ثلاث وعلى طرف سنبك الرابعة لان البدنة تعقل إحدى يديها فتقوم على ثلاث وقرئ صوافا بإبدال التنوين من حرف الإطلاق عند الوقف وقرئ صوافي أي خوالص لوجه الله عز و جل وصواف على لغة من يسكن الياء على الإطلاق كما في قوله

لعلي أرى باق على الحدثان

فإذا وجبت جنوبها سقطت على الأرض وهو كناية عن الموت فكلوا منها وأطعموا القانع الراضي بما عنده وبما يعطى من غير مسئلة ويؤيده أنه قرئ القنع أو السائل من قنع إليه قنوعا إذا خضع له في السؤال والمعتر أي المتعرض للسؤال وقرئ المعترى يقال عره وعراه واعتره واعتراه كذلك مثل ذلك التسخير البديع المفهوم من قوله تعالى صواف سخرناها لكم مع كمال عظمها ونهاية قوتها فلا تستعصى عليكم حتى تأخذوها منقادة فتقلونها وتحبسونها صافة قوائمها ثم تطعنون في لباتها لعلكم تشكرون لتشكروا إنعامنا عليكم بالتقرب والإخلاص لن ينال الله أي لن يبلغ مرضاته ولن يقع منه موقع القبول لحومها ." (١)

"الجمرة يوم النحر يحل لهم كل شيء قال محمد معنى تقشف الإحرام كل ما لا يجوز للمحرم فعله مثل ل قص الشارب وتقليم الأظفار ونتف الإبطين وحلق العانة وغير ذلك مما نهي عنه المحرم من الطيب وغيره وليوفوا نذورهم تفسير مجاهد ما نذر الإنسان على نفسه من شيء يكون في الحج وليطوفوا بالبيت العتيق تفسير قتادة أعتقه الله من الجبابرة كم من جبار صار إليه يريد أن يهدمه فحال الله بينه وبينه ومن يعظم حرمات الله تفسير مجاهد الحرمات مكة والحج والعمرة وما نهى الله عنه من معاصيه كلها وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم في سورة المائدة وقد مضى تفسيره فاجتنبوه الرجس من الأوثان يقول اجتنبوا الأوثان فإنها رجس واجتنبوا قول الزور يعني الشرك حنفاء لله أي مخلصين ومن يشرك بالله الآية قال الحسن شبه الله أعمال المشركين بالذي يخر من السماء فتخطفه الطير فلا يصل إلى الأرض أو تهوي به الريح في مكان سحيق بعيد فيذهب فلا يوجد له أصل ولا يرى له أثر يقول ليست لأعمال المشركين عند الله قرار لهم به عنده خير في الآخرة وذلك ومن يعظم شعائر الله تفسير مجاهد يعني استعظام البدن واستسمانها

لكم فيها منافع إلى أجل مسمى تفسير ابن عباس قال الأجل المسمى إلى أن تقلد وتشعر ثم محلها إذا قلدت وأشعرت إلى

---

(١) تفسير أبي السعود، ١٠٧/٦

البيت العتيق سورة الحج من آية آية ولكل أمة ولكل قوم جعلنا منسكا قال قتادة يعني حجا وذبحا وبشر المخبتين يعني الخاشعين قال محمد واشتقاق الكلمة من الخبت وهو المكان المنخفض من الأرض الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم أي خافت والمقيمي الصلاة يعني المفروضة ومما رزقناهم ينفقون يعني الزكاة المفروضة." (١)

"والولد فإذا سميت بدنة أو هديا ذهب ذلك كله وكذا قال عطاء والضحاك وقتادة وعطاء الخراساني وغيرهم وقال آخرون بل له أن ينتفع بها وإن كانت هديا إذا احتاج إلى ذلك كما ثبت في الصحيحين عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يسوق بدنة قال " اركبها " قال إنها بدنة قال " اركبها ويحك" في الثانية أو الثالثة وفي رواية لمسلم عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال " اركبها بالمعروف إذا ألجئت إليها " وقال شعبة عن زهير عن أبي ثابت الأعمى عن المغيرة بن أبي الحر عن علي أنه رأى رجلا يسوق بدنة ومعها ولدها فقال لا تشرب من لبنها إلا ما فضل عن ولدها فإذا كان يوم النحر فاذبحها وولدها وقوله " ثم محلها إلى البيت العتيق " أي محل الهدي وانتهاؤه إلى البيت العتيق وهو الكعبة كما قال تعالى " هديا بالغ الكعبة " وقال " والهدي معكوفا أن يبلغ محله " وقد تقدم الكلام على معنى البيت العتيق قريبا ولله الحمد وقال ابن جريج عن عطاء قال : كان ابن عباس يقول كل من طاف بالبيت فقد حل قال الله تعالى " ثم محلها إلى البيت العتيق " .

ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين ٦٠.@@@" (٢)

"يخبر تعالى أنه لم يزل ذبح المناسك وإراقة الدماء على اسم الله مشروعا في جميع الملل وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس " ولكل أمة جعلنا منسكا " قال عيدا وقال عكرمة ذبحا وقال زيد بن أسلم في قوله " ولكل أمة جعلنا منسكا " إنها مكة لم يجعل الله لأمة قط منسكا غيرها وقوله " ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام " كما ثبت في الصحيحين عن أنس قال أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين أقرنين فسمى وكبر ووضع رجله على صفاحهما قال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا سلام بن مسكين عن عائذ الله المجاشعي عن أبي داود - وهو نفيع بن الحارث - عن زيد بن أرقم قال قلت أو قالوا يا رسول الله ما هذه الأضاحي ؟ قال " سنة أبيكم إبراهيم " قالوا ما لنا منها ؟ قال : " بكل شعرة حسنة " قال فالصوف ؟ قال " بكل شعرة من الصوف حسنة " وأخرجه الإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه في سننه من حديث سلام بن مسكين به وقوله " فإلهكم إله واحد فله أسلموا " أي معبودكم واحد وإن تنوعت شرائع الأنبياء ونسخ بعضها بعضا فالجميع يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له " وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون " ولهذا قال " فله أسلموا " أي أخلصوا واستسلموا

---

(١) تفسير ابن أبي زمنين، ١/٤٤٣

(٢) تفسير ابن كثير - ط قرطبة، ١٠/٥٩

لحكمه وطاعته " وبشر المخبتين " قال مجاهد المطمئنين وقال الضحاك وقتادة المتواضعين وقال
٦١@@@." (١)
"السدي الوجلين وقال عمرو بن أوس : المخبتين الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا وقال الثوري " وبشر المخبتين " قال المطمئنين الراضين بقضاء الله المستسلمين له وأحسن بما يفسر بما بعده .

الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)

الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون

هو قوله " الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم " أي خافت منه قلوبهم " والصابرين على ما أصابهم " أي من المصائب قال الحسن البصري والله لنصبرن أو لنهلكن " والمقيمي الصلاة" قرأ الجمهور بالإضافة السبعة وبقية العشرة أيضا وقرأ ابن السميفع " والمقيمين الصلاة " بالنصب وعن الحسن البصري " والمقيمي الصلاة" وإنما حذف النون ههنا تخفيفا ولو حذفت للإضافة لوجب خفض الصلاة ولكن على سبيل التخفيف فنصبت أي المؤدين حق الله فما أوجب عليهم من أداء فرائضه " ومما رزقناهم ينفقون " أي وينفقون ما آتاهم الله من طيب الرزق على أهليهم وأقاربهم وفقرائهم ومحاويجهم ويحسنون إلى الخلق مع محافظتهم على حدود الله وهذه بخلاف صفات المنافقين فإنهم بالعكس من هذا كله كما تقدم تفسيره في سورة براءة .

والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦)

والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها

٦٢@@@." (٢)

"النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إني أهديت نجيبا فأعطيت بها ثلثمائة دينار، أفأبيعها وأشتري بثمنها بدنا ؟ قال: لا "انحرها إياها" وقال الضحاك عن ابن عباس البدن من شعائر الله. وقال محمد بن أبي موسى: الوقوف ومزدلفة والجمار والرمي والحلق والبدن من شعائر الله. وقال ابن عمر: أعظم الشعائر البيت.

وقوله :﴿لكم فيها منافع﴾ أي لكم في البدن منافع من لبنها وصوفها وأوبارها وأشعارها وركوبها إلى أجل مسمى. قال مقسم عن ابن عباس في قوله: ﴿لكم فيها منافع إلى أجل مسمى﴾ قال: ما لم تسم بدنا. وقال مجاهد في قوله: ﴿لكم فيها منافع إلى أجل مسمى﴾ قال: الركوب واللبن والولد، فإذا سميت بدنة أو هديا ذهب ذلك كله، وكذا قال عطاء والضحاك وقتادة وعطاء الخراساني وغيرهم. وقال آخرون: بل له أن ينتفع بها وإن كانت هديا إذا احتاج إلى ذلك، كما ثبت في

---

(١) تفسير ابن كثير - ط قرطبة، ١٠/٦٠

(٢) تفسير ابن كثير - ط قرطبة، ١٠/٦١

الصحيحين عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يسوق بدنة قال: "اركبها" قال: إنها بدنة. قال: "اركبها ويحك" في الثانية أو الثالثة. وفي رواية لمسلم عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "اركبها بالمعروف إذا ألجئت إليها" وقال شعبة عن زهير عن أبي ثابت الأعمى عن المغيرة بن عن علي أنه رأى رجلا يسوق بدنة ومعها ولدها فقال: لا تشرب من لبنها إلا ما فضل عن ولدها، فإذا كان يوم النحر فاذبحها وولدها.

وقوله: ﴿ثم محلها إلى البيت العتيق﴾ أي محل الهدي وانتهاؤه إلى البيت العتيق، وهو الكعبة، كما قال تعالى: ﴿هديا بالغ الكعبة﴾ وقال: ﴿والهدي معكوفا أن يبلغ محله﴾ وقد تقدم الكلام على معنى البيت العتيق قريبا، ولله الحمد. وقال ابن جريج عن عطاء قال: كان ابن عباس يقول: كل من طاف بالبيت فقد حل، قال الله تعالى: ﴿ثم محلها إلى البيت العتيق﴾.

﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على مآ أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾

يخبر تعالى أنه لم يزل ذبح المناسك وإراقة الدماء على اسم الله مشروعا في جميع الملل. وقال على ابن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا﴾ قال: عيدا. وقال عكرمة: ذبحا. وقال زيد بن أسلم في قوله: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا﴾ إنها مكة، لم يجعل الله لأمة قط منسكا غيرها. وقوله: ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ كما ثبت في الصحيحين عن أنس قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين أقرنين، فسمى وكبر ووضع رجله على صفاحهما. وقال الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا يزيد بن هارون، أنبأنا سلام بن مسكين عن عائذ الله المجاشعي عن أبي داود – وهو نفيع بن الحارث – عن زيد بن أرقم قال: قلت أو قالوا: يا رسول الله ما هذه الأضاحي ؟ قال: "سنة أبيكم إبراهيم" قالوا: ما لنا منها ؟ قال: "بكل شعرة حسنة" قال فالصوف ؟ قال: "بكل شعرة من الصوف حسنة" وأخرجه الإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه في سننه من حديث سلام بن مسكين به.

وقوله: ﴿فإلهكم إله واحد فله أسلموا﴾ أي معبودكم واحد وإن تنوعت شرائع الأنبياء ونسخ بعضها بعضا، فالجميع يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ ولهذا قال: ﴿فله أسلموا﴾ أي أخلصوا واستسلموا لحكمه وطاعته." (١)

"﴿وبشر المخبتين﴾ قال مجاهد: المطمئنين. وقال الضحاك وقتادة: المتواضعين. وقال السدي: الوجلين. وقال عمرو بن أوس: المخبتين الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا. وقال الثوري ﴿وبشر المخبتين﴾ قال: المطمئنين الراضين بقضاء الله المستسلمين له، وأحسن بما يفسر بما بعده وهو قوله: ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ أي خافت منه قلوبهم ﴿والصابرين على مآ أصابهم﴾ أي من المصائب. قال الحسن البصري: والله لنصبرن أو لنهلكن ﴿والمقيمي الصلاة﴾ قرأ الجمهور بالإضافة السبعة وبقية العشرة أيضا وقرأ ابن السميفع ﴿والمقيمن الصلاة﴾ بالنصب وعن الحسن البصري ﴿والمقيمي الصلاة﴾ وإنما حذفت النون ههنا تخفيفا، ولو حذفت للإضافة لوجب خفض الصلاة ولكن على سبيل التخفيف، فنصبت، أي المؤدين حق الله فيما أوجب عليهم من أداء فرائضه ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ أي وينفقون ما آتاهم الله من طيب الرزق

---

(١) تفسير ابن كثير / دار الفكر، ٣/٢٧٠

على أهليهم وأرقائهم وفقرائهم ومحاويجهم، ويحسنون إلى الخلق مع محافظتهم على حدود الله، وهذه بخلاف صفات المنافقين، فإنهم بالعكس من هذا كله كما تقدم تفسيره في سورة براءة.

﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صوآف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون﴾

يقول تعالى ممتنا على عباده فيما خلق لهم من البدن وجعلها من شعائره، وهو أنه جعلها تهدى إلى بيته الحرام، بل هي أفضل ما يهدى إليه، كما قال تعالى: ﴿لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام﴾ الآية، قال ابن جريج، قال عطاء في قوله: ﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر الله﴾ قال البقرة والبعير، وكذا روي عن ابن عمر وسعيد بن المسيب والحسن البصري، وقال مجاهد: وإنما البدن من الإبل

﴿قلت﴾ أما إطلاق البدنة على البعير فمتفق عليه، واختلفوا في صحة إطلاق البدنة على البقرة على قولين، أصحهما أنه يطلق عليها ذلك شرعا كما صح الحديث، ثم جمهور العلماء على أنه تجزىء البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة، كما ثبت به الحديث عند مسلم من رواية جابر بن عبد الله قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نشترك في الأضاحي البدنة عن سبعة، والبقرة عن سبعة. وقال إسحاق بن راهويه وغيره: بل تجزىء البقرة والبعير عن عشرة، وقد ورد به حديث في مسند الإمام أحمد وسنن النسائي وغيرهما، فالله أعلم.

وقوله: ﴿لكم فيها خير﴾ أي ثواب في الدار الآخرة، وعن سليمان بن يزيد الكعبي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما عمل ابن آدم يوم النحر عملا أحب إلى الله من إهراق دم. وإنها لتأتي يوم القيامة بقرونها وأظلافها وأشعارها، وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع على الأرض، فطيبوا بها نفسا " رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه، وقال سفيان الثوري: كان أبو حازم يستدين ويسوق البدن، فقيل له: تستدين وتسوق البدن ؟ فقال: إني سمعت الله يقول لكم: ﴿لكم فيها خير﴾. وعن ابن عباس: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما أنفقت الورق في شيء أفضل من نحيرة في يوم عيد" رواه الدارقطني في سننه. وقال مجاهد: ﴿لكم فيها خير﴾ قال: أجر ومنافع، وقال إبراهيم النخعي: يركبها ويحلبها إذا احتاج إليها.

وقوله: ﴿فاذكروا اسم الله عليها صوآف﴾ وعن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن جابر بن عبد الله قال: صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عيد الأضحى، فلما انصرف أتى بكبش فذبحه، فقال: "باسم الله والله أكبر، اللهم هذا." (١)

" ﴿ ولكل أمة ﴾ جماعة سلفت قبلكم ﴿ جعلنا منسكا ﴾ ذبحا للقرابين ﴿ ليذكروا اسم الله ﴾ عند الذبح ﴿ على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ﴾ يعني : الأنعام ﴿ فإلهكم إله واحد ﴾ أي : لا تذكروا على ذبائحكم إلا الله وحده ﴿ فله أسلموا ﴾ أخلصوا العبادة ﴿ وبشر المخبتين ﴾ المتواضعين ." (٢)

---

(١) تفسير ابن كثير / دار الفكر، ٢٧١/٣

(٢) الوجيز للواحدي، ص/٧٣٤

"﴿ ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) ﴾
.

يخبر تعالى أنه لم يزل ذبح المناسك وإراقة الدماء على اسم الله مشروعا في جميع الملل.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿ ولكل أمة جعلنا منسكا ﴾ قال: عيدا.

وقال عكرمة: ذبحا. وقال زيد بن أسلم في قوله: ﴿ ولكل أمة جعلنا منسكا ﴾ ، إنها مكة، لم يجعل الله لأمة قط منسكا غيرها.

[وقوله] (١) : ﴿ ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ﴾ ، كما ثبت في الصحيحين عن أنس قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين أقرنين، فسمى وكبر، ووضع رجله على صفاحهما (٢) .

وقال الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا يزيد بن هارون، أنبأنا سلام بن مسكين، عن عائذ الله المجاشعي، عن أبي داود -وهو نفيع بن الحارث-عن زيد بن أرقم قال: قلت -أو: قالوا-: يا رسول الله، ما هذه الأضاحي؟ قال: "سنة أبيكم إبراهيم". قالوا: ما لنا منها؟ قال: "بكل شعرة حسنة" قالوا: فالصوف؟ قال: "بكل شعرة من الصوف حسنة".

وأخرجه الإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه في سننه، من حديث سلام بن مسكين، به (٣) .

وقوله: ﴿ فإلهكم إله واحد فله أسلموا ﴾ أي: معبودكم واحد، وإن تنوعت شرائع الأنبياء ونسخ بعضها بعضا، فالجميع يدعون إلى عبادة الله وحده، لا شريك له، ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي (٤) إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ (٥) [الأنبياء: ٢٥]. ولهذا قال: ﴿ فله أسلموا ﴾ أي: أخلصوا واستسلموا لحكمه وطاعته.

﴿ وبشر المخبتين ﴾ : قال مجاهد: المطمئنين، وقال الضحاك، وقتادة: المتواضعين. وقال السدي: الوجلين. وقال عمرو بن أوس (٦) : المخبتون (٧) : الذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لم ينتصروا.

وقال الثوري: ﴿ وبشر المخبتين ﴾ قال: المطمئنين الراضين بقضاء الله، المستسلمين له.

---

(١) زيادة من ف، أ.

(٢) صحيح البخاري برقم (٥٥٥٨) وصحيح مسلم برقم (١٩٦٦).

(٣) المسند (٤/٣٦٨).

(٤) في ت، أ: "يوحى".

(٥) في ت: "فاعبدوني".

(٦) في ت، ف، أ: "إدريس".

(٧) في ت: "المختبتين".." (١)

---

(١) تفسير ابن كثير / دار طيبة، ٥/٤٢٤

"على تقوى قلبه لربه تعالى والرسول يشير إلى صدره ويقول التقوى ها هنا التقوى ها هنا ثلاث مرات وقوله تعالى: ﴿لكم فيها منافع إلى أجل مسمى﴾ أي أذن الله تعالى للمؤمنين أن ينتفعوا بالهدايا وهم سائقوها إلى الحرم بأن يركبوها١ ويحملوا عليها ما لا يضرها ويشربوا من ألبانها وقوله تعالى: ﴿ثم محلها إلى البيت٢ العتيق﴾ أي محلها عند البيت العتيق وهو الحرم حيث تنحر إن كان مما ينحر أو تذبح إن كان مما يذبح.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- وجوب تعظيم حرمات الله لما فيها من الخير العظيم.

٢- تقرير حلية بهيمة الأنعام بشرط ذكر اسم ا!ته عند ذبحها أو نحرها.

٣- حرمة قول الزور وشهادة الزور وفي الأثر عدلت٣ شهادة الزور الشرك بالله.

٤- وجوب ترك عبادة الأوثان ووجوب البعد عنها وترك كل ما يمت إليها بصلة.

٥- بيان عقوبة الشرك وخسران المشرك.

٦- تعظيم شعائر الله وخاصة البدن من تقوى قلوب أصحابها.

٧- جواز الانتفاع بالبدن الهدايا بركوبها وشرب لبنها والحمل عليها إلى غاية نحرها بالحرم.

ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما

---

١ في الصحيح أن رجلا يسوق بدنه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم "اركبها فقال الرجل إنها بدنة قال: اركبها قال: إنها بدنة، وفي الثالثة قال له صلى الله عليه وسلم: اركبها ويلك"

٢ إن كان الهدي في الحج فمحله بعد رمي جمرة العقبة ولا ينحر أو يذبح قبله، وإن كان في غير الحج، وإنما هدي مهدى إلى الحرم فمحله مكة حيث يطعمه فقراؤها وفقراء الحرم كله.

٣ وفي الصحيح :"إن أكبر الكبائر الشرك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور .. " الحديث.." (١)

"رزقناهم ينفقون (٣٥) والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧)

شرح الكلمات:

منسكا : أي ذبائح من بهيمة الأنعام يتقربون بها إلى الله تعالى، ومكان الذبح يقال له منسك.

فله أسلموا: أي انقادوا ظاهرا وباطنا لأمره ونهيه.

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، ٤٧٣/٣

وبشر المخبتين: أي المطيعين المتواضعين الخاشعين.

وجلت قلوبهم : أي خافت من الله تعالى أن تكون قصرت في طاعته.

والبدن : جمع بدنة وهى ما يساق للحرم من إبل وبقر ليذبح تقربا إلى الله تعالى.

م ن شعائر الله: أي من أعلام دينه، ومظاهر عبادته.

صوآف : جمع صافة وهي القائمة على ثلاث معقولة اليد اليسرى.

فإذا وجبت جنوبها: أي بعد أن تسقط على جنوبها على الأرض لا روح فيها.

القانع والمعتر : القانع١ السائل والمعتر الذي يتعرض للرجل ولا يسأله حياء وعفة.

---

١ القانع: من الأضداد يطلق على ذي القناعة وعلى من لا قناعة له فهو يسأل، إلا أن الفعل الماضي لذي القناعة مكسور العين فعل كعلم، وفعل: من لا قناعة له فهو يسأل فعل: بفتح العين كنصح ينصح.." (١)

"كذلك سخرناها: أي مثل هذا. التسخير سخرناها لكم لتركبوا عليها وتحملوا وتحلبوا.

لعلكم تشكرون : أي لأجل أن تشكروا الله تعالى بحمده وطاعته.

لن ينال الله لحومها: أي لا يرفع إلى الله لحم ولا دم، ولكن تقواه بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه.

لتكبروا الله على ما هداكم : أي تقولون الله أكبر بعد الصلوات الخمس أيام التشريق شركا له على هدايته إياكم.

وبشر المحسنين : أي الذين يريدون بالعبادة وجه الله تعالى وحده ويؤدونها على الوجه المشروع.

معنى الآيات:

ما زال السياق في توجيه المؤمنين وإرشادهم إلى ما يكملهم ويسعدهم في الدارين فقوله تعالى: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا﴾ أي ولكل أمة من الأمم السابقة من أهل الإيمان والإسلام جعلنا لهم مكان نسك يتعبدوننا فيه ومنسكا١ أي ذبح قربان ليتقربوا به إلينا، وقوله: ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ أي شرعنا لهم عبادة ذبح القربان لحكمة: وهو أن يذكروا اسمنا على ذبح ما يذبحون ونحر ما ينحرون بأن يقولوا بسم الله والله أكبر. وقوله تعالى: ﴿فإلهكم إله واحد﴾ أي فمعبودكم أيها الناس معبود واحد ﴿فله أسلموا﴾ وجوهكم وخصوه بعبادتكم ثم قال لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ﴿وبشر المخبتين﴾ برضواننا ودخول دار كرامتنا ووصف المخبتين معرفا بهم الذين تنالهم البشرى على لسان رسول الله فقال ﴿الذين إذا ذكر الله﴾ لهم أو بينهم ﴿وجلت قلوبهم﴾ أي خافت شعورا بالتقصير في طاعته وعدم أداء شكره والغفلة عن ذكره ﴿والصابرين على ما أصابهم﴾ من البلاء فلا يجزعون ولا يتسخطون ولكن يقولون إنا لله وإنا إليه راجعون،

---

١ يقال: نسك ينسك نسكا: إذا ذبح ذبح تقرب لله تعالى، والذبيحة تسمى نسيكة وجمعها: نسك، ومنها قوله تعالى: ﴿أو صدقة أو نسك﴾ والنسك: الطاعة لله، وهي عبادته، ومن ذلك قولهم: تنسك فلان: أي تعبد فهو ناسك ومتنسك،

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، ٤٧٤/٣

والمنسك بفتح السين وكسرها موضع العبادة، ومنه مناسك الحج وهي الأماكن التي تؤدى فيها الشعائر كعرفات ومزدلفة ومنى ومكة.." (١)

"إيجاز البيان عن معاني القرآن ، ج ٢ ، ص : ٥٧٧

من الأوثان : «من» لتلخيص الجنس ، أي : اجتنبوا الرجس الذي هو وثن «١».

٣١ حنفاء لله : مستقيمي الطريقة على أمر الله «٢».

٣٢ ومن يعظم شعائر الله : مناسك الحج «٣» ، أو يعظم البدن المشعرة ويسمنها ويكبرها «٤».

٣٣ إلى أجل مسمى : إلى أن تقلد أو تنحر «٥».

٣٤ جعلنا منسكا : حجا «٦». وقيل «٧» : عيدا وذبائح.

وبشر المخبتين : المطمئنين بذكر الله.

---

(١) نص هذا القول في معاني القرآن للزجاج : ٣/ ٤٢٥ ، وذكره النحاس في إعراب القرآن : ٣/ ٩٦ ، ونقله ابن الجوزي في زاد المسير : ٥/ ٤٢٨ عن الزجاج.

(٢) تفسير الماوردي : ٣/ ٧٨ ، والمفردات للراغب : ١٣٣ ، وتفسير القرطبي : ١٢/ ٥٥. [.....]

(٣) أخرج الطبري نحو هذا القول في تفسيره : ١٧/ ١٥٦ عن ابن زيد.

وانظر تفسير الماوردي : ٣/ ٧٩ ، والمفردات للراغب : ٢٦٢ ، وزاد المسير : ٥/ ٤٣٠.

(٤) أخرج الطبري نحو هذا القول في تفسيره : ١٧/ ١٥٦ عن ابن عباس ، ومجاهد.

وأورده السيوطي في الدر المنثور : ٦/ ٥٦ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) ينظر تفسير الطبري : ١٧/ ١٥٨ ، وتفسير الماوردي : ٣/ ٧٩ ، وتفسير البغوي : ٣/ ٢٨٧.

(٦) نقل الماوردي هذا القول في تفسيره : ٣/ ٨٠ عن قتادة ، وكذا القرطبي في تفسيره : ١٢/ ٥٨.

(٧) ذكره الزجاج في معانيه : ٣/ ٤٢٦ ، والماوردي في تفسيره : ٣/ ٨٠ ، ورجحه القرطبي في تفسيره : ١٢/ ٥٨.." (٢)

"﴿ فإلهكم إله واحد فله أسلموا ﴾ ، أي : اخضعوا بالطاعة.

﴿ وبشر المخبتين ﴾.

أي : الخاشعين المطمئنين إلى الله ، قاله مجاهد.

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، ٣/٤٧٥

(٢) إيجازالبيان عن معاني القرآن، ٢/٥٧٧

قال ابن عيينة : " المخبتين " : المطئنين.

وقال قتادة : المتواضعين.

وقيل : المخبتون : الذين لا يظلمون الناس ، وإذا ظلموا لم ينتصروا.

والخبت في اللغة : المكان المطمئن المنخفض ، والزور : الباطل.

وقيل : إنه أريد به في هذا الموضع الكذب.

وقيل : المخبتين : المخلصين.

ثم قال تعالى : ﴿ الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾.

أي : خشعت قلوبهم وجلا من عقابه.

قال ابن زيد : وجلت قلوبهم : لا تقسوا ﴿ والصابرين على مآ أصابهم ﴾ أي : من." (١)

"ثم أمر الله – تعالى – نبيه – A – أن يبشر المخبتين برضاه – سبحانه – وبمثوبته فقال : ﴿ وَبَشِّرِ المخبتين ﴾ أى : المتواضعين لله – تعالى – المطمئنين إلى عدالة قضائه فيهم ، ولفظ ﴿ المخبتين ﴾ من الإخبات . وهو فى الأصل نزول الخَبْت – بفتح الخاء وسكون الباء .

أى : المكان المنخفض ، ثم استعمل فى اللين والواضع . يقال : فلان مخبت ، أى : متواضع خاشع لله رب العالمين .

وحذف – سبحانه – المبشر به لتهويله وتعظيمه ، أى : وبشر – أيها الرسول الكريم – هؤلاء المتواضيعن لله – تعالى – بالثواب العظيم ، والأجر الكبير الذى لا تحيط بوصفه عبارة .

ثم مدحهم – سبحانه – بأربع صفات فقال : ﴿ الذين إِذَا ذُكِرَ الله وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ . . ﴾ .

أى : بشر هؤلاء المخبتين الذين من صفاقم أنهم إذا سمعوا ذكر الله – تعالى – وصفاته ، وحسابه لعباده يوم القيامة ، خافت قلوبهم ، وحذرت معصيته – تعالى – .

والذين من صفاقم كذلك : الصبر على ما يصيبهم من مصائب ومحن فى هذه الحياة ، والمداومة على أداء الصلاة فى مواقيتها بإخلاص وخشوع ، والأنفاق مما رزقهم الله – تعالى – على الفقراء والمحتاجين .

فإن قيل : كيف نجمع بين هذه الاية التى وصفت المؤمنين الصادقين بأنهم إذا ذكر الله وجلت قلوبهم . وبين قوله – تعالى – فى آية أخرى : ﴿ أَلاَ بِذِكْرِ الله تَطْمَئِنُّ القلوب ﴾ فالجواب : أنه لا تنافى بين الآيتين ، لأن من شأن المؤمن الصادق أنه إذا استحضر وعيد الله وحسابه لعباده يوم القيامة ، امتلأ قلبه بالخشية والخوف والوجل .

فإذا ما استحضر بعد ذلك رحمته – سبحانه – وسعة عفوه ، اطمأن قلبه وسكن روعه ، وثبت يقينه ، وانشرح صدره ، استسلم لقضاء الله وقدره بدون تردد أو تشكك أو جزع .

فالوجل والاطمئنان أمران يجدهما المؤمن فى قلبه ، فى وقتين مختلفين . وفى حالتين متمايزتين .

ويؤخذ من هاتين الآيتين : أن التواضع لله – تعالى – ، والمراقبة له – سبحانه – والصبر على بلائه ، والمحافظة على فرائضه

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية، ٤٨٨٩/٧

. . . كل ذلك يؤدى إلى رضاه – D – ، وإلى السعادة الدنيوية والأخروية .

ثم أكد سبحانه – ما سبق الحديث عنه من وجوب ذكر اسمه – تعالى – عند الذبح ، ومن وجوب شكره على نعمه فقال : ﴿ والبدن جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّن شَعَائِرِ الله ﴾ .

والبدن : جمع بدنة . وهى الإبل خاصة التى تهدى إلى البيت الحرام للتقرب بها إلى الله – تعالى – وقيل : البدن تطلق على الإبل والبقر .

وسميت بهذا الإسم لبدانتها وضخامتها . يقال : بدن الرجل – بوزن كرم – إذا كثر لحمه ، وضخم جسمه .

أى : وشرعنا لكم – أيها المؤمنون – التقرب إلينا بالإبل البدينة السمينة وجعلنا ذلك شعيرة من شعائر ديننا ، وعلامة من العلامات الدالة على قوة إيمان من ينفذ هذه الشعيرة بتواضع وإخلاص .." (١)

"وقيل: يعظم البدن المشعرة، أي: يسمنها ويكبرها. (إلى أجل مسمى) [٣٣] إلى أن يقلد. وقيل: ينحر. (ولكل أمة جعلنا منسكا) [٣٤] عيدا وذبائح. وقيل: حجا. (وبشر المخبتين) [٣٤] المطمئنين بذكر الله. و(الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) [٣٥]." (٢)

٤٥٩"

ثم قال عز وجل " ذلك " يقول هذا الذي أمر من إجتناب الأوثان " ومن يعظم شعائر الله " يعني البدن فيذبح أعظمها وأسمنها وروي عن إبن عباس أنه قال تعظيمها إستعظامها وأيضا إستسمانها وإستحسانها ثم قال " فإنها من تقوى القلوب " يعني من إخلاص القلوب ويقال من صفاء القلوب و " شعائر الله " معالم الله ودينه التي ندب إلى القيام بها وواحدها شعيرة

قوله عز وجل " لكم فيها منافع " يعني في البدن وقال مجاهد يعني في ركوبها وشرب ألبانها وأوبارها " إلى أجل مسمى " يعني إلى أجل مسمى بدنا فمحلها إلى البيت العتيق وروي عن إبن عباس نحو هذا وقد قول بعض الناس إنه يجوز ركوب البدن وقال أهل العراق لا يجوز إلا عند الضرورة ويضمن ما نقصها الركوب وهذا القول أحوط الوجهين " ثم محلها " يعني منحرها " إلى البيت العتيق " يعني في الحرم وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال جميع فجاج مكة منحر

ثم قال عز وجل " ولكل أمة " يعني لكل أهل دين ويقال لكل قوم من المؤمنين فيما خلا " جعلنا منسكا " يعني ذبحا لهراقة دمائهم ويقال مذبحا يذبحون فيه قال الزجاج معناه جعلنا لكل أمة أن تتقرب بأن تذبح الذبائح لله تعالى قرأ حمزة والكسائي " منسكا " بكسر السين وقرأ الباقون بالنصب فمن قرأ بالكسر يعني مكان النسك ومن قرأ بالنصب فعلى المصدر وقال أبو عبيد قراءتنا هي بالنصب لفخامتها

ثم قال " ليذكروا إسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام " يعني يذكرون إسم الله تعالى عند الذبح " فإلهكم إله واحد " أي ربكم رب واحد " فله أسلموا " أي أخلصوا بالتسمية عند الذبيحة وفي التلبية " وبشر المخبتين " أي المخلصين بالجنة

---

(١) الوسيط لسيد طنطاوي، ص/٢٩٧٠

(٢) باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن، ٢/٩٥٤

ويقال المجتهدين في العبادة والسكون فيها قال قتادة المخبتون المتواضعون وقال الزجاج أصله من الخبت من الأرض وهو المكان المنخفض ويقال المخبت الذي فيه الخصال التي ذكرها الله بعده وهو قوله عز وجل " الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم " يعني خافت قلوبهم " والصابرين على ما أصابهم " من أمر الله من المرازي والمصائب " والمقيمي الصلاة " يعني يقيمونها بمواقيتها " ومما رزقناهم ينفقون " يعني يتصدقون وينفقون في الطاعة ثم ذكر البدن يعني ينحرون البدن فهذه الخصال الخمسة صفة المخبتين

سورة الحج ٣٦ - ٣٧." (١)

"قال تعالى «ولكل أمة» من الأمم «جعلنا منسكا» بفتح السين لإراقة الدم وذبح القرابين خصصنا موضعا «ليذكروا اسم الله» عليها عند ذبحها شكرا لجلاله «على ما رزقهم من بهيمة الأنعام» التي يتقرب بها إليه دون غيرها ولذلك أضاف لها الأنعام لأن البهيمة مبهمة في كل ذات أربع في البر والبحر مما يؤكل ومالا «فإلهكم» أيها الحاضرون وإله الذين من قبلكم ومن بعدكم إلى يوم القيامة وبعدها «إله واحد» عالم قدير خالق رازق محيي مميت منعم معذب

(٦/١٧١)

بيان المعاني ، ج ٦ ، ص : ١٧٢

«فله أسلموا» وانقادوا أيها الناس لعظمته وأخلصوا لكبريائه والهجوا بذكره وحده على الذبح وغيره ، ولا تذكروا شيئا سواه أبدا «وبشر المخبتين» (٣٤) له الخاشعين لهيبته الخاضعين لعبادته «الذين إذا ذكر الله» أمامهم وبمسمعهم «وجلت» خافت أشد الخوف «قلوبهم» ورجفت لعظمته فيها وهيبته عليها فبشر هؤلاء يا سيد الرسل «والصابرين» بشرهم «على ما أصابهم» من البلاء والمحن الواقعة عليهم من الله ومن خلقه ، لانهم يعلمون أنها بقضائه وقدره «والمقيمي الصلاة» بأوقاتها الموفين بأركانها وواجباتها وسنتها بشرهم أيضا «و» بشر الذين «مما رزقناهم ينفقون» (٣٥) على المستحقين وخاصة الذين يؤثرون الفقراء على أنفسهم بشرهم برضوان الله ورحمته.." (٢)

"بيان المعاني ، ج ٦ ، ص : ١٧٢

«فله أسلموا» وانقادوا أيها الناس لعظمته وأخلصوا لكبريائه والهجوا بذكره وحده على الذبح وغيره ، ولا تذكروا شيئا سواه أبدا «وبشر المخبتين» (٣٤) له الخاشعين لهيبته الخاضعين لعبادته «الذين إذا ذكر الله» أمامهم وبمسمعهم «وجلت» خافت أشد الخوف «قلوبهم» ورجفت لعظمته فيها وهيبته عليها فبشر هؤلاء يا سيد الرسل «والصابرين» بشرهم «على ما أصابهم» من البلاء والمحن الواقعة عليهم من الله ومن خلقه ، لانهم يعلمون أنها بقضائه وقدره «والمقيمي الصلاة» بأوقاتها الموفين بأركانها وواجباتها وسنتها بشرهم أيضا «و» بشر الذين «مما رزقناهم ينفقون» (٣٥) على المستحقين وخاصة الذين يؤثرون الفقراء على أنفسهم بشرهم برضوان الله ورحمته.

---

(١) بحر العلوم ـ ، ٢/٤٥٩

(٢) بيان المعاني، ١/١٥٤

قال تعالى «والبدن» جمع بدنة تطلق على الإبل والبقر فقط لبدانتهما «جعلناها لكم» أيها الناس ملكا ، وجعلنا ذبحها في الحرم للحاج وغيرهم أضحية تذبحونها فيه ليتناولها أهله المحتاجون «من شعائر الله» واعلام دينه «لكم فيها خير» في الدنيا بالذكر الحسن وفي الآخرة بالثواب العظيم إذا هديتموها وذبحتموها وتصدقتم بها على أهل الله وعياله ، وإذا أردتم ذبحها «فاذكروا اسم الله عليها صواف» بالفتح دون تنوين ، وقرئت منونة على لغة من يصرف مالا ينصرف ، قال الراجز

و الصرف والجمع أتى كثيرا حتى ادعى قوم به التخييرا

«والمعتر» الملحف بالسؤال «كذلك» مثل ما سخرناها لكم بأن تذبح وهي قائمة «سخرناها لكم» للركوب والحمل وذللناها لكم حتى صارت تنقاد للطفل لكمل استفادتكم منها ، ولو لا هذا التسخير لما استفدتم منها شيئا من ركوب وحمل وحليب رجز وبر وغيرها لأنها أقوى منكم ، ." (١)

" صفحة رقم ٢٤

ويحتمل وجها آخر أيضا : أنه ما أرضى الله تعالى :

قوله عز وجل :) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى (فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن المنافع التجارة ، وهذا قول من تأول الشعائر بأنها مناسك الحج ، والأجل المسمى العود .

والثاني : أن المنافع الأجر ، والأجل المسمى القيامة ، وهذا تأويل من تأولها بأنها الدين .

والثالث : أن المنافع الركوب والدر والنسل ، وهذا قول من تأولها بأنها الهدى فعلى هذا في الأجل المسمى وجهان :

أحدهما : أن المنافع قبل الإيجاب وبعده ، والأجل المسمى هو النحر ، وهذا قول عطاء .

) ثم محلهآ إلى البيت العتيق (إن قيل إن الشعائر هي مناسك الحج ففي تأويل قوله :) ثم محلهآ إلى البيت العتيق (وجهان :

أحدهما : مكة ، وهو قول عطاء .

والثاني : الحرم كله محل لها ، وهو قول الشافعي .

وإن قيل إن الشعائر هي الدين كله فيحتمل تأويل قوله :) ثم محلها إلى البيت العتيق (أن محل ما اختص منها بالأجر له ، هو البيت العتيق .

(الحج : (٣٤ - ٣٥) ولكل أمة جعلنا . . . . .

" ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون " (قوله عز وجل :) ولكل أمة جعلنا منسكا (فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يعني حجا ، وهو قول قتادة .." (٢)

---

(١) بيان المعاني، ١٧٢/٦

(٢) النكت والعيون . ، ٢٤/٤

" صفحة رقم ٢٥

والثاني : ذبحا ، وهو قول مجاهد .

والثالث : عيدا ، وهو قول الكلبي والفراء ، والمنسك في كلام العرب هو الموضع المعتاد ، ومنه تسمية مناسك الحج ، لاعتياد مواضعها .

) ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام (فيها وجهان :

أحدهما : أنها الهدي ، إذا قيل إن المنسك الحج .

والثاني : الأضاحي ، إذا قيل إن المنسك العيد .

قوله عز وجل :) . . . وبشر المخبتين (فيه تسعة تأويلات :

أحدها : المطمئنين إلى ذكر إلههم ، وهو قول مجاهد ، ومنه قوله تعالى :) فتخبت له قلوبهم (" [الحج : ٥٤] .

والثاني : معناه المتواضعين ، وهو قول قتادة .

والثالث : الخاشعين ، وهو قول الحسن . والفرق بين التواضع والخشوع أن التواضع في الأخلاق والخشوع في الأبدان .

والرابع : الخائفين ، وهو معنى قول يحيى بن سلام .

والخامس : المخلصين ، وهو قول إبراهيم النخعي .

والسادس : الرقيقة قلوبهم ، وهو قول الكلبي .

والسابع : أنهم المجتهدون في العبادة ، وهو قول الكلبي ومجاهد .

والثامن : أنهم الصالحون المطمئنون ، وهو مروي عن مجاهد أيضا .

والتاسع : هم الذين لا يظلمون ، وإذا ظلموا لم ينتصروا ، وهو قول الخليل بن أحمد .

(الحج : (٣٦) والبدن جعلناها لكم . . . . .

" والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون " (.") (١)

" قبل أن يسميها صاحبها هديا أو يشعرها ويوجبها فاذا فعل ذلك لم يكن له من منافعها شيء روى هذا المعنى مقسم عن ابن عباس وبه قال مجاهد وقتادة والضحاك وقال عطاء ابن أبي رباح لكم في هذه الهدايا منافع بعد ايجابها وتسميتها هدايا إذا احتجتم الى شيء من ذلك أو اضطررتم الى شرب البانها الى أجل مسمى وهو أن تنحر

والثاني أن الشعائر المناسك ومشاهد مكة والمعنى لكم فيها منافع بالتجارة الى أجل مسمى وهو الخروج من مكة رواه ابو رزين عن ابن عباس وقيل لكم فيها منافع من الأجر والثواب في قضاء المناسك الى اجل مسمى وهو انقضاء ايام الحج

---

(١) النكت والعيون ، ٤/٢٥

قوله تعالى فانها يعني الأفعال المذكورة من اجتناب الرجس وقول الزور وتعظيم الشعائر وقال الفراء فانه يعني الفعلة من تقوى القلوب وإنما اضاف التقوى الى القلوب لأن حقيقة التقوى تقوى القلوب

قوله تعالى ثم محلها أي حيث يحل نحرها الى البيت يعني عند البيت والمراد به الحرم كله لأنا نعلم أنها لا تذبح عند البيت ولا في المسجد هذا على القول الاول وعلى الثاني يكون المعنى ثم محل الناس من احرامهم الى البيت وهو أن يطوفوا به بعد قضاء المناسك

ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمه الأنعام فالهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلوة ومما رزقناهم ينفقون

قوله تعالى ولكل أمة جعلنا منسكا قرأ حمزة والكسائي وبعض ." (١)

" فيه لغتان مسموعتان ليذكروا اسم الله خاصة دون غيره تعالى كما يفهمه السياق والسباق وفي تعليل الجعل بذلك فقط تنبيه على أن المقصود الأهم من شرعية النسك ذكره عز و جل على ما رزقهم من بهيمة الأنعام عند ذبحها وفيه تنبيه على أن القربان يجب أن يكون من الأنعام فلا يجوز الخيل ونحوها والفاء في قوله تعالى : فإلهم إله واحد قيل للتعليل وما بعدها علة لتخصيص اسم الله تعالى بالذكر والفاء في قوله سبحانه : فله أسلموا لترتيب ما بعدها من الأمر بالإسلام على وحدانيته عز و جل وقيل : الفاء الأولى لترتيب ما بعدها على ما قبلها أيضا فإن جعله تعالى لكل أمة من الأمم منسكا يدل على وحدانيته جل وعلا ولا يخفى ما في وجه الدلالة من الخفاء وتكلف بعضهم في بيانه بأن شرع المنسك لكل أمة ليذكروا اسم الله تعالى يقتضي أن يكون سبحانه إلها لهم لئلا يلزم السفه ويلزم من كونه تعالى إلها لهم أن يكون عز و جل واحدا لأنه لا يستحق الألوهية أصلا من لم يتفرد بها فإن الشركة نقص وهو كما ترى وفي الكشف لما كانت العلة لقوله سبحانه : لكل أمة جعلنا منسكا ذكر اسمه تعالى على المناسك ومعلوم أن الذكر إنما يكون ذكرا عند مواطأة القلب اللسان وذكر القلب إشعار بالتعظيم جاء قوله تعالى فله أسلموا مسببا عنه تسببا حسنا واعترض بقوله تعالى : فإلهكم إله واحد لأنه يؤكد الأمر بالإخلاص ويقوي السبب تقوية بالغة ويؤكد أيضا كون الذكر هو المقصود من شريعة النسك انتهى وهو يشعر بأن الفاء الأولى للإعتراض والفاء الثانية للترتيب ولعل ما ذكر أولا أظهر وأما ما قيل من أن الفاء الأولى للتعليل والمعلل محذوف والمعنى إنما اختلفت التكاليف باختلاف الأزمنة والأشخاص لاختلاف المصالح لا لتعدد الإله فإن إلهم إله واحد فما لا ينبغي أن يخرج عليه كلام الله تعالى الجليل كما لا يخفى وإنما قيل : إله واحد ولم يقل واحد لما أن المراد بيان أنه تعالى واحد في ذاته كما أنه واحد في إلهيته وتقديم الجار على الأمر للقصر والمراد أخلصوا له تعالى الذكر خاصة واجعلوه لوجهه سالما خالصا لا تشوبوه بإشراك وبشر المخبتين

٣٤

– خطاب له صلى الله تعالى عليه وسلم والمخبتون المطمئنون كما روي عن مجاهد أو المتواضعون كما روي عن الضحاك وقال عمرو بن أوس : هم الذي لا يظلمون الناس وإذا ظلموا لم ينتصروا وقال سفيان : هم الراضون بقضاء الله

---

(١) زاد المسير، ٤٣٠/٥

تعالى وقال الكلبي : هم المجتهدون في العبادة وهو من الإخبات وأصله كما قال الراغب : نزلت الخبت وهو المطمئن من الأرض ولا يخفى حسن موقع ذلك هنا حيث أن نزول مناسب للحاج الذين إذا ذكر الله وجلت أي خافت قلوبهم منه عز و جل لإشراق أشعة الجلال عليها والصابرين على ما أصابهم من مشاق التكاليف ومؤنات النوائب كالأمراض والمحن والغربة عن الأوطان ولا يخفى حسن موقع ذلك هنا أيضا والظاهر أن الصبر على المكاره مطلقا ممدوح وقال الرازي : يجب الصبر على ما كان من قبل الله تعالى وأما على ما يكون من قبل الظلمة فغير واجب بل يجب دفعه على من يمكنه ذلك ولو بالقتال انتهى وفيه نظر والمقيمي الصلاة في أوقاتها ولعل ذكر ذلك هنا لأن السفر مظنة التقصير في إقامة الصلاة وقرأ الحسن وابن أبي إسحاق وأبو عمرو في رواية الصلاة بالنصب على المفعولية لمقيقي وحذفت النون منه تخفيفا كما في بيت الكتاب : الحافظون عورة العشيرة لا تأتيهم من ورائهم نطف ." (١)

" وعليه يكون ذلك نظير منازل القلب التي تقطعها كواكب الإيمان السيارة لإظهار حوادث تجري في النفس كما تقطع السيارة منازلها في الفلك لإظهار الحوادث في العالم العنصري إلى غير ذلك مما لا يعرفه إلا أهل الكشف

لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق أي إلى ما يليه فإن النحر بمنى وجعلت محلا للقرابين على ما ذكر الشيخ الأكبر محيي الدين قدس سره لأنها من بلوغ الأمنية ومن بلغ المنى المشروع فقد بلغ الغاية وفي نحر القرابين إتلاف أرواح عن تدبير أجسام حيوانية لتتغذى بها أجسام إنسانية فتنظر أرواحها إليها في حال تفردها فتدبرها إنسانية بعد ما كانت تدبرها إبلا أو بقرا وهذه مسئلة دقيقة لم يفطن لها إلا من نور الله تعالى بصيرته من أهل الله تعالى انتهى وتعقله مفوض إلى أهله فاجهد أن تكون منهم

وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم حسبما يحصل لهم من التجلي عند ذلك وقد يحصل من الذكر طمأنينة القلب لاقتضاء التجلي إذ ذاك ذلك وذكر بعضهم أن لكل اسم تجليا خاصا فإذا ذكر الله تعالى حصل حسب الإستعداد ومن ههنا يحصل تارة وجل وتارة طمأنينة و إذا لا تقتضي الكلية بل كثيرا ما يؤتى بها في الشرطية الجزئية وقيل العارف متى سمع الذكر من غيره تعالى وجل قلبه ومتى سمعه منه عز و جل اطمأن ويفهم من ظاهر كلامهم أن السامع للذكر إما وجل أو مطمئن ولم يصرح بقسم آخر فإن كان فالباقي على حاله قبل السماع وأكثر مشائخ زماننا يرقصون عند سماع الذكر فما أدري أينشأ رقصهم عن وجل منه تعالى أم طمأنينة وسيظهر ذلك يوم تبلى السرائر وتظهر الضمائر والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف وقد تقدم لك أنهم ينحرون البدن معقولة اليد اليسرى قائمة على ما بقي من قوائمها وذكروا في سر ذلك أنه لما كان نحرها قربة أراد صلى الله عليه و سلم المناسبة في صفة نحرها في الوترية فأقامها على ثلاث قوائم لأن الله تعالى وتر يحب الوتر والثلاثة أول الإفراد فلها أول المراتب في ذلك والأولية وترية أيضا وجعلها قائمة لأن القيمومية مثل الوترية صفة إلهية فيذكر الذي ينحرها مشاهدة القائم على كل نفس بما اكتسبت وقد صح أن المناسك إنما شرعت لإقامة ذكر الله تعالى وشفع الرجلين لقوله تعالى والتفت الساق بالساق وهو

---

(١) روح المعاني، ١٧/١٥٤

اجتماع أمر الدنيا بالآخرة وأفرد اليمين من يد البدن حتى لا تعتمد إلا على وتر له الإقتدار وكان العقل في اليد اليسرى لأنها خلية عن القوة التي لليمنى والقيام لا يكون إلا عن قوة

وقد أخرج مسلم عن ابن عباس أنه قال : صلى رسول الله صلى الله عليه و سلم الظهر بذي الحليفة ثم دعا بناقته فأشعرها في صفحة سنامها الأيمن وسلت عنها الدم وقلدها نعلين ثم ركب راحلته الحديث

والسر في كون هديه عليه الصلاة و السلام من الإبل مع أنه جاء فيها أنها شياطين ولذا كرهت الصلاة في معاطنها الإشارة إلى أن مقامه عليه الصلاة و السلام رد البعداء من الله تعالى إلى حال التقريب وفي إشعارها في سنامها الذي هو أرفع ما فيها إشعار منه صلى الله تعالى عليه وسلم بأنه عليه الصلاة و السلام أتى عليهم من صفة الكبرياء الذي كانوا عليه في نفوسهم فليجتنبوها فإن الدار الآخرة إنما جعلت للذين لا يريدون علوا في الأرض وفسادا ووقع الإشعار في الصفحة اليمنى لأن اليمين محل الإقتدار والقوة والصفحة من الصفح ففي ذلك إشعار بأن الله تعالى يصفح عمن هذه صفته إذا طلب القرب من الله تعالى وزال عن كبريائه الذب أوجب له البعد وجعل عليه الصلاة و السلام الدلالة على إزالة الكبرياء في شيطنة البدن في تعليق النعال في رقابها إذ لا يصفح بالنعال إلا أهل الهون والمذلة ومن كان بهذه المثابة فما بقي فيه كبرياء تشهد وعلق ." (١)

"وخرج الإمام أحمد (١) وأبو داود (٢) من حديث الحكم بن حزن ، قال :

شهدت مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الجمعة فقام متوكئا على عصا أو قوس ، فحمد الله ، وأثنى عليه كلمات خفيفات طيبات مباركات .

وخرج أبو داود (٣) عن عمرو بن العاص : أن رجلا قام يوما ، فأكثر القول ، فقال عمرو : لو قصد في قوله ، لكان خيرا له ، سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول : ((لقد رأيت – أو أمرت – أن أتجوز في القول ، فإن الجواز هو خير)) .

وقوله : ((ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب)) هذان الوصفان بهما مدح الله المؤمنين عند سماع الذكر كما قال تعالى : ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾ (٤) ، وقال : ﴿ وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾ (٥) ، وقال : ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ﴾ (٦) ، وقال : ﴿ الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ﴾ (٧) ، وقال تعالى : ﴿ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ﴾ (٨) .

---

(١) في " مسنده " ٤/٢١٢ ، وإسناده حسن شهاب بن خراش وشعيب بن رزيق صدوقان حسنا الحديث .

(٢) في " سننه " (١٠٩٦) .

(٣) في " سننه " (٥٠٠٨) ، وإسناده لا بأس به .

---

(١) روح المعاني، ١٧/١٦٠

(٤) الأنفال : ٢ .

(٥) الحج : ٣٤ – ٣٥ .

(٦) الحديد : ١٦ .

(٧) الزمر : ٢٣ .

(٨) المائدة : ٨٣ .." (١)

"(لكم فيها منافع إلن أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق و.

الضمير فى (فيها@ يعود على الشعائر على أساس أن البدن وغيرها من هدايا البيت هى الشعائر ، على أساس ما يرمز إليه من تكريم البيت ، والمعاونة فى ضيافته ، (لكم فيها منافع @ بدرها وعملها ، وصوفها ووبرها ما دامت فى حوزتكم (إلى أجل مسمى@ ، وهو مدة بقائها فى أيديكم إلى أن يحين وقت نحرها فى يوم النحر ، وفى هذه الحال يكون نسلها لكم ، وكل ما يكون لها من نفع ، (ثم محلها إلى البيت العتيق @ ، (ثم @ للترتيب والشراخى ، والتراخى هنا التراخى الزمنى ، إن كان ثمة تراخ فى الزمن ، وهو زمن السير فى ميقات الحج إلى محلها العتيق ، والتراخى المعنوى ، وهو أنها تنتقل من دابة لمنافع دنيوية إلى مرتبة دينية تشعر وتكون من شعائر الرحمن ، وتحبس للفقراء فى البيت ، و(ثم @ مع دلالتها على التراخى تدل على انتهاء الاجل المسمى والغاية التى تنتهى إليها هذه الشعيرة ، وهى المكان الذى تذبح فيه (ثم محلها إلى البيت العتيق @ ، أى محل ذبحها ينتهى إلى البيت العتيق ، وهو أقدم بيت وأكرمه ، وهو المعتق المعصوم من تحكم الملوك وسيطرتهم ، فلم يسيطر عليه ملك قط ، وما كان من هدم الحجاج الطاغية له مع أنه كان طغيان من لا يهتم لمناسك الله – لم يكن تسلطا من سلطان ملك ، وقد بناه من بعد عبد الملك بن مروان الذى كان الحجاج يعمل له.

(ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين .

" المنسك " اسم مكان من " نسك " وهو مكان العبادة ، والعبادة يطلق عليها النسك ، وقد اختار الله لأمة محمد البيت الحرام مكانا لنسكها وأداء العبادة فى حج البيت الحرام ، والإقامة فيما حوله ، وأن يكون الذبح ، وإطعام الفقراء ، (لب ص وا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام @ ، أى يذكروا اسم الله تعالى عند ذبحها ، شاكرين له نعمته وإذا كان الله تعالى شارع الشرائع قد جعل لكل أمة منسكا هم ناسكوه ؟ فذلك لأنه إلهكم أنتم وغيركم إلها واحدا ، فكان للماضين من الأمم." (٢)

"منسك لكل أمة واحد ، هاذا كان الله واحدا أحدا ، فالمناسك كلها فى ماضيها وحاضرها له سبحانه ، وهو مبينها للماضين ، كما بينها للحاضرين ، وجعل منسك أمة خازم النبيين هى مكة المكرمة التى بها البيت العتيق ، أول@ بيت

---

(١) جامع العلوم والحكم محقق، ٥/٣٠

(٢) زهرة التفاسير، ص/٤٩٨٣

وضمع للناس بمكة المكرمة.

و " الفاء " فى قوله تعالى : (فإلهكم إله واحد@ هى فاء الإفصاح ؟ لأنها تفصح عن شرط مقدر ، إذ المعنى إذا كان لكل أمة منسك فالله الذى شرع المناسك واحد ، وكلها لعبادته والتقرب إليه سبحانه وتعالى ، كذلك كان منسككم ، وكان للماضين مناسك شر@ا (فله أسلموا وبشر المخبتين @ ، " ا@اء " عا@ز ، (أدملموا@ ، أى أذعنوا ، وأطيعوا متطامنين غير متمردين ، ولا متطاولين ولا مستطيلين على أحد ، ولذا قال تعالى : (وبشر المخبتين @ بالثواب الجؤ@ل والنعيم المقيم ، ورضوان الله تعالى ، وهو أكبر الجزاء ، فرضا الخالق بديع السموات والأرض غاية أهل الإيمان العليا التى هى فوق كل مبتغى.

والمخبت هو المتطامن المتواضع الذى لا يتعالى ، ولا يستطيل على أحد ، وقد

قال@ الراغب الأصفهانى فى مادة خبت : " الخبت المطمئن من الأرض ، وأخبت الرجل قصد الخبت أو نزله نحو أسهل وأنجد ، ثم استعمل الإخبات استعمال@ اللين والتوا@ح ، (وبشر المخبتين @ ، أى : المخواضعين ، فالتواضع سمة المؤمنين ، والغطرسة سمة الكافرين ، والذين لم يشرب قلوبهم جب الإيمان ، وهم ليسوا أذلاء ، بل هم الاعزاء ، ولقد قال@ محمد (صلى الله عليه وسلم) : " ما نقصت صدقة من مال. وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا. وما تواضع احد لله إلا رفعه الله " (١).

وقد وصف الله تعالى المخبتين الذين بشرهم سبحانه وتعالى بقوله :

@يو الذين إذا ذكر الله وجلت قئوبهم والصابرين علئ ما أصابفم والمقيمي الصلاة

ومما رزقنافم لنفقون .

(١) رواه مسلم (٦٥٤٤) ، وقد سبق تخريجه.." (١)

"وفي حديث آخر: (إن الله تعالى حيي ستير، يحب الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر) أخرجه أحمد في المسند ٤/٢٢٤؛ وأبو داود برقم ٤٠١٢ والنسائي ١/٢٠٠، وانظر: الفتح الكبير ١/٣٣٣) أي: تارك للقبائح فاعل للمحاسن.

حوايا

- الحوايا: جمع حوية، وهي الأمعاء ويقال للكساء الذي يلف به السنام: حوية، وأصله من: حويت كذا حيا وحواية (قال السرقسطي: وحوى الشيء حواية: ملكه. انظر: الأفعال ١/٤٢٢)، قال الله تعالى: ﴿أو الحوايا أو ما اختلط بعظم﴾ [الأنعام/١٤٦].

حوا

---

(١) زهرة التفاسير، ص/٤٩٨٤

- قوله عز وجل: ﴿فجعله غثاء أحوى﴾ [الأعلى/٥]، أي: شديد السواد وذلك إشارة إلى الدرين (الدرين: النبت الذي أتى عليه سنة ثم جف، واليبيس الحولي هو الدرين)، نحو:

*وطال حبس بالدرين الأسود *

(البيت:

*إذا الصبا أجلت يبيس الغرقد**وطال حبس في الدرين الأسود*

وهو في الحجة للفارسي ٢/٣٧١ دون نسبة)

وقيل تقديره: والذي أخرج المرعى أحوى، فجعله غثاء (وهذا قول الفراء في معاني القرآن ٣/٢٥٦)، والحوة: شدة الخضرة، وقد احووى يحووي احوواء، نحو ارعوى، وقيل ليس لهما نظير، وحوى حوة، ومنه: أحوى وحواء (انظر عمدة الحفاظ: حوى).

كتاب الخاء

خبت

- الخبت: المطمئن من الأرض، وأخبت الرجل: قصد الخبت، أو نزله، نحو: أسهل وأنجد، ثم استعمل الإخبات استعمال اللين والتواضع، قال الله تعالى: ﴿وأخبتوا إلى ربهم﴾ [هود/٢٣]، وقال تعالى: ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج/٣٤]، أي: المتواضعين، نحو: ﴿لا يستكبرون عن عبادته﴾ [الأعراف/٢٠٦]، وقوله تعالى: ﴿فتخبت له قلوبهم﴾ [الحج/٥٤]، أي: تلين وتخشع، والإخبات هاهنا قريب من الهبوط في قوله تعالى: ﴿وإن منها لما يهبط من خشية الله﴾ [البقرة/٧٤] (وهذا الباب منقول بتمامه في البصائر ٢/٥٢١).

خبث

- الخبث والخبيث: ما يكره رداءة وخساسة، محسوسا كان أو معقولا، وأصله الرديء الدخلة (الدخلة: البطانة الداخلة الجاري مجرى خبث الحديد، كما قال الشاعر:." (١)

"القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين ﴾ [٣٤] .

﴿ ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ﴾ . أي : شرعنا لكل أمة أن ينسكوا . أي : يذبحوا لوجهه تعالى ، على وجه التقرب . وجعل العلة ، أن يذكر اسمه . تقدست أسماؤه . على النسائك . فمنسكا

(١) مفردات ألفاظ القرآن . نسخة محققة، ١/٢٨٣

مصدر ميمي على أصله . أو بمعنى المفعول . وفي الآية تنبيه على أن القربان يجب أن يكون نعما .

﴿ فإلهكم إله واحد فله أسلموا ﴾ أي : أخلصوا له الذكر خاصة ، لا تشوبوه بإشراك ﴿ وبشر المخبتين ﴾ .." (١)

"[٣٤] قال الله تعالى : ﴿ ولكل أمة ﴾ ، يعني جماعة مؤمنة سلفت قبلكم ، ﴿ جعلنا منسكا ﴾ ، قرأ حمزة والكسائي بكسر السين ههنا وفي آخر السورة ، على معنى الاسم مثل المسجد والمطلع ، يعني مذبحا وهو موضع القربان ، وقرأ الآخرون بفتح السين على المصدر ، مثل المدخل والمخرج يعني إراقة الدماء وذبح القرابين ، ﴿ ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ﴾ ، عند نحرها وذبحها وسماها بهيمة لأنها لا تتكلم ، وقال : ﴿ بهيمة الأنعام ﴾ وقيدها بالنعم لأن من البهائم ما ليس من الأنعام كالخيل والبغال والحمير ، لا يجوز ذبحها في القرابين . ﴿ فإلهكم إله واحد ﴾ ، أي : سموا على الذبائح اسم الله وحده فإن إلهكم إله واحد ، ﴿ فله أسلموا ﴾ ، انقادوا وأطيعوا ، ﴿ وبشر المخبتين ﴾ ، قال ابن عباس وقتادة : المتواضعين . وقال مجاهد : المطمئنين إلى الله عز وجل ، والخبت المكان المطمئن من الأرض . وقال الأخفش : الخاشعين . وقال النخعي : المخلصين . وقال الكلبي : هم الرقيقة قلوبهم . وقال عمر بن أوس : هم الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا .." (٢)

"لطائف الإشارات ، ج ٢ ، ص : ٥٤٣

ذلك معناه ، ولا يكون الذي يجرى عليه ما يجرى مضطرا إلى ما يجرى. وليس يمكن أن يقال إنه ليس له اختيار «١» ، بل يكون مختارا ولكن سببه عليه مشكل ، والعجب من هذا أن العبارة عنه كالبعيد.

قوله جل ذكره :

[سورة الحج (٢٢) : آية ٣٣]

لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣)

لكل من تلك الجملة منفعة بقدره وحده «٢» فلأقوام بركات فى دفع البلايا عن نفوسهم وعن أموالهم ، ولآخرين فى لذاذات بسطهم ، ولآخرين فى حلاوة طاعاتهم ، ولآخرين فى أنس أنفاسهم.

قوله جل ذكره :

[سورة الحج (٢٢) : آية ٣٤]

ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا و بشر المخبتين (٣٤)

الشرائع مختلفة فيما كان من المعاملات ، متفقة فيما كان من جملة المعارف ، ثم هم فيها مختلفون : فقوم هم أصحاب التضعيف «٣» فيما أوجب عليهم وجعل لهم ، وقوم هم أصحاب التخفيف فيما ألزموا وفيما وعد لهم. قوله «ليذكروا اسم الله على ..» وذكر اسم الله على ما رزقهم على أقسام : منها معرفتهم إنعام الله بذلك عليهم .. وذلك من حيث الشكر ، ثم يذكرون اسمه على ما رفقهم لمعرفته بأنه هو الذي يتقبل منهم وهو الذي يثيبهم.

---

(١) محاسن التأويل (تفسير القاسمي)، /

(٢) مختصر تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل، ٢٦٢/٥

قوله جل ذكره : فإلهكم إله واحد فله أسلموا و بشر المخبتين.

أي استسلموا لحكمه بلا تعبيس ولا استكراه من داخل القلب.

---

(١) هذه وجهة نظر باحث صوفي فيما يشغل المتكلمين عن الجبر والاختيار.

(٢) أي بحسب ماله من قدر وهمة ، وما هو واقف عنده من حد ورتبة.

(٣) أصحاب التضعيف أي أصحاب التشدد الذين يأبون اتباع الرخص ، لأن الرخص لا تكون إلا لأرباب الحوائج والأشغال وهؤلاء لا حاجة ولا شغل لهم إلا بالحق.." (١)

"لطائف الإشارات ، ج ٢ ، ص : ٥٤٤

و الإسلام «١» يكون بمعنى الإخلاص ، والإخلاص تصفية الأعمال من الآفات ، ثم تصفية الأخلاق من الكدورات ، ثم تصفية الأحوال ، ثم تصفية الأنفاس. «وبشر المخبتين» :

الإخبات استدامة الطاعة بشرط الاستقامة بقدر الاستطاعة. ومن أمارات الإخبات كمال الخضوع بشرط دوام الخشوع ، وذلك بإطراق السريرة.

قوله جل ذكره :

[سورة الحج (٢٢) : آية ٣٥]

الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم و الصابرين على ما أصابهم و المقيمي الصلاة و مما رزقناهم ينفقون (٣٥)

الوجل الخوف من المخافة ، والوجل عند الذكر على أقسام : إما لخوف عقوبة ستحصل أو لمخافة عاقبة بالسوء تختم ، أو لخروج من الدنيا على غفلة من غير استعداد للموت ، أو إصلاح أهبة ، أو حياء من الله سبحانه فى أمور إذا ذكر اطلاعه - سبحانه - عليها لما بدرت منه تلك الأمور التي هى غير محبوبة.

ويقال الوجل على حسب تجلى الحق للقلب فإن القلوب فى حال المطالعة والتجلي تكون بوصف الوجل والهيبة.

ويقال وجل له سبب ووجل بلا سبب فالأول مخافة من تقصير ، والثاني معدود فى جملة الهيبة «٢».

ويقال الوجل خوف المكر والاستدراج ، وأقربهم من الله قلبا أكثرهم من الله - على هذا الوجه - خوفا.

قوله جل ذكره : و الصابرين على ما أصابهم.

أي خامدين تحت جريان الحكم من غير استكراه ولا تمنى خرجة ، ولا روم فرجة بل يستسلم طوعا :

---

(١) هكذا فى م ولكنها فى ص (السلام) والصواب الأولى ففى الآية (أسلموا).

---

(١) لطائف الإشارات موافقا للمطبوع، ٥٤٣/٢

(٢) فالخوف إذن أدنى منزلة من الهيبة ، والترتيب هكذا : الخوف والرجاء ثم القبض والبسط ثم الهيبة والأنس (الرسالة ص ٣٥ وص ٣٦).." (١)

"ج ٢ ، ص : ٧٣

أي عند ذبحها وفي هذا تنبيه على أن المقصود الأصلي من طلب الذبائح تذكر المعبود وعلى أن القربان يجب أن يكون من الأنعام فإلهكم إله واحد فلا تذكروا على ذبائحكم غير اسم الله وفي هذا بيان أن الله تعالى واحد في ذاته كما أنه واحد في إلهيته لكل الخلق فله أسلموا أي فإذا كان إلهكم إلها واحدا فأخلصوا له الذكر بحيث لا يشوبه إشراك ألبتة وانقادوا له تعالى في جميع تكاليفه وبشر المخبتين (٣٤) أي المتواضعين فالحج من صفات المتواضعين كالتجرد عن اللباس ، وكشف الرأس ، والغربة من الأوطان الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم من مشاق التكليف والمصائب ، فأما ما يصيبهم من قبل الظلمة فالصبر عليه غير واجب بل إن أمكنه دفع ذلك لزمه الدفع ولو بالمقاتلة والمقيمي الصلاة في أوقاتها.
وقرأ الحسن «والمقيمي الصلاة» بنصب «الصلاة» على تقدير النون.
وقرأ ابن مسعود «والمقيمين الصلاة» على الأصل ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) في وجوه الخيرات وأمر الله تعالى رسوله أن يبشر بالجنة المتواضعين المتصفين بوجل القلوب إذا أمروا بأمر من الله تعالى وبالصبر إذا أصابهم البلاء من الله تعالى و بإقامة الصلاة في وقت السفر للحج وبصدقة التطوع ، أي لذلك الوجل أثران الصبر على البلايا التي من قبل الله تعالى والاشتغال بالخدمة بالنفس وبالمال وهما أعز الأشياء عند الإنسان ، فالخدمة بالنفس : هي الصلاة. والخدمة بالنفس وبالمال : هي إنفاقه في وجوه الخيرات والبدن جعلناها لكم من شعائر الله أي أعلام دينه وهو مفعول ثان و«لكم» متعلق به «والبدن» عند الشافعي خاصة بالإبل ، وعند أبي حنيفة الإبل والبقر لكم فيها أي البدن خير أي منافع دينية ودنيوية هي درها ونسلها وصوفها وظهرها فاذكروا اسم الله عليها أي على نحرها صواف أي قياما على ثلاث قوائم قد صفت رجليها ويدها اليمنى ويد أخرى معقولة فينحرها كذلك بأن تقولوا عند الذبح بسم الله والله أكبر اللهم منك وإليك.
وقرئ «صوافن» بضم النون. وقرئ «صوافي» أي خوالص لوجه الله تعالى ، لا تشركوا بالله في التسمية أحدا على نحرها وخوالص من العيوب. وعن عمرو بن عبيد «صوافيا» بالتنوين عوضا عن حرف الإطلاق عند الوقف فإذا وجبت جنوبها أي سقطت على الأرض وذلك عند خروج الروح منها فكلوا منها إن شئتم إذا كانت الأضاحي تطوعا وأطعموا القانع أي الراضي بما يدفع إليه من غير سؤال والمعتر أي الذي يعتر بالسلام ولا يسأل بل يري نفسه للناس كالزائر كذلك مع كمال عظمها ونهاية قوتها ، أي فالله تعالى جعل الإبل والبقر بالصفة التي يمكننا تصريفها على ما نريد وذلك نعمة عظيمة من الله تعالى في الدنيا والدين لعلكم تشكرون (٣٦) أي لتشكروا إنعامنا عليكم بالإخلاص لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم أي لن يصل إلى الله تعالى أي إلى مرضاته لحوم القرابين ولا دماؤها ، ولكن يقبل." (٢)

"حدثنا محمد بن عثمان العجلي حدثنا أبو أسامة عن جويبر عن الضحاك وبشر المخبتين قال المتواضعين

---

(١) لطائف الإشارات موافقا للمطبوع، ٢/٥٤٤

(٢) مراح لبيد لكشف معنى القرآن مجييد، ٢/٧٣

ابن أبي الدنيا في التواضع والخمول ج١/ص١٢٢ ح٩١." (١)

"" صفحة رقم ٧٣ "

تنصب من الدماغ إلى القلب.) يصهر به ما في بطونهم (من الأخلاق الحميدة الروحانية) والجلود (أي يفسد أحوالهمش الباطنة والظاهرة بفساد تخيلاتهم ، ولا مخلص لهم عن دركات تلك الملكات لغاية رسوخها والله أعلم بالصواب. (الحج : (٢٣ - ٤١) إن الله يدخل . . . .

" إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض." (٢)

"" صفحة رقم ٨٥ "

الواردات المطيقة والأخلاق الثابتة والأحوال المتوالية كالرغبة والرهبة والقبض والبسط والأنس والهيبة) رجالا (هي النفس وصفاتها) وعلى كل ضامر (هي البدن وجوارحه فإن الأعمال الشرعية قد ركبت الجوارح المرتاضة ، فأعمال البدن مركبة من حركات الجوارح ونيات الضمير كما أن أعمال النفس بسيطة. لأنها نيات الضمير فقط) من كل فج عميق (هو مصالح الدنيا لأن مصالحها بعيدة عن مصالح الآخرة) ليشهدوا منافع لهم (فمنافع النفس وصفاتها بتبديل الأخلاق ، ومنافع القلب والجوارح بظهور اثر الطاعة عليها) ويذكروا (اي القلب والنفس والقالب شكرا) على ما رزقهم من (تبديل

---

(١) التبويب الموضوعي للأحاديث، ١/١٥٦٢٤

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ٥/٧٣

الصفات البهيمية بالصفات الروحيانية فانتفعوا بها وأفيضوا منها على الطالبين فهو خير لأن العبد يصل بالطاعة إلى الجنة ويصل بحرمة الطاعة إلى الله ، وترك الخدمة يوجب العقوبة وترك الحرمة يوجب الفرقة.) وأحلت لكم (استعمال الصفات البهيمية بقدر الضرورة) إلا ما يتلى عليكم (في قولنا) ولا تسرفوا) [الأعراف : ٣١] وفي قول النبي (صلى الله عليه وسلم)) من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه ( ) فاجتنبوا (مقتضيات الهوى وكونوا صادقين في الطلب لا مزورين مائلين إلى الحق غير طالبين معه غيره ، وخر من سماء القلب فاستلبه طير الشياطين أو وتهوي به ريح الهوى والخذلان إلى أسفل سافلين البعد والحرمان. لكم في شواهد آثار صنع الإرشاد منافع وهي لذة العبور على المقامات ولذة البسط ولذة الأنس إلى أجل مسمى وهو حد الكمال ، ثم انتهاء السلوك إلى حضرة القديم. ولكل سالك جعلن مقصدا وطريقا ، منهم من يطلب الله من طريق المعاملات ، ومنهم من يطلبه من طريق المجاهدات ، ومنهم من يطلبه بطريق المعارف ، ومنهم منيطلبه به.) فله أسلموا (أي أخلصوا تصفية الأعمال من الآفات ، ثم الأخلاق منالكدورات ، ثم الأحوال من الالتفات ، ثم الأنفاس من الأغيار) وبشر المخبتين (عنى المستقيمين على هذه الطريقة.) وجلت قلوبهم (الوجل عند الذكر على حسب تجلي الحق للقلب) والصابرين على ما اصابهم (من غير تمني ترحة ولا روم فرحة) والمقيمي الصلاة (الحافظين مع الله أسرارهم لا يطلبون إطلاع الخلق على أحوالهم) ومما رزقناهم ينفقون (يبذلون الموجود في طلب المقصود والوجود بشهود المعبود) والبدن (يعني بدن الأبدان الجسام جعلنا قربانها عند كعبة القلب بذبحها عن شهواتها من شعائر أهل الصدق في الطلب ، فإذا ماتت عن طبيعتها فانتفعوا بها أنتم وغيركم من الطالبين والقانعين بما أفضتم عليه ، والمعترين المتعطشين الذين لا يروون ريا من ماء حياة المعرفة شربت الحب كأسا بعد كأس

فما نفد الشراب وما رويت

) وكذلك سخرناها لكم (فيه أن ذبح النفس بسكين الرياضة لا يتيسر إلا بتسخير خالقها." (١)

"[فإنها من تقوى القلوب] أي فإن تعظيمها من أفعال المتقين لله ، قال القرطبي : أضاف التقوى إلى القلوب ، لأن حقيقة التقوى في القلب ، وفي الحديث : " التقوى ههنا " وأشار إلى صدره

[لكم فيها منافع إلى أجل مسمى] أي لكم في الهدايا منافع كثيرة من الدر والنسل والركوب إلى وقت نحرها

[ثم محلها الى البيت العتيق] أي ثم مكان ذبحها في الحرم ، بمكة أو منى ، وخص البيت بالذكر لأنه أشرف الحرم كقوله تعالى : [هديا بالغ الكعبة]

[ولكل أمة جعلنا منسكا] أي شرعنا لكل أمة من الأمم السابقة ، من عهد إبراهيم مكانا للذبح تقربا لله ، قال ابن كثير : يخبر تعالى أنه لم يزل ذبح المناسك ، وإراقة الدماء على إسم الله ، مشروعا في جميع الملل

[ليذكروا إسم الله] أي أمرناهم عند الذبح أن يذكروا إسم الله ، وأن يذبحوا لوجهه تعالى

[على ما رزقهم من بهيمة الأنعام] أي شكرا لله على ما أنعم به عليهم من بهيمة الأنعام ، من (الإبل والبقر والغنم) . . بين تعالى أنه يجب أن يكون الذبح لوجهه تعالى وعلى إسمه لأنه هو الخالق الرازق لا كما كان المشركون يذبحون للأوثان

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ٥/٨٥

[فإلهكم إله واحد] أي فربكم أيها الناس ومعبودكم المستحن للعبادة ، إله واحد لا شريك له

[فله أسلموا] أي فأخلصوا له العبادة واستسلموا لحكمه وطاعته

[وبشر المخبتين] أي بشر المطيعين المتواضعين الخاشعين ، بشرهم بجنات النعيم ، ثم وصف تعالى المخبتين بأربع صفات فقال سبحانه :

[الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم] أي إذا ذكر الله خافت وإرتعشت لذكره قلوبهم ، لإشراق أشعة جلاله عليها فكأنهم بين يديه واقفون ، ولجلاله وعظمته مشاهدون

[والصابرين على ما أصابهم] أي يصبرون في الضراء ، على الأمراض والمصائب والمحن ، وسائر المكاره

[والمقيمي الصلاة] أي الذين يؤدونها في أوقاتها مستقيمة كاملة مع الخشوع والخضوع

[ومما رزقناهم ينفقون] أي ومن بعض الذي رزقناهم من فضلنا ينفقون في وجوه الخيرات

[والبدن جعلناها لكم من شعائر الله] أي الإبل السمينة – سميت بدنا لبدانتها وضخامة أجسامها – جعلناها من أعلام الشريعة التي شرعها الله لعباده ، قال ابن كثير : وكونها من شعائر الدين ، أنها تهدى إلى بيته الحرام ، بل هي أفضل ما يهدي

[لكم فيها خير] قال ابن عباس : نفغ في الدنيا ، وأجر في الآخرة

[فاذكروا إسم الله عليها صواف] أي اذكروا عند ذبحها إسم الله الجليل عليها ، حال كونها (صواف) أي قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن

[فإذا وجبت جنوبها] أي فإذا سقطت على الأرض بعد نحرها ، وهو كناية عن إنتهاء حياتها

[فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر] أي كلوا من هذه الهدايا ، وأطعموا (القانع) أي المتعفف ، و(المعتر) أي السائل قاله ابن عباس ، وقال الرازي : الأقرب أن القانع هو الراضي بما يدفع إليه من غير سؤال وإلحاح ، والمعتر هو الذي يتعرض ويطلب ويعتريهم حالا بعد حال

[كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون] أي مثل ذلك التسخير البديع ، جعلناها منقادة لكم مع ضخامة أجسامها ، لكي تشكروا الله على إنعامه

[لن ينال الله لحومها ولا دماؤها] أي لن يصل إليه تعالى شيء من لحومها ولا دمائها

[ولكن يناله التقوى منكم] أى ولكن يصل إليه التقوى منكم ، بامتثالكم أوامره وطلبكم رضوانه

[كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم] كرره للتأكيد أي كذلك ذللها لكم وجعلها منقادة لرغبتكم ، لتكبروا الله على ما أرشدكم إليه من أحكام دينه

[وبشر المحسنين] أي بشر المحسنين في أعمالهم ، بالسعادة التامة ، والفوز العظيم بدار النعيم .

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

١ – الإيجاز [اختصموا في ربهم] أي في دين ربهم ، وفي نصرة الدين وحربه ، فهو على حذف مضاف .
" (١).

" ثم وصف سبحانه هؤلاء المخبتين بقوله : ٣٥ – ﴿ الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾ أي خافت وحذرت مخالفته وحصول الوجل منهم عند الذكر له سبحانه دليل على كمال يقينهم وقوة إيمانهم ووصفهم بالصبر ﴿ على ما أصابهم ﴾ من البلايا والمحن في طاعة الله ثم وصفهم بإقامة ﴿ الصلاة ﴾ أي الإتيان بها في أوقاتها على وجه الكمال قرأ الجمهور : ﴿ والمقيمي الصلاة ﴾ بالجر على ما هو الظاهر وقرأ أبو عمرو بالنصب على توهم بقاء النون وأنشد سيبويه على ذلك قول الشاعر :

(الحافظ عورة العشيرة)

البيت بنصب عورة وقيل لم يقرأ بهذه القراءة أبو عمرو وقرأ ابن محيصن والمقيمين بإثبات النون على الأصل ورويت هذه القراءة عن ابن مسعود ثم وصفهم سبحانه بقوله : ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ أي يتصدقون به وينفقونه في وجوه البر ويضعونه في مواضع الخير ومثل هذه الآية قوله سبحانه : ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون ﴾

وقد أخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله : ﴿ حرمات الله ﴾ قال : الحرمة مكة والحج والعمرة وما نهى الله عنه من معاصيه كلها وأخرج ابن جرير عن ابن عباس في قوله : ﴿ فاجتنبوا الرجس من الأوثان ﴾ يقول : اجتنبوا طاعة الشيطان في عبادة الأوثان ﴿ واجتنبوا قول الزور ﴾ يعني الافتراء على الله والتكذيب به وأخرج أحمد والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن أيمن بن حريم قال : قام رسول الله صلى الله عليه و سلم خطيبا فقال : [يا أيها الناس عدلت شهادة الزور شركا بالله ثلاثا ثم قرأ ﴿ فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور ﴾] قال أحمد غريب إنما نعرفه من حديث سفيان بن زيد وقد اختلف عنه في رواية هذا الحديث ولا نعرف لأيمن بن حريم سماعا من النبي صلى الله عليه و سلم وقد أخرجه أحمد وعبد بن حميد وأبوداود وابن ماجه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الشعب من حديث حريم وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي بكرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : [ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا قلنا بلى يا رسول الله قال : الإشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس فقال : ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت] وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله : ﴿ حنفاء لله غير مشركين به ﴾ قال : حجاجا لله غير مشركين به وذلك أن الجاهلية كانوا يحجون مشركين فلما أظهر الله الإسلام قال الله للمسلمين : حجوا الآن غير مشركين بالله وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي بكر الصديق نحوه وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله : ﴿ ومن يعظم شعائر الله ﴾ قال : البدن وأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس ﴿ ومن يعظم شعائر الله ﴾ قال : الاستسمان والاستحسان والاستعظام وفي قوله : ﴿ لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ﴾ قال : إلى أن تسمى بدنا واخرج

(١) صفوة التفاسير . للصابوني، ٢١٩/٢

هؤلاء عن مجاهد نحوه وفيه قال : ولكم فيها منافع إلى أجل مسمى في ظهورها وألبانها وأوبارها وأشعارها وأصوافها إلى أن تسمى هديا فإذا سميت هديا ذهبت المنافع ﴿ ثم محلها ﴾ يقول : حين تسمى ﴿ إلى البيت العتيق ﴾ وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن عكرمة قال : إذا دخلت الحرم فقد بلغت محلها وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله : ﴿ ولكل أمة جعلنا منسكا ﴾ قال : عيدا وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد في الآية قال : إهراق الدماء وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال : ذبحا وأخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم في الآية قال : مكة لم يجعل الله لأمة منسكا غيرها وقد وردت أحاديث في الأضحية ليس هذا موضع ذكرها وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله : ﴿ وبشر المخبتين ﴾ قال : المطمئنين وأخرج سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في ذم الغضب وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان عن عمرو بن أوس قال : المخبتون في الآية الذين لا يظلمون الناس وإذا ظلموا لم ينتصروا ." (١)

"قوله جل ذكره : ﴿ ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ﴾ .

الشرائع مختلفة فيما كان من المعاملات ، متفقة فيما كان من جملة المعارف ، ثم هم فيها مختلفون : فقوم هم أصحاب التضعيف ، فيما أوجب عليهم وجعل لهم ، وقوم هم أصحاب التخفيف فيما ألزموا وفيما وعد لهم . قوله ﴿ ليذكروا اسم الله على ﴾ وذكر اسم الله على ما رزقهم على أقسام : منها معرفتهم إنعام الله بذلك عليهم . . . وذلك من حيث الشكر ، ثم يذكرون اسمه على ما وفقهم لمعرفته بأنه هو الذي يتقبل منهم وهو الذي يثيبهم .

قوله جل ذكره : ﴿ فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين ﴾ .

أي استسلموا لحكمه بلا تعبيس ولا استكراه من داخل القلب .

والإسلام يكون بمعنى الإخلاص ، والإخلاص تصفية الأعمال من الآفات ، ثم تصفية الأخلاق من الكدورات ، ثم تصفية الأحوال ، ثم تصفية الأنفاس . ﴿ وبشر المخبتين ﴾ : الإخبات استدامة الطاعة بشرط الاستقامة بقدر الاستطاعة . ومن أمارات الإخبات كمال الخضوع بشرط دوام الخشوع ، وذلك بإطراق السريرة .." (٢)

"قوله تعالى: إنما المؤمنين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم ءايته زادتهم إيمنا وعلى ربهم يتوكلون (٢) الذين يقيمون الصلوة ومما رزقهم ينفقون (٣) أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجت عند ربهم ومغفرة ورزق كريم (٤) قوله تعالى: (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون).

فيه ثلاث مسائل: الأولى - قال العلماء: هذ الآية تحريض على إلزام طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أمر به من قسمة تلك الغنيمة.

والوجل: الخوف.

وفي مستقبله أربع لغات: وجل يوجل وياجل وييجل وييجل، حكاه سيبويه.

---

(١) فتح القدير، ٦٤٧/٣

(٢) تفسير القشيري، ١٩٤/٥

والمصدر وجل جلا وموجلا، بالفتح.

وهذا موجله (بالكسر) للموضع والاسم.

فمن قال: ياجل في المستقبل جعل الواو ألفا لفتحة ما قبلها.

ولغة القرآن الواو " قالوا لا توجل (١) " ومن قال: " ييجل " بكسر الياء فهي على لغة بني أسد، فإنهم يقولون: أنا إيجل، ونحن نيجل، وأنت تيجل، كلها بالكسر.

ومن قال: " ييجل " بناه على هذه اللغة، ولكنه فتح الياء كما فتحوها في يعلم، ولم تكسر الياء في يعلم لاستثقالهم الكسر على الياء.

وكسرت في " ييجل " لتقوي إحدى الياءين بالأخرى.

والأمر منه " إيجل " صارت الواو ياء الكسرة ما قبلها.

وتقول: إني منه لأوجل.

ولا يقال في المؤنث:

وجلاء: ولكن وجلة.

وروى سفيان عن السدي في قوله جل وعز: " الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم " قال: إذا أراد أن يظلم مظلمة قيل له: اتق الله، ووجل قلبه.

الثانية - وصف الله تعالى المؤمنين في هذه الآية بالخوف والوجل عند ذكره.

وذلك لقوة إيمانهم ومراعاتهم لربهم، وكأنهم بين يديه.

ونظير هذه الآية " وبشر المخبتين.

الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم (٢) ".

وقال " وتطمئن قلوبهم بذكر (٣) الله ".

فهذا يرجع إلى كمال

---

(١) راجع ج ١٠ ص ٣٤.

(٢) راجع ج ١٢ ص ٥٨ فما بعد.

(٣) راجع ج ٩ ص ٣١٤ فما بعد.

(*)." (١)

"قوله تعالى: ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعم فإلهكم إليه وحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) قوله تعالى: (ولكل أمة جعلنا منسكا) لما ذكر تعالى الذبائح بين أنه لم يخل منها أمة، والامة القوم

---

(١) تفسير القرطبي، ٣٦٥/٧

المجتمعون على مذهب واحد، أي ولكل جماعة مؤمنة جعلنا منسكا.

والمنسك الذبح وإراقة الدم، قاله مجاهد.

يقال: نسك إذا ذبح ينسك نسكا.

والذبيحة نسيكة، وجمعها نسك، ومنه قوله تعالى: " أو صدقة أو نسك " (١) [البقرة: ١٩٦].

والنسك أيضا الطاعة.

وقال الازهرى في قوله تعالى: " ولكل أمة جعلنا منسكا ": إنه يدل على موضع النحر في هذا الموضع، أراد مكان نسك.

ويقال: منسك ومنسك، لغتان، وقرئ بهما.

قرأ الكوفيون إلا عاصما بكسر السين، الباقون بفتحها.

وقال الفراء: المنسك في كلام العرب الموضع المعتاد في خير أو شر.

وقيل مناسك الحج لترداد الناس إليها من الوقوف بعرفة ورمى الجمار والسعى.

وقال ابن عرفة في قوله: " ولكل أمة جعلنا منسكا ": أي مذهبا من طاعة الله تعالى، يقال: نسك نسك (٢) قومه إذا سلك مذهبهم.

وقيل: منسكا عيدا، قاله الفراء.

وقيل: حجا، قاله قتادة.

والقول الاول أظهر، لقوله تعالى: (ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام) أي على ذبح ما رزقهم.

فأمر تعالى عند الذبح بذكره وأن يكون الذبح له، لانه رازق ذلك.

ثم رجع اللفظ من الخبر عن الامم إلى إخبار الحاضرين بما معناه فالاله واحد لجميعكم، فكذلك الامر في الذبيحة إنما ينبغى أن تخلص له.

فوله تعالى: (فله أسلموا) معناه لحقه ولوجهه وإنعامه آمنوا وأسلموا.

ويحتمل أن يريد الاستسلام، أي له أطيعوا وانقادوا.

قوله تعالى: (وبشر المخبتين) المخبت: المتواضع الخاشع من المؤمنين.

والخبت ما انخفض من الارض، أي بشرهم بالثواب الجزيل.

قال عمرو بن أوس: المخبتون الذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لم ينتصروا (٣).

وقال مجاهد فيما روى عنه سفيان عن ابن أبي نجيح: المخبتون المطمئنون بأمر الله عزوجل.

---

(١) راجع ج ٢ ص ٣٦٥ فما بعد.

(٢) مثلثة النون، وبضمتين.

(٣) الانتصار: الانتقام.

(*)." (١)

"قوله تعالى: الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصبرين على ما أصابهم والمقيمي الصلوة ومما رزقنهم ينفقون (٣٥)

فيه مسألتان: الاولى: قوله تعالى: (وجلت قلوبهم) أي خافت وحذرت مخالفته.

فوصفهم بالخوف والوجل عند ذكره، وذلك لقوة يقينهم ومراعاتهم لربهم، وكأنهم بين يديه، ووصفهم بالصبر وإقامة الصلاة وإدامتها.

وروى أن هذه الاية قوله: " وبشر المخبتين " نزلت في أبي بكر وعمر وعلى رضوان الله عليهم.

وقرأ الجمهور: " الصلاة " بالخفض على الاضافة، وقرأ أبو عمرو: " الصلاة " بالنصب على توهم النون، وأن حذفها للتخفيف لطول الاسم.

وأنشد سيبويه: * الحافظو عورة العشيرة (١)...* الثانية - هذه الاية نظير قوله تعالى: " إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون " (٢) [الانفال: ٢]، وقوله تعالى: " الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله " (٣) [الزمر: ٢٣].

هذه حالة العارفين بالله، الخائفين من سطوته وعقوبته، لا كما يفعله جهال العوام والمبتدعة الطغام من الزعيق والزئير، ومن النهاق الذى يشبه نهاق الحمير، فيقال لمن تعاطى ذلك وزعم أن ذلك وجد وخشوع: إنك لم تبلغ أن تساوى حال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حال أصحابه في المعرفة بالله تعالى والخوف منه والتعظيم لجلاله، ومع ذلك فكانت حالهم عند المواعظ الفهم عن الله والبكاء خوفا من الله.

وكذلك وصف الله تعالى أحوال أهل المعرفة عند سماع ذكره وتلاوة كتابه، ومن لم يكن كذلك فليس على هديهم ولا على طريقتهم، قال الله تعالى: " وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم

---

(١) البيت بتمامه: الحافظو عورة العشيرة لا * يأتيهم من ورائنا نطف (٢) راجع ج ٧ ص ٣٦٥.

(٣) راجع ج ١٥ ص ٢٤٨.

(*)." (٢)

"حرمات الله : التكاليف الدينية وكل ما نهى الله عنه . فاجتنبوا الرجس من الأوثان : ابتعدوا عن عبادتها . الزور : الكذب . حنفاء : واحدهم حنيف ، وهو من استقام على دين الحق ، ومال عن كل زيغ وضلال . كأنما خر من السماء : كأنما سقط من السماء . فتخطفه الطير : يعني بعد ان يسقط ويموت تأكله الطير . مكان سحيق : مكان بعيد . شعائر

---

(١) تفسير القرطبي، ٥٨/١٢

(٢) تفسير القرطبي، ٥٩/١٢

الله : جمع شعيرة وهي كل اعمال الحج والهدايا التي يسوقها الحاج . منسكا : مكانا للعبادة . مخبتين : خاشعين . وجلت قلوبهم : خافت .

﴿ ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور ﴾ .

ذلك الذي أمرءنا به من قضاء المناسك هو الواجب عليكم في حجكم ، ومن يلتزم أوامر الله ونواهيه في حجه تعظيما لحدود الله يكن ذلك خيرا له عند ربه في دنياه وآخرته . لقد أحل الله لكم لحوم الإبل والبقرة والغنم ، إلا في حالات مما بينه القرآن ، كالميتة وغيرها ، فاجتنبواعبادة الأوثان وطاعة الشيطان . . إن ذلك رجس . ابتعدوا عن قول الزور على الله وعلى الناس .

﴿ حنفآء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السمآء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ﴾ .

تمسكوا بهذه الأمور مخلصين العبادة لله وحده ، دون إشراك أحد به . . . . إن من يشرك بالله يعرض نفسه للهلاك المريع ، وكأنه سقط من السماء فتمزق قطعا تتخطفه الطور فلا تبقي له أثرا ، أو كأن الريح العاتية عصفت به فشتتت أجزاءه ، وهوت بكل جزء منها في مكان بعيد .

﴿ ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ﴾ .

امتثلوا ذلك واحفظوه ، لأن من يعظم دين الله وفرائض الحج وأعماله ، ويسوق البدن والهدايا الى الحرم ويختارها عظيمة الأجسام صحيحة سمينة – فقد اتقى الله ، لأن تعظيمها أثر من آثار تقوى القلوب .

﴿ لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلهآ إلى البيت العتيق ﴾

لكم في هذه الهدايا منافع دنيوية ، فتركبونها حين الحاجة وتحمل أثقالكم ، وتشربون من ألبانها ، ثم لكم منافعهها الدينية كذلك حين تذبحونها عند البيت الحرام تقربا الى الله .

﴿ ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين ﴾ .

ليست هذه المناسك خاصة بكم ، فقد جعلنا لأهل كل دين من الأديان من قبلكم قرابين يتقربون بها الى الله ، يوذكرون اسم الله عليها ويعظمونه عند ذبحها شكرا له على ما أنعم عليهم ، ويسره لهم منها . إن عبودكم إله واحد فاسلموا له وحده ، ولا تشركوا معه أحدا . ويا أيها الرسول بشر بالجنة والثواب الجزيل المخلصين ، الخاضعين لله من عباده . وقد بين الله علامات أولئك المختبين فقال :

﴿ الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على مآ أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ﴾ .

وهؤلاء المختبين لهم صفات :

أولاها : أنهم إذا ذكر الله عرتهم رهبة من خشيته ، وخوف من عقابه .

ثانيتها : الذين يصبرون عند الشدائد على ما يصيبهم من المكاره والمتاعب .

ثالثتها : ويقيمون الصلاة على أحسن وجه في أوقاتها بخضوع ونشاط .

رابعتها : وينفقون بعض ما آتاهم الله من طيب الرزق في وجوه البر وفي سبيل الله .." (١)

"١٨٧٥ – عبد الرزاق قال : أرنا معمر ، عن قتادة في قوله تعالى : (وبشر المخبتين (١)) ، قال : « هم المتواضعون »

---

(١) سورة : الحج آية رقم : ٣٤." (٢)

"١٨٧٦ – الثوري ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله تعالى : (وبشر المخبتين (١)) ، قال : « المخبتون المتواضعون »

---

(١) سورة : الحج آية رقم : ٣٤." (٣)

"مطابقته للترجمة ظاهرة قوله من النخع بفتح الخاء والنون المعجمة وبالعين المهملة وهي قبيلة كبيرة من مذحج واسم النخع جسر بن عمرو بن علة بن جلد بن أدد وقيل له النخع لأنه انتخع عن قومه أي بعد عنهم ونزلوا في الإسلام الكوفة والحديث مضى في كتاب الأنبياء في باب قوله تعالى واتخذ الله إبراهيم خليلا (النساء١٢٥) فإنه أخرجه هناك عن محمد بن كثير عن سفيان عن المغيرة إلى آخره

قوله غرلا بضم الغين المعجمة جمع أغرل وهو الأقلف قوله إلا أنه أي لكن إن الشأن قوله ذات الشمال أي جهة النار قوله مرتدين لم يرد بهم الردة عن الإسلام بل التخلف عن الحقوق الواجبة ولم يرتد بحمد الله أحد من الصحابة وإنما ارتد قوم من جفاة الأعراب الداخلين في الإسلام رغبة أو رهبة وقد مر الكلام فيه هناك مستقصى والله أعلم

٢٢ –(سورة الحج)

أي هذا في تفسير بعض سورة الحج وذكر ابن مردويه عن ابن عباس وابن الزبير رضي الله عنهم أنهما قالا نزلت سورة الحج بالمدينة وقال مقاتل بعضها مكي أيضا وعن قتادة إنها مكية وعنه مدنية غير أربع آيات وعن عطاء إلا ثلاث آيات منها قوله هذان خصمان (الحج ١٩) وقال هبة بن سلامة هي من أعاجيب سور القرآن لأن فيها مكيا ومدنيا وسفريا وحضريا وحربيا وسلميا وليليا ونهاريا وناسخا ومنسوخا وهي خمسة آلاف وخمسة وسبعون حرفا وألف ومائتان وإحدى وتسعون كلمة وثمان وتسعون آية

بسم الله الرحمان الرحيم

---

(١) تفسير القطان، ٢/٤٥٨

(٢) تفسير القرآن لعبد الرزاق الصنعاني، ٤/٤٠١

(٣) تفسير القرآن لعبد الرزاق الصنعاني، ٤/٤٠٢

ثبتت البسملة للكل

وقال ابن عيينة المخبتين المطمئنين

أي قال سفيان بن عيينة في قوله تعالى وبشر المخبتين (الحج ٣٤) أي المطمئنين كذا ذكره ابن عيينة في تفسيره عن ابن جريج عن مجاهد وقيل المطمئنين بأمر الله وقيل المطيعين وقيل المتواضعين وقيل الخاشعين وهو من الإخبات والخبت بفتح أوله المطمئن من الأرض." (١)

"حرف الخاء المعجمة

...

حرف الخاء المعجمة

"فصل خ ب" قوله: "خبأت لك خبأ" بالفتح وسكون الموحدة مهموزا ومنه ﴿يخرج الخبء﴾ وبالكسر في الموحدة بوزن عظيم وهو اسم ما خبأته فعيل بمعني مفعول وأختبيء دعوتي أي أدخر وأختبيء أنا أي استتر والخباء بالمد والكسر من بيوت الأعراب وقد يستعمل في غيرها والجمع أخبأ وأخبية ومنه أهل أخبأ قوله: "الخبب" أي الإسراع ومنه يخب ثلاثة أطواف أي يسرع في المشي قوله: "وبشر المخبتين" أي المطمئنين كذا في الأصل وهو تفسير باللازم قوله: "خبث الحديد" بفتحتين وآخره مثلثة وخبث الفضة هو الرديء منهما وأما إذا كثر الخبث فالمراد به الفجور قوله "الخبث والخبائث" قيل ذكران الشياطين وإناثهم أو الخبث الشر كله والخبائث الخطايا أو الأفعال المذمومة قوله: "ولا خبثة" بالكسر أراد بالخبثة الحرام أو الريبة وقيل بيع أهل العهد قوله: "خبيث النفس" أي ثقيلا غير نشيط وقوله: "لا يقل أحد خبثت نفسي" كره الاسم فقط وقوله: "الدواء الخبيث" فسره الترمذي في روايته السم وقال غيره الحرام وقوله: "ثمن الكلب خبيث" أي حرام أو مكروه أو فاسد ومنه أكل من هذه الشجرة الخبيثة فإن خبثها من جهة كراهية رائحتها قوله: "نهى عن المخابرة" هي المزراعة على جزء يخرج من الأرض وأصله أن أهل خيبر كانوا يتعاملون كذلك جزم بذلك بن الأعرابي وقال غيره الخبير في كلام الأنصار الأكار قوله: "خبزة واحدة" هي الطلمة بالمهملة وزنا ومعنى والمراد الرغيف

"فصل خ ت" قوله: "يختله" أي يستغفله ويراوغه ليقتله أو يسمع كلامه بغير علمه قوله: "ختامه مسك" أي طينه قوله: "خاتم النبيين" أي آخرهم قوله: "الختان" هو الموضع الذي يقطع من الفرج ثم استعمل للفعل قوله: "ختنه" بالتحريك أي صهره

"فصل خ د" قوله: "الأخدود" شق في الأرض مستطيل قوله: "ذوات الخدور وقوله: من خدرها وقوله: في خدرها" الخدر ستر يكون للجارية البكر في ناحية البيت وقيل الخدور البيوت قوله: "تخدشها هرة وقوله: خدوشا في وجهه" الخدش قشر الجلد بعود أو نحوه ولو لم يدم قوله: "الخداع ويخدع وخديعة" كله من إظهار غير ما يكتم وقوله: "الحرب خدعة" من ذلك والمشهور فيه بفتحتين ويقال بالضم ثم السكون ويقال بالفتح ثم السكون وحكى فتح الدال فيهما قوله: "خدلج الساقين" بفتحتين وتشديد اللام بعدها جيم أي ممتلئ الساقين وقوله: "خدلا" مثله لكن بلا جيم والدال ساكنة وكسرها

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١٧/٢٨

الأصيلي قوله: "خدم سوقهما" أي الخلاخيل الواحدة خدمة بفتحتين قوله: "أخدان" أي أخلاء جمع خدن الكسر وهو الخيل قوله: "مذعنين مستخدين"." (١)

"ولما أمر بالإسلام من يحتاج إلى ذلك إيجادا أو تكميلا أو إدامة ، وكان الإسلام هو سهولة الانقياد من غير كبر ولا شماخة ، وكان منشأ الطمأنينة والتواضع اللذين هما أنسب شيء لحال الحجاج المتجرد من المخيط المكشوف الراس الطالب لوضع أوزاره ، وتخفيف آصاره لستر عوراه ، أقبل سبحانه وتعالى على الرأس من المأمورين ، الحائز لما يمكن المخلوقين أن يصلوا إليه من رتب الكمال ، وخلال الجمال والجلال ، إشارة إلى أنه لا يلحقه أحد في ذلك فقال : ﴿وبشر المخبتين*﴾ أي المتواضعين ، المنكسرين ، من الخبت - للأرض المنخفضة الصالحة للاستطراق وغيره من المنافع ؛ ثم بين علاماتهم فقال : ﴿الذين إذا ذكر الله﴾ أي الذي له الجلال والجمال ﴿وجلت﴾ أي خافت خوفا مزعجا ﴿قلوبهم﴾.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ١٥٠

ولما كان في ذكر الحج ، وكان ذلك مظنة لكثرة الخلطة الموجبة لكثرة الأنكاد ولا سيما وقد كان أكثر المخالطين مشركين ، لأن السورة مكية ، قال عاطفا غير متبع ، إيذانا بالرسوخ في الأوصاف : ﴿والصابرين﴾ الذين صار الصبر عادتهم ﴿على ما أصابهم﴾ كائنا ما كان.

١٥٢

ولما كان ذلك شاغلا عن الصلاة ، قال : ﴿والمقيمي الصلاة﴾ أي وإن حصل لهم من المشاق بأفعال الحج وغيره ما عسى أن يحصل ، ولذلك عبر بالوصف دون الفعل إشارة إلى أنه لا يقيمها على الوجه المشروع مع ذلك المشاق والشواغل إلا الأراسخ في حبها ، فهم - لما تمكن من حبها في قلوبهم والخوف من الغفلة عنها - كأنهم دائما في صلاة.

ولما كان ما يحصل فيه من زيادة النفقة ربما كان مقعدا عنه ، رغب فيه بقوله : ﴿ومما رزقناهم﴾ فهم لكونه نعمة منا لا يبخلون به ، ولأجل عظمتنا يحسنون ظن الخلف ﴿ينفقون*﴾ أي يجددون بذله على الاستمرار ، بالهدايا التي يغالون في أثمانها وغير ذلك ، إحسانا إلى خلق الله ، امتثالا لأمره كالخبت الباذل لما يودعه تعالى فيه من الماء والمرعى.

". (٢)

"متعبد والباقون بفتح السين بمعنى الموضع أو المصدر أى اراقة الدعاء وذبح القرايين أو قربانا يتقربون به إلى الله لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ دون غيره ويجعلوا نسيلهم لوجهه علّل الجعل به تنبيها على ان المقصود من جعل المناسك تذكّر المعبود وفيه

---

(١) فتح الباري- تعليق ابن باز، ١١٠/١

(٢) نظم الدرر . ، ٢٩٩/٥

دليل على كون الذكر شرطا للذبح عَلى ما رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعامِ عند نحرها وذبحها سماها بهيمة لانها لا تتكلم وقيدها بالانعام لان من البهائم ما ليس من الانعام كالخيل والبغال والحمير ولا يجوز ذبح شيء منها في القرابين الا الانعام بل الاهلية منها اجماعا – وهذه الجملة معترضة لتحريض أمة محمّد صلى الله عليه وسلم على التاسّى بمن سبق فَإِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ يعنى سموا على الذبائح اسم الله وحده إذ لا اله لكم غيره جملة معللة يعنى جعلنا لكل أمة متعبدا ليذكروا الله وحده لان اله كلهم واحد وان كانوا امما شتى فَلَهُ دون غيره أَسْلِمُوا انقادوا واطيعوا يعنى أخلصوا التقرب أو الذكر ولا تشوبوه بالاشراك وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤) عطف على قوله وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ان كان خطابا لنبينا صلى الله عليه وسلم والا فعلى وَإِذْ بَوَّأْنا يعنى اذكر وقت تبويتنا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ – الخبيت الشيء الحقير يعنى من خشع وعدّ نفسه حقيرا يقال اخبت إذا خشع وتواضع كذا في القاموس ومن هاهنا قال ابن عباس وقتادة معناه المتواضعين وقال الأخفش الخاشعين وقيل الخبت المكان المطمئن من الأرض ومن هاهنا قال مجاهد المطمئنين إلى الله وقال النخعي المخلصين فان الاطمئنان هو الإخلاص – وقال الكلبي هم الرقيقة قلوبهم – وقال عمرو بن أوس هم الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا.." (١)

"ذبيحة يجيء إلى القوم فيتعرض لهم لاجل لحمهم كَذلِكَ أى تسخيرا مثل تسخير وصفناه من نحرها قياما سَخَّرْناها لَكُمْ مع عظمها وقوتها منقادة

التفسير المظهري ج ٦ ، ص : ٣٢٥

و تجنسوها؟؟؟ صافة قوائمها ثم تطعنون في لبّاتها لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٣٦) إنعامنا عليكم بالتقرب والإخلاص – أخرج ابن أبي حاتم وابن جرير وابن المنذر عن ابن جريج قال كان أهل الجاهلية ينضحون البيت بلحوم الإبل ودمائها فقال اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فنحن أحق ان ننضح فانزل الله تعالى.

لَنْ يَنالَ اللَّهَ الآية – واخرج ابن المنذر وابن مردوية عن ابن عباس قال كان المشركون إذا ذبحوا استقبلوا الكعبة بالدماء فينتضحون بها نحو الكعبة – فاراد المسلمون ان يفعلوا ذلك فانزل الله تعالى لَنْ يَنالَ اللَّهَ لُحُومُها وَلا دِماؤُها قال مقاتل أى لن يرفع الله لحومها ولا دماؤها وَلكِنْ يَنالُهُ قرأ يعقوب لن تنال وتناله بالتاء المثناة من فوق فيهما والباقون بالياء المثناة من تحت أى ولكن يرفع الله التَّقْوى مِنْكُمْ يعنى الأعمال الصالحة المترتبة على التقوى والإخلاص المراد بها وجه الله كَذلِكَ سَخَّرَها لَكُمْ كرره تذكيرا للنعمة وتعليلا له بقوله لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ لتعرفوا عظمته باقتداره على مالا يقدر غيره فتوحدوه بالكبرياء شكرا عَلى ما هَداكُمْ أرشدكم إلى معالم دينه ومناسك حجه والى طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها – وما مصدرية أو موصولة وعلى متعلقة بتكبر والتضمنه معنى الشكر – وقيل المراد التكبير عند الاحلال والذبح على انعام هداكم الله إلى تسخيرها وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ (٣٧) قال ابن عباس يعنى الموحدين عطف على بشّر المخبتين.." (٢)

"بها.

وقيل : في بهيمة الأنعام ، وهو قول مجاهد وقتادة والضحاك.

---

(١) تفسير المظهرى، ص/٤٣٩٢

(٢) تفسير المظهرى، ص/٤٣٩٧

ورواه مقسمٌ عن ابن عباس.

وعلى هذا فالمنافع درها ونسلها وأصوافها وأوبارها وركوب ظهرها إلى أجل مسمى ، وهو أن يسميها ويوجبها هدياً ؛ فإذا فعل ذلك لم يكن له شيء من منافعها.

وروي عن ابن عباس أن في البدن منافع مع تسميتها هدياً بأن تركبوها إن احتجتم إليها ، وتشربوا لبنها إن احتجتم إليه ، إلى أجل مسمّى إلى أن تنحروها.

وهذا اختيار الشافعي ومالك وأحمد وإسحاق ، وهو أَوْلى ؛ لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – " مَرَّ برجلٍ يَسُوقُ بَدَنَةً وهو في جهد ، فقال عليه السلام : " ارْكَبْهَا ".

فقال يا رسول الله إنها هدي.

فقال : " ارْكَبْهَا ويلك " قال عليه السلام : " اركبوا الهدي بالمعروف حتى تجدوا ظهراً " واحتج أبو حنيفة على أنه لا يملك من منافعها بأنه لا يجوز له أن يؤجرها للركوب فلو كان مالكاً لمنافعها لملك عقد الإجارة عليها كمنافع سائر المملوكات.

وأجيب بأن هذا قياس في معارضة النص فلا عبرة به ، وأيضاً فإن أم الولد لا يملك بيعها ويمكنه الانتفاع بها فكذا ههنا.

ومن حمل المنافع على سائر الواجبات يقول : " لَكُمْ فِيهَا " أي : في التمسك بها منافع إلى أجل ينقطع التكليف عنده.

والأول قول جمهور المفسرين لقوله : ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ أي : لكم في الهدايا منافع كثيرة في دنياكم ودينكم وأعظم هذه المنافعِ محلها إلى البيت العتيق ، أي : وقت وجوب نحرها منتهية إلى البيت كقوله ﴿هَدْياً بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ [المائدة : ٩٥].

وقوله : " مَحِلُّهَا " يعني حيث يحل نحرها ، وأما " البيت العتيق " فالمراد به الحرم كله لقوله : ﴿فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَاذَا﴾ [التوبة : ٢٨] أي : الحرم كله ، فالمنحر على هذا القول مكة ، ولكنها نزهت عن الدماء إلى منى ، ومنى من مكة قال عليه السلام :

٨٦

" كل فجاج مكة منحر ، (وكل فجاج منى منحر) " قال القفال : هذا إنما يختص بالهدايا التي تبلغ منى ، فأما الهدي المتطوع به إذا عطب قبل بلوغ مكة فإن محلها موضعه.

ومن قال : الشعائر المناسك فإن معنى قوله : ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ أي : محل الناس من إحرامهم إلى البيت العتيق أن يطوفوا به طواف الزيارة (يوم النحر).

قوله تعالى : ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكاً﴾ الآية.

قرأ الأخوان هذا وما بعده " منسِكاً " بالكسر.

والباقون بالفتح.

فقيل : هما بمعنى واحد ، والمراد بالمنسك مكان النسك أو المصدر.

وقيل : المكسور مكان ، والمفتوح مصدر.

قال ابن عطية : والكسر في هذا من الشاذ ولا يسوغ فيه القياس ، ويشبه أن يكون الكسائي سمعه من العرب.

قال شهاب الدين : وهذا الكلام منه غير مرضي ، كيف يقول : ويشبه أن يكون الكسائي سمعه.

والكسائي يقول : قرأت به.

فكيف يحتاج إلى سماع مع تمسكه بأقوى السماعات ، وهو روايته لذلك قرأنا متواتراً.

وقوله : من الشاذ : يعني قياساً لا استعمالاً فإنه فصيح في الاستعمال ، وذلك أن فعل يفعُل بضم العين في المضارع قياس الفعل منه أن يفتح عينه مطلقاً ، أي : سواء أريد به الزمان أم المكان أم

٨٧

المصدر ، وقد شذت ألفاظ ضبطها النحاة في كتبهم مذكورة في هذا الكتاب.

فصل " وَلِكُلِّ أُمَّةٍ " (أي : جماعة مؤمنة سلفت قبلكم من عهد إبراهيم عليه السلام " جَعَلْنَا مَنْسَكاً ") أي ضرباً من القربان ، وجعل العلة في ذلك أن يذكر اسمه عند ذبحها ونحرها فقال : ﴿لِّيَذْكُرُواْ اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِّن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ﴾ أي : عند الذبح والنحر لأنها لا تتكلم.

وقال : " بَهِيمة الأَنْعَام " قيد بالنعم ، لأن من البهائم ما ليس من الأنعام كالخيل والبغال والحمير لا يجوز ذبحها في القرابين ، وكانت العرب تسمي ما تذبحه للصَّنَم العتر والعتيرة كالذبح والذبيحة.

قوله : ﴿فَإِلَـاهُكُمْ إله وَاحِدٌ﴾ في كيفية النظم وجهان : الأول : أن الإله واحد ، وإنما اختلفت التكاليف باختلاف الأزمنة والأشخاص لاختلاف المصالح.

والثاني : ﴿فَإِلَـاهُكُمْ إله وَاحِدٌ﴾ لا تذكروا على ذبائحكم غير اسمه.

" فَلَهُ أَسْلِمُوا " انقادوا وأطيعوا ، فمن انقاد لله كان مخبتاً فلذلك قال بعده " وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ".

قال ابن عباس وقتادة : المخبت المتواضع الخاشع وقال مُجاهد : المطمئن إلى الله.

والخبت المكان المطمئن من الأرض.

قال أبو مسلم : حقيقة المخبت من صار في خبت من الأرض تقول : أخبت الرجل إذا صار في الخبت كما يقال : أنجد وأَتْهَمَ وأشَأم.

٨٨

". (١)

"إِذَا ما اعْتَرَانِي بَيْنَ قِدْرِي وَمَجْزَرِي

وقرأ أبو رجاء : " القَنِعَ " دون ألف ، وفيها وجهان : أحدهما : أن أصلها القانع فحذف الألف كما قالوا : مِقْوَل ، ومِخْيَط وجَنَدِل وعُلَبِط في مِقْوَال ، ومِخْيَاط ، وجَنَادِل ، وعُلاَبِط.

والثاني : أن القانع هو الراضي باليسير ، والقَنِع السائل كما تقدم تقريره.

قال الزمخشري : والقنع الراضي لا غير.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٧١٨

وقرأ الحسن : " والمُعْتَرِي " اسم فاعل من اعْتَرَى يَعْتَرِي وقرأ إسماعيل ويروى عن أبي رجاء والحسن أيضاً " والمُعْتَرِ " بكسر الراء اجتزاء بالكسر عن لام الكلمة.

وقرئ " المُعْتَرِي " بفتح التاء ، قال أبو البقاء : وهو في معناه أي : في معنى " المُعْتَر " في قراءة العامة.

قال بعضهم : والأقرب أن

٩٦

القانع هو الراضي بما يدفع إليه من غير سؤال وإلحاح ، والمعتر : هو الذي يعترض ويطالب ويعتريهم حالاً بعد حال فيفعل ما يدل على أنه لا يقنع بما يدفع إليه أبداً.

وقال ابن زيد : القانع المسكين ، والمعتر الذي ليس بمسكين ، ولا يكون له ذبيحة ، ويجيء إلى القوم فيتعرض لهم لأجل لحمهم.

قوله : " كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا ".

الكاف نعت مصدر أو حال من ذلك المصدر ، أي مثل وصفنا ما وصفنا من نحرها قياماً سخرناها لكم نعمة منا لتتمكنوا من نحرها.

" لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُون " لكي تشكروا إنعام الله عليكم.

قوله : ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا﴾ العامة على القراءة بياء الغيبة في الفعلين ، لأن التأنيث مجازي ، وقد وجد الفصل بينهما.

وقرأ يعقوب بالتاء فيهما اعتباراً باللفظ.

وقرأ زيد بن عليّ ﴿لُحُومَهَا وَلاَ دِمَاءَها﴾ بالنصب والجلالة بالرفع ، " وَلكِنْ يُنَالُهُ " بضم الياء على أن القائم مقام الفاعل " التَّقْوَى ".

و " مِنْكُم " حال من التقوى ، ويجوز أن يتعلق بنفس " يناله ".

فصل لما كانت عادة الجاهلية إذا نحروا البدن لطخوا الكعبة بدمائها قربة إلى الله عزَّ وجلَّ فأنزل الله هذه الآية ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَآؤُهَا﴾.

قال مقاتل : لن يرفع إلى الله لحومها ولا دماؤها.

﴿وَلَاكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ﴾ أي ولكن يرفع إليه منكم الأعمال الصالحة ، وهي التقوى والإخلاص وما أريد به وجه الله.

فصل قالت المعتزلة : دلَّت هذه الآية على أمور : أحدها : أن الذي ينتفع به فعله دون الجسم الذي ينحره.

وثانيها : أنه سبحانه غني عن كل ذلك وإنما المراد أن يجتهد العبد في امتثال أمره.

٩٧

وثالثها : أنه لما لم ينتفع بالأجسام التي هي اللحوم والدماء وانتفع بتقواه ، وجب أن يكون تقواه فعلاً له ، وإلا كان تقواه بمنزلة اللحوم.

ورابعها : أنه لما شرط القبول بالتقوى ، وصاحب الكبيرة غير مُتَّقٍ ، فوجب أن لا يكون عمله مقبولاً وأنه لا ثواب له.

والجواب : أما الأولان فحقان ، وأما الثالث فمعارض بالداعي والعلم.

وأما الرابع : فصاحب الكبيرة وإن لم يكن متقياً مطلقاً ، ولكنه مُتَّقٍ فيما أتى به من الطاعة على سبيل الإخلاص ، فوجب أن تكون طاعته مقبولة ، وعند هذا تنقلب الآية حجة عليهم.

قوله : " كَذَلِكَ سَخَّرَهَا " الكاف نعت مصدر أو حال من ذلك المصدر " وَلِتُكَبِّرُوا " متعلق به أي إنما سخرها كذلك لتكبروا الله ، وهو التعظيم بما يفعله عند النحر وقبله وبعده.

و ﴿عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾ متعلق بالتكبير ، عُدِّي بعلى لتضمنه معنى الشكر على ما هداكم أرشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه ، وهو أن يقول : الله أكبر ما هدانا والحمد لله على ما أبلانا وأولانا ، ثم قال بعده على سبيل الوعد لمن امتثل أمره " وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِيْن " كما قال من قبل " وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِيْن " قال ابن عباس : المحسنين الموحدين.

والمحسن الذي يفعل الحسن من الأعمال فيصير محسناً إلى نفسه بتوفير الثواب عليه.

جزء : ١٤ رقم الصفحة : ٩٠

قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا اْ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو " يَدْفَعُ " ، والباقون " يُدَافِعِ ".

وفيه وجهان : أحدهما : أن (فَاعِل) بمعنى (فَعَل) المجرد نحو جاوزته وجزته وسافرت وطارقت.

٩٨

". (١)

"" صفحة رقم ١٥٨ "

ذهب . وكان ابن عمر يسوق البدن مجللة بالقباطي فيتصدق بلحومها وبجلالها ، ويعتقد أن طاعة الله في التقرب بها وإهدائها إلى بيته المعظم أمر عظيم لا بد أن يقام به ويسارع فيه) فإنها من تقوى القلوب (أي فإن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب ، فحذفت هذه المضافات ، ولا يستقيم المعنى إلا بتقديرها ، لأنه لا بد من راجع من الجزاء إلى) من تقوى القلوب (ليرتبط به ، وإنما ذكرت القلوب لأنها مراكز التقوى التي إذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر أثرها في سائر الأعضاء .) إلى أجل مسمى (إلى أن تنحر ويتصدق بلحومها ويؤكل منها . و) ثم محلهآ إلى البيت العتيق (للتراخي في الوقت . فاستعيرت للتراخي في الأحوال . والمعنى : أن لكم في الهدايا منافع كثيرة في دنياكم ودينكم ، وإنما يعتد الله بالمنافع الدينية ، قال سبحانه :) تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة ((الأنفال : ٦٧) وأعظم هذه المنافع وأبعدها شوطا في النفع : محلها إلى البيت (أي وجوب نحرها . أو وقت وجوب نحرها في الحرم منتهية إلى البيت ، كقوله :) (أي وجوب نحرها . أو وقت وجوب نحرها في الحرم منتهية إلى البيت ، كقوله :) هديا بالغ الكعبة (والمراد نحرها في الحرم الذي هو في حكم البيت ؛ لأن الحرم هو حريم البيت . ومثل هذا في الاتساع قولك : بلغنا البلد ، وإنما شارفتموه واتصل مسيركم بحدوده . وقيل : المراد بالشعائر : المناسك كلها ، و) محلها إلى البيت العتيق (يأباه .

) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الا نعام فإلاهكم إلاه واحد فله أسلموا وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على مآ أصابهم والمقيمى الصلواة ومما رزقناهم ينفقون (

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٧٢١

الحج : (٣٤) ولكل أمة جعلنا . . . . .

شرع الله لكل أمة أن ينسكوا له : أي يذبحوا لوجهه على وجه التقرب ، وجعل العلة في ذلك أن يذكر اسمه تقدست أسماؤه على النسائك : قرىء) منسكا (بفتح السين وكسرها ، وهو مصدر بمعنى النسك ، والمكسور يكون بمعنى الموضع) فله أسلموا (أي أخلصوا له الذكر خاصة ، واجعلوه لوجهه سالما ، أي : خالصا لا تشوبوه بإشراك .

المخبتون : المتواضعون الخاشعون ، من الخبث وهو المطمئن من الأرض . وقيل : هم الذين لا يظلمون ، وإذا ظلموا لم ينتصروا . وقرأ الحسن :) الذين إذا (." (١)

"المتواضع الذي اطمأن قلبه إلى ذكر ربه وأقيم اللام مقام ((إلى)) لتفيد الاختصاص قال تعالى : " وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم " الآية (٢٢ : ٣٥) وفي رواية البغوي : ((إليك مخبتا)) (إليك) وللبغوي : ((لك)) مكان ((إليك)) (أواها) بتشديد الواو أي أكثر التأوه من الذنوب وهو التضرع ، وقيل : كثير الدعاء ، وقيل : كثير البكاء . وقال القاري : أي متضرعا فعال للمبالغة من أوه تأويها وتأوه تأوها إذا قال : أوه أي قائلا لفظ أوه وهو صوت الحزين أي : اجعلني حزنيا ومتفجعا على التفريط أو هو قول النادم من معصيته المقصر في طاعته ، وقيل : الأواه البكاء (منيبا) من الإنابة ، أي راجعا إليك في أموري كلها ، وقيل التوبة رجوع من المعصية إلى الطاعة والإنابة من الغفلة إلى الذكر والفكرة والأوبة من الغيبة إلى الحضور والمشاهدة . قال الطيبي : وإنما اكتفى في قوله : ((أواها منيبا)) بصلة واحدة لكون الإنابة لازمة للتأوه ورديفا له فكأنه شيء واحد ومنه قوله تعالى : " إن إبراهيم لحليم أواه منيب " (١١ : ٧٥) (رب تقبل توبتي) بجعلها صحيحة بشرائطها واستجماع آدابها فإنها لا تتخلف عن حيز القبول قال تعالى : " وهو الذي يقبل التوبة عن عباده " (٤٢ : ٢٥) (واغسل حوبتي) بفتح الحاء وتضم ، أي امح ذنبي وأزل خطيئتي وإثمي . قيل : هي مصدر حبت بكذا ، أي أثمت ، تحوب حوبة وحوبا وحبابة والجواب بالضم ، والحاب الإثم سمي بذلك لكونه مزجورا عنه إذ الحوب في الأصل لزجر الإبل وذكر المصدر دون الإثم وهو الحوب لأن الاستبراء من فعل الذنب أبلغ منه من نفس الذنب كذا قيل ، ويمكن أن يكون مراعاة للسجع ، ثم ذكر الغسل ليفيد إزالته بالكلية بحيث لا يبقى منه أثر ، ." (٢)

"@ ٣٥٤ @ الحرم كله ، أو يريد بالشعائر دين الله كله نعظمه بالتزامه ' ح ' ، والمنافع : الأجر والأجل المسمى : القيامة ومحلها إلى البيت : ' يحتمل إلى رب البيت ' ، أو ما اختص منها بالبيت 'كالصلاة إليه وقصده بالحج والعمرة ' . ! ٢ " تقوى القلوب " ٢ ! [٣٢] إخلاصها . ! ٢ " ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون " ٢ ! ٣٤ - ! ٢ " منسكا " ٢ ! حجاً ، أو ذبحاً ، أو عيداً ، والمنسك في كلامهم الموضع المعتاد ، مناسك الحج لاعتياد مواضعها ! ٢ " بهيمة الأنعام " ٢ ! الهدي إن جعلنا المنسك الحج ، أو الأضاحي إن جعلناه العيد ^ (المختبين) ^ المطمئنين إلى ذكر الله – تعالى – أو المتواضعين ، أو الخاشعين ، الخشوع في الأبدان

---

(١) تفسير الكشاف. ، ١٥٨/٣

(٢) مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح، ٥٤٦/٨

والتواضع في الأخلاق ، أو الخائفين ، أو المخلصين ، أو الرقيقة قلوبهم ، أو المجتهدون في العبادة ، أو الصالحون المقلون ، أو الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا قاله الخليل . ^ (والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خيرٌ فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا

". (١)

"أفضل من حصول الخوف والترهيب ولهم مقام فوق ذلك وقد علم كل مشربهم وكل قوم في منهاج مذهبهم ومرتبة الجامعية المحمدية هي أكمل المقامات

العلية والحالات السنية كما تدل عليه الدعوات الإلهية والتضرعات البهية التي تنبيء عن كمال العبودية عند التجليات الربوبية لك مطوعا بكسر الميم مفعال للمبالغة أي كثير الطوع وهو الانقياد والطاعة وفي رواية ابن أبي شيبة مطيعا أي منقادا لك مخبتا أي خاضعا خاشعا متواضعا من الخبت وهو المطمئن من الأرض يقال أخبت الرجل إذا نزل الخبت ثم استعمل الخبت استعمال اللين والتواضع قال تعالى وأخبتوا إلى ربهم هود أي اطمأنوا إلى ذكره أو سكنت نفوسهم إلى أمره وأقيم اللام مقام إلى لتفيد الاختصاص قال تعالى وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون الحج إليك أواها أي متضرعا فعال للمبالغة من أوه تأويها وتأوه تأوها إذا قال أوه أي قائلا كثير الفظ أوه وهو صوت الحزين أي اجعلني حزينا متفجعا على التفريط أو هو قول النادم من معصيته المقصر في طاعته وقيل الأواه البكاء منبيا أي راجعا قيل التوبة رجوع من المعصية إلى الطاعة والإنابة من الغفلة إلى الذكر والفكرة والإنابة من الغيبة إلى الحضور والمشاهدة قال الطيبي وإنما اكتفى في قوله أواها منيبا بصلة واحدة لكون الإنابة لازمة للتأوه ورد يقال له فكأنه شيء واحد ومنه قوله تعالى إن إبراهيم لحليم أواه منيب هود ا هـ وتعقبه ابن حجر بما لا يصح ذكره رب تقبل توبتي بجعلها صحيحة بشرائطها واستجماع ردابها فإنها لا تتخلف عن حيز القبول قال تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده الشورى وأما قول ابن حجر حتى تكون نصوحا فلا أنكثها أبدا فموهم أنه يلزم من النصوح عدم النكث وليس كذلك قال تعالى توبوا إلى الله توبة نصوحا التحريم بفتح النون أي بالغة في النصح وهو في الأصل صفة التائب فإنه ينصح نفسه بالتوبة وصفت به." (٢)

" الحج ٣٥ - ٣٢

يكون هذا تشبيها مركبا ويجوز أن يكون مفرقا فان كان تشبيها مركبا فكانه قال من أشرك بالله فقد أهلك نفسه أهلا كاليس بعده بأن صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق قطعا فى حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به فى بعض المهالك البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه الإيمان فى علوه بالسماء والذى أشرك بالله بالساقط من السماء والاهواء المردية بالطير المختلفة والشيطان الذى هو يوقعه فى الضلال بالريح التى تهوى بما عصفت به فى بعض المهاوى المتلفة ذلك أى الأمر ذلك ومن يعظم شعائر الله تعظيم الشعائر وهى الهدايا لانها من معالم الحج ان يختارها عظام

---

(١) تفسير العز بن عبد السلام ، ص/٧١١

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٣٩٧/٨

الاجرام حسانا سمانا غالية الأثمان فانها من تقوى القلوب أى فان تعظيمها من أفعال ذوى تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات وإنما ذكرت القلوب لانها مراكز التقوى لكم فيها منافع من الركوب عند الحاجة وشرب البانها عند الضرورة إلى اجل مسمى إلى أن تنحر ثم محلها أى وقت وجوب نحرها منتهيه إلى البيت العتيق والمراد نحرها فى الحرم الذى هو فى حكم البيت إذا لحرم حريم البيت ومثله فى الاتساع قولك بلغت البلد العتيق يأباه ولكل أمة جماعة مؤمنة قبلكم جعلنا مناسكا حيث كان بكسر السين بمعنى الموضع على وحمزة أى موضع قربان وغيرهما بالفتح على المصدر أى إراقة الدماء وذبح القرابين ليذكروا اسم الله دون غيره على مارزقهم من بهيمة الانعام أى عند نحرها وذبحها فالهكم إله واحد أى اذكروا على الذبح اسم الله وحده فإن الهكم إله واحد وفيه دليل على أن ذكر اسم الله شرط الذبح يعنى أن الله تعالى شرع لكل أمة أن ينسكوا له أى يذبحوا له على وجه التقرب وجعل القلة فى ذلك أن يذكر اسمه تقدمت أسماؤه على النسائك وقوله فله أسلوا أى أخلصوا له الذكر خاصة واجعلوه له سالما أى خالصا لا تشوبوه باشراك وبشر المخبتين المطمئنين بذكر الله أوالمتواضعين الخاشعين من الخبث وهو المطمئن من الأرض وعن ابن عباس رضى الله عنهما الذى لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا وقيل تفسيره ما بعده أى الذين إذا ذكر الله وجعلت قلوبهم خافت منه هيبة والصابرين على ما أصابهم من المحن والمصائب والمقيمى الصلوة فى أوقاتها ومما رزقناهم ينفقون يتصدقون والبدن جمع بدنة سميت لعظم بدنها وفى الشريعة يتناول الابل والبقر وقرئ برفعها وهو كقوله والقمر قدرناه ." (١)

"عليكم ونزل بأموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة.

(﴿ارتضى﴾) في قوله: (﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ [الأنبياء: ٢٨] أي (رضي) أن يشفع له مهابة منه وسقطت هذه لأبي ذر.

(﴿التماثيل﴾) هي (الأصنام) والتمثال اسم للشيء الموضوع مشبها بخلق من خلق الله.

(﴿السجل﴾) في قوله: ﴿كطي السجل﴾ [الأنبياء: ١٠٤] هو (الصحيفة) مطلقا أو مخصوص بصحيفة العهد وطي مصدر مضاف للمفعول والفاعل محذوف تقديره كما يطوي الرجل الصحيفة ليكتب فيها.

١ - باب: ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا﴾ [الأنبياء: ١٠٤]

هذا (باب) بالتنوين في قوله: (﴿كما بدأنا أول خلق نعيده﴾) الكاف تتعلق بنعيد وما مصدرية وبدأنا صلتها وأول خلق مفعول بدأنا قاله أبو البقاء أي نعيد أول خلق إعادة مثل بداءتنا

له أي كلما أبرزناه من العدم إلى الوجود نعيده من العدم إلى الوجود وقد اختلف في كيفية الإعادة فقيل إن الله يفرق أجزاء الأجسام ولا يعدمها ثم يعيد تركيبها أو يعدمها بالكلية ثم يوجدها بعينها والآية تدل على ذلك لأنه شبه الإعادة باللابتداء وهو عن الوجود بعد العدم (﴿وعدا علينا﴾) [الأنبياء: ١٠٤] الإعادة وقيل المراد حقا علينا بسبب الإخبار عن ذلك وتعلق العلم بوقوعه وإن وقوع ما علم الله وقوعه واجب وسقط باب لغير أبي ذر وكذا وعدا علينا.

---

(١) تفسير النسفي، ١٠٤/٣

٤٧٤٠ - حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا شعبة، عن المغيرة بن النعمان شيخ من النخع، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: خطب النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: «إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلا ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين﴾ [الأنبياء: ١٠٤] ثم إن أول من يكسى يوم القيامة إبراهيم، ألا إنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصحابي فيقال: لا تدري ما أحدثوا بعدك؟ فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وكنت عليهم شهيدا ما دمت﴾ إلى قوله: ﴿شهيد﴾ [المائدة: ١١٧] فيقال إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم».

وبه قال: (حدثنا سليمان بن حرب) الواشحي قال: (حدثنا شعبة) بن الحجاج (عن المغيرة بن النعمان) بضم النون وسكون العين النخعي الكوفي (شيخ) بالجر بدلا من سابقه (من النخع) بفتح الخاء (عن سعيد بن جبير عن ابن عباس -رضي الله عنهما-) أنه (قال: خطب النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال):

(إنكم محشورون) مجموعون (إلى الله حفاة) بالحاء المهملة كذا في الفرع وأصله وسقطت في بعض النسخ (عراة) من الثياب (غرلا) بغين معجمة مضمومة فراء ساكنة جمع أغرل وهو الأقلف الذي لم يختن، قال أبو الوفاء بن عقيل: لما أزالوا تلك القطعة في الدنيا أعادها الله ليذيقها من حلاوة فضله (﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين﴾ ثم إن أول من يكسى يوم القيامة إبراهيم) وسقط لفظ إن لغير الكشميهني فالتالي رفع قيل وخصوصية إبراهيم بهذه الأولية لكونه ألقي في النار عريانا وزاد الحليمي في منهاجه من حديث جابر ثم محمد ثم النبيون (ألا) بالتخفيف (إنه) أي لكن إن الشأن (يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال) أي جهة النار (فأقول بل رب أصحابي فيقال لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح) عيسى عليه الصلاة والسلام: (﴿وكنت عليهم شهيدا ما دمت﴾) ولأبي ذر فيهم (﴿إلى قوله: شهيد﴾ فيقال ان هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم) ولأبي ذر عن المستملي إلى أعقابهم (منذ فارقتهم) والمراد بمرتدين التخلف عن الحقوق الواجبة.

وقد مر هذا الحديث في آخر سورة المائدة.

[٢٢]- سورة الحج

(بسم الله الرحمن الرحيم) وقال ابن عيينة المخبتين: المطمئنين، وقال ابن عباس في ﴿إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته﴾ إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه فيبطل الله ما يلقي الشيطان ويحكم آياته. ويقال: أمنيته: قراءته، إلا أماني يقرءون ولا يكتبون. وقال مجاهد: مشيد بالقصة. وقال غيره: وقال غيره: يسطون: يفرطون من السطوة، ويقال يسطون يبطشون. ﴿وهدوا إلى الطيب من القول﴾ ألهموا. ﴿وهدوا إلى صراط الحميد﴾ الإسلام، وقال ابن عباس: بسبب بحبل إلى سقف البيت: تذهل تشغل.

([٢٢] سورة الحج)

مكية إلا ﴿هذان خصمان﴾ إلى تمام ثلاث آيات أو أربع إلى قوله: ﴿عذاب الحريق﴾ وهي ثمان وسبعون آية.

(بسم الله الرحمن الرحيم) ثبتت البسملة لأبي ذر.

(وقال ابن عيينة) سفيان فيما أسنده في تفسيره عن ابن أبي نجيح عن مجاهد (﴿المخبتين﴾) في قوله تعالى: ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤]. أي (المطمئنين) إلى الله. وقال ابن عباس المتواضعين الخاشعين، وقال الكلبي: هم الرقيقة قلوبهم، وقال عمرو بن أوس هم الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا.

(وقال ابن عباس): فيما وصله الطبري (في) قوله تعالى: (﴿إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته﴾) [الحج: ٥٢]. أي (إذا حدث) أي إذا تلا النبي -صلى الله عليه وسلم- شيئا من الآيات المنزلة عليه من الله (ألقى الشيطان في حديثه) في تلاوته عند سكتة من السكتات بمثل نغمة ذلك النبي ما يوافق رأي أهل الشرك من الباطل فيسمعونه فيتوهمون أنه مما تلاه النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو منزه عنه لا يخلط حقا بباطل حاشاه الله من ذلك (فيبطل الله ما يلقي) ولأبي ذر عن الكشميهني ما ألقى (الشيطان ويحكم آياته) أي يثبتها (ويقال) إن (أمنيته) هي (قراءته) وفي." (١)

" صفحة رقم ٣٨٣

ضخم من الجثم عظيم ظله .

وكانت تلبيه آدم ، عليه السلام : لبيك الله لبيك عبد خلقته بيديك ، كرمت فأعطيت ، قربت فأدنين ، تباركت وتعاليت ، أنت رب البيت .

فأنزل الله عز وجل : (واجتنبوا قول الزور (يعنى الكذب ، وهو الشرك في الإحرام ،

الحج : (٣١) حنفاء لله غير . . . . .

) حنفاء لله (يعنى مخلصين لله بالتوحيد) غير مشركين به (ثم عظم الشرك ، فقال : (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير (يعنى فتذهب به الطير النسور) أو تهوي به الريح في مكان سحيق) [آية : ٣١] يعنى بعيدا ، فهذا مثل الشرك في البعد من الله ، عز وجل .

الحج : (٣٢) ذلك ومن يعظم . . . . .

) ذلك (يقول : هذا الذي أمر اجتناب الأوثان) ومن يعظم شعائر الله (يعنى البدن من أعظمها وأسمنها) فإنها من تقوى القلوب) [آية : ٣٢] يعنى من إخلاص القلوب

الحج : (٣٣) لكم فيها منافع . . . . .

) لكم فيها (في البدن) منافع (في ظهورها وألبانها) إلى أجل مسمى (يقول : إلى أن تقلد ، أو تشعر ، أو تسمى هديا ، فهذا الأجل المسمى ، فإذا فعل ذلك بها لا يحمل عليها إلا مضطرا ويركبها بالمعروف ، ويشرب فضل ولدها من اللبن ، ولا يجهد

---

(١) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ٢٤٢/٧

الحلب حتى لا ينهك أجسامها .

) ثم محلها إلى البيت العتيق) [الآية : ٣٣] يعنى منحرها إلى أرض الحرم كله

كقوله سبحانه : (فلا يقربوا المسجد الحرام (يعنى أرض الحرم كله ، ثم ينحر ويأكل

ويطعم ، إن شاء نحر الإبل ، وإن ذبح الغنم ، أو البقر ، ثم تصدق به كله ، وإن شاء

أكل وأمسك منه ، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون شيئا من البدن ، فأنزل الله ،

عز وجل ، فكلوا منها وأطعموا ، فليس الأكل بواجب ، ولكنه رخصة ، كقوله سبحانه

) وإذا حللتم فاصطادوا) [المائدة : ٢] وليس الصيد بواجب ولكنه رخصة .

الحج : (٣٤) ولكل أمة جعلنا . . . . .

) ولكل أمة (يعنى لكل قوم من المؤمنين فيما خلا ، كقوله سبحانه : (أن تكون أمة هي أربى من أمة) [النحل : ٩٢] أن يكون قوم أكثر من قوم ، ثم قال :

(جعلنا منسكا (يعنى ذبحا ، يعنى هراقة الدماء) ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام (وإنما خص الأنعام من البهائم ؛ لأن من البهائم ما ليس من الأنعام ،

وإنما سميت البهائم ؛ لأنها لا تتكلم) فإلهكم إله واحد (ليس له شريك يقول : فربكم

رب واحد) فله أسلموا وبشر المخبتين) [آية : ٣٤] يعنى المخلصين بالجنة .." (١)

" أنا عبد الرحمن قال نا إبراهيم قال نا آدم قال نا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله عز و جل ولكل أمة جعلنا منسكا يعني إهراقة الدماء ١

انا عبد الرحمن قال نا إبراهيم قال نا آدم قال نا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وبشر المخبتين قال المطمئنين ٢

أنا عبد الرحمن قال نا إبراهيم قال نا آدم قال نا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله صوآف قال قائمة ٣ أو صواف ٤

أنبا عبد الرحمن قال نا إبراهيم قال نا آدم قال نا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله فإذا وجبت جنوبها يقول إذا سقطت إلى الأرض ." (٢)

"المفردات في غريب القرآن ، ص : ٢٠

وفي مادة (خبت) يقول :

الخبت : المطمئن من الأرض ، وأخبت الرجل : قصد الخبت أو نزله. نحو : أسهل وأنجد.

فهذا المعنى الحقيقي ، ثم قال :

«ثمّ استعمل الإخبات استعمال اللين والتواضع».

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان، ٢/٣٨٣

(٢) تفسير مجاهد، ٢/٤٢٥

فهذا المعنى المجازي ، والعلاقة بينهما المشابهة ، ثم قال :

قال الله تعالى : وَأَخْبَتُوا إِلى رَبِّهِمْ ، وقال : وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ أي :

المتواضعين ، نحو : لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ.

ففسّر القرآن بالقرآن ، ثم قال : وقوله تعالى : فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ أي : تلين وتخشع.

والإخبات هاهنا قريب من الهبوط في قوله تعالى : وَإِنَّ مِنْها لَما يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ.

ففسّر القرآن بالقرآن أيضا.

وفي مادة (مرد) يقول :

قال تعالى : وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطانٍ مارِدٍ. والمارد والمريد من شياطين الجن والإنس : المتعري من الخيرات.

فهذا المعنى المجازي ، وأصله كما قال : من قولهم : شجر أمرد : إذا تعرّى من الورق.

فالجامع بين المعنيين العري. ثم قال :

ومنه قيل : رملة مرداء : لم تنبت شيئا ، ومنه : الأمرد ، لتجرّده عن الشعر.

وروي : «أهل الجنّة مرد» قيل : حمل على ظاهره. وقيل : معناه : معرّون من الشوائب والقبائح.

ففسّر الحديث أولا على قول اللغويين والمحدّثين ، ثم ذكر قول الحكماء ثانيا. ثم قال :

ومنه قيل : مرد فلان عن القبائح ، ومرد عن المحاسن وعن الطاعة.

قال تعالى : وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفاقِ أي : ارتكسوا عن الخير ، وهم على النفاق.

وقوله تعالى : مُمَرَّدٌ مِنْ قَوارِيرَ

أي : مملّس. من قولهم : شجرة مرداء : إذا لم يكن عليها ورق ، وكأنّ الممرد إشارة إلى قول الشاعر :

في مجدل شيّد بنيانه يزلّ عنه ظفر الظافر." (١)

"المفردات في غريب القرآن ، ص : ٢٧٢

كتاب الخاء

خبت

الخَبْتُ : المطمئن من الأرض ، وأَخْبَتَ الرّجل : قصد الخبت ، أو نزله ، نحو : أسهل وأنجد ، ثمّ استعمل الإخبات استعمال اللّين والتّواضع ، قال الله تعالى : وَأَخْبَتُوا إِلى رَبِّهِمْ [هود / ٢٣] ، وقال تعالى : وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ [الحج / ٣٤] ، أي : المتواضعين ، نحو : لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ [الأعراف / ٢٠٦] ، وقوله تعالى : فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ [الحج / ٥٤] ، أي : تلين وتخشع ، والإخبات هاهنا قريب من الهبوط في قوله تعالى : وَإِنَّ مِنْها لَما يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ [البقرة / ٧٤] «١».

خبث

---

(١) مفردات القرآن . للراغب . نسخة محققة، ص/٢٠

الخُبْثُ والخَبِيثُ : ما يكره رداءة وخساسة ، محسوسا كان أو معقولا ، وأصله الرّديء الدّخلة «٢» الجاري مجرى خَبَثِ الحديد ، كما قال الشاعر :

- ١٣٣

سبكناه ونحسبه لجينا فأبدى الكير عن خبث الحديد

«٣» وذلك يتناول الباطل في الاعتقاد ، والكذب في المقال ، والقبيح في الفعال ، قال عزّ وجلّ :

وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبائِثَ

[الأعراف / ١٥٧] ، أي : ما لا يوافق النّفس من المحظورات ، وقوله تعالى : وَنَجَّيْناهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كانَتْ تَعْمَلُ الْخَبائِثَ [الأنبياء / ٧٤] ، فكناية عن إتيان الرّجال. وقال تعالى : ما كانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلى ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ [آل عمران / ١٧٩] ، أي : الأعمال الخبيثة من الأعمال الصالحة ، والنّفوس الخبيثة من النّفوس الزّكيّة. وقال تعالى : وَلا تَتَبَدَّلُوا

---

(١) وهذا الباب منقول بتمامه في البصائر ٢ / ٥٢١.

(٢) الدّخلة : البطانة الداخلة.

(٣) البيت في البصائر ٢ / ٥٢٢ ، والمستطرف ١ / ٣٨ دون نسبة ، والتمثيل والمحاضرة ص ٢٨٨.." (١)

"حرمات الله : التكاليف الدينية وكل ما نهى الله عنه . فاجتنبوا الرجس من الأوثان : ابتعدوا عن عبادتها . الزور : الكذب . حنفاء : واحدهم حنيف ، وهو من استقام على دين الحق ، ومال عن كل زيغ وضلال . كأنما خر من السماء : كأنما سقط من السماء . فتخطفه الطير : يعني بعد ان يسقط ويموت تأكله الطير . مكان سحيق : مكان بعيد . شعائر الله : جمع شعيرة وهي كل اعمال الحج والهدايا التي يسوقها الحاج . منسكا : مكانا للعبادة . مخبتين : خاشعين . وجلت قلوبهم : خافت .

﴿ ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور ﴾ .

ذلك الذي أمرءنا به من قضاء المناسك هو الواجب عليكم في حجكم ، ومن يلتزم أوامر الله ونواهيه في حجه تعظيما لحدود الله يكن ذلك خيرا له عند ربه في دنياه وآخرته . لقد أحل الله لكم لحوم الإبل والبقرة والغنم ، إلا في حالات مما بينه القرآن ، كالميتة وغيرها ، فاجتنبواعبادة الأوثان وطاعة الشيطان . . إن ذلك رجس . ابتعدوا عن قول الزور على الله وعلى الناس .

﴿ حنفآء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السمآء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ﴾ .

---

(١) مفردات القرآن . للراغب . نسخة محققة، ص/٢٧٢

تمسكوا بهذه الأمور مخلصين العبادة لله وحده ، دون إشراك أحد به . . . . إن من يشرك بالله يعرض نفسه للهلاك المريع ، وكأنه سقط من السماء فتمزق قطعا تتخطفه الطور فلا تبقي له أثرا ، أو كأن الريح العاتية عصفت به فشتتت أجزاءه ، وهوت بكل جزء منها في مكان بعيد .

﴿ ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ﴾ .

امتثلوا ذلك واحفظوه ، لأن من يعظم دين الله وفرائض الحج وأعماله ، ويسوق البدن والهدايا الى الحرم ويختارها عظيمة الأجسام صحيحة سمينة – فقد اتقى الله ، لأن تعظيمها أثر من آثار تقوى القلوب .

﴿ لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق ﴾

لكم في هذه الهدايا منافع دنيوية ، فتركبونها حين الحاجة وتحمل أثقالكم ، وتشربون من ألبانها ، ثم لكم منافعها الدينية كذلك حين تذبحونها عند البيت الحرام تقربا الى الله .

﴿ ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين ﴾ .

ليست هذه المناسك خاصة بكم ، فقد جعلنا لأهل كل دين من الأديان من قبلكم قرابين يتقربون بها الى الله ، يوذكرون اسم الله عليها ويعظمونه عند ذبحها شكرا له على ما أنعم عليهم ، ويسره لهم منها . إن عبودكم إله واحد فاسلموا له وحده ، ولا تشركوا معه أحدا . ويا أيها الرسول بشر بالجنة والثواب الجزيل المخلصين ، الخاضعين لله من عباده . وقد بين الله علامات أولئك المختبين فقال :

﴿ الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على مآ أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ﴾ .

وهؤلاء المختبين لهم صفات :

أولاها : أنهم إذا ذكر الله عرتهم رهبة من خشيته ، وخوف من عقابه .

ثانيتها : الذين يصبرون عند الشدائد على ما يصيبهم من المكاره والمتاعب .

ثالثتها : ويقيمون الصلاة على أحسن وجه في أوقاتها بخضوع ونشاط .

رابعتها : وينفقون بعض ما آتاهم الله من طيب الرزق في وجوه البر وفي سبيل الله .." (١)

"؟ إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم (٢٥) وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود (٢٦) وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق (٢٧) ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير (٢٨) ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق (٢٩) ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور (٣٠) حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما

---

(١) تيسير التفسير للقطان، ٤٥٨/٢

خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق (٣١) ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم." (١)

"في قوله : ؟ ومن يعظم شعائر الله ؟ فمن يعظمها ، ؟ فإنها من تقوى القلوب ؟ . وعن ابن عباس في قوله : ؟ ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ؟ ، قال : استعظامها ، واستحسانها ، واستمساكها ، ؟ لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ؟ ، قال : ما لم يسم بدنا . وعن عطاء : ؟ لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ؟ ، قال هو : ركوب البدن ، وشرب لبنها إن احتاج ، ؟ ثم محلها إلى البيت العتيق ؟ إلى مكة . وفي الصحيحين أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رأى رجلا يسوق بدنة قال : « اركبها » . قال : إنها بدنة ، قال : « اركبها ويحك » ، في الثانية ، أو في الثالثة . وفي حديث آخر عند مسلم قال : « اركبها بالمعروف إذا لجئت إليها » .

قوله عز وجل : ؟ ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) ؟ .

عن مجاهد : ؟ ولكل أمة جعلنا منسكا ؟ ، قال : إهراق الدماء ، ؟ ليذكروا اسم الله ؟ عليها ، ؟ فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين ؟ المطمئنين إلى الله .." (٢)

"﴿ ثم ليقضوا تفثهم ﴾ ليتموا مناسك حجهم حلق الرأس ورمي الجمار وتقليم الأظفار وغير ذلك ﴿ وليوفوا نذورهم ﴾ وليتموا ما أوجبوا على أنفسهم ﴿ وليطوفوا ﴾ الطواف الواجب ﴿ بالبيت العتيق ﴾ أعتق من كل جبار دخل فيه ويقال من غرق الطوفان زمن نوح ويقال هو أول بيت بني ويقال من طاف حوله فقد عتق ﴿ ذلك ﴾ الذي ذكرت من المناسك عليهم أن يوفوا ذلك ﴿ ومن يعظم حرمات الله ﴾ مناسك الحج ﴿ فهو خير له عند ربه ﴾ بالثواب ﴿ وأحلت لكم ﴾ رخصت لكم ﴿ الأنعام ﴾ ذبيحة الأنعام وأكل لحومها ﴿ إلا ما يتلى ﴾ إلا ما حرم ﴿ عليكم ﴾ في سورة المائدة مثل الميتة والدم ولحم الخنزير ﴿ فاجتنبوا الرجس من الأوثان ﴾ فاتركوا شرب الخمر وعبادة الأوثان ﴿ واجتنبوا قول الزور ﴾ اتركوا قول الباطل والكذب لأنهم كانا يقولون في تلبيتهم في الجاهلية لبيك اللهم لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك فنهاهم الله عن ذلك ﴿ حنفآء لله ﴾ كونوا مسلمين مخلصين بالتلبية والحج ﴿ غير مشركين به ﴾ بالله في التلبية والحج ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خر ﴾ وقع ﴿ من السمآء فتخطفه ﴾ فتأخذه ﴿ الطير ﴾ وتذهب به حيث يشاء ﴿ أو تهوي ﴾ تذهب ﴿ به الريح في مكان سحيق ﴾ بعيد ﴿ ذلك ﴾ التباعد لمن اشرك بالله ﴿ ومن يعظم شعائر الله ﴾ مناسك الحج فيذبح أسمنها وأعظمها ﴿ فإنها ﴾ يعني ذبيحة أسمنها وأعظمها ﴿ من تقوى القلوب ﴾ من صفاوة القلوب وإخلاص الرجل ﴿ لكم فيها ﴾ في الأنعام ﴿ منافع ﴾ في ركوبها وألبانها ﴿ إلى أجل مسمى ﴾ إلى حين تقلد وتسمى

---

(١) توفيق الرحمن / فيصل آل مبارك، ١٧٣/٣

(٢) توفيق الرحمن / فيصل آل مبارك، ١٧٨/٣

هديا ﴿ ثم محلهآ ﴾ منحرها ﴿ إلى البيت العتيق ﴾ إن كانت للعمرة وإن كانت للحج فإلى منى ﴿ ولكل أمة ﴾ من المؤمنين ﴿ جعلنا منسكا ﴾ مذبحا لهم لحجهم وعمرتهم ﴿ ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ﴾ على ذبيحة الأنعام ﴿ فإلهكم إله واحد ﴾ بلا ولد ولا شريك ﴿ فله أسلموا ﴾ أخلصوا بالعبادة والتوحيد ﴿ وبشر المخبتين ﴾ المجتهدين المخلصين بالجنة ﴿ الذين إذا ذكر الله ﴾ أمروا بأمر من قبل الله ﴿ وجلت قلوبهم ﴾ خافت قلوبهم ﴿ والصابرين ﴾ وبشر الصابرين أيضا بالجنة ﴿ على مآ أصابهم ﴾ من المرازي والمصائب ﴿ والمقيمي الصلاة ﴾ وبشر المقيمين للصلوات الخمس بوضوئها وركوعها وسجودها وما يجب فيها من مواقيتها بالجنة أيضا ﴿ ومما رزقناهم ﴾ من الأموال ﴿ ينفقون ﴾ يتصدقون ويؤدون زكاتها ﴿ والبدن ﴾ يعني البقر والإبل ﴿ جعلناها لكم ﴾ سخرناها لكم ﴿ من شعائر الله ﴾ من مناسك الحج لكي تذبحوا ﴿ لكم فيها ﴾ في الأضاحي ﴿ خير ﴾ ثواب ﴿ فاذكروا اسم الله عليها ﴾ على ذبحها ﴿ صوآف ﴾ خوالص من العيوب ويقال معقولة يدها اليسرى قائمة على ثلاث قوائم وقرئت برفع النون ﴿ فإذا وجبت جنوبها ﴾ فإذا خرجت لجنبها بعد الذبح ﴿ فكلوا منها ﴾ من الأضاحي ﴿ وأطعموا ﴾ أعطوا ﴿ القانع ﴾ السائل الذي يقنع باليسير ﴿ والمعتر ﴾ الذي يعترضك ولا يسألك ﴿ كذلك ﴾ الذي ذكرت لكم ﴿ سخرناها ﴾ ذللناها ﴿ لكم لعلكم تشكرون ﴾ لكي تشكروا نعمته ورخصته .." (١)

"﴿ ولكل امة ﴾ من الامم لا البعض منهم دون بعض فالتقديم للتخصيص ﴿ جعلنا منسكا ﴾ متعبدا وقربانا يتقربون به الى الهل تعالى والمراد به اراقة الدماء لوجه الله تعالى . والمعنى شرعنا لكل امة مؤمنة ان ينسكوا له تعالى يقال نسك ينسك نسكا ونسوكا ومنسكا بفتح السين اذا ذبح القربان ﴿ ليذكروا اسم الله ﴾ خاصة دون غيره ويجعلوا نسكهم لوجهه الكريم علل الجعل به تنبيها على ان المقصود الاصلى من المناسك تذكر المعبود ﴿ على ما رزقهم من بهيمة الانعام ﴾ عند ذبحها وفى تبيين البهيمة باضافتها الى الانعام تنبيه على ان القربان يجب ان يكون من الانعام واما البهائم التى ليست من الانعام كالخيل والبغال والحمير فلايجوز ذبحها فى القرابين .

وفى التأويلات النجمية ولكل سالك جعلنا طريقة ومقاما وقربة على اختلاف طبقاتهم فمنهم من يطلب الله من ط ريق المعاملات ومنهم من يطلبه من باب المجاهدات ومنهم من يطلبه به ليتمسك كل طائفة منهم فى الطلب بذكر الله على ما رزقهم من قهر النفس وكسر صفاتها البهيمية والانعامية فانهم لا يظفرون على اختلاف طبقاتهم بمنازلهم ومقاماتهم الا بقهر النفس وكسر صفاتها فيذكرون الله بالحمد والثناء على ما رزقهم من قهر النفس من العبور على المقامات والوصول الى الكمالات ﴿ فالهكم اله واحد ﴾ الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من الجعل المذكور والخطاب للكل تغليبا اى فالهاكم اله منفرد يمتنع ان يشاركه شيء فى ذاته وصفاته والا لاختل النظام المشاهد فى العالم ﴿ فله اسلموا ﴾ اى فاذا كان الهكم اله واحد فجعلوا التقرب او الذكر سالما له اى خالصا لوجهه ولا تشوبوه بالاشراكك وبالفارسية [بس مرورا كردن نهيد وقربانرا بشرك آميخته مسازيد] .

وفى التأويلات النجمية والاسلام يكون بمعنى الاخلاص والاخلاص تصفية الاعمال من الآفات ثم تصفية الاخلاق من

---

(١) تنوير المقباس، ١/٣٥٠

المكدورات ثم تصفية الاحوال من الالتفاتات ثم تصفية الانفاس من الاغيار ﴿ وبشر المخبتين ﴾ المتواضعين والمخلصين فان الخبثهو المطمئن من الارض وحقيقة المخبت من صار فى خبت الارض ولما كان الاخبات من لوازم التواضع والاخلاص صح ان يجعل كناية عنهما ، قال الكاشفى [وبشارت ده اى محمد فروتنانرا بيزركى آن سرا ياترسكارانرا برحمت بى منتهى . سلمى قدس سره فرموده كه مثردة ده مشتاقانرا بسعادت لقاكه هيج مثرده ازين فرح آفزاى ترنيست بس درصفت مخبتين ميفراميد]." (١)

"وعن عثمان : هذا والله ثناء قبل بلاء ، أراد أن الله تعالى قد أثنى عليهم قبل أن يحدثوا في شأن الدين وإعلائه ما أحدثوا . قيل : إنه مخصوص من المهاجرين بالخلفاء الراشدين لأنه تعالى لم يعط التمكين فتمكينهم هو إبقاءهم إلى أوان التكليف ، وقد يشمل الأطفال أيضا إذا ماتوا قبل البلوغ لقوله الله أعلم بما كانوا عاملين . ثم ختم الآية بقوله ﴿ ولله عاقبة الأمور ﴾ أي مرجعها ومصيرها إلى حكمه وتقديره وقد أراد تمكين أهل هذا الدين في كل حين فيقع لا محالة .

التأويل : ﴿ ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام ﴾ القلب سواء فيه من سبق إليه مدة طويلة والذي يصل إليه في الحال لأفضل إلا بسبق مقامات القلب ومنازله ﴿ وإذ بوأنا لإبراهيم ﴾ الروح مكان بيت القلب ﴿ وطهر بيتي ﴾ عن غيري وهو كل ما فيه حظ النفس دون الواردات المطيفة والأخلاق الثابتة والأحوال المتوالية كالرغبة والرهبة والقبض والبسط والأنس والهيبة ﴿ رجالا ﴾ هي النفس وصفاتها ﴿ وعلى كل ضامر ﴾ هي البدن وجوارحه فإن الأعمال الشرعية قد ركبت الجوارح المرتاضة ، فأعمال البدن مركبة من حركات الجوارح ونيات الضمير كما أن أعمال النفس بسيطة . لأنها نيات الضمير فقط ﴿ من كل فج عميق ﴾ هو مصالح الدنيا لأن مصالحها بعيدة عن مصالح الآخرة ﴿ ليشهدوا منافع لهم ﴾ فمنافع النفس وصفاتها بتبديل الأخلاق ، ومنافع القلب والجوارح بظهور اثر الطاعة عليها ﴿ ويذكروا ﴾ اي القلب والنفس والقالب شكرا ﴿ على ما رزقهم من ﴾ تبديل الصفات البهيمية بالصفات الروحيانية فانتفعوا بها وأفيضوا منها على الطالبين فهو خير لأن العبد يصل بالطاعة إلى الجنة ويصل بحرمة الطاعة إلى الله ، وترك الخدمة يوجب العقوبة وترك الحرمة يوجب الفرقة . ﴿ وأحلت لكم ﴾ استعمال الصفات البهيمية بقدر الضرورة ﴿ إلا ما يتلى عليكم ﴾ في قولنا ﴿ ولا تسرفوا ﴾ [الأعراف : ٣١] وفي قول النبي A « من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه » ﴿ فاجتنبوا ﴾ مقتضيات الهوى وكونوا صادقين في الطلب لا مزورين مائلين إلى الحق غير طالبين معه غيره ، وخر من سماء القلب فاستلبه طير الشياطين أو تهوي به ريح الهوى والخذلان إلى أسفل سافلين البعد والحرمان . لكم في شواهد آثار صنع الإرشاد منافع وهي لذة العبور على المقامات ولذة البسط ولذة الأنس إلى أجل مسمى وهو حد الكمال ، ثم انتهاء السلوك إلى حضرة القديم . ولكل سالك جعلن مقصدا وطريقا ، منهم من يطلب الله من طريق المعاملات ، ومنهم من يطلبه من طريق المجاهدات ، ومنهم من يطلبه بطريق المعارف ، ومنهم من يطلبه به . ﴿ فله أسلموا ﴾ أي أخلصوا والإخلاص تصفية الأعمال من الآفات ، ثم الأخلاق من الكدورات ، ثم الأحوال من الالتفات ، ثم الأنفاس من الأغيار ﴿ وبشر المخبتين ﴾ عنى المستقيمين على هذه الطريقة . ﴿ وجلت قلوبهم ﴾ الوجل عند الذكر على حسب تجلي الحق للقلب ﴿ والصابرين على ما اصابهم ﴾ من غير تمني ترحة

---

(١) تفسير حقي، ٨/٤٠٦

ولا روم فرحة ﴿ والمقيمي الصلاة ﴾ الحافظين مع الله أسرارهم لا يطلبون إطلاع الخلق على أحوالهم ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ يبذلون الموجود في طلب المقصود والوجود بشهود المعبود ﴿ والبدن ﴾ يعني بدن الأبدان الجسام جعلنا قربانها عند كعبة القلب بذبحها عن شهواتها من شعائر أهل الصدق في الطلب ، فإذا ماتت عن طبيعتها فانتفعوا بها أنتم وغيركم من الطالبين والقانعين بما أفضتم عليه ، والمعترين المتعطشين الذين لا يروون ريا من ماء حياة المعرفة." (١)

"يخبر تعالى : أنه لم يزل ذبح المناسك وإراقة الدماء على اسم الله مشروعاً في جميع الملل ، قال ابن عباس ﴿ مَنسَكاً ﴾ : عيداً ، وقال عكرمة : ذبحاً ، وقال زيد بن أسلم في قوله : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكاً ﴾ : إنها مكة لم يجعل الله لأمة قط منسكاً غيرها ، وقوله : ﴿ لِّيَذْكُرُواْ اسم الله على مَا رَزَقَهُمْ مِّن بَهِيمَةِ الأنعام ﴾ كما ثبت في « الصحيحين » عن أنس قال : أتي رسول الله A بكبشين أملحين أقرنين فسمَّى وكبر ووضع رجله على صفاحهما . وقال الإمام أحمد بن حنبل عن زيد بن أرقم قال ، قلت أو قالوا : « يا رسول الله ما هذه الأضاحي؟ قال : » سنة أبيكم إبراهيم « ، قالوا : ما لنا منها؟ قال : بكل شعرة حسنة » ، قالوا : فالصوف؟ قال : « بكل شعرة من الصوف حسنة » ، وقوله : ﴿ فإلهكم إله وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُواْ ﴾ أي معبودكم واحد وإن تنوعت شرائع الأنبياء ونسخ بعضها بعضاً ، فالجميع يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نوحي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إله إِلاَّ أَنَاْ فاعبدون ﴾ [الأنبياء : ٢٥] ، ولهذا قال : ﴿ فَلَهُ أَسْلِمُواْ ﴾ أي أخلصوا واستسلموا لحكمه وطاعته ، ﴿ وَبَشِّرِ المخبتين ﴾ قال مجاهد : المطمئنين ، وقال الضحاك : المتواضعين ، وقال السدي : الوجلين ، وقال الثوري : المطمئنين الراضين بقضاء الله المستسلمين له ، وأحسن ما يفسر بما بعده وهو قوله : ﴿ الذين إِذَا ذُكِرَ الله وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ أي خافت منه قلوبهم ، ﴿ والصابرين على مَآ أَصَابَهُمْ ﴾ أي من المصائب ، قال الحسن البصري : والله لنبصبرن أو لنهلكن . ﴿ والمقيمي الصلاة ﴾ أي المؤدين حق الله فيما أوجب عليهم من أداء فريضة ، ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ أي وينفقون ما آتاهم الله من طيب الرزق على أهليهم وأقاربهم وفقرائهم ومحاويجهم ، ويحسنون إلى الخلق مع محافظتهم على حدود الله .." (٢)

"﴿ولكل أمة﴾ من الأمم لا لبعض منهم دون بعض فالتقديم للتخصيص.

﴿جعلنا منسكا﴾ متعبدا وقربانا يتقربون به إلى الله تعالى والمراد به إراقة الدماء لوجه الله تعالى.

والمعنى شرعنا لكل أمة مؤمنة أن ينسكوا له تعالى يقال نسك ينسك نسكا ونسوكا ومنسكا بفتح السين إذا ذبح القربان.

﴿ليذكروا اسم الله﴾ خاصة دون غيره ويجعلوا نسكهم لوجهه الكريم علل الجعل به تنبيها على أن المقصود الأصلي من المناسك تذكر المعبود.

﴿على ما رزقهم منا بهيمة الانعام﴾ عند ذبحها وفي تبيين البهيمة بإضافتها إلى الأنعام تنبيه على أن القربان يجب أن يكون من الأنعام وأما البهائم التي ليست من الأنعام كالخيل والبغال والحمير فلا يجوز ذبحها في القرابين.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٣٢

---

(١) تفسير النيسابوري، ٥/٤٠٧

(٢) تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير، ص/١٦٨٧

وفي "التأويلات النجمية" : ولكل سالك جعلنا طريقة ومقاما وقربة على اختلاف طبقاتهم فمنهم من يطلب الله من طريق المعاملات ومنهم من يطلبه من باب المجاهدات ومنهم من يطلبه به ليتمسك كل طائفة منهم في الطلب بذكر الله على ما رزقهم من قهر النفس وكسر صفاتها البهيمية والإنعامية فإنهم لا يظفرون على اختلاف طبقاتهم بمنازلهم ومقاماتهم إلا بقهر النفس وكسر صفاتها فيذكرون الله بالحمد والثناء على ما رزقهم من قهر النفس من العبور على المقامات والوصول إلى الكمالات.

﴿فإلاهكم إلاه واحد﴾ الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من الجعل المذكور والخطاب للكل تغليبا أي فإلهكم إله منفرد يمتنع أن يشاركه شيء في ذاته وصفاته وإلا لاختل النظام المشاهد في العالم.

﴿فله أسلموا﴾ أي فإذا كان إلهكم إله واحد فاجعلوا التقرب أو الذكر سالما له أي خالصا لوجهه ولا تشوبوه بالإشراك.

وبالفارسية (س مرورا كردن نهيد وقربانرا بشرك آميخته مسازيد).

وفي "التأويلات النجمية" : والإسلام يكون بمعنى الإخلاص والإخلاص

٣٣

تصفية الأعمال من الآفات ثم تصفية الأخلاق من الكدورات ثم تصفية الأحوال من الالتفاتات ثم تصفية الأنفاس من الأغيار.

﴿وبشر المخبتين﴾ المتواضعين أو المخلصين فإن الخبت هو المطمئن من الأرض وحقيقة المخبت من صار في خبت الأرض ولما كان الإخبات من لوازم التواضع والإخلاص صح أن يجعل كناية عنهما.

قال الكاشفي : (وبشارت ده أي محمد فروتنانرا بيزركي آن سرايا سكارانرا برحمت بي منتهى ، سلمي قدس سره فرمودهكه مزده ده مشتاقانرا بسعادت لقاكه هي مده ازين فرح آفزاي ترنيست س در صفت مختبين ميفرمايد).

﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ الوجل استشعار الخوف كما في "المفردات" أي : خافت منه تعالى لإشراق أشعة جلاله عليها وطلوع أنوار عظمته والوجل عند الذكر على حسب تجلي الحق للقلب.

هركرانور تجلي شد فزون

خشيت وخوفش بوداز حد برون

﴿والصابرين على مآ أصابهم﴾ من المصائب والكلف.

قال في "بحر العلوم" : الذين صبروا على البلايا والمصائب من مفارقة أوطانهم وعشائرهم ومن تجرع الغصص والأحزان واحتمال المشاق والشدائد في نصر الله وطاعته وازدياد الخير ومعنى الصبر الحبس يقال صبرت نفسي على كذا أي حبستها.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٣٢

وفي "التأويلات النجمية" : ﴿والصابرين على مآ أصابهم﴾ أي : خامدين تحت جريان الحكم من غير استكراه ولا تمنى خروجه ولا روم فرجه يستسلمون طوعا.

قال الحافظ :

اكر بلطف بخواني مزيد الطافست

وكر بقهر براني درون ما صافت

وقال :

بدرد وصاف تراحكم نيست دم دركش

كه هره ساقي ما كرد عين الطافست

وقال :

عاشقانرا كء درآتش مينشاند قهر دوست

تنك شمم كرد نظر زشمة كوثر كنم

وقال :

آشنايان ره عشق اكرم خون بخورند

نا كسم كر بشكايت سوى بيكانه روم

وقال :

حافظ از جور توباشا كه بنالد روزي

كه ازان روز كه دربند تؤام دلشادم

وأيضا الحافظين مع الله أسرارهم لا يطلبون السلوة باطلاع الخلق على أحوالهم ﴿والمقيمى الصلواة﴾ في أوقاتها أصله مقيمين والإضافة لفظية.

وفي "التأويلات النجمية" : والمديمي النجوى مع الله كقوله : ﴿الذين هم على صلاتهم دآامون﴾ (المعارج : ٢٣) قال شاعرهم :

إذا ما تمنى الناس روحا وراحة

تمنيت أن أشكو إليك وتسمع

﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ في وجوه الخيرات قدم المفعول إشعارا بكونه أهم كأنه قيل : ويخصون بعض المال الحلال بالتصدق به والمراد به إما الزكاة المفروضة لاقترانها بالصلاة المفروضة أو مطلق ما ينفق في سبيل الله لوروده مطلق اللفظ من غير قرينة الخصوص وفي الحديث : "بدلاء أمتي لا يدخلون الجنة بصيامهم وقيامهم ولكن دخلوها بسلامة الصدر وسخاء النفس

٣٤

والنصح للمسلمين".

واعلم أن خدمة المولى بالمال وبالوجود سبب لسعادة الدنيا والعقبى.

." (١)

---

(١) تفسير روح البيان . ، ٢٣/٦

"** إِنّ الّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنّاسِ سَوَآءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله: ﴿سواء العاكف فيه والباد﴾ قال: ينزل أهل مكة وغيرهم في المسجد الحرام.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: بظلم بشرك

** ثُمّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطّوّفُواْ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ

قوله: ﴿ثم ليقضوا تفثهم﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: وهو وضع الإحرام من حلق الرأس ولبس الثياب وقص الأظافر ونحو ذلك

قوله: ﴿وليوفوا نذورهم﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: يعني نحر ما نذر من أمر البدن.

** وَلِكُلّ أُمّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكاً لّيَذْكُرُواْ اسْمَ اللّهِ عَلَىَ مَا رَزَقَهُمْ مّن بَهِيمَةِ الأنْعَامِ فَإِلَـَهُكُمْ إِلَـَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُواْ وَبَشّرِ الْمُخْبِتِينَ *

قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿ولكل أمة جعلنا منسكاً﴾ قال: عيداً.

** وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مّن شَعَائِرِ اللّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُواْ اسْمَ اللّهِ عَلَيْهَا صَوَآفّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرّ كَذَلِكَ سَخّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلّكُمْ تَشْكُرُونَ

قال الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس في قوله: ﴿فاذكروا اسم الله عليها صواف﴾ قال: قياماً على ثلاث قوائم، معقولة يدها اليسرى، يقول: باسم الله والله أكبر لا إله إلا الله، اللهم منك ولك، وكذلك روي عن مجاهد وعلي بن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس نحو هذا.

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: القانع المتعفف، والمعتر السائل." (١)

"٥٩٨ - أخبركم أبو الفضل الزهري ، نا عبد الله بن سليمان بن الأشعث قراءة عليه ، نا محمد بن المصفى ، نا يحيى بن سعيد العطار ، نا يزيد بن عطاء ، عن علقمة بن مرثد ، قال : انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين ، منهم : عامر بن عبد الله ، وأويس القرني ، وهرم بن حيان ، والربيع بن خثيم ، وأبو مسلم الخولاني ، والأسود بن يزيد ، ومسروق بن الأجدع ، والحسن بن أبي الحسن البصري ، رضوان الله عليهم . فأما عامر بن عبد الله ، إن كان ليصلي ، فيتمثل له إبليس في صورة الحية ، فيدخل تحت قميصه حتى يخرج من جيبه فما يمسه ، فقلت له : ألا تنحي الحية عنك ؟ قال : أستحي من الله D أن أخاف سواه ، فقيل له : إن الجنة تدرك بدون ما تصنع ، وتتقى النار بدون ما تصنع ، فقال : والله لأجهدن ، فإن نجوت فبرحمة الله D ، وإن دخلت النار فلبعد جهدي ، فلما احتضر بكى ، فقيل له : أتجزع من الموت ، وتبكي ، قال : مالي لا أبكي ، ومن أحق بذلك مني ، والله ما أبكي جزعا من الموت ولا حرصا على دنياكم رغبة فيها ، ولكني أبكي على ظمأ الهواجر وقيام ليل الشتاء ، وكان يقول : ألهى في الدنيا الهموم والأحزان ، وفي الآخرة الحساب والعذاب ،

---

(١) صحيفة علي بن أبي طلحة (الوالبي) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ص/٨٤

فأين الروح والفرج . وأما الربيع بن خثيم ، فقيل له حين أصابه الفالج : لو تداويت ، قال : قد علمت أن الدواء حق ، ولكني ذكرت : وعادا وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا (١) ، وكانت فيهم الأوجاع وكانت فيهم الأطباء ، فما بقي المداوي والمداوى ، وقال غيره : لا الناعت ولا المنعوت له ، وقيل له : ألا تذكر الناس ، قال : ما أنا عن نفسي براض ، فأتفرغ من ذمها إلى ذم الناس ، إن الناس خافوا الله D ، في ذنوب الناس وأصروا على ذنوبهم ، قال : فقيل له : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحنا ضعفاء مذنبين ، نأكل أرزاقنا وننتظر آجالنا قال : وكان ابن مسعود إذا رآه قال : وبشر المخبتين (٢) . أما لو رآك محمد A لأحبك ، وكان الربيع بن خثيم يقول : أما بعد : فأعد زادك ، وخذ في جهازك ، وكن وصي نفسك . وأما أبو مسلم الخولاني ، فلم يجالس أحدا قط فتكلم في شيء من أمر الدنيا ، إلا تحول عنه ، فدخل ذات يوم المسجد ، فنظر إلى قوم قد اجتمعوا ، فرجى أن يكونوا على ذكر وخير ، فجلس إليهم ، فإذا بعضهم يقول : قدم غلام لي فأصاب كذا وكذا ، وقال الآخر : جهزت غلامي ، فنظر إليهم فقال : سبحان الله أتدرون ما مثلي ومثلكم ، كرجل أصابه مطر غزير وابل ، فالتفت فإذا هو بمصراعين عظيمين فقال : لو دخلت هذا حتى يذهب عني هذا المطر ، فدخل فإذا البيت لا سقف له ، جلست إليكم وأنا أرجو أن تكونوا على خير ، فإذا أنتم أصحاب دنيا . قال له قائل حين كبر ورق : لو قصرت عن بعض ما تصنع ، فقال : أرأيتم لو أرسلتم الخيل في الحلبة ، ألستم تقولون لفارسها : ودعها وأرفق بها حتى إذا رأيت الغاية ، فلا تستبق منه شيئا ، قالوا : بلى ، قال : فإني قد أبصرت الغاية ، وإن لكل ساع غاية ، وغاية كل شيء الموت ، فسابق ومسبوق . وأما الأسود بن يزيد ، فكان مجاهدا في العبادة ، ويصوم حتى يصفر جسده ، ويخضر ، فكان علقمة بن قيس يقول له : لم تعذب هذا الجسد هذا العذاب ، فيقول : إن الأمر جد ، كرامة هذا الجسد أريد ، فلما احتضر ، بكى ، فقيل له : ما هذا الجزع قال : مالي لا أجزع ، ومن أحق بذلك مني ، والله لو أتيت بالمغفرة من الله ، لهمني الحياء منه مما صنعت ، إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير ، فيعفو عنه فلا يزال مستحيا منه حتى يموت ، ولقد حج ثمانين حجة . وأما مسروق بن الأجدع ، فإن امرأته قالت : ما كان يوجد إلا وساقيه قد انتفختا من طول الصلاة ، قالت : وإن كنت والله لأجلس خلفه فأبكي رحمة له ، فلما احتضر بكى ، فقيل له : ما هذا الجزع ؟ فقال : ومالي لا أجزع وإنما هي ساعة ، ثم لا أدري أين يسلك بي . وأما الحسن بن أبي الحسن ، فما رأيت أحدا من الناس كان أطول حزنا منه ، ما كنا نرى إلا أنه حديث عهد بمصيبة ، ثم قال : نضحك ولا ندري لعل الله تعالى اطلع على بعض أعمالنا فقال : لا أقبل منكم شيئا ، ويحك يا ابن آدم ، هل لك بمحاربة الله من طاقة ، إنه من عصى الله تعالى ، فقد حاربه ، والله لقد أدركت سبعين بدريا أكثر لباسهم الصوف ، ولو رأيتموهم ، لقلتم : مجانين ، ولو رأوا خياركم ، لقالوا : ما لهؤلاء عند الله من خلاق ، ولو رأوا شراركم لقالوا : ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب ، ولقد رأيت إخوانا كانت الدنيا أهون على أحدهم من التراب تحت قدمه ، ولقد رأيت أقواما عسى أن لا يجد أحدهم عشاء ولا قوتا ، فيقول : والله ، لا أجعل هذا كله في بطني ، لأجعلن بعضه لله D ، فيتصدق ببعضه ، وإن كان هو أحوج ممن تصدق به عليه . قال علقمة بن مرثد : فلما قدم عمر بن هبيرة العراق ، أرسل إلى الحسن وإلى الشعبي Bهما ، فأمر لهما ببيت كانا فيه شهرا ، أو نحوه ، ثم إن الخصي غدا عليهما فقال : إن الأمير داخل عليكما ، فجاء عمر يتوكأ على عصا له ، فسلم ، ثم جلس تعظيما لهما فقال : إن أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك ، يكتب إلى كتبا ، أعرف أن في إنفاذها الهلكة ، فإن أطعته عصيت الله ، وإن

عصيته أطعت الله تعالى ، فهل تريان لي في متابعتي إياه فرجا ؟ فقال الحسن : يا أبا عمرو ، أجب الأمير ، فتكلم الشعبي ، فانحط في شأن ابن هبيرة فقال : ما تقول أنت يا أبا سعيد ؟ قال : فقال : أيها الأمير ، قد قال الشعبي ما قد سمعت ، قال : ما تقول أنت ؟ قال : أقول : يا عمر بن هبيرة ، يوشك أن ينزل بك ملك من ملائكة الله D ، فظا غليظا لا يعصي الله ما أمره ، فيخرجك من سعة قصرك ، فصرت في ضيق قبرك ، يا عمر بن هبيرة ، إن تتقي الله D يعصمك من يزيد بن عبد الملك ، ولن يعصمك يزيد بن عبد الملك من الله ، يا عمر بن هبيرة ، لا تأمن أن ينظر الله إلى قبح ما تعمل في طاعة يزيد بن عبد الملك ، نظرة مقت ، فيغلق بها باب المغفرة دونك ، يا عمر بن هبيرة ، لقد أدركت ناسا من صدر هذه الأمة كانوا – والله – على الدنيا وهي مقبلة أشد إدبارا من إقبالكم عليها وهي مدبرة ، يا عمر بن هبيرة ، إني أخوفك مقاما خوفكه الله سبحانه وتعالى فقال : ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد (٣) ، يا عمر بن هبيرة ، إن تك مع الله D على طاعته ، كفاك الله – والله – يزيد بن عبد الملك ، وإن تك مع يزيد بن عبد الملك على معاصي الله D ، وكلك الله D إليه ، فبكى عمر بن هبيرة ، وقام بعبرته ، فلما كان من الغد أرسل إليهما بإذنهما ، وجوائزهما ، فكثر فيها للحسن ، وكان في جائزة الشعبي بعض الإقتار ، فخرج الشعبي إلى المسجد فقال : يا معشر الناس من استطاع أن يؤثر الله D على خلقه فليفعل ، فوالذي نفسي بيده ، ما علم الحسن منه شيئا فجهلته ، ولكني أردت وجه ابن هبيرة ، فأقصاني الله تعالى منه ، وكان الحسن Bه ، مع الله في طاعته ، فحياه وأدناه . قال : فقام المغيرة بن مخادش ذات يوم إلى الحسن فقال : كيف نصنع بمجالسة قوم يخوفونا حتى تكاد قلوبنا تطير ؟ ، فقال الحسن : والله لأن تصحب أقواما يخوفونك ، حتى تدرك أمنا خير لك من أن تصحب أقواما يؤمنونك حتى تلحقك المخاوف ، فقال له بعض القوم : أخبرنا بصفة أصحاب النبي A ، فبكى ، ثم قال : ظهرت منهم علامات الخير في السر والسمت والصدق ، وحسنت علانيتهم بالاقتصاد ، وممشاهم بالتواضع ومطلعهم بالفصل ، وطيب مطعمهم ومشربهم بالطيب من الرزق ، وبصرهم بالطاعة ، واستعدادهم للحق فيما أحبوا وكرهوا ، وإعطاؤهم الحق من أنفسهم للعدو والصديق ، وبحفظهم في المنطق مخافة الوزر ، ومسارعتهم في الخير رجاء الأجر ، والاجتهاد لله تعالى ، ومزاحاتهم ، وكانوا أوصياء أنفسهم ، ظمئت هواجرهم ، وكلت أجسامهم لله D ، واستحبوا سخط المخلوقين برضا خالقهم ، لم يفرطوا في غضب ولم يخوضوا في جور ، ولم يجاوزوا حكم الله تعالى في القرآن ، فشغلوا الألسن بالذكر ، بذلوا لله تعالى دماءهم حين اشتراهم ، وبذلوا لله أموالهم حين استقرضهم ، لم يكن خوفهم من المخلوقين ، حسنت أخلاقهم وهانت مؤنتهم ، كفاهم اليسير من دنياهم إلى آخرتهم . وأما أويس القرني ، وهرم بن حيان ، فإن أهله ظنوا أنه مجنون ، فبنوا له بيتا عند باب دارهم ، فكانت تأتي عليه السنة والسنتان لا يرون له وجها ، فكان طعامه ما يلتقط من النوى ، فإذا أمسى باعه لإفطاره ، وإذا أصاب حشفة حبسها لإفطاره ، فلما ولي عمر بن الخطاب ، Bه ، قال : أيها الناس ، قوموا بالموسم ، فقاموا فقال : ألا اجلسوا إلا من كان من أهل الكوفة ، فجلسوا فقال : ألا اجلسوا إلا من كان من أهل اليمن ، فجلسوا فقال : ألا اجلسوا إلا من كان من مراد ، فجلسوا فقال : ألا اجلسوا إلا من كان من قرن ، فجلسوا إلا رجل ، وكان ابن عم أويس بن أنس فقال له عمر : أقرني أنت ؟ قال : نعم ، فقال : تعرف أويسا ؟ فقال : وما تسأل عن ذلك ، يا أمير المؤمنين ، فوالله ، ما فينا أحمق منه ، ولا أجن منه ، ولا أحوج منه ، فبكى عمر ، ثم قال : سمعت رسول الله صلوات الله عليه وسلم يقول : « يدخل الجنة بشفاعة رجل منكم مثل ربيعة ومضر » . قال هرم بن

حيان : فلما بلغني ذلك قدمت الكوفة ، فلم يكن لي هم إلا طلبه ، حتى سقطت عليه وهو جالس على شاطئ الفرات نصف النهار يتوضأ ، فعرفته بالنعت الذي نعت لي ، فإذا هو رجل لحيم آدم شديد الأدمة أشعر محلوق الرأس ، مهيب المنظر ، وزاد غيره قال : كان رجلا أشهل أصهب عريض ما بين المنكبين وفي عنقه اليسرى وضح ، وضارب بلحيته على صدره ، ناصب بصره ، فسلمت عليه ، فرد علي ، فنظر إلي ومددت يدي لأصافحه فأبى أن يصافحني ، فقلت : يرحمك الله يا أويس وغفر لك ، رحمك الله ، كيف أنت ، رحمك الله ، ثم خنقتني العبرة من حبي إياه ، ورقتي عليه ، لما رأيت من حالته ، حتى بكيت وبكى قال : وأنت حياك الله يا هرم بن حيان ، كيف أنت يا أخي من دلك علي ؟ فقلت : الله D ، فقال : لا إله إلا الله ، سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا (٤) ، فقلت له : من أين عرفت اسمي واسم أبي ، وما رأيتك قبل اليوم قال : أنبأني العليم الخبير ، عرفت روحي روحك حين كلمت نفسي نفسك ، إن الأرواح لها أنفاس كأنفاس الأجساد ، وإن المؤمنين يعرف بعضهم بعضا ، ويتحابون بروح الله تعالى ، ولو لم يلتقوا ويتعارفوا ، وإن نأت بهم الدار ، وتفرقت بهم المنازل ، فقلت : حدثني ، يرحمك الله ، عن رسول الله A فقال : إني لم أر رسول الله ، ولم يكن لي معه صحبة ، بأبي وأمي رسول الله A ، ولكن قد رأيت رجالا قد أدركوه ، ولست أحب أن أفتح هذا الباب على نفسي أن أكون محدثا ، أو قاصا ، أو مفتيا ، في نفسي شغل عن الناس ، فقلت : أي أخي ، اقرأ علي آيات من كتاب الله D ، أسمعها منك ، أو أوصني بوصية أحفظها عنك ، فإني أحبك في الله D ، قال : فأخذ بيدي ، ثم قال : أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم قال ربي وأحق القول ، قول ربي ، وأصدق الحديث حديث ربي D ، ثم قرأ : وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين ، ما خلقناهما إلا بالحق إلى قوله : العزيز الرحيم (٥) ، فشهق شهقة ، فنظرت إليه وأنا أحسبه قد غشي عليه قال : يا ابن حيان ، مات أبوك ، يا ابن حيان ، ويوشك أن تموت فإما إلى الجنة ، وإما إلى النار ، ومات أبوك آدم عليه السلام ، وماتت أمك حواء ، يا ابن حيان ، ومات نوح نبي الله A ، ومات إبراهيم خليل الله ، مات موسى نجي الرحمن ، ومات داود خليفة الرحمن ، ومات محمد صلوات الله عليه وعليهم ، ومات أبو بكر خليفة رسول الله A ، ومات أخي وصديقي عمر بن الخطاب ، Bه ، فقلت : يرحمك الله ، إن عمر لم يمت ، قال : بلى ، قد نعاه ربي إلى نفسي ، وأنا وأنت في الموتى ، ثم صلى على النبي صلوات الله عليه وسلم ، ودعا بدعوات خفاف ، ثم قال : هذه وصيتي إياك ، كتاب الله D ، ونعي المرسلين ، ونعي صالح المؤمنين ، فعليك بذكر الموت ، فلا يفارق قلبك طرفة عين ما بقيت ، وأنذر قومك إذا رجعت إليهم ، وانصح الأمة جميعا ، وإياك أن تفارق الجماعة ، فتفارق دينك وأنت لا تعلم ، فتدخل النار ، وادع لي في نفسك ، ثم قال : اللهم إن هذا زعم أنه يحبني فيك ، وزارني فيك ، فعرفني وجهه في الجنة ، وأدخله علي في دارك ، دار السلام ، واحفظه ما دام في الدنيا حيا ، وأرضه من الدنيا باليسير ، واجعله لما أعطيته من نعمك من الشاكرين ، واجزه عني خيرا ، ثم قال : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، لا أراك بعد اليوم ، رحمك الله ، فإني أكره الشهرة ، والوحدة أعجب إلي لأني كثير الغم ما دمت مع هؤلاء الناس حيا ، فلا تطلبني ، ولا تسأل عني ، واعلم أنك مني على بال ، وإن لم أرك وتراني ، فاذكرني وادعو لي ، فإني سأدعو لك ، وأذكرك ، إن شاء الله ، انطلق أنت هاهنا حتى آخذ أنا هاهنا ، فحرجت عليه أن أمشي معه ساعة ، فأبى علي ، ففارقته أبكي ويبكي ، فجعلت أنظر في قفاه حتى دخل في بعض السكك ، ثم سألت عنه بعد ذلك ، وطلبته فما رأيت أحدا يخبرني عنه بشيء ، C وغفر له ، وما أتت علي جمعة إلا وأنا

أراه في منامي مرة أو مرتين رحمة الله عليه «

---

(١) سورة : الفرقان آية رقم : ٣٨

(٢) سورة : الحج آية رقم : ٣٤

(٣) سورة : إبراهيم آية رقم : ١٤

(٤) سورة : الإسراء آية رقم : ١٠٨

(٥) سورة : الدخان آية رقم : ٤٢." (١)

"١١٨٨ – حدثنا علي ، ثنا الحسن بن سفيان ، ثنا محمود بن خالد قال : سمعت أبي يقول : « ما قرأت هذه الآية وبشر المخبتين (١) إلا ذكرت سعيد بن جبير »

---

(١) سورة : الحج آية رقم : ٣٤." (٢)

" ٧٩ – حدثنا الحسين قال حدثنا عبد الله قال حدثنا على بن الحسن عن عبدة بن سليمان عن مصعب بن ماهان عن سفيان في قوله وبشر المخبتين قال المطمئنين الراضين بقضائه المستسلمين له ." (٣)

"٢٨٨ – حدثنا الحسن بن محمد بن عثمان الفارسي ، بالبصرة ، ثنا يعقوب بن سفيان ، ثنا زكريا بن نافع الأرسوفي ، ثنا محمد بن مسلم ، عن عثمان بن عبد الله بن أوس ، عن عمرو بن أوس ، في قوله : وبشر المخبتين (١) قال : « الذين لا يظلمون ، وإذا ظلموا لم ينتصروا »

---

(١) سورة : الحج آية رقم : ٣٤." (٤)

" ٩١ – حدثنا محمد بن عثمان العجلي حدثنا أبو أسامة عن [ص ١٢١] جويبر عن الضحاك : وبشر المخبتين قال المتواضعين ." (٥)

"عن عبد الله بن ميمون القداح عن إسماعيل بن أمية قال: قال الله تبارك وتعالى لموسى صلى الله عليه وسلم: إني إنما أقبل صلاة من تواضع لعظمتي ولم يتعظم على خلقي وألزم قلبه خوفي وقطع النهار بذكري وكف نفسه عن الشهوات

---

(١) حديث أبي الفضل الزهري، ٩٩/٢

(٢) معجم ابن المقرئ، ٢٥٩/٣

(٣) الرضا عن الله بقضائه، ص/٩٩

(٤) الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك لابن شاهين، ٣٢٠/١

(٥) التواضع والخمول، ص/١٢٠

من أجلي، وأطعم الجائع وكسى العاري وآوى الغريب فذلك الذي يشرق نور وجهه يوم القيامة مثل الشمس، يدعوني فألبي له ويسألني فأعطيه وأجعل له في الجهالة حلماً وفي الظلمات نوراً، أكلأه بعزتي وأستحفظه ملائكتي فمثل ذلك العبد في الناس كمثل جنات عدن في الجنان لا تنقطع ثمارها ولا تُغير عن حالها. ص١٤١

عن جعفر بن النعمان الرازي عن يوسف بن أسباط قال: يجزئ قليل الورع من كثير العمل، ويجزىء قليل التواضع من كثير الاجتهاد. ص١٤١

عن إبراهيم بن الأشعث قال: سألت الفضيل عن التواضع قال: التواضع أن تخضع للحق وتنقاد له ولو سمعته من صبي قبلته منه ولو سمعته من أجهل الناس قبلته منه. ص١٤١-١٤٢

عن أبي صالح الفراء قال: سمعت ابن المبارك يقول: رأس التواضع أن تضع نفسك عند من هو دونك في نعمة الدنيا حتى تُعلمه أن ليس لك بدنياك عليه فضل وأن ترفع نفسك عمن هو فوقك في نعمة الدنيا حتى تعلمه أنه ليس له بدنياه عليك فضل. ص١٤٢

عن عمر بن خالد عن قتادة قال: من أعطي مالا أو جمالا وثيابا وعلما ثم لم يتواضع كان عليه وبالاً يوم القيامة. ص١٤٢

عن جويبر عن الضحاك: (وبشر المخبتين) قال: المتواضعين. ص١٤٢-١٤٣

عن إسماعيل بن ذكوان قال: دُخل على النجاشي في عقب نعمة، قال: وعليه أطلاس وهو مرسل رأسه فقال بعض القوم: أيها الملك أو لم تنبئنا أن قد سررت؟! قال: بلى، قال: ما هذه الاستكانة؟! قال: إني قرأت فيما أوحى الله تبارك وتعالى إلى عيسى بن مريم: إذا أنعمت عليك نعمة فاستقبلها بالاستكانة أتمها عليك. ص١٤٣." (١)

" الحسين قال أخبرنا ابن المبارك قال أخبرنا جرير بن حازم قال سمعت أبا يزيد المدني يقول كان يقال إن أول ما يرفع عن هذه الأمة الخشوع

١٧٦ - أخبركم أبو عمر بن حيويه وأبو بكر الوراق قالا أخبرنا يحيى قال حدثنا الحسين قال أخبرنا ابن المبارك قال أخبرنا ابن عون عن مسلم أبي عبدالله قال كان عبدالله بن مسعود إذا رأي الربيع بن خثيم قال وبشر المخبتين

١٧٧١ ٧ - ١ أخبركم أبو عمر بن حيويه وأبو بكر الوراق قالا أخبرنا يحيى قال حدثنا الحسين قال أخبرنا ابن المبارك قال أخبرنا زائدة عن هشام بن حسان عن الحسن قال والله لقد أدركت أقواما ما كانوا يشبعون ذلك الشبع يأكل أحدهم حتى إذا رد نفسه أمسك ذائبا ناحلا مقبلا عليه فمه

١٧٧٢ ٧ - ٢ قال وقال الحسن أدركتهم والله لقد كان أحدهم يعيش عمره كله ما طوي له ثوب قط ولا أمر أهله بصنعة طعام له ولا جعل بينه وبين الأرض شيئا قط // أخرجه أبو نعيم ." (٢)

"تفسير قوله تعالى: (ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله)

قال الله تعالى: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا

---

(١) تقريب كتاب التواضع والخمول، ص/١٣

(٢) الزهد لابن المبارك، ص/٥٧

وبشر المخبتين * الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾ [الحج:٣٤ - ٣٥].

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [يخبر تعالى أنه لم يزل ذبح المناسك وإراقة الدماء على اسم الله مشروعا في جميع الملل، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا﴾ [الحج:٣٤]، قال: عيدا، وقال عكرمة: ذبحا، وقال زيد بن أسلم في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا﴾ [الحج:٣٤] أنها مكة لم يجعل الله لأمة قط منسكا غيرها.

وقوله: ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ [الحج:٣٤]، كما ثبت في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: (أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين أقرنين فسمى وكبر ووضع رجله على صفاحهما).

قال الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا يزيد بن هارون: أنبأنا سلام بن مسكين عن عائذ الله المجاشعي عن أبي داود - وهو نفيع بن الحارث - عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: (قلت أو قالوا: يا رسول الله، ما هذه الأضاحي؟ قال: سنة أبيكم إبراهيم، قالوا: ما لنا منها؟ قال: بكل شعرة حسنة، قال: فالصوف؟ قال: بكل شعرة من الصوف حسنة).

وأخرجه الإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة في سننه من حديث سلام بن مسكين به، وقوله تعالى: ﴿فإلهكم إله واحد فله أسلموا﴾ [الحج:٣٤]، أي: معبودكم واحد وإن تنوعت شرائع الأنبياء ونسخ بعضها بعضا فالجميع يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له].

الحديث السابق ضعيف جدا، ولا شك أن الأضاحي والهدايا فيها أجر وثواب عظيم، لكن التخصيص بكل شعرة حسنة بهذا الحديث ضعيف.

وهي ثابتة بالقرآن كما قال تعالى: ﴿ملة أبيكم إبراهيم﴾ [الحج:٧٨] ويكفي العمل بالسنة، فمن عمل بالسنة فله أجر عظيم، وله ثواب كبير، لكن غير مقدر والله أعلم.

قال المصنف رحمه الله تعالى: [﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ [الأنبياء:٢٥]، ولهذا قال: ﴿فله أسلموا﴾ [الحج:٣٤]، أي: أخلصوا واستسلموا لحكمه وطاعته ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج:٣٤]، قال مجاهد: المطمئنين، وقال الضحاك وقتادة: المتواضعين، وقال السدي: الوجلين، وقال عمرو بن أوس: المخبتين: الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا، وقال الثوري: ((وبشر المخبتين)) قال: المطمئنين الراضين بقضاء الله المستسلمين له.

وأحسن ما يفسر بما بعده وهو قوله: ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ [الأنفال:٢]، أي: خافت منها قلوبهم].

قوله: المخبتين: تفسيرها الآية التي بعدها وهي قوله تعالى: ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾ [الحج:٣٥]، فهؤلاء هم المخبتون، وقد خصهم الله بهذا، وهم: الصابرون على ما أصابهم، والمقيمين الصلاة، والمنفقون مما رزقهم الله.

قال المصنف رحمه الله تعالى: [﴿والصابرين على ما أصابهم﴾ [الحج:٣٥]، أي: من المصائب، قال الحسن البصري: والله لنصبرن أو لنهلكن، ﴿والمقيمي الصلاة﴾ [الحج:٣٥]، قرأ الجمهور بالإضافة السبعة وبقية العشرة، وقرأ ابن السميفع والمقيمين الصلاة بالنصب].

إذا: تكون قراءة شاذة إذا كانت خارجة عن قراءة السبعة والعشرة.

وقرأ الحسن وابن أبي إسحاق وأبو عمرو في رواية عنه: الصلاة بالنصب، وأبو عمرو أحد القراء السبعة.

قال المصنف رحمه الله تعالى: [وعن الحسن البصري ((والمقيمي الصلاة)) وإنما حذفت النون ها هنا تخفيفا، ولو حذفت للإضافة لوجب خفض الصلاة، ولكن على سبيل التخفيف فنصبت، أي: المؤدين حق الله فيما أوجب عليهم من أداء فرائضه ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ [الحج:٣٥]، أي: وينفقون ما آتاهم الله من طيب الرزق على أهليهم وأقاربهم وفقرائهم ومحاويجهم ويحسنون إلى الخلق مع محافظتهم على حدود الله، وهذه بخلاف صفات المنافقين فإنهم بالعكس من هذا كله كما تقدم تفسيره في سورة براءة].." (١)

"وفي قوله تعالي: (يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا) "٤٤/المائدة "أي أخلصوا، ووصف الأنبياء هنا بالإسلام هو تعظيم للصفة في نفسها وتنويه بها.

أسلم: (وأمرت أن أسلم لرب العالمين) " ٦٦/غافر" أي أخلص.

تسلمون: (كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون) "٨١/النحل" أي تخلصون.

لنسلم: (قل إن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين) "٧١/الأنعام "أي لنخلص.

يسلم: (ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى) "٢٢/لقمان " أي يخلص.

يسلمون: (قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون) "١٦/الفتح" أي ينقادون ويذعنون.

أسلم: (إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين) "١٣١/البقرة ".أي انقد أو أخلص.

أسلموا: (فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين) "٣٤/الحج".أي أخلصوا، وكذلك ما في "٥٤/الزمر".

٨ - الإسلام: الانقياد لله ولما جاء من الشرائع والأحكام.

الإسلام: (إن الدين عند الله الإسلام) "١٩/آل عمران " هو الانقياد لله ولما جاء من الشرائع والأحكام.

١٠ - المسلم المنقاد لله ولما جاء من الشرائع، وهي مسلمة وهما مسلمان وهم مسلمون وهن مسلمات.." (٢)

"الاستسلام في كل أمر لله

قال سبحانه: ﴿فإلهكم إله واحد فله أسلموا﴾ [الحج:٣٤] أي: وإن اختلفت شرائع الأمم، فهؤلاء يزيدهم أوامر، وهؤلاء يضع عنهم آصارا وأغلالا، وغير ذلك، ولكن في النهاية فإن الجميع مأمورون بطاعة الله، وبعبادته على الدين الذي شرعه سبحانه.

﴿فإلهكم إله واحد﴾ [الحج:٣٤] أي: فلا إله إلا الله، ولا معبود بحق إلا الله سبحانه تبارك وتعالى.

﴿فله﴾ [الحج:٣٤] أي: وحده لا شريك له.

---

(١) شرح تفسير ابن كثير - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٤/١٠٩

(٢) معجم وتفسير لغوى لكلمات القرآن، حسن عز الدين الجمل ٣٣٧/٢

﴿أسلموا﴾ [الحج:٣٤]، وهذا دين الإسلام الذي أمر الله به عباده، وأمر به الرسل أن يسلموا أنفسهم لله رب العالمين.
وعلى العبد أن يكون كما قال تعالى: ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لا شريك له﴾ [الأنعام:١٦٢ – ١٦٣]، فهنا أمر الله النبي صلى الله عليه وسلم، وأمر الأنبياء من قبله، أن تكون حياتهم كلها طاعة لرب العالمين، فخصص في قوله: ﴿قل إن صلاتي ونسكي﴾ [الأنعام:١٦٢]، ثم عمم بقوله: ﴿ومحياي ومماتي﴾ [الأنعام:١٦٢] أي: كل شيء في حياتي يكون لله رب العالمين، فالإنسان تكون حياته كلها عبادة لله سبحانه، بصلاة أو صوم، أو أي عبادة تعمل، سواء في قيامه أو في نومه فهو يعبد الله في ذلك، فهو ينام ليستريح فيقوم ليكمل عبادة رب العالمين سبحانه.
وكذلك إذا أشغل لعمله فهو يريد أن يتحرى الحلال، فيعبد الله عز وجل بطاعته، وذلك باجتنابه المحرمات، مستحضرا الخوف من الله سبحانه، فهذه أيضا عبادة لرب العالمين سبحانه.
وكذلك يتعبد لله بصلاته، بصومه، بزكاته، بحجه، باعتكافه، بنذره، بجهاده، بأمره بالمعروف بنهيه عن المنكر، إذا: يكون عمله كله عبادة لله رب العالمين، فقال تعالى هنا: ﴿فله﴾ [الحج:٣٤] أي: الإله الواحد لا شريك له.
﴿أسلموا﴾ [الحج:٣٤] أي: استسلموا له، وسلموا إليه قلوبكم وأبدانكم، ووجهوا وجوهكم له وحده.
﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج:٣٤]، والإنسان المخبت هو: المطيع المتواضع، الخاشع لله سبحانه، وأصل الخبت هو: ما انخفض من الأرض، ومنه: الأرض المخبتة، وهذه أرض خبت أي: فيها انخفاض، فعلى الإنسان أن يتواضع ويذلل نفسه لله رب العالمين.
فقوله: ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج:٣٤] أي: يبشر المتواضعين لله سبحانه.
وقد جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (من تواضع لله رفعه الله).
إن الله عز وجل يبشر هؤلاء هنا، وهم المتواضعون الخاشعون من المؤمنين، نسأل الله عز وجل أن يجعلنا منهم.
أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم.
وصل اللهم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.." (١)
"تفسير سورة الحج [٣٤ - ٣٦]
أمر الله تعالى جميع الأمم أن يوحدوه، وجعل لكل أمة منسكا وعيدا ليذكروا اسم الله فيه على ما رزقهم من بهيمة الأنعام، وأمر الله رسوله أن يبشر المخبتين بكل خير في الدنيا والآخرة، وهم الخائفون من الله الصابرون على أقدار الله، المقيمون الصلاة والمنفقون مما رزقهم الله.." (٢)
"تفسير قوله تعالى: (ولكل أمة جعلنا منسكا)
الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.
اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ١٠/٢٧
(٢) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ١/٢٨

قال الله عز وجل في سورة الحج: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين * الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون﴾ [الحج:٣٤ - ٣٦].

ذكر الله سبحانه تبارك وتعالى أنه جعل لكل أمة منسكا أي: ذبائح يذبحونها وطاعات يفعلونها متقربين بها إلى ربهم سبحانه تبارك وتعالى، وكل أمة شرع الله عز وجل لهم عبادات يعبدون الله سبحانه تبارك وتعالى بها، فالذبائح كانت لكل أمة من الأمم يتقربون لله عز وجل بذبحها.

والنسك يأتي بمعنى العبادة والطاعة لله سبحانه تبارك وتعالى، فالأمم كلها وإن اختلفت شرائعهم يتفقون في أمر توحيد الله سبحانه وعبادة الله وحده لا شريك له.

قال الله: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ [الحج:٣٤]، فالغرض من الذبح هو ذكر اسم الله سبحانه تبارك وتعالى.

ثم قال: ﴿فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين﴾ [الحج:٣٤] الإله واحد فاعبدوه وحده لا شريك له، متقربين إليه بالصلاة، وبالذبح، وسائر الطاعات؛ فإذا أسلمتم لله عز وجل وأخبتم أي: أطعتم الله وتواضعتم وخشعتم لله سبحانه فلكم البشارة، قال: ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج:٣٤].." (١)

"أنا عبد الرحمن، قال: نا إبراهيم، قال: نا آدم، قال: نا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] قال: «المطمئنين»." (٢)

"[سورة الحج (٢٢) : الآيات ١ الى ٧٨]

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم (١) يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد (٢) ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد (٣) كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير (٤)

يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج (٥) ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحي الموتى وأنه على كل شيء قدير (٦) وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور (٧) ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير (٨) ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في

---

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٢/٢٨

(٢) تفسير مجاهد مجاهد بن جبر ص/٤٨١

الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق (٩)

ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد (١٠) ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين (١١) يدعوا من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد (١٢) يدعوا لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير (١٣) إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار إن الله يفعل ما يريد (١٤)

من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ (١٥) وكذلك أنزلناه آيات بينات وأن الله يهدي من يريد (١٦) إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد (١٧) ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء (١٨) هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤسهم الحميم (١٩)

يصهر به ما في بطونهم والجلود (٢٠) ولهم مقامع من حديد (٢١) كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق (٢٢) إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير (٢٣) وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد (٢٤)

إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم (٢٥) وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود (٢٦) وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق (٢٧) ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير (٢٨) ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق (٢٩)

ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور (٣٠) حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق (٣١) ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤)

الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧) إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور (٣٨) أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير (٣٩)

الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز (٤٠) الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور (٤١) وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود (٤٢) وقوم إبراهيم وقوم لوط (٤٣) وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير (٤٤)

فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد (٤٥) أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور (٤٦) ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون (٤٧) وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإلي المصير (٤٨) قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين (٤٩)

فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم (٥٠) والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم (٥١) وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم (٥٢) ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد (٥٣) وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم (٥٤)

ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم (٥٥) الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم (٥٦) والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين (٥٧) والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين (٥٨) ليدخلنهم مدخلا يرضونه وإن الله لعليم حليم (٥٩)

ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله إن الله لعفو غفور (٦٠) ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع بصير (٦١) ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير (٦٢) ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير (٦٣) له ما في السماوات وما في الأرض وإن الله لهو الغني الحميد (٦٤)

ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤف رحيم (٦٥) وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم إن الإنسان لكفور (٦٦) لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك في الأمر وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم (٦٧) وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون (٦٨) الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون (٦٩)

ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير (٧٠) ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير (٧١) وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير

(٧٢) يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب (٧٣) ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز (٧٤) الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير (٧٥) يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وإلى الله ترجع الأمور (٧٦) يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون (٧٧) وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير (٧٨)." (١)

"شاء ذبح الغنم أو البقر ثم تصدق به كله، وإن شاء أكل وأمسك منه، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون شيئا من البدن، فأنزل الله- عز وجل- «فكلوا منها وأطعموا» فليس الأكل بواجب ولكنه رخصة، كقوله- سبحانه- « ... وإذا حللتم فاصطادوا «١» ... » وليس الصيد بواجب ولكنه رخصة ولكل أمة يعني لكل قوم من المؤمنين فيما خلا، كقوله- سبحانه-:

« ... أن تكون أمة هي أربى من أمة «٢» ... » أن يكون قوم أكثر من قوم، ثم قال:

جعلنا منسكا يعني ذبحا يعني هراقة الدماء ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام وإنما خص الأنعام من البهائم لأن من البهائم ما ليس من الأنعام، وإنما سميت البهائم لأنها لا تتكلم فإلهكم إله واحد ليس له شريك يقول فربكم رب واحد فله أسلموا وبشر المخبتين- ٣٤- يعني المخلصين بالجنة، ثم نعتهم فقال: الذين إذا ذكر الله وجلت يعني خافت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم من أمر الله والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون- ٣٥- من الأموال. قوله- عز وجل- والبدن جعلناها لكم من شعائر الله يعني من أمر المناسك لكم فيها خير يقول لكم في نحرها أجر في الآخرة ومنفعة في الدنيا، وإنما سميت البدن لأنها تقلد وتشعر وتساق إلى مكة «والهدى الذي ينحر بمكة ولم يقلد ولم يشعر والجزور البعير الذي ليس ببدنة ولا بهدى «٣» » .

---

(١) سورة المائدة: ٢.

(٢) سورة النحل: ٩٢.

(٣) ما بين القوسين « ... » : من أوليس فى ر.." (٢)

"٦٨٢: ٢٢: ١٧ سفيان عن سعيد بن مسروق عن عكرمة أمة جعلنا منسكا هذه قال ذبايح هم ذابحوها سنة (الآية ٣٤) .

٦٨٣: ٣٣: ٢٥ سفيان عن بن أبي نجيح عن مجاهد وبشر المخبتين قال المطمينين عمرو (الآية ٣٤) .

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان مقاتل ٣/١٠١

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان مقاتل ٣/١٢٧

٦٨٤: ٢٤: ١٠ سفيان عن منصور عن إبراهيم فيها خير قال هي البدنة إن احتاج إليها ركب وإن احتاج إلى لبنها شرب (الآية ٣٦) .

٦٨٥: ٢٥: ١١ سفيان عن الأعمش عن أبي ظبيان قال سأل رجل عن بن عباس اسم الله عليها صواف قال قياما معقولة فقيل له ما يقولون عند النحر قال يقولون أكبر لا إله إلا الله اللهم منك ولك (الآية ٣٦) .." (١)

"١٧٦ - أخبركم أبو عمر بن حيويه، وأبو بكر الوراق قالا: أخبرنا يحيى قال: حدثنا الحسين قال: أخبرنا ابن المبارك قال: أخبرنا ابن عون، عن مسلم أبي عبد الله، قال كان عبد الله بن مسعود إذا رأى الربيع بن خثيم قال: «وبشر المخبتين». " (٢)

"قوله: ﴿فإلهكم إله واحد فله أسلموا﴾ [الحج: ٣٤] يقوله للمشركين.

قوله: ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] يعني بالجنة.

تفسير الحسن: أن المخبتين الخاشعين الخائفين.

والخشوع المخافة الثابتة في القلب.

وبعضكم يقول: ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] يعني المطمئنين بالإيمان.

قال: ﴿فتخبت له قلوبهم﴾ [الحج: ٥٤] فتطمئن إليه قلوبهم.

وقال: ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله﴾ [الرعد: ٢٨] قوله: ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ [الحج: ٣٥] يعني خافت قلوبهم.

﴿والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة﴾ [الحج: ٣٥] المفروضة، الصلوات الخمس يحافظون على وضوئها، ومواقيتها، وركوعها، وسجودها.

﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ [الحج: ٣٥] يعني الزكاة المفروضة.

قوله: ﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير﴾ [الحج: ٣٦] يعني أجر في نحرها والصدقة منها تتقربون بها إلى الله.

تفسير السدي: ﴿لكم فيها﴾ [الحج: ٣٦] يعني في البدن أجر.

نا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم قال: ﴿لكم فيها خير﴾ [الحج: ٣٦] قال: البدنة.

إن احتاج ركب وإن احتاج إلى اللبن شرب.." (٣)

---

(١) تفسير سفيان الثوري سفيان الثوري ص/٢١٣

(٢) الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد ابن المبارك ٥٧/١

(٣) تفسير يحيى بن سلام يحيى بن سلام ٣٧٥/١

"١٩٣٠ - عبد الرزاق قال: أرنا معمر ، عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] ، قال: «هم المتواضعون»." (١)

"١٩٣١ - الثوري ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] ، قال: «المخبتون المتواضعون»." (٢)

"حدثنا

-[٢٢٠]-

٣٥٤٩٢ - أبو أسامة، عن جويبر، عن الضحاك، في قوله: ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] قال: «المتواضعين»." (٣)

"حدثنا

٣٥٥٥٠ - سعيد بن عبد الله بن الربيع بن خثيم، عن نسير بن ذعلوق، عن بكر بن ماعز، قال: كان عبد الله بن مسعود إذا رأى الربيع بن خثيم مقبلا قال: «بشر المخبتين، أما والله لو رآك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحبك»." (٤)

"الكعبة أعتقها من الجبابرة. فوجه هؤلاء تأويل ذلك إلى سمي منحر البدن والهدايا التي أوجبتموها إلى أرض الحرم، وقالوا: عنى بالبيت العتيق أرض الحرم كلها. وقالوا: وذلك قوله: (فلا يقربوا المسجد الحرام) والمراد: الحرم كله.

وقال آخرون: معنى ذلك: ثم محلكم أيها الناس من مناسك حجكم إلى البيت العتيق أن تطوفوا به يوم النحر بعد قضائكم ما أوجبه الله عليكم في حجكم.

*ذكر من قال ذلك: حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا داود بن أبي هند، عن محمد بن أبي موسى: (ثم محلها إلى البيت العتيق) قال: محل هذه الشعائر كلها الطواف بالبيت.

وقال آخرون: معنى ذلك: ثم محل منافع أيام الحج إلى البيت العتيق بانقضائها.

*ذكر من قال ذلك:- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: (ثم محلها إلى البيت العتيق) حين تنقضي تلك الأيام، أيام الحج إلى البيت العتيق.

وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ثم محل الشعائر التي لكم فيها منافع إلى أجل مسمى إلى البيت العتيق، فما كان من ذلك هديا أو بدنا فبموافاته الحرم في الحرم، وما كان من نسك فالطواف بالبيت.

وقد بينا الصواب في ذلك من القول عندنا في معنى الشعائر.

---

(١) تفسير عبد الرزاق عبد الرزاق الصنعاني ٤٠٦/٢

(٢) تفسير عبد الرزاق عبد الرزاق الصنعاني ٤٠٧/٢

(٣) مصنف ابن أبي شيبة أبو بكر بن أبي شيبة ٢١٩/٧

(٤) مصنف ابن أبي شيبة أبو بكر بن أبي شيبة ٢٢٧/٧

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) ﴾

يقول تعالى ذكره: (ولكل أمة) ولكل جماعة سلف فيكم من أهل الإيمان بالله أيها الناس، جعلنا ذبحا يهريقون دمه (ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من." (١)

"بهيمة الأنعام) بذلك لأن من البهائم ما ليس من الأنعام، كالخيل والبغال والحمير. وقيل: إنما قيل للبهائم بهائم لأنها لا تتكلم.

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله: (جعلنا منسكا) قال أهل التأويل.

*ذكر من قال ذلك: حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال. حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: (ولكل أمة جعلنا منسكا) قال: إهراق الدماء (ليذكروا اسم الله عليها) .

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال. ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

وقوله: (فإلهكم إله واحد) يقول تعالى ذكره: فاجتنبوا الرجس من الأوثان، واجتنبوا قول الزور، فإلهكم إله واحد لا شريك له، فإياه فاعبدوا وله أخلصوا الألوهة. وقوله: (فله أسلموا) يقول: فلإلهكم فاخضعوا بالطاعة، وله فذلوا بالإقرار بالعبودية.

وقوله: (وبشر المخبتين) يقول تعالى ذكره: وبشر يا محمد الخاضعين لله بالطاعة، المذعنين له بالعبودية، المنيبين إليه بالتوبة.

وقد بينا معنى الإخبات بشواهده فيما مضى من كتابنا هذا.

وقد اختلف أهل التأويل في المراد به في هذا الموضع، فقال بعضهم: أريد به: وبشر المطمئنين إلى الله.

*ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: (وبشر المخبتين) قال: المطمئنين.

حدثني أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: (وبشر المخبتين) المطمئنين إلى الله.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى. وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: (وبشر المخبتين) قال: المطمئنين.

حدثنا الحسن، قال: ثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: (وبشر المخبتين) قال: المتواضعين.." (٢)

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر الطبري، أبو جعفر ٥٢٧/١٨

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر الطبري، أبو جعفر ٦٢٨/١٨

"١٤٦٦ – أخبرني أحمد بن شعيب، قال أنبأ سويد بن نصر، قال حدثنا عبد الله بن المبارك، عن ابن عون، عن مسلم أبي عبد الله، قال: كان ابن مسعود إذا رأى ربيع بن خثيم قال: «بشر المخبتين» يقال: إنه مسلم بن أبي عمران البطين." (١)

"القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] يقول تعالى ذكره: ﴿ولكل أمة﴾ [الأعراف: ٣٤] ولكل جماعة سلف فيكم من أهل الإيمان بالله أيها الناس، جعلنا ذبحا يهريقون دمه ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ [الحج: ٣٤] بذلك ، لأن من البهائم ما ليس من الأنعام، كالخيل والبغال والحمير. وقيل: إنما قيل للبهائم: بهائم ، لأنها لا تتكلم وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله: ﴿جعلنا منسكا﴾ [الحج: ٣٤] قال أهل التأويل." (٢)

"وقوله: ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] يقول تعالى ذكره: وبشر يا محمد الخاضعين لله بالطاعة، المذعنين له بالعبودية، المنيبين إليه بالتوبة. وقد بينا معنى الإخبات بشواهده فيما مضى من كتابنا هذا. وقد اختلف أهل التأويل في المراد به في هذا الموضع، فقال بعضهم: أريد به: -[٥٥١]- وبشر المطمئنين إلى الله." (٣)

"حدثنا الحسن، قال: ثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] قال: «المتواضعين» وقال آخرون في ذلك." (٤)

"حدثني محمد بن عمرو قال: ثنا أبو عاصم قال: ثنا عيسى. وحدثني الحارث قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] قال: «المطمئنين»." (٥)

"ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] قال: «المطمئنين»." (٦)

"حدثنا أبو كريب قال: ثنا ابن يمان، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] «المطمئنين إلى الله»." (٧)

---

(١) الكنى والأسماء للدولابي الدولابي ٨٣٩/٢
(٢) تفسير الطبري ٥٤٩/١٦
(٣) تفسير الطبري ٥٥٠/١٦
(٤) تفسير الطبري ٥٥١/١٦
(٥) تفسير الطبري ٥٥١/١٦
(٦) تفسير الطبري ٥٥١/١٦
(٧) تفسير الطبري ٥٥١/١٦

"قوله: (ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢)
شعائر الله المعالم التي ندب إليها وأمر بالقيام بها، واحدتها شعيرة.
فالصفا والمروة من شعائر الله، " الذى يعنى به هنا البدن.
* * *

وقوله: (لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق

(٣٣)
يعنى أن لكم في البدن - قبل أن تعلموها، وتسموها هديا إلى بيتي - منافع.
فإذا أشعرتموها - والإشعار أن يشق في السنام حتى يدمى ويعلق عليها نعلا
ليعلم أنها بدنة، فأكثر الناس لا يرى الانتفاع بها إذا جعلت بدنة، لا
بلبنها ولا بوبرها ولا بظهرها، يقول لا يعطى لبنها ووبرها وظهرها أحدا لأنها
بدنة فلا ينتفع بها غير أهل الله إلا عند الضرورة المخوف معها الموت.
وبعضهم يقول: إن له أن ينتفع بها فيركبها المعيي وينتفع بمنافعها إلى وقت
محلها - مكان نحرها -.
والحجة في ذلك أن النبي - صلى الله عليه وسلم - مر برجل يسوق بدنة
فأمره - صلى الله عليه وسلم - بركوبها، فقال: إنها بدنة فأمره الثانية وأمره الثالثة، وقال له في الثالثة: اركبها ويحك، فهذا
- يجوز أن النبي - صلى الله عليه وسلم - رآه مضطرا في ركوبها من شدة
الإعياء، وجائز على ظاهر الحديث أن يكون ركوبها جائزا.
ومن أجاز ركوبها والانتفاع بها يقول: ليس له أن يهزلها وينضيها لأنها بدنة.
* * *

وقوله عز وجل: (ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا
وبشر المخبتين (٣٤)
وتقرأ منسكا، والمنسك في هذا الموضع يدل على معنى النحر فكأنه
قال جعلنا لكل أمة أن تتقرب بأن تذبح الذبائح لله، ويدل على ذلك قوله
تعالى (ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام).

المعنى ليذكروا اسم الله على نحر ما رزقهم من بهيمة الأنعام.

وقال بعضهم: المنسك الموضع الذي يجب تعهده، وذلك جائز.." (١)

"ومن قال منسك فمعناه مكان نسك مثل مخلس مكان خلوس.

ومن قال منسك فهو بمعنى المصدر نحو النسك والنسوك.

وقوله: (فإلهكم إله واحد).

أي لا ينبغي أن تذكروا على ذبائحكم إلا الله وحده.

وقوله: (وبشر المخبتين).

قيل المخبتون المتواضعون، وقيل المخبتون المطمئنون بالإيمان بالله

عز وجل، وقيل المخبتون الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا.

وكل ذلك جائز.

واشتقاقه من الخبت من الأرض وهي المكان المنخفض منها، فكل

مخبت متواضع.

* * *

وقوله عز وجل: (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)

(والمقيمي الصلاة).

القراءة الخفض وإسقاط التنوين، والخفض على الإضافة، ويجوز:

والمقيمين الصلاة، إلا أنه بخلاف المصحف.

ويجوز أيضا على بعد والمقيمي الصلاة، على حذف النون ونصب الصلاة لطول الاسم، وأنشد سيبويه:

الحافظو عورة العشيرة لا. . . يأتيهم من ورائهم نطف

وزعم أنه شاذ.

* * *

وقوله تعالى: (والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦)

النصب أحسن لأن قبله فعلا، المعنى وجعلنا البدن، فنصب بفعل." (٢)

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج الزجاج ٣/٤٢٦

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج الزجاج ٣/٤٢٧

"١٣٩٢٩ - عن جابر بن عبد الله: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى للناس يوم النحر، فلما فرغ من خطبته وصلاته دعا بكبش فذبحه هو بنفسه وقال:
بسم الله والله أكبر اللهم، هذا عني وعمن لم يضح من أمتي» «١» .

١٣٩٣٠ - عن جابر قال: «ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين في يوم عيد فقال حين وجهها: وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا مسلما وما أنا من المشركين ... ، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين. اللهم منك ولك وعن محمد وأمته. ثم سمي الله.
وكبر وذبح.» «٢» .

١٣٩٣١ - عن مقاتل فله أسلموا يقول: فله أخلصوا «٣» .

١٣٩٣٢ - عن مجاهد في قوله: وبشر المخبتين قال: المخبتون، الذين لا يظلمون الناس، وإذا ظلموا لم ينتصروا «٤» .

١٣٩٣٣ - عن الضحاك رضى الله عنه وبشر المخبتين قال: المتواضعين «٥» .

١٣٩٣٤ - عن السدى رضى الله عنه وبشر المخبتين قال: الوجلين «٦» .

قوله تعالى: الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم
١٣٩٣٥ - عن مقاتل الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم عند ما يخوفون والصابرين على ما أصابهم من البلاء والمصيبات والمقيمي الصلاة يعني إقامتها بأداء ما استحفظهم الله فيها «٧» .

قوله تعالى: والبدن
١٣٩٣٦ - عن ابن عمر رضي الله عنه قال: البدنة، ذات الخف «٨» .

١٣٩٣٧ - عن ابن عمر رضي الله عنه قال: البدنة ذات البدن من الإبل والبقر «٩» .

١٣٩٣٨ - عن مجاهد رضي الله عنه قال: ليس البدن إلا من الإبل «١٠» .

---

(١) . الدر ٦/ ٤٨- ٤٩.
(٢) . الدر ٦/ ٤٨- ٤٩.
(٣) . الدر ٦/ ٤٨- ٤٩.

(٤) . الدر ٦/ ٤٨- ٤٩.

(٥) . الدر ٦/ ٤٨- ٤٩.

(٦) . الدر ٦/ ٤٨- ٤٩.

(٧) . الدر ٦/ ٤٨- ٤٩.

(٨) . الدر ٦/ ٤٩- ٥٠.

(٩) . الدر ٦/ ٤٩- ٥٠.

(١٠) . الدر ٦/ ٤٩- ٥٠.." (١)

"٤١٦ - حدثنا أبو إسماعيل الترمذي، نا الوليد بن صالح، نا محمد بن مسلم الطائفي، عن عثمان بن عبد الله بن أوس، عن عمه عمرو بن أوس؛ قال في قول الله عز وجل: ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] ؛ قال: الذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لا ينتصرون.." (٢)

"٣٠٣١ - حدثنا أحمد، نا جعفر بن محمد، نا الوليد بن صالح؛ قال: حدثنا محمد بن مسلم الطائفي، عن عثمان بن عبد الله بن أوس، عن عمه عمرو بن أوس في قوله عز وجل: ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] ؛ قال: الذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لا ينتصرون.." (٣)

"تمكر علي، واهدني ويسر الهدى لي، وانصرني على من بغى علي، رب اجعلني لك شاكرا، لك ذاكرا، لك أواها، لك مطواعا، لك مخبتا أواها منيبا، رب تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبت حجتي، واهد قلبي، وسدد لساني، واسلل سخيمة قلبي» (رَحِمَهُ اللَّهُ ١) . [٥: ١٢]

رَحِمَهُ اللَّهُ ________________

(رَحِمَهُ اللَّهُ ١) إسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح، غير طليق بن قيس، وهو ثقة، سفيان: هو الثوري، وعبد الله بن الحارث. هو الزبيدي المعروف بالمكتب، وأخرجه أبو داود (١٥١٠) في الصلاة: باب ما يقول الرجل إذا سلم، عن محمد ابن كثير العبدي، بهذا الإسناد، وصححه الحاكم ١/٥١٩-٥٢٠ ووافقه الذهبي.

وأخرجه ابن أبي شيبة ١٠/٢٨٠، وأحمد ١/٢٢٧، والترمذي (٣٥٥١) في الدعوات: باب في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم، والنسائي في، "عمل اليوم والليلة" (٦٠٧) ، وابن ماجة (٣٨٣٠) في الدعاء: باب دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، والبخاري في "الأدب. المفرد" (٦٦٤) و (٦٦٥) ، والبغوي في " شرح السنة " (١٣٧٥) ، من طرق عن سفيان، به، وهو في السنة (٣٨٤) لابن أبي عاصم من طريق سفيان مختصرا، وانظر الحديث بعده. قال الطيبي: المكر: الخداع، وهو

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم - محققا الرازي، ابن أبي حاتم ٨/٢٤٩٣

(٢) المجالسة وجواهر العلم الدِّينَوري، أبو بكر ٢/٢٧٢

(٣) المجالسة وجواهر العلم الدِّينَوري، أبو بكر ٧/١٣٤

من الله تعالى إيقاع بلائه بأعدائه من حيث لا يشعرون، وقوله: "ولا تمكر على" أي: ولا تمكر لأعدائي، وقوله: " إليك مخبتا " من الخبت: وهو المطمئن من الأرض قال الله تعالى. (وأخبتوا إلى ربهم) أي: اطمأنوا إلى ذكره أو سكنت نفوسهم إلى أمره، وقال سبحانه ﴿وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ أي: خافت، فالمخبت: هو الواقف بين الخوف والرجاء، وقيل: خاشعا من الإخبات: وهو الخشوع والتواضع. والأواه: كثير التأوه والبكاء، أي. اجعلني حزينا متوجعا على التفريط، ومنه قوله تعالى ﴿لأواه حليم﴾ والحوبة: الزلة والخطيئة، وقوله: " واسلل سخيمة قلبي " أي: غله وحقده وحسده ونحوها مما ينشأ من الصدر ويسكن في القلب من مساوىء الأخلاق، وسلها: إخراجها، وتنقية القلب منها، من: سل السيف: إذا أخرجه من الغمد "بذل المجهود" ٣٦٥/٧-٣٦٦.." (١)

"حمزة والكسائي وعاصم: ثم ليقضوا بجزم اللام وكذلك وليوفوا وليطوفوا وقرأ أبو عمرو الثلاثة كلها بالكسر، بمعنى لام كي. وقرأ ابن كثير بكسر اللام الأولى خاصة. فمن قرأ بالجزم، جعلها أمر الغائب، ومن قرأ بالكسر، جعله خبرا عطفا على قوله: يذكروا. وقرأ عاصم في رواية أبي بكر وليوفوا بنصب الواو وتشديد الفاء، وقرأ الباقون بالتخفيف من أوفى يوفي، والأول من وفى يوفي، ومعناهما واحد.

[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٠ الى ٣١]

ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور (٣٠) حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق (٣١)

ثم قال عز وجل: ذلك، يعني: هذا الذي ذكر من أمور المناسك. ثم قال: ومن يعظم حرمات الله، يعني: أمر المناسك كلها، فهو خير له عند ربه يعني: أعظم لأجره.

وأحلت لكم الأنعام يعني: الإبل والبقر والغنم وغيره. إلا ما يتلى عليكم في التحريم في سورة المائدة. فاجتنبوا الرجس من الأوثان، يعني: اتركوا عبادة الأوثان، فاجتنبوا يعني: اتركوا قول الزور، يعني: الكذب، وهو قولهم: هذا حلال وهذا حرام. ويقال:

معناه اتركوا الشرك، ويقال: اتركوا شهادة الزور.

ثم قال عز وجل: حنفاء لله، يعني: مخلصين بالتلبية لله تعالى لأن أهل الجاهلية كانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك، إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك. ويقال: إن هذا القول بالزور الذي أمرهم باجتنابه.

ثم قال: غير مشركين به، ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء، أي: وقع من السماء، فتخطفه الطير، يعني: تختلسه الطير، أو تهوي به الريح، يعني: تذهب به الريح في مكان سحيق، أي: بعيد، فكذلك الكافر في البعد من الله عز وجل. ويقال: معناه من يشرك بالله فقد ذهب أصله. وقال الزجاج: الخطف هو أخذ الشيء بسرعة، فهذا مثل ضربه الله عز وجل

---

(١) صحيح ابن حبان - محققا ابن حبان ٢٢٨/٣

للكافرين في بعدهم من الحق، فأخبر أن بعد من أشرك من الحق، كبعد من خر من السماء، فذهبت به الطير، وهوت به الريح في مكان سحيق، يعني: بعيد. قرأ نافع:

فتخطفه الطير بنصب الخاء والتشديد، وقرأ الباقون بالجزم والتخفيف من خطف. ومن قرأ بالتشديد، فلأن أصله: فتختطفه فأدغم التاء في الطاء، وألقيت حركة التاء على الخاء.

[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٢ الى ٣٥]

ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)." (١)

"ثم قال عز وجل: ذلك يقول: هذا الذي أمر من اجتناب الأوثان. ومن يعظم شعائر الله، يعني: البدن، فيذبح أعظمها وأسمنها. وروي عن ابن عباس أنه قال: «تعظيمها استعظامها، وأيضا استسمانها واستحسانها» . ثم قال: فإنها من تقوى القلوب، يعني: من إخلاص القلوب، ويقال: من صفاء القلوب، وشعائر الله: معالم الله ودينه، التي ندب إلى القيام بها وواحدها: شعيرة.

قوله عز وجل: لكم فيها منافع، يعني: في البدن. وقال مجاهد: يعني: في ركوبها وشرب ألبانها وأوبارها. إلى أجل مسمى، يعني: إلى أجل مسمى بدنا، فمحلها إلى البيت العتيق. وروي عن ابن عباس نحو هذا، وقد قول بعض الناس: إنه يجوز ركوب البدن، وقال أهل العراق: لا يجوز إلا عند الضرورة، ويضمن ما نقصها الركوب، وهذا القول أحوط الوجهين. ثم محلها يعني: منحرها إلى البيت العتيق، يعني: في الحرم. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «جميع فجاج مكة منحر» .

ثم قال عز وجل: ولكل أمة، يعني: لكل أهل دين، ويقال: لكل قوم من المؤمنين فيما خلا، جعلنا منسكا يعني: ذبحا لهراقة دمائهم. ويقال: مذبحا يذبحون فيه. قال الزجاج: معناه، جعلنا لكل أمة أن تتقرب بأن تذبح الذبائح لله تعالى. قرأ حمزة والكسائي منسكا بكسر السين، وقرأ الباقون بالنصب. فمن قرأ بالكسر، يعني: مكان النسك. ومن قرأ بالنصب، فعلى المصدر. وقال أبو عبيد: قراءتنا هي بالنصب لفخامتها.

ثم قال: ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام، يعني: يذكرون اسم الله تعالى عند الذبح. فإلهكم إله واحد، أي ربكم رب واحد. فله أسلموا، أي: أخلصوا بالتسمية عند الذبيحة وفي التلبية. وبشر المخبتين، أي: المخلصين بالجنة. ويقال:

المجتهدين في العبادة والسكون فيها. قال قتادة: المختبون المتواضعون. وقال الزجاج: أصله من الخبت من الأرض، وهو المكان المنخفض. ويقال: المخبت الذي فيه الخصال التي ذكرها الله بعده، وهو قوله عز وجل: الذين إذا ذكر الله وجلت

---

(١) تفسير السمرقندي = بحر العلوم أبو الليث السمرقندي ٤٥٨/٢

قلوبهم، يعني: خافت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم من أمر الله من المرازي والمصائب والمقيمي الصلاة يعني: يقيمونها بمواقيتها، ومما رزقناهم ينفقون يعني: يتصدقون وينفقون في الطاعة. ثم ذكر البدن، يعني: ينحرون البدن. فهذه الخصال الخمسة صفة المخبتين.." (١)

"٦٣٠ - أخبركم أبو الفضل الزهري، نا عبد الله بن سليمان بن الأشعث قراءة عليه، نا محمد بن المصفى، نا يحيى بن سعيد العطار، نا يزيد بن عطاء، عن علقمة بن مرثد، قال: انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين، منهم: عامر بن عبد الله، وأويس القرني، وهرم بن حيان، والربيع بن خثيم، وأبو مسلم الخولاني، والأسود بن يزيد، ومسروق بن الأجدع، والحسن بن أبي الحسن البصري، رضوان الله عليهم. فأما عامر بن عبد الله، إن كان ليصلي، فيتمثل له إبليس في صورة الحية، فيدخل تحت قميصه حتى يخرج من جيبه فما يمسه، فقلت له: ألا تنحي الحية عنك؟ قال: أستحي من الله عز وجل أن أخاف سواه، فقيل له: إن الجنة تدرك بدون ما تصنع، وتتقى النار بدون ما تصنع، فقال: والله لأجهدن، فإن نجوت فبرحمة الله عز وجل، وإن دخلت النار فلبعد جهدي، فلما احتضر بكى، فقيل له: أتجزع من الموت، وتبكي، قال: مالي لا أبكي، ومن أحق بذلك مني، والله ما -[٥٨١]- أبكي جزعا من الموت ولا حرصا على دنياكم رغبة فيها، ولكني أبكي على ظمأ الهواجر وقيام ليل الشتاء، وكان يقول: ألهى في الدنيا الهموم والأحزان، وفي الآخرة الحساب والعذاب، فأين الروح والفرج. وأما الربيع بن خثيم، فقيل له حين أصابه الفالج: لو تداويت، قال: قد علمت أن الدواء حق، ولكني ذكرت: ﴿وعادا وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا﴾ [الفرقان: ٣٨]، وكانت فيهم الأوجاع وكانت فيهم الأطباء، فما بقي المداوي والمداوى، وقال غيره: لا الناعت ولا المنعوت له، وقيل له: ألا تذكر الناس، قال: ما أنا عن نفسي براض، فأتفرغ من ذمها إلى ذم الناس، إن الناس خافوا الله عز وجل، في ذنوب الناس وأصروا على ذنوبهم، قال: فقيل له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحنا ضعفاء مذنبين، نأكل أرزاقنا وننتظر آجالنا قال: وكان ابن مسعود إذا رآه قال: ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤]. أما لو رآك محمد صلى الله عليه وسلم لأحبك، وكان الربيع بن خثيم يقول: أما بعد: فأعد زادك، وخذ في جهازك، وكن وصي نفسك. وأما أبو مسلم الخولاني، فلم يجالس أحدا قط فتكلم في شيء من أمر الدنيا، إلا تحول عنه، فدخل ذات يوم المسجد، فنظر إلى قوم قد اجتمعوا، فرجى أن يكونوا على ذكر وخير، فجلس إليهم، فإذا بعضهم يقول: قدم غلام لي فأصاب كذا وكذا، وقال الآخر: جهزت غلامي، فنظر إليهم فقال: سبحان الله أتدرون ما مثلي ومثلكم، كرجل أصابه مطر غزير وابل، فالتفت فإذا هو بمصراعين عظيمين فقال: لو دخلت -[٥٨٢]- هذا حتى يذهب عني هذا المطر، فدخل فإذا البيت لا سقف له، جلست إليكم وأنا أرجو أن تكونوا على خير، فإذا أنتم أصحاب دنيا. قال له قائل حين كبر ورق: لو قصرت عن بعض ما تصنع، فقال: أرأيتم لو أرسلتم الخيل في الحلبة، ألستم تقولون لفارسها: ودعها وأرفق بها حتى إذا رأيت الغاية، فلا تستبق منه شيئا، قالوا: بلى، قال: فإني قد أبصرت الغاية، وإن لكل ساع غاية، وغاية كل شيء الموت، فسابق ومسبوق. وأما الأسود بن يزيد، فكان مجاهدا في العبادة، ويصوم حتى يصفر جسده، ويخضر، فكان علقمة بن قيس يقول له: لم تعذب هذا الجسد هذا العذاب، فيقول: إن الأمر جد، كرامة هذا الجسد أريد، فلما

(١) تفسير السمرقندي = بحر العلوم أبو الليث السمرقندي ٢/٤٥٩

احتضر، بكى، فقيل له: ما هذا الجزع قال: مالي لا أجزع، ومن أحق بذلك مني، والله لو أتيت بالمغفرة من الله، لهمني الحياء منه مما صنعت، إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير، فيعفو عنه فلا يزال مستحيا منه حتى يموت، ولقد حج ثمانين حجة. وأما مسروق بن الأجدع، فإن امرأته قالت: ما كان يوجد إلا وساقيه قد انتفختا من طول الصلاة، قالت: وإن كنت والله لأجلس خلفه فأبكي رحمة له، فلما احتضر بكى، فقيل له: ما هذا الجزع؟ فقال: ومالي لا أجزع وإنما هي ساعة، ثم لا أدري أين يسلك بي. وأما الحسن بن أبي الحسن، فما رأيت أحدا من الناس كان أطول حزنا منه، ما كنا نرى إلا أنه حديث عهد بمصيبة، ثم قال: نضحك ولا ندري لعل الله تعالى اطلع على بعض أعمالنا فقال: لا أقبل منكم شيئا، ويحك يا ابن آدم، هل لك بمحاربة الله من طاقة، إنه من عصى الله تعالى، فقد حاربه، والله لقد أدركت سبعين بدريا أكثر لباسهم -[٥٨٣]- الصوف، ولو رأيتموهم، لقلتم: مجانين، ولو رأوا خياركم، لقالوا: ما لهؤلاء عند الله من خلاق، ولو رأوا شراركم لقالوا: ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب، ولقد رأيت إخوانا كانت الدنيا أهون على أحدهم من التراب تحت قدمه، ولقد رأيت أقواما عسى أن لا يجد أحدهم عشاء ولا قوتا، فيقول: والله، لا أجعل هذا كله في بطني، لأجعلن بعضه لله عز وجل، فيتصدق ببعضه، وإن كان هو أحوج ممن تصدق به عليه. قال علقمة بن مرثد: فلما قدم عمر بن هبيرة العراق، أرسل إلى الحسن وإلى الشعبي رضي الله عنهما، فأمر لهما ببيت كانا فيه شهرا، أو نحوه، ثم إن الخصي غدا عليهما فقال: إن الأمير داخل عليكما، فجاء عمر يتوكأ على عصا له، فسلم، ثم جلس تعظيما لهما فقال: إن أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك، يكتب إلي كتبا، أعرف أن في إنفاذها الهلكة، فإن أطعته عصيت الله، وإن عصيته أطعت الله تعالى، فهل تريان لي في متابعتي إياه فرجا؟ فقال الحسن: يا أبا عمرو، أجب الأمير، فتكلم الشعبي، فانحط في شأن ابن هبيرة فقال: ما تقول أنت يا أبا سعيد؟ قال: فقال: أيها الأمير، قد قال الشعبي ما قد سمعت، -[٥٨٤]- قال: ما تقول أنت؟ قال: أقول: يا عمر بن هبيرة، يوشك أن ينزل بك ملك من ملائكة الله عز وجل، فظا غليظا لا يعصي الله ما أمره، فيخرجك من سعة قصرك، فصرت في ضيق قبرك، يا عمر بن هبيرة، إن تتقي الله عز وجل يعصمك من يزيد بن عبد الملك، ولن يعصمك يزيد بن عبد الملك من الله، يا عمر بن هبيرة، لا تأمن أن ينظر الله إلى قبح ما تعمل في طاعة يزيد بن عبد الملك، نظرة مقت، فيغلق بها باب المغفرة دونك، يا عمر بن هبيرة، لقد أدركت ناسا من صدر هذه الأمة كانوا – والله – على الدنيا وهي مقبلة أشد إدبارا من إقبالكم عليها وهي مدبرة، يا عمر بن هبيرة، إني أخوفك مقاما خوفكه الله سبحانه وتعالى فقال: ﴿ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد﴾ [إبراهيم: ١٤]، يا عمر بن هبيرة، إن تك مع الله عز وجل على طاعته، كفاك الله – والله – يزيد بن عبد الملك، وإن تك مع يزيد بن عبد الملك على معاصي الله عز وجل، وكلك الله عز وجل إليه، فبكى عمر بن هبيرة، وقام بعبرته، فلما كان من الغد أرسل إليهما بإذنهما، وجوائزهما، فكثر فيها للحسن، وكان في جائزة الشعبي بعض الإقتار، فخرج الشعبي إلى المسجد فقال: يا معشر الناس من استطاع أن يؤثر الله عز وجل على خلقه فليفعل، فوالذي نفسي بيده، ما علم الحسن منه شيئا فجهلته، ولكني أردت وجه ابن هبيرة، فأقصاني الله تعالى منه، وكان الحسن رضي الله عنه، مع الله في طاعته، فحياه وأدناه. قال: فقام المغيرة بن مخادش ذات يوم إلى الحسن فقال: كيف نصنع بمجالسة قوم يخوفونا حتى تكاد قلوبنا تطير؟، فقال الحسن: -[٥٨٥]- والله لأن تصحب أقواما يخوفونك، حتى تدرك أمنا خير لك من أن تصحب أقواما يؤمنونك حتى تلحقك المخاوف، فقال له بعض القوم: أخبرنا بصفة

أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فبكى، ثم قال: ظهرت منهم علامات الخير في السر والسمت والصدق، وحسنت علانيتهم بالاقتصاد، وممشاهم بالتواضع ومطلعهم بالفصل، وطيب مطعمهم ومشربهم بالطيب من الرزق، وبصرهم بالطاعة، واستعدادهم للحق فيما أحبوا وكرهوا، وإعطاؤهم الحق من أنفسهم للعدو والصديق، وبحفظهم في المنطق مخافة الوزر، ومسارعتهم في الخير رجاء الأجر، والاجتهاد لله تعالى، ومزاحاتهم، وكانوا أوصياء أنفسهم، ظمئت هواجرهم، وكلت أجسامهم لله عز وجل، واستحبوا سخط المخلوقين برضا خالقهم، لم يفرطوا في غضب ولم يخوضوا في جور، ولم يجاوزوا حكم الله تعالى في القرآن، فشغلوا الألسن بالذكر، بذلوا لله تعالى دماءهم حين اشتراهم، وبذلوا لله أموالهم حين استقرضهم، لم يكن خوفهم من المخلوقين، حسنت أخلاقهم وهانت مؤنتهم، كفاهم اليسير من دنياهم إلى آخرتهم. وأما أويس القرني، وهرم بن حيان، فإن أهله ظنوا أنه مجنون، فبنوا له بيتا عند باب دارهم، فكانت تأتي عليه السنة والسنتان لا يرون له وجها، فكان طعامه ما يلتقط من النوى، فإذا أمسى باعه لإفطاره، وإذا أصاب حشفة حبسها لإفطاره، فلما ولي عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، قال: أيها الناس، قوموا بالموسم، فقاموا فقال: ألا اجلسوا إلا من كان من أهل الكوفة، فجلسوا فقال: ألا اجلسوا إلا من كان من أهل اليمن، فجلسوا فقال: ألا اجلسوا إلا من كان من مراد، -[٥٨٦]- فجلسوا فقال: ألا اجلسوا إلا من كان من قرن، فجلسوا إلا رجل، وكان ابن عم أويس بن أنس فقال له عمر: أقرني أنت؟ قال: نعم، فقال: تعرف أويسا؟ فقال: وما تسأل عن ذلك، يا أمير المؤمنين، فوالله، ما فينا أحمق منه، ولا أجن منه، ولا أحوج منه، فبكى عمر، ثم قال: سمعت رسول الله صلوات الله عليه وسلم يقول: «يدخل الجنة بشفاعة رجل منكم مثل ربيعة ومضر». قال هرم بن حيان: فلما بلغني ذلك قدمت الكوفة، فلم يكن لي هم إلا طلبه، حتى سقطت عليه وهو جالس على شاطئ الفرات نصف النهار يتوضأ، فعرفته بالنعت الذي نعت لي، فإذا هو رجل لحيم آدم شديد الأدمة أشعر محلوق الرأس، مهيب المنظر، وزاد غيره قال: كان رجلا أشهل أصهب عريض ما بين المنكبين وفي عنقه اليسرى وضح، وضارب بلحيته على صدره، ناصب بصره، فسلمت عليه، فرد علي، فنظر إلي ومددت يدي لأصافحه فأبى أن يصافحني، فقلت: يرحمك الله يا أويس -[٥٨٧]- وغفر لك، رحمك الله، كيف أنت، رحمك الله، ثم خنقتني العبرة من حبي إياه، ورقتي عليه، لما رأيت من حالته، حتى بكيت وبكى قال: وأنت حياك الله يا هرم بن حيان، كيف أنت يا أخي من دلك علي؟ فقلت: الله عز وجل، فقال: لا إله إلا الله، ﴿سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا﴾ [الإسراء: ١٠٨]، فقلت له: من أين عرفت اسمي واسم أبي، وما رأيتك قبل اليوم قال: أنبأني العليم الخبير، عرفت روحي روحك حين كلمت نفسي نفسك، إن الأرواح لها أنفاس كأنفاس الأجساد، وإن المؤمنين يعرف بعضهم بعضا، ويتحابون بروح الله تعالى، ولو لم يلتقوا ويتعارفوا، وإن نأت بهم الدار، وتفرقت بهم المنازل، فقلت: حدثني، يرحمك الله، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني لم أر رسول الله، ولم يكن لي معه صحبة، بأبي وأمي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن قد رأيت رجالا قد أدركوه، ولست أحب أن أفتح هذا الباب على نفسي أن أكون محدثا، أو قاصا، أو مفتيا، في نفسي شغل عن الناس، فقلت: أي أخي، اقرأ علي آيات من كتاب الله عز وجل، أسمعها منك، أو أوصني بوصية أحفظها عنك، فإني أحبك في الله عز وجل، قال: فأخذ بيدي، ثم قال: أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم قال ربي وأحق القول، قول ربي، وأصدق الحديث حديث ربي عز وجل، ثم قرأ: ﴿وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين، ما خلقناهما إلا بالحق﴾ [الدخان: ٣٩] إلى قوله: ﴿العزيز

الرحيم﴾ [الدخان: ٤٢]، فشهق شهقة، فنظرت إليه وأنا أحسبه قد غشي عليه قال: يا ابن حيان، مات أبوك، يا ابن حيان، ويوشك أن تموت فإما إلى الجنة، وإما إلى النار، ومات أبوك -[٥٨٨]- آدم عليه السلام، وماتت أمك حواء، يا ابن حيان، ومات نوح نبي الله صلى الله عليه وسلم، ومات إبراهيم خليل الله، مات موسى نجي الرحمن، ومات داود خليفة الرحمن، ومات محمد صلوات الله عليه وعليهم، ومات أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومات أخي وصديقي عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، فقلت: يرحمك الله، إن عمر لم يمت، قال: بلى، قد نعاه ربي إلى نفسي، وأنا وأنت في الموتى، ثم صلى على النبي صلوات الله عليه وسلم، ودعا بدعوات خفاف، ثم قال: هذه وصيتي إياك، كتاب الله عز وجل، ونعي المرسلين، ونعي صالح المؤمنين، فعليك بذكر الموت، فلا يفارق قلبك طرفة عين ما بقيت، وأنذر قومك إذا رجعت إليهم، وانصح الأمة جميعا، وإياك أن تفارق الجماعة، فتفارق دينك وأنت لا تعلم، فتدخل النار، وادع لي في نفسك، ثم قال: اللهم إن هذا زعم أنه يحبني فيك، وزارني فيك، فعرفني وجهه في الجنة، وأدخله علي في دارك، دار السلام، واحفظه ما دام في الدنيا حيا، وأرضه من الدنيا باليسير، واجعله لما أعطيته من نعمك من الشاكرين، واجزه عني خيرا، ثم قال: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، لا أراك بعد اليوم، رحمك الله، فإني أكره الشهرة، والوحدة أعجب إلي لأني كثير الغم ما دمت مع هؤلاء الناس حيا، فلا تطلبني، ولا تسأل عني، واعلم أنك مني على بال، وإن لم أرك وتراني، فاذكرني وادعو لي، فإني سأدعو لك، وأذكرك، إن شاء الله، انطلق أنت هاهنا حتى آخذ أنا هاهنا، فحرجت عليه أن أمشي معه ساعة، -[٥٨٩]- فأبى علي، ففارقته أبكي ويبكي، فجعلت أنظر في قفاه حتى دخل في بعض السكك، ثم سألت عنه بعد ذلك، وطلبته فما رأيت أحدا يخبرني عنه بشيء، رحمه الله وغفر له، وما أتت علي جمعة إلا وأنا أراه في منامي مرة أو مرتين رحمة الله عليه"." (١)

"١١٨٨ - حدثنا علي، ثنا الحسن بن سفيان، ثنا محمود بن خالد قال: سمعت أبي يقول: " ما قرأت هذه الآية ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] إلا ذكرت سعيد بن جبير "." (٢)

"٢٨٨ - حدثنا الحسن بن محمد بن عثمان الفارسي، بالبصرة، ثنا يعقوب بن سفيان، ثنا زكريا بن نافع الأرسوفي، ثنا محمد بن مسلم، عن عثمان بن عبد الله بن أوس، عن عمرو بن أوس، في قوله: ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] قال: «الذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لم ينتصروا»." (٣)

"﴿ولكل أمة﴾ (ولكل قوم) ﴿جعلنا منسكا﴾ قال قتادة: يعني: حجا وذبحا. ﴿وبشر المخبتين﴾ يعني: الخاشعين. قال محمد: واشتقاق الكلمة من: الخبت؛ وهو المكان المنخفض من الأرض.." (٤)

---

(١) حديث أبي الفضل الزهري أبو الفضل الزهري ص/٥٨٠

(٢) معجم ابن المقرئ ابن المقرئ ص/٣٦١

(٣) الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك لابن شاهين ابن شاهين ص/٩١

(٤) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ابن أبي زَمَنِين ٣/١٨٠

"أن لا تشرك يعني أمرناه وعهدنا إليه أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين يعني المصلين والركع السجود.

[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٢٧ الى ٣٧]

وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق (٢٧) ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير (٢٨) ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق (٢٩) ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور (٣٠) حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق (٣١)

ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦)

لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧)

وأذن يعني وعهدنا إلى إبراهيم ايضا أن أذن أي أعلم وناد في الناس بالحج.

فقال إبراهيم: يا رب وما يبلغ صوتي؟ فقال: عليك الأذان وعلي البلاغ، فقام إبراهيم على المقام وقيل: على جبل أبي قبيس ونادى: يا أيها الناس ألا إن ربكم قد بنى بيتا فحجوه، فأسمع الله ذلك من في أصلاب الرجال وأرحام النساء، وما بين المشرق والمغرب والبر والبحر ممن سبق في علم الله سبحانه أن يحج إلى يوم القيامة، فأجابه: لبيك اللهم لبيك.

وقال ابن عباس: عنى بالناس في هذه الآية أهل القبلة وزعم الحسن أن قوله تعالى وأذن في الناس بالحج كلام مستأنف، وأن المأمور بهذا التأذين محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، أمر أن يفعل ذلك في حجة الوداع.

يأتوك رجالا مشاة على أرجلهم جمع راجل مثل قائم وقيام وصائم وصيام.

وعلى كل ضامر أي وركبانا، والضامر البعير المهزول، وإنما جمع يأتين لمكان كل، أراد النوق من كل فج عميق طريق بعيد.

سمعت أبا الحسن محمد بن القاسم الفقيه يقول: سمعت أبا القاسم بشر بن محمد بن." (١)

"إلى أجل مسمى وهو أن يسميها هديا ويوجبها، فإذا فعل ذلك لم يكن له من منافعها شيء، هذا قول مجاهد وعطاء والضحاك وقتادة، ورواية مقسم عن ابن عباس، وقيل: معناه:

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١٨/٧

لكم في هذه الهدايا منافع بعد إنجابها وتسميتها هديا بأن تركبوها إذا احتجتم إليها وتشربوا ألبانها إن اضطررتم إليها، إلى أجل مسمى يعني إلى أن تنحر، وهذا قول عطاء بن أبي رباح.

وقال بعضهم: أراد بالشعائر المناسك ومشاهد مكة، ومعنى الآية: لكم فيها منافع بالتجارة والأسواق إلى أجل مسمى وهو الخروج من مكة، وهذه رواية أبي ذر عن ابن عباس.

وقال بعضهم: لكم فيها منافع بالأجر والثواب في قضاء المناسك وإقامة شعائر الحج إلى أجل مسمى وهو انقضاء أيام الحج.

ثم محلها إلى البيت العتيق أي منحرها عند البيت العتيق يعني أرض الحرم كلها، نظيرها قوله سبحانه فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا أي الحرم كله، وقال الذين قالوا: عنى بالشعائر المناسك، معنى الآية: ثم محل الناس من إحرامهم إلى البيت العتيق أن يطوفوا به طواف الزيارة يوم النحر بعد قضاء المناسك.

ولكل أمة جماعة مؤمنة سلفت قبلكم جعلنا منسكا اختلف القراء فيه فقرأ أهل الكوفة إلا عاصما بكسر السين في الحرفين على معنى الاسم مثل المجلس والمطلع أي مذبحا موضع قربان، وقرأ الآخرون بفتح السين فيهما على المصدر مثل المدخل والمخرج أي إهراق الدماء وذبح القرابين.

ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام عند ذبحها ونحرها، وإنما خص بهيمة الأنعام لأن من البهائم ما ليس من الأنعام كالخيل والبغال والحمير، وإنما قيل بهائم لأنها لا تتكلم.

فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين قال ابن عباس وقتادة: المتواضعين، مجاهد: المطمئنين إلى الله سبحانه، الأخفش: الخاشعين، ابن جرير: الخاضعين، عمرو بن أوس: هم الذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لم ينتصروا.

الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والبدن أي الإبل العظام الضخام الأجسام، وتخفف وتثقل واحدتها بدنة مثل تمرة وتمر وخشبة وخشب وبادن مثل فاره وفره، والبدن هو الضخم من كل شيء ومنه قيل لامرئ القيس بن النعمان صاحب الخورنق والسدير: البدن لضخمه، وقد بدن الرجل بدنا وبدانة إذا ضخم، فأما إذا أشفى واسترخى قيل: بدن تبدينا.

وقال عطاء والسدي: البدن: الإبل والبقر.." (١)

"وكان ابن مسعود إذا رآه قال: " ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] أما إن محمدا صلى الله عليه وسلم لو رآك لأحبك." (٢)

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٧/٢٢

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ٢/١٠٧

"حدثنا أبو بكر بن مالك، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: ثنا محمد بن أحمد بن أيوب، ثنا أبو بكر بن عياش، عن عاصم، قال: " كان عبد الله بن مسعود إذا رأى الربيع بن خثيم قال: «وبشر المخبتين». وإذا رأى أبا وائل قال: «التائب»." (١)

"﴿فإلهكم إله واحد فله أسلموا﴾، أي: اخضعوا بالطاعة.

﴿وبشر المخبتين﴾.

أي: الخاشعين المطمئنين إلى الله، قاله مجاهد.

قال ابن عيينة: " المخبتين ": المطئنين.

وقال قتادة: المتواضعين.

وقيل: المخبتون: الذين لا يظلمون الناس، وإذا ظلموا لم ينتصروا.

والخبت في اللغة: المكان المطمئن المنخفض، والزور: الباطل.

وقيل: إنه أريد به في هذا الموضع الكذب.

وقيل: المخبتين: المخلصين.

ثم قال تعالى: ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾.

أي: خشعت قلوبهم وجلا من عقابه.

قال ابن زيد: وجلت قلوبهم: لا تقسوا ﴿والصابرين على مآ أصابهم﴾ أي: من." (٢)

"﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾ قوله عز وجل: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا﴾ فيه ثلاثة تأويلات: أحدها: يعني حجا ، وهو قول قتادة.." (٣)

"والثاني: ذبحا ، وهو قول مجاهد. والثالث: عيدا ، وهو قول الكلبي والفراء ، والمنسك في كلام العرب هو الموضع المعتاد ، ومنه تسمية مناسك الحج ، لاعتياد مواضعها. ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ فيها وجهان: أحدهما: أنها الهدي، إذا قيل إن المنسك الحج. والثاني: الأضاحي ، إذا قيل إن المنسك العيد. قوله عز وجل: ﴿ ... وبشر المخبتين﴾ فيه تسعة تأويلات: أحدها: المطمئنين إلى ذكر إلههم ، وهو قول مجاهد ، ومنه قوله تعالى: ﴿فتخبت له قلوبهم﴾ [الحج: ٥٤]. والثاني: معناه المتواضعين ، وهو قول قتادة. والثالث: الخاشعين ، وهو قول الحسن. والفرق بين التواضع والخشوع أن التواضع في الأخلاق والخشوع في الأبدان. والرابع: الخائفين ، وهو معنى قول يحيى بن سلام. والخامس:

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ١٠٢/٤

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٤٨٨٩/٧

(٣) تفسير الماوردي = النكت والعيون الماوردي ٢٤/٤

المخلصين ، وهو قول إبراهيم النخعي. والسادس: الرقيقة قلوبهم ، وهو قول الكلبي. والسابع: أنهم المجتهدون في العبادة ، وهو قول الكلبي ومجاهد. والثامن: أنهم الصالحون المطمئنون ، وهو مروي عن مجاهد أيضا. والتاسع: هم الذين لا يظلمون ، وإذا ظلموا لم ينتصروا ، وهو قول الخليل بن أحمد.." (١)

"٢٤٧-[٢٥٦] كتب إلي أبو الحسن أحمد بن إبراهيم بن علي بن أحمد بن فراس من مكة يخبر أن أبا التريك محمد بن الحسين الأطرابلسي حدثهم بمكة قال: ثنا أبو عتبة أحمد بن الفرج بن سليمان المؤذن الكندي الحجازي قال: ثنا يحي بن سعيد العطار قال: ثنا يزيد بن عطاء الواسطي عن علقمة بن مرثد الحضرمي قال: انتهى الزهد إلى ثمانية نفر من التابعين عامر بن عبد الله القيسي وأويس القرني وهرم بن حيان العبدي والربيع بن خثيم الثوري وأبي مسلم الخولاني والأسود بن يزيد ومسروق [بن] (رَحِمَهُ اللَّهُ١) الأجدع والحسن بن أبي الحسن البصري

فأما عامر بن عبد الله: إن كان ليصلي فيتمثل له إبليس في صورة الحية فيدخل من تحت قميصه حتى يخرج من جيبه فما يمسه فقيل له ألا تنحى الحية عنك؟ فقال: إني لأستحي من الله أن أخاف سواه فقيل له إن الجنة لتدرك بدون ما تصنع فقال: والله لأجتهدن ثم والله لأجتهدن فإن نجوت فبرحمة الله وإن دخلت النار فلبعد جهدي فلما احتضر بكى فقيل له أتجزع من الموت وتبكي؟ قال: ومالي لا أبكي ومن أحق بالبكاء مني؟ والله ما أبكي جزعا من الموت ولا حرصا على دنياكم رغبة فيها ولكني أبكي على ظمإ الهواجر وقيام ليل الشتاء وكان يقول: إلهي في الدنيا الهموم والأحزان وفي الآخرة الحساب والعذاب فأين الروح والفرح.

وأما الربيع بن خثيم: فقيل له حين أصابه الفالج لو تداويت فقال: قد عرفت أن الدواء حق ولكن ذكرت عادا وثمودا وقرونا بين ذلك كثيرا كانت فيهم الأوجاع وكانت فيهم الأطباء فما بقي المداوي ولا المداوى وقال غيره: فلا الناعت بقي ولا المنعوت قال: وقيل له ألا تذكر الناس؟ قال: ما أنا عن نفسي براض فأتفرغ -[١٢٥٣]- من ذمها إلى ذم الناس إن الناس خافوا الله في ذنوب الناس وأمنوا على ذنوبهم قال: وقيل له كيف أصبحت؟ فقال: أصبحنا ضعافا (رَحِمَهُ اللَّهُ٢) مذنبين نأكل أرزاقنا وننتظر آجالنا.

قال: وكان عبد الله بن مسعود إذا رآه قال: وبشر المخبتين أما إنه لو رآك محمد صلى الله عليه وسلم لأحبك وكان الربيع بن خثيم يقول: أما بعد فأعد زادك وخذ في جهازك وكن وصي نفسك.

قال: وأما أبو مسلم الخولاني: فلم يكن يجالس أحدا قط يتكلم بشيء من أمر الدنيا إلا تحول عنه فدخل ذات يوم المسجد فنظر إلى نفر قد اجتمعوا فرجا أن يكونوا على ذكر وخير فجلس إليهم فإذا بعضهم يقول قدم غلام لي فأصاب كذا وكذا وقال الآخر جهزت غلاما لي فنظر إليهم فقال: سبحان الله العظيم أتدرون ما مثلي ومثلكم؟ كمثل رجل أصابه مطر غزير وابل فالتفت فإذا هو بمصراعين عظيمين فقال: لو دخلت هذا البيت حتى يذهب عني [هذا] (رَحِمَهُ اللَّهُ٣) المطر فدخل فإذا البيت لا سقف له جلست إليكم وأنا أرجو أن تكونوا على ذكر وخير فإذا أنتم أصحاب دنيا.

قال: وقال له قائل حين كبر ورق لو قصرت عن بعض ما تصنع، فقال: أرأيتم لو أرسلتم الخيل ألستم تقولون لفارسها

---

(١) تفسير الماوردي = النكت والعيون الماوردي ٢٥/٤

ودعها وارفق بها حتى إذا رأيتم الغاية فلا تستبقوا منها شيئا؟ قالوا: بلى قال: فإني قد أبصرت الغاية وإن لكل شيء غاية وغاية كل ساعي الموت فسابق ومسبوق.

وأما الأسود بن يزيد فكان يجتهد في العبادة يصوم حتى يخضر جسده ويصفر وكان علقمة بن قيس يقول له لم تعذب هذا الجسد؟ فيقول: -[١٢٥٤]- إن الأمر جد كرامة هذا الجسد أريد فلما احتضر بكى فقيل له: ما هذا الجزع قال: ومالي لا أجزع ومن أحق بذلك مني والله لو أتيت بالمغفرة من الله لهمني الحياء منه مما قد صنعت إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيعفو عنه ولا يزال مستحيا منه ولقد حج ثمانين حجة.

وأما مسروق بن الأجدع فإن امرأته قالت: ما كان يوجد إلا وساقيه قد انتفختا من طول الصلاة قالت: وإن كنت والله لأجلس خلفه فأبكي رحمة له فلما احتضر بكى فقيل له: ما هذا الجزع؟ فقال: ومالي لا أجزع وإنما هي ساعة ثم لا أدري أين يسلك بي طريقان بعد يومي لا أدري إلى الجنة أم إلى النار؟

وأما الحسن بن أبي الحسن فما رأيت أحدا من الناس كان أطول حزنا منه ما كنا نراه إلا أنه حديث عهد بمصيبة ثم قال: نضحك ولا ندري لعل الله تعالى اطلع على بعض أعمالنا فقال: لا أقبل منكم شيئا ويحك يا ابن آدم ما لك في محاربة الله من طاقة إنه من عصى الله فقد حاربه والله لقد أدركت سبعين بدريا أكثر ثيابهم (ﷺ٤) الصوف لو رأيتموهم لقلتم: مجانين ولو رأوا خياركم لقالوا: ما لهؤلاء من خلاق ولو رأوا شراركم لقالوا: ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب ولقد رأيت أقواما كانت الدنيا أهون على أحدهم من التراب تحت قدميه ولقد رأيت أقواما عسى أحدهم ألا يجد عشاء إلا قوتا (ﷺ٥) فيقول: لا أجعل هذا كله في بطني لأجعلن بعضه لله فيتصدق به وإن كان أجوع ممن يتصدق به عليه.

قال علقمة بن مرثد فلما قدم عمر بن هبيرة العراق أرسل إلى الحسن وإلى الشعبي فأمر لهما ببيت فكانا فيه شهرا أو نحوه ثم إن الخصي -[١٢٥٥]- غدا عليهما ذات يوم فقال إن الأمير داخل عليكما يعني فدخل عمر بن هبيرة متوكئ على عصا له فسلم ثم جلس معظما لهما فقال إن الأمير يزيد بن عبد الملك يكتب إلي كتبا أعرف أن في إنفاذها الهلكة فإن أطعته عصيت الله وإن عصيته أطعت الله فما تريا لي في متابعتي إياه فرجا قال الحسن أجب الأمير فتكلم الشعبي فانحط في حبل ابن هبيرة فقال ما تقول أنت يا أبا سعيد فقال أيها الأمير قد قال الشعبي ما قد سمعت قال ما تقول قال أقول يا عمر بن هبيرة يوشك أن ينزل بك ملك من ملائكة الله فظا غليظا لا يعصي الله ما أمره فيخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك يا عمر بن هبيرة إن تعصي الله لا يعصمك من يزيد بن عبد الملك ولن يعصمك يزيد بن عبد الملك من الله يا عمر بن هبيرة لا تأمن أن ينظر الله إليك نظرة مقت على أقبح ما تعمل في طاعة يزيد بن عبد الملك فيغلق بها باب المغفرة دونك يا عمر بن هبيرة لقد أدركت ناسا من صدر هذه الأمة كانوا والله على الدنيا وهي مقبلة أشد إدبارا عليها من إقبالكم عليها وهي مدبرة يا عمر بن هبيرة إني أخوفك مقاما خوفكه الله فقال ﴿ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد﴾ يا عمر بن هبيرة إن تك مع الله في طاعته كفاك بائقة يزيد بن عبد الملك وإن تك مع يزيد بن عبد الملك على معصية الله وكلك إليه

قال فبكى ابن هبيرة وقام بعبرته قال: فلما كان من الغد أرسل إليهما بإذنهما وجوائزهما فأكثر فيها للحسن وكان في جائزة الشعبي بعض الإقتار فخرج الشعبي إلى المسجد فقال أيها الناس من استطاع منكم أن يؤثر الله على خلقه فليفعل فوالذي

نفسي بيده ما -[١٢٥٦]- علم الحسن منه شيئا فجهلته ولكن أردت وجه ابن هبيرة فأقصاني الله منه فكان الحسن مع الله على طاعته فحباه الله وأدناه

قال وقام المغيرة بن مخادش ذات يوم إلى الحسن فقال كيف نصنع بمجالسة أقوام يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير؟ فقال الحسن والله لأن تصحب أقواما يخوفونك حتى يدركك الأمن خير لك من أن تصحب أقواما يؤمنونك حتى تلحقك المخاوف فقال له بعض القوم أخبرنا بصفة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فبكى ثم قال ظهرت منهم علامات بالخير في السيماء والصمت والصدق وآنست علانيتهم بالاقتصاد ومماثلهم بالتواضع ومنطقهم بالعمل ويطيب مطعمهم ومشربهم بالطيب من الرزق وخضوعهم بالطاعة لربهم واستعدادهم للحق فيما أحبوا وكرهوا وإعطائهم الحق من أنفسهم للعدو والصديق وتحفظهم في المنطق مخافة الوزر ومسارعتهم في الخير رجاء الأجر والاجتهاد لله رموا جهازهم في أجسادهم وكانوا أوصياء أنفسهم ظمئت هواجرهم ونحلت أجسامهم واستحقوا سخط المخلوقين برضا الخالق لم يفرطوا في غضب ولم يحيفوا في جور ولا تجاوزوا حكم الله في القرآن شغلوا الألسن بالذكر وبذلوا لله دماءهم حين استنصرهم وبذلوا لله أموالهم حين استقرضهم فلم يكن خوفهم من المخلوقين حسنت أخلاقهم وهانت مؤنتهم فكفى اليسير من دنياهم إلى آخرتهم.

وأما أويس القرني فإن أهله ظنوا أنه مجنون فبنوا له بيتا على باب -[١٢٥٧]- دارهم فكان يأتي عليه السنة والسنتان لا يرون له وجها كان طعامه مما يلقط من النوى فإذا أمسى باعه لإفطاره وإن أصاب حشفة خبأها لإفطاره.

قال فلما ولي عمر بن الخطاب [رضي الله عنه] قال يا أيها الناس قوموا بالموسم فقال ألا اجلسوا إلا من كان من أهل اليمن فجلسوا فقال ألا اجلسوا إلا من كان من أهل الكوفة فجلسوا فقال ألا اجلسوا إلا من كان من مراد فجلسوا فقال ألا اجلسوا إلا من كان من قرن فجلسوا إلا رجل وكان عم أويس بن أنيس فقال عمر له أقرني أنت قال نعم قال أتعرف أويس قال وما تسأل عن ذلك يا أمير المؤمنين فوالله ما فينا أحمق منه ولا أجن منه ولا أهوج منه فبكى عمر قال بك لا به سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل الجنة بشفاعته مثل ربيعة ومضر

فقال هرم بن حيان العبدي فلما بلغني ذلك قدمت الكوفة فلم يكن لي هم إلا طلبه حتى سقطت عليه جالسا على شاطئ الفرات نصف النهار يتوضأ للصلاة فعرفته بالنعت الذي نعت لي فإذا رجل لحيم آدم شديد الأدمة أشعث محلوق الرأس مهيب المنظر وزاد غيره كان رجل أشهل أصهب عريض ما بين المنكبين وفي كتفه اليسرى وضح ضارب بلحيته على صدره ناصب بصره موضع السجود، قال: فسلمت عليه فرد علي السلام ونظر إلي ومددت يدي إليه لأصافحه فأبى أن يصافحني فقلت يرحمك الله يا أويس وغفر لك كيف أنت رحمك الله وخنقتني العبرة من حبي إياه ورقتي عليه لما رأيت من حاله حتى بكيت وبكى قال وأنت فحياك الله يا هرم بن حيان كيف أنت يا أخي من دلك علي؟ قلت الله قال لا إله إلا الله سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا فقلت له فمن أين عرفت اسمي -[١٢٥٨]- واسم أبي وما رأيتك قبل اليوم ولا رأيتني قال أنبأني بذلك العليم الخبير عرفت روحي روحك حيث كلمت نفسي نفسك إن الأرواح لها أنفاس كأنفاس الأجساد وأن المؤمنين ليعرف بعضهم بعضا ويتحابون بروح الله وإن لم يلتقوا ويتعارفوا وإن نأت بهم الديار وتفرقت بهم المنازل قلت حدثني رحمك الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إني لم أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن لي معه صحبة بأبي وأمي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكني قد رأيت رجالا رأوه ولست أحب أن أفتح هذا الباب على نفسي أن أكون

محدثا أو قاصا أو مفتيا في نفسي شغل عن الناس قلت أي أخي اقرأ علي آيات من كتاب الله أسمعها منك وأوصني بوصية أحفظها فإني أحبك في الله

قال فأخذ بيدي ثم قال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم قال ربي وأحق القول قول ربي وأصدق الحديث حديث ربي فقرأ ﴿وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما إلا بالحق﴾ إلى قوله ﴿إنه هو العزيز الرحيم﴾ فشهق شهقة فنظرت إليه وأنا أحسبه قد غشي عليه ثم قال يا هرم بن حيان مات أبوك حيان ويوشك أن تموت أنت فإما إلى الجنة وإما إلى النار ومات أبوك آدم ويوشك أن تموت وماتت أمك حواء يا ابن حيان ومات نوح نبي الله ومات إبراهيم خليل الله ومات موسى نجي الرحمن ومات داود خليفة الرحمن ومات محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين ومات أبو بكر رضي الله عنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات أخي وصديقي عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقلت له إن عمر لم يمت قال بلى قد نعاه إلي ربي ونعى إلي نفسي وأنا -[١٢٥٩]- وأنت من الموتى ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا بدعوات خفاف ثم قال: هذه وصيتي إياك كتاب الله ونعي المرسلين ونعى صالح المؤمنين وعليك بذكر الموت ولا يفارق قلبك طرفة عين ما بقيت فأنذر بها قومك إذا رجعت إليهم وانصح الأمة جميعا وإياك أن تفارق الجماعة فتفارق دينك وأنت لا تعلم فتدخل النار وادع لي ولنفسك ثم قال اللهم إن هذا يزعم أنه يحبني فيك وزارني من أجلك فعرفني وجهه في الجنة وأدخله علي في دارك دار السلام واحفظه ما دام في الدنيا حيا وأرضه باليسير واجعله لما أعطيته من نعمتك من الشاكرين واجزه عني خيرا ثم قال السلام عليك ورحمة الله وبركاته لا أراك بعد اليوم يرحمك الله فإني أكره الشهرة والوحدة أعجب إلي لأني كثير الغم ما دمت مع هؤلاء الناس حيا ولا تسأل عني ولا تطلبني واعلم أنك مني على بال وإن لم أرك وتراني فادع لي فإني سأدعو لك وأذكرك إن شاء الله انطلق أنت ها هنا حتى آخذ أنا ها هنا فحرصت أن أمشي معه ساعة فأبى علي ففارقته وأنا أبكي وبكى (رَحِمَهُ اللَّهُ٦) فجعلت أنظر في قفاه حتى دخل بعض السكك ثم سألت عنه بعد ذلك وطلبته فما وجدت أحدا يخبرني عنه بشيء رحمه الله وغفر له وما أتت علي جمعة إلا وأنا أراه في منامي مرة أو مرتين.

هذا حديث غريب من حديث يزيد بن عطاء الواسطي وهو مولى أبي عوانة من فوق عن علقمة بن مرثد الحضرمي ما نعرفه إلا من حديث يحيى بن سعيد العطار الحمصي عنه وقد رواه محمد بن مصفى الحمصي أيضا عن يحيى بن سعيد العطار كما رواه أبو عتبة، وقد روي من غير هذا الوجه والله أعلم.

رَحِمَهُ اللَّهُ______________

(رَحِمَهُ اللَّهُ١) [[من طبعة السلفي]]

(رَحِمَهُ اللَّهُ٢) [[في طبعة السلفي: ضعفاء]]

(رَحِمَهُ اللَّهُ٣) [[من طبعة السلفي]]

(رَحِمَهُ اللَّهُ٤) [[في طبعة السلفي: لباسهم]]

(رَحِمَهُ اللَّهُ٥) [[من طبعة السلفي، وفي المطبوع: عياله أقواتا]]

(رَحِمَهُ اللَّهُ٦) [[في طبعة السلفي: ففارقته أبكي ويبكي]]." (١)

"ذلك معناه، ولا يكون الذي يجرى عليه ما يجرى مضطرا إلى ما يجرى. وليس يمكن أن يقال إنه ليس له اختيار «١» ، بل يكون مختارا ولكن سببه عليه مشكل، والعجب من هذا أن العبارة عنه كالبعيد.

قوله جل ذكره:

[سورة الحج (٢٢) : آية ٣٣]

لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣)

لكل من تلك الجملة منفعة بقدره وحده «٢» فلأقوام بركات فى دفع البلايا عن نفوسهم وعن أموالهم، ولآخرين فى لذاذات بسطهم، ولآخرين فى حلاوة طاعاتهم، ولآخرين فى أنس أنفاسهم.

قوله جل ذكره:

[سورة الحج (٢٢) : آية ٣٤]

ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤)

الشرائع مختلفة فيما كان من المعاملات، متفقة فيما كان من جملة المعارف، ثم هم فيها مختلفون: فقوم هم أصحاب التضعيف «٣» فيما أوجب عليهم وجعل لهم، وقوم هم أصحاب التخفيف فيما ألزموا وفيما وعد لهم. قوله «ليذكروا اسم الله على..» وذكر اسم الله على ما رزقهم على أقسام: منها معرفتهم إنعام الله بذلك عليهم.. وذلك من حيث الشكر، ثم يذكرون اسمه على ما رفقهم لمعرفته بأنه هو الذي يتقبل منهم وهو الذي يثيبهم.

قوله جل ذكره: فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين.

أي استسلموا لحكمه بلا تعبيس ولا استكراه من داخل القلب.

---

(١) هذه وجهة نظر باحث صوفى فيما يشغل المتكلمين عن الجبر والاختيار.

(٢) أي بحسب ماله من قدر وهمة، وما هو واقف عنده من حد ورتبة.

(٣) أصحاب التضعيف أي أصحاب التشدد الذين يأبون اتباع الرخص، لأن الرخص لا تكون إلا لأرباب الحوائج والأشغال وهؤلاء لا حاجة ولا شغل لهم إلا بالحق.." (٢)

---

(١) فوائد الحنائي = الحنائيات أبو القاسم الحنائي ١٢٥٢/٢

(٢) لطائف الإشارات = تفسير القشيري القشيري، عبد الكريم ٥٤٣/٢

"والإسلام «١» يكون بمعنى الإخلاص، والإخلاص تصفية الأعمال من الآفات، ثم تصفية الأخلاق من الكدورات، ثم تصفية الأحوال، ثم تصفية الأنفاس. «وبشر المخبتين» :
الإخبات استدامة الطاعة بشرط الاستقامة بقدر الاستطاعة. ومن أمارات الإخبات كمال الخضوع بشرط دوام الخشوع، وذلك بإطراق السريرة.
قوله جل ذكره:

[سورة الحج (٢٢) : آية ٣٥]
الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)
الوجل الخوف من المخافة، والوجل عند الذكر على أقسام: إما لخوف عقوبة ستحصل أو لمخافة عاقبة بالسوء تختم، أو لخروج من الدنيا على غفلة من غير استعداد للموت، أو إصلاح أهبة، أو حياء من الله سبحانه فى أمور إذا ذكر اطلاعه- سبحانه- عليها لما بدرت منه تلك الأمور التي هى غير محبوبة.
ويقال الوجل على حسب تجلى الحق للقلب فإن القلوب فى حال المطالعة والتجلي تكون بوصف الوجل والهيبة.
ويقال وجل له سبب ووجل بلا سبب فالأول مخافة من تقصير، والثاني معدود فى جملة الهيبة «٢» .
ويقال الوجل خوف المكر والاستدراج، وأقربهم من الله قلبا أكثرهم من الله- على هذا الوجه- خوفا.
قوله جل ذكره: والصابرين على ما أصابهم.
أي خامدين تحت جريان الحكم من غير استكراه ولا تمنى خرجة، ولا روم فرجة بل يستسلم طوعا:

---

(١) هكذا فى م ولكنها فى ص (السلام) والصواب الأولى ففى الآية (أسلموا) .
(٢) فالخوف إذن أدنى منزلة من الهيبة، والترتيب هكذا: الخوف والرجاء ثم القبض والبسط ثم الهيبة والأنس (الرسالة ص ٣٥ وص ٣٦) .." (١)

"والأعظم، ﴿فإنها من تقوى القلوب﴾ [الحج: ٣٢] أي: فبان تعظيمها، ثم حذف المضاف لدلالة يعظم على التعظيم، وأضاف التقوى إلى القلوب، لأن حقيقة التقوى تقوى القلوب.
قوله: لكم فيها في الشعائر، منافع بركوبها وشرب لبنها إن احتاج إليه، ﴿إلى أجل مسمى﴾ [الحج: ٣٣] إلى أن ينحر، فهذا قول عطاء بن أبي رباح، ومذهب الشافعي، وعنده أن المهدي لو ركب هدية ركوبا غير فادح فلا بأس، والأكثرون من المفسرين يذهبون إلى أن المنافع من رسلها ونسلها وركوب ظهرها وأصوافها وأدبارها، إنما يكون قبل أن يسميها هديا، فإذا سماها هديا انقطعت المنافع بعد ذلك.
وهو قوله: ﴿إلى أجل مسمى﴾ [الحج: ٣٣] وبعد أن سميت هديا لا ينتفع بها غير أهل الله، والقول هو الأول لقوله تعالى:

---

(١) لطائف الإشارات = تفسير القشيري القشيري، عبد الكريم ٢/٥٤٤

﴿لكم فيها منافع﴾ [الحج: ٣٣] أي: في الشعائر، وقبل إيجابها لا تسمى شعائر، ولما روى أبو هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يسوق بدنة، فقال: «اركبها» .

فقال: إنها بدنة.

فقال: «اركبها ويحك» ، أو «ويلك» .

وقوله: ثم محلها أي: حيث يحل نحرها، ﴿إلى البيت العتيق﴾ [الحج: ٣٣] يعني: عند البيت، وهو الحرم كله.

﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين ﴿٣٤﴾ الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ﴿٣٥﴾ ﴾ [الحج: ٣٤-٣٥] قوله: ولكل أمة أي: جماعة مؤمنة، يعني: من الذين سلفوا، جعلنا منسكا المنسك ههنا مصدر من نسك ينسك إذا ذبح القربان، قال مجاهد: يريد إراقة الدماء.

وقال عكرمة، ومقاتل: يعني ذبح.

وقرأ حمزة بكسر السين، والفتح أولى، لأن المصدر من هذا الباب بفتح العين، والمعنى: جعلنا لكل أمة أن يتقرب إلى الله بأن تذبح الذبائح، ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم﴾ [الحج: ٣٤] أي: على نحر ما رزقهم، ﴿من بهيمة الأنعام﴾ [الحج: ٣٤] وبهيمة غير الأنعام لا يحل ذبحها، ولا التقرب بها، والآية دالة على أن الذبائح ليست من خصائص هذه الأمة، وأن التسمية على الذبائح كانت مشروعة قبلنا، وقوله: ﴿فإلهكم إله واحد﴾ [الحج: ٣٤] أي: لا ينبغي أن تذكروا على ذبائحكم إلا الله وحده، فله أسلموا انقادوا وأطيعوا، وبشر المخبتين المتواضعين المطمئنين إلى الله.

﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ [الحج: ٣٥] إذا خوفوا بالله خافوا، ﴿والصابرين على ما أصابهم﴾ [الحج: ٣٥] من البلاء والمصائب في طاعة الله، والمقيمين الصلاة في أوقاتها، يؤدونها كما استحفظهم الله، ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ [الحج: ٣٥] قال ابن عباس: يتصدقون من الواجب وغيره.

قوله: ﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون﴾ [الحج: ٣٦]." (١)

"كانت لكل أمة، وعلى أن الضحايا لم تزل من الأنعام، وأن التسمية على الذبح كانت مشروعة.

قوله تعالى: ﴿فإلهكم إله واحد﴾ قال أبو إسحاق: أي لا ينبغي أن تذكروا على ذبائحكم (رحمه الله ١) إلا الله وحده (رحمه الله ٢).

وقوله ﴿أسلموا﴾ أي: انقادوا وأطيعوا. وقال ابن عباس: أخلصوا (رحمه الله ٣).

وقوله: ﴿وبشر المخبتين﴾ قال ابن عباس، وقتادة، والضحاك: المتواضعين (رحمه الله ٤). وقال مجاهد: المطمئنين إلى الله سبحانه (رحمه الله ٥). وقال الأخفش: الخاشعين (رحمه الله ٦). وقال ابن جرير: الخاضعين (رحمه الله ٧).

رحمه الله________________

(رحمه الله ١) في (أ): (ذبائحهم).

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٢٧١/٣

(رحمه الله٢) "معاني القرآن" للزجاج ٣/ ٤٢٧.

(رحمه الله٣) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" ٦/ ٤٨ عن مقاتل بن حيان، وعزاه لابن أبي حاتم.

(رحمه الله٤) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ٣/ ٥٢ ب عن ابن عباس وقتادة.

ورواه عبد الرزاق في "تفسيره" ٢/ ٣٨ والطبري ١٧/ ١٦١ عن قتادة.

ورواه ابن أبي شيبة في "مصنفه" ١٣/ ٥٨٠ عن الضحاك، وذكره السيوطي في "الدر المنثور" ٦/ ٤٩ عنه وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(رحمه الله٥) ذكره عنه بهذا اللفظ الثعلبي في "الكشف والبيان" ٣/ ٥٢ ب.

ورواه الطبري ١٧/ ١٦١ مقتصرا على أدلة. وذكره السيوطي في "الدر المنثور" ٦/ ٤٨ بمثل رواية الطبري وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(رحمه الله٦) ذكره عنه الثعلبي في "الكشف والبيان" ٣/ ٥٢ ب. ولم أجده في كتابه "معاني القرآن".

(رحمه الله٧) قوله في "تفسيره" ١٧/ ١٦١ بأطول من هذا حيث قال: الخاضعين لله بالطاعة، المذعنيق له بالعبودية، المنيبين إليه بالتوبة.." (١)

"﴿ولكل أمة﴾ جماعة سلفت قبلكم ﴿جعلنا منسكا﴾ ذبحا للقرابين ﴿ليذكروا اسم الله﴾ عند الذبح ﴿على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ يعني: الأنعام ﴿فإلهكم إله واحد﴾ أي: لا تذكروا على ذبائحكم إلا الله وحده ﴿فله أسلموا﴾ أخلصوا العبادة ﴿وبشر المخبتين﴾ المتواضعين." (٢)

"﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) والبدن جعلناها لكم من﴾ مذبحا، ويقال: متعبدا.

وقوله: ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ يعني: ليذكروا اسم الله تعالى على نحر ما رزقهم الله من بهيمة الأنعام.

وقوله: ﴿فإلهكم إله واحد﴾ يعني: سموا على الذبائح اسم الله تعالى وحده، فإن إلهكم إله واحد.

وقوله: ﴿فله أسلموا﴾ أي: فله أخلصوا.

وقوله: ﴿وبشر المخبتين﴾ فيه أقوال: أحدها: أنه بمعنى المتواضعين، وقال إبراهيم النخعي: بمعنى المخلصين، وقال غيره: بمعنى الصالحين، ويقال: بمعنى المسلمين، وعن عمرو بن أوس قال: هم الذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لم ينتصروا، وذكر الكلبي

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٥/٤٠٠

(٢) الوجيز للواحدي الواحدي ص/٧٣٤

أن المخبتين هم الرقيقة قلوبهم، والخبت هو المكان المطمئن من الأرض، قال امرؤ القيس شعرا:

(فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى ... بنا بطن خبت ذي خفاف عقنقل)." (١)

"وبعد ذلك يجب أن نبين ما يجوز في النسخ وما لا يجوز، وقد علم أن النسخ لا يصح إلا في التعبد الذي هو الأمر والنهي دون الإخبار كما يصح ذلك في الاعتقادات المذكورة إذ كان ذلك أشياء أمرنا أن نعرفها على ما هي بها، فنعتقدها بحسب ما هي عليه، وذلك لا يتغير، وما كان من الآداب الخلقية، فإنما هي ما هي عقليات ظاهرة لا يأتي شرع بخلاف مقتضاها.

وأما العبادات والمعاملات والمزاجر فلا يصح، في أصولها النسخ، وإنما يصح في فروعها، وذاك أنه محال أن تنفك شريعة من الشرائع عن عبادة الله تعالى واقعة في حيز البدن، وهي مثل الصلاة، وعبادة في حيز المال، وهي كالزكاة، وعبادة في إمساك الشهوة كالصوم.

وأن تنفك عن معاملات تحثهم على العدالة وتمنعهم عن التهارج، وعن مزاجر تزجرهم عن استباحة نفوس الغير وأعراضهم وأموالهم وأنسابهم، وأما هيآتها وأشكالها وأمكنتها وأزمنتها وأعدادها، فهي فروعها التي لم تزل تعرض النسخ على حسب ما عرف الله تعالى من مصلحة كل قوم، ومما يدل على أنه لا نسخ في عامة أصول هذه الأشياء ما ورد من النصوص على ذلك في القرآن نحو قوله تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾، وقوله ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾ الآية، وقال حكاية عن عيسى: ﴿وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا﴾

وقال في الزكاة: ﴿وويل للمشركين (٦) الذين لا يؤتون الزكاة﴾، وقال في القبلة: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين﴾ ..

، وقال في الصوم: ﴿كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم﴾، وقال." (٢)

"وقال قوم: لا يركبها إلا أن يضطر إليه.

وقال بعضهم: أراد بالشعائر: المناسك ومشاهدة مكة. "لكم فيها منافع" بالتجارة والأسواق "إلى أجل مسمى" وهو الخروج من مكة.

وقيل: "لكم فيها منافع" بالأجر والثواب في قضاء المناسك. "إلى أجل مسمى"، أي: إلى انقضاء أيام الحج.

﴿ثم محلها﴾ أي: منحرها، ﴿إلى البيت العتيق﴾ أي: منحرها عند البيت العتيق، يريد أرض الحرم كلها، كما قال: ﴿فلا يقربوا المسجد الحرام﴾ (التوبة: ٢٨) أي: الحرم كله.

وروي عن جابر في قصة حجة الوداع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ٢٧/أقال: "نحرت هاهنا ومنى كلها منحر فانحروا في رحالكم" (١) .

---

(١) تفسير السمعاني السمعاني، أبو المظفر ٤٣٩/٣

(٢) تفسير الراغب الأصفهاني الراغب الأصفهاني ٣٠/١

ومن قال: "الشعائر" المناسك، قال: معنى قوله "ثم محلها إلى البيت العتيق" أي: محل الناس من إحرامهم إلى البيت العتيق، أي: أن يطوفوا به طواف الزيادة يوم النحر.

﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) ﴾

قال الله تعالى: ﴿ولكل أمة﴾ أي: جماعة مؤمنة سلفت قبلكم، ﴿جعلنا منسكا﴾ قرأ حمزة والكسائي بكسر السين هاهنا وفي آخر السورة، على معنى الاسم مثل المسجد والمطلع، أي: مذبحا وهو موضع القربان، وقرأ الآخرون بفتح السين على المصدر، مثل المدخل والمخرج، أي: إراقة الدماء وذبح القرابين، ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ [عند نحرها وذبحها، وسماها بهيمة] (٢) لأنها لا تتكلم، وقال: "بهيمة الأنعام" وقيدها بالنعم، لأن من البهائم ما ليس من الأنعام كالخيل والبغال والحمير، لا يجوز دخلها (٣) في القرابين.

﴿فإلهكم إله واحد﴾ أي: سموا على الذبائح اسم الله وحده، فإن إلهكم إله واحد،

---

(١) أخرجه مسلم في الحج، باب: ما جاء أن عرفه كلها موقف، برقم (١٢١٨) ٢ / ٨٩٣، والمصنف في شرح السنة: ٧ / ١٥٠.

(٢) ما بين القوسين زيادة من "ب".

(٣) في "ب" ذبحها.." (١)

"﴿فله أسلموا﴾ انقادوا وأطيعوا، ﴿وبشر المخبتين﴾ قال ابن عباس وقتادة: المتواضعين. وقال مجاهد: المطمئنين إلى الله عز وجل، "والخبت" المكان المطمئن من الأرض. وقال الأخفش: الخاشعين. وقال النخعي: المخلصين. وقال الكلبي: هم الرقيقة قلوبهم. وقال عمرو بن أوس: هم الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا.

﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) ﴾

﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم﴾ من البلاء والمصائب ﴿والمقيمي الصلاة﴾ أي: المقيمين للصلاة في أوقاتها، ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ يتصدقون. قوله عز وجل: ﴿والبدن﴾ جمع بدنة سميت بدنة لعظمها وضخامتها، يريد: الإبل العظام الصحاح الأجسام، يقال بدن الرجل بدنا وبدانة إذا ضخم، فأما إذا أسن واسترخى يقال بدن تبدينا. قال عطاء والسدي: البدن: الإبل والبقر أما الغنم فلا تسمى بدنة. ﴿جعلناها لكم من شعائر الله﴾ من أعلام دينه، سميت شعائر لأنها تشعر، وهو أن تطعن بحديدة في سنامها فيعلم أنها هدي، ﴿لكم فيها خير﴾ النفع في الدنيا والأجر في العقبى، ﴿فاذكروا اسم الله عليها﴾ عند نحرها، ﴿صواف﴾ أي: قياما على ثلاث قوائم قد صفت رجليها وإحدى يديها، ويدها

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٥/٣٨٥

اليسرى معقولة فينحرها كذلك.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا عبد الله بن مسلمة، أخبرنا يزيد بن زريع، عن يونس، عن زياد بن جبير قال: رأيت ابن عمر أتى على رجل قد أناخ بدنة ينحرها، قال: ابعثها قياما مقيدة سنة محمد صلى الله عليه وسلم (١) .

وقال مجاهد: الصواف إذا عقلت رجلها اليسرى وقامت على ثلاث قوائم.

وقرأ ابن مسعود: "صوافن" وهي أن تعقل منها يد وتنحر على ثلاث، وهو مثل صواف. وقرأ أبي والحسن ومجاهد: "صوافي" بالياء أي: صافية خالصة لله لا شريك له فيها.

﴿فإذا وجبت جنوبها﴾ أي: سقطت بعد النحر فوقعت جنوبها على الأرض. وأصل الوجوب:

---

(١) أخرجه البخاري في الحج، باب: نحر الإبل مقيدة: ٣ / ٥٥٣، ومسلم في الحج، باب: نحر البدن قياما مقيدة، برقم (١٣٢٠) ٢ / ٩٥٦، والمصنف في شرح السنة: ٧ / ١٩٨.." (١)

"وقيل: هو قول المشركين في تلبيتهم لبيك لا شريك لك لبيك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك.

[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣١ الى ٣٤]

حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق (٣١) ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤)

حنفاء لله، مخلصين له، غير مشركين به، قال قتادة: كانوا في الشرك يحجون ويحرمون البنات والأمهات والأخوات وكانوا يسمون حنفاء، فنزلت: حنفاء لله غير مشركين به أي: حجاجا لله مسلمين موحدين يعني: من أشرك لا يكون حنيفا. ومن يشرك بالله فكأنما خر، أي: سقط، من السماء، إلى الأرض، فتخطفه الطير، أي: تستلبه الطير وتذهب به، والخطف والاختطاف تناول الشيء بسرعة، وقر أهل المدينة (فتخطفه) بفتح الخاء وتشديد الطاء، أي: يتخطفه، أو تهوي به الريح، أي:

تميل وتذهب به، في مكان سحيق، أي بعيد معناه أن بعد من أشرك بالحق كبعد من سقط من السماء فذهبت به الطير، أو هوت به الريح، فلا يصل [إليه] [١] بحال. وقيل: شبه حال المشرك بحال الهاوي من السماء في أنه لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع بحيث تسقطه الريح، فهو هالك لا محالة إما باستلاب الطير لحمه وإما بسقوطه إلى المكان السحيق، وقال الحسن: شبه أعمال الكفار بهذه الحال في أنها تذهب وتبطل فلا يقدرون على شيء منها.

ذلك، يعني الذي ذكرت من اجتناب الرجس وقول الزور، ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب، قال ابن عباس:

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٣٨٦/٥

شعائر الله البدن والهدي وأصلها من الإشعار وهو إعلامها ليعرف [٢] أنها هدي وتعظيمها استسمانها واستحسانها، وقيل: شعائر الله أعلام دينه فإنها من تقوى القلوب، أي:

فإن تعظيمها من تقوى القلوب.

لكم فيها أي: في البدن قبل تسميتها للهدي، منافع، في درها ونسلها وأصوافها وأوبارها وركوب ظهورها، إلى أجل مسمى، وهو أن يسميها ويوجبها هديا فإذا فعل ذلك لم يكن له شيء من منافعها، هذا قول مجاهد، وقتادة والضحاك، ورواه مقسم عن ابن عباس. وقيل معناه: لكم في الهدايا منافع بعد إيجابها وتسميتها هديا بأن تركبوها وتشربوا ألبانها عند الحاجة إلى أجل مسمى، يعني إلى أن تنحروها وهو قول عطاء بن أبي رباح واختلف أهل العلم في ركوب الهدي، فقال قوم: يجوز له ركوبها والحمل عليها غير مضر بها، وهو قول مالك والشافعي وأحمد وإسحاق، لما:

«١٤٦١» أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا أبو علي زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب

١٤٦١- إسناده على شرط البخاري ومسلم.

- أبو مصعب أحمد بن أبي بكر المدني، مالك بن أنس، أبو الزناد عبد الله بن ذكوان، الأعرج، عبد الرحمن بن هرمز.

- وهو في «شرح السنة» ١٩٤٧ بهذا الإسناد.

- وهو في «الموطأ» ١/ ٣٧٧ عن أبي الزناد به.

(١) زيادة عن المخطوط. [.....]

(٢) في المطبوع «ليعلم» .." (١)

"عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يسوق بدنة فقال [له] [١] «اركبها، فقال [يا رسول الله] [٢] إنها بدنة، فقال: اركبها [٣] ، ويلك، في الثانية أو الثالثة» «١٤٦٢» وكذلك قال له: «اشرب لبنها بعد ما فضل من ري ولدها» .

وقال أصحاب الرأي: لا يركبها. وقال قوم: لا يركبها إلا أن يضطر إليه. وقال بعضهم: أراد بالشعائر المناسك ومشاهدة مكة، لكم فيها منافع بالتجارة والأسواق إلى أجل مسمى، وهو الخروج من مكة. وقيل: لكم فيها منافع بالأجر والثواب في قضاء المناسك إلى أجل مسمى، أي: إلى انقضاء أيام الحج، ثم محلها إلى البيت العتيق أي: منحرها عند البيت العتيق، يريد أرض الحرم كلها، كما قال: فلا يقربوا المسجد الحرام [التوبة: ٢٨] أي: الحرم كله.

«١٤٦٣» وروي عن جابر في قصة حجة الوداع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «نحرت هاهنا ومنى كلها منحر فانحروا في رحالكم» .

ومن قال الشعائر المناسك قال معنى قوله: ثم محلها إلى البيت العتيق أي: محل الناس من إحرامهم إلى البيت العتيق، أي: أن يطوفوا به طواف الزيارة يوم النحر.

---

(١) تفسير البغوي - إحياء التراث البغوي ، أبو محمد ٣/٣٣٩

قال الله تعالى: ولكل أمة، يعني جماعة مؤمنة سلفت قبلكم، جعلنا منسكا، قرأ حمزة والكسائي بكسر السين هاهنا وفي آخر السورة، على معنى الاسم مثل المجلس [٤] والمطلع، يعني مذبحا وهو موضع القربان، وقرأ الآخرون بفتح السين على المصدر، مثل المدخل والمخرج يعني إهراق [٥] الدماء وذبح القرابين، ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام، عند نحرها وذبحها وسماها بهيمة لأنها لا تتكلم، وقال: بهيمة الأنعام وقيدها بالنعم لأن من البهائم ما ليس من الأنعام كالخيل والبغال والحمير، لا يجوز ذبحها في القرابين. فإلهكم إله واحد، أي: سموا على الذبائح اسم الله وحده فإن إلهكم إله واحد، فله أسلموا، انقادوا وأطيعوا، وبشر المخبتين، قال ابن عباس وقتادة: المتواضعين. وقال مجاهد: المطمئنين إلى الله عز وجل، والخبت المكان المطمئن من الأرض. وقال الأخفش: الخاشعين. وقال النخعي: المخلصين. وقال الكلبي: هم الرقيقة قلوبهم. وقال عمرو [٦] بن

- وأخرجه البخاري ١٦٨٩ و٦١٦٠ ومسلم ١٣٢٢ ح ٣٧١ وأبو داود ١٧٦٠ والنسائي ٥/ ١٧٦ وأحمد ٢/ ٤٨٧ وابن الجارود في «المنتقى» ٤٢٨ والبيهقي ٥/ ٢٣٦ من طرق عن مالك به.

١٤٦٢- لم أره مرفوعا. وإنما أخرجه مالك ١/ ٣٧٨ ومن طريقه البيهقي ٥/ ٢٣٦ عن هشام بن عروة: أن أباه قال: إذا اضطرت إلى بدنتك فاركبها ركوبا غير فادح، وإذا اضطررت إلى لبنها، فاشرب بعد ما يروى فصيلها، فإذا نحرتها فانحر فصيلها معها.

- وكذا ذكره المصنف في «شرح السنة» ٤/ ١١٦ من قول عروة بن الزبير.

فلعل البغوي سبق قلمه هاهنا، فجعله مرفوعا.

١٤٦٣- هو بعض حديث جابر في صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم وقد تقدم برقم ١٤٥١ أخرجه مسلم وغيره.

(١) سقط من المطبوع.

(٢) سقط من المطبوع.

(٣) زيد في المطبوع «فقال إنها بدنه اركبها» .

(٤) في المطبوع «المسجد» .

(٥) في المطبوع «إراقه» .

(٦) تصحف في المطبوع «عمر» وفي المخطوط «عروة» والمثبت عن «الدر المنثور» ٤/ ٦٤٩ وكتب التراجم.." (١)

"إلى من ليرتبط به، وإنما ذكرت القلوب لأنها مراكز التقوى التي إذا ثبتت فيها وتمكنت، ظهر أثرها في سائر الأعضاء.

إلى أجل مسمى إلى أن تنحر ويتصدق بلحومها ويؤكل منها.

وثم للتراخي في الوقت، فاستعيرت للتراخي في الأحوال. والمعنى: أن لكم في الهدايا منافع كثيرة في دنياكم ودينكم، وإنما يعتد الله بالمنافع الدينية، قال سبحانه تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة وأعظم هذه المنافع وأبعدها شوطا في النفع: محلها

---

(١) تفسير البغوي - إحياء التراث البغوي ، أبو محمد ٣/٣٤٠

إلى البيت أى وجوب نحرها. أو وقت وجوب نحرها في الحرم منتهية إلى البيت، كقوله هديا بالغ الكعبة والمراد نحرها في الحرم الذي هو في حكم البيت، لأن الحرم هو حريم البيت. ومثل هذا في الاتساع قولك: بلغنا البلد، وإنما شارفتموه واتصل مسيركم بحدوده. وقيل: المراد بالشعائر: المناسك كلها، ومحلها إلى البيت العتيق يأباه.

[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٤ الى ٣٥]

ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)

شرع الله لكل أمة أن ينسكوا له: أى يذبحوا لوجهه على وجه التقرب، وجعل العلة في ذلك أيذكر اسمه تقدست أسماؤه على النسائك: وقرئ منسكا بفتح السين وكسرها، وهو مصدر بمعنى النسك، والمكسور يكون بمعنى الموضع فله أسلموا أى أخلصوا له الذكر خاصة، واجعلوه لوجهه سالما، أى: خالصا لا تشوبوه بإشراك.

المخبتون: المتواضعون الخاشعون، من الخبت وهو المطمئن من الأرض. وقيل: هم الذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لم ينتصروا. وقرأ الحسن والمقيمي الصلاة بالنصب على تقدير النون. وقرأ ابن مسعود: والمقيمين الصلاة، على الأصل.

[سورة الحج (٢٢) : آية ٣٦]

والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦)

البدن جمع بدنة، سميت لعظم بدنها وهي الإبل خاصة، ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم." (١)

"قوله عز وجل:

[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٢ الى ٣٥]

ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)

التقدير في هذا الموضع الأمر ذلك، و «الشعائر» جمع شعيرة وهي كل شيء لله تعالى، فيه أمر أشعر به وأعلم، قالت فرقة: قصد ب «الشعائر» في هذه الآية الهدي والأنعام المشعرة، ومعنى تعظيمها تسميتها والاهتبال بأمرها والمغالاة بها قاله ابن عباس ومجاهد وجماعة، وعود الضمير في «إنها» على التعظمة والفعلة التي يتضمنها الكلام، وقرأ «القلوب» بالرفع على أنها فاعلة بالمصدر الذي هو تقوى، ثم اختلف المتأولون في قوله لكم فيها منافع الآية، فقال مجاهد وقتادة: أراد أن للناس في

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ١٥٧/٣

أنعامهم منافع من الصوف واللبن وغير ذلك ما لم يبعثها ربها هديا فإذا بعثها فهو «الأجل المسمى» ، وقال عطاء بن أبي رباح: أراد في الهدي المبعوث منافع من الركوب والاحتلاب لمن اضطر، و «الأجل» نحرها وتكون ثم لترتيب الجمل، لأن المحل قبل الأجل ومعنى الكلام عند هاتين الفرقتين ثم محلها إلى موضع النحر فذكر البيت لأنه أشرف الحرم وهو المقصود بالهدي وغيره، وقال ابن زيد وابن عمر والحسن ومالك:

«الشعائر» في هذه الآية مواضع الحج كلها ومعالمه بمنى وعرفة والمزدلفة والصفا والمروة والبيت وغير ذلك، وفي الآية التي تأتي أن البدن من الشعائر، و «المنافع» التجارة وطلب الرزق، ويحتمل أن يريد كسب الأجر والمغفرة، وبكل احتمال قالت فرقة و «الأجل» الرجوع إلى مكة لطواف الإفاضة وقوله، محلها مأخوذ من إحلال المحرم ومعناه ثم أخر هذا كله إلى طواف الإفاضة ب البيت العتيق، ف البيت على هذا التأويل مراد بنفسه، قاله مالك في الموطأ، ثم أخبر تعالى أنه جعل لكل أمة من الأمم المؤمنة منسكا أي موضع نسك وعبادة وهذا على أن المنسك ظرف كالمذبح ونحوه، ويحتمل أن يريد به المصدر، كأنه قال عبادة ونحو هذا، والناسك العابد، وقال مجاهد: سنة في هراقة دماء الذبائح، وقرأ معظم القراء «منسكا» بفتح السين وهو من نسك ينسك بضم السين في المستقبل، وقرأ حمزة والكسائي «منسكا» بكسر السين قال أبو علي: الفتح أولى لأنه إما المصدر وإما المكان وكلاهما مفتوح والكسر في هذا من الشاذ في اسم المكان أن يكون مفعل من فعل يفعل مثل مسجد من سجد يسجد، ولا يسوغ فيه القياس، ويشبه أن الكسائي سمعه من العرب. وقوله ليذكروا اسم الله معناه أمرناهم عند ذبائحهم بذكر الله وأن يكون الذبح له لأنه رازق ذلك، ثم رجع اللفظ من الخبر عن الأمم إلى إخبار الحاضرين بما معناه فالإله واحد لجميعكم بالأمر كذلك في الذبيحة إنما ينبغي أن تخلص له، وأسلموا معناه لحقه ولوجهه ولإنعامه آمنوا وأسلموا، ويحتمل أن يريد الاستسلام ثم أمر تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يبشر بشارة على الإطلاق وهي أبلغ من المفسرة لأنها مرسلة مع نهاية التخيل،." (١)

"والمخبتين المتواضعين الخاشعين من المؤمنين، والخبت ما انخفض من الأرض والمخبت المتواضع الذي مشيه متطامن كأنه في حدود من الأرض وقال عمرو بن أوس المخبتون الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا.

قال القاضي أبو محمد: وهذا مثال شريف من خلق المؤمن الهين اللين، وقال مجاهد: هم المطمئنون بأمر الله، ووصفهم تعالى بالخوف والوجل عند ذكر الله، وذلك لقوة يقينهم ومراعاتهم لربهم، وكأنهم بين يديه، ووصفهم بالصبر وبإقامة الصلاة وإدامتها، وقرأ الجمهور «الصلاة» بالخفض، وقرأ ابن أبي إسحاق «الصلاة» بالنصب على توهم النون وأن حذفها للتخفيف، ورويت عن أبي عمرو، وقرأ الأعمش «والمقيمين الصلاة» بالنون والنصب في «الصلاة» ، وقرأ الضحاك «والمقيم الصلاة» ، وروي أن هذه الآية، قوله وبشر المخبتين نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم.

قوله عز وجل:

[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٦ الى ٣٧]

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١٢١/٤

والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧)

البدن جمع بدنة وهي ما أشعر من ناقة أو بقرة، قاله عطاء وغيره وسميت بذلك لأنها تبدن أي تسمن، وقيل بل هذا الاسم خاص بالإبل، وقالت فرقة البدن جمع بدن بفتح الدال والباء ثم اختلفت، فقال بعضها البدن مفرد اسم جنس يراد به العظيم السمين من الإبل والبقر، ويقال للمسلمين من الرجال بدن، وقال بعضها البدن جمع بدنة كثمرة وثمر، وقرأ الجمهور «والبدن» ساكنة الدال، وقرأ أبو جعفر وشيبة والحسن وابن أبي إسحاق «البدن» بضم الدال، فيحتمل أن يكون جمع بدنة كثمر، وعدد الله تعالى في هذه الآية نعمته على الناس في هذه البدن، وقد تقدم القول في «الشعائر» ، و «الخير» قيل فيه ما قيل في المنافع التي تقدم ذكرها والصواب عمومه في خير الدنيا والآخرة، وقوله، عليها يريد عند نحرها، وقرأ جمهور الناس «صواف» بفتح الفاء وشدها جمع صافة أي مصطفة في قيامها، وقرأ الحسن ومجاهد وزيد بن أسلم وأبو موسى الأشعري وشقيق وسليمان التيمي والأعرج «صوافي» جمع صافية أي خالصة لوجه الله تعالى لا شركة فيها لشيء كما كانت الجاهلية تشرك، وقرأ الحسن أيضا «صواف» بكسر الفاء وتنوينها مخففة وهي بمعنى التي قبلها لكن حذفت الياء تخفيفا على غير قياس وفي هذا نظر، وقرأ ابن مسعود وابن عمر وابن عباس وأبو جعفر محمد بن علي «صوافن» بالنون جمع صافنة وهي التي قد رفعت إحدى يديها بالعقل لئلا تضطرب، والصافن من الخيل الرافع لفراهيته إحدى يديه وقيل إحدى رجنيه ومنه قوله تعالى: الصافنات الجياد [ص: ٣١] .

وقال عمرو بن كلثوم:

تركنا الخيل عاكفة عليه ... مقلدة أعنتها صفونا." (١)

"من الأوثان: «من» لتلخيص الجنس، أي: اجتنبوا الرجس الذي هو وثن «١» .

٣١ حنفاء لله: مستقيمي الطريقة على أمر الله «٢» .

٣٢ ومن يعظم شعائر الله: مناسك الحج «٣» ، أو يعظم البدن المشعرة ويسمنها ويكبرها «٤» .

٣٣ إلى أجل مسمى: إلى أن تقلد أو تنحر «٥» .

٣٤ جعلنا منسكا: حجا «٦» . وقيل «٧» : عيدا وذبائح.

وبشر المخبتين: المطمئنين بذكر الله.

---

(١) نص هذا القول في معاني القرآن للزجاج: ٣/ ٤٢٥، وذكره النحاس في إعراب القرآن: ٣/ ٩٦، ونقله ابن الجوزي في زاد المسير: ٥/ ٤٢٨ عن الزجاج.

(٢) تفسير الماوردي: ٣/ ٧٨، والمفردات للراغب: ١٣٣، وتفسير القرطبي: ١٢/ ٥٥. [.....]

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١٢٢/٤

(٣) أخرج الطبري نحو هذا القول في تفسيره: ١٧/ ١٥٦ عن ابن زيد.

وانظر تفسير الماوردي: ٣/ ٧٩، والمفردات للراغب: ٢٦٢، وزاد المسير: ٥/ ٤٣٠.

(٤) أخرج الطبري نحو هذا القول في تفسيره: ١٧/ ١٥٦ عن ابن عباس، ومجاهد.

وأورده السيوطي في الدر المنثور: ٦/ ٥٦، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) ينظر تفسير الطبري: ١٧/ ١٥٨، وتفسير الماوردي: ٣/ ٧٩، وتفسير البغوي: ٣/ ٢٨٧.

(٦) نقل الماوردي هذا القول في تفسيره: ٣/ ٨٠ عن قتادة، وكذا القرطبي في تفسيره:

١٢/ ٥٨.

(٧) ذكره الزجاج في معانيه: ٣/ ٤٢٦، والماوردي في تفسيره: ٣/ ٨٠، ورجحه القرطبي في تفسيره: ١٢/ ٥٨.." (١)

"الحسن، والأعمش: بفتح التاء وكسر وتشديد الطاء ورفع الفاء. وكلهم فتح الطاء. وفي المراد بهذا المثل قولان: أحدهما: أنه شبه المشرك بالله في بعده عن الهدى وهلاكه، بالذي يخر من السماء، قاله قتادة. والثاني: أنه شبه حال المشرك في أنه لا يملك لنفسه نفعا ولا دفع ضر يوم القيامة، بحال الهاوي من السماء، حكاه الثعلبي.

قوله تعالى: ذلك أي: الأمر ذلك الذي ذكرناه ومن يعظم شعائر الله قد شرحنا معنى الشعائر في البقرة «١» . وفي المراد بها ها هنا قولان: أحدهما: أنها البدن. وتعظيمها: استحسانها واستسمانها لكم فيها منافع قبل أن يسميها صاحبها هديا، أو يشعرها ويوجبها، فإذا فعل ذلك، لم يكن له من منافعها شيء، روى هذا المعنى مقسم عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وقتادة، والضحاك.

وقال عطاء بن أبي رباح: لكم في هذه الهدايا منافع بعد إيجابها وتسميتها هدايا إذا احتجتم إلى شيء من ذلك أو اضطررتم إلى شرب ألبانها إلى أجل مسمى وهو أن تنحر. والثاني: أن الشعائر: المناسك ومشاهد مكة والمعنى: لكم فيها منافع بالتجارة إلى أجل مسمى، وهو الخروج من مكة، رواه أبو رزين عن ابن عباس. وقيل: لكم فيها منافع من الأجر، والثواب في قضاء المناسك إلى أجل مسمى، وهو انقضاء أيام الحج.

قوله تعالى: فإنها يعني الأفعال المذكورة، من اجتناب الرجس وقول الزور، وتعظيم الشعائر. وقال الفراء: «فإنها» يعني الفعلة من تقوى القلوب، وإنما أضاف التقوى إلى القلوب، لأن حقيقة التقوى تقوى القلوب. قوله تعالى: ثم محلها أي: حيث يحل نحرها إلى البيت يعني:

عند البيت، والمراد به: الحرم كله «٢» ، لأنا نعلم أنها لا تذبح عند البيت، ولا في المسجد، هذا على القول الاول، وعلى الثاني، يكون المعنى: ثم محل الناس من إحرامهم إلى البيت، وهو أن يطوفوا به بعد قضاء المناسك.

[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٤ الى ٣٥]

---

(١) إيجاز البيان عن معاني القرآن النيسابوري، بيان الحق ٢/٥٧٧

ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)

قوله تعالى: ولكل أمة جعلنا منسكا قرأ حمزة، والكسائي، وبعض أصحاب أبي عمرو بكسر السين، وقرأ الباقون بفتحها: فمن أراد المصدر، من نسك ينسك، ومن كسر أراد مكان النسك كالمجلس والمطلع. ومعنى الآية: لكل جماعة مؤمنة من الأمم السالفة جعلنا ذبح القرابين ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام، وإنما خص بهيمة الأنعام، لأنها المشروعة في القرب.

والمراد من الآية: أن الذبائح ليست من خصائص هذه الأمة، وأن التسمية عليها كانت مشروعة قبل هذه الأمة. قوله تعالى: فإلهكم إله واحد: لا ينبغي أن تذكروا على ذبائحكم سواه فله أسلموا أي:

انقادوا واخضعوا. وقد ذكرنا معنى الإخبات في سورة هود «٣» . وكذلك ألفاظ الآية التي تلي هذه.

---

(١) سورة البقرة: ١٥٨.

(٢) تقدم الكلام عن محل الذبح في سورة المائدة.

(٣) سورة هود: ٢٣. [.....]." (١)

"بدنة فيها جمل لأبي في أنفه برة من ذهب»

والوجه الثاني: في تعظيم شعائر الله تعالى أن يعتقد أن طاعة الله تعالى في التقرب بها وإهدائها إلى بيته المعظم أمر عظيم لا بد وأن يحتفل به ويتسارع فيه فإنها من تقوى القلوب أي إن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات، ولا يستقيم المعنى إلا بتقديرها لأنه لا بد من راجع من الجزاء إلى من ارتبط به وإنما ذكرت القلوب لأن المنافق قد يظهر التقوى من نفسه.

ولكن لما كان قلبه خاليا عنها لا جرم لا يكون مجدا في أداء الطاعات، أما المخلص الذي تكون التقوى متمكنة في قلبه/ فإنه يبالغ في أداء الطاعات على سبيل الإخلاص، فإن قال قائل: ما الحكمة في أن الله تعالى بالغ في تعظيم ذبح الحيوانات هذه المبالغة؟ فالجواب قوله تعالى:

[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٣ الى ٣٥]

لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)

اعلم أن قوله تعالى: لكم فيها منافع إلى أجل مسمى لا يليق إلا بأن تحمل الشعائر على الهدي الذي فيه منافع إلى وقت

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٣/٢٣٦

النحر، ومن يحمل ذلك على سائر الواجبات يقول لكم فيها أي في التمسك بها منافع إلى أجل ينقطع التكليف عنده، والأول هو قول جمهور المفسرين، ولا شك أنه أقرب. وعلى هذا القول فالمنافع مفسرة بالدر والنسل والأوبار وركوب ظهورها، فأما قوله إلى أجل مسمى ففيه قولان: أحدهما: أن لكم أن تنتفعوا بهذه البهائم إلى أن تسموها ضحية وهديا فإذا فعلتم ذلك فليس لكم أن تنتفعوا بها، وهذا قول ابن عباس ومجاهد وعطاء وقتادة والضحاك وقال آخرون لكم فيها أي في البدن منافع مع تسميتها هديا بأن تركبوها إن احتجتم إليها وأن تشربوا ألبانها إذا اضطررتم إليها إلى أجل مسمى يعني إلى أن تنحروها هذه هي الرواية الثانية عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو اختيار الشافعي، وهذا القول أولى لأنه تعالى قال: لكم فيها منافع أي في الشعائر ولا تسمى شعائر قبل أن تسمى هديا

وروى أبو هريرة أنه عليه السلام «مر برجل يسوق بدنة وهو في جهد، فقال عليه السلام اركبها فقال يا رسول الله إنها هدي فقال اركبها ويلك»

وروى جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «اركبوا الهدي بالمعروف حتى تجدوا ظهرا»

واحتج أبو حنيفة رحمه الله على أنه لا يملك منافعها بأن لا يجوز له أن يؤجرها للركوب فلو كان مالكا لمنافعها لملك عقد الإجارة عليها كمنافع سائر المملوكات، وهذا ضعيف لأن أم الولد لا يمكنه بيعها، ويمكنه الانتفاع بها فكذا هاهنا.

أما قوله تعالى: ثم محلها إلى البيت العتيق فالمعنى أن لكم في الهدايا منافع كثيرة في دنياكم ودينكم وأعظم هذه المنافع محلها إلى البيت العتيق أي وجوب نحرها أو وقت وجوب نحرها منتهية إلى البيت، كقوله:

هديا بالغ الكعبة [المائدة: ٩٥] وبالجملة فقوله: محلها يعني حيث يحل نحرها، وأما البيت العتيق فالمراد به الحرم كله، ودليله قوله تعالى: فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا [التوبة: ٢٨] أي الحرم كله فالمنحر على هذا القول كل مكة، ولكنها تنزهت عن الدماء إلى منى ومنى من مكة،

قال عليه السلام: «كل." (١)

"فجاج مكة منحر وكل فجاج منى منحر»

قال القفال هذا إنما يختص بالهدايا التي بلغت منى فأما الهدي المتطوع به إذا عطب قبل بلوغ مكة فإن محله موضعه.

أما قوله تعالى: ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله فالمعنى شرعنا لكل أمة من الأمم السالفة من عهد إبراهيم عليه السلام إلى من بعده ضربا من القربان وجعل العلة في ذلك أن يذكروا اسم الله تقدست أسماؤه على المناسك، وما كانت العرب تذبحه للصنم يسمى العتر والعتيرة كالذبح والذبيحة، وقرأ أهل الكوفة إلا عاصما منسكا بكسر السين وقرأ الباقون بالفتح وهو مصدر بمعنى النسك والمكسور بمعنى الموضع.

أما قوله تعالى: فإلهكم إله واحد ففي كيفية النظم وجهان: أحدهما: أن الإله واحد وإنما اختلفت التكاليف باختلاف الأزمنة والأشخاص لاختلاف المصالح الثاني: فإلهكم إله واحد فلا تذكروا على ذبائحكم غير اسم الله فله أسلموا أي أخلصوا له الذكر خاصة بحيث لا يشوبه إشراك البتة، والمراد الانقياد لله تعالى في جميع تكاليفه، ومن انقاد له كان مخبتا فلذلك قال

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٢٤/٢٣

بعده وبشر المخبتين والمخبت المتواضع الخاشع. قال أبو مسلم: حقيقة المخبت من صار في خبت من الأرض، يقال أخبت الرجل إذا صار في الخبت كما يقال أنجد وأشأم وأتهم، والخبت هو المطمئن من الأرض. وللمفسرين فيه عبارات أحدها: المخبتين المتواضعين عن ابن عباس وقتادة وثانيها: المجتهدين في العبادة عن الكلبي وثالثها: المخلصين عن مقاتل ورابعها: المطمئنين إلى ذكر الله تعالى والصالحين عن مجاهدو خامسها: هم الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا عن عمرو بن أوس.

ثم وصفهم الله تعالى بقوله: الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم فيظهر عليهم الخوف من عقاب الله تعالى والخشوع والتواضع لله، ثم لذلك الوجل أثران أحدهما: الصبر على المكاره وذلك هو المراد بقوله:

والصابرين على ما أصابهم وعلى ما يكون من قبل الله تعالى، لأنه الذي يجب الصبر عليه كالأمراض والمحن والمصائب. فأما ما يصيبهم من قبل الظلمة فالصبر عليه غير واجب بل إن أمكنه دفع ذلك لزمه الدفع ولو بالمقاتلة والثاني: الاشتغال بالخدمة وأعز الأشياء عند الإنسان نفسه وماله. أما الخدمة بالنفس فهي الصلاة، وهو المراد بقوله: والمقيمي الصلاة وأما الخدمة بالمال فهو المراد من قوله: ومما رزقناهم ينفقون قرأ الحسن والمقيمي الصلاة بالنصب على تقدير النون، وقرأ ابن مسعود والمقيمين الصلاة على الأصل.

[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٦ الى ٣٧]

والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧)

اعلم أن قوله تعالى: والبدن فيه مسائل:

المسألة الأولى: البدن جمع بدنة كخشب وخشبة، سميت بذلك إذا أهديت للحرم لعظم بدنها وهي الإبل خاصة، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألحق البقر بالإبل حين

قال: «البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة»

ولأنه قال: فإذا." (١)

"أنه لا يقنع بما يدفع إليه أبدا وقرأ الحسن والمعتري وقرأ أبو رجاء القنع وهو الراضي لا غير يقال قنع فهو قنع وقانع. أما قوله: كذلك سخرناها لكم فالمعنى أنها أجسم وأعظم وأقوى من السباع وغيرها مما يمتنع علينا التمكن منه، فالله تعالى جعل الإبل والبقر بالصفة التي يمكننا تصريفها على ما نريد، وذلك نعمة عظيمة من الله تعالى في الدين والدنيا، ثم لما بين تعالى هذه النعمة قال بعده لعلكم تشكرون والمراد لكي تشكروا. قالت المعتزلة: هذا يدل على أنه سبحانه أراد من جميعهم أن يشكروا فدل هذا/ على أنه يريد كل ما أمر به ممن أطاع وعصى، لا كما يقوله أهل السنة من أنه تعالى لم يرد ذلك إلا

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٣/٢٢٥

من المعلوم أن يطيع، والكلام عليه قد تقدم غير مرة.

أما قوله تعالى: لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ففيه مسائل:

المسألة الأولى: لما كانت عادة الجاهلية على ما

روي في القربان أنهم يلوثون بدمائها ولحومها الوثن وحيطان الكعبة

بين تعالى ما هو القصد من النحر فقال: لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم فبين أن الذي يصل إليه تعالى ويرتفع إليه من صنع المهدي من قوله ونحره وما شاكله من فرائضه هو تقوى الله دون نفس اللحم والدم، ومعلوم أن شيئا من الأشياء لا يوصف بأنه يناله سبحانه فالمراد وصول ذلك إلى حيث يكتب يدل عليه قوله: إليه يصعد الكلم الطيب [فاطر: ١٠] .

المسألة الثانية: قالت المعتزلة دلت هذه الآية على أمور: أحدها: أن الذي ينتفع به المرء فعله دون الجسم الذي ينتفع بنحره وثانيها: أنه سبحانه غني عن كل ذلك، وإنما المراد أن يجتهد العبد في امتثال أوامره وثالثها: أنه لما لم ينتفع بالأجسام التي هي اللحوم والدماء وانتفع بتقواه وجب أن تكون تقواه فعلا وإلا لكانت تقواه بمنزلة اللحوم ورابعها: أنه لما شرط القبول بالتقوى وصاحب الكبيرة غير متق فوجب أن لا يكون عمله مقبولا وأنه لا ثواب له والجواب: أما الأولان فحقان، وأما الثالث فمعارض بالداعي والعلم، وأما الرابع فصاحب الكبيرة وإن لم يكن متقيا مطلقا ولكنه متق فيما أتى به من الطاعة على سبيل الإخلاص فوجب أن تكون طاعته مقبولة وعند هذا تنقلب الآية حجة عليهم.

المسألة الثالثة: كلهم قرءوا ينال الله ويناله بالياء إلا يعقوب فإنه قرأ بالتاء في الحرفين فمن أنث فقد رده إلى اللفظ ومن ذكر فللحائل بين الاسم والفعل. ثم قال: كذلك سخرها لكم والمراد أنه إنما سخرها كذلك لتكبروا الله وهو التعظيم، بما نفعله عند النحر وقبله وبعده على ما هدانا ودلنا عليه وبينه لنا، ثم قال بعده على وجه الوعد لمن امتثل أمره وبشر المحسنين كما قال من قبل وبشر المخبتين [الحج: ٣٤] والمحسن هو الذي يفعل الحسن من الأعمال ويتمسك به فيصير محسنا إلى نفسه بتوفير الثواب عليه.

[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٨ الى ٤١]

إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور (٣٨) أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير (٣٩) الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز (٤٠) الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور (٤١)." (١)

"الحرم كله، أو يريد بالشعائر دين الله كله نعظمه بالتزامه " ح "، والمنافع: الأجر والأجل المسمى: القيامة ومحلها إلى البيت: " يحتمل إلى رب البيت "، أو ما اختص منها بالبيت " كالصلاة إليه وقصده بالحج والعمرة ". ﴿تقوى القلوب﴾

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٣/٢٢٧

[٣٢] إخلاصها. ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾." (١)
"الكذب منحرف مصروف عن الواقع.

[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣١ الى ٣٢]
حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق (٣١)
ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢)
حنفاء لله مخلصين له. غير مشركين به وهما حالان من الواو. ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء لأنه سقط من أوج الإيمان إلى حضيض الكفر. فتخطفه الطير فإن الأهواء الرديئة توزع أفكاره، وقرأ نافع وحده فتخطفه بفتح الخاء وتشديد الطاء. أو تهوي به الريح في مكان سحيق بعيد فإن الشيطان قد طوح به في الضلالة وأو للتخيير كما في قوله تعالى: أو كصيب من السماء، أو للتنويع فإن المشركين من لا خلاص له أصلا، ومنهم من يمكن خلاصه بالتوبة لكن على بعد، ويجوز أن يكون من التشبيهات المركبة فيكون المعنى: ومن يشرك بالله فقد هلكت نفسه هلاكا يشبه أحد الهلاكين.
ذلك ومن يعظم شعائر الله دين الله أو فرائض الحج ومواضع نسكه، أو الهدايا لأنها من معالم الحج وهو أوفق لظاهر ما بعده، وتعظيمها أن تختارها حسانا سمانا غالية الأثمان.
روي أنه صلى الله عليه وسلم أهدى مائة بدنة فيها جمل لأبي جهل في أنفه برة من ذهب
، وأن عمر رضي الله تعالى عنه أهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار.
فإنها من تقوى القلوب فإن تعظيمها منه من أفعال ذوي تقوى القلوب، فحذفت هذه المضافات والعائد إلى من وذكر القلوب لأنها منشأ التقوى والفجور أو الآمرة بهما.

[سورة الحج (٢٢) : آية ٣٣]
لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣)
لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق أي لكم فيها منافع درها ونسلها وصوفها وظهرها إلى أن تنحر، ثم وقت نحرها منتهية إلى البيت أي ما يليه من الحرم، وثم تحتمل التراخي في الوقت والتراخي في الرتبة، أي لكم فيها منافع دنيوية إلى وقت النحر وبعده منافع دينية أعظم منها، وهو على الأولين إما متصل بحديث الأنعام والضمير فيه لها أو المراد على الأول لكم فيها منافع دينية تنتفعون بها إلى أجل مسمى هو الموت، ثم محلها منتهية إلى البيت العتيق الذي ترفع إليه الأعمال أو يكون فيه ثوابها وهو البيت المعمور أو الجنة، وعلى الثاني لكم فيها منافع التجارات في الأسواق إلى وقت المراجعة ثم وقت الخروج منها منتهية إلى الكعبة بالإحلال بطواف الزيارة.

---

(١) تفسير العز بن عبد السلام ابن عبد السلام ٢/٣٥٤

[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٤ الى ٣٥]

ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)

ولكل أمة ولكل أهل دين. جعلنا منسكا متعبدا أو قربانا يتقربون به إلى الله، وقرأ حمزة والكسائي بالكسر أي موضع نسك. ليذكروا اسم الله دون غيره ويجعلوا نسيكتهم لوجهه، علل الجعل به تنبيها على أن المقصود من المناسك تذكر المعبود. على ما رزقهم من بهيمة الأنعام عند ذبحها، وفيه تنبيه على أن القربان يجب أن يكون نعما. فإلهكم إله واحد فله أسلموا أخلصوا التقرب أو الذكر ولا تشوبوه بالإشراك. وبشر المخبتين المتواضعين أو المخلصين فإن الإخبات صفتهم.

الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم هيبة منه لإشراق أشعة جلاله عليها. والصابرين على ما أصابهم من الكلف والمصائب. والمقيمي الصلاة في أوقاتها، وقرئ «والمقيمين الصلاة» على الأصل.." (١)

"ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤)

﴿ولكل أمة﴾ جماعة مؤمنة قبلكم ﴿جعلنا منسكا﴾ حيث كان بكسر السين بمعنى الموضع علي وحمزة أي موضع قربان وغيرهما بالفتح على المصدر أي إراقة الدماء وذبح القرابين ﴿ليذكروا اسم الله﴾ دون غيره ﴿ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ أي عند نحرها وذبحها." (٢)

"﴿فإلهكم إله واحد﴾ أي اذكروا على الذبح اسم الله وحده فإن إلهكم إله واحد وفيه دليل على أن ذكر اسم الله شرط الذبح يعني أن الله تعالى شرع لكل أمة أن ينسكوا له أي يذبحوا له على وجه التقرب وجعل القلة فى ذلك أن يذكر اسمه تقدمت أسماؤه على النسائك وقوله ﴿فله أسلموا﴾ أي أخلصوا له الذكر خاصة واجعلوه له سالما أي خالصا لا تشوبوه بإشراك ﴿وبشر المخبتين﴾ المطمئنين بذكر الله أوالمتواضعين الخاشعين من الخبث وهو المطمئن من الأرض وعن ابن عباس رضى الله عنهما الذى لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا وقيل تفسيره ما بعده أي." (٣)

"العمرة أول ما يقدم فإنه يسعى ثلاثة أشواط ويمشي أربعا ثم يصلي سجدتين». والطواف الثاني هو طواف الإفاضة وذلك يوم النحر بعد الرمي والحلق (ق) عن عائشة قالت: «حاضت صفية ليلة النفر فقالت: ما أراني إلا حابستكم قال النبي صلى الله عليه وسلم عقرى حلقى أطافت يوم النحر قيل نعم قال فانفري». قوله عقرى وحلقى معناه عقرها الله أي أصابها بالعقر وبوجع في حلقها وقيل معناه مشئومة مؤذية ولم يرد به الدعاء عليها وإنما هو شيء يجري على ألسنة العرب كقولهم: لا أم لك وتربت يمينك وفيه دليل على أن من لم يطف يوم النحر طواف الإفاضة لا يجوز له أن ينفر. الثالث

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٧١/٤

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٤٤٠/٢

(٣) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٤٤١/٢

طواف الوداع لا رخصة لمن أراد مفارقة مكة إلى مسافة القصر في أن يفارقها حتى يطوف سبعا فمن تركه فعليه دم إلا المرأة الحائض فإنه يجوز لها تركه للحديث المتقدم ولما روى ابن عباس قال «أمر الناس أن يكون الطواف آخر عهدهم بالبيت إلا أنه رخص للمرأة الحائض» متفق عليه.

الرمل سنة تختص بطواف القدوم ولا رمل في طواف الإفاضة والوداع وقوله «بالبيت العتيق» قال ابن عباس وغيره سمي عتيقا لأن الله أعتقه من أيدي الجبابرة أن يصلوا إلى تخريبه فلم يظهر عليه جبار قط، وقيل لأنه أول بيت وضع للناس وقيل لأن الله أعتقه من الغرق فإنه رفع أيام الطوفان وقيل لأنه لم يملك. قوله عز وجل ذلك أي الأمر ذلك يعني ما ذكر من أعمال الحج ومن يعظم حرمات الله أي ما نهى الله عنه من معاصيه وتعظيمها ترك ملابستها وقيل: حرمات الله ما لا يحل انتهاكه وقيل الحرمة ما وجب القيام به وحرم التفريط فيه وقيل: الحرمات هنا مناسك الحج وتعظيمها إقامتها وإتمامها وقيل الحرمات هنا البيت الحرام والبلد الحرام والمسجد الحرام والشهر الحرام ومعنى التعظيم العلم بأنه يجب القيام بمراعاتها وحفظ حرمتها فهو خير له عند ربه أي ثواب تعظيم الحرمات خير له عند الله في الآخرة وأحلت لكم الأنعام أي أن تأكلوها بعد الذبح وهي الإبل والبقر والغنم إلا ما يتلى عليكم أي تحريمه وهو قوله في سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والدم الآية فاجتنبوا الرجس من الأوثان أي اتركوا عبادتها فإنها سبب الرجس وهو العذاب وقيل سمى الأوثان رجسا لأن عبادتها أعظم من التلوث بالنجاسات واجتنبوا قول الزور يعني الكذب والبهتان.

وقال ابن عباس: هي شهادة الزور وروي عن أيمن بن خريم قال: «إن النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيبا فقال أيها الناس عدلت شهادة الزور الإشراك بالله ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور» أخرجه الترمذي وقال قد اختلفوا في روايته ولا نعرف لأيمن سماعا من النبي صلى الله عليه وسلم وأخرجه أبو داود عن خريم بن فاتك بنحوه وقيل: هو قول المشركين في تلبيتهم لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك. قوله تعالى:

[سورة الحج (٢٢): الآيات ٣١ الى ٣٤]

حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق (٣١) ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤)

حنفاء لله يعني مخلصين له غير مشركين به فدل ذلك على أن المكلف ينوي بما يأتيه من العبادة الإخلاص لله بها لا غيره وقيل كانوا في الشرك يحجون ويحرمون البنات والأمهات والأخوات وكانوا حنفاء فنزلت «حنفاء لله غير مشركين به» أي حجوا لله مسلمين موحدين ومن أشرك لا يكون حنيفا ومن يشرك بالله فكأنما خر أي سقط من السماء إلى الأرض فتخطفه الطير يعني تسلبه وتذهب به أو تهوي به الريح يعني تميل وتذهب به في مكان سحيق يعني بعيد. ومعنى الآية أن من أشرك

بالله بعيد من الحق والإيمان كبعد من سقط من السماء فذهبت به الطير أو هوت به الريح فلا يصل إليه بحال وقيل شبه حال المشرك بحال الهاوي." (١)

"من السماء لأنه لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع حيث تسقط الريح فهو هالك لا محالة. إما باستلاب الطير لحمه أو بسقوطه في المكان السحيق. وقيل معنى الآية من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكا ليس وراءه إهلاك بأن صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير ففرقت أجزاءه في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المهالك البعيدة. وقيل شبه الإيمان بالسماء في علوه والذي ترك الإيمان بالساقط من السماء والأهواء التي توزع أفكاره بالطير المختطفة والشياطين التي تطرحه في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة. قوله عز وجل ذلك يعني الذي ذكر من اجتناب الرجس وقول الزور ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب يعني تعظيم شعائر الله من تقوى القلوب قال ابن عباس: شعائر الله البدن والهدي وأصلها من الإشعار، وهو العلامة التي يعرف بها أنها هدى وتعظيمها استسمانها واستحسانها وقيل شعائر الله أعلام دينه وتعظيمها من تقوى القلوب لكم فيها أي في البدن منافع قيل هي درها ونسلها وصوفها ووبرها وركوب ظهرها إلى أجل مسمى أي إلى أن يسميها ويوجبها هديا فإذا فعل ذلك لم يكن له شيء من منافعها. وهو قول مجاهد وقتادة والضحاك ورواية عن ابن عباس وقيل معناه لكم في الهدايا منافع بعد إيجابها وتسميتها هدايا بأن تركبوها وتشربوا من ألبانها عند الحاجة إلى أجل مسمى يعني إلى أن تنحروها وهو قول عطاء. واختلف العلماء في ركوب الهدي فقال مالك والشافعي وأحمد وإسحاق: يجوز ركوبها والحمل عليها من غير ضرر بها لما روي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يسوق بدنة فقال: «اركبها فقال يا رسول الله إنها بدنة فقال: اركبها ويلك في الثانية أو الثالثة». أخرجاه في الصحيحين. وكذلك يجوز له أن يشرب من لبنها بعد ما يفضل عن ري ولدها. وقال أصحاب الرأي: لا يركبها إلا أن يضطر إليه وقيل أراد بالشعائر المناسك ومشاهدة مكة لكم فيها منافع يعني بالتجارة والأسواق إلى أجل مسمى يعني إلى الخروج من مكة وقيل لكم فيها منافع يعني بالأجر والثواب في قضاء المناسك إلى انقضاء أيام الحج ثم محلها إلى البيت العتيق يعني منحرها عند البيت العتيق يريد به جميع أرض الحرم. وروي عن جابر في حديث حجة الوداع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «نحرت ها هنا ومنى كلها منحر فانحروا في رحالكم» ومن قال الشعائر المناسك قال معنى ثم محلها يعني محل الناس من إحرامهم إلى البيت العتيق يطوفون به طواف الزيارة. قوله تعالى ولكل أمة يعني جماعة مؤمنة سلفت قبلكم جعلنا منسكا قرئ بكسر السين يعني مذبحا وهو موضع القربان منسكا بفتح السين وهو إراقة الدم وذبح القرابين ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام يعني عند ذبحها ونحرها سماها بهيمة لأنها لا تتكلم وقيد بالأنعام لأن ما سواها لا يجوز ذبحه في القرابين وإن جاز أكله. قوله عز وجل فإلهكم إله واحد يعني سموا على الذبح اسم الله وحده فإن إلهكم إله واحد فله أسلموا يعني أخلصوا وانقادوا وأطيعوا وبشر المخبتين قال ابن عباس: المتواضعين وقيل المطمئنين إلى الله وقيل الخاشعين الرقيقة قلوبهم وقيل هم الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لا ينتصرون ثم وصفهم فقال تعالى:

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٣/٢٥٦

[سورة الحج (٢٢): الآيات ٣٥ الى ٤٠]
الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧) إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور (٣٨) أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير (٣٩)
الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز (٤٠)." (١)
"سورة الحج

[سورة الحج (٢٢) : الآيات ١ الى ٣٧]
بسم الله الرحمن الرحيم
يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم (١) يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد (٢) ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد (٣) كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير (٤)
يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج (٥) ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحي الموتى وأنه على كل شيء قدير (٦) وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور (٧) ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير (٨) ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق (٩)
ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد (١٠) ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين (١١) يدعوا من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد (١٢) يدعوا لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير (١٣) إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار إن الله يفعل ما يريد (١٤)
من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٢٥٧/٣

(١٥) وكذلك أنزلناه آيات بينات وأن الله يهدي من يريد (١٦) إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد (١٧) ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء (١٨) هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤسهم الحميم (١٩)

يصهر به ما في بطونهم والجلود (٢٠) ولهم مقامع من حديد (٢١) كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق (٢٢) إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير (٢٣) وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد (٢٤)

إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم (٢٥) وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود (٢٦) وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق (٢٧) ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير (٢٨) ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق (٢٩)

ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور (٣٠) حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق (٣١) ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤)

الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧)." (١)

"يمكن التبعيض فيها بأن يعني بالرجس عبادة الأوثان، وقد روي ذلك عن ابن عباس وابن جريج، فكأنه قال: فاجتنبوا من الأوثان الرجس وهو العبادة لأن المحرم من الأوثان إنما هو العبادة، ألا ترى أنه قد يتصور استعمال الوثن في بناء وغير ذلك مما لم يحرمه الشرع؟

فكأن للوثن جهات منها عبادتها، وهو المأمور باجتنابه وعبادتها بعض جهاتها، ولما كان قول الزور معادلا للكفر لم يعطف على الرجس بل أفرد بأن كرر له العامل اعتناء باجتنابه.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٤٧٥/٧

وفي الحديث: «عدلت شهادة الزور بالشرك» .

ولما أمر باجتناب عبادة الأوثان وقول الزور ضرب مثلا للمشرك فقال ومن يشرك بالله الآية. قال الزمخشري: يجوز في هذا التشبيه أن يكون من المركب والمفرق، فإن كان تشبيها مركبا فكأنه قال: من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكا ليس بعده بأن صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق مرعا في حواصلها، وعصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطارح البعيدة، وإن كان مفرقا فقد شبه الإيمان في علوه بالسماء والذي ترك الإيمان وأشرك بالله بالساقط من السماء والإهواء التي تنازع أوكاره بالطير المختطفة، والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي مما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة انتهى. وقرأ نافع فتخطفه بفتح الخاء والطاء مشددة وباقي السبعة بسكون الخاء وتخفيف الطاء.

وقرأ الحسن وأبو رجاء والأعمش بكسر التاء والخاء والطاء مشددة، وعن الحسن كذلك إلا أنه فتح الطاء مشددة.

وقرأ الأعمش أيضا تخطه بغير فاء وإسكان الخاء وفتح الطاء مخففة. وقرأ أبو جعفر والحسن وأبو رجاء: الرياح.

ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين.

إعراب ذلك كإعراب ذلك المتقدم، وتقدم تفسير شعائر الله في أول." (١)

"﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) ﴾ .

يخبر تعالى أنه لم يزل ذبح المناسك وإراقة الدماء على اسم الله مشروعا في جميع الملل.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا﴾ قال: عيدا.

وقال عكرمة: ذبحا. وقال زيد بن أسلم في قوله: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا﴾ ، إنها مكة، لم يجعل الله لأمة قط منسكا غيرها.

[وقوله] (١) : ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ ، كما ثبت في الصحيحين عن أنس قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين أقرنين، فسمى وكبر، ووضع رجله على صفاحهما (٢) .

وقال الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا يزيد بن هارون، أنبأنا سلام بن مسكين، عن عائذ الله المجاشعي، عن أبي داود -وهو نفيع بن الحارث-عن زيد بن أرقم قال: قلت -أو: قالوا-: يا رسول الله، ما هذه الأضاحي؟ قال: "سنة أبيكم إبراهيم".

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٧/٥٠٥

قالوا: ما لنا منها؟ قال: "بكل شعرة حسنة" قالوا: فالصوف؟ قال: "بكل شعرة من الصوف حسنة".

وأخرجه الإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه في سننه، من حديث سلام بن مسكين، به (٣) .

وقوله: ﴿فإلهكم إله واحد فله أسلموا﴾ أي: معبودكم واحد، وإن تنوعت شرائع الأنبياء ونسخ بعضها بعضا، فالجميع يدعون إلى عبادة الله وحده، لا شريك له، ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي (٤) إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ (٥) [الأنبياء: ٢٥] . ولهذا قال: ﴿فله أسلموا﴾ أي: أخلصوا واستسلموا لحكمه وطاعته.

﴿وبشر المخبتين﴾ : قال مجاهد: المطمئنين، وقال الضحاك، وقتادة: المتواضعين. وقال السدي: الوجلين. وقال عمرو بن أوس (٦) : المخبتون (٧) : الذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لم ينتصروا.

وقال الثوري: ﴿وبشر المخبتين﴾ قال: المطمئنين الراضين بقضاء الله، المستسلمين له.

---

(١) زيادة من ف، أ.

(٢) صحيح البخاري برقم (٥٥٥٨) وصحيح مسلم برقم (١٩٦٦) .

(٣) المسند (٤/٣٦٨) .

(٤) في ت، أ: "يوحى".

(٥) في ت: "فاعبدوني".

(٦) في ت، ف، أ: "إدريس".

(٧) في ت: "المختبتين".." (١)

"[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٤ الى ٣٥]

ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)

يخبر تعالى أنه لم يزل ذبح المناسك وإراقة الدماء على اسم الله مشروعا في جميع الملل.

وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس ولكل أمة جعلنا منسكا قال: عيدا. وقال عكرمة: ذبحا.

وقال زيد بن أسلم في قوله: ولكل أمة جعلنا منسكا إنها مكة، لم يجعل الله لأمة قط منسكا غيرها.

وقوله: ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام كما ثبت في الصحيحين عن أنس قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين أقرنين، فسمى وكبر ووضع رجله على صفاحهما «١» . وقال الإمام أحمد بن حنبل «٢» : حدثنا يزيد بن هارون، أنبأنا سلام بن مسكين عن عائذ الله المجاشعي عن أبي داود- وهو نفيع بن الحارث- عن زيد بن أرقم قال: قلت أو قالوا: يا رسول الله ما هذه الأضاحي؟ قال: «سنة أبيكم إبراهيم» قالوا: ما لنا منها؟ قال: «بكل شعرة حسنة قال فالصوف؟ قال «بكل شعرة من الصوف حسنة» «٣» وأخرجه الإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٤٢٤/٥

بن ماجه في سننه من حديث سلام بن مسكين به.

وقوله: فإلهكم إله واحد فله أسلموا أي معبودكم واحد وإن تنوعت شرائع الأنبياء ونسخ بعضها بعضا، فالجميع يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون [الأنبياء: ٢٥] ولهذا قال: فله أسلموا أي أخلصوا واستسلموا لحكمه وطاعته وبشر المخبتين قال مجاهد: المطمئنين. وقال الضحاك وقتادة: المتواضعين. وقال السدي: الوجلين. وقال عمرو بن أوس: المخبتين الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا «٤» . وقال الثوري وبشر المخبتين قال: المطمئنين الراضين بقضاء الله المستسلمين له، وأحسن بما يفسر بما بعده وهو قوله: الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم أي خافت منه قلوبهم والصابرين على ما أصابهم أي من المصائب.

قال الحسن البصري: والله لنصبرن أو لنهلكن والمقيمي الصلاة قرأ الجمهور بالإضافة السبعة وبقية العشرة أيضا وقرأ ابن السميقع والمقيمين الصلاة بالنصب وعن الحسن البصري والمقيمي الصلاة وإنما حذفت النون هاهنا تخفيفا، ولو حذفت للإضافة لوجب خفض الصلاة ولكن على سبيل التخفيف، فنصبت، أي المؤدين حق الله فيما أوجب عليهم من أداء فرائضه ومما رزقناهم ينفقون أي وينفقون ما آتاهم الله من طيب الرزق على أهليهم

---

(١) أخرجه البخاري في الأضاحي باب ٩، ١٣، ١٤، ومسلم في الأضاحي حديث ١٧، ١٨.

(٢) المسند ٤/ ٣٦٨.

(٣) أخرجه ابن ماجة في الأضاحي باب ٣، والترمذي في الأضاحي باب ١.

(٤) انظر تفسير الطبري ٩/ ١٥١.." (١)

"المصدر، وقد شذت ألفاظ ضبطها النحاة في كتبهم مذكورة في هذا الكتاب.

فصل

«ولكل أمة» (أي: جماعة مؤمنة سلفت قبلكم من عهد إبراهيم عليه السلام «جعلنا منسكا») أي ضربا من القربان، وجعل العلة في ذلك أن يذكر اسمه عند ذبحها ونحرها فقال: ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ أي: عند الذبح والنحر لأنها لا تتكلم. وقال: «بهيمة الأنعام» قيد بالنعم، لأن من البهائم ما ليس من الأنعام كالخيل والبغال والحمير لا يجوز ذبحها في القرابين، وكانت العرب تسمي ما تذبحه للصنم العتر والعتيرة كالذبح والذبيحة.

قوله: ﴿فإلهكم إله واحد﴾ في كيفية النظم وجهان:

الأول: أن الإله واحد، وإنما اختلفت التكاليف باختلاف الأزمنة والأشخاص لاختلاف المصالح.

والثاني: ﴿فإلهكم إله واحد﴾ لا تذكروا على ذبائحكم غير اسمه. «فله أسلموا» انقادوا وأطيعوا، فمن انقاد لله كان مخبتا فلذلك قال بعده «وبشر المخبتين» .

قال ابن عباس وقتادة: المخبت المتواضع الخاشع وقال مجاهد: المطمئن إلى الله. والخبت المكان المطمئن من الأرض. قال أبو

---

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية ابن كثير ٥/٣٧٣

مسلم: حقيقة المخبت من صار في خبت من الأرض تقول: أخبت الرجل إذا صار في الخبت كما يقال: أنجد وأتهم وأشأم.." (١)

"وثالثها: أنه لما لم ينتفع بالأجسام التي هي اللحوم والدماء وانتفع بتقواه، وجب أن يكون تقواه فعلا له، وإلا كان تقواه بمنزلة اللحوم.

ورابعها: أنه لما شرط القبول بالتقوى، وصاحب الكبيرة غير متق، فوجب أن لا يكون عمله مقبولا وأنه لا ثواب له.

والجواب: أما الأولان فحقان، وأما الثالث فمعارض بالداعي والعلم.

وأما الرابع: فصاحب الكبيرة وإن لم يكن متقيا مطلقا، ولكنه متق فيما أتى به من الطاعة على سبيل الإخلاص، فوجب أن تكون طاعته مقبولة، وعند هذا تنقلب الآية حجة عليهم.

قوله: «كذلك سخرها» الكاف نعت مصدر أو حال من ذلك المصدر «ولتكبروا» متعلق به أي إنما سخرها كذلك لتكبروا الله، وهو التعظيم بما يفعله عند النحر وقبله وبعده. و ﴿على ما هداكم﴾ متعلق بالتكبير، عدي بعلى لتضمنه معنى الشكر على ما هداكم أرشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه، وهو أن يقول: الله أكبر ما هدانا والحمد لله على ما أبلانا وأولانا، ثم قال بعده على سبيل الوعد لمن امتثل أمره «وبشر المحسنين» كما قال من قبل «وبشر المخبتين» قال ابن عباس: المحسنين الموحدين. والمحسن الذي يفعل الحسن من الأعمال فيصير محسنا إلى نفسه بتوفير الثواب عليه.." (٢)

"فكانت صلاته قصدا، وخطبته قصدا» .

وخرجه أبو داود ولفظه: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يطيل الموعظة يوم الجمعة، إنما هو كلمات يسيرات» .

وخرجه مسلم من حديث أبي وائل قال: خطبنا عمار فأوجز وأبلغ، فلما نزل، قلنا: يا أبا اليقظان لقد أبلغت وأوجزت، فلو كنت تنفست، قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن طول صلاة الرجل، وقصر خطبته، مئنة من فقهه، فأطيلوا الصلاة، وأقصروا الخطبة، فإن من البيان سحرا» .

وخرج الإمام أحمد وأبو داود من حديث الحاكم بن حزن، قال: «شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة فقام متوكئا على عصا أو قوس، فحمد الله، وأثنى عليه كلمات خفيفات طيبات مباركات» .

وخرج أبو داود عن عمرو بن العاص أن رجلا قام يوما، فأكثر القول، فقال عمرو: لو قصد في قوله، لكان خيرا له، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لقد رأيت - أو أمرت - أن أتجوز في القول، فإن الجواز هو خير» .

وقوله: " «ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب» " هذان الوصفان بهما مدح الله المؤمنين عند سماع الذكر كما قال تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ [الأنفال: ٢] [الأنفال: ٢] وقال: ﴿وبشر المخبتين - الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ [الحج: ٣٤ - ٣٥] [الحج: ٣٤ - ٣٥] وقال: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٨٨/١٤

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٩٨/١٤

وما نزل من الحق﴾ [الحديد: ١٦] [الحديد: ١٦] ، وقال: ﴿الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ [الزمر: ٢٣] [الزمر: ٢٣] ، وقال تعالى: ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق﴾ [المائدة: ٨٣] [المائدة: ٨٣] .

وكان صلى الله عليه وسلم يتغير حاله عند الموعظة، كما قال جابر: «كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب، وذكر الساعة، اشتد غضبه، وعلا صوته، واحمرت عيناه، كأنه منذر جيش يقول: صبحكم ومساكم» . خرجه مسلم بمعناه.

وفي " الصحيحين " عن أنس أن «النبي صلى الله عليه وسلم خرج حين زاغت الشمس، فصلى الظهر، فلما سلم، قام على المنبر، فذكر الساعة، وذكر أن بين يديها أمورا عظاما، ثم قال: من أحب أن يسأل عن شيء فليسأل عنه، فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به في مقامي هذا، قال أنس: فأكثر الناس البكاء وأكثر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول: سلوني، فقام إليه رجل فقال: أين مدخلي يا رسول الله، قال: النار» وذكر الحديث.

وفي " مسند " الإمام أحمد «عن النعمان بن بشير أنه خطب، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يقول: أنذرتكم النار، حتى لو أن رجلا كان بالسوق لسمعه من مقامي هذا، قال: حتى وقعت خميصة على عاتقه عند رجليه» .

وفي " الصحيحين " عن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اتقوا." (١)

"((لقد رأيت - أو أمرت - أن أتجوز في القول، فإن الجواز هو خير)) .

وقوله: ((ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب)) هذان الوصفان بهما مدح الله المؤمنين عند سماع الذكر كما قال تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ (رَحِمَهُ اللَّهُ١) ، وقال: ﴿وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ (رَحِمَهُ اللَّهُ٢) ، وقال: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق﴾ (رَحِمَهُ اللَّهُ٣) ، وقال: ﴿الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ (رَحِمَهُ اللَّهُ٤) ، وقال تعالى: ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق﴾ (رَحِمَهُ اللَّهُ٥) .

وكان - صلى الله عليه وسلم - يتغير حاله عند الموعظة، كما قال جابر: كان النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا خطب، وذكر الساعة، اشتد غضبه، وعلا صوته، واحمرت عيناه، كأنه منذر جيش يقول: صبحكم ومساكم. خرجه مسلم بمعناه (رَحِمَهُ اللَّهُ٦) .

وفي " الصحيحين " (رَحِمَهُ اللَّهُ٧) عن أنس: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - خرج حين زاغت الشمس، فصلى الظهر، فلما سلم، قام على المنبر، فذكر الساعة، وذكر أن بين يديها أمورا عظاما، ثم قال: ((من أحب أن يسأل عن شيء فليسأل عنه، فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به في مقامي هذا)) ، قال أنس: فأكثر الناس البكاء، وأكثر رسول

رَحِمَهُ اللَّهُ________________

(رَحِمَهُ اللَّهُ١) الأنفال: ٢.

---

(١) جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط ابن رجب الحنبلي ١١٢/٢

(رحمه الله٢) الحج: ٣٤ - ٣٥.

(رحمه الله٣) الحديد: ١٦.

(رحمه الله٤) الزمر: ٢٣.

(رحمه الله٥) المائدة: ٨٣.

(رحمه الله٦) في " صحيحه " ٣/ ١١ (٨٦٧) (٤٣) و (٤٤) .

(رحمه الله٧) صحيح البخاري ١/ ١٤٣ (٥٤٠) و٨/ ٩٦ (٦٣٦٢) ٩/ ١١٨ (٧٢٩٤) ، وصحيح مسلم ٧/ ٩٢ (٢٣٥٩) (١٣٤) و٧/ ٩٣ (٢٣٥٩) و (١٣٦) و٧/ ٩٤ (٢٣٥٩)

(١٣٧) .." (١)

"٢٥ - باب إذا هبت الريح

١٠٣٤ - حدثنا سعيد بن أبي مريم قال: أخبرنا محمد بن جعفر قال: أخبرني حميد أنه سمع أنسا يقول: كانت الريح الشديدة إذا هبت عرف ذلك في وجه النبي - صلى الله عليه وسلم -. [فتح: ٢/ ٥٢٠]

ذكر فيه عن أنس قال: كانت الريح الشديدة إذا هبت عرف ذلك في وجه النبي - صلى الله عليه وسلم -. هذا الحديث من أفراده.

وفي حديث آخر في "الصحيح" أن عائشة قالت: قيل له ذلك، فذكر قصة عاد (رحمه الله١)، وقوله: ﴿هذا عارض ممطرنا﴾ [الأحقاف: ٢٤] وكان - صلى الله عليه وسلم - يخشى أن يصيبهم عقوبة ذنوب العامة، كما أصاب الذين قالوا: ﴿هذا عارض ممطرنا﴾ [الأحقاف: ٢٤]. وفيه تذكر ما ينسى الناس من عذاب الله -عز وجل- للأمم الخالية، والتحذير من طريقهم في العصيان خشية نزول ما حل بهم، قال تعالى ﴿أفأمن أهل القرى﴾ إلى قوله: ﴿الخاسرون﴾ [الأعراف: ٩٧ - ٩٨] وعلى هذا كان الأنبياء والصالحون يشعرون أنفسهم الخوف من الله تعالى، يقول الله: ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] وهم الخاشعون، كذا قال الداودي، واعترضه ابن التين بأن المعروف أن المخبت: المطمئن بأمر الله تعالى، وقيل: الذي لا يظلم، وإذا ظلم لم ينتصر.

ومصدر (هبت الريح) هبوبا، والتيس هبابا، والنائم هبا، والسيف هبة، والبعير هبابا، إذا نشط من سفره. قال أشهب: إذا هبت الريح الشديدة فافزع إلى الصلاة.

رحمه الله________

(رحمه الله١) رواه مسلم برقم (٨٩٩) كتاب: صلاة الاستسقاء.." (٢)

"تنصب من الدماغ إلى القلب. يصهر به ما في بطونهم من الأخلاق الحميدة الروحانية والجلود أي يفسد أحوالهم الباطنة والظاهرة بفساد تخيلاتهم، ولا مخلص لهم عن دركات تلك الملكات لغاية رسوخها والله أعلم بالصواب.

---

(١) جامع العلوم والحكم ت ماهر الفحل ابن رجب الحنبلي ٢/ ٧٦٢

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ابن الملقن ٨/ ٢٧٩

[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٢٣ الى ٤١]

إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير (٢٣) وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد (٢٤) إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم (٢٥) وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود (٢٦) وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق (٢٧)

ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير (٢٨) ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق (٢٩) ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور (٣٠) حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق (٣١) ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢)

لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧)

إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور (٣٨) أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير (٣٩) الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز (٤٠) الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور (٤١)." (١)

"الواردات المطيفة والأخلاق الثابتة والأحوال المتوالية كالرغبة والرهبة والقبض والبسط والأنس والهيبة رجالا هي النفس وصفاتها وعلى كل ضامر هي البدن وجوارحه فإن الأعمال الشرعية قد ركبت الجوارح المرتاضة، فأعمال البدن مركبة من حركات الجوارح ونيات الضمير كما أن أعمال النفس بسيطة. لأنها نيات الضمير فقط من كل فج عميق هو مصالح الدنيا لأن مصالحها بعيدة عن مصالح الآخرة ليشهدوا منافع لهم فمنافع النفس وصفاتها بتبديل الأخلاق، ومنافع القلب والجوارح بظهور أثر الطاعة عليها ويذكروا أي القلب والنفس والقالب شكرا على ما رزقهم من تبديل الصفات البهيمية بالصفات الروحانية فانتفعوا بها وأفيضوا منها على الطالبين فهو خير لأن العبد يصل بالطاعة إلى الجنة ويصل بحرمة الطاعة إلى الله،

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٧٣/٥

وترك الخدمة يوجب العقوبة وترك الحرمة يوجب الفرقة. وأحلت لكم استعمال الصفات البهيمية بقدر الضرورة إلا ما يتلى عليكم في قولنا ولا تسرفوا [الأعراف: ٣١]

وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»

فاجتنبوا مقتضيات الهوى وكونوا صادقين في الطلب لا مزورين مائلين إلى الحق غير طالبين معه غيره، وخر من سماء القلب فاستلبه طير الشياطين أو تهوي به ريح الهوى والخذلان إلى أسفل سافلين البعد والحرمان. لكم في شواهد آثار صنع الإرشاد منافع وهي لذة العبور على المقامات ولذة البسط ولذة الأنس إلى أجل مسمى وهو حد الكمال، ثم انتهاء السلوك إلى حضرة القديم. ولكل سالك جعلنا مقصدا وطريقا، منهم من يطلب الله من طريق المعاملات، ومنهم من يطلبه من طريق المجاهدات، ومنهم من يطلبه بطريق المعارف، ومنهم من يطلبه به. فله أسلموا أي أخلصوا والإخلاص تصفية الأعمال من الآفات، ثم الأخلاق من الكدورات، ثم الأحوال من الالتفات، ثم الأنفاس من الأغيار وبشر المخبتين عنى المستقيمين على هذه الطريقة. وجلت قلوبهم الوجل عند الذكر على حسب تجلي الحق للقلب. والصابرين على ما أصابهم من غير تمني ترحة ولا روم فرحة والمقيمي الصلاة الحافظين مع الله أسرارهم لا يطلبون إطلاع الخلق على أحوالهم ومما رزقناهم ينفقون يبذلون الموجود في طلب المقصود والوجود بشهود المعبود والبدن يعني بدن الأبدان الجسام جعلنا قربانها عند كعبة القلب بذبحها عن شهواتها من شعائر أهل الصدق في الطلب، فإذا ماتت عن طبيعتها فانتفعوا بها أنتم وغيركم من الطالبين والقانعين بما أفضتم عليه، والمعترين المتعطشين الذين لا يروون ريا من ماء حياة المعرفة

شربت الحب كأسا بعد كأس ... فما نفد الشراب وما رويت

كذلك سخرناها لكم فيه أن ذبح النفس بسكين الرياضة لا يتيسر إلا بتسخير خالقها." (١)

"قال الحين عند العرب من ساعة إلى ما لا يحصى عدده والمراد هنا يوم القيامة قوله حيهلا وحي على الفلاح كله بمعنى أقبلوا وسيأتي معنى هلا في الهاء قوله كان حييا أي شديد الحياء قوله التحيات جمع تحية وهي السلام قوله والشمس حية أي باقية على شدة حرها قوله الحيات جمع حية وهي أنثى الثعبان قال الحيات أجناس الأفاعي والأساود والجان قوله سيد الحي الحي هو اسم لمنزل القبيلة ثم سميت القبيلة به قوله حرف الخاء المعجمة

)

فصل خ ب)

قوله خبأت لك خبأ بالفتح وسكون الموحدة مهموزا ومنه يخرج الخبء وبالكسر في الموحدة بوزن عظيم وهو اسم ما خبأته فعيل بمعني مفعول وأختبيء دعوتي أي أدخر وأختبيء أنا أي استتر والخباء بالمد والكسر من بيوت الأعراب وقد يستعمل في غيرها والجمع أخباء وأخبية ومنه أهل أخباء قوله الخبب أي الإسراع ومنه يخب ثلاثة أطواف أي يسرع في المشي قوله وبشر المخبتين أي المطمئنين كذا في الأصل وهو تفسير باللازم قوله خبث الحديد بفتحتين وآخره مثلثة وخبث الفضة هو

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٨٥/٥

الرديء منهما وأما إذا كثر الخبث فالمراد به الفجور قوله الخبث والخبائث قيل ذكران الشياطين وإناثهم أو الخبث الشر كله والخبائث الخطايا أو الأفعال المذمومة قوله ولا خبثة بالكسر أراد بالخبثة الحرام أو الريبة وقيل بيع أهل العهد قوله خبيث النفس أي ثقيلا غير نشيط وقوله لا يقل أحد خبثت نفسي كره الاسم فقط وقوله الدواء الخبيث فسره الترمذي في روايته السم وقال غيره الحرام وقوله ثمن الكلب خبيث أي حرام أو مكروه أو فاسد ومنه من أكل من هذه الشجرة الخبيثة فإن خبثها من جهة كراهية رائحتها قوله نهى عن المخابرة هي المزارعة على جزء يخرج من الأرض وأصله أن أهل خيبر كانوا يتعاملون كذلك جزم بذلك بن الأعرابي وقال غيره الخبير في كلام الأنصار الأكار قوله خبزة واحدة هي الطلمة بالمهملة وزنا ومعنى والمراد الرغيف فصل خ ت قوله يختله أي يستغفله ويراوغه ليقتله أو يسمع كلامه بغير علمه قوله ختامه مسك أي طينه قوله خاتم النبيين أي آخرهم قوله الختان هو الموضع الذي يقطع من الفرج ثم استعمل للفعل قوله ختنه بالتحريك أي صهره فصل خ د قوله الأخدود شق في الأرض مستطيل قوله ذوات الخدور وقوله من خدرها وقوله في خدرها الخدر ستر يكون للجارية البكر في ناحية البيت وقيل الخدور البيوت قوله تخدشها هرة وقوله خدوشا في وجهه الخدش قشر الجلد بعود أو نحوه ولو لم يدم قوله الخداع ويخدع وخديعة كله من إظهار غير ما يكتم وقوله الحرب خدعة من ذلك والمشهور فيه بفتحتين ويقال بالضم ثم السكون ويقال بالفتح ثم السكون وحكى فتح الدال فيهما قوله خدلج الساقين بفتحتين وتشديد اللام بعدها جيم أي ممتلئ الساقين وقوله خدلا مثله لكن بلا جيم والدال ساكنة وكسرها الأصيلي قوله خدم سوقهما أي الخلاخيل الواحدة خدمة بفتحتين قوله أخدان أي إخلاء جمع خدن الكسر وهو الخيل قوله مذعنين مستخدين." (١)

"وإحدى وتسعون كلمة، وثمان وتسعون آية.

(بسم الله الرحمان الرحيم)

ثبتت البسملة للكل.

وقال ابن عيينة المخبتين المطمئنين

أي: قال سفيان بن عيينة في قوله تعالى: ﴿وبشر المخبتين﴾ (الحج: ٤٣) أي: (المطمئنين) كذا ذكره ابن عيينة في تفسيره عن ابن جريج عن مجاهد، وقيل: المطمئنين بأمر الله، وقيل: المطيعين، وقيل: المتواضعين، وقيل: الخاشعين وهو من الإخبات والخبت بفتح أوله المطمئن من الأرض.

وقال ابن عباس في: ﴿إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته﴾ (الحج: ٢٥) إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه فيبطل الله ما يلقي الشيطان ويحكم آياته.

أي: قال ابن عباس في قوله عز وجل: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته﴾ ... الآية، وهذا التعليق رواه أبو محمد الرازي عن أبيه: حدثنا أبو صالح حدثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عنه، وقد تكلم المفسرون في هذه الآية أشياء كثيرة، والأحسن منها ما قاله أبو الحسن بن علي الطبري: ليس هذا التمني من القرآن والوحي في شيء وإنما هو أن النبي صلى الله عليه وسلم، كان إذا صفرت يده من المال ورأى ما بأصحابه من سوء الحال تمنى الدنيا

---

(١) فتح الباري لابن حجر ابن حجر العسقلاني ١١٠/١

بقلبه ووسوسة الشيطان، وأحسن من هذا أيضا ما قاله بعضهم: كان النبي صلى الله عليه وسلم، يرتل القرآن فارتصده الشيطان في سكتة من السكتات ونطق بتلك الكلمات محاكيا نغمته بحيث سمعه من دنا إليه فظنها من قوله وأشاعها. قلت: تلك الكلمات هي ما أخرجه ابن أبي حاتم والطبري وابن المنذر من طرق عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة النجم فلما بلغ: ﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾ (النجم: ٩١) ألقى الشيطان على لسانه.

(تلك الغرانيق العلى ... وإن شفاعتهن لترتجى)

فقال المشركون: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم فسجد وسجدوا، فنزلت هذه الآية وروي هذا أيضا من طرق كثيرة، وقال ابن العربي: ذكر الطبري في ذلك روايات كثيرة باطلة لا أصل لها، وقال عياض: هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع إسناده، وكذا من تكلم بهذه القصة من التابعين والمفسرين لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحبه، وأكثر الطرق عنهم في ذلك ضعيفة. وقال بعضهم: هذا الذي ذكره ابن العربي وعياض لا يمضي على القواعد، فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على أن لها أصلا. انتهى.

قلت: الذي ذكراه هو اللائق بجلالة قدر النبي صلى الله عليه وسلم فإنه قد قامت الحجة واجتمعت الأمة على عصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة، وحاشاه عن أن يجري على قلبه أو لسانه شيء من ذلك لا عمدا ولا سهوا. أو يكون للشيطان عليه سبيل أو أن يتقول على الله عز وجل لا عمدا ولا سهوا. والنظر والعرف أيضا يحيلان ذلك ولو وقع لارتد كثير ممن أسلم، ولم ينقل ذلك ولا كان يخفى على من كان بحضرته من المسلمين. قوله: (من رسول ولا نبي) الرسول هو الذي يأتيه جبريل عليه الصلاة والسلام، بالوحي عيانا وشفاها، والنبي هو الذي تكون نبوته إلهاما أو كلاما، فكل رسول نبي بغير عكس. قوله: (إذا تمنى) أي: إذا أحب واشتهى، وحدثت به نفسه مما لم يؤمر به. قوله: (في أمنيته) ، أي: مراده، وقال ابن العربي: أي في قراءته، فأخبر الله تعالى في هذه الآية أن سنته في رسله إذا قالوا قولا زاد الشيطان فيه من قبل نفسه، فهذا نص في أن الشيطان زاده في قول النبي صلى الله عليه وسلم لا أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله.

ويقال أمنيته قراءته إلا أماني يقرؤون ولا يكتبون

هو قول الفراء فإنه قال: معنى قوله: (إلا إذا تمنى) ، إلا إذا تلى قال الشاعر:

(تمنى كتاب الله أول ليلة ... تمني داود الزبور على رسل)." (١)

"﴿ولكل أمة﴾ أي جماعة مؤمنة سلفت قبلكم ﴿جعلنا منسكا﴾ بفتح السين مصدر وبكسرها اسم مكان أي ذبحا قربانا أو مكانه ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ عند ذبحها ﴿فإلهكم إله واحد فله أسلموا﴾ انقادوا

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري بدر الدين العيني ٦٦/١٩

﴿وبشر المخبتين﴾ المطيعين المتواضعين

٣ _." (١)

"ويظهر أن الإشارة إلى زور أقوالهم في تحريم وتحليل ما كانوا قد شرعوا في الأنعام، وحنفاء معناه مستقيمين أو مائلين إلى الحق، بحسب أن لفظة الحنف من الأضداد، تقع على الاستقامة، وتقع على الميل، والسحيق: البعيد.

[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٢ الى ٣٥]

ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)

وقوله سبحانه: ذلك ومن يعظم شعائر الله التقدير في هذا الموضع: الأمر ذلك، والشعائر جمع شعيرة وهي كل شيء لله عز وجل فيه أمر أشعر به وأعلم.

قال الشيخ ابن أبي جمرة: ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب قال:

- واستدل أبو حنيفة. بأن شريحا كان يشهر، ولا يضرب، وما روي عن عمر من أنه ضرب شاهد الزور أربعين سوطا وسخم وجهه، فمحمول على السياسة، بدلالة التبليغ إلى الأربعين، والتسخيم.

والتشهير منقول عن شريح (رحمه الله تعالى) ، فإنه كان يبعثه إلى سوقه إن كان سوقيا، وإلى قومه إن كان غير سوقي بعد العصر أجمع ما كانوا، ويقول إن شريحا يقرئكم السلام، ويقول: إنا وجدنا هذا شاهد زور، فاحذروه، وحذروا الناس منه.

واختلف القائلون بجواز الضرب، والحبس: فقال ابن أبي ليلى: يجلد خمسة وسبعين سوطا، وهذه رواية عن أبي يوسف، وفي رواية أخرى عنه: يجلد تسعة وسبعين سوطا.

وقال الشافعي: لا يزيد على تسعة وثلاثين.

وقال أحمد: لا يزداد على عشر جلدات.

وقال الأوزاعي في شاهدي الطلاق: يجلدان مائة مائة، ويغرمان الصداق.

وقال صاحب «الفتح» : اعلم أنه قد قيل: إن المسألة على ثلاثة أوجه: أن يرجع على سبيل الإصرار، مثل أن يقول لهم: شهدت في هذه بالزور، ولا أرجع عن مثل ذلك، فإنه يعزر بالضرب بالاتفاق، وإن رجع على سبيل التوبة لا يعزر اتفاقا، وإن كان لا يعرف حاله، فعلى الاختلاف المذكور.

واختلفوا في قبول شهادته بعد توبته، فذهب الحنفية إلى أنه إذا تاب شاهد الزور، وأتت على ذلك مدة، قيل سنة، وقيل ستة أشهر، والصحيح أنها مفوضة لرأي القاضي.

---

(١) تفسير الجلالين المحلي، جلال الدين ص/٤٣٨

فإن كان فاسقا تقبل شهادته، لإن الحامل له على الزور فسقه، وقد زال بالتوبة.
وإن كان مستورا لا يقبل أصلا، وكذا إذا كان عدلا، على رواية بشر عن أبي يوسف، لأن الحامل له على ذلك غير معلوم، فكان الحال قبل التوبة وبعدها سواء، وروى أبو جعفر أنها تقبل، قالوا: وعليه الفتوى.
وقال الشافعي، وأبو ثور، وأحمد: تقبل شهادته إذا أتت على ذلك مدة تظهر فيها توبته، ويتبين فيها صدقه، وعدالته..
وقال مالك: لا تقبل شهادته أبدا، لأنه لا يؤمن على قول الصدق.." (١)

"ت وأظهر هذه التأويلات عندي تأويل عطاء، وفي الثالث بعض تكلف، ثم أخبر تعالى أنه جعل لكل أمة من الأمم المؤمنة منسكا، أي: موضع نسك وعبادة، هذا على أن المنسك ظرف، ويحتمل أن يريد به المصدر كأنه قال: عبادة، والناسك العابد.
وقال مجاهد «١» : سنة في هراقة دماء الذبائح.
وقوله: ليذكروا اسم الله معناه أمرناهم عند ذبائحهم بذكر الله، وأن يكون الذبح له لأنه رازق ذلك، وقوله: فله أسلموا أي: آمنوا، ويحتمل أن يريد استسلموا، ثم أمر سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم أن يبشر بشارة على الإطلاق، وهي أبلغ من المفسرة لأنها مرسلة مع نهاية التخيل للمخبتين المتواضعين الخاشعين المؤمنين، والخبت ما انخفض من الأرض، والمخبت المتواضع الذي مشيه متطامن كأنه في حدور من الأرض، وقال عمرو بن أوس «٢» : المخبتون الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا.
قال ع «٣» : وهذا مثال شريف من خلق المؤمن الهين اللين، وقال مجاهد: هم المطمئنون بأمر الله تعالى، ووصفهم سبحانه بالخوف والوجل عند ذكر الله تعالى، وذلك لقوة يقينهم ومراقبتهم لربهم، وكأنهم بين يديه جل وعلا، ووصفهم بالصبر وبإقامة الصلاة وإدامتها، وروي: أن هذه الآية قوله: وبشر المخبتين نزلت في أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي (رضي الله عنهم أجمعين) .

[سورة الحج (٢٢) : آية ٣٦]
والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦)
وقوله سبحانه: والبدن جعلناها لكم من شعائر الله البدن: جمع بدنة، وهي ما أشعر من ناقة أو بقرة قاله عطاء وغيره «٤» ، وسميت بذلك لأنها تبدن، أي:
تسمن.

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ١٥٠) برقم (٢٥١٧١) ، وذكره ابن عطية (٤/ ١٢١) والسيوطي (٤/ ٦٤٨) ، وعزاه لعبد بن

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ١٢١/٤

حميد، وابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ١٥١) برقم (٢٥١٧٧) ، وذكره ابن عطية (٤/ ١٢٢) ، وابن كثير (٣/ ٢٢١) والسيوطي (٤/ ٦٤٩) ، وعزاه لسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن أبي شيبة، وابن أبي الدنيا في «ذم الغضب» ، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن عمرو بن أوس.

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ١٢٣) .

(٤) أخرجه الطبري (٩/ ١٥٢) برقم (٢٥١٨٠) ، وذكره ابن عطية (٤/ ١٢٢) ، وابن كثير (٣/ ٢٢١) .." (١)

"في كل ما أمر به أو نهى عنه ناسخا كان أو لا وإن لم تفهموا معناه كغالب مناسك الحج.

ولما أمر بالإسلام من يحتاج إلى ذلك إيجادا أو تكميلا أو إدامة، وكان الإسلام هو سهولة الانقياد من غير كبر ولا شماخة، وكان منشأ الطمأنينة والتواضع اللذين هما أنسب شيء لحال الحجاج المتجرد من المخيط المكشوف الرأس الطالب لوضع أوزاره، وتخفيف آصاره لستر عوراه، أقبل سبحانه وتعالى على الرأس من المأمورين، الحائز لما يمكن المخلوقين أن يصلوا إليه من رتب الكمال، وخلال الجمال والجلال، إشارة إلى أنه لا يلحقه أحد في ذلك فقال: ﴿وبشر المخبتين*﴾ أي المتواضعين، المنكسرين، من الخبت - للأرض المنخفضة الصالحة للاستطراق وغيره من المنافع؛ ثم بين علاماتهم فقال: ﴿الذين إذا ذكر الله﴾ أي الذي له الجلال والجمال ﴿وجلت﴾ أي خافت خوفا مزعجا ﴿قلوبهم﴾ .

ولما كان في ذكر الحج، وكان ذلك مظنة لكثرة الخلطة الموجبة لكثرة الأنكاد ولا سيما وقد كان أكثر المخالطين مشركين، لأن السورة مكية، قال عاطفا غير متبع، إيذانا بالرسوخ في الأوصاف: ﴿والصابرين﴾ الذين صار الصبر عادتهم ﴿على ما أصابهم﴾." (٢)

"اجتنبوا (ومن يشرك بالله فكأنما خر): سقط، (من السماء فتخطفه): تسلبه، (الطير أو تهوي): تسقط، (به الريح في مكان سحيق): بعيد يعني: من أشرك فقد أهلك نفسه غاية الإهلاك فهو كجيفة اختطفته الطير فتفرق قطعا في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المهالك البعيدة، وأو للتخيير أو للتنويع فإن من المشركين من لا خلاص له أصلا، ومنهم من يمكن خلاصه بالإيمان لكن على بعد (ذلك): الأمر ذلك، (ومن يعظم شعائر الله): البدن والهدي وتعظيمها استسمانها أو أعمال الحج، (فإنها): تعظيمها، (من تقوى القلوب) أي: ناشئ من تقوى قلوبهم أو من أعمال ذوي تقوى القلوب، (لكم فيها). في الشعائر وهي البدن، (منافع): درها وصوفها وظهرها، (إلى أجل مسمى): وقت النحر وإن سماها وجعلها هديا أو الأجل المسمى تسمينها وجعلها هديا فما لم تسم بدنا ينتفع به، (ثم محلها): منحرها (إلى البيت العتيق) أي: عنده يعني: الحرم مطلقا.

* * *

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ١٢٣/٤

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٤٨/١٣

(ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر." (١)

"الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧) إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور (٣٨)

* * *

(ولكل أمة)، لكل أهل دين، (جعلنا منسكا)، بفتح السين مصدر، أي: ذبح المناسك، وبكسرها موضع نسك يعني: إراقة الدماء مشروعة في جميع الملل، وعن بعض لم يجعل الله لأمه منسكا غير مكة، (ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) أي: المقصود من المناسك خلوص العبادة له، (فإلهكم): أنتم ومن قبلكم، (إله واحد فله أسلموا): انقادوا له لا لغيره (وبشر المخبتين): الخاشعين الراضين بقضائه، (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة): في أوقاتها، (ومما رزقناهم ينفقون):." (٢)

"- قوله تعالى: ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين

أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله ﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله﴾ قال: البدن

وأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله ﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله﴾ قال: الاستسمان والاستحسان والاستعظام

وفي قوله ﴿لكم فيها منافع إلى أجل مسمى﴾ قال: إلى أن تسمى بدنا

وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن مجاهد ﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله﴾ قال: استعظام البدن واستسمانها واستحسانها ﴿لكم فيها منافع إلى أجل مسمى﴾ قال: ظهورها وأوبارها واشعارها وأصوافها إلى أن تسمى هديا

فإذا سميت هديا ذهبت المنافع ﴿ثم محلها﴾ يقول: حين يسمى إلى البيت العتيق

---

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٥٥/٣

(٢) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٥٦/٣

وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن الضحاك وعطاء في الأية قال: المنافع فيها الركوب عليها إذا احتاج وفي أوبارها." (١)

"وأخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم أنه قال: في هذه الآية ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا﴾ أنه مكة لم يجعل الله لأمة قط منسكا غيرها

أخرج أحمد وأبو داود والترمذي وابن أبي حاتم والحاكم وصححه عن جابر بن عبد الله: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى للناس يوم النحر فلما فرغ من خطبته وصلاته دعا بكبش فذبحه هو بنفسه وقال: بسم الله والله أكبر

اللهم هذا عني وعمن لم يضح من أمتي

وأخرج أحمد وأبو داود وابن ماجة وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن جابر قال: ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين في يوم عيد فقال حين وجههما: وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا مسلما وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين

اللهم منك ولك وعن محمد وأمته

ثم سمى الله وكبر وذبح

وأخرج ابن أبي الدنيا في الأضاحي والبيهقي في الشعب عن علي أنه قال حين ذبح: وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا مسلما وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين

وأخرج أحمد والبخاري ومسلم والنسائي وابن ماجة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى بكبشين أملحين أقرنين فسمى وكبر

وأخرج ابن أبي الدنيا عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا ذبح قال: بسم الله والله أكبر اللهم منك ولك اللهم تقبل مني

وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل ﴿فله أسلموا﴾ يقول: فله أخلصوا

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم

عن مجاهد في قوله ﴿وبشر المخبتين﴾ قال: المطمئنين

وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا في ذم الغضب وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان عن عمرو بن أوس ﴿وبشر المخبتين﴾ قال: المخبتون الذين لا يظلمون الناس وإذا ظلموا لم ينتصروا." (٢)

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور السيوطي ٦/٤٦

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور السيوطي ٦/٤٨

"وأخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن الضحاك رضي الله عنه ﴿وبشر المخبتين﴾ قال: المتواضعين
وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي رضي الله عنه ﴿وبشر المخبتين﴾ قال: الوجلين
وأخرج ابن سعد وابن أبي شيبة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه كان إذا رأى الربيع بن خثيم قال: ﴿وبشر المخبتين﴾ وقال له: ما رأيتك إلا ذكرت المخبتين." (١)

"أكبر لا إله إلا الله والله أكبر اللهم منك وإليك ثم علل الذكر بالنعمة تنبيها على التفكر فيها فقال تعالى: ﴿على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ فوجب شكره لذلك عليهم، وفيه تنبيه على أن القربان يجب أن يكون من الأنعام ﴿فإلهكم﴾ أي: الذي شرع هذه المناسك كلها ﴿إله واحد﴾ وإن اختلفت فروع شرائعه، ونسخ بعضها بعضا، وإذاكان واحدا وجب اختصاصه بالعبادة فلذا قال تعالى: ﴿فله﴾ وحده ﴿أسلموا﴾ أي: انقادوا بجميع ظواهركم وبواطنكم في كل ما أمر به أو نهى عنه ﴿وبشر المخبتين﴾ أي: المطيعين المتواضعين من الخبث، وهو المطمئن من الأرض وقيل: هم الذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لم ينتصروا.

ثم بين علاماتهم بقوله تعالى: ﴿الذين إذا ذكر الله﴾ أي: الذي له الجلال والجمال ﴿وجلت﴾ أي: خافت خوفا مزعجا ﴿قلوبهم﴾ فيظهر عليها الخشوع والتواضع لله تعالى ﴿والصابرين﴾ الذين صار الصبر عادتهم ﴿على ما أصابهم﴾ من الكلف والمصائب ولماكان ذلك قد يشغل عن الصلاة قال تعالى ﴿والمقيمي الصلاة﴾ في أوقاتها والمحافظة عليها، وإن حصل لهم من المشاق بأفعال الحج وغيره ما عسى أن يحصل، ولذلك عبر بالوصف دون الفعل إشارة إلى أنه لا يقيمها على الوجه المشروع مع تلك المشاق والشواغل إلا راسخ في حبها فهم لما تمكن حبها في قلوبهم والخوف من الغفلة عنها كأنهم دائما في صلاة ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ في وجوه الخير من الهدايا التي يغالون في أثمانها وغير ذلك إحسانا إلى خلق الله تعالى.
ولما قدم تعالى الحث على التقرب بالأنعام كلها وكانت الإبل أعظمها خلقا وأجلها في أنفسهم أمرا خصها بالذكر فقال تعالى: ﴿والبدن﴾ أي: الإبل المعروفة جمع بدنة كخشب وخشبة وانتصابه بفعل يفسره ﴿جعلناها لكم من شعائر الله﴾ أي: من أعلام دينه التي شرعها الله تعالى وقيل لأنها تشعر وهي أن تطعن بحديدة في سنامها ليعلم بذلك أنها هدي ﴿لكم فيها خير﴾ أي: نفع في الدنيا وثواب في العقبى كما قال ابن عباس دنيا وأخرى، وروى الترمذي وحسنه عن عائشة رضي الله تعالى عنه «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما عمل ابن آدم يوم النحر عملا أحب إلى الله من هراقة الدم وأنه ليؤتى يوم القيامة بقرونها وأظلافها وأشعارها وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع إلى الأرض فطيبوا بها نفسا» وروى الدارقطني في السنن عن ابن عباس قال «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنفقت الورق في شيء أفضل من نحيرة في يوم عيد» وعن بعض السلف أنه لم يملك إلا تسعة دنانير فاشترى بها بدنة فقيل له في ذلك فقال سمعت ربي يقول ﴿لكم فيها خير﴾ ﴿فاذكروا اسم الله عليها﴾ أي: على ذبحها بالتكبير حال كونها ﴿صواف﴾ أي قائمة على ثلاث معقولة اليد اليسرى لأن البدنة تعقل إحدى يديها فتقوم على ثلاث ﴿فإذا وجبت جنوبها﴾ أي: سقطت سقوطا بردت به بزوال

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور السيوطي ٦/٤٩

أرواحها فلا حركة لها أصلا، من وجب الحائط وجبة سقط، ووجبت الشمس وجبة غربت، قال ابن كثير وقد جاء في حديث مرفوع ولا تعجلوا النفوس أن تزهق وقوله تعالى ﴿فكلوا منها﴾ أي: إذا كانت تطوعا أمر إباحة دفعا لما قد يظن أنه يحرم الأكل منها للأمر بتقريبها لله تعالى: ﴿وأطعموا القانع﴾ أي المتعرض للسؤال بخشوع وانكسار ﴿والمعتر﴾ أي: السائل وقيل بالعكس وهو قول الشافعي رحمه الله تعالى." (١)

"قال في كتاب اختلاف الحديث القانع هو السائل، والمعتر هو الزائر، وقيل: القانع هو الجالس في بيته المتعفف الذي يقنع بما يعطى ولا يسأل ولا يتعرض،

والمعتر المعترض وقيل القانع هو المسكين والمعتر الذي ليس بمسكين، ولا تكون له ذبيحة فيجيء إلى القوم فيتعرض لهم لأجل لحمهم ﴿كذلك﴾ أي مثل هذا التسخير العظيم الذي وصفناه من نحرها قياما ﴿سخرناها﴾ بعظمتنا التي لولاها ما كان ذلك ﴿لكم﴾ وذللناها ليلا ونهارا مع عظمها وقوتها تأخذونها منقادة فتعقلونها وتحبسونها ولو شئنا لجعلناها وحشية لم تطق ولم تكن بأعجز من بعض الوحش التي هي أصغر منها جرما وأقل قوة ﴿لعلكم تشكرون﴾ إنعامنا عليكم لتعرفوا أن ما ذللها لكم إلا الله تعالى، فيكون حالكم حال من يرجو شكره فتوقعوا لشكر بأن لا تحرموا منها إلا ما حرم عليكم ولا تحلوا منها إلا ما أحل، وتهدوا منها ما حث على إهدائه وتتصرفوا بحسب ما أمركم.

ولما حث تعالى على التقرب بها مذكورا اسمه عليها قال تعالى: ﴿لن ينال الله﴾ الذي له صفات الكمال ﴿لحومها﴾ المأكولة ﴿ولا دماؤها﴾ المهراقة أي: لا يرفعان إليه ﴿ولكن يناله التقوى منكم﴾ أي: يرفع إليه منكم العمل الصالح الخالص له مع الإيمان، كما قال تعالى: ﴿والعمل الصالح يرفعه﴾ (فاطر: ١٠) أي: يقبله وقيل: كان أهل الجاهلية إذ انحروا البدن نضحوا الدماء حول البيت ولطخوه بالدم فلما حج المسلمون أرادوا مثل ذلك فنزلت.

ثم كرر سبحانه وتعالى التنبيه على عظيم تسخيرها منبها على ما أوجب عليهم به بقوله تعالى: ﴿كذلك﴾ أي: التسخير العظيم ﴿سخرها لكم﴾ بعظمته وغناه عنكم ﴿لتكبروا الله على ما هداكم﴾ أي: أرشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه، كأن تقولوا الله أكبر على ما هدانا والحمد لله على ما أولانا، فاختصر الكلام بأن ضمن التكبير معنى الشكر وعدي تعديته.

ثم وعد من امتثل الأمر بقوله تعالى: ﴿وبشر المحسنين﴾ أي: المخلصين فيما يفعلونه ويذرونه كما قال تعالى من قبل ﴿وبشر المخبتين﴾ والمحسن هو الذي يفعل الحسن من الأعمال ويتمسك به فيصير مخبتا إلى نفسه بتوفير الثواب عليه، وقال ابن عباس: الموحدين. وقوله تعالى:

﴿إن الله﴾ أي: الذي لا كفء له ﴿يدفع عن الذين آمنوا﴾ وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء وسكون الدال وفتح الفاء والباقون بضم الياء وفتح الدال وبعدها ألف وكسر الفاء أي: يبالغ في الدفع مبالغة من يغالب فيه ولم يذكر الله تعالى ما يدفعه عنهم حتى يكون أعظم وأفخم وأعم وإن كان في الحقيقة أنه يدفع بأس المشركين فلذلك قال تعالى بعده ﴿إن الله﴾

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ٥٥٣/٢

أي: الذي له صفات الكمال ﴿لا يحب﴾ أي: لا يكرم كما يفعل المحب ﴿كل خوان﴾ في أمانته ﴿كفور﴾ لنعمته وهم المشركون، قال ابن عباس: خانوا الله فجعلوا معه شريكا وكفروا نعمه، فنبه بذلك على أنه يدفع عن المؤمنين كيد من هذه صفته وقال مقاتل: يدفع عن الذين آمنوا بمكة حين أمر المؤمنين بالكف عن كفار مكة قبل الهجرة حين آذوهم فاستأذنوا النبي صلى الله عليه وسلم في قتلهم سرا فنهاهم عن ذلك ثم أذن الله تعالى لهم قتالهم بقوله تعالى: ﴿أذن للذين يقاتلون﴾ أي: المشركين والمأذون فيه وهو في القتال محذوف لدلالة يقاتلون عليه ﴿بأنهم﴾ أي بسبب أنهم ﴿ظلموا﴾ فكانوا يأتونه صلى الله عليه وسلم بين مضروب ومشجوج يتظلمون إليه فيقول لهم: اصبروا فإني لم أومر بالقتال حتى هاجر فأنزلت وهي أول." (١)

"سورة الحج (٣٥٣٧) للقصر أي فإذا كان إلهكم إلها واحدا فأخلصوا له التقرب أو الذكر واجعلوه لوجهه خاصة ولا تشوبوه بالشرك ﴿وبشر المخبتين﴾ تجريد للخطاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أي المتواضعين أو المخلصين فإن الإخبات من الوظائف الخاصة بهم." (٢)

"الفصل الثاني

٢٤٨٨ - (عن ابن عباس - رضي الله عنهما قال «كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يدعو يقول: رب أعني ولا تعن علي، وانصرني ولا تنصر علي، وامكر لي ولا تمكر علي، واهدني ويسر الهدى لي، وانصرني على من بغى علي، رب اجعلني شاكرا لك، ذاكرا لك، راهبا لك، مطواعا لك، مخبتا إليك، أواها منيبا. رب تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبت حجتي وسدد لساني، واهد قلبي، واسلل سخيمة صدري») رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه.

الفصل الثاني

٢٤٨٨ - (عن ابن عباس قال كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يدعو يقول) بدل أو حال، (رب أعني) أي وفقني لذكرك وشكرك وحسن عبادتك، (ولا تعن علي) أي لا تغلب علي من يمنعني من طاعتك من شياطين الإنس والجن، (وانصرني ولا تنصر علي) أي أغلبني على الكفار ولا تغلبهم علي أو انصرني على نفسي فإنها أعدى أعدائي ولا تنصر النفس الأمارة علي بأن أتبع الهوى وأترك الهدى، (وامكر لي ولا تمكر علي) قال الطيبي: المكر الخداع وهو من الله إيقاع بلائه بأعدائه من حيث لا يشعرون، وقيل: هو استدراج العبد بالطاعة فيتوهم أنها مقبولة وهي مردودة، وقال ابن الملك: المكر الحيلة، والفكر في دفع عدو بحيث لا يشعر به العدو فالمعنى اللهم اهدني إلى طريق دفع أعدائي عني ولا تهد عدوي إلى طريق دفعه إياي عن نفسه قال بعض العارفين في قوله تعالى: ﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾ [الأعراف: ١٨٢] يظهر لهم الكرامات حتى يظنوا أنهم أولياء الله ثم يأخذهم على غفلة وغرة ويميتهم على غفلة، (واهدني) أي دلني على الخيرات أو على عيوب نفسي، (ويسر الهدى لي) أي وسهل اتباع الهداية أو طرق الدلالة لي حتى لا أستثقل الطاعة ولا

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ٥٥٤/٢

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ١٠٧/٦

أشتغل عن العبادة، (وانصرني) أي بالخصوص، (على من بغى علي) أي ظلمني وتعدى علي قال تأكيد لأعني إلخ والصواب أنه تخصيص لقوله: وانصرني في الأول، (رب اجعلني لك) قدم المتعلق للاهتمام والاختصاص أو لتحقيق مقام الإخلاص، (شاكرا) أي على النعماء والآلاء (لك ذاكرا) في الأوقات والآناء (لك راهبا) أي خائفا في السراء والضراء وفي الحصن لك شكارا لك رهابا على وزن فعال بصيغة المبالغة، وقال ابن حجر أي منقطعا عن الخلق وفيه أن هذا من لوازم معناه الأعم منه ومن غيره هو بإشارة الصوفية أشبه، وأما معنى العبارة فما قدمناه مع أن الرهبانية منسوخة عن هذه الأمة، ومراد الصوفية بالانقطاع إنما هو انصراف الهمة عن الخلق والتعلق بالحق وهذا تارة يصدر وينشأ من غاية الرهبة وتارة يصدر من غاية الرغبة.

وجمهورهم على أن العبادة والعزلة بوصف من جهة الرجاء والترغيب أفضل من حصول الخوف والترهيب، ولهم مقام فوق ذلك وقد علم كل أناس مشربهم وكل قوم في منهاج مذهبهم، ومرتبة الجامعية المحمدية هي أكمل المقامات العلية والحالات السنية كما تدل عليه الدعوات الإلهية والتضرعات البهية التي تنبئ عن كمال العبودية عند التجليات الربوبية، (لك مطواعا) بكسر الميم مفعال للمبالغة أي كثير الطوع وهو الانقياد والطاعة وفي رواية ابن أبي شيبة مطيعا أي منقادا، (لك مخبتا) أي خاضعا خاشعا متواضعا من الخبت وهو المطمئن من الأرض يقال أخبت الرجل إذا نزل الخبت ثم استعمل الخبت استعمال اللين والتواضع قال تعالى: ﴿وأخبتوا إلى ربهم﴾ [هود: ٢٣] أي اطمأنوا إلى ذكره أو سكنت نفوسهم إلى أمره، وأقيم اللام مقام إلى لتفيد الاختصاص قال تعالى: ﴿وبشر المخبتين - الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾ [الحج: ٣٤ - ٣٥] (إليك أواها) أي متضرعا فعال للمبالغة من أوه تأويها وتأوه تأوها إذا قال: أوه، أي قائلا كثيرا لفظ أوه، وهو صوت الحزين، أي اجعلني حزينا ومتفجعا على التفريط، أو هو قول النادم من معصيته المقصر في طاعته، وقيل: الأواه البكاء (منيبا) أي راجعا، قيل: التوبة رجوع من المعصية إلى الطاعة والإنابة من الغفلة إلى الذكر والفكرة والأوبة من الغيبة إلى الحضور والمشاهدة قال الطيبي: وإنما اكتفي في قوله أواها منيبا بصلة واحدة لكون الإنابة لازمة للتأوه ورديفا له فكأنه شيء واحد، ومنه قوله تعالى: ﴿إن إبراهيم لحليم أواه منيب﴾ [هود: ٧٥] اهـ. وتعقبه ابن حجر بما لا يصح ذكره.." (١)

"تصفية الأعمال من الآفات ثم تصفية الأخلاق من الكدورات ثم تصفية الأحوال من الالتفاتات ثم تصفية الأنفاس من الأغيار وبشر المخبتين المتواضعين او المخلصين فان الخبت هو المطمئن من الأرض وحقيقة المخبت من صار فى خبت الأرض ولما كان الإخبات من لوازم التواضع والإخلاص صح ان يجعل كناية عنهما قال الكاشفى [وبشارت ده اى محمد فروتنانرا ببزرگى آن سرا يا ترسكاران را برحمت بى منتهى. سلمى قدس سره فرموده كه مژده ده مشتاقانرا بسعادت لقا كه هيچ مژده ازين فرح افزاى تر نيست پس در صفت مخبتين ميفرمايد] الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم الوجل استشعار الخوف كما فى المفردات اى خافت منه تعالى لاشراق أشعة جلاله عليها وطلوع أنوار عظمته والوجل عند الذكر على حسب تجلى الحق للقلب

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح الملا على القاري ١٧٢٣/٥

هر كرا نور تجلى شد فزون ... خشيت وخوفش بود از حد برون

والصابرين على ما أصابهم من المصائب والكلف قال فى بحر العلوم الذين صبروا على البلايا والمصائب من مفارقة أوطانهم وعشائرهم ومن تجرع الغصص والأحزان واحتمال المشاق والشدائد فى نصر الله وطاعته وازدياد الخير ومعنى الصبر الحبس يقال صبرت نفسى على كذا اى حبستها وفى التأويلات النجمية (والصابرين على ما أصابهم) اى خامدين تحت جريان الحكم من غير استكراه ولا تمنى خروجه ولا روم فرجه يستسلمون طوعا: قال الحافظ

كر بلطف بخوانى مزيد الطافست ... وكر بقهر برانى درون ما صافست

وقال

بدرد وصاف ترا حكم نيست دم دركش ... كه هر چه ساقى ما كرد عين الطافست

وقال

عاشقانرا كر در آتش مينشاند قهر دوست ... تنك چشمم كرد نظر ز چشمه كوثر كنم

وقال

آشنايان ره عشق أكرم خون بخورند ... ناكسم كر بشكايت سوى بيكانه روم

وقال

حافظ از جور تو حاشا كه بنالد روزى ... كه از ان روز كه در بند تؤام دلشادم

وايضا الحافظين مع الله أسرارهم لا يطلبون السلوة باطلاع الخلق على أحوالهم والمقيمي الصلاة فى أوقاتها أصله مقيمين والاضافة لفظية وفى التأويلات النجمية والمديمى النجوى مع الله كقوله (الذين هم على صلاتهم دائمون) قال شاعرهم

إذا ما تمنى الناس روحا وراحة ... تمنيت ان أشكو إليك وتسمع

ومما رزقناهم ينفقون فى وجوه الخيرات قدم المفعول اشعارا بكونه أهم كأنه قيل ويخصون بعض المال الحلال بالتصدق به والمراد به اما الزكاة المفروضة لاقترانها بالصلاة المفروضة او مطلق ما ينفق فى سبيل الله لوروده مطلق اللفظ من غير قرينة الخصوص وفى الحديث (بدلاء أمتي لا يدخلون الجنة بصيامهم وقيامهم ولكن دخلوها بسلامة الصدر وسخاء النفس." (١)

"من السماء إلى الأرض لأنه يسقط من أوج الإيمان إلى حضيض الكفر. وقيل: هو إشارة إلى ما يكون له حين يصعد بروحه عند الموت، فتطرح من السماء إلى الأرض. قاله ابن البنا. فتخطفه الطير أي: تتناوله بسرعة، فالخطف والاختطاف: تناول الشيء بسرعة لأن الأهواء المردية كانت توزع أفكاره، أو تهوي به الريح أي: تسقطه وتقذفه. والهوى: السقوط. في مكان سحيق: بعيد لأن الشيطان قد طرحه في الضلال والتحير الكبير. والله تعالى أعلم.

الإشارة: جعل الحق تعالى شكر النعم أمرين: طهارة الباطن من شرك الميل إلى السوى، ولسانه من زور الدعوى، وهو الترامي على مراتب الرجال قبل التحقق بها، حنيفا موحدا، شاكرا لأنعمه يجتبيه ربه، ويهديه إلى صراط مستقيم. ومن يشرك بالله

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٣٤/٦

بأن يحب معه غيره، فقد سقط عن درجة القرب والتحقيق، فتخطفه طيور الحظوظ والشهوات، وتهوي به ريح الهوى، في مكان سحيق. والعياذ بالله.

ثم حض على الاعتناء بشأن الهدايا، فقال:

[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٢ الى ٣٧]

ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦)

لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧)

يقول الحق جل جلاله: ذلك أي: الأمر ذلك، أو امتثلوا ذلك، ومن يعظم شعائر الله أي:

الهدايا، فإنها معالم الدين وشعائره تعالى، كما ينبيء عنه: والبدن جعلناها لكم من شعائر الله وتعظيمها: اعتقاد التقرب بها، وأن يختارها سمانا حسانا غالية الأثمان، روى «أنه صلى الله عليه وسلم أهدى مائة بدنة، فيها جمل لأبي جهل، في." (١)

"أنفه برة من ذهب «١»

» . وأن عمر رضى الله عنه- أهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار «٢»

. وقيل: شعائر الله: مواضع الحج، كعرفة ومنى والمزدلفة. وتعظيمها: إجلالها وتوقيرها، والتقصد إليها. وقيل: الشعائر: أمور الدين على الإطلاق، وتعظيمها: القيام بها ومراعاة آدابها، فإنها أي: فإن تعظيمها من تقوى القلوب أي: من أفعال ذوي تقوى القلوب، فحذفت هذه المضافات. أو فإن تعظيمها ناشيء من تقوى القلوب لأنها مراكز التقوى.

لكم فيها منافع من الركوب عند الحاجة، ولبنها عند الضرورة، إلى أجل مسمى إلى أن تنحر. ومن قال: شعائر الله: مواضع الحج، فالمنافع: التجارة فيها والأجر، والأجل المسمى: الرجوع إلى مكة لطواف الإفاضة.

ثم محلها منتهية إلى البيت العتيق، قال ابن جزي: من قال: إن الشعائر الهدايا، فمحلها موضع نحرها، وهي منى ومكة. وخص البيت بالذكر لأنه أشرف الحرم، وهو المقصود بالهدي. و «ثم» ، على هذا، ليست للترتيب في الزمان لأن محلها قبل نحرها، وإنما هي لترتيب الجمل. ومن قال: إن الشعائر مواضع الحج، فمحلها مأخوذ من إحلال المحرم، أي: آخر ذلك كله: الطواف بالبيت، أي: طواف الإفاضة إذ به يحل المحرم. هـ. أي:

محل شعائر الحج كلها تنتهي إلى الطواف بالبيت، طواف الإفاضة. ومثله في الموطأ.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥٣٢/٣

ولكل أمة جماعة مؤمنة قبلكم، جعلنا منسكا أي: متعبدا وقربانا يتقربون به إلى الله– عز وجل– والمنسك– بالفتح: مصدر، وبالكسر: اسم موضع النسك، أي: لكل جعلنا عبادة يتعبدون بها، أو موضع قربان، يذبحون فيه مناسكهم، ليذكروا اسم الله دون غيره، على ما رزقهم من بهيمة الأنعام أي: عند نحرها وذبحها، فإلهكم إله واحد أي: اذكروا على الذبائح اسم الله وحده فإن إلهكم إله واحد، فله أسلموا أي:

فإذا كان إلهكم إلها واحدا فأخلصوا له التقرب، أو الذكر خاصة، واجعلوه له سالما، لا تشوبوه بإشراك.

وبشر المخبتين المطمئنين بذكر الله، أو المتواضعين، أو المخلصين، فإن الإخبات من الوظائف الخاصة بهم.

والخبت: المطمئن من الأرض. وعن ابن عباس رضى الله عنه: هم الذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لم ينتصروا. وقيل: تفسيره ما بعده، وهو قوله: الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم: خافت منه هيبة لإشراق أشعة جلاله عليها. والصابرين على ما أصابهم من مشاق التكاليف ومصائب الزمان والنوائب، والمقيمي الصلاة في أوقاتها، ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخيرات.

---

(١) البرة– بضم الموحدة–: الحلقة تجعل فى أنف الجمل، وكانوا يتخذونها من نحاس أو غيره، انظر اللسان (برى ١/ ٢٧٢) ، والحديث: أخرجه البيهقي فى دلائل النبوة (باب عدد حجات النبي صلى الله عليه وسلم ٥/ ٤٥٤) عن جابر رضى الله عنه. وفيه: «من فضة» ، بدلا من ذهب» .

(٢) أخرجه أبو داود فى (المناسك، باب تبديل الهدى) عن سالم عن أبيه.." (١)

"متعبد والباقون بفتح السين بمعنى الموضع او المصدر اى اراقة الدعاء وذبح القرايين او قربانا يتقربون به الى الله ليذكروا اسم الله دون غيره ويجعلوا نسيلهم لوجهه علل الجعل به تنبيها على ان المقصود من جعل المناسك تذكر المعبود وفيه دليل على كون الذكر شرطا للذبح على ما رزقهم من بهيمة الأنعام عند نحرها وذبحها سماها بهيمة لانها لا تتكلم وقيدها بالانعام لان من البهائم ما ليس من الانعام كالخيل والبغال والحمير ولا يجوز ذبح شيء منها في القرابين الا الانعام بل الاهلية منها اجماعا– وهذه الجملة معترضة لتحريض امة محمد صلى الله عليه وسلم على التاسى بمن سبق فإلهكم إله واحد يعنى سموا على الذبائح اسم الله وحده إذ لا اله لكم غيره جملة معللة يعنى جعلنا لكل امة متعبدا ليذكروا الله وحده لان اله كلهم واحد وان كانوا امما شتى فله دون غيره أسلموا انقادوا واطيعوا يعنى أخلصوا التقرب او الذكر ولا تشوبوه بالاشراك وبشر المخبتين (٣٤) عطف على قوله وأذن في الناس بالحج ان كان خطابا لنبينا صلى الله عليه وسلم والا فعلى وإذ بوأنا يعنى اذكر وقت تبويتنا وبشر المخبتين– الخبيت الشيء الحقير يعنى من خشع وعد نفسه حقيرا يقال اخبت إذا خشع وتواضع كذا في القاموس ومن هاهنا قال ابن عباس وقتادة معناه المتواضعين وقال الأخفش الخاشعين وقيل الخبت المكان المطمئن من الأرض ومن هاهنا قال مجاهد المطمئنين الى الله وقال النخعي المخلصين فان الاطمئنان هو الإخلاص– وقال الكلبي هم الرقيقة قلوبهم– وقال عمرو بن أوس هم الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥٣٣/٣

الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم هيبة منه لاشراق أشعة جلاله عليها وعرفان عظمته والصابرين على ما أصابهم من المصائب والمقيمي الصلاة فى أوقاتها ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) عطف على صلة اللام الموصول يعنى بشر الذين يقيمون الصلوة وينفقون مما رزقنهم.

والبدن جمع بدنة كخشب وخشبة قال الجزري في النهاية البدنة يقع على الجمل والناقة والبقرة وهى." (١)

"وتجنسوها؟؟؟ صافة قوائمها ثم تطعنون في لباتها لعلكم تشكرون (٣٦) إنعامنا عليكم بالتقرب والإخلاص- اخرج ابن ابى حاتم وابن جرير وابن المنذر عن ابن جريج قال كان اهل الجاهلية ينضحون البيت بلحوم الإبل ودمائها فقال اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فنحن أحق ان ننضح فانزل الله تعالى.

لن ينال الله الاية- واخرج ابن المنذر وابن مردوية عن ابن عباس قال كان المشركون إذا ذبحوا استقبلوا الكعبة بالدماء فينتضحون بها نحو الكعبة- فاراد المسلمون ان يفعلوا ذلك فانزل الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها قال مقاتل اى لن يرفع الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله قرأ يعقوب لن تنال وتناله بالتاء المثناة من فوق فيهما والباقون بالياء المثناة من تحت اى ولكن يرفع الله التقوى منكم يعنى الأعمال الصالحة المترتبة على التقوى والإخلاص المراد بها وجه الله كذلك سخرها لكم كرره تذكيرا للنعمة وتعليلا له بقوله لتكبروا الله لتعرفوا عظمته باقتداره على مالا يقدر غيره فتوحدوه بالكبرياء شكرا على ما هداكم أرشدكم الى معالم دينه ومناسك حجه والى طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها- وما مصدرية او موصولة وعلى متعلقة بتكبر والتضمنه معنى الشكر- وقيل المراد التكبير عند الاحلال والذبح على انعام هداكم الله الى تسخيرها وبشر المحسنين (٣٧) قال ابن عباس يعنى الموحدين عطف على بشر المخبتين.

إن الله يدافع «١» عن الذين آمنوا قرأ ابن كثير وابو عمرو يدفع بفتح الياء والفاء واسكان الدال والمفعول محذوف- اى يدفع غائلة المشركين عن المؤمنين ويمنعهم من المؤمنين والباقون يدافع من المفاعلة اى يبالغ في الدفع مبالغة من يغالب فيه إن الله لا يحب اى يبغض كل خوان في امانة الله كفور (٣٨) لنعمته قال ابن عباس خانوا الله يعنى كفار

---

(١) وقوله إن الله يدافع تمهيد للاذن بالقتال- يعنى لما كان دفع الكفار با المؤمنين سنة مستمرة من الله تعالى اذن بالقتال وهذا يتضمن الوعد بالنصر حتى يحصل الدفع ١٢ منه رح.." (٢)

"أبي شيبة في المصنف، وابن منيع وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، والبيهقي في السنن، عن ابن عباس قال: لما فرغ إبراهيم من بناء البيت قال: رب قد فرغت، فقال وأذن في الناس بالحج قال: رب وما يبلغ صوتي؟ قال: أذن وعلي البلاغ، قال: رب كيف أقول؟ قال: قل: يا أيها الناس كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق، فسمعه من في السماء والأرض، ألا ترى أنهم يجيئون من أقصى الأرض يلبون. وفي الباب آثار عن جماعة من الصحابة. وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس ليشهدوا منافع لهم قال: أسواقا كانت لهم، ما ذكر الله منافع إلا الدنيا.

---

(١) التفسير المظهري المظهري، محمد ثناء الله ٣٢٢/٦

(٢) التفسير المظهري المظهري، محمد ثناء الله ٣٢٥/٦

وأخرج ابن أبي حاتم عنه قال: منافع في الدنيا ومنافع في الآخرة، فأما منافع الآخرة فرضوان الله، وأما منافع الدنيا فمما يصيبون من لحوم البدن في ذلك اليوم والذبائح والتجارات. وأخرج أبو بكر المروزي في «كتاب العيدين» عنه أيضا قال: الأيام المعلومات: أيام العشر. وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عنه أيضا قال: الأيام المعلومات:
يوم النحر وثلاثة أيام بعده. وأخرج ابن جرير عنه أيضا قال: أيام التشريق. وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عنه أيضا في الأيام المعلومات قال: قبل يوم التروية بيوم، ويوم التروية ويوم عرفة. وأخرج ابن جرير عنه أيضا قال: البائس: الزمن «١» .
وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن ابن عمر قال:
التفث المناسك كلها. وأخرج هؤلاء عن ابن عباس نحوه. وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: التفث: حلق الرأس، والأخذ من العارضين، ونتف الإبط، وحلق العانة، والوقوف بعرفة، والسعي بين الصفا والمروة، ورمي الجمار، وقص الأظفار، وقص الشارب، والذبح. وأخرج ابن جرير وابن المنذر عنه وليطوفوا بالبيت العتيق: هو طواف الزيارة يوم النحر.
وورد في وجه تسمية البيت بالعتيق آثار عن جماعة من الصحابة، وقد أشرنا إلى ذلك سابقا، وورد في فضل الطواف أحاديث ليس هذا موضع ذكرها.

[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٠ الى ٣٥]
ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور (٣٠) حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق (٣١) ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤)
الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)

---

(١) . أي: المريض مرضا يطول شفاؤه.." (١)

"وهو علامتهم التي يتعارفون بها، ومنه إشعار البدنة، وهو الطعن في جانبها الأيمن، فشعائر الله أعلام دينه، وتدخل الهدايا في الحج دخولا أوليا، والضمير في قوله: فإنها من تقوى القلوب راجع إلى الشعائر بتقدير مضاف محذوف، أي: فإن تعظيمها من تقوى القلوب، أي: من أفعال القلوب التي هي من التقوى، فإن هذا التعظيم ناشئ من التقوى لكم فيها منافع أي: في الشعائر على العموم، أو على الخصوص، وهي البدن كما يدل عليه السياق. ومن منافعها: الركوب والدر والنسل والصوف وغير ذلك. إلى أجل مسمى وهو وقت نحرها ثم محلها إلى البيت العتيق أي: حيث يحل نحرها، والمعنى:

---

(١) فتح القدير للشوكاني الشوكاني ٥٣٣/٣

أنها تنتهي إلى البيت وما يليه من الحرم، فمنافعهم الدنيوية المستفادة منها مستمرة إلى وقت نحرها، ثم تكون منافعها بعد ذلك دينية. وقيل: إن محلها هاهنا مأخوذ من إحلال الحرام، والمعنى: أن شعائر الحج كلها من الوقوف بعرفة ورمي الجمار والسعي تنتهي إلى طواف الإفاضة بالبيت، فالبيت على هذا مراد بنفسه ولكل أمة جعلنا منسكا المنسك هاهنا المصدر من نسك ينسك إذا ذبح القربان، والذبيحة نسيكة، وجمعها نسك. وقال الأزهري: إن المراد بالمنسك في الآية موضع النحر، ويقال: منسك بكسر السين وفتحها لغتان، قرأ بالكسر الكوفيون إلا عاصما، وقرأ الباقون بالفتح. وقال الفراء: المنسك في كلام العرب: الموضع المعتاد في خير أو شر، وقال ابن عرفة ولكل أمة جعلنا منسكا: أي مذهبا من طاعة الله. وروي عن الفراء أن المنسك العيد، وقيل: الحج، والأول أولى لقوله: ليذكروا اسم الله إلى آخره، والأمة: الجماعة المجتمعة على مذهب واحد، والمعنى: وجعلنا لكل أهل دين من الأديان ذبحا يذبحونه ودما يريقونه، أو متعبدا أو طاعة أو عيدا أو حجا يحجونه، ليذكروا اسم الله وحده، ويجعلوا نسكهم خاصا به على ما رزقهم من بهيمة الأنعام أي: على ذبح ما رزقهم منها، وفيه إشارة إلى أن القربان لا يكون إلا من الأنعام دون غيرها، وفي الآية دليل على أن المقصود من الذبح المذكور هو ذكر اسم الله عليه. ثم أخبرهم سبحانه بتفرده بالإلهية وأنه لا شريك له، والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها، ثم أمرهم بالإسلام له، والانقياد لطاعته وعبادته، وتقديم الجار والمجرور على الفعل للقصر، والفاء هنا كالفاء التي قبلها، ثم أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يبشر المخبتين من عباده أي: المتواضعين الخاشعين المخلصين، وهو مأخوذ من الخبت، وهو المنخفض من الأرض، والمعنى: بشرهم يا محمد بما أعد الله لهم من جزيل ثوابه وجليل عطائه. وقيل: إن المخبتين هم الذي لا يظلمون غيرهم وإذا ظلمهم غيرهم لم ينتصروا، ثم وصف سبحانه هؤلاء المخبتين بقوله: الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم أي: خافت وحذرت مخالفته، وحصول الوجل منهم عند الذكر له سبحانه دليل على كمال يقينهم وقوة إيمانهم، ووصفهم بالصبر على ما أصابهم من البلايا والمحن في طاعة الله ثم وصفهم بإقامة الصلاة أي: الإتيان بها في أوقاتها على وجه الكمال. قرأ الجمهور: «والمقيمي الصلاة» بالجر على ما هو الظاهر، وقرأ أبو عمرو بالنصب على توهم بقاء النون، وأنشد سيبويه على ذلك قول الشاعر:

الحافظو عورة العشيرة «١»

....

---

(١) . البيت بتمامه:

الحافظو عورة العشيرة لا ... يأتيهم من ورائنا نطف." (١)

"قال: ذبحا. وأخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم في الآية قال: مكة لم يجعل الله لأمة قط منسكا غيرها.

وقد وردت أحاديث في الأضحية ليس هذا موضع ذكرها. وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله: وبشر المخبتين قال: المطمئنين. وأخرج سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا في

---

(١) فتح القدير للشوكاني الشوكاني ٣/٥٣٥

ذم الغضب، وابن المنذر وابن أبي حاتم، والبيهقي في شعب الإيمان، عن عمرو بن أوس قال: المخبتون في الآية الذين لا يظلمون الناس، وإذا ظلموا لم ينتصروا.

[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٦ الى ٣٧]

والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧)

قرأ ابن أبي إسحاق «والبدن» بضم الباء والدال، وقرأ الباقون بإسكان الدال، وهما لغتان، وهذا الاسم خاص بالإبل، وسميت بدنة لأنها تبدن، والبدانة: السمن. وقال أبو حنيفة ومالك: إنه يطلق على غير الإبل، والأول أولى لما سيأتي من الأوصاف التي هي ظاهرة في الإبل، ولما تفيده كتب اللغة من اختصاص هذا الاسم بالإبل. وقال ابن كثير في تفسيره: واختلفوا في صحة إطلاق البدنة على البقرة على قولين: أصحهما أنه يطلق عليها ذلك شرعا كما صح في الحديث. جعلناها لكم وهي ما تقدم بيانه قريبا لكم فيها خير أي: منافع دينية ودنيوية كما تقدم فاذكروا اسم الله عليها أي: على نحرها، ومعنى صواف أنها قائمة قد صفت قوائمها، لأنها تنحر قائمة معقولة، وأصل هذا الوصف في الخيل، يقال: صفن الفرس فهو صافن إذا قام على ثلاث قوائم وثنى الرابعة. وقرأ الحسن والأعرج ومجاهد وزيد بن أسلم وأبو موسى الأشعري «صوافي» أي: خوالص لله لا يشركون به في التسمية على نحرها أحدا، وواحد صواف صافة، وهي قراءة الجمهور. وواحد صوافي صافية. وقرأ ابن مسعود وابن عمر وابن عباس وأبو جعفر محمد بن علي «صوافن» بالنون جمع صافنة، والصافنة: هي التي قد رفعت إحدى يديها بالعقل لئلا تضطرب، ومنه قوله تعالى:

الصافنات الجياد «١» ، ومنه قول عمرو بن كلثوم:

تركنا الخيل عاكفة عليه ... مقلدة أعنتها صفونا

وقال الآخر:

ألف الصفون فما يزال كأنه ... مما يقوم على الثلاث كسيرا

فإذا وجبت جنوبها الوجوب: السقوط، أي: فإذا سقطت بعد نحرها، وذلك عند خروج روحها فكلوا منها ذهب الجمهور أن هذا الأمر للندب وأطعموا القانع والمعتر هذا الأمر قبل هو للندب كالأول، وبه قال مجاهد والنخعي وابن جرير وابن سريج. وقال الشافعي وجماعة: هو للوجوب.

---

(١) . ص: ٣١.." (١)

---

(١) فتح القدير للشوكاني الشوكاني ٥٣٧/٣

"أي عند ذبحها وفي هذا تنبيه على أن المقصود الأصلي من طلب الذبائح تذكر المعبود وعلى أن القربان يجب أن يكون من الأنعام فإلهكم إله واحد فلا تذكروا على ذبائحكم غير اسم الله وفي هذا بيان أن الله تعالى واحد في ذاته كما أنه واحد في إلهيته لكل الخلق فله أسلموا أي فإذا كان إلهكم إلها واحدا فأخلصوا له الذكر بحيث لا يشوبه إشراك ألبتة وانقادوا له تعالى في جميع تكاليفه وبشر المخبتين (٣٤) أي المتواضعين فالحج من صفات المتواضعين كالتجرد عن اللباس، وكشف الرأس، والغربة من الأوطان الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم من مشاق التكليف والمصائب، فأما ما يصيبهم من قبل الظلمة فالصبر عليه غير واجب بل إن أمكنه دفع ذلك لزمه الدفع ولو بالمقاتلة والمقيمي الصلاة في أوقاتها.

وقرأ الحسن «والمقيمي الصلاة» بنصب «الصلاة» على تقدير النون. وقرأ ابن مسعود «والمقيمين الصلاة» على الأصل ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) في وجوه الخيرات وأمر الله تعالى رسوله أن يبشر بالجنة المتواضعين المتصفين بوجل القلوب إذا أمروا بأمر من الله تعالى وبالصبر إذا أصابهم البلاء من الله تعالى وبإقامة الصلاة في وقت السفر للحج وبصدقة التطوع، أي لذلك الوجل أثران الصبر على البلايا التي من قبل الله تعالى والاشتغال بالخدمة بالنفس وبالمال وهما أعز الأشياء عند الإنسان، فالخدمة بالنفس: هي الصلاة. والخدمة بالنفس وبالمال: هي إنفاقه في وجوه الخيرات والبدن جعلناها لكم من شعائر الله أي أعلام دينه وهو مفعول ثان و «لكم» متعلق به «والبدن» عند الشافعي خاصة بالإبل، وعند أبي حنيفة الإبل والبقر لكم فيها أي البدن خير أي منافع دينية ودنيوية هي درها ونسلها وصوفها وظهرها فاذكروا اسم الله عليها أي على نحرها صواف أي قياما على ثلاث قوائم قد صفت رجليها ويدها اليمنى ويد أخرى معقولة فينحرها كذلك بأن تقولوا عند الذبح بسم الله والله أكبر اللهم منك وإليك.

وقرئ «صوافن» بضم النون. وقرئ «صوافي» أي خوالص لوجه الله تعالى، لا تشركوا بالله في التسمية أحدا على نحرها وخوالص من العيوب. وعن عمرو بن عبيد «صوافيا» بالتنوين عوضا عن حرف الإطلاق عند الوقف فإذا وجبت جنوبها أي سقطت على الأرض وذلك عند خروج الروح منها فكلوا منها إن شئتم إذا كانت الأضاحي تطوعا وأطعموا القانع أي الراضي بما يدفع إليه من غير سؤال والمعتر أي الذي يعتر بالسلام ولا يسأل بل يري نفسه للناس كالزائر كذلك مع كمال عظمها ونهاية قوتها، أي فالله تعالى جعل الإبل والبقر بالصفة التي يمكننا تصريفها على ما نريد وذلك نعمة عظيمة من الله تعالى في الدنيا والدين لعلكم تشكرون (٣٦) أي لتشكروا إنعامنا عليكم بالإخلاص لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم أي لن يصل إلى الله تعالى أي إلى مرضاته لحوم القرابين ولا دماؤها، ولكن يقبل." (١)

"وعن البراء «١» مرفوعا. أربع لا تجوز في الأضاحي، العوراء البين عورها، والمريضة البين مرضها، والعرجاء البين ظلعها، والكسيرة التي لا تنقي: رواه أحمد وأهل السنن.

فإنها أي فإن تعظيمها من تقوى القلوب أي من أفعال ذوي التقوى.

والإضافة إلى القلوب، لأن التقوى وضدها تنشأ منها.

---

(١) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد نووي الجاوي ٧٣/٢

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة الحج (٢٢) : آية ٣٣]

لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣)

لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق أي لكم في الهدايا منافع درها ونسلها وصوفها وظهرها إلى وقت نحرها.

وقد روي في الصحيحين «٢» عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يسوق بدنة قال: اركبها. قال: إنها بدنة قال:

أركبها، ويحك. في الثانية أو الثالثة.

وقوله: ثم محلها أي محل الهدايا وانتهاؤها إلى البيت العتيق وهو الكعبة كما قال تعالى: هديا بالغ الكعبة [المائدة: ٩٥] ، وقال: والهدي معكوفا أن يبلغ محله [الفتح: ٢٥] .

قال في (الإكليل) : فيه أن الهدي لا يذبح إلا بالحرم. وقيل: المعنى: محل هذه الشعائر كلها الطواف بالبيت العتيق. فيقتضي أن الحاج بعد طواف الإفاضة.

يحل له كل شيء. وكذا روي عن ابن عباس: ما طاف أحد بالبيت إلا حل، لهذه الآية. وقوله تعالى:

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة الحج (٢٢) : آية ٣٤]

ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤)

ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام.

أي شرعنا لكل أمة أن ينسكوا. أي يذبحوا لوجهه تعالى، على وجه التقرب.

وجعل العلة، أن يذكر اسمه. تقدست أسماؤه. على النسائك. ف (منسكا) مصدر

---

(١) أخرجه النسائي في: الضحايا ٥- باب ما هي عنه من الأضاحي.

(٢) أخرجه البخاري في: الحج، ١٠٣- باب ركوب البدن، حديث رقم ٨٧٨.

وأخرجه مسلم في: الحج، حديث رقم ٣٧٣.." (١)

"ميمي على أصله. أو بمعنى المفعول. وفي الآية تنبيه على أن القربان يجب أن يكون نعما.

فإلهكم إله واحد فله أسلموا أي أخلصوا له الذكر خاصة، لا تشوبوه بإشراك. وبشر المخبتين.

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٥ الى ٣٦]

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل القاسمي ٢٤٦/٧

الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦)

الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم أي خافت لتأثرهم عند ذكره مزيد تأثر والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها

أي في ذبحها تضحية خير من المنافع الدينية والدنيوية فاذكروا اسم الله عليها صواف أي قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن. وعن ابن عباس: قياما على ثلاث قوائم، معقولة يدها اليسرى. يقول: بسم الله، والله أكبر، لا إله إلا الله: اللهم منك ولك. وفي الصحيحين «١» عن ابن عمر أنه أتى على رجل قد أناخ بدنة وهو ينحرها. فقال: ابعثها قياما مقيدة سنة أبي القاسم صلى الله عليه وسلم:

وفي صحيح مسلم «٢» عن جابر في صفة حجة الوداع، قال فيه: فنحر رسول صلى الله عليه وسلم بيده ثلاثا وستين بدنة . جعل يطعنها بحربة في يده فإذا وجبت جنوبها أي سقطت على الأرض، وهو كناية عن الموت فكلوا منها وأطعموا القانع أي السائل والمعتر أي المتعرض بغير سؤال. أو القانع الراضي بما عنده وبما يعطي من غير سؤال، والمعتر المتعرض بسؤال وقد استنبط من الآية أن الأضحية تجزأ ثلاثة أجزاء: فيأكل ثلثا ويهدي ثلثا ويتصدق بثلث.

---

(١) أخرجه البخاري في: الحج، ١١٨- باب نحر الإبل مقيدة، حديث ٨٨٥.

وأخرجه مسلم في: الحج، حديث ٣٥٨.

(٢) أخرجه مسلم في: الحج، حديث رقم ١٤٧. [.....]." (١)

"مراجعة، وقد بينا هذا مع حكمته في تفسير وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله (٣: ١٥٩) وترى في تلك السورة كيف كانت مخالفة الرماة له صلى الله عليه وسلم سببا في ظهور العدو على المسلمين، فراجع تفسير أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم (٣: ١٦٥) في ١٨٤ وما بعدها ج ٤ ط الهيئة. ولأئمة المسلمين منهم من حق الطاعة في تنفيذ المشروع، وإدارة الأمور العامة، وقيادة الجند ما كان له صلى الله عليه وسلم منه، مقيدا بعدم معصية الله تعالى، وبمشاورة أولي الأمر، كما تقدم تفصيله في تفسير: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم (٤: ٥٩) الآية.

ثم قال تعالى: إن كنتم مؤمنين أي: فامتثلوا الأوامر الثلاثة فإن الإيمان يقتضي ذلك كله ؛ لأن الله تعالى أوجبه، والمؤمن بالله غير المرتاب بوعده ووعيده يكون له سائق من نفسه إلى طاعته، إلا أن يعرض له ما يغلبه عليها أحيانا من ثورة شهوة أو ثورة غضب، ثم لا يلبث أن يفيء إلى أمر الله، ويتوب إليه مما عرض له، كما تقدم في تفسير: إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب (٤: ١٧) إلخ، ثم وصف الله المؤمنين بما يدل على هذا ويثبته فقال:

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل القاسمي ٢٤٧/٧

إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم هذه جملة مستأنفة لبيان حال المؤمنين الذين بين في شرطية الآية قبلها شأنهم من التقوى وإصلاح ذات البين في الأمة وطاعة الله ورسوله على قاعدة أن النكرة إذا أعيد ذكرها معرفة تكون عين الأولى، أو بيان حال المؤمنين الكاملي الإيمان مطلقا ؛ ليعلم منه أن تلك الأمور الثلاثة هي بعض شأنهم، وقد بين صفاتهم بصيغة الحصر التي يخاطب بها من يعلم ذلك أو ينزل منزلة العالم به الذي لا ينكره، وهي " إنما "كما حققه إمام الفن الشيخ عبد القاهر، وصفهم بخمس صفات: (الصفة الأولى) قوله: الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم قال الراغب: الوجل استشعار الخوف، يعني ما يجعل القلب يشعر به بالفعل، وعبر غيره عنه بالفزع والخوف (وبابه فرح وتعب) وذلك أن الخوف توقع أمر مؤلم في المستقبل قد يصحبه شعور الألم والفزع، وقد يفارقه لضعفه أو لاعتقاد بعد أجله، فالوجل والفزع أخص منه، وفي سورة الحجر من حوار إبراهيم صلى الله عليه وسلم مع ضيفه المنكرين.

قال إنا منكم وجلون قالوا لا توجل (١٥: ٥٢، ٥٣) إلخ، وفي سورة " المؤمنون " في صفة المؤمنين المشفقين من خشية ربهم: والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون (٢٣: ٦٠) فالوجل هنا مقترن بالعمل الصالح وهو البذل والعطاء، وفي سورة الحج: وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٢٢: ٣٤، ٣٥) وهي بمعنى آية الأنفال، وليس للوجل ذكر في." (١)

"روى أن النبي صلى الله عليه وسلم أهدى مائة بدنة فيها جمل لأبى جهل فى أذنه برة- حلق- من ذهب، وأن عمر أهدى نجيبة- ناقة- طلبت منه بثلاثمائة دينار، وقد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعها ويشترى بثمنها بهما فنهاه عن ذلك وقال بل أهدها، وكان ابن عمر رضى الله عنهما يسوق البدن مجللة بالقباطي- ثياب مصرية غالية الثمن- فيتصدق بلحومها وبجلالها.

(لكم فيها منافع إلى أجل مسمى) أي لكم فى تلك الهدايا منافع كركوبها حين الحاجة وشرب ألبانها حين الضرورة إلى أن تنحر ويؤكل منها ويتصدق بلحومها (ثم محلها إلى البيت العتيق) أي ثم مكان حل نحرها عند البيت العتيق أي عند الحرم جميعه، إذ الحرم كله فى حكم البيت الحرام.

أخرج البخاري فى تاريخه والترمذي وحسنه والحاكم وصححه وابن جرير والطبري وغيرهم عن ابن الزبير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنما سماه الله البيت العتيق، لأنه أعتقه من الجبابرة فلم يظهر عليه جبار قط»

وإلى هذا ذهب قتادة، وقد قصده تبع ليهدمه فأصابه الفالج فأشير عليه أن يكف عنه، وقيل له إن ربا يمنعه، فتركه وكساه، وهو أول من كساه، وقصده أبرهة فأصابه ما أصابه.

[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٤ الى ٣٥]

ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٩/٤٩٠

تفسير المفردات

المنسك (بكسر السين وفتحها) والنسك فى الأصل: العبادة مطلقا، وشاع استعماله فى أعمال الحج، والمراد به هنا الذبح وإراقة الدماء على وجه التقرب إليه تعالى، أسلموا:." (١)

"ثم أخبر سبحانه بتفرده بالألوهية وأنه لا شريك له فقال:

(فإلهكم إله واحد فله أسلموا) أي فإن معبودكم واحد وإن اختلفت العبادات بحسب الأزمنة والأمكنة ونسخ بعضها بعضا، فما المقصد منها جميعا إلا عبادة الله وحده لا شريك له كما قال: «وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون» فأخلصوا له العمل واستسلموا لحكمه وانقادوا له فى جميع ما كلفكم به.

(وبشر المخبتين) أي وبشر أيها الرسول الخاضعين لله بالطاعة، المذعنين له بالعبودية، المنيبين إليه بالتوبة، بما أعد لهم من جزيل ثوابه، وجليل عطائه.

ثم بين سبحانه علاماتهم فقال:

(١) (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) أي إنهم إذا ذكر الله عرتهم رهبة من خشيته، وخوف من عقابه.

(٢) (والصابرين على ما أصابهم) من النوائب والمحن فى طاعة الله.

(٣) (والمقيمي الصلاة) أي والمؤدين حقه تعالى فيما أوجبه عليهم من فريضة الصلاة فى الأوقات التي حددها لهم.

(٤) (ومما رزقناهم ينفقون) أي وينفقون بعض ما آتاهم الله من طيب الرزق فى وجوه البر وعلى أهليهم وأقاربهم وعلى الخلق كافة، ومن ذلك إهداء الهدايا التي يغالون فى أثمانها.

[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٦ الى ٣٧]

والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧)." (٢)

"ثم وصف الله تعالى المؤمنين بخمس صفات تدل على وجوب التقوى وإصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله فقال:

(إنما المؤمنون) أي إنما المؤمنون حقا المخلصون فى إيمانهم هم الذين اجتمعت فيهم خصال خمس:

(١) (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) أي الذين إذا ذكروا الله بقلوبهم فزعوا لعظمته وسلطانه أو لوعده ووعيده ومحاسبته لخلقه، والآية بمعنى قوله: «وبشر المخبتين، الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون» .

---

(١) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ١١١/١٧

(٢) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ١١٣/١٧

(٢) (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا) أي وإذا تليت عليهم آياته المنزلة على خاتم أنبيائه صلى الله عليه وسلم زادتهم يقينا فى الإيمان، وقوة فى الاطمئنان، ونشاطا فى الأعمال إذ أن تظاهر الأدلة وتعاضد الحجج يوجب زيادة اليقين، فابراهيم صلوات الله وسلامه عليه كان مؤمنا بإحياء الله الموتى حين دعا ربه أن يريه كيف يحييها كما قال تعالى: «أولم تؤمن؟ قال بلى ولكن ليطمئن قلبي» فمقام الطمأنينة فى الإيمان يزيد على ما دونه من الإيمان المطلق قوة وكمالا. ويروى أن عليا المرتضى قال: لو كشف عنى الحجاب ما ازددت يقينا، والعلم التفصيلي فى الإيمان أقوى من العلم الإجمالى، فمن آمن بأن لله علما محيطا بالمعلومات، وحكمة قام بها نظام الأرض والسموات، ورحمة وسعت جميع المخلوقات ويعلم ذلك علما إجماليا ولو سألته أن يبين لك شواهده فى الخلق لعجز- لا يوزن إيمانه بإيمان صاحب العلم التفصيلي بسنن الله فى الكائنات فى كل نوع من أنواع المخلوقات، ولا سيما فى العصور الحديثة التي اتسعت فيها معارف البشر بهذه السنن، فعرفوا منها ما لم يكن يخطر عشر معشاره لأحد من العلماء فى القرون الخوالى.

وفى معنى الآية قوله تعالى فى وصف الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم." (١)

"﴿٣٤ - ٣٥﴾ ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين * الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾

.

أي: ولكل أمة من الأمم السالفة جعلنا منسكا، أي: فاستبقوا إلى الخيرات وتسارعوا إليها، ولننظر أيكم أحسن عملا والحكمة في جعل الله لكل أمة منسكا، لإقامة ذكره، والالتفات لشكره، ولهذا قال: ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد﴾ وإن اختلفت أجناس الشرائع، فكلها متفقة على هذا الأصل، وهو ألوهية الله، وإفراده بالعبودية، وترك الشرك به ولهذا قال: ﴿فله أسلموا﴾ أي: انقادوا واستسلموا له لا لغيره، فإن الإسلام له طريق إلى الوصول إلى دار السلام. ﴿وبشر المخبتين﴾ بخير الدنيا والآخرة، والمخبت: الخاضع لربه، المستسلم لأمره، المتواضع لعباده، ثم ذكر صفات المخبتين فقال: ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ أي: خوفا وتعظيما، فتركوا لذلك المحرمات، لخوفهم ووجلهم من الله وحده، ﴿والصابرين على ما أصابهم﴾ من البأساء والضراء، وأنواع الأذى، فلا يجري منهم التسخط لشيء من ذلك، بل صبروا ابتغاء وجه ربهم، محتسبين ثوابه، مرتقبين أجره، ﴿والمقيمي الصلاة﴾ أي: الذين جعلوها قائمة مستقيمة كاملة، بأن أدوا اللازم فيها والمستحب، وعبوديتها الظاهرة والباطنة، ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ وهذا يشمل جميع النفقات الواجبة، كالزكاة، والكفارة، والنفقة على الزوجات والمماليك، والأقارب، والنفقات المستحبة، كالصدقات بجميع وجوهها، وأتي بـ ﴿من﴾ المفيدة للتبعيض، ليعلم سهولة ما أمر الله به ورغب فيه، وأنه جزء يسير مما رزق الله، ليس للعبد في تحصيله قدرة، لولا تيسير الله له ورزقه إياه. فيا أيها المرزوق من فضل الله، أنفق مما رزقك الله، ينفق الله عليك، ويزدك من فضله.." (٢)

---

(١) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ١٦٤/٩

(٢) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن عبد الرحمن السعدي ص/٥٣٨

"الدرس السابع والسبعون بعد المائة

﴿إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم (٢٥) وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود (٢٦) وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق (٢٧) ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير (٢٨) ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق (٢٩) ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور (٣٠) حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق (٣١) ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)." (١)

"السماء﴾ ، قال: هذا مثل ضربه الله لمن أشرك بالله في بعده من الهدى وهلاكه، ﴿فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾ ، قال مجاهد: بعيد.

قوله عز وجل: ﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ﴾ .

قال محمد بن أبي موسى: الوقوف بعرفة من شعائر الله، والجمع من شعائر الله، ورمي الجمار من شعائر الله، والبدن من شعائر الله، ومن يعظمها فإنها من شعائر الله.
في قوله: ﴿ومن يعظم شعائر الله﴾ فمن يعظمها، ﴿فإنها من تقوى القلوب﴾ . وعن ابن عباس في قوله: ﴿ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾ ، قال: استعظامها، واستحسانها، واستمساكها، ﴿لكم فيها منافع إلى أجل مسمى﴾ ، قال: ما لم يسم بدنا. وعن عطاء: ﴿لكم فيها منافع إلى أجل مسمى﴾ ، قال هو: ركوب البدن، وشرب لبنها إن احتاج، ﴿ثم محلها إلى البيت العتيق﴾ إلى مكة. وفي الصحيحين أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رأى رجلا يسوق بدنة قال: «اركبها» . قال: إنها بدنة، قال: «اركبها ويحك» ، في الثانية، أو في الثالثة. وفي حديث آخر عند مسلم قال: «اركبها بالمعروف إذا لجئت إليها» .

---

(١) توفيق الرحمن في دروس القرآن فيصل المبارك ١٦٣/٣

قوله عز وجل: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤)." (١)

"الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) ﴾ .

عن مجاهد: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا﴾ ، قال: إهراق الدماء، ... ﴿ليذكروا اسم الله﴾ عليها، ﴿فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين﴾ المطمئنين إلى الله.

وقال ابن زيد في قوله: ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ ، قال: لا تقسوا قلوبهم، ﴿والصابرين على ما أصابهم﴾ من شدة في أمر الله

ونالهم من مكروه في جنبه، ﴿والمقيمي الصلاة﴾ المفروضة، ﴿ومما رزقناهم﴾ من الأموال، ﴿ينفقون﴾ في الواجب عليهم إنفاقها فيه، في زكاة ونفقة عيال، ومن وجبت عليه نفقته، وفي سبيل الله.

قوله عز وجل: ﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧) ﴾ .

قال عطاء: ﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر الله﴾ ، قال: البقرة، والبعير. وقال مجاهد: إنما البدن من الإبل، ويشهد له قوله – صلى الله عليه وسلم –: «من اغتسل يوم الجمعة ثم راح في الساعة الأولى، فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة» . الحديث.

وعن مجاهد في قول الله: ﴿لكم فيها خير﴾ ، قال: أجر ومنافع في البدن. وعن ابن عباس في قوله: ﴿فاذكروا اسم الله عليها صواف﴾ ، قال: الله أكبر، الله أكبر، اللهم منك ولك قيامها على ثلاث أرجل، فقيل لابن عباس: ما نصنع بجلودها؟." (٢)

"الإعراب:

(لكم) متعلق بخبر مقدم (فيها) متعلق بحال من (منافع) «١» ، (إلى أجل) متعلق بنعت لمنافع تقديره مؤخرة أو مؤجلة (إلى البيت) متعلق بخبر محذوف للمبتدأ (محلها) .

جملة: «لكم فيها منافع ... » لا محل لها استئنافية– أو تعليلية–.

وجملة: «محلها إلى البيت ... » لا محل لها معطوفة على الاستئنافية.

---

(١) توفيق الرحمن في دروس القرآن فيصل المبارك ١٦٨/٣

(٢) توفيق الرحمن في دروس القرآن فيصل المبارك ١٦٩/٣

[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٤ الى ٣٥]

ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)

الإعراب:

(الواو) استئنافية (لكل) متعلق بمحذوف مفعول به ثان عامله جعلنا (اللام) للتعليل (يذكروا) منصوب بأن مضمرة بعد اللام.

والمصدر المؤول (أن يذكروا ... » في محل جر باللام متعلق ب (جعلنا) .

(يذكروا.. بهيمة الأنعام) مر إعرابها «٢» ، (الفاء) الأولى استئنافية، والثانية رابطة لجواب شرط مقدر (له) متعلق ب (أسلموا) ، و (الواو) عاطفة.

جملة: «جعلنا ... » لا محل لها استئنافية.

وجملة: «يذكروا ... » لا محل لها صلة الموصول الحرفي (أن) المضمر.

---

(١) أو متعلق بالخبر المحذوف.

(٢) في الآية (٢٨) من هذه السورة.." (١)

"وجملة: «رزقهم ... » لا محل لها صلة الموصول (ما) .

وجملة: «إلهكم إله ... » لا محل لها استئنافية.

وجملة: «أسلموا ... » في محل جزم جواب شرط مقدر أي إن طلبتم رضاه فأسلموا له.

وجملة: «بشر المخبتين» معطوفة على جملة أسلموا «١» ..

(الذين) موصول في محل نصب نعت ل (المخبتين) «٢» ، (إذا) ظرف للزمن المستقبل متعلق بالجواب وجلت (الواو) عاطفة في المواضع الثلاثة (الصابرين، المقيمي) اسمان معطوفان على المخبتين منصوبان مثله، وعلامة النصب فيهما الياء (الصلاة) مضاف إليه مجرور (مما) متعلق ب (ينفقون) والعائد محذوف أي رزقناهم إياه.

وجملة: «الشرط وفعله وجوابه» لا محل لها صلة الموصول الذين.

وجملة: «ذكر الله» في محل جر مضاف إليه.

وجملة: «وجلت قلوبهم» لا محل لها جواب لشرط.

وجملة: «أصابهم» لا محل لها صلة الموصول (ما) .

وجملة: «رزقناهم» لا محل لها صلة الموصول (ما) الثاني.

وجملة: «ينفقون» لا محل لها معطوفة على جملة صلة الذين.

---

(١) الجدول في إعراب القرآن محمود صافي ١١٣/١٧

الصرف:

(المخبتين) ، جمع المخبت، اسم فاعل من أخبت الرباعي بمعنى تواضع وأطاع، والإخبات النزول في الخبت وهو المكان المنخفض.

---

(١) يجوز أن تكون الجملة مستأنفة فلا محل لها.

(٢) أو في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف تقديره هم.. أو في محل نصب مفعول به لفعل محذوف تقديره أمدح أو أعني.." (١)

"منطلقا بقوة اليقين- فمثل هذا الذكر لا يعدو أن يكون أصواتا مرددة، أشبه بالجثث الهامدة.. لا روح فيه، ولا معقول له.. ومن هنا تكون آفته، فلا يطمئن به قلب، ولا ينشرح به صدر..

أما الذكر الذي يقول فيه سبحانه وتعالى: «الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله.» ثم يؤكده بقوله: «ألا بذكر الله تطمئن القلوب» فهو الذكر الذي ينبعث عن إيمان، فتهتز له المشاعر، وتدفأ به الصدور، وتطمئن به القلوب.. ولهذا قدم سبحانه الإيمان على الذكر.. حتى يكون للذكر أصل يرجع إليه، ومنطق بنطق منه، وهو الإيمان.. فإذا ذكر المؤمن بالله ربه، غردت فى نفسه بلابل البهجة، وزغردت فى صدره عرائس الرضا، واستولت عليه حال من الشجا الممزوج بالنشوة، حتى ليكاد يكون كله عاطفة ترف بجناحي الصبابة والوجد، وتحلق فى سماوات عالية، مشرقة بنور الحق، معطرة بأريج الصفاء والطهر.

ولا يكون الذكر لله ذكرا يثمر هذه الثمرة، التي يطمئن بها القلب، إلا إذا انبعث من قلب عارف بالله، مدرك لما ينبغى له سبحانه، من صفات الكمال والجلال، فذلك هو الذي يفيض على القلب خشية عند ذكر الله، وهو الذي يستثير مشاعر الولاء لله، والإخبات له، فتقشعر الجلود، وتدمع العيون..

وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: «إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم» (٢: الأنفال) .. وقوله سبحانه: «وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم» (٣٤- ٣٥ الحج) وقوله جل شأنه «الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله» .. (٢٣: الزمر)." (٢)

"الآيات: (٣٤- ٣٧) [سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٤ الى ٣٧]

ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧)

---

(١) الجدول في إعراب القرآن محمود صافي ١١٤/١٧

(٢) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب ١١١/٧

التفسير:

قوله تعالى:

«ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين» .

المنسك: اسم مكان، يؤدى فيه النسك.. والنسك: هو ما افترض الله على عباده من قربات يتقربون بها إليه.

والمخبتين: المطيعين، المطمئنين، الذين يؤدون أوامر الله فى رضا واطمئنان..

والمعنى: أن الله سبحانه وتعالى جعل لكل أمة «منسكا» أي معلما من." (١)

"معالم دينهم، يدعون فيه إلى التقرب إلى الله بالذبائح، وذكر اسمه عليها عند ذبحها، ليذكروا بذلك فضله عليهم، فيما رزقهم من بهيمة الأنعام، ينتفعون بها في وجوه كثيرة.. كما يقول سبحانه: «والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤف رحيم والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة» (٥- ٨: النحل) .

- وفى قوله تعالى: «فإلهكم إله واحد» إشارة إلى أن المناسك، والشعائر، والعبادات التي تعبد الله بها عباده على لسان رسله- وإن اختلفت صورا وأشكالا- هى من دين الله، وهى طريق عباده إلى طاعته ورضاه.. وأن هذا الاختلاف فى صورها وأشكالها، لا يجعل منها سببا إلى الاختلاف بين المؤمنين بالله.. فكلهم يعبدون إلها واحدا، ومن شأنهم، أن يكونوا أمة واحدة.

- وقوله تعالى: «فله أسلموا» هو دعوة للمؤمنين أن يسلموا وجوههم لله، وأن ينقادوا له، ثم هو دعوة لأهل الكتاب أن يدخلوا فى دين الله، وهو الإسلام، إن كانوا مؤمنين بالله حقا.. فما الإسلام إلا دين الله، الذي اجتمع فيه ما تفرق منه فى الأمم السابقة ...

- وقوله تعالى: «وبشر المخبتين» هو استدعاء، وإغراء للذين لم يمتثلوا بعد هذا الأمر- أن يسلموا لله وجوههم، وأن يدخلوا فى دينه، ليكونوا ممن لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ...

قوله تعالى:

«الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم." (٢)

": ٢٦] .

[٣٤، ٣٥]

[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٤ الى ٣٥]

ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤)

---

(١) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب ١٠٣٦/٩

(٢) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب ١٠٣٧/٩

الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)
ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا.
عطف على جملة ثم محلها إلى البيت العتيق [الحج: ٣٣] .
والأمة: أهل الدين الذين اشتركوا في اتباعه. والمراد: أن المسلمين لهم منسك واحد وهو البيت العتيق كما تقدم. والمقصود من هذا الرد على المشركين إذ جعلوا لأصنامهم مناسك تشابه مناسك الحج وجعلوا لها مواقيت ومذابح مثل الغبغب منحر العزى، فذكرهم الله تعالى بأنه ما جعل لكل أمة إلا منسكا واحدا للقربان إلى الله تعالى الذي رزق الناس الأنعام التي يتقربون إليه منها فلا يحق أن يجعل لغير الله منسك لأن ما لا يخلق الأنعام المقرب بها ولا يرزقها الناس لا يستحق أن يجعل له منسك لقربانها فلا تتعدد المناسك.
فالتنكير في قوله منسكا للإفراد، أي واحدا لا متعددا، ومحل الفائدة هو إسناد الجعل إلى ضمير الجلالة.
وقد دل على ذلك قوله: ليذكروا اسم الله وأدل عليه التفريع بقوله فإلهكم إله واحد. والكلام يفيد الاقتداء ببقية الأمم أهل الأديان الحق.
وعلى يجوز أن تكون للاستعلاء المجازي متعلقة ب ليذكروا اسم الله مع تقدير مضاف بعد على تقديره: إهداء ما رزقهم، أي عند إهداء ما رزقهم، يعني ونحرها أو ذبحها.
ويجوز أن تكون على بمعنى: لام التعليل. والمعنى: ليذكروا اسم الله لأجل ما رزقهم من بهيمة الأنعام.." (١)
"وقد فرع على هذا الانفراد بالإلهية بقوله: فإلهكم إله واحد فله أسلموا أي إذ كان قد جعل لكم منسكا واحدا فقد نبهكم بذلك أنه إله واحد، ولو كانت آلهة كثيرة لكانت شرائعها مختلفة. وهذا التفريع الأول تمهيد للتفريع الذي عقبه وهو المقصود، فوقع في النظم تغيير بتقديم وتأخير. وأصل النظم: فلله أسلموا، لأن إلهكم إله واحد. وتقديم المجرور في فله أسلموا للحصر، أي أسلموا له لا لغيره. والإسلام: الانقياد التام، وهو الإخلاص في الطاعة، أي لا تخلصوا إلا لله، أي فاتركوا جميع المناسك التي أقيمت لغير الله فلا تنسكوا إلا في المنسك الذي جعله لكم، تعريضا بالرد على المشركين.
وقرأ الجمهور منسكا- بفتح السين- وقرأه حمزة، والكسائي، وخلف- بكسر السين-، وهو على القراءتين اسم مكان للنسك، وهو الذبح. إلا أنه على قراءة الجمهور جار على القياس لأن قياسه الفتح في اسم المكان إذ هو من نسك ينسك- بضم العين- في المضارع. وأما على قراءة الكسر فهو سماعي مثل مسجد من سجد يسجد، قال أبو علي الفارسي: ويشبه أن الكسائي سمعه من العرب.
وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) .
اعتراض بين سوق المنن، والخطاب للنبيء صلى الله عليه وسلم وأصحاب هذه الصفات هم المسلمون.

---

(١) التحرير والتنوير ابن عاشور ٢٥٩/١٧

والمخبت: المتواضع الذي لا تكبر عنده. وأصل المخبت من سلك الخبت. وهو المكان المنخفض ضد المصعد، ثم استعير للمتواضع." (١)

"وضمير أنه الحق عائد إلى العلم الذي أوتوه، أي ليزدادوا يقينا بأن الوحي الذي أوتوه هو الحق لا غيره مما ألقاه الشيطان لهم من التشكيك والشبه والتضليل، فالقصر المستفاد من تعريف الجزأين قصر إضافي. ويجوز أن يكون ضمير أنه عائدا إلى ما

تقدم من قوله فينسخ الله إلى قوله ثم يحكم الله آياته، أي أن المذكور هو الحق، كقول رؤبة:

فيها خطوط من سواد وبلق ... كأنه في الجلد توليع البهق

أي كان كالمذكور.

وقوله فيؤمنوا به معناه: فيزدادوا إيمانا أو فيؤمنوا بالناسخ والمحكم كما آمنوا بالأصل.

والإخبات: الاطمئنان والخشوع. وتقدم آنفا عند قوله تعالى: وبشر المخبتين [الحج: ٣٤] ، أي فيستقر ذلك في قلوبهم كقوله تعالى: قال بلى ولكن ليطمئن قلبي [البقرة:
٢٦٠] .

وبما تلقيت في تفسير هذه الآية من الانتظام البين الواضح المستقل بدلالته والمستغنى بنهله عن علالته، والسالم من التكلفات والاحتياج إلى ضميمة القصص ترى أن الآية بمعزل عما ألصقه بها الملصقون والضعفاء في علوم السنة، وتلقاه منهم فريق من المفسرين حبا في غرائب النوادر دون تأمل ولا تمحيص، من أن الآية نزلت في قصة تتعلق بسورة النجم فلم يكتفوا بما أفسدوا من معنى الآية حتى تجاوزوا بهذا الإلصاق إلى إفساد معاني سورة النجم، فذكروا في ذلك روايات

عن سعيد بن جبير، وابن شهاب، ومحمد بن كعب القرظي، وأبي العالية، والضحاك وأقربها رواية عن ابن شهاب وابن جبير والضحاك قالوا: إن النبيء صلى الله عليه وسلم جلس في ناد من أندية قريش كثير أهله من مسلمين وكافرين، فقرأ عليهم سورة." (٢)

"أفراد هذا العموم، داخل فيه قطعا وذلك في قوله: والبدن جعلناها لكم من شعائر الله [٢٢ \ ٣٦] فيدخل في الآية تعظيم البدن واستسمانها واستحسانها كما قدمنا عن البخاري: أنهم كانوا يسمنون الأضاحي، وكانوا يرون أن ذلك من تعظيم شعائر الله، وقد قدمنا أن الله صرح بأن الصفا والمروة داخلان في هذا العموم بقوله: إن الصفا والمروة من شعائر الله الآية [٢ \ ١٥٨] وأن تعظيمها المنصوص في هذه الآية: يدل على عدم التهاون بالسعي بين الصفا والمروة كما تقدم إيضاحه في مبحث السعي، وقوله في هذه الآية ذلك فيه ثلاثة أوجه من الإعراب.

الأول: أن يكون في محل رفع بالابتداء والخبر محذوف: أي ذلك حكم الله وأمره.

الثاني: أن يكون خبر مبتدأ محذوف: أي اللازم ذلك أو الواجب ذلك.

---

(١) التحرير والتنوير ابن عاشور ٢٦٠/١٧

(٢) التحرير والتنوير ابن عاشور ٣٠٣/١٧

الثالث: أن يكون في محل نصب بفعل محذوف، أي اتبعوا ذلك أو امتثلوا ذلك، ومما يشبه هذه الإشارة في كلام العرب قال زهير:

هذا وليس كمن يعي بخطته ... وسط الندى إذا ما قائل نطقا

قاله القرطبي وأبو حيان والضمير المؤنث في قوله: فإنها من تقوى القلوب قال القرطبي: هو عائد إلى الفعلة التي يتضمنها الكلام، ثم قال: وقيل إنه راجع إلى الشعائر بحذف مضاف أي: فإن تعظيمها أي الشعائر فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه فرجع الضمير إلى الشعائر، اهـ، وقال الزمخشري في الكشاف: فإنها من تقوى القلوب أي: فإن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب، فحذفت هذه المضافات ولا يستقيم المعنى إلا بتقديرها، لأنه لا بد من راجع من الجزاء إلى " من ليرتبط به، اهـ منه.

قوله تعالى: وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم، أمر الله – جل وعلا – نبيه – صلى الله عليه وسلم – أن يبشر المخبتين: أي المتواضعين لله المطمئنين الذين من صفتهم: أنهم إذا سمعوا ذكر الله، وجلت قلوبهم أي: خافت من الله – جل وعلا – وأن يبشر الصابرين على ما أصابهم من الأذى، ومتعلق التبشير محذوف لدلالة المقام عليه أي بشرهم بثواب الله وجنته، وقد بين في موضع آخر: أن الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم: هم المؤمنون حقا وكونهم هم المؤمنين حقا، يجعلهم جديرين بالبشارة." (١)

"سؤال مهم وهو لماذا أنث الضمير؟ وعلى أي شيء يعود؟ والجواب لا يستقيم إلا بتقدير مضافات محذوفة ولا يستقيم المعنى إلا بتقديرها لأن الضمير يعود على الشعائر أي فإن تعظيمها من أفعال تقوى القلوب والعائد على من محذوف أي منه ويجوز أن الضمير ضمير مصدر مؤنث تقديره فإن العظمة أو الحرمة أو الخصلة.

[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٤ الى ٣٨]

ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧) إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور (٣٨)." (٢)

"وفي القاموس «والمعتر الفقير والمعترض للمعروف من غير أن يسأل عره، عرا واعتره وبه» وفي الأساس واللسان: «وعن عائشة رضي الله عنها: مال اليتيم عرة لا أدخله في مالي ولا أخلطه به» . ولا تفعل هذا لا تصبك منه معرة وفي

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٢٥٨/٥

(٢) إعراب القرآن وبيانه محيي الدين درويش ٤٣١/٦

الحديث «كلما تعاررت ذكرت الله» وكان سلمان رضي الله عنه إذا تعار في الليل قال: سبحان رب النبيين وإله المرسلين، وهو أن يهب من النوم مع كلام من عرار الظليم وهو صياحه و «أطعموا القانع والمعتر» أي المعترض بسؤاله» .

الإعراب:

(ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير التشريع الخاص بكل أمة ونوع التعبد الذي يتقربون به الى الله ولكل أمة متعلقان بمحذوف مفعول جعلنا الثاني المقدم وجعلنا فعل وفاعل ومنسكا مفعول جعلنا الأول وليذكروا اللام للتعليل ويذكروا مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والجار والمجرور متعلقان بجعلنا واسم الله مفعول به وعلى ما رزقهم متعلقان بيذكروا وجملة رزقهم صلة ومن بهيمة الأنعام متعلقان برزقهم. (فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين) الفاء الفصيحة وإلهكم مبتدأ وإله خبره وواحد صفة فله الفاء عاطفة وله متعلقان بأسلموا وأسلموا فعل أمر وفاعل وبشر الواو عاطفة وبشر فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت والمخبتين مفعول به.

(الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) الذين نعت للمخبتين أو بدل منه وإذا." (١)

"حرمات الله: التكاليف الدينية وكل ما نهى الله عنه. فاجتنبوا الرجس من الأوثان: ابتعدوا عن عبادتها. الزور: الكذب. حنفاء: واحدهم حنيف، وهو من استقام على دين الحق، ومال عن كل زيغ وضلال. كأنما خر من السماء: كأنما سقط من السماء. فتخطفه الطير: يعني بعد ان يسقط ويموت تأكله الطير. مكان سحيق: مكان بعيد. شعائر الله: جمع شعيرة وهي كل اعمال الحج والهدايا التي يسوقها الحاج. منسكا: مكانا للعبادة. مخبتين: خاشعين. وجلت قلوبهم: خافت.

﴿ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور﴾ .

ذلك الذي أمرءنا به من قضاء المناسك هو الواجب عليكم في حجكم، ومن يلتزم أوامر الله ونواهيه في حجه تعظيما لحدود الله يكن ذلك خيرا له عند ربه في دنياه وآخرته. لقد أحل الله لكم لحوم الإبل والبقرة والغنم، إلا في حالات مما بينه القرآن، كالميتة وغيرها، فاجتنبواعبادة الأوثان وطاعة الشيطان. . إن ذلك رجس. ابتعدوا عن قول الزور على الله وعلى الناس.

﴿حنفآء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السمآء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾ .

تمسكوا بهذه الأمور مخلصين العبادة لله وحده، دون إشراك أحد به. . . . إن من يشرك بالله يعرض نفسه للهلاك المريع، وكأنه سقط من السماء فتمزق قطعا تتخطفه الطور فلا تبقي له أثرا، أو كأن الريح العاتية عصفت به فشتتت أجزاءه، وهوت بكل جزء منها في مكان بعيد.

---

(١) إعراب القرآن وبيانه محيي الدين درويش ٤٣٤/٦

﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾ .

امتثلوا ذلك واحفظوه، لأن من يعظم دين الله وفرائض الحج وأعماله، ويسوق البدن والهدايا الى الحرم ويختارها عظيمة الأجسام صحيحة سمينة – فقد اتقى الله، لأن تعظيمها أثر من آثار تقوى القلوب.

﴿لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق﴾

لكم في هذه الهدايا منافع دنيوية، فتركبونها حين الحاجة وتحمل أثقالكم، وتشربون من ألبانها، ثم لكم منافعها الدينية كذلك حين تذبحونها عند البيت الحرام تقربا الى الله.

﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين﴾ .

ليست هذه المناسك خاصة بكم، فقد جعلنا لأهل كل دين من الأديان من قبلكم قرابين يتقربون بها الى الله، يوذكرون اسم الله عليها ويعظمونه عند ذبحها شكرا له على ما أنعم عليهم، ويسره لهم منها. إن عبودكم إله واحد فاسلموا له وحده، ولا تشركوا معه أحدا. ويا أيها الرسول بشر بالجنة والثواب الجزيل المخلصين، الخاضعين لله من عباده. وقد بين الله علامات أولئك المختبين فقال:

﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على مآ أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾ .

وهؤلاء المختبين لهم صفات:

أولاها: أنهم إذا ذكر الله عرتهم رهبة من خشيته، وخوف من عقابه.

ثانيتها: الذين يصبرون عند الشدائد على ما يصيبهم من المكاره والمتاعب.

ثالثتها: ويقيمون الصلاة على أحسن وجه في أوقاتها بخضوع ونشاط.

رابعتها: وينفقون بعض ما آتاهم الله من طيب الرزق في وجوه البر وفي سبيل الله.." (١)

"والآيتان متصلتان بالسياق والموضوع كما هو واضح. واحتمال مكيتهما ومدنيتهما واردان تبعا لورودهما في سياق واحد مع الآيات السابقة التي تحتمل ذلك كما هو المتبادر.

[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٤ الى ٣٥]

ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)

. (١) منسك: على وزن مفعل بمعنى محل نسك أو واجب نسك. ومن معاني النسك في اللغة القربان. وقد ورد بهذا المعنى في آية سورة البقرة هذه: فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك [١٩٦] .

(٢) المخبتين: المتواضعين أو الخاشعين أو الخاضعين. وقيل إنها بمعنى المطمئن أيضا والمعاني الأولى أوجه ويؤيدها آية سورة هود هذه: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون (٢٣) .

---

(١) تيسير التفسير للقطان إبراهيم القطان ٢/٤٥٨

وفي هاتين الآيتين:

١- تنبيه على أن الله تعالى قد أوجب على كل أمة واجبات في صدد ذبح القرابين أمكنة وأشكالا، ليذكروا اسمه عند ذبح الأنعام شكرا له على تسخيرها لهم.

٢- وتعقيب على هذا التنبيه: فإن إله الناس جميعا هو واحد لا يصح عليه التعدد، وإن من واجبهم الإسلام والإخلاص والخضوع له.

٣- وأمر للنبي صلى الله عليه وسلم بتبشير المخلصين الخاضعين الذين إذا ذكروا الله استشعرت قلوبهم هيبته، وإذا ما أصابتهم مصيبة صبروا وتحملوا والذين يواظبون على إقامة الصلاة له والإنفاق مما رزقهم.

الجزء السادس من التفسير الحديث ٤." (١)

"إليك أواها منيبا، رب تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبت حجتي، وسدد لساني، واهد قلبي، واسلل سخيمة صدري. رواه الترمذي، وأبو داود، وابن ماجة.

المتواضع الذي اطمأن قلبه إلى ذكر ربه وأقيم اللام مقام ((إلى)) لتفيد الاختصاص قال تعالى: ﴿وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ الآية (٢٢: ٣٥) وفي رواية البغوي: ((إليك مخبتا)) (إليك) وللبغوي: ((لك)) مكان ((إليك)) (أواها) بتشديد الواو أي أكثر التأوه من الذنوب وهو التضرع ، وقيل: كثير الدعاء، وقيل: كثير البكاء. وقال القاري: أي متضرعا فعال للمبالغة من أوه تأويها وتأوه تأوها إذا قال: أوه أي قائلا لفظ أوه وهو صوت الحزين أي: اجعلني حزنيا ومتفجعا على التفريط أو هو قول النادم من معصيته المقصر في طاعته، وقيل: الأواه البكاء (منيبا) من الإنابة، أي راجعا إليك في أموري كلها، وقيل التوبة رجوع من المعصية إلى الطاعة والإنابة من الغفلة إلى الذكر والفكرة والأوبة من الغيبة إلى الحضور والمشاهدة. قال الطيبي: وإنما اكتفى في قوله: ((أواها منيبا)) بصلة واحدة لكون الإنابة لازمة للتأوه ورديفا له فكأنه شيء واحد ومنه قوله تعالى: ﴿إن إبراهيم لحليم أواه منيب﴾ (١١: ٧٥) (رب تقبل توبتي) بجعلها صحيحة بشرائطها واستجماع آدابها فإنها لا تتخلف عن حيز القبول قال تعالى: ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده﴾ (٤٢: ٢٥) (واغسل حوبتي) بفتح الحاء وتضم، أي امح ذنبي وأزل خطيئتي وإثمي. قيل: هي مصدر حبت بكذا، أي أثمت، تحوب حوبة وحوبا وحبابة والجواب بالضم، والحاب الإثم سمي بذلك لكونه مزجورا عنه إذ الحوب في الأصل لزجر الإبل وذكر المصدر دون الإثم وهو الحوب لأن الاستبراء من فعل الذنب أبلغ منه من نفس الذنب كذا قيل، ويمكن أن يكون مراعاة للسجع، ثم ذكر الغسل ليفيد إزالته بالكلية بحيث لا يبقى منه أثر، والتنزة والتفصي عنه عن القذر الذي يستنكف عن مجاورته (وأجب دعوتي) ، أي دعائي (وثبت حجتي) ، أي على أعدائك في الدنيا والعقبى أو ثبت قولي وتصديق في الدنيا وعن جواب الملكين في القبر وقيل: أي قو إيماني بك وثبتني على الصواب عند السؤال (وسدد لساني) ، أي صوبه وقومه حتى لا ينطق إلا بالصدق ولا يتكلم إلا بالحق (واهد قلبي) ، أي إلى الصراط المستقيم وقيل: أي إلى معرفة ربي، وقيل: أي إلى درك

---

(١) التفسير الحديث محمد عزة دروزة ٤٩/٦

الحقائق الشرعية (واسلل) بضم اللام الأولى، أي أخرج وأنزع من سل السيف إذا أخرجه من الغمد (سخيمة صدري) ، بضم المهملة وكسر المعجمة، أي غشه وغله وحقده. قيل: السخيمة الضغينة من السخمة وهو السواد ومنه سخام القدر وإنما أضاف السخيمة إلى المصدر إضافة الشيء إلى محله والمعنى أخرج من صدري وانزع عنه ما ينشأ منه ويسكن فيه ويستولى عليه من مساوي الأخلاق وفي رواية ابن حبان، والبغوي ((قلبي)) بدل ((صدري)) . (رواه الترمذي) في الدعوات، (وأبو داود) في أواخر الصلاة، (وابن ماجة) في الدعاء، وأخرجه أيضا أحمد (ج١: ص٢٢٧) ، والبخاري في الأدب المفرد (ج٢: ص١١٨، ١١٩) ، والنسائي في اليوم والليلة، وابن حبان في صحيحه، والحاكم (ج١: ص٥٢٠) ، وابن أبي شيبة، والبغوي (ج٥: ص١٧٥، ١٧٦) وقال." (١)

"في مكان سحيق بعيد الغور، فلا أثر له.

جعل حال المشرك يوم القيامة بمنزلة من لا يملك لنفسه نفعا، ولا يدفع عن نفسه ضرا، فهو بمنزلة من خر من السماء، أو هوى فى غور.

[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٢ الى ٣٤]

ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤)

٣٢- ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب:

ذلك خبر لمبتدأ محذوف، أي الأمر والشأن ذلك.

ومن يعظم يجل ويؤدها على وجهها الأتم.

شعائر الله مناسك الحج وفرائضه.

فإنها أي فإن تعظيمها.

من تقوى القلوب من آثار تقوى القلوب.

٣٣- لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق:

لكم فيها أي هذه الهدايا التي تهدونها، يعنى النعم.

منافع تركبونها وتشربون لبنها.

إلى أجل مسمى الى أن يحين وقت ذبحها.

ثم محلها إلى ثم مكانها الذي تنتهى اليه.

البيت العتيق المسجد الحرام وهو أقدم بيت لله على الأرض، حيث تذبح تقربا الى الله تعالى.

٣٤- ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين:

---

(١) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح عبيد الله الرحماني المباركفوري ٢٥٣/٨

ولكل أمة جعلنا منسكا قرابين يتقربون بها الى الله.

ليذكروا اسم الله عند ذبحها.." (١)

"على ما رزقهم على ما أنعم عليهم.

من بهيمة الأنعام من بهائم الإبل والبقر والغنم.

فإلهكم إله واحد والذي شرع لكم ولهم إله واحد.

فله أسلموا فأسلموا له وحده أمركم.

وبشر المخبتين الخاضعين لله من عباده بأن لهم الجنة.

[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٥ الى ٣٦]

الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦)

٣٥- الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون:

وجلت قلوبهم خشعت لذكره.

والصابرين على ما أصابهم من المكاره.

والمقيمي الصلاة على أكمل وجوهها.

ومما رزقناهم ينفقون والذين ينفقون فى وجوه الخير بعضا مما رزقناهم.

٣٦- والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون:

والبدن الإبل والبقر.

من شعائر الله من أعلام الدين ومظاهره.

لكم فيها خير بركوبها وشرب ألبانها فى الدنيا وفى الآخرة بالأجر والثواب.

فاذكروا اسم الله عليها حين ذبحها.

صواف مصطفة معدة للذبح ليس فيها ما يعيبها.

فإذا وجبت جنوبها أي سقطت على جنوبها مذبوحة.." (٢)

---

(١) الموسوعة القرآنية إبراهيم الإبياري ٣٥٢/١٠

(٢) الموسوعة القرآنية إبراهيم الإبياري ٣٥٣/١٠

"٣١- حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق فتخطفه:

وقرئ:

١- بفتح الخاء والطاء مشددة، وهى قراءة نافع.

٢- بسكون الخاء وتخفيف الطاء، وهى قراءة باقى السبعة.

٣- بكسر الخاء والطاء مشددة، وهى قراءة الحسن، وأبى رجاء، والأعمش.

٤- بكسر الخاء وفتح الطاء مشددة، وهى قراءة الحسن.

٥- بغير فاء، وإسكان الخاء وفتح الطاء مخففة، وهى قراءة الأعمش أيضا.

الريح:

وقرئ:

الرياح، وهى قراءة أبى جعفر، والحسن.

٣٤- ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين منسكا:

١- بفتح الميم، وهى قراءة الجمهور.

وقرئ:

٢- بكسرها، وهى قراءة الأخوين، وابن سعدان، وأبى حاتم، عن أبى عمرو، ويونس، ومحبوب، وعبد الوارث.

٣٥- الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والمقيمي الصلاة:

١- بالخفض، على الإضافة، وحذف النون لأجلها، وهى قراءة الجمهور.

وقرئ:

٢- والمقيمين الصلاة، بالنون ونصب «الصلاة» ، وهى قراءة ابن مسعود، والأعمش.

٣- والمقيم الصلاة، وهى قراءة الضحاك.." (١)

"بسم تبسم نم ١٩ فتبسم ضاحكا بشر بشروه. بشرتمونى. بشرناك يا ٢٨ وبشروه بغلام عليم جر ٥٤ أبشرتمونى على أن مسنى- ٥٥ قالوا بشرناك بالحق بشرناه بشرناهم ببشر لبشر صا ١٠١ فبشرناه بغلام- ١١٢ وبشرناه باسحق هد ٧١ فبشرناها باسحق شو ٢٣ الذى يبشر الله عباده سر ٩ ويبشر المؤمنين كه ٢ ويبشر المؤمنين مر ٩٧ لتبشر به المتقين يبشرك يبشرهم تبشرون نبشرك عمر ٣٩ أن الله يبشرك بيحيي بة ٢١ يبشرهم ربهم جر ٥٤ فبم تبشرون- ٥٣ انا نبشرك بغلام (مر ٦) بشر بشره نسا ١٣٨ بشر المنافقين زم ١٧ فبشر عباد بق ٢٥ وبشر الذين آمنوا (يو ٢) بق ١٥٥ وبشر الصابرين- ٢٢٣ وبشر المؤمنين (بة ١١٢ يو ٨٧ حب ٤٧ صف ١٣) بة ٣ وبشر الذين كفروا حج ٣٤ وبشر المخبتين-

(١) الموسوعة القرآنية إبراهيم الإبياري ٦/٥٤

٣٧ وبشر المحسنين لق ٧ فبشره بعذاب أليم (جا ٨) يس ١١ فبشره بمغفرة بشرهم بشر عمر ٢١ فبشرهم بعذاب أليم (بة ٣٤ نشق ٢٤) نح ٥٨ وإذا بشر أحدهم بالانثى- ٥٩ من سوء ما بشر به باشروهن تباشروهن أبشروا بق ١٨٧ فالآن باشروهن- ولا تباشروهن وأنتم حس ٣٠ وأبشروا بالجنة يستبشرون استبشروا عمر ١٧٠ ويستبشرون بالذين لم بة ١٢٤ وهم يستبشرون جر ٦٧ أهل المدينة يستبشرون روم ٤٨ إذا هم يستبشرون (زم ٤٥) بة ١١١ فاستبشروا ببيعكم بشر بشرا عمر ٤٧ ولم يمسسنى بشر (مر ٢٠) ما ١٨ بل أنتم بشر ممن خلق ابر ١٠ إن أنتم إلا بشر مثلنا- ١١ إن نحن إلا بشر مثلكم نح ١٠٣ إنما يعلمه بشر كه ١١٠ قل إنما أنا بشر مثلكم (حس ٦) أن ٣ هل هذا إلا بشر مثلكم مو ٢٤ و ٣٣ ما هذا إلا بشر شع ١٥٤ و ١٨٦ ما أنت إلا بشر روم ٢٠ ثم إذا أنتم بشر يس ١٥ ما أنتم إلا بشر مثلنا تغ ٦ فقالوا أبشر يهدوننا نعم ٩١ ما أنزل الله على بشر عمر ٧٩ ما كان لبشر أن يؤتيه جر ٣٣ لم أكن لأسجد لبشر أن ٣٤ وما جعلنا لبشر من قبلك شو ٥١ وما كان لبشر أن هد ٢٧ وما نراك إلا بشرا مثلنا سف ٣١ ما هذا بشرا جر ٢٨ إنى خالق بشرا (ص ٧١) سر ٩٣ هل كنت إلا بشرا- ٩٤ أبعث الله بشرا مر ١٧ فتمثل لها بشرا سويا مو ٣٤ ولئن أطعتم بشرا مثلكم فر ٥٤ خلق من الماء بشرا قمر ٢٤ أبشرا منا واحدا نتبعه البشر بشرين مر ٢٦ فإما ترين من البشر أحدا مد ٢٥ إن هذا إلا قول البشر- ٢٩ لواحة للبشر- ٣١ وما هى إلا ذكرى للبشر- ٣٦ نذيرا للبشر مو ٤٧ أنؤمن لبشرين مثلنا." (١)

"باب الخاء

خبأ الخبء ٢٥ الذى يخرج الخبء خبت اخبتوا تخبت المخبتين هد ٢٣ واخبتوا إلى ربهم حج ٥٣ فتخبت له قلوبهم- ٣٤ وبشر المخبتين خبث خبث الخبيث عف ٥٧ والذى خبث لا يخرج ما ١٠٣ قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث بق ٢٦٧ ولا تيمموا الخبيث عمر ١٧٩ حتى يميز الخبيث نسا ٢ ولا تتبدلوا الخبيث نف ٣٨ ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض الخبيثون الخبيثين الخبيثات ور ٢٦ الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات خبيثة الخبائث ابر ٢٦ ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة عف ١٥٦ ويحرم عليهم الخبائث خبر خبر خبرا نم ٧ سآتيكم منها بخبر قص ٢٩ لعلى آتيكم منها بخبر كه ٦٩ على ما لم تحط به خبرا- ٩٢ وقد أحطنا بما لديه خبرا اخبارها اخباركم لز ٤ يومئذ تحدث أخبارها بة ٩٥ قد نبأنا الله من إخباركم محمد ٣١ ونبلو اخباركم خبير بق ٢٣٤ و ٢٧١ والله بما تعملون خبير (عمر ١٨٠ حد ١٠ مجا ٣ و ١١ تغ ٨) عمر ١٥٣ والله خبير بما تعملون (بة ١٧ مجا ١٣ منا ١١) ما ٩ إن الله خبير بما تعملون (ور ٥٣ حشر ١٨) هد ١١٢ إنه بما يعملون خبير حج ٦٣ إن الله لطيف خبير (لق ١٦) ور ٣٠ إن الله خبير بما يصنعون نم ٨٨ إنه خبير بما تفعلون لق ٢٩ وإن الله بما تعملون خبير- ٣٤ إن الله عليم خبير (رات ١٣) فط ٣١ إن الله بعباده لخبير شو ٢٧ إنه بعباده خبير بصير عا ١١ إن ربهم بهم يومئذ لخبير هد ١ من لدن حكيم خبير فط ١٤ ولا

---

(١) الموسوعة القرآنية إبراهيم الإبياري ٦٢/٧

ينبئك مثل خبير خبيرا الخبير نسا ٣٤ إن الله كان عليما خبيرا– ٩٣ و ١٢٧ و ١٣٤ إن الله كان بما تعملون خبيرا (حب ٢) سر ١٧ بذنوب عباده خبيرا (فر ٥٨) – ٣٠ و ٩٦ إنه كان بعباده خبيرا." (١)

"الخاء

(خبت) : الخبت المطمئن من الأرض وأخبت الرجل قصد الخبت أو نزله نحو أسهل وأنجد، ثم استعمل الإخبات استعمال اللين والتواضع، قال الله تعالى: وأخبتوا إلى ربهم وقال تعالى: وبشر المخبتين أي المتواضعين، نحو: لا يستكبرون عن عبادته وقوله تعالى: فتخبت له قلوبهم أي تلين وتخشع والإخبات هاهنا قريب من الهبوط فى قوله تعالى: وإن منها لما يهبط من خشية الله.

(خبث) : المخبث والخبيث ما يكره رداءة وخساسة محسوسا كان أو معقولا، وأصله الرديء الدخلة الجاري مجرى خبث الحديد كما قال الشاعر:

سبكناه ونحسبه لجينا فأبدى الكير عن خبث الحديد وذلك يتناول الباطل فى الاعتقاد والكذب فى المقال والقبيح فى الفعال، قال عز وجل: ويحرم عليهم الخبائث أي ما لا يوافق النفس من المحظورات وقوله تعالى: ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث فكناية عن إتيان الرجال. وقال تعالى: ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب أي الأعمال الخبيثة من الأعمال الصالحة، والنفوس الخبيثة من النفوس الزكية. وقال تعالى: ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب أي الحرام بالحلال، وقال تعالى: الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات أي الأفعال الردية والاختيارات المبهرجة لأمثالها وكذا: الخبيثون للخبيثات وقال تعالى: قل لا يستوي الخبيث والطيب أي الكافر والمؤمن والأعمال الفاسدة والأعمال الصالحة، وقوله تعالى: ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة فإشارة إلى كل كلمة قبيحة من كفر وكذب ونميمة وغير ذلك،

وقال صلى الله عليه وسلم: «المؤمن أطيب من عمله، والكافر أخبث من عمله»

ويقال خبيث مخبث أي فاعل الخبث.

(خبر) : الخبر العلم بالأشياء المعلومة من جهة الخبر وخبرته خبرا وخبرة وأخبرت أعلمت بما حصل لى من الخبر، وقيل الخبرة المعرفة ببواطن الأمر والخبار والخبراء الأرض اللينة، وقد يقال ذلك لما فيها من الشجر، والمخابرة مزارعة." (٢)

"ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم

---

(١) الموسوعة القرآنية إبراهيم الإبياري ١٣٣/٧

(٢) الموسوعة القرآنية إبراهيم الإبياري ١٥٩/٨

لعلكم تشكرون (٣٦) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧)." (١)

"ذبحها أو وقت تعيينها وتسميتها هديا، أما بعد ذلك فاتركوا الانتفاع بها للفقراء والمحتاجين، فهذا أكثر ثوابا لكم عند الله- تعالى-.

وقوله- سبحانه- ثم محلها إلى البيت العتيق بيان لمكان ذبحها.

والمحل مأخوذ من حل الشيء يحل- بالكسر- حلولا إذا وجب أو انتهى أجله. والمراد به في الآية مكان الحلول، أى: المكان الذي ينتهى فيه أجل تلك الأنعام، أو المكان الذي يجب ذبحها فيه.

والمعنى: لكم في تلك الانعام منافع إلى أجل مسمى ثم المكان الذي تذبح فيه منته إلى البيت العتيق. ومتصل به.

والمقصود بهذا المحل الحرم كله، لأن البيت ليس مكانا للذبح.

وبعضهم يرى أن المراد بالمحل في قوله: ثم محلها إلى البيت العتيق: تحلل الحجاج من إحرامهم بعد أداء شعائر الحج المعبر عنها بقوله- تعالى-: ذلك ومن يعظم شعائر الله....

قال القرطبي: قوله- تعالى-: ثم محلها إلى البيت العتيق يريد أنها تنتهي إلى البيت، وهو الطواف فقوله: محلها مأخوذ من إحلال المحرم.

والمعنى: أن شعائر الحج كلها من الوقوف بعرفة ورمى الجمار والسعى ينتهى إلى طواف الإفاضة بالبيت العتيق. فالبيت على هذا التأويل مراد بنفسه.. «١» .

ثم بين- سبحانه- أنه قد شرع لكل أمة الذبائح التي ينتفعون بها، لكي يذكروه- سبحانه- ويشكروه ويخلصوا له العبادة، ولكي يطعموا منها السائل والمحتاج، فقال- تعالى-:

[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٤ الى ٣٧]

ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧)

---

(١) تفسير القرطبي ج ١٢ ص ٥٦.." (٢)

---

(١) التيسير في أحاديث التفسير محمد المكي الناصري ١٦٤/٤

(٢) التفسير الوسيط لطنطاوي محمد سيد طنطاوي ٣٠٩/٩

"وقوله- تعالى-: ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام بيان للعلة التي من أجلها شرعت تلك الذبائح.

أى: شرعناها لكم وللأمم السابقة عليكم للإكثار من ذكر الله عند ذبحها فهو- سبحانه- الذي رزقكم إياها بفضله وإحسانه، فعليكم أن تكثروا من ذكره وشكره، ليزيدكم من خيره ورزقه.

وفي هذه الجملة الكريمة تقريع وتوبيخ لمن يذكرون غير اسم الله- تعالى- عند الذبح، وتأكيد لوجوب ذكر اسمه- تعالى-، حتى لكأن المقصود الأعظم من وراء ذبح هذه الأنعام، هو المداومة على ذكر اسم الله- عز وجل- وعلى شكره- سبحانه- على نعمه، أما ما سوى ذلك كالأكل منها، والانتفاع بها.. فهي مقاصد فرعية.

ثم عقب- سبحانه- على ذلك بتقرير وحدانيته، وبوجوب إسلام الوجه إليه، فقال:

فإلهكم إله واحد فله أسلموا.

أى: شرعنا لكم ذلك لأن إلهكم إله واحد لا شريك له لا في ذاته ولا في صفاته، فله وحده أسلموا وجوهكم، وأخلصوها لعبادته وطاعته.

فجملة فإلهكم إله واحد بمثابة العلة لما قبلها من تخصيص اسمه الكريم بالذكر عند الذبح، لأن تفرده- سبحانه- بالألوهية يستلزم هذا التخصيص.

وقوله- تعالى-: فله أسلموا مرتب على ما قبله، لأنه متى ثبت أن المستحق للعبادة والطاعة هو الله الواحد الأحد، فعليهم أن يسلموا وجوههم إليه.

ثم أمر الله- تعالى- نبيه صلى الله عليه وسلم أن يبشر المخبتين برضاه- سبحانه- وبمثوبته فقال: وبشر المخبتين أى: المتواضعين لله- تعالى- المطمئنين إلى عدالة قضائه فيهم، ولفظ المخبتين من الإخبات. وهو في الأصل نزول الخبت- بفتح الخاء وسكون الباء.

أى: المكان المنخفض، ثم استعمل في اللين والتواضع. يقال: فلان مخبت، أى: متواضع خاشع لله رب العالمين.

وحذف- سبحانه- المبشر به لتهويله وتعظيمه، أى: وبشر- أيها الرسول الكريم- هؤلاء المتواضعين لله- تعالى- بالثواب العظيم، والأجر الكبير الذي لا تحيط بوصفه عبارة.

ثم مدحهم- سبحانه- بأربع صفات فقال: الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ...

أى: بشر هؤلاء المخبتين الذين من صفاتهم أنهم إذا سمعوا ذكر الله- تعالى- وصفاته،." (١)

"أما القول بأنه طواف الوداع (الصدر) فهو بعيد لأن الطواف الذي يلي قضاء التفث إنما هو طواف الإفاضة، فلا مناسبة هنا لطواف الوداع.

وللحج ثلاثة أطواف: طواف القدوم، وطواف الإفاضة، وطواف الوداع.

أما طواف القدوم فهو سنة عند الجمهور، واجب على الأصح عند المالكية، وعكسه طواف الوداع: مستحب عند المالكية،

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي محمد سيد طنطاوي ٩/٣١١

واجب عند الجمهور، وأما طواف الإفاضة فهو فرض وركن لا يتم الحج إلا به بالاتفاق، لقوله تعالى: وليطوفوا بالبيت العتيق.

تعظيم حرمات الله وشعائره

[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٠ الى ٣٥]
ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور (٣٠) حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق (٣١) ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤)

الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)." (١)

"يذبحونه تقربا إلى الله تعالى، وذلك ليس خاصا بأمة محمد صلى الله عليه وسلم وإنما هو في كل الملل. والصحيح كما قال ابن العربي أن المنسك: هو ما يرجع إلى العبادة والتقرب.

ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام أي شرعنا لهم سنة ذبح الأنعام، لكي يذكروا اسم الله حين ذبحها، أي عند الشروع فيه، ويشكروه على نعمه التي أنعم بها عليهم.

ويؤيده ما ثبت في الصحيحين عن أنس قال: أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين أقرنين، فسمى وكبر، ووضع رجله على صفاحهما.

وروى الإمام أحمد وابن ماجه عن زيد بن أرقم قال: قلت يا رسول الله، ما هذه الأضاحي؟ قال:
«سنة أبيكم إبراهيم» قالوا: ما لنا منها؟ قال: «بكل شعرة حسنة» قال:
فالصوف؟ قال: «بكل شعرة من الصوف حسنة» .

فإلهكم إله واحد، فله أسلموا، وبشر المخبتين أي فإن معبودكم واحد، وإن تنوعت شرائع الأنبياء، ونسخ بعضها بعضا، فالجميع يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له، كما قال سبحانه: وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون [الأنبياء ٢١/ ٢٥] . وقوله: فإلهكم..

بمثابة العلة لما قبله من تخصيص اسمه الكريم بالذكر لأن تفرده تعالى بالألوهية يقتضي ألا يذكر على الذبائح غير اسمه. وإنما قال: إله واحد ولم يقل:
«فإلهكم واحد» لإفادة أنه تعالى واحد في ذاته وفي ألوهيته.

---

(١) التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ٢٠٣/١٧

ومتى كان الإله واحدا فله أسلموا أي فيجب تخصيصه بالعبادة، والاستسلام له والانقياد له في جميع الأحكام. وقوله فله أسلموا مرتب بالفاء على الحكم بوحدانية الإله.

وبشر أيها النبي بالثواب الجزيل المخبتين، أي المتواضعين الخاشعين لله، من." (١)

"للمؤمنين تدفعهم إلى تحقيق الخصال الثلاثة المتقدمة، فقال تعالى: إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ...

وهذه الصفات هي ما يأتي:

١- الخوف التام من الله: الذين إذا ذكروا الله بقلوبهم، وأحسوا بعظمته وجلاله، وتذكروا وعده ووعيده، خافوا منه أتم الخوف. كما قال تعالى في آية أخرى: وبشر المخبتين، الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ...

[الحج ٢٢/ ٣٤- ٣٥] .

٢- زيادة الإيمان بتلاوة القرآن: الذين إذا تليت عليهم آياته القرآنية، زادتهم إيمانا ويقينا وتصديقا، وإقبالا على العمل الصالح لأن كثرة الأدلة والتذكير بها، يوجب زيادة اليقين، وقوة الاعتقاد، فالرؤية البصرية أو الحسية مثلا تقوي القناعة الذاتية، كما حدث لإبراهيم عليه السلام الذي كان مؤمنا، وطلب من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى: قال: أولم تؤمن؟ قال: بلى، ولكن ليطمئن قلبي [البقرة ٢/ ٢٦٠] وهذا يدل على أن منزلة الطمأنينة في الإيمان أقوى وأعلى من مجرد الإيمان.

ونظير الآية قوله تعالى: هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم [الفتح ٤٨/ ٤] وقوله:

وإذا ما أنزلت سورة، فمنهم من يقول: أيكم زادته هذه إيمانا؟ فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون [التوبة ٩/ ١٢٤] .

٣- التوكل على الله أي الاعتماد عليه والثقة به والتفويض إليه: الذين يتوكلون على ربهم وحده، وإليه يلجأون، ولا يرجون غيره، ولا يقصدون إلا إياه، ولا يطلبون الحوائج إلا منه، وذلك بعد اتخاذ الأسباب، فمن تعاطى الأسباب المطلوبة منه عقلا وعادة، ثم فوض الأمر لله، وأيقن أن الأمر كله بيد الله، فهو من أهل الإيمان. أما ترك الأسباب فهو جهل بمفهوم التوكل.

٤- إقامة الصلاة: الذين يقيمون الصلاة، أي يؤدونها كاملة الأركان." (٢)

"والدوافع الدينية، وهذه ميزة الإسلام يحمل المسلمين على العمل بكل الأساليب المرغبة ليقبلوا على العمل بعقيدة ثابتة ونفس راضية.

والأيام المعلومات هي أيام التشريق الثلاث ويوم العيد فتكون أربعة وقيل: هي العشر الأوائل من ذي الحجة ووقت الذبح يوم النحر، وقيل: يوم العيد وأيام التشريق.

فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير: أما الأكل منها فالأمر فيه للإباحة جبرا لخاطر الفقير وإشعارا له بالمساواة في المأكل والمشرب ومخالفة لما كان في الجاهلية، والأمر في قوله وأطعموا للوجوب، ومذهب الشافعى رحمه الله أن الأكل مستحب

---

(١) التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ١٧/٢١٠

(٢) التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ٩/٢٤٦

والإطعام واجب فإن أطعمها جميعها أجزأه، وإن أكلها جميعها لم يجزه، هذا فيما إذا كان الذبح تطوعا. فأما الواجبات كالنذر والكفارات ودم الجبر الذي يذبح لنقص في أعمال الحج مثل دم القران والتمتع مثلا فلا يأكل منها، وقيل: يجوز له الأكل.

ثم بعد تحللهم وخروجهم من الإحرام ليؤدوا تفثهم، وليزيلوا أوساخهم، ويتحللون بالحلق أو التقصير، ونتف الإبط وإزالة الوسخ، وتفسير القضاء في ليقضوا بالإزالة تفسيرا مجازيا.

وليطوفوا طواف الإفاضة والزيارة، وهو غير طواف القدوم، وطواف الوداع وليطوفوا بالبيت العتيق الطاهر القديم شكرا لله على توفيقه لأداء الحج.

ولعل في ذكر الحج والأذان به عقب التسجيل على الكافرين بالصد عن سبيل الله والمسجد الحرام، وبيان مكانة البيت وطهارته، ما يجعلنا نشعر بأن من يقف حائلا في يوم من الأيام ويمنع حج بيت الله الحرام يكون من الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله والمسجد الحرام ...

توجيهات إلهية لتعظيم حرمات الله وشعائره [سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٠ الى ٣٥]

ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور (٣٠) حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق (٣١) ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤)

الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)." (١)

"على تقوى قلبه لربه تعالى والرسول يشير إلى صدره ويقول التقوى ها هنا التقوى ها هنا ثلاث مرات وقوله تعالى: ﴿لكم فيها منافع إلى أجل مسمى﴾ أي أذن الله تعالى للمؤمنين أن ينتفعوا بالهدايا وهم سائقوها إلى الحرم بأن يركبوها١ ويحملوا عليها ما لا يضرها ويشربوا من ألبانها وقوله تعالى: ﴿ثم محلها إلى البيت٢ العتيق﴾ أي محلها عند البيت العتيق وهو الحرم حيث تنحر إن كان مما ينحر أو تذبح إن كان مما يذبح.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- وجوب تعظيم حرمات الله لما فيها من الخير العظيم.

٢- تقرير حلية بهيمة الأنعام بشرط ذكر اسم ا! ته عند ذبحها أو نحرها.

٣- حرمة قول الزور وشهادة الزور وفي الأثر عدلت٣ شهادة الزور الشرك بالله.

---

(١) التفسير الواضح محمد محمود حجازي ٢/٥٨٢

٤- وجوب ترك عبادة الأوثان ووجوب البعد عنها وترك كل ما يمت إليها بصلة.

٥- بيان عقوبة الشرك وخسران المشرك.

٦- تعظيم شعائر الله وخاصة البدن من تقوى قلوب أصحابها.

٧- جواز الانتفاع بالبدن الهدايا بركوبها وشرب لبنها والحمل عليها إلى غاية نحرها بالحرم.

ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما

---

١ في الصحيح أن رجلا يسوق بدنه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم "اركبها فقال الرجل إنها بدنة قال: اركبها قال: إنها بدنة، وفي الثالثة قال له صلى الله عليه وسلم: اركبها ويلك"

٢ إن كان الهدي في الحج فمحله بعد رمي جمرة العقبة ولا ينحر أو يذبح قبله، وإن كان في غير الحج، وإنما هدي مهدى إلى الحرم فمحله مكة حيث يطعمه فقراؤها وفقراء الحرم كله.

٣ وفي الصحيح: "إن أكبر الكبائر الشرك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور.. " الحديث.." (١)

"رزقناهم ينفقون (٣٥) والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧)

شرح الكلمات:

منسكا: أي ذبائح من بهيمة الأنعام يتقربون بها إلى الله تعالى، ومكان الذبح يقال له منسك.

فله أسلموا: أي انقادوا ظاهرا وباطنا لأمره ونهيه.

وبشر المخبتين: أي المطيعين المتواضعين الخاشعين.

وجلت قلوبهم: أي خافت من الله تعالى أن تكون قصرت في طاعته.

والبدن: جمع بدنة وهي ما يساق للحرم من إبل وبقر ليذبح تقربا إلى الله تعالى.

م ن شعائر الله: أي من أعلام دينه، ومظاهر عبادته.

صوآف: جمع صافة وهي القائمة على ثلاث معقولة اليد اليسرى.

فإذا وجبت جنوبها: أي بعد أن تسقط على جنوبها على الأرض لا روح فيها.

القانع والمعتر: القانع١ السائل والمعتر الذي يتعرض للرجل ولا يسأله حياء وعفة.

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري أبو بكر الجزائري ٤٧٣/٣

١ القانع: من الأضداد يطلق على ذي القناعة وعلى من لا قناعة له فهو يسأل، إلا أن الفعل الماضي لذي القناعة مكسور العين فعل كعلم، وفعل: من لا قناعة له فهو يسأل فعل: بفتح العين كنصح ينصح.." (١)

"كذلك سخرناها: أي مثل هذا. التسخير سخرناها لكم لتركبوا عليها وتحملوا وتحلبوا.

لعلكم تشكرون: أي لأجل أن تشكروا الله تعالى بحمده وطاعته.

لن ينال الله لحومها: أي لا يرفع إلى الله لحم ولا دم، ولكن تقواه بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه.

لتكبروا الله على ما هداكم: أي تقولون الله أكبر بعد الصلوات الخمس أيام التشريق شركا له على هدايته إياكم.

وبشر المحسنين: أي الذين يريدون بالعبادة وجه الله تعالى وحده ويؤدونها على الوجه المشروع.

معنى الآيات:

ما زال السياق في توجيه المؤمنين وإرشادهم إلى ما يكملهم ويسعدهم في الدارين فقوله تعالى: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا﴾ أي ولكل أمة من الأمم السابقة من أهل الإيمان والإسلام جعلنا لهم مكان نسك يتعبدوننا فيه ومنسكا١ أي ذبح قربان ليتقربوا به إلينا، وقوله: ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ أي شرعنا لهم عبادة ذبح القربان لحكمة: وهو أن يذكروا اسمنا على ذبح ما يذبحون ونحر ما ينحرون بأن يقولوا بسم الله والله أكبر. وقوله تعالى: ﴿فإلهكم إله واحد﴾ أي فمعبودكم أيها الناس معبود واحد ﴿فله أسلموا﴾ وجوهكم وخصوه بعبادتكم ثم قال لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ﴿وبشر المخبتين﴾ برضواننا ودخول دار كرامتنا ووصف المخبتين معرفا بهم الذين تنالهم البشرى على لسان رسول الله فقال ﴿الذين إذا ذكر الله﴾ لهم أو بينهم ﴿وجلت قلوبهم﴾ أي خافت شعورا بالتقصير في طاعته وعدم أداء شكره والغفلة عن ذكره ﴿والصابرين على ما أصابهم﴾ من البلاء فلا يجزعون ولا يتسخطون ولكن يقولون إنا لله وإنا إليه راجعون،

---

١ يقال: نسك ينسك نسكا: إذا ذبح ذبح تقرب لله تعالى، والذبيحة تسمى نسيكة وجمعها: نسك، ومنها قوله تعالى: ﴿أو صدقة أو نسك﴾ والنسك: الطاعة لله، وهي عبادته، ومن ذلك قولهم: تنسك فلان: أي تعبد فهو ناسك ومتنسك، والمنسك بفتح السين وكسرها موضع العبادة، ومنه مناسك الحج وهي الأماكن التي تؤدى فيها الشعائر كعرفات ومزدلفة ومنى ومكة.." (٢)

"﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)﴾

المفردات:

﴿ولكل أمة﴾ الأمة: هي الجماعة على مذهب واحد. ﴿جعلنا منسكا﴾ المنسك: بفتح السين وكسرها. موضع الذبح أو الذبح وإراقة الدم، والنسيكة: الذبيحة، وجمعها نسك بضمتين والفعل من باب نصر. ﴿فله أسلموا﴾: أي استسلموا

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري أبو بكر الجزائري ٣/٤٧٤

(٢) أيسر التفاسير للجزائري أبو بكر الجزائري ٣/٤٧٥

وانقادوا. ﴿وبشر المخبتين﴾: وهم الذين خضعوا لله وخشعت قلوبهم، يقال: أخبت الرجل إخباتا فهو مخبت أي: هو خاضع خاشع. ﴿وجلت قلوبهم﴾: خافت وخشيت. ﴿والصابرين على ما أصابهم﴾: هم الذين يحبسون الجزع إذا نزلت بهم نازلة، وفعله من باب: ضرب.

التفسير

٣٤ – ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام .. ﴾ الآية.

أي: ولكل أهل دين من الأديان السماوية السابقة، أو ولكل جماعة مؤمنة، جعلنا لهم مكانا للذبح وإراقة الدماء، تيسيرا لهم، وتمكينا لمن يريد التقرب إليه تعالى بإطعام عباده في مناسكهم، وفسر مجاهد المنسك: بالذبح على أنه مصدر ميمى، يريد أنه تعالى شرع لكل أهل دين أن يذبحوا تقربا إلى الله تعالى، لا لبعضهم دون بعض، واختاره الزمخشرى.." (١)

"وقال الفراء: المنسك في كلام العرب: الموضع المعتاد في خير وبر، وفسره هنا: بالعيد، وقال ابن عرفة في قوله: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا﴾ أي: مذهبا من طاعة الله تعالى، يقال: نسك نسك قومه، إذا سلك مذهبهم.

﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾: أي ليذكروا اسم الله وحده دون غيره عند ذبحها تعظيما له وشكرا على ما أنعم عليهم من بهائم الأنعام: الإبل، والبقر، والغنم. وفي ذلك إشارة إلى أن القرابين لا تكون إلا منها ﴿فإلهكم إله واحد﴾: أي: فإلهكم أيها المخاطبون إله واحد لأن شريعتكم وشرائع الأنبياء السابقين وإن تنوعت ونسخ بعضها بعضا، كلها قائمة على التوحيد والدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له ﴿فله أسلموا﴾: أي فإذا كان إلهكم واحدا منزها عن الشريك، فاستسلموا له وانقادوا لأمره. وأخلصوا له القول والعمل، واجعلوهما لوجهه ولا تشوبوهما بشرك ﴿وبشر المخبتين﴾: أي وبشر أيها النبي أولئك المخلصين المتواضعين – بشرهم – بالجنة والثواب العظيم، قال عمرو بن أوس: (المخبتون الذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لم ينتصروا) أي، لم ينتقموا: من الانتصار بمعنى الانتقام أي: عفوا عن ظالميهم.

٣٥ – ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم ... ﴾ الآية.

تعدد الآية أوصاف المخبتين المبشرين بالجنة فتذكر أن من أجل صفاتهم أنهم إذا ذكر الله اضطربت قلوبهم خشية منه ورهبة، وذلك لقوة إيمانهم وعمق يقينهم.

﴿والصابرين على ما أصابهم﴾: من كوارث الزمن بتحمل المتاعب وحبس الجزع بنفس راضية، وإيمان بقضاء الله وقدره.

﴿والمقيمي الصلاة﴾: في أوقاتها وعلى أكمل صورها حسبما شرعها الله.

﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾: أي ومن بعض ما آتيناهم من طيب الرزق ينفقون في أوجه البر والخير التي تعود على دينهم ومجتمعهم بالنفع والصلاح.." (٢)

"﴿هو اجتباكم﴾: هو اصطفاكم لحمل خاتم الأديان ونشر رسالته، فأرسل إليكم أفضل الأنبياء، وأنزل إليكم أكرم الكتب السماوية؛ وأتم عليكم نعمته بالتأييد والنصر.

---

(١) التفسير الوسيط – مجمع البحوث مجموعة من المؤلفين ٦/١٢١٧

(٢) التفسير الوسيط – مجمع البحوث مجموعة من المؤلفين ٦/١٢١٨

﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾: ولم يكلفكم ما يشق عليكم ويسبب لكم الضيق والحرج، فإنه سبحانه لا يكلف نفسا إلا وسعها، وهو تبارك وتعالى ييسر الأمور:

﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ (رحمه الله ١).

ومن لطفه وتيسيره: أنه أباح لنا قصر الصلاة والإفطار في السفر الطويل، وأباح لنا التيمم عند فقد الماء أو تعذر استعماله، والقعود في الصلاة عند تعذر القيام فيها.

﴿ملة أبيكم إبراهيم﴾: فالزموا الإسلام الذي هو ملة أبيكم إبراهيم، فهو الذي بنى لكم البيت ودعاكم إلى حجه والصلاة إليه. بتكليف من الله – سبحانه وتعالى – ودعا الله أن يمكنه وذريته من إقامة الصلاة بقوله: ﴿رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي﴾ (رحمه الله ٢).

﴿هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا﴾:

هو الله – سبحانه – الذي سماكم بهذا الاسم وارتضى لكم الإسلام دينا من قديم، وأمركم به في هذا القرآن الكريم حيث قال فيه: ﴿فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين﴾ (رحمه الله ٣) ﴿ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس﴾:

ولما كان القرآن الكريم هو آخر الكتب السماوية، وقد أبلغه الرسول – صلى الله عليه وسلم – عن الله إلى أمته بما يحويه من أوامر ونواه، وبما فيه من قصص الرسل والأنبياء السابقين فلهذا يشهد الرسول بأنه بلغ رسالة الإسلام إلى أمته، ويشهد المسلمون منهم على الأمم السابقة بما قصه عليهم القرآن من تبليغ رسلهم شرائع الله إلى أممهم.

﴿فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾: أي؛ وإذا كان الله تعالى منحكم هذا الشرف العظيم، حيث جعلكم شهداء على الناس، فتقربوا إليه – سبحانه – بأنواع الطاعات، وأخصها إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

رحمه الله_______________

(رحمه الله ١) سورة البقرة، من الآية: ١٨٥

(رحمه الله ٢) سورة إبراهيم، من الآية: ٤٠

(رحمه الله ٣) سورة الحج، من الآية:." (١)

"١١ – قال البخاري ج٦ص٩٧: قوله تعالى: ﴿فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤]

وقال ابن عيينة: ﴿المخبتين﴾: «المطمئنين»." (٢)

"﴿فإلهكم إله واحد ، فله أسلموا ، وبشر المخبتين﴾ (رحمه الله ١)

قال البخاري ج٦ص٩٧: قال ابن عيينة ﴿المخبتين﴾: المطمئنين.

---

(١) التفسير الوسيط – مجمع البحوث مجموعة من المؤلفين ١٢٦١/٦

(٢) المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة صهيب عبد الجبار ٧٥/٨

رَحِمَهُ اللَّهُ ______________

(رَحِمَهُ اللَّهُ ١) [الحج: ٣٤]." (١)

"﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الفصل السابع من كتاب العبادات: ﴿الحج﴾

مشروعية الحج

قال تعالى: ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا ، وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود ، وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا ، وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ، فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ، ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ، ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه ، وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم ، فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور ، حنفاء لله غير مشركين به ، ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء ، فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ، ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ، لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ، ثم محلها إلى البيت العتيق ، ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ، فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين﴾ (رَحِمَهُ اللَّهُ ١)

رَحِمَهُ اللَّهُ ______________

(رَحِمَهُ اللَّهُ ١) [الحج: ٢٦ - ٣٤]." (٢)

"مسمى﴾ أي لكم في الهدايا منافع كثيرة من الدر والنسل والركوب إلى وقت نحرها ﴿ثم محلهآ إلى البيت العتيق﴾ أي ثم مكان ذبحها في الحرم بمكة أو منى، وخص البيت بالذكر لأنه أشرف الحرم كقوله تعالى ﴿هديا بالغ الكعبة﴾ [المائدة: ٩٥] ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا﴾ أي شرعنا لكل أمة من الأمم السابقة من عهد إبراهيم مكانا للذبح تقربا لله قال ابن كثير: يخبر تعالى أنه لم يزل ذبح المناسك وإراقة الدماء على اسم الله مشروعتا في جميع الملل ﴿ليذكروا اسم الله﴾ أي أمرناهم عند الذبح أو يذكروا اسم الله وأن يذبحوا لوجهه تعالى ﴿على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ أي شكرا لله على ما أنعم به عليهم من بهيمة الأنعام من الإبل والبقر والغنم، بين تعالى انه يجب أن يكون الذبح لوجهه تعالى وعلى اسمه لأنه هو الخالق الرازق لا كما كان المشركون يذبحون للأوثان ﴿فإلهكم إله واحد﴾ أي فربكم أيها الناس ومعبودكم إله واحد لا شريك له ﴿فله أسلموا﴾ أي فأخلصوا له العبدة واستسلموا لحكه وطاعته ﴿وبشر المخبتين﴾ أي بشر المطيعين المتواضعين الخاشعين بجنات النعيم، ثم وصف تعالى المخبتين بأربع صفات فقال ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ أي إذا ذكر الله خافت وارتعشت لذكره قلوبهم لإشراق أشعة جلاله عليها فكأنهم بين يديه واقفون، ولجلاله وعظمته مشاهدون ﴿والصابرين على

---

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ٢٣٣/٢٠

(٢) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ٢٦٨/٣٠

مآ أصابهم﴾ أي يصبرون في السراء والضراء على الأمراض ولمصائب والمحن وسائر المكاره ﴿والمقيمي الصلاة﴾ أي الذين يؤدونها في أوقاتها مستقيمة كاملة مع الخشوع والخضوع ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ أي ومن بعض الذي رزقناهم من فضلنا تينفقون في وجوه الخيرات ﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر الله﴾ أي والإبل السمينة – سميت بدنا لبدانتها وضخامة أج سامها – جعلناها من أعلام الشريعة التي شرعها الله لعباده قال ابن كثير: وكونها من شعائر الدين انها تهدى إلى بيته الحرام بل هي أفضل ما يهدى ﴿لكم فيها خير﴾ قال ابن عباس: نفع في الدنيا وأجر في الآخرة ﴿فاذكروا اسم الله عليها صوآف﴾ أي اذكروا عند ذبحها اسم الله الجليل عليها حال كونها صواف أي قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهم ﴿فإذا وجبت جنوبها﴾ أي فإذا سقطت على الأرض بعد نحرها، وهو كناية عن الموت ﴿فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر﴾ أي كلوا من هذه الهدايا وأطعموا القانع أي المتعفف والمعتر أي السائل قاله ابن عباس، وقال الرازي: الأقرب أن القانع هو الراضي بما يدفع إليه من غير سؤال وإلحاح، ولمعتر هو الذي يتعرض ويطلب ويعتريهم حالا بعد حال ﴿كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون﴾ أي مثل ذلك التسخير البديع جعلناها منقادة لكم مع ضخامة اجسامها لكي تشكروا الله على إنعامه ﴿لن ينال الله لحومها ولا دمآؤها﴾ أي لن يصل إليه تعالى شيء من لحومها ولا دمائها ﴿ولكن يناله التقوى منكم﴾ أي ولكن يصل إلأيه التقوى منكم بامتثالكم أوامره وطلبكم رضوانه ﴿كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم﴾ أي كرره للتأكيد أي كذلك ذللها لكم وجعلها منقادة لرغبتكم لتكبروا الله على ما أرشدكم إليه من أحكام دينه ﴿وبشر المحسنين﴾ أي بشر المحسنين في أعمالهم بالسعادة والفوز بدار النعيم.." (١)

"﴿فتخطفه الطير﴾ [الحج: ٣١] أي: تستلبه الطير وتذهب به، والخطف والاختطاف تناول الشيء بسرعة، وقرأ أهل المدينة فتخطفه بفتح الخاء وتشديد الطاء، أي يتخطفه، ﴿أو تهوي به الريح﴾ [الحج: ٣١] أي: تميل وتذهب به، ﴿في مكان سحيق﴾ [الحج: ٣١] أي: بعيد معناه أن بعد من أشرك بالحق كبعد من سقط من السماء فذهبت به الطير، أو هوت به الريح، فلا يصل بحال. وقيل: شبه حال المشرك بحال الهاوي من السماء في أنه لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع بحيث تسقطه الريح، فهو هالك لا محالة إما باستلاب الطير لحمه وإما بسقوطه إلى المكان السحيق، وقال الحسن: شبه أعمال الكفار بهذه الحال في أنها تذهب وتبطل فلا يقدرون على شيء منها.

[٣٢] ﴿ذلك﴾ [الحج: ٣٢] يعني: الذي ذكرت من اجتناب الرجس وقول الزور، ﴿ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾ [الحج: ٣٢] قال ابن عباس: شعائر الله البدن والهدي وأصلها من الإشعار وهو إعلامها ليعلم أنها هدي وتعظيمها استسمانها واستحسانها، وقيل: شعائر الله أعلام دينه فإنها من تقوى القلوب، أي: فإن تعظيمها من تقوى القلوب.

[٣٣] ﴿لكم فيها﴾ [الحج: ٣٣] أي: في البدن قبل تسميتها للهدى، ﴿منافع﴾ [الحج: ٣٣] في درها ونسلها وأصوافها وأوبارها وركوب ظهورها، ﴿إلى أجل مسمى﴾ [الحج: ٣٣] وهو أن يسميها ويوجبها هديا فإذا فعل ذلك لم يكن له شيء من منافعها، هذا قول مجاهد، وقول قتادة والضحاك، ورواه مقسم عن ابن عباس. وقيل: معناه لكم في الهدايا منافع بعد

---

(١) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ٢/٢٦٥

إيجابها وتسميتها هديا بأن تركبوها وتشربوا ألبانها عند الحاجة إلى أجل مسمى، يعني إلى أن تنحروها وهو قول عطاء ابن أبي رباح. وقال بعضهم: أراد بالشعائر المناسك ومشاهدة مكة، لكم فيها منافع بالتجارة والأسواق إلى أجل مسمى وهو الخروج من مكة. وقيل. لكم فيها منافع بالأجر والثواب في قضاء المناسك إلى أجل مسمى، أي: إلى انقضاء أيام الحج، ﴿ثم محلها﴾ [الحج: ٣٣] أي: منحرها، ﴿إلى البيت العتيق﴾ [الحج: ٣٣] أي: منحرها عند البيت العتيق، يريد أرض الحرم كلها، كما قال: ﴿فلا يقربوا المسجد الحرام﴾ [التوبة: ٢٨] أي: الحرم كله. وروي عن جابر في قصة حجة الوداع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «نحرت ههنا ومنى كلها منحر فانحروا في رحالكم» (رَحِمَهُ اللَّهُ١) . ومن قال: الشعائر المناسك قال معنى قوله ﴿ثم محلها إلى البيت العتيق﴾ [الحج: ٣٣] أي: محل الناس من إحرامهم إلى البيت العتيق، أي: أن يطوفوا به طواف الزيارة يوم النحر.

[٣٤] قال الله تعالى: ﴿ولكل أمة﴾ [الحج: ٣٤] يعني جماعة مؤمنة سلفت قبلكم، ﴿جعلنا منسكا﴾ [الحج: ٣٤] قرأ حمزة والكسائي بكسر السين ههنا وفي آخر السورة، على معنى الاسم مثل المسجد والمطلع، يعني مذبحا وهو موضع القربان، وقرأ الآخرون بفتح السين على المصدر، مثل المدخل والمخرج يعني إراقة الدماء وذبح القرابين، ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ [الحج: ٣٤] عند نحرها وذبحها وسماها بهيمة لأنها لا تتكلم، وقال: ﴿بهيمة الأنعام﴾ [الحج: ٣٤] وقيدها بالنعم لأن من البهائم ما ليس من الأنعام كالخيل والبغال والحمير، لا يجوز ذبحها في القرابين. ﴿فإلهكم إله واحد﴾ [الحج: ٣٤] أي: سموا على الذبائح اسم الله وحده فإن إلهكم إله واحد، ﴿فله أسلموا﴾ [الحج: ٣٤] انقادوا وأطيعوا، ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] قال ابن عباس وقتادة: المتواضعين. وقال مجاهد: المطمئنين إلى الله عز وجل، والخبت المكان المطمئن من الأرض. وقال الأخفش: الخاشعين. وقال النخعي: المخلصين. وقال الكلبي: هم الرقيقة قلوبهم. وقال عمر بن أوس: هم الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا.

رَحِمَهُ اللَّهُ________________

(رَحِمَهُ اللَّهُ١) أخرجه مسلم في الحج رقم (١٢١٨) ٢ / ٨٩٣ والمصنف في شرح السنة ٧ / ١٥٠.." (١)

"- ٣٤ - ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين

- ٣٥ - الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على مآ أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون

يخبر تعالى أنه لم يزل ذبح المناسك وإراقة الدماء على اسم الله مشروعا في جميع الملل، قال ابن عباس ﴿منسكا﴾: عيدا، وقال عكرمة: ذبحا، وقال زيد بن أسلم في قوله: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا﴾: إنها مكة لم يجعل الله لأمة منسكا غيرها، وقوله: ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ كما ثبت في الصحيحين عن أنس قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين أقرنين فسمى وكبر ووضع رجله على صفاحهما، وقال الإمام أحمد بن حنبل عن زيد بن

---

(١) مختصر تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل عبد الله الزيد ٥/٦٢٠

أرقم قال، قلت أو قالوا: يا رسول الله ما هذه الأضاحي؟ قال: «سنة أبيكم إبراهيم»، قالوا: ما لنا منها؟ قال: «بكل شعرة حسنة»، قالوا: فالصوف؟ قال: «بكل شعرة من الصوف حسنة» (أخرجه الإمام أحمد في المسند)، وقوله: ﴿فإلهكم إله واحد فله أسلموا﴾ أي معبودكم واحد وإن تنوعت شرائع الأنبياء ونسخ بعضها بعضا، فالجميع يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ﴿ومآ أرسلنا من

قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾، ولهذا قال: ﴿فله أسلموا﴾ أي أخلصوا واستسلموا لحكمه وطاعته، ﴿وبشر المخبتين﴾ قال مجاهد: المطمئنين، وقال الضحاك: المتواضعين، وقال السدي: الوجلين، وقال الثوري: المطمئنين الراضين بقضاء الله المستسلمين له، وأحسن ما يفسر بما بعده وهو قوله: ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ أي خافت منه قلوبهم، ﴿والصابرين على مآ أصابهم﴾ أي من المصائب، قال الحسن البصري: والله لنصبرن أو لنهلكن، ﴿والمقيمي الصلاة﴾ أي المؤدين حق الله فيما أوجب عليهم من أداء فرائضه، ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ أي وينفقون مآ آتاهم الله من طيب الرزق على أهليهم وأقاربهم وفقرائهم ومحاويجهم، ويحسنون إلى الخلق مع محافظتهم على حدود الله.." (١)

"[١٨٠٧] وقد روى ابن أبي شيبة من وجه آخر عن ابن عباس "أن المعلومات يوم النحر وثلاثة أيام بعده" ١.

قوله تعالى: ﴿وبشر المخبتين﴾ الآية: ٣٤

[١٨٠٨] أسند ابن عيينة في تفسيره عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿المخبتين﴾ المطمئنين، وكذا هو عند ابن المنذر من هذا الوجه ٢.

[١٨٠٩] ومن وجه آخر عن مجاهد قال: المصلين ٣.

[١٨١٠] ومن طريق الضحاك قال: المتواضعين ٤.

قوله تعالى: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا﴾ الآية: ٣٩

[١٨١١] وأخرج هو والترمذي وصححه الحاكم من طريق سعيد بن جبير

---

١ فتح الباري ٢/٤٥٨.

٢ فتح الباري ٨/٤٣٨.

أخرجه ابن جرير ١٦١/١٧ من طريق سفيان وغيره، عن ابن أبي نجيح، به. وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤٨/٦ ونسبه إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

قال ابن حجر: المخبت من الإخبات؛ وأصله الخبت بفتح أوله وهو المطمئن من الأرض.

٣ فتح الباري ٨/٤٣٨.

لم أقف على من ذكره غير ابن حجر.

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير محمد علي الصابوني ٥٤٣/٢

٤ فتح الباري ٤٣٨/٨.

ذكره ابن كثير في تفسيره ٤٢١/٥ عن الضحاك تعليقا. وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤٩/٦ وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم. وورد مثله عن قتادة، فيما أخرجه عبد الرزاق ٣٨/٢ عن معمر، عنه، وعن مجاهد من طريق الثوري، عن ابن أبي نجيح عنه.." (١)

"قوله تعالى: ﴿إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور﴾ [(٣٨) سورة الحج].

. . . . جاء قوله حسب ما تقدم في الآية التي قبلها ﴿وبشر المحسنين﴾ [(٣٧) سورة الحج].

طالب:. . . . .

﴿وبشر المخبتين﴾ [(٣٤) سورة الحج] الذين هم المحسنين، الذين سيأتي ذكرهم، يفسرهم بالأمرين أو بالوصفين؛ لأنهم اتصفوا بالإخبات وبالإحسان.

روي أنها نزلت بسبب المؤمنين لما كثروا بمكة وآذاهم الكفار وهاجر من هاجر إلى أرض الحبشة، أراد بعض مؤمني مكة أن يقتل من أمكنه من الكفار ويغتال ويغدر ويحتال، فنزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿كفور﴾ فوعد فيها سبحانه بالمدافعة، ونهى أفصح نهي عن الخيانة والغدر، وقد مضى في (الأنفال) التشديد في الغدر وأنه: ((ينصب للغادر لواء عند استه بقدر غدرته يقال: هذه غدرة فلان)) وقيل: المعنى يدفع عن المؤمنين بأن يديم توفيقهم حتى يتمكن الإيمان من قلوبهم فلا تقدر الكفار على إمالتهم عن دينهم، وإن جرى إكراه فيعصمهم حتى لا يرتدوا بقلوبهم، وقيل: يدفع عن المؤمنين بإعلائهم بالحجة، ثم قتل كافر مؤمنا نادر، وإن فيدفع الله عن ذلك المؤمن بأن قبضه إلى رحمته، وقرأ نافع: (يدافع) ولولا دفاع، وقرأ أبو عمرو وابن كثير: يدفع ﴿ولولا دفع﴾ [(٤٠) سورة الحج] وقرأ عاصم وحمزة والكسائي: يدافع ﴿ولولا دفع الله﴾ [(٤٠) سورة الحج] ويدافع بمعنى يدفع مثل عاقبت اللص وعافاه الله، والمصدر دفعا.

الأصل في هذا المبنى المفاعلة والمدافعة والمعاقبة تكون بين طرفين، الأصل في هذا البناء أن يكون بين طرفين، كالمبارزة والمخاصمة بين طرفين، لكن في مثل هذا يدافع فهو مدافعة، والمدافعة من طرف من واحد لا إشكال، كالمسافرة إذا سافر فلان تكون بين طرفين، إذا قيل: عاقب فلان اللص معاقبة، تكون هذه المعاقبة بين طرفين، من طرف واحد، فالأصل في هذا الوزن أن يكون بين طرفين، وخرج عنه ما خرج من الأزمنة.." (٢)

"قوله تعالى (ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين)

قال البخاري: حدثنا آدم بن أبي إياس: حدثنا شعبة: حدثنا قتادة، عن أنس قال: ضحى النبي - صلى الله عليه وسلم - بكبشين أملحين، فرأيته واضعا قدمه على صفاحهما يسمي ويكبر، فذبحهما بيده.

(الصحيح ٢٠/١٠ ح ٥٥٥٨ - ك الأضاحي، ب من ذبح الأضاحي بيده) .

---

(١) الروايات التفسيرية في فتح الباري عبد المجيد الشيخ عبد الباري ٨١١/٢

(٢) التعليق على تفسير القرطبي - عبد الكريم الخضير عبد الكريم الخضير ١٤/١

أخرج الطبري بسنده الصحيح عن مجاهد (ولكل أمة جعلنا منسكا) قال: إهراق الدماء (ليذكروا اسم الله على ما رزقهم)
.

أخرج آدم بن أبي إياس بسنده الصحيح عن مجاهد، قوله (وبشر المخبتين) قال: المطمئنين.

أخرج عبد الرزاق بسنده الصحيح عن قتادة، في قوله (وبشر المخبتين) قال: المتواضعين.

وانظر الآية التالية لمعرفة صفات المخبتين.

قوله تعالى (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون)

في هذه الآية بيان صفات المخبتين، وانظر سورة الأنفال الآية (٢-٤) .

قوله تعالى (والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون)

قال البخاري: حدثنا عبد الله بن مسلمة، حدثنا يزيد بن زريع، عن يونس، عن زياد بن جبير قال: رأيت ابن عمر رضي الله عنهما أتى على رجل قد أناخ بدنته ينحرها، قال: ابعثها قياما مقيدة سنة محمد - صلى الله عليه وسلم -.

(الصحيح ٣/٦٤٦ ح ١٧١٣ - ك الحج- ب من نحر الإبل مقيدة) ، وأخرجه مسلم (الصحيح - ك الحج، ب نحر البدن قياما مقيدة ح ١٣٢٠) .." (١)

"[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٤ الى ٣٥]

ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤)
الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)

«١» «٢» «

[الحج: ٢٢/ ٣٤- ٣٥] .

المعنى: جعلنا لأهل كل دين سابق منسكا، أي موضع نسك وعبادة، يذبحون فيه الأنعام، تقربا إلى الله تعالى، وذلك ليس خاصا بأمة محمد صلى الله عليه وسلم، وإنما هو في كل الملل.

وقد شرع الله وحدد أماكن الذبح: ذبح الأنعام، لكي يذكروا اسم الله حين ذبحها، أي حين الشروع في الذبح أمرناهم بذكر الله، وأن يكون الذبح له، لأنه هو الرزاق، ويشكروا الله على نعمه التي أنعم بها عليهم، وتلك هي السنة في إراقة دم الذبائح. وينبغي أن يتجه الذابح إلى الله الذي سخر للإنسان هذه المواشي، والله المقصود هو المعبود الواحد، وإن تنوعت الشرائع، فالجميع يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وهذه هي العلة في تخصيص الذبح باسم الله، وإفراده بالذكر، لأن تفرد الله بالألوهية يقتضي ألا يذكر على الذبائح غير اسمه تعالى. ومتى كان الإله واحدا، فله أسلموا، أي استسلموا وانقادوا لأمره وجميع أحكامه، وبشر أيها النبي بشارة على الإطلاق المخبتين، أي المتواضعين الخاشعين من المؤمنين برضوان الله، إذا اتصفوا بالصفات الأربع الآتية:

---

(١) الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور حكمت بشير ياسين ٣/٤١٦

أولا- الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم أي إن الخوف والخشوع يهيمن على قلوبهم ومشاعرهم عند ذكر الله، لما يتصف به من العظمة والجلال.

---

(١) مكانا للنسك والعبادة وذبح القرابين.

(٢) المتواضعين لله تعالى.

(٣) خافت هيبة.." (١)

"المهديين الراشدين بالبشارة الكريمة بقوله: وبشر المحسنين أي وبشر أيها النبي بالجنة والرضوان أهل الإحسان في العمل، القائمين بحدود الله، المتبعين ما شرع الله، الطائعين أوامر الله، المصدقين رسول الله فيما بلغهم، وحذرهم وأنذرهم، وكل ما جاءهم به من عند الله عز وجل.

روي أن قوله تعالى: وبشر المحسنين والآية التي قبلها: وبشر المخبتين (٣٤) نزلت في الخلفاء الراشدين الأربعة رضي الله تعالى عنهم، لكن ظاهر اللفظة يقتضي العموم في كل محسن، متواضع خاشع لله رب العالمين.

الإذن بالقتال ضد الأعداء

إن المنهج الرباني في علاج الأمور الشاذة والانحرافات الخطيرة قائم على غاية الحكمة والاعتدال، والتأني والإمهال، فلم يعجل الله البدء بقتال المشركين أنصار الوثنية والضلال، وإنما صبر عليهم مدى خمسة عشر عاما، ليكون للعقل والفكر وإعمال الرأي والقناعة الدور المهم في القضايا، ولتبدأ الأمة الإسلامية قوية ناشطة، معذورة في كل ما تؤديه من واجبات، لأن لغة السيف وقعقعة السلاح إنما تكون حين استفحال العدوان، واليأس من الصلاح والاستقامة، وهذا المنهج هو الذي نجده في ساحة التشريع الإلهي بالإذن بمشروعية القتال، بعد طول الصبر والمصابرة، والدفع بالحكمة والحسنى، فقال الله تعالى:

[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٨ الى ٤١]

إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور (٣٨) أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير (٣٩) الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز (٤٠) الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور (٤١)

«١»

---

(١) خائن للأمانة.." (٢)

---

(١) التفسير الوسيط للزحيلي وهبة الزحيلي ١٦٤٥/٢

(٢) التفسير الوسيط للزحيلي وهبة الزحيلي ١٦٤٩/٢

"أنا عبد الرحمن، قال: نا إبراهيم، قال: نا آدم، قال: نا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] قال: «المطمئنين»." (١)

"[سورة الحج (٢٢) : الآيات ١ الى ٧٨]بسم الله الرحمن الرحيميا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم (١) يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد (٢) ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد (٣) كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير (٤)يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج (٥) ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحي الموتى وأنه على كل شيء قدير (٦) وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور (٧) ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير (٨) ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق (٩)ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد (١٠) ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين (١١) يدعوا من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد (١٢) يدعوا لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير (١٣) إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار إن الله يفعل ما يريد (١٤)من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ (١٥) وكذلك أنزلناه آيات بينات وأن الله يهدي من يريد (١٦) إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد (١٧) ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء (١٨) هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤسهم الحميم (١٩)يصهر به ما في بطونهم والجلود (٢٠) ولهم مقامع من حديد (٢١) كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق (٢٢) إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير (٢٣) وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد (٢٤)إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه

---

(١) تفسير مجاهد مجاهد بن جبر ص/٤٨١

من عذاب أليم (٢٥) وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود (٢٦) وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق (٢٧) ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير (٢٨) ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق (٢٩)ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور (٣٠) حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق (٣١) ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤)الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧) إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور (٣٨) أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير (٣٩)الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز (٤٠) الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور (٤١) وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود (٤٢) وقوم إبراهيم وقوم لوط (٤٣) وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير (٤٤)فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد (٤٥) أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور (٤٦) ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون (٤٧) وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإلي المصير (٤٨) قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين (٤٩)فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم (٥٠) والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم (٥١) وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم (٥٢) ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد (٥٣) وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم (٥٤)ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم (٥٥) الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم (٥٦) والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين (٥٧) والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين (٥٨) ليدخلنهم مدخلا يرضونه وإن الله لعليم حليم (٥٩)ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله إن الله لعفو غفور (٦٠) ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع بصير (٦١) ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون

من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير (٦٢) ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير (٦٣) له ما في السماوات وما في الأرض وإن الله لهو الغني الحميد (٦٤)ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤف رحيم (٦٥) وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم إن الإنسان لكفور (٦٦) لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك في الأمر وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم (٦٧) وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون (٦٨) الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون (٦٩)ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير (٧٠) ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير (٧١) وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير (٧٢) يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب (٧٣) ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز (٧٤)الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير (٧٥) يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وإلى الله ترجع الأمور (٧٦) يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون (٧٧) وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير (٧٨)." (١)

"شاء ذبح الغنم أو البقر ثم تصدق به كله، وإن شاء أكل وأمسك منه، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون شيئا من البدن، فأنزل الله- عز وجل- «فكلوا منها وأطعموا» فليس الأكل بواجب ولكنه رخصة، كقوله- سبحانه- « ... وإذا حللتم فاصطادوا «١» ... » وليس الصيد بواجب ولكنه رخصة ولكل أمة يعني لكل قوم من المؤمنين فيما خلا، كقوله- سبحانه-:« ... أن تكون أمة هي أربى من أمة «٢» ... » أن يكون قوم أكثر من قوم، ثم قال:جعلنا منسكا يعني ذبحا يعني هراقة الدماء ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام وإنما خص الأنعام من البهائم لأن من البهائم ما ليس من الأنعام، وإنما سميت البهائم لأنها لا تتكلم فإلهكم إله واحد ليس له شريك يقول فربكم رب واحد فله أسلموا وبشر المخبتين- ٣٤- يعني المخلصين بالجنة، ثم نعتهم فقال: الذين إذا ذكر الله وجلت يعني خافت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم من أمر الله والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون- ٣٥- من الأموال. قوله- عز وجل- والبدن جعلناها لكم من شعائر الله يعني من أمر المناسك لكم فيها خير يقول لكم في نحرها أجر في الآخرة ومنفعة في الدنيا، وإنما سميت البدن لأنها تقلد وتشعر وتساق إلى مكة «والهدى الذي ينحر بمكة ولم يقلد ولم يشعر والجزور البعير الذي

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان مقاتل ١٠١/٣

ليس ببدنة ولا بهدى «٣» » .ـــــــــــــــــ(١) سورة المائدة: ٢.(٢) سورة النحل: ٩٢.(٣) ما بين القوسين « ... » : من أوليس فى ر.." (١)

"٦٨٢: ٢٢: ١٧ سفيان عن سعيد بن مسروق عن عكرمة أمة جعلنا منسكا هذه قال ذبايح هم ذابحوها سنة (الآية ٣٤) .٦٨٣: ٣٣: ٢٥ سفيان عن بن أبي نجيح عن مجاهد وبشر المخبتين قال المطمينين عمرو (الآية ٣٤) .٦٨٤: ٢٤: ١٠ سفيان عن منصور عن إبراهيم فيها خير قال هي البدنة إن احتاج إليها ركب وإن احتاج إلى لبنها شرب (الآية ٣٦) .٦٨٥: ٢٥: ١١ سفيان عن الأعمش عن أبي ظبيان قال سأل رجل عن بن عباس اسم الله عليها صواف قال قياما معقولة فقيل له ما يقولون عند النحر قال يقولون أكبر لا إله إلا الله اللهم منك ولك (الآية ٣٦) .." (٢)

"١٧٦ - أخبركم أبو عمر بن حيويه، وأبو بكر الوراق قالا: أخبرنا يحيى قال: حدثنا الحسين قال: أخبرنا ابن المبارك قال: أخبرنا ابن عون، عن مسلم أبي عبد الله، قال كان عبد الله بن مسعود إذا رأى الربيع بن خثيم قال: «وبشر المخبتين»." (٣)

"قوله: ﴿فإلهكم إله واحد فله أسلموا﴾ [الحج: ٣٤] يقوله للمشركين.قوله: ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] يعني بالجنة.تفسير الحسن: أن المخبتين الخاشعين الخائفين.والخشوع المخافة الثابتة في القلب.وبعضكم يقول: ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] يعني المطمئنين بالإيمان.قال: ﴿فتخبت له قلوبهم﴾ [الحج: ٥٤] فتطمئن إليه قلوبهم.وقال: ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله﴾ [الرعد: ٢٨] قوله: ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ [الحج: ٣٥] يعني خافت قلوبهم.﴿والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة﴾ [الحج: ٣٥] المفروضة، الصلوات الخمس يحافظون على وضوئها، ومواقيتها، وركوعها، وسجودها.﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ [الحج: ٣٥] يعني الزكاة المفروضة.قوله: ﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير﴾ [الحج: ٣٦] يعني أجر في نحرها والصدقة منها تتقربون بها إلى الله.تفسير السدي: ﴿لكم فيها﴾ [الحج: ٣٦] يعني في البدن أجر.نا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم قال: ﴿لكم فيها خير﴾ [الحج: ٣٦] قال: البدنة.إن احتاج ركب وإن احتاج إلى اللبن شرب.." (٤)

"١٩٣٠ - عبد الرزاق قال: أرنا معمر ، عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] ، قال: «هم المتواضعون»." (٥)

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان مقاتل ١٢٧/٣

(٢) تفسير سفيان الثوري سفيان الثوري ص/٢١٣

(٣) الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد ابن المبارك ٥٧/١

(٤) تفسير يحيى بن سلام يحيى بن سلام ٣٧٥/١

(٥) تفسير عبد الرزاق عبد الرزاق الصنعاني ٤٠٦/٢

"١٩٣١ – الثوري ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] ، قال: «المخبتون المتواضعون»." (١)

"حدثنا-[٢٢٠]-٣٥٤٩٢ – أبو أسامة، عن جويبر، عن الضحاك، في قوله: ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] قال: «المتواضعين»." (٢)

"حدثنا٣٥٥٥٠ – سعيد بن عبد الله بن الربيع بن خثيم، عن نسير بن ذعلوق، عن بكر بن ماعز، قال: كان عبد الله بن مسعود إذا رأى الربيع بن خثيم مقبلا قال: «بشر المخبتين، أما والله لو رآك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحبك»." (٣)

"الكعبة أعتقها من الجبابرة. فوجه هؤلاء تأويل ذلك إلى سمي منحر البدن والهدايا التي أوجبتموها إلى أرض الحرم، وقالوا: عنى بالبيت العتيق أرض الحرم كلها. وقالوا: وذلك قوله: (فلا يقربوا المسجد الحرام) والمراد: الحرم كله.وقال آخرون: معنى ذلك: ثم محلكم أيها الناس من مناسك حجكم إلى البيت العتيق أن تطوفوا به يوم النحر بعد قضائكم ما أوجبه الله عليكم في حجكم.*ذكر من قال ذلك: حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا داود بن أبي هند، عن محمد بن أبي موسى: (ثم محلها إلى البيت العتيق) قال: محل هذه الشعائر كلها الطواف بالبيت.وقال آخرون: معنى ذلك: ثم محل منافع أيام الحج إلى البيت العتيق بانقضائها.*ذكر من قال ذلك:- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: (ثم محلها إلى البيت العتيق) حين تنقضي تلك الأيام، أيام الحج إلى البيت العتيق.وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ثم محل الشعائر التي لكم فيها منافع إلى أجل مسمى إلى البيت العتيق، فما كان من ذلك هديا أو بدنا فبموافاته الحرم في الحرم، وما كان من نسك فالطواف بالبيت.وقد بينا الصواب في ذلك من القول عندنا في معنى الشعائر.القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) ﴾يقول تعالى ذكره: (ولكل أمة) ولكل جماعة سلف فيكم من أهل الإيمان بالله أيها الناس، جعلنا ذبحا يهريقون دمه (ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من." (٤)

"بهيمة الأنعام) بذلك لأن من البهائم ما ليس من الأنعام، كالخيل والبغال والحمير. وقيل: إنما قيل للبهائم بهائم لأنها لا تتكلم.وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله: (جعلنا منسكا) قال أهل التأويل.*ذكر من قال ذلك: حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال. حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي

---

(١) تفسير عبد الرزاق عبد الرزاق الصنعاني ٤٠٧/٢

(٢) مصنف ابن أبي شيبة أبو بكر بن أبي شيبة ٢١٩/٧

(٣) مصنف ابن أبي شيبة أبو بكر بن أبي شيبة ٢٢٧/٧

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر الطبري، أبو جعفر ٥٢٧/١٨

نجيح، عن مجاهد: (ولكل أمة جعلنا منسكا) قال: إهراق الدماء (ليذكروا اسم الله عليها) .حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال. ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.وقوله: (فإلهكم إله واحد) يقول تعالى ذكره: فاجتنبوا الرجس من الأوثان، واجتنبوا قول الزور، فإلهكم إله واحد لا شريك له، فإياه فاعبدوا وله أخلصوا الألوهة. وقوله: (فله أسلموا) يقول: فلإلهكم فاخضعوا بالطاعة، وله فذلوا بالإقرار بالعبودية. وقوله: (وبشر المخبتين) يقول تعالى ذكره: وبشر يا محمد الخاضعين لله بالطاعة، المذعنين له بالعبودية، المنيبين إليه بالتوبة. وقد بينا معنى الإخبات بشواهده فيما مضى من كتابنا هذا.وقد اختلف أهل التأويل في المراد به في هذا الموضع، فقال بعضهم: أريد به: وبشر المطمئنين إلى الله.*ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: (وبشر المخبتين) قال: المطمئنين.حدثني أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: (وبشر المخبتين) المطمئنين إلى الله.حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى. وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: (وبشر المخبتين) قال: المطمئنين.حدثنا الحسن، قال: ثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: (وبشر المخبتين) قال: المتواضعين.." (١)

"١٤٦٦ - أخبرني أحمد بن شعيب، قال أنبأ سويد بن نصر، قال حدثنا عبد الله بن المبارك، عن ابن عون، عن مسلم أبي عبد الله، قال: كان ابن مسعود إذا رأى ربيع بن خثيم قال: «بشر المخبتين» يقال: إنه مسلم بن أبي عمران البطين." (٢)

"القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] يقول تعالى ذكره: ﴿ولكل أمة﴾ [الأعراف: ٣٤] ولكل جماعة سلف فيكم من أهل الإيمان بالله أيها الناس، جعلنا ذبحا يهريقون دمه ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ [الحج: ٣٤] بذلك ، لأن من البهائم ما ليس من الأنعام، كالخيل والبغال والحمير. وقيل: إنما قيل للبهائم: بهائم ، لأنها لا تتكلم وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله: ﴿جعلنا منسكا﴾ [الحج: ٣٤] قال أهل التأويل." (٣)

"وقوله: ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] يقول تعالى ذكره: وبشر يا محمد الخاضعين لله بالطاعة، المذعنين له بالعبودية، المنيبين إليه بالتوبة. وقد بينا معنى الإخبات بشواهده فيما مضى من كتابنا هذا. وقد اختلف أهل التأويل في المراد به في هذا الموضع، فقال بعضهم: أريد به: -[٥٥١]- وبشر المطمئنين إلى الله." (٤)

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر الطبري، أبو جعفر ٦٢٨/١٨

(٢) الكنى والأسماء للدولابي الدولابي ٨٣٩/٢

(٣) تفسير الطبري ٥٤٩/١٦

(٤) تفسير الطبري ٥٥٠/١٦

"حدثنا الحسن، قال: ثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] قال: «المتواضعين» وقال آخرون في ذلك." (١)

"حدثني محمد بن عمرو قال: ثنا أبو عاصم قال: ثنا عيسى. وحدثني الحارث قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] قال: «المطمئنين»." (٢)

"ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] قال: «المطمئنين»." (٣)

"حدثنا أبو كريب قال: ثنا ابن يمان، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] «المطمئنين إلى الله»." (٤)

"قوله: (ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢)شعائر الله المعالم التي ندب إليها وأمر بالقيام بها، واحدتها شعيرة.فالصفا والمروة من شعائر الله، " الذى يعنى به هنا البدن.* * *وقوله: (لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق(٣٣)يعنى أن لكم في البدن - قبل أن تعلموها، وتسموها هديا إلى بيتي - منافع.فإذا أشعرتموها - والإشعار أن يشق في السنام حتى يدمى ويعلق عليها نعلاليعلم أنها بدنة، فأكثر الناس لا يرى الانتفاع بها إذا جعلت بدنة، لابلبنها ولا بوبرها ولا بظهرها، يقول لا يعطى لبنها ووبرها وظهرها أحدا لأنهابدنة فلا ينتفع بها غير أهل الله إلا عند الضرورة المخوف معها الموت.وبعضهم يقول: إن له أن ينتفع بها فيركبها المعيي وينتفع بمنافعها إلى وقتمحلها - مكان نحرها -.والحجة في ذلك أن النبي - صلى الله عليه وسلم - مر برجل يسوق بدنةفأمره - صلى الله عليه وسلم - بركوبها، فقال: إنها بدنة فأمره الثانية وأمره الثالثة، وقال له في الثالثة: اركبها ويحك، فهذا - يجوز أن النبي - صلى الله عليه وسلم - رآه مضطرا في ركوبها من شدةالإعياء، وجائز على ظاهر الحديث أن يكون ركوبها جائزا.ومن أجاز ركوبها والانتفاع بها يقول: ليس له أن يهزلها وينضيها لأنها بدنة.* * *وقوله عز وجل: (ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤)وتقرأ منسكا، والمنسك في هذا الموضع يدل على معنى النحر فكأنهقال جعلنا لكل أمة أن تتقرب بأن تذبح الذبائح لله، ويدل على ذلك قولهتعالى (ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام).المعنى ليذكروا اسم الله على نحر ما رزقهم من بهيمة الأنعام.وقال بعضهم: المنسك الموضع الذي يجب تعهده، وذلك جائز.." (٥)

---

(١) تفسير الطبري ٥٥١/١٦

(٢) تفسير الطبري ٥٥١/١٦

(٣) تفسير الطبري ٥٥١/١٦

(٤) تفسير الطبري ٥٥١/١٦

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج الزجاج ٤٢٦/٣

"ومن قال منسك فمعناه مكان نسك مثل مخلس مكان خلوس.ومن قال منسك فهو بمعنى المصدر نحو النسك والنسوك.وقوله: (فإلهكم إله واحد).أي لا ينبغي أن تذكروا على ذبائحكم إلا الله وحده.وقوله: (وبشر المخبتين).قيل المخبتون المتواضعون، وقيل المخبتون المطمئنون بالإيمان باللهعز وجل، وقيل المخبتون الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا.وكل ذلك جائز.واشتقاقه من الخبت من الأرض وهي المكان المنخفض منها، فكلمخبت متواضع.* * *وقوله عز وجل: (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)(والمقيمي الصلاة).القراءة الخفض وإسقاط التنوين، والخفض على الإضافة، ويجوز:والمقيمين الصلاة، إلا أنه بخلاف المصحف.ويجوز أيضا على بعد والمقيمي الصلاة، على حذف النون ونصب الصلاة لطول الاسم، وأنشد سيبويه:الحافظو عورة العشيرة لا. . . يأتيهم من ورائهم نطفوزعم أنه شاذ.* * *وقوله تعالى: (والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦)النصب أحسن لأن قبله فعلا، المعنى وجعلنا البدن، فنصب بفعل." (١)

"١٣٩٢٩ - عن جابر بن عبد الله: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى للناس يوم النحر، فلما فرغ من خطبته وصلاته دعا بكبش فذبحه هو بنفسه وقال:بسم الله والله أكبر اللهم، هذا عني وعمن لم يضح من أمتي» «١» .١٣٩٣٠ - عن جابر قال: «ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين في يوم عيد فقال حين وجهها: وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا مسلما وما أنا من المشركين ... ، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين. اللهم منك ولك وعن محمد وأمته. ثم سمي الله.وكبر وذبح.» «٢» .١٣٩٣١ - عن مقاتل فله أسلموا يقول: فله أخلصوا «٣» .١٣٩٣٢ - عن مجاهد في قوله: وبشر المخبتين قال: المخبتون، الذين لا يظلمون الناس، وإذا ظلموا لم ينتصروا «٤» .١٣٩٣٣ - عن الضحاك رضى الله عنه وبشر المخبتين قال: المتواضعين «٥» .١٣٩٣٤ - عن السدى رضى الله عنه وبشر المخبتين قال: الوجلين «٦» .قوله تعالى: الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم١٣٩٣٥ - عن مقاتل الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم عند ما يخوفون والصابرين على ما أصابهم من البلاء والمصيبات والمقيمي الصلاة يعني إقامتها بأداء ما استحفظهم الله فيها «٧» .قوله تعالى: والبدن١٣٩٣٦ - عن ابن عمر رضي الله عنه قال: البدنة، ذات الخف «٨» .١٣٩٣٧ - عن ابن عمر رضي الله عنه قال: البدنة ذات البدن من الإبل والبقر «٩» .١٣٩٣٨ - عن مجاهد رضي الله عنه قال: ليس البدن إلا من الإبل «١٠» .________(١) . الدر ٦/ ٤٨- ٤٩.(٢) . الدر ٦/ ٤٨- ٤٩.(٣) . الدر ٦/ ٤٨- ٤٩.(٤) . الدر ٦/ ٤٨- ٤٩.(٥) . الدر ٦/ ٤٨- ٤٩.(٦) . الدر ٦/ ٤٨- ٤٩.(٧) . الدر ٦/ ٤٨- ٤٩.(٨) . الدر ٦/ ٤٩- ٥٠.(٩) . الدر ٦/ ٤٩- ٥٠.(١٠) . الدر ٦/ ٤٩- ٥٠.." (٢)

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج الزجاج ٣/٤٢٧

(٢) تفسير ابن أبي حاتم - محققا الرازي، ابن أبي حاتم ٨/٢٤٩٣

"٤١٦ - حدثنا أبو إسماعيل الترمذي، نا الوليد بن صالح، نا محمد بن مسلم الطائفي، عن عثمان بن عبد الله بن أوس، عن عمه عمرو بن أوس؛ قال في قول الله عز وجل: ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] ؛ قال: الذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لا ينتصرون.." (١)

"٣٠٣١ - حدثنا أحمد، نا جعفر بن محمد، نا الوليد بن صالح؛ قال: حدثنا محمد بن مسلم الطائفي، عن عثمان بن عبد الله بن أوس، عن عمه عمرو بن أوس في قوله عز وجل: ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] ؛ قال: الذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لا ينتصرون.." (٢)

"تمكر علي، واهدني ويسر الهدى لي، وانصرني على من بغى علي، رب اجعلني لك شاكرا، لك ذاكرا، لك أواها، لك مطواعا، لك مخبتا أواها منيبا، رب تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبت حجتي، واهد قلبي، وسدد لساني، واسلل سخيمة قلبي» (رَحِمَهُ اللَّهُ١) . [٥: ١٢]رَحِمَهُ اللَّهُ______________(رَحِمَهُ اللَّهُ١) إسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح، غير طليق بن قيس، وهو ثقة، سفيان: هو الثوري، وعبد الله بن الحارث. هو الزبيدي المعروف بالمكتب، وأخرجه أبو داود (١٥١٠) في الصلاة: باب ما يقول الرجل إذا سلم، عن محمد ابن كثير العبدي، بهذا الإسناد، وصححه الحاكم ٥١٩/١-٥٢٠ ووافقه الذهبي.وأخرجه ابن أبي شيبة ٢٨٠/١٠، وأحمد ٢٢٧/١، والترمذي (٣٥٥١) في الدعوات: باب في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم، والنسائي في، "عمل اليوم والليلة" (٦٠٧) ، وابن ماجة (٣٨٣٠) في الدعاء: باب دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، والبخاري في "الأدب. المفرد" (٦٦٤) و (٦٦٥) ، والبغوي في " شرح السنة " (١٣٧٥) ، من طرق عن سفيان، به، وهو في السنة (٣٨٤) لابن أبي عاصم من طريق سفيان مختصرا، وانظر الحديث بعده. قال الطيبي: المكر: الخداع، وهو من الله تعالى إيقاع بلائه بأعدائه من حيث لا يشعرون، وقوله: "ولا تمكر على" أي: ولا تمكر لأعدائي، وقوله: " إليك مخبتا " من الخبت: وهو المطمئن من الأرض قال الله تعالى. (وأخبتوا إلى ربهم) أي: اطمأنوا إلى ذكره أو سكنت نفوسهم إلى أمره، وقال سبحانه ﴿وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ أي: خافت، فالمخبت: هو الواقف بين الخوف والرجاء، وقيل: خاشعا من الإخبات: وهو الخشوع والتواضع. والأواه: كثير التأوه والبكاء، أي. اجعلني حزينا متوجعا على التفريط، ومنه قوله تعالى ﴿لأواه حليم﴾ والحوبة: الزلة والخطيئة، وقوله: " واسلل سخيمة قلبي " أي: غله وحقده وحسده ونحوها مما ينشأ من الصدر ويسكن في القلب من مساوىء الأخلاق، وسلها: إخراجها، وتنقية القلب منها، من: سل السيف: إذا أخرجه من الغمد "بذل المجهود" ٣٦٥/٧-٣٦٦.." (٣)

---

(١) المجالسة وجواهر العلم الدِّينَوري، أبو بكر ٢٧٢/٢

(٢) المجالسة وجواهر العلم الدِّينَوري، أبو بكر ١٣٤/٧

(٣) صحيح ابن حبان - محققا ابن حبان ٢٢٨/٣

"حمزة والكسائي وعاصم: ثم ليقضوا بجزم اللام وكذلك وليوفوا وليطوفوا وقرأ أبو عمرو الثلاثة كلها بالكسر، بمعنى لام كي. وقرأ ابن كثير بكسر اللام الأولى خاصة. فمن قرأ بالجزم، جعلها أمر الغائب، ومن قرأ بالكسر، جعله خبرا عطفا على قوله: يذكروا. وقرأ عاصم في رواية أبي بكر وليوفوا بنصب الواو وتشديد الفاء، وقرأ الباقون بالتخفيف من أوفى يوفي، والأول من وفى يوفي، ومعناهما واحد.[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٠ الى ٣١]ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور (٣٠) حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق (٣١)ثم قال عز وجل: ذلك، يعني: هذا الذي ذكر من أمور المناسك. ثم قال: ومن يعظم حرمات الله، يعني: أمر المناسك كلها، فهو خير له عند ربه يعني: أعظم لأجره.وأحلت لكم الأنعام يعني: الإبل والبقر والغنم وغيره. إلا ما يتلى عليكم في التحريم في سورة المائدة. فاجتنبوا الرجس من الأوثان، يعني: اتركوا عبادة الأوثان، فاجتنبوا يعني: اتركوا قول الزور، يعني: الكذب، وهو قولهم: هذا حلال وهذا حرام. ويقال:معناه اتركوا الشرك، ويقال: اتركوا شهادة الزور.ثم قال عز وجل: حنفاء لله، يعني: مخلصين بالتلبية لله تعالى لأن أهل الجاهلية كانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك، إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك. ويقال: إن هذا القول بالزور الذي أمرهم باجتنابه.ثم قال: غير مشركين به، ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء، أي: وقع من السماء، فتخطفه الطير، يعني: تختلسه الطير، أو تهوي به الريح، يعني: تذهب به الريح في مكان سحيق، أي: بعيد، فكذلك الكافر في البعد من الله عز وجل. ويقال: معناه من يشرك بالله فقد ذهب أصله. وقال الزجاج: الخطف هو أخذ الشيء بسرعة، فهذا مثل ضربه الله عز وجل للكافرين في بعدهم من الحق، فأخبر أن بعد من أشرك من الحق، كبعد من خر من السماء، فذهبت به الطير، وهوت به الريح في مكان سحيق، يعني: بعيد. قرأ نافع:فتخطفه الطير بنصب الخاء والتشديد، وقرأ الباقون بالجزم والتخفيف من خطف. ومن قرأ بالتشديد، فلأن أصله: فتختطفه فأدغم التاء في الطاء، وألقيت حركة التاء على الخاء.[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٢ الى ٣٥]ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)." (١)

"ثم قال عز وجل: ذلك يقول: هذا الذي أمر من اجتناب الأوثان. ومن يعظم شعائر الله، يعني: البدن، فيذبح أعظمها وأسمنها. وروي عن ابن عباس أنه قال: «تعظيمها استعظامها، وأيضا استسمانها واستحسانها» . ثم قال: فإنها من تقوى القلوب، يعني: من إخلاص القلوب، ويقال: من صفاء القلوب، وشعائر الله: معالم الله ودينه، التي ندب إلى القيام بها وواحدها: شعيرة.قوله عز وجل: لكم فيها منافع، يعني: في البدن. وقال مجاهد: يعني: في ركوبها وشرب ألبانها وأوبارها. إلى أجل مسمى، يعني: إلى أجل مسمى بدنا، فمحلها إلى البيت العتيق. وروي عن ابن عباس نحو هذا، وقد قول بعض الناس: إنه يجوز ركوب البدن، وقال أهل العراق: لا يجوز إلا عند الضرورة، ويضمن ما نقصها الركوب، وهذا

---

(١) تفسير السمرقندي = بحر العلوم أبو الليث السمرقندي ٤٥٨/٢

القول أحوط الوجهين. ثم محلها يعني: منحرها إلى البيت العتيق، يعني: في الحرم. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «جميع فجاج مكة منحر» .ثم قال عز وجل: ولكل أمة، يعني: لكل أهل دين، ويقال: لكل قوم من المؤمنين فيما خلا، جعلنا منسكا يعني: ذبحا لهراقة دمائهم. ويقال: مذبحا يذبحون فيه. قال الزجاج: معناه، جعلنا لكل أمة أن تتقرب بأن تذبح الذبائح لله تعالى. قرأ حمزة والكسائي منسكا بكسر السين، وقرأ الباقون بالنصب. فمن قرأ بالكسر، يعني: مكان النسك. ومن قرأ بالنصب، فعلى المصدر. وقال أبو عبيد: قراءتنا هي بالنصب لفخامتها.ثم قال: ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام، يعني: يذكرون اسم الله تعالى عند الذبح. فإلهكم إله واحد، أي ربكم رب واحد. فله أسلموا، أي: أخلصوا بالتسمية عند الذبيحة وفي التلبية. وبشر المخبتين، أي: المخلصين بالجنة. ويقال:المجتهدين في العبادة والسكون فيها. قال قتادة: المختبون المتواضعون. وقال الزجاج: أصله من الخبت من الأرض، وهو المكان المنخفض. ويقال: المخبت الذي فيه الخصال التي ذكرها الله بعده، وهو قوله عز وجل: الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم، يعني: خافت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم من أمر الله من المرازي والمصائب والمقيمي الصلاة يعني:يقيمونها بمواقيتها، ومما رزقناهم ينفقون يعني: يتصدقون وينفقون في الطاعة. ثم ذكر البدن، يعني: ينحرون البدن. فهذه الخصال الخمسة صفة المخبتين.." (١)

"٦٣٠ - أخبركم أبو الفضل الزهري، نا عبد الله بن سليمان بن الأشعث قراءة عليه، نا محمد بن المصفى، نا يحيى بن سعيد العطار، نا يزيد بن عطاء، عن علقمة بن مرثد، قال: انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين، منهم: عامر بن عبد الله، وأويس القرني، وهرم بن حيان، والربيع بن خثيم، وأبو مسلم الخولاني، والأسود بن يزيد، ومسروق بن الأجدع، والحسن بن أبي الحسن البصري، رضوان الله عليهم. فأما عامر بن عبد الله، إن كان ليصلي، فيتمثل له إبليس في صورة الحية، فيدخل تحت قميصه حتى يخرج من جيبه فما يمسه، فقلت له: ألا تنحي الحية عنك؟ قال: أستحي من الله عز وجل أن أخاف سواه، فقيل له: إن الجنة تدرك بدون ما تصنع، وتتقى النار بدون ما تصنع، فقال: والله لأجهدن، فإن نجوت فبرحمة الله عز وجل، وإن دخلت النار فلبعد جهدي، فلما احتضر بكى، فقيل له: أتجزع من الموت، وتبكي، قال: مالي لا أبكي، ومن أحق بذلك مني، والله ما -[٥٨١]- أبكي جزعا من الموت ولا حرصا على دنياكم رغبة فيها، ولكني أبكي على ظمأ الهواجر وقيام ليل الشتاء، وكان يقول: ألهى في الدنيا الهموم والأحزان، وفي الآخرة الحساب والعذاب، فأين الروح والفرج. وأما الربيع بن خثيم، فقيل له حين أصابه الفالج: لو تداويت، قال: قد علمت أن الدواء حق، ولكني ذكرت: ﴿وعادا وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا﴾ [الفرقان: ٣٨]، وكانت فيهم الأوجاع وكانت فيهم الأطباء، فما بقي المداوي والمداوى، وقال غيره: لا الناعت ولا المنعوت له، وقيل له: ألا تذكر الناس، قال: ما أنا عن نفسي براض، فأتفرغ من ذمها إلى ذم الناس، إن الناس خافوا الله عز وجل، في ذنوب الناس وأصروا على ذنوبهم، قال: فقيل له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحنا ضعفاء مذنبين، نأكل أرزاقنا وننتظر آجالنا قال: وكان ابن مسعود إذا رآه قال: ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤]. أما لو رآك محمد صلى الله عليه وسلم لأحبك، وكان الربيع بن خثيم يقول: أما

---

(١) تفسير السمرقندي = بحر العلوم أبو الليث السمرقندي ٤٥٩/٢

بعد: فأعد زادك، وخذ في جهازك، وكن وصي نفسك. وأما أبو مسلم الخولاني، فلم يجالس أحدا قط فتكلم في شيء من أمر الدنيا، إلا تحول عنه، فدخل ذات يوم المسجد، فنظر إلى قوم قد اجتمعوا، فرجى أن يكونوا على ذكر وخير، فجلس إليهم، فإذا بعضهم يقول: قدم غلام لي فأصاب كذا وكذا، وقال الآخر: جهزت غلامي، فنظر إليهم فقال: سبحان الله أتدرون ما مثلي ومثلكم، كرجل أصابه مطر غزير وابل، فالتفت فإذا هو بمصراعين عظيمين فقال: لو دخلت -[٥٨٢]- هذا حتى يذهب عني هذا المطر، فدخل فإذا البيت لا سقف له، جلست إليكم وأنا أرجو أن تكونوا على خير، فإذا أنتم أصحاب دنيا. قال له قائل حين كبر ورق: لو قصرت عن بعض ما تصنع، فقال: أرأيتم لو أرسلتم الخيل في الحلبة، ألستم تقولون لفارسها: ودعها وأرفق بها حتى إذا رأيت الغاية، فلا تستبق منه شيئا، قالوا: بلى، قال: فإني قد أبصرت الغاية، وإن لكل ساع غاية، وغاية كل شيء الموت، فسابق ومسبوق. وأما الأسود بن يزيد، فكان مجاهدا في العبادة، ويصوم حتى يصفر جسده، ويخضر، فكان علقمة بن قيس يقول له: لم تعذب هذا الجسد هذا العذاب، فيقول: إن الأمر جد، كرامة هذا الجسد أريد، فلما احتضر، بكى، فقيل له: ما هذا الجزع قال: مالي لا أجزع، ومن أحق بذلك مني، والله لو أتيت بالمغفرة من الله، لهمني الحياء منه مما صنعت، إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير، فيعفو عنه فلا يزال مستحيا منه حتى يموت، ولقد حج ثمانين حجة. وأما مسروق بن الأجدع، فإن امرأته قالت: ما كان يوجد إلا وساقيه قد انتفختا من طول الصلاة، قالت: وإن كنت والله لأجلس خلفه فأبكي رحمة له، فلما احتضر بكى، فقيل له: ما هذا الجزع؟ فقال: ومالي لا أجزع وإنما هي ساعة، ثم لا أدري أين يسلك بي. وأما الحسن بن أبي الحسن، فما رأيت أحدا من الناس كان أطول حزنا منه، ما كنا نرى إلا أنه حديث عهد بمصيبة، ثم قال: نضحك ولا ندري لعل الله تعالى اطلع على بعض أعمالنا فقال: لا أقبل منكم شيئا، ويحك يا ابن آدم، هل لك بمحاربة الله من طاقة، إنه من عصى الله تعالى، فقد حاربه، والله لقد أدركت سبعين بدريا أكثر لباسهم -[٥٨٣]- الصوف، ولو رأيتموهم، لقلتم: مجانين، ولو رأوا خياركم، لقالوا: ما لهؤلاء عند الله من خلاق، ولو رأوا شراركم لقالوا: ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب، ولقد رأيت إخوانا كانت الدنيا أهون على أحدهم من التراب تحت قدمه، ولقد رأيت أقواما عسى أن لا يجد أحدهم عشاء ولا قوتا، فيقول: والله، لا أجعل هذا كله في بطني، لأجعلن بعضه لله عز وجل، فيتصدق ببعضه، وإن كان هو أحوج ممن تصدق به عليه. قال علقمة بن مرثد: فلما قدم عمر بن هبيرة العراق، أرسل إلى الحسن وإلى الشعبي رضي الله عنهما، فأمر لهما ببيت كانا فيه شهرا، أو نحوه، ثم إن الخصي غدا عليهما فقال: إن الأمير داخل عليكما، فجاء عمر يتوكأ على عصا له، فسلم، ثم جلس تعظيما لهما فقال: إن أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك، يكتب إلي كتبا، أعرف أن في إنفاذها الهلكة، فإن أطعته عصيت الله، وإن عصيته أطعت الله تعالى، فهل تريان لي في متابعتي إياه فرجا؟ فقال الحسن: يا أبا عمرو، أجب الأمير، فتكلم الشعبي، فانحط في شأن ابن هبيرة فقال: ما تقول أنت يا أبا سعيد؟ قال: فقال: أيها الأمير، قد قال الشعبي ما قد سمعت، -[٥٨٤]- قال: ما تقول أنت؟ قال: أقول: يا عمر بن هبيرة، يوشك أن ينزل بك ملك من ملائكة الله عز وجل، فظا غليظا لا يعصي الله ما أمره، فيخرجك من سعة قصرك، فصرت في ضيق قبرك، يا عمر بن هبيرة، إن تتقي الله عز وجل يعصمك من يزيد بن عبد الملك، ولن يعصمك يزيد بن عبد الملك من الله، يا عمر بن هبيرة، لا تأمن أن ينظر الله إلى قبح ما تعمل في طاعة يزيد بن عبد الملك، نظرة مقت، فيغلق بها باب المغفرة دونك، يا عمر بن هبيرة، لقد

أدركت ناسا من صدر هذه الأمة كانوا - والله - على الدنيا وهي مقبلة أشد إدبارا من إقبالكم عليها وهي مدبرة، يا عمر بن هبيرة، إني أخوفك مقاما خوفكه الله سبحانه وتعالى فقال: ﴿ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد﴾ [إبراهيم: ١٤]، يا عمر بن هبيرة، إن تك مع الله عز وجل على طاعته، كفاك الله - والله - يزيد بن عبد الملك، وإن تك مع يزيد بن عبد الملك على معاصي الله عز وجل، وكلك الله عز وجل إليه، فبكى عمر بن هبيرة، وقام بعبرته، فلما كان من الغد أرسل إليهما بإذنهما، وجوائزهما، فكثر فيها للحسن، وكان في جائزة الشعبي بعض الإقتار، فخرج الشعبي إلى المسجد فقال: يا معشر الناس من استطاع أن يؤثر الله عز وجل على خلقه فليفعل، فوالذي نفسي بيده، ما علم الحسن منه شيئا فجهلته، ولكني أردت وجه ابن هبيرة، فأقصاني الله تعالى منه، وكان الحسن رضي الله عنه، مع الله في طاعته، فحياه وأدناه. قال: فقام المغيرة بن مخادش ذات يوم إلى الحسن فقال: كيف نصنع بمجالسة قوم يخوفونا حتى تكاد قلوبنا تطير؟، فقال الحسن: -[٥٨٥]- والله لأن تصحب أقواما يخوفونك، حتى تدرك أمنا خير لك من أن تصحب أقواما يؤمنونك حتى تلحقك المخاوف، فقال له بعض القوم: أخبرنا بصفة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فبكى، ثم قال: ظهرت منهم علامات الخير في السر والسمت والصدق، وحسنت علانيتهم بالاقتصاد، وممشاهم بالتواضع ومطلعهم بالفصل، وطيب مطعمهم ومشربهم بالطيب من الرزق، وبصرهم بالطاعة، واستعدادهم للحق فيما أحبوا وكرهوا، وإعطاؤهم الحق من أنفسهم للعدو والصديق، وبحفظهم في المنطق مخافة الوزر، ومسارعتهم في الخير رجاء الأجر، والاجتهاد لله تعالى، ومزاحاتهم، وكانوا أوصياء أنفسهم، ظمئت هواجرهم، وكلت أجسامهم لله عز وجل، واستحبوا سخط المخلوقين برضا خالقهم، لم يفرطوا في غضب ولم يخوضوا في جور، ولم يجاوزوا حكم الله تعالى في القرآن، فشغلوا الألسن بالذكر، بذلوا لله تعالى دماءهم حين اشتراهم، وبذلوا لله أموالهم حين استقرضهم، لم يكن خوفهم من المخلوقين، حسنت أخلاقهم وهانت مؤنتهم، كفاهم اليسير من دنياهم إلى آخرتهم. وأما أويس القرني، وهرم بن حيان، فإن أهله ظنوا أنه مجنون، فبنوا له بيتا عند باب دارهم، فكانت تأتي عليه السنة والسنتان لا يرون له وجها، فكان طعامه ما يلتقط من النوى، فإذا أمسى باعه لإفطاره، وإذا أصاب حشفة حبسها لإفطاره، فلما ولي عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، قال: أيها الناس، قوموا بالموسم، فقاموا فقال: ألا اجلسوا إلا من كان من أهل الكوفة، فجلسوا فقال: ألا اجلسوا إلا من كان من أهل اليمن، فجلسوا فقال: ألا اجلسوا إلا من كان من مراد، -[٥٨٦]- فجلسوا فقال: ألا اجلسوا إلا من كان من قرن، فجلسوا إلا رجل، وكان ابن عم أويس بن أنس فقال له عمر: أقرني أنت؟ قال: نعم، فقال: تعرف أويسا؟ فقال: وما تسأل عن ذلك، يا أمير المؤمنين، فوالله، ما فينا أحمق منه، ولا أجن منه، ولا أحوج منه، فبكى عمر، ثم قال: سمعت رسول الله صلوات الله عليه وسلم يقول: «يدخل الجنة بشفاعة رجل منكم مثل ربيعة ومضر». قال هرم بن حيان: فلما بلغني ذلك قدمت الكوفة، فلم يكن لي هم إلا طلبه، حتى سقطت عليه وهو جالس على شاطئ الفرات نصف النهار يتوضأ، فعرفته بالنعت الذي نعت لي، فإذا هو رجل لحيم آدم شديد الأدمة أشعر محلوق الرأس، مهيب المنظر، وزاد غيره قال: كان رجلا أشهل أصهب عريض ما بين المنكبين وفي عنقه اليسرى وضح، وضارب بلحيته على صدره، ناصب بصره، فسلمت عليه، فرد علي، فنظر إلي ومددت يدي لأصافحه فأبى أن يصافحني، فقلت: يرحمك الله يا أويس -[٥٨٧]- وغفر لك، رحمك الله، كيف أنت، رحمك الله، ثم خنقتني العبرة من حبي إياه، ورقتي عليه، لما رأيت من حالته، حتى بكيت

وبكى قال: وأنت حياك الله يا هرم بن حيان، كيف أنت يا أخي من دلك علي؟ فقلت: الله عز وجل، فقال: لا إله إلا الله، ﴿سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا﴾ [الإسراء: ١٠٨]، فقلت له: من أين عرفت اسمي واسم أبي، وما رأيتك قبل اليوم قال: أنبأني العليم الخبير، عرفت روحي روحك حين كلمت نفسي نفسك، إن الأرواح لها أنفاس كأنفاس الأجساد، وإن المؤمنين يعرف بعضهم بعضا، ويتحابون بروح الله تعالى، ولو لم يلتقوا ويتعارفوا، وإن نأت بهم الدار، وتفرقت بهم المنازل، فقلت: حدثني، يرحمك الله، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني لم أر رسول الله، ولم يكن لي معه صحبة، بأبي وأمي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن قد رأيت رجالا قد أدركوه، ولست أحب أن أفتح هذا الباب على نفسي أن أكون محدثا، أو قاصا، أو مفتيا، في نفسي شغل عن الناس، فقلت: أي أخي، اقرأ علي آيات من كتاب الله عز وجل، أسمعها منك، أو أوصني بوصية أحفظها عنك، فإني أحبك في الله عز وجل، قال: فأخذ بيدي، ثم قال: أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم قال ربي وأحق القول، قول ربي، وأصدق الحديث حديث ربي عز وجل، ثم قرأ: ﴿وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين، ما خلقناهما إلا بالحق﴾ [الدخان: ٣٩] إلى قوله: ﴿العزيز الرحيم﴾ [الدخان: ٤٢]، فشهق شهقة، فنظرت إليه وأنا أحسبه قد غشي عليه قال: يا ابن حيان، مات أبوك، يا ابن حيان، ويوشك أن تموت فإما إلى الجنة، وإما إلى النار، ومات أبوك -[٥٨٨]- آدم عليه السلام، وماتت أمك حواء، يا ابن حيان، ومات نوح نبي الله صلى الله عليه وسلم، ومات إبراهيم خليل الله، مات موسى نجي الرحمن، ومات داود خليفة الرحمن، ومات محمد صلوات الله عليه وعليهم، ومات أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومات أخي وصديقي عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، فقلت: يرحمك الله، إن عمر لم يمت، قال: بلى، قد نعاه ربي إلى نفسي، وأنا وأنت في الموتى، ثم صلى على النبي صلوات الله عليه وسلم، ودعا بدعوات خفاف، ثم قال: هذه وصيتي إياك، كتاب الله عز وجل، ونعي المرسلين، ونعي صالح المؤمنين، فعليك بذكر الموت، فلا يفارق قلبك طرفة عين ما بقيت، وأنذر قومك إذا رجعت إليهم، وانصح الأمة جميعا، وإياك أن تفارق الجماعة، فتفارق دينك وأنت لا تعلم، فتدخل النار، وادع لي في نفسك، ثم قال: اللهم إن هذا زعم أنه يحبني فيك، وزارني فيك، فعرفني وجهه في الجنة، وأدخله علي في دارك، دار السلام، واحفظه ما دام في الدنيا حيا، وأرضه من الدنيا باليسير، واجعله لما أعطيته من نعمك من الشاكرين، واجزه عني خيرا، ثم قال: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، لا أراك بعد اليوم، رحمك الله، فإني أكره الشهرة، والوحدة أعجب إلي لأني كثير الغم ما دمت مع هؤلاء الناس حيا، فلا تطلبني، ولا تسأل عني، واعلم أنك مني على بال، وإن لم أرك وتراني، فاذكرني وادعو لي، فإني سأدعو لك، وأذكرك، إن شاء الله، انطلق أنت هاهنا حتى آخذ أنا هاهنا، فحرجت عليه أن أمشي معه ساعة، -[٥٨٩]- فأبى علي، ففارقته أبكي ويبكي، فجعلت أنظر في قفاه حتى دخل في بعض السكك، ثم سألت عنه بعد ذلك، وطلبته فما رأيت أحدا يخبرني عنه بشيء، رحمه الله وغفر له، وما أتت علي جمعة إلا وأنا أراه في منامي مرة أو مرتين رحمة الله عليه"." (١)

---

(١) حديث أبي الفضل الزهري أبو الفضل الزهري ص/٥٨٠

"١١٨٨ - حدثنا علي، ثنا الحسن بن سفيان، ثنا محمود بن خالد قال: سمعت أبي يقول: " ما قرأت هذه الآية ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] إلا ذكرت سعيد بن جبير "." (١)

"٢٨٨ - حدثنا الحسن بن محمد بن عثمان الفارسي، بالبصرة، ثنا يعقوب بن سفيان، ثنا زكريا بن نافع الأرسوفي، ثنا محمد بن مسلم، عن عثمان بن عبد الله بن أوس، عن عمرو بن أوس، في قوله: ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] قال: «الذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لم ينتصروا»." (٢)

"﴿ولكل أمة﴾ (ولكل قوم) ﴿جعلنا منسكا﴾ قال قتادة: يعني: حجا وذبحا. ﴿وبشر المخبتين﴾ يعني: الخاشعين.قال محمد: واشتقاق الكلمة من: الخبت؛ وهو المكان المنخفض من الأرض.." (٣)

"أن لا تشرك يعني أمرناه وعهدنا إليه أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين يعني المصلين والركع السجود.[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٢٧ الى ٣٧]وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق (٢٧) ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير (٢٨) ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق (٢٩) ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور (٣٠) حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق (٣١)ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦)لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧)وأذن يعني وعهدنا إلى إبراهيم ايضا أن أذن أي أعلم وناد في الناس بالحج.فقال إبراهيم: يا رب وما يبلغ صوتي؟ فقال: عليك الأذان وعلي البلاغ، فقام إبراهيم على المقام وقيل: على جبل أبي قبيس ونادى: يا أيها الناس ألا إن ربكم قد بنى بيتا فحجوه، فأسمع الله ذلك من في أصلاب الرجال وأرحام النساء، وما بين المشرق والمغرب والبر والبحر ممن سبق في علم الله سبحانه أن يحج إلى يوم القيامة، فأجابه: لبيك اللهم لبيك.وقال ابن عباس: عنى بالناس في هذه الآية أهل القبلة وزعم الحسن أن قوله تعالى وأذن في الناس بالحج كلام مستأنف، وأن المأمور بهذا التأذين محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، أمر أن يفعل ذلك في حجة الوداع.يأتوك رجالا

---

(١) معجم ابن المقرئ ابن المقرئ ص/٣٦١

(٢) الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك لابن شاهين ابن شاهين ص/٩١

(٣) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ابن أبي زَمَنِين ٣/١٨٠

مشاة على أرجلهم جمع راجل مثل قائم وقيام وصائم وصيام.وعلى كل ضامر أي وركبانا، والضامر البعير المهزول، وإنما جمع يأتين لمكان كل، أراد النوق من كل فج عميق طريق بعيد.سمعت أبا الحسن محمد بن القاسم الفقيه يقول: سمعت أبا القاسم بشر بن محمد بن." (١)

"إلى أجل مسمى وهو أن يسميها هديا ويوجبها، فإذا فعل ذلك لم يكن له من منافعها شيء، هذا قول مجاهد وعطاء والضحاك وقتادة، ورواية مقسم عن ابن عباس، وقيل: معناه:لكم في هذه الهدايا منافع بعد إنجابها وتسميتها هديا بأن تركبوها إذا احتجتم إليها وتشربوا ألبانها إن اضطررتم إليها، إلى أجل مسمى يعني إلى أن تنحر، وهذا قول عطاء بن أبي رباح.وقال بعضهم: أراد بالشعائر المناسك ومشاهد مكة، ومعنى الآية: لكم فيها منافع بالتجارة والأسواق إلى أجل مسمى وهو الخروج من مكة، وهذه رواية أبي ذر عن ابن عباس.وقال بعضهم: لكم فيها منافع بالأجر والثواب في قضاء المناسك وإقامة شعائر الحج إلى أجل مسمى وهو انقضاء أيام الحج.ثم محلها إلى البيت العتيق أي منحرها عند البيت العتيق يعني أرض الحرم كلها، نظيرها قوله سبحانه فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا أي الحرم كله، وقال الذين قالوا: عنى بالشعائر المناسك، معنى الآية: ثم محل الناس من إحرامهم إلى البيت العتيق أن يطوفوا به طواف الزيارة يوم النحر بعد قضاء المناسك.ولكل أمة جماعة مؤمنة سلفت قبلكم جعلنا منسكا اختلف القراء فيه فقرأ أهل الكوفة إلا عاصما بكسر السين في الحرفين على معنى الاسم مثل المجلس والمطلع أي مذبحا موضع قربان، وقرأ الآخرون بفتح السين فيهما على المصدر مثل المدخل والمخرج أي إهراق الدماء وذبح القرابين.ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام عند ذبحها ونحرها، وإنما خص بهيمة الأنعام لأن من البهائم ما ليس من الأنعام كالخيل والبغال والحمير، وإنما قيل بهائم لأنها لا تتكلم.فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين قال ابن عباس وقتادة: المتواضعين، مجاهد: المطمئنين إلى الله سبحانه، الأخفش: الخاشعين، ابن جرير: الخاضعين، عمرو بن أوس: هم الذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لم ينتصروا.الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والبدن أي الإبل العظام الضخام الأجسام، وتخفف وتثقل واحدتها بدنة مثل تمرة وتمر وخشبة وخشب وبادن مثل فاره وفره، والبدن هو الضخم من كل شيء ومنه قيل لامرئ القيس بن النعمان صاحب الخورنق والسدير: البدن لضخمه، وقد بدن الرجل بدنا وبدانة إذا ضخم، فأما إذا أشفى واسترخى قيل: بدن تبدينا.وقال عطاء والسدي: البدن: الإبل والبقر.." (٢)

"وكان ابن مسعود إذا رآه قال: " ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] أما إن محمدا صلى الله عليه وسلم لو رآك لأحبك "." (٣)

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١٨/٧

(٢) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٢٢/٧

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ١٠٧/٢

"حدثنا أبو بكر بن مالك، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: ثنا محمد بن أحمد بن أيوب، ثنا أبو بكر بن عياش، عن عاصم، قال: "كان عبد الله بن مسعود إذا رأى الربيع بن خثيم قال: «وبشر المخبتين». وإذا رأى أبا وائل قال: «التائب»." (١)

"﴿فإلهكم إله واحد فله أسلموا﴾، أي: اخضعوا بالطاعة.﴿وبشر المخبتين﴾.أي: الخاشعين المطمئنين إلى الله، قاله مجاهد.قال ابن عيينة: " المخبتين ": المطئنين.وقال قتادة: المتواضعين.وقيل: المخبتون: الذين لا يظلمون الناس، وإذا ظلموا لم ينتصروا.والخبت في اللغة: المكان المطمئن المنخفض، والزور: الباطل.وقيل: إنه أريد به في هذا الموضع الكذب.وقيل: المخبتين: المخلصين.ثم قال تعالى: ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾.أي: خشعت قلوبهم وجلا من عقابه.قال ابن زيد: وجلت قلوبهم: لا تقسوا ﴿والصابرين على مآ أصابهم﴾ أي: من." (٢)

"﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾ قوله عز وجل: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا﴾ فيه ثلاثة تأويلات: أحدها: يعني حجا ، وهو قول قتادة.." (٣)

"والثاني: ذبحا ، وهو قول مجاهد. والثالث: عيدا ، وهو قول الكلبي والفراء ، والمنسك في كلام العرب هو الموضع المعتاد ، ومنه تسمية مناسك الحج ، لاعتياد مواضعها. ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ فيها وجهان: أحدهما: أنها الهدي، إذا قيل إن المنسك الحج. والثاني: الأضاحي ، إذا قيل إن المنسك العيد. قوله عز وجل: ﴿ ... وبشر المخبتين﴾ فيه تسعة تأويلات: أحدها: المطمئنين إلى ذكر إلههم ، وهو قول مجاهد ، ومنه قوله تعالى: ﴿فتخبت له قلوبهم﴾ [الحج: ٥٤]. والثاني: معناه المتواضعين ، وهو قول قتادة. والثالث: الخاشعين ، وهو قول الحسن. والفرق بين التواضع والخشوع أن التواضع في الأخلاق والخشوع في الأبدان. والرابع: الخائفين ، وهو معنى قول يحيى بن سلام. والخامس: المخلصين ، وهو قول إبراهيم النخعي. والسادس: الرقيقة قلوبهم ، وهو قول الكلبي. والسابع: أنهم المجتهدون في العبادة ، وهو قول الكلبي ومجاهد. والثامن: أنهم الصالحون المطمئنون ، وهو مروي عن مجاهد أيضا. والتاسع: هم الذين لا يظلمون ، وإذا ظلموا لم ينتصروا ، وهو قول الخليل بن أحمد.." (٤)

"٢٤٧-[٢٥٦] كتب إلي أبو الحسن أحمد بن إبراهيم بن علي بن أحمد بن فراس من مكة يخبر أن أبا التريك محمد بن الحسين الأطرابلسي حدثهم بمكة قال: ثنا أبو عتبة أحمد بن الفرج بن سليمان المؤذن الكندي الحجازي قال: ثنا يحيى بن سعيد العطار قال: ثنا يزيد بن عطاء الواسطي عن علقمة بن مرثد الحضرمي قال: انتهى الزهد إلى ثمانية نفر من

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ١٠٢/٤

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٤٨٨٩/٧

(٣) تفسير الماوردي = النكت والعيون الماوردي ٢٤/٤

(٤) تفسير الماوردي = النكت والعيون الماوردي ٢٥/٤

التابعين عامر بن عبد الله القيسي وأويس القرني وهرم بن حيان العبدي والربيع بن خثيم الثوري وأبي مسلم الخولاني والأسود بن يزيد ومسروق [بن] (رحمه الله١) الأجدع والحسن بن أبي الحسن البصريفأما عامر بن عبد الله: إن كان ليصلي فيتمثل له إبليس في صورة الحية فيدخل من تحت قميصه حتى يخرج من جيبه فما يمسه فقيل له ألا تنحى الحية عنك؟ فقال: إني لأستحي من الله أن أخاف سواه فقيل له إن الجنة لتدرك بدون ما تصنع فقال: والله لأجتهدن ثم والله لأجتهدن فإن نجوت فبرحمة الله وإن دخلت النار فلبعد جهدي فلما احتضر بكى فقيل له أتجزع من الموت وتبكي؟ قال: ومالي لا أبكي ومن أحق بالبكاء مني؟ والله ما أبكي جزعا من الموت ولا حرصا على دنياكم رغبة فيها ولكني أبكي على ظمإ الهواجر وقيام ليل الشتاء وكان يقول: إلهي في الدنيا الهموم والأحزان وفي الآخرة الحساب والعذاب فأين الروح والفرح.وأما الربيع بن خثيم: فقيل له حين أصابه الفالج لو تداويت فقال: قد عرفت أن الدواء حق ولكن ذكرت عادا وثمودا وقرونا بين ذلك كثيرا كانت فيهم الأوجاع وكانت فيهم الأطباء فما بقي المداوي ولا المداوى وقال غيره: فلا الناعت بقي ولا المنعوت قال: وقيل له ألا تذكر الناس؟ قال: ما أنا عن نفسي براض فأتفرغ -[١٢٥٣]- من ذمها إلى ذم الناس إن الناس خافوا الله في ذنوب الناس وأمنوا على ذنوبهم قال: وقيل له كيف أصبحت؟ فقال: أصبحنا ضعافا (رحمه الله٢) مذنبين نأكل أرزاقنا وننتظر آجالنا.قال: وكان عبد الله بن مسعود إذا رآه قال: وبشر المخبتين أما إنه لو رآك محمد صلى الله عليه وسلم لأحبك وكان الربيع بن خثيم يقول: أما بعد فأعد زادك وخذ في جهازك وكن وصي نفسك.قال: وأما أبو مسلم الخولاني: فلم يكن يجالس أحدا قط يتكلم بشيء من أمر الدنيا إلا تحول عنه فدخل ذات يوم المسجد فنظر إلى نفر قد اجتمعوا فرجا أن يكونوا على ذكر وخير فجلس إليهم فإذا بعضهم يقول قدم غلام لي فأصاب كذا وكذا وقال الآخر جهزت غلاما لي فنظر إليهم فقال: سبحان الله العظيم أتدرون ما مثلي ومثلكم؟ كمثل رجل أصابه مطر غزير وابل فالتفت فإذا هو بمصراعين عظيمين فقال: لو دخلت هذا البيت حتى يذهب عني [هذا] (رحمه الله٣) المطر فدخل فإذا البيت لا سقف له جلست إليكم وأنا أرجو أن تكونوا على ذكر وخير فإذا أنتم أصحاب دنيا.قال: وقال له قائل حين كبر ورق لو قصرت عن بعض ما تصنع، فقال: أرأيتم لو أرسلتم الخيل ألستم تقولون لفارسها ودعها وارفق بها حتى إذا رأيتم الغاية فلا تستبقوا منها شيئا؟ قالوا: بلى قال: فإني قد أبصرت الغاية وإن لكل شيء غاية وغاية كل ساعي الموت فسابق ومسبوق.وأما الأسود بن يزيد فكان يجتهد في العبادة يصوم حتى يخضر جسده ويصفر وكان علقمة بن قيس يقول له لم تعذب هذا الجسد؟ فيقول: -[١٢٥٤]- إن الأمر جد كرامة هذا الجسد أريد فلما احتضر بكى فقيل له: ما هذا الجزع قال: ومالي لا أجزع ومن أحق بذلك مني والله لو أتيت بالمغفرة من الله لهمني الحياء منه مما قد صنعت إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيعفو عنه ولا يزال مستحيا منه ولقد حج ثمانين حجة.وأما مسروق بن الأجدع فإن امرأته قالت: ما كان يوجد إلا وساقيه قد انتفختا من طول الصلاة قالت: وإن كنت والله لأجلس خلفه فأبكي رحمة له فلما احتضر بكى فقيل له: ما هذا الجزع؟ فقال: ومالي لا أجزع وإنما هي ساعة ثم لا أدري أين يسلك بي طريقان بعد يومي لا أدري إلى الجنة أم إلى النار؟وأما الحسن بن أبي الحسن فما رأيت أحدا من الناس كان أطول حزنا منه ما كنا نراه إلا أنه حديث عهد بمصيبة ثم قال: نضحك ولا ندري لعل الله تعالى اطلع على بعض أعمالنا فقال: لا أقبل منكم شيئا ويحك يا ابن آدم ما لك في محاربة الله من طاقة إنه من عصى الله فقد حاربه والله لقد أدركت سبعين بدريا أكثر ثيابهم

(رَحِمَهُ اللَّهُ٤) الصوف لو رأيتموهم لقلتم: مجانين ولو رأوا خياركم لقالوا: ما لهؤلاء من خلاق ولو رأوا شراركم لقالوا: ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب ولقد رأيت أقواما كانت الدنيا أهون على أحدهم من التراب تحت قدميه ولقد رأيت أقواما عسى أحدهم ألا يجد عشاء إلا قوتا (رَحِمَهُ اللَّهُ٥) فيقول: لا أجعل هذا كله في بطني لأجعلن بعضه لله فيتصدق به وإن كان أجوع ممن يتصدق به عليه.قال علقمة بن مرثد فلما قدم عمر بن هبيرة العراق أرسل إلى الحسن وإلى الشعبي فأمر لهما ببيت فكانا فيه شهرا أو نحوه ثم إن الخصي -[١٢٥٥]- غدا عليهما ذات يوم فقال إن الأمير داخل عليكما يعني فدخل عمر بن هبيرة متوكئ على عصا له فسلم ثم جلس معظما لهما فقال إن الأمير يزيد بن عبد الملك يكتب إلي كتبا أعرف أن في إنفاذها الهلكة فإن أطعته عصيت الله وإن عصيته أطعت الله فما تريا لي في متابعتي إياه فرجا قال الحسن أجب الأمير فتكلم الشعبي فانحط في حبل ابن هبيرة فقال ما تقول أنت يا أبا سعيد فقال أيها الأمير قد قال الشعبي ما قد سمعت قال ما تقول قال أقول يا عمر بن هبيرة يوشك أن ينزل بك ملك من ملائكة الله فظا غليظا لا يعصي الله ما أمره فيخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك يا عمر بن هبيرة إن تعصي الله لا يعصمك من يزيد بن عبد الملك ولن يعصمك يزيد بن عبد الملك من الله يا عمر بن هبيرة لا تأمن أن ينظر الله إليك نظرة مقت على أقبح ما تعمل في طاعة يزيد بن عبد الملك فيغلق بها باب المغفرة دونك يا عمر بن هبيرة لقد أدركت ناسا من صدر هذه الأمة كانوا والله على الدنيا وهي مقبلة أشد إدبارا عليها من إقبالكم عليها وهي مدبرة يا عمر بن هبيرة إني أخوفك مقاما خوفكه الله فقال ﴿ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد﴾ يا عمر بن هبيرة إن تك مع الله في طاعته كفاك بائقة يزيد بن عبد الملك وإن تك مع يزيد بن عبد الملك على معصية الله وكلك إليهقال فبكى ابن هبيرة وقام بعبرته قال: فلما كان من الغد أرسل إليهما بإذنهما وجوائزهما فأكثر فيها للحسن وكان في جائزة الشعبي بعض الإقتار فخرج الشعبي إلى المسجد فقال أيها الناس من استطاع منكم أن يؤثر الله على خلقه فليفعل فوالذي نفسي بيده ما -[١٢٥٦]- علم الحسن منه شيئا فجهلته ولكن أردت وجه ابن هبيرة فأقصاني الله منه فكان الحسن مع الله على طاعته فحباه الله وأدناهقال وقام المغيرة بن مخادش ذات يوم إلى الحسن فقال كيف نصنع بمجالسة أقوام يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير؟ فقال الحسن والله لأن تصحب أقواما يخوفونك حتى يدركك الأمن خير لك من أن تصحب أقواما يؤمنونك حتى تلحقك المخاوف فقال له بعض القوم أخبرنا بصفة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فبكى ثم قال ظهرت منهم علامات بالخير في السيماء والصمت والصدق وآنست علانيتهم بالاقتصاد ومماثلهم بالتواضع ومنطقهم بالعمل ويطيب مطعمهم ومشربهم بالطيب من الرزق وخضوعهم بالطاعة لربهم واستعدادهم للحق فيما أحبوا وكرهوا وإعطائهم الحق من أنفسهم للعدو والصديق وتحفظهم في المنطق مخافة الوزر ومسارعتهم في الخير رجاء الأجر والاجتهاد لله رموا جهازهم في أجسادهم وكانوا أوصياء أنفسهم ظمئت هواجرهم ونحلت أجسامهم واستحقوا سخط المخلوقين برضا الخالق لم يفرطوا في غضب ولم يحيفوا في جور ولا تجاوزوا حكم الله في القرآن شغلوا الألسن بالذكر وبذلوا لله دماءهم حين استنصرهم وبذلوا لله أموالهم حين استقرضهم فلم يكن خوفهم من المخلوقين حسنت أخلاقهم وهانت مؤنتهم فكفى اليسير من دنياهم إلى آخرتهم.وأما أويس القرني فإن أهله ظنوا أنه مجنون فبنوا له بيتا على باب -[١٢٥٧]- دارهم فكان يأتي عليه السنة والسنتان لا يرون له وجها كان طعامه مما يلقط من النوى فإذا أمسى باعه لإفطاره وإن أصاب حشفة خبأها لإفطاره.قال فلما ولي عمر بن الخطاب [رضي الله عنه] قال يا أيها الناس

قوموا بالموسم فقال ألا اجلسوا إلا من كان من أهل اليمن فجلسوا فقال ألا اجلسوا إلا من كان من أهل الكوفة فجلسوا فقال ألا اجلسوا إلا من كان من مراد فجلسوا فقال ألا اجلسوا إلا من كان من قرن فجلسوا إلا رجل وكان عم أويس بن أنيس فقال عمر له أقرني أنت قال نعم قال أتعرف أويس قال وما تسأل عن ذلك يا أمير المؤمنين فوالله ما فينا أحمق منه ولا أجن منه ولا أهوج منه فبكى عمر قال بك لا به سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل الجنة بشفاعته مثل ربيعة ومضرفقال هرم بن حيان العبدي فلما بلغني ذلك قدمت الكوفة فلم يكن لي هم إلا طلبه حتى سقطت عليه جالسا على شاطئ الفرات نصف النهار يتوضأ للصلاة فعرفته بالنعت الذي نعت لي فإذا رجل لحيم آدم شديد الأدمة أشعث محلوق الرأس مهيب المنظر وزاد غيره كان رجل أشهل أصهب عريض ما بين المنكبين وفي كتفه اليسرى وضح ضارب بلحيته على صدره ناصب بصره موضع السجود، قال: فسلمت عليه فرد علي السلام ونظر إلي ومددت يدي إليه لأصافحه فأبى أن يصافحني فقلت يرحمك الله يا أويس وغفر لك كيف أنت رحمك الله وخنقتني العبرة من حبي إياه ورقتي عليه لما رأيت من حاله حتى بكيت وبكى قال وأنت فحياك الله يا هرم بن حيان كيف أنت يا أخي من دلك علي؟ قلت الله قال لا إله إلا الله سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا فقلت له فمن أين عرفت اسمي -[١٢٥٨]- واسم أبي وما رأيتك قبل اليوم ولا رأيتني قال أنبأني بذلك العليم الخبير عرفت روحي روحك حيث كلمت نفسي نفسك إن الأرواح لها أنفاس كأنفاس الأجساد وأن المؤمنين ليعرف بعضهم بعضا ويتحابون بروح الله وإن لم يلتقوا ويتعارفوا وإن نأت بهم الديار وتفرقت بهم المنازل قلت حدثني رحمك الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إني لم أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن لي معه صحبة بأبي وأمي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكني قد رأيت رجالا رأوه ولست أحب أن أفتح هذا الباب على نفسي أن أكون محدثا أو قاصا أو مفتيا في نفسي شغل عن الناس قلت أي أخي اقرأ علي آيات من كتاب الله أسمعها منك وأوصني بوصية أحفظها فإني أحبك في اللهقال فأخذ بيدي ثم قال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم قال ربي وأحق القول قول ربي وأصدق الحديث حديث ربي فقرأ ﴿وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما إلا بالحق﴾ إلى قوله ﴿إنه هو العزيز الرحيم﴾ فشهق شهقة فنظرت إليه وأنا أحسبه قد غشي عليه ثم قال يا هرم بن حيان مات أبوك حيان ويوشك أن تموت أنت فإما إلى الجنة وإما إلى النار ومات أبوك آدم ويوشك أن تموت وماتت أمك حواء يا ابن حيان ومات نوح نبي الله ومات إبراهيم خليل الله ومات موسى نجي الرحمن ومات داود خليفة الرحمن ومات محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين ومات أبو بكر رضي الله عنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات أخي وصديقي عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقلت له إن عمر لم يمت قال بلى قد نعاه إلي ربي ونعى إلي نفسي وأنا -[١٢٥٩]- وأنت من الموتى ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا بدعوات خفاف ثم قال: هذه وصيتي إياك كتاب الله ونعي المرسلين ونعى صالح المؤمنين وعليك بذكر الموت ولا يفارق قلبك طرفة عين ما بقيت فأنذر بها قومك إذا رجعت إليهم وانصح الأمة جميعا وإياك أن تفارق الجماعة فتفارق دينك وأنت لا تعلم فتدخل النار وادع لي ولنفسك ثم قال اللهم إن هذا يزعم أنه يحبني فيك وزارني من أجلك فعرفني وجهه في الجنة وأدخله علي في دارك دار السلام واحفظه ما دام في الدنيا حيا وأرضه باليسير واجعله لما أعطيته من نعمتك من الشاكرين واجزه عني خيرا ثم قال السلام عليك ورحمة الله وبركاته لا أراك بعد اليوم يرحمك الله فإني أكره

الشهرة والوحدة أعجب إلي لأني كثير الغم ما دمت مع هؤلاء الناس حيا ولا تسأل عني ولا تطلبني واعلم أنك مني على بال وإن لم أرك وتراني فادع لي فإني سأدعو لك وأذكرك إن شاء الله انطلق أنت ها هنا حتى آخذ أنا ها هنا فحرصت أن أمشي معه ساعة فأبى علي ففارقته وأنا أبكي وبكى (رَحِمَهُ اللَّهُ٦) فجعلت أنظر في قفاه حتى دخل بعض السكك ثم سألت عنه بعد ذلك وطلبته فما وجدت أحدا يخبرني عنه بشيء رحمه الله وغفر له وما أتت علي جمعة إلا وأنا أراه في منامي مرة أو مرتين.هذا حديث غريب من حديث يزيد بن عطاء الواسطي وهو مولى أبي عوانة من فوق عن علقمة بن مرثد الحضرمي ما نعرفه إلا من حديث يحي بن سعيد العطار الحمصي عنه وقد رواه محمد بن مصفى الحمصي أيضا عن يحي بن سعيد العطار كما رواه أبو عتبة، وقد روي من غير هذا الوجه والله أعلم.رَحِمَهُ اللَّهُ__________(رَحِمَهُ اللَّهُ١) [[من طبعة السلفي]](رَحِمَهُ اللَّهُ٢) [[في طبعة السلفي: ضعفاء]](رَحِمَهُ اللَّهُ٣) [[من طبعة السلفي]](رَحِمَهُ اللَّهُ٤) [[في طبعة السلفي: لباسهم]](رَحِمَهُ اللَّهُ٥) [[من طبعة السلفي، وفي المطبوع: عياله أقواتا]](رَحِمَهُ اللَّهُ٦) [[في طبعة السلفي: ففارقته أبكي ويبكي]]." (١)

"ذلك معناه، ولا يكون الذي يجرى عليه ما يجرى مضطرا إلى ما يجرى. وليس يمكن أن يقال إنه ليس له اختيار «١» ، بل يكون مختارا ولكن سببه عليه مشكل، والعجب من هذا أن العبارة عنه كالبعيد.قوله جل ذكره:[سورة الحج (٢٢) : آية ٣٣]لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣)لكل من تلك الجملة منفعة بقدره وحده «٢» فلأقوام بركات فى دفع البلايا عن نفوسهم وعن أموالهم، ولآخرين فى لذاذات بسطهم، ولآخرين فى حلاوة طاعاتهم، ولآخرين فى أنس أنفاسهم.قوله جل ذكره:[سورة الحج (٢٢) : آية ٣٤]ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤)الشرائع مختلفة فيما كان من المعاملات، متفقة فيما كان من جملة المعارف، ثم هم فيها مختلفون: فقوم هم أصحاب التضعيف «٣» فيما أوجب عليهم وجعل لهم، وقوم هم أصحاب التخفيف فيما ألزموا وفيما وعد لهم. قوله «ليذكروا اسم الله على..» وذكر اسم الله على ما رزقهم على أقسام: منها معرفتهم إنعام الله بذلك عليهم.. وذلك من حيث الشكر، ثم يذكرون اسمه على ما رفقهم لمعرفته بأنه هو الذي يتقبل منهم وهو الذي يثيبهم.قوله جل ذكره: فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين.أي استسلموا لحكمه بلا تعبيس ولا استكراه من داخل القلب.__________(١) هذه وجهة نظر باحث صوفى فيما يشغل المتكلمين عن الجبر والاختيار.(٢) أي بحسب ماله من قدر وهمة، وما هو واقف عنده من حد ورتبة.(٣) أصحاب التضعيف أي أصحاب التشدد الذين يأبون اتباع الرخص، لأن الرخص لا تكون إلا لأرباب الحوائج والأشغال وهؤلاء لا حاجة ولا شغل لهم إلا بالحق.." (٢)

"والإسلام «١» يكون بمعنى الإخلاص، والإخلاص تصفية الأعمال من الآفات، ثم تصفية الأخلاق من الكدورات، ثم تصفية الأحوال، ثم تصفية الأنفاس. «وبشر المخبتين» :الإخبات استدامة الطاعة بشرط الاستقامة بقدر

---

(١) فوائد الحنائي = الحنائيات أبو القاسم الحنائي ١٢٥٢/٢

(٢) لطائف الإشارات = تفسير القشيري القشيري، عبد الكريم ٥٤٣/٢

الاستطاعة. ومن أمارات الإخبات كمال الخضوع بشرط دوام الخشوع، وذلك بإطراق السريرة.قوله جل ذكره:[سورة الحج (٢٢) : آية ٣٥]الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)الوجل الخوف من المخافة، والوجل عند الذكر على أقسام: إما لخوف عقوبة ستحصل أو لمخافة عاقبة بالسوء تختم، أو لخروج من الدنيا على غفلة من غير استعداد للموت، أو لإصلاح أهبة، أو حياء من الله سبحانه فى أمور إذا ذكر اطلاعه- سبحانه- عليها لما بدرت منه تلك الأمور التي هى غير محبوبة.ويقال الوجل على حسب تجلى الحق للقلب فإن القلوب فى حال المطالعة والتجلي تكون بوصف الوجل والهيبة.ويقال وجل له سبب ووجل بلا سبب فالأول مخافة من تقصير، والثاني معدود فى جملة الهيبة «٢» .ويقال الوجل خوف المكر والاستدراج، وأقربهم من الله قلبا أكثرهم من الله- على هذا الوجه- خوفا.قوله جل ذكره: والصابرين على ما أصابهم.أي خامدين تحت جريان الحكم من غير استكراه ولا تمنى خرجة، ولا روم فرجة بل يستسلم طوعا:______________(١) هكذا فى م ولكنها فى ص (السلام) والصواب الأولى ففى الآية (أسلموا) .(٢) فالخوف إذن أدنى منزلة من الهيبة، والترتيب هكذا: الخوف والرجاء ثم القبض والبسط ثم الهيبة والأنس (الرسالة ص ٣٥ وص ٣٦) .." (١)

"والأعظم، ﴿فإنها من تقوى القلوب﴾ [الحج: ٣٢] أي: فبان تعظيمها، ثم حذف المضاف لدلالة يعظم على التعظيم، وأضاف التقوى إلى القلوب، لأن حقيقة التقوى تقوى القلوب.قوله: لكم فيها في الشعائر، منافع بركوبها وشرب لبنها إن احتاج إليه، ﴿إلى أجل مسمى﴾ [الحج: ٣٣] إلى أن ينحر، فهذا قول عطاء بن أبي رباح، ومذهب الشافعي، وعنده أن المهدي لو ركب هدية ركوبا غير فادح فلا بأس، والأكثرون من المفسرين يذهبون إلى أن المنافع من رسلها ونسلها وركوب ظهرها وأصوافها وأدبارها، إنما يكون قبل أن يسميها هديا، فإذا سماها هديا انقطعت المنافع بعد ذلك.وهو قوله: ﴿إلى أجل مسمى﴾ [الحج: ٣٣] وبعد أن سميت هديا لا ينتفع بها غير أهل الله، والقول هو الأول لقوله تعالى: ﴿لكم فيها منافع﴾ [الحج: ٣٣] أي: في الشعائر، وقبل إيجابها لا تسمى شعائر، ولما روى أبو هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يسوق بدنة، فقال: «اركبها» .فقال: إنها بدنة.فقال: «اركبها ويحك» ، أو «ويلك» .وقوله: ثم محلها أي: حيث يحل نحرها، ﴿إلى البيت العتيق﴾ [الحج: ٣٣] يعني: عند البيت، وهو الحرم كله.﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين ﴿٣٤﴾ الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ﴿٣٥﴾ ﴾ [الحج: ٣٤-٣٥] قوله: ولكل أمة أي: جماعة مؤمنة، يعني: من الذين سلفوا، جعلنا منسكا المنسك ههنا مصدر من نسك ينسك إذا ذبح القربان، قال مجاهد: يريد إراقة الدماء.وقال عكرمة، ومقاتل: يعني ذبح.وقرأ حمزة بكسر السين، والفتح أولى، لأن المصدر من هذا الباب بفتح العين، والمعنى: جعلنا لكل أمة أن يتقرب إلى الله بأن تذبح الذبائح، ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم﴾ [الحج: ٣٤] أي: على نحر ما رزقهم، ﴿من بهيمة الأنعام﴾ [الحج: ٣٤] وبهيمة غير الأنعام لا يحل ذبحها، ولا التقرب بها، والآية دالة على أن الذبائح ليست من خصائص هذه الأمة، وأن

---

(١) لطائف الإشارات = تفسير القشيري القشيري، عبد الكريم ٥٤٤/٢

التسمية على الذبائح كانت مشروعة قبلنا، وقوله: ﴿فإلهكم إله واحد﴾ [الحج: ٣٤] أي: لا ينبغي أن تذكروا على ذبائحكم إلا الله وحده، فله أسلموا انقادوا وأطيعوا، وبشر المخبتين المتواضعين المطمئنين إلى الله.﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ [الحج: ٣٥] إذا خوفوا بالله خافوا، ﴿والصابرين على ما أصابهم﴾ [الحج: ٣٥] من البلاء والمصائب في طاعة الله، والمقيمين الصلاة في أوقاتها، يؤدونها كما استحفظهم الله، ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ [الحج: ٣٥] قال ابن عباس: يتصدقون من الواجب وغيره.قوله: ﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون﴾ [الحج: ٣٦]." (١)

"كانت لكل أمة، وعلى أن الضحايا لم تزل من الأنعام، وأن التسمية على الذبح كانت مشروعة.قوله تعالى: ﴿فإلهكم إله واحد﴾ قال أبو إسحاق: أي لا ينبغي أن تذكروا على ذبائحكم (رَحِمَهُ اللَّهُ١) إلا الله وحده (رَحِمَهُ اللَّهُ٢).وقوله ﴿أسلموا﴾ أي: انقادوا وأطيعوا. وقال ابن عباس: أخلصوا (رَحِمَهُ اللَّهُ٣).وقوله: ﴿وبشر المخبتين﴾ قال ابن عباس، وقتادة، والضحاك: المتواضعين (رَحِمَهُ اللَّهُ٤). وقال مجاهد: المطمئنين إلى الله سبحانه (رَحِمَهُ اللَّهُ٥). وقال الأخفش: الخاشعين (رَحِمَهُ اللَّهُ٦). وقال ابن جرير: الخاضعين (رَحِمَهُ اللَّهُ٧).رَحِمَهُ اللَّهُ_______________(رَحِمَهُ اللَّهُ١) في (أ): (ذبائحهم).(رَحِمَهُ اللَّهُ٢) "معاني القرآن" للزجاج ٣/ ٤٢٧.(رَحِمَهُ اللَّهُ٣) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" ٦/ ٤٨ عن مقاتل بن حيان، وعزاه لابن أبي حاتم.(رَحِمَهُ اللَّهُ٤) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ٣/ ٥٢ ب عن ابن عباس وقتادة.ورواه عبد الرزاق في "تفسيره" ٢/ ٣٨ والطبري ١٧/ ١٦١ عن قتادة.ورواه ابن أبي شيبة في "مصنفه" ١٣/ ٥٨٠ عن الضحاك، وذكره السيوطي في "الدر المنثور" ٦/ ٤٩ عنه وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.(رَحِمَهُ اللَّهُ٥) ذكره عنه بهذا اللفظ الثعلبي في "الكشف والبيان" ٣/ ٥٢ ب.ورواه الطبري ١٧/ ١٦١ مقتصرا على أدلة. وذكره السيوطي في "الدر المنثور" ٦/ ٤٨ بمثل رواية الطبري وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.(رَحِمَهُ اللَّهُ٦) ذكره عنه الثعلبي في "الكشف والبيان" ٣/ ٥٢ ب. ولم أجده في كتابه "معاني القرآن".(رَحِمَهُ اللَّهُ٧) قوله في "تفسيره" ١٧/ ١٦١ بأطول من هذا حيث قال: الخاضعين لله بالطاعة، المذعنيق له بالعبودية، المنيبين إليه بالتوبة.." (٢)

"﴿ولكل أمة﴾ جماعة سلفت قبلكم ﴿جعلنا منسكا﴾ ذبحا للقرابين ﴿ليذكروا اسم الله﴾ عند الذبح ﴿على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ يعني: الأنعام ﴿فإلهكم إله واحد﴾ أي: لا تذكروا على ذبائحكم إلا الله وحده ﴿فله أسلموا﴾ أخلصوا العبادة ﴿وبشر المخبتين﴾ المتواضعين." (٣)

"﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) والبدن جعلناها لكم من﴾

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٢٧١/٣

(٢) التفسير البسيط الواحدي ٤٠٠/١٥

(٣) الوجيز للواحدي الواحدي ص/٧٣٤

مذبحا، ويقال: متعبدا.وقوله: ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ يعني: ليذكروا اسم الله تعالى على نحر ما رزقهم الله من بهيمة الأنعام.وقوله: ﴿فإلهكم إله واحد﴾ يعني: سموا على الذبائح اسم الله تعالى وحده، فإن إلهكم إله واحد.وقوله: ﴿فله أسلموا﴾ أي: فله أخلصوا.وقوله: ﴿وبشر المخبتين﴾ فيه أقوال: أحدها: أنه بمعنى المتواضعين، وقال إبراهيم النخعي: بمعنى المخلصين، وقال غيره: بمعنى الصالحين، ويقال: بمعنى المسلمين، وعن عمرو بن أوس قال: هم الذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لم ينتصروا، وذكر الكلبي أن المخبتين هم الرقيقة قلوبهم، والخبت هو المكان المطمئن من الأرض، قال امرؤ القيس شعرا:(فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى ... بنا بطن خبت ذي خفاف عقنقل)." (١)

"وبعد ذلك يجب أن نبين ما يجوز في النسخ وما لا يجوز، وقد علم أن النسخ لا يصح إلا في التعبد الذي هو الأمر والنهي دون الإخبار كما يصح ذلك في الاعتقادات المذكورة إذ كان ذلك أشياء أمرنا أن نعرفها على ما هي بها، فنعتقدها بحسب ما هي عليه، وذلك لا يتغير، وما كان من الآداب الخلقية، فإنما هي ما هي عقليات ظاهرة لا يأتي شرع بخلاف مقتضاها.وأما العبادات والمعاملات والمزاجر فلا يصح، في أصولها النسخ، وإنما يصح في فروعها، وذاك أنه محال أن تنفك شريعة من الشرائع عن عبادة الله تعالى واقعة في حيز البدن، وهي مثل الصلاة، وعبادة في حيز المال، وهي كالزكاة، وعبادة في إمساك الشهوة كالصوم.وأن تنفك عن معاملات تحثهم على العدالة وتمنعهم عن التهارج، وعن مزاجر تزجرهم عن استباحة نفوس الغير وأعراضهم وأموالهم وأنسابهم، وأما هيآتها وأشكالها وأمكنتها وأزمنتها وأعدادها، فهي فروعها التي لم تزل تعرض النسخ على حسب ما عرف الله تعالى من مصلحة كل قوم، ومما يدل على أنه لا نسخ في عامة أصول هذه الأشياء ما ورد من النصوص على ذلك في القرآن نحو قوله تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾، وقوله ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾ الآية، وقال حكاية عن عيسى: ﴿وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا﴾وقال في الزكاة: ﴿وويل للمشركين (٦) الذين لا يؤتون الزكاة﴾، وقال في القبلة: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين﴾ ..، وقال في الصوم: ﴿كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم﴾، وقال." (٢)

"وقال قوم: لا يركبها إلا أن يضطر إليه.وقال بعضهم: أراد بالشعائر: المناسك ومشاهدة مكة. "لكم فيها منافع" بالتجارة والأسواق "إلى أجل مسمى" وهو الخروج من مكة.وقيل: "لكم فيها منافع" بالأجر والثواب في قضاء المناسك. "إلى أجل مسمى"، أي: إلى انقضاء أيام الحج.﴿ثم محلها﴾ أي: منحرها، ﴿إلى البيت العتيق﴾ أي: منحرها عند البيت العتيق، يريد أرض الحرم كلها، كما قال: ﴿فلا يقربوا المسجد الحرام﴾ (التوبة: ٢٨) أي: الحرم كله.وروي عن جابر في قصة حجة الوداع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ٢٧/أقال: "نحرت هاهنا ومنى كلها منحر فانحروا في رحالكم" (١) .ومن قال: "الشعائر" المناسك، قال: معنى قوله "ثم محلها إلى البيت العتيق" أي: محل الناس من إحرامهم إلى البيت

---

(١) تفسير السمعاني السمعاني، أبو المظفر ٤٣٩/٣

(٢) تفسير الراغب الأصفهاني الراغب الأصفهاني ٣٠/١

العتيق، أي: أن يطوفوا به طواف الزيادة يوم النحر.﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) ﴾قال الله تعالى: ﴿ولكل أمة﴾ أي: جماعة مؤمنة سلفت قبلكم، ﴿جعلنا منسكا﴾ قرأ حمزة والكسائي بكسر السين هاهنا وفي آخر السورة، على معنى الاسم مثل المسجد والمطلع، أي: مذبحا وهو موضع القربان، وقرأ الآخرون بفتح السين على المصدر، مثل المدخل والمخرج، أي: إراقة الدماء وذبح القرابين، ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ [عند نحرها وذبحها، وسماها بهيمة] (٢) لأنها لا تتكلم، وقال: "بهيمة الأنعام" وقيدها بالنعم، لأن من البهائم ما ليس من الأنعام كالخيل والبغال والحمير، لا يجوز دخلها (٣) في القرابين.﴿فإلهكم إله واحد﴾ أي: سموا على الذبائح اسم الله وحده، فإن إلهكم إله واحد،______________(١) أخرجه مسلم في الحج، باب: ما جاء أن عرفه كلها موقف، برقم (١٢١٨) ٢ / ٨٩٣، والمصنف في شرح السنة: ٧ / ١٥٠.(٢) ما بين القوسين زيادة من "ب".(٣) في "ب" ذبحها.." (١)

"﴿فله أسلموا﴾ انقادوا وأطيعوا، ﴿وبشر المخبتين﴾ قال ابن عباس وقتادة: المتواضعين. وقال مجاهد: المطمئنين إلى الله عز وجل، "والخبت" المكان المطمئن من الأرض. وقال الأخفش: الخاشعين. وقال النخعي: المخلصين. وقال الكلبي: هم الرقيقة قلوبهم. وقال عمرو بن أوس: هم الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا.﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) ﴾﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم﴾ من البلاء والمصائب ﴿والمقيمي الصلاة﴾ أي: المقيمين للصلاة في أوقاتها، ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ يتصدقون. قوله عز وجل: ﴿والبدن﴾ جمع بدنة سميت بدنة لعظمها وضخامتها، يريد: الإبل العظام الصحاح الأجسام، يقال بدن الرجل بدنا وبدانة إذا ضخم، فأما إذا أسن واسترخى يقال بدن تبدينا. قال عطاء والسدي: البدن: الإبل والبقر أما الغنم فلا تسمى بدنة. ﴿جعلناها لكم من شعائر الله﴾ من أعلام دينه، سميت شعائر لأنها تشعر، وهو أن تطعن بحديدة في سنامها فيعلم أنها هدي، ﴿لكم فيها خير﴾ النفع في الدنيا والأجر في العقبى، ﴿فاذكروا اسم الله عليها﴾ عند نحرها، ﴿صواف﴾ أي: قياما على ثلاث قوائم قد صفت رجليها وإحدى يديها، ويدها اليسرى معقولة فينحرها كذلك.أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا عبد الله بن مسلمة، أخبرنا يزيد بن زريع، عن يونس، عن زياد بن جبير قال: رأيت ابن عمر أتى على رجل قد أناخ بدنة ينحرها، قال: ابعثها قياما مقيدة سنة محمد صلى الله عليه وسلم (١) .وقال مجاهد: الصواف إذا عقلت رجلها اليسرى وقامت على ثلاث قوائم.وقرأ ابن مسعود: "صوافن" وهي أن تعقل منها يد وتنحر على ثلاث، وهو مثل صواف. وقرأ أبي والحسن ومجاهد: "صوافي" بالياء أي: صافية خالصة لله لا شريك له فيها.﴿فإذا وجبت جنوبها﴾ أي: سقطت بعد النحر فوقعت جنوبها على الأرض. وأصل

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٣٨٥/٥

الوجوب:ــــــــــــــــ(١) أخرجه البخاري في الحج، باب: نحر الإبل مقيدة: ٣ / ٥٥٣، ومسلم في الحج، باب: نحر البدن قياما مقيدة، برقم (١٣٢٠) ٢ / ٩٥٦، والمصنف في شرح السنة: ٧ / ١٩٨.." (١)

"وقيل: هو قول المشركين في تلبيتهم لبيك لا شريك لك لبيك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك.[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣١ الى ٣٤]حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق (٣١) ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤)حنفاء لله، مخلصين له، غير مشركين به، قال قتادة: كانوا في الشرك يحجون ويحرمون البنات والأمهات والأخوات وكانوا يسمون حنفاء، فنزلت: حنفاء لله غير مشركين به أي: حجاجا لله مسلمين موحدين يعني: من أشرك لا يكون حنيفا. ومن يشرك بالله فكأنما خر، أي: سقط، من السماء، إلى الأرض، فتخطفه الطير، أي: تستلبه الطير وتذهب به، والخطف والاختطاف تناول الشيء بسرعة، وقر أهل المدينة (فتخطفه) بفتح الخاء وتشديد الطاء، أي: يتخطفه، أو تهوي به الريح، أي:تميل وتذهب به، في مكان سحيق، أي بعيد معناه أن بعد من أشرك بالحق كبعد من سقط من السماء فذهبت به الطير، أو هوت به الريح، فلا يصل [إليه] [١] بحال. وقيل: شبه حال المشرك بحال الهاوي من السماء في أنه لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع بحيث تسقطه الريح، فهو هالك لا محالة إما باستلاب الطير لحمه وإما بسقوطه إلى المكان السحيق، وقال الحسن: شبه أعمال الكفار بهذه الحال في أنها تذهب وتبطل فلا يقدرون على شيء منها.ذلك، يعني الذي ذكرت من اجتناب الرجس وقول الزور، ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب، قال ابن عباس: شعائر الله البدن والهدي وأصلها من الإشعار وهو إعلامها ليعرف [٢] أنها هدي وتعظيمها استسمانها واستحسانها، وقيل: شعائر الله أعلام دينه فإنها من تقوى القلوب، أي:فإن تعظيمها من تقوى القلوب.لكم فيها أي: في البدن قبل تسميتها للهدي، منافع، في درها ونسلها وأصوافها وأوبارها وركوب ظهورها، إلى أجل مسمى، وهو أن يسميها ويوجبها هديا فإذا فعل ذلك لم يكن له شيء من منافعها، هذا قول مجاهد، وقتادة والضحاك، ورواه مقسم عن ابن عباس. وقيل معناه: لكم في الهدايا منافع بعد إيجابها وتسميتها هديا بأن تركبوها وتشربوا ألبانها عند الحاجة إلى أجل مسمى، يعني إلى أن تنحروها وهو قول عطاء بن أبي رباح واختلف أهل العلم في ركوب الهدي، فقال قوم: يجوز له ركوبها والحمل عليها غير مضر بها، وهو قول مالك والشافعي وأحمد وإسحاق، لما:«١٤٦١» أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا أبو علي زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو
مصعبــــــــــــــــ١٤٦١- إسناده على شرط البخاري ومسلم.- أبو مصعب أحمد بن أبي بكر المدني، مالك بن أنس، أبو الزناد عبد الله بن ذكوان، الأعرج، عبد الرحمن بن هرمز.- وهو في «شرح السنة» ١٩٤٧ بهذا الإسناد.- وهو في «الموطأ» ١/ ٣٧٧ عن أبي الزناد به.(١) زيادة عن المخطوط. [.....](٢) في المطبوع «ليعلم» .." (٢)

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٣٨٦/٥

(٢) تفسير البغوي - إحياء التراث البغوي ، أبو محمد ٣٣٩/٣

"عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يسوق بدنة فقال [له] [١] «اركبها، فقال [يا رسول الله] [٢] إنها بدنة، فقال: اركبها [٣] ، ويلك، في الثانية أو الثالثة» «١٤٦٢» وكذلك قال له: «اشرب لبنها بعد ما فضل من ري ولدها» .وقال أصحاب الرأي: لا يركبها. وقال قوم: لا يركبها إلا أن يضطر إليه. وقال بعضهم: أراد بالشعائر المناسك ومشاهدة مكة، لكم فيها منافع بالتجارة والأسواق إلى أجل مسمى، وهو الخروج من مكة. وقيل: لكم فيها منافع بالأجر والثواب في قضاء المناسك إلى أجل مسمى، أي: إلى انقضاء أيام الحج، ثم محلها إلى البيت العتيق أي: منحرها عند البيت العتيق، يريد أرض الحرم كلها، كما قال: فلا يقربوا المسجد الحرام [التوبة: ٢٨] أي: الحرم كله.«١٤٦٣» وروي عن جابر في قصة حجة الوداع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «نحرت هاهنا ومنى كلها منحر فانحروا في رحالكم» .ومن قال الشعائر المناسك قال معنى قوله: ثم محلها إلى البيت العتيق أي: محل الناس من إحرامهم إلى البيت العتيق، أي: أن يطوفوا به طواف الزيادة يوم النحر.قال الله تعالى: ولكل أمة، يعني جماعة مؤمنة سلفت قبلكم، جعلنا منسكا، قرأ حمزة والكسائي بكسر السين هاهنا وفي آخر السورة، على معنى الاسم مثل المجلس [٤] والمطلع، يعني مذبحا وهو موضع القربان، وقرأ الآخرون بفتح السين على المصدر، مثل المدخل والمخرج يعني إهراق [٥] الدماء وذبح القرابين، ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام، عند نحرها وذبحها وسماها بهيمة لأنها لا تتكلم، وقال: بهيمة الأنعام وقيدها بالنعم لأن من البهائم ما ليس من الأنعام كالخيل والبغال والحمير، لا يجوز ذبحها في القرابين. فإلهكم إله واحد، أي: سموا على الذبائح اسم الله وحده فإن إلهكم إله واحد، فله أسلموا، انقادوا وأطيعوا، وبشر المخبتين، قال ابن عباس وقتادة: المتواضعين. وقال مجاهد: المطمئنين إلى الله عز وجل، والخبت المكان المطمئن من الأرض. وقال الأخفش: الخاشعين. وقال النخعي: المخلصين. وقال الكلبي: هم الرقيقة قلوبهم. وقال عمرو [٦] بن__________- وأخرجه البخاري ١٦٨٩ و٦١٦٠ ومسلم ١٣٢٢ ح ٣٧١ وأبو داود ١٧٦٠ والنسائي ٥/ ١٧٦ وأحمد ٢/ ٤٨٧ وابن الجارود في «المنتقى» ٤٢٨ والبيهقي ٥/ ٢٣٦ من طرق عن مالك به.١٤٦٢- لم أره مرفوعا. وإنما أخرجه مالك ١/ ٣٧٨ ومن طريقه البيهقي ٥/ ٢٣٦ عن هشام بن عروة: أن أباه قال: إذا اضطرت إلى بدنتك فاركبها ركوبا غير فادح، وإذا اضطررت إلى لبنها، فاشرب بعد ما يروى فصيلها، فإذا نحرتها فانحر فصيلها معها.- وكذا ذكره المصنف في «شرح السنة» ٤/ ١١٦ من قول عروة بن الزبير.فلعل البغوي سبق قلمه هاهنا، فجعله مرفوعا.١٤٦٣- هو بعض حديث جابر في صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم وقد تقدم برقم ١٤٥١ أخرجه مسلم وغيره.(١) سقط من المطبوع.(٢) سقط من المطبوع.(٣) زيد في المطبوع «فقال إنها بدنه اركبها» .(٤) في المطبوع «المسجد» .(٥) في المطبوع «إراقه» .(٦) تصحف في المطبوع «عمر» وفي المخطوط «عروة» والمثبت عن «الدر المنثور» ٤/ ٦٤٩ وكتب التراجم.." (١)

"إلى من ليرتبط به، وإنما ذكرت القلوب لأنها مراكز التقوى التي إذا ثبتت فيها وتمكنت، ظهر أثرها في سائر الأعضاء. إلى أجل مسمى إلى أن تنحر ويتصدق بلحومها ويؤكل منها.وثم للتراخي في الوقت، فاستعيرت للتراخي في

---

(١) تفسير البغوي - إحياء التراث البغوي ، أبو محمد ٣/٣٤٠

الأحوال. والمعنى: أن لكم في الهدايا منافع كثيرة في دنياكم ودينكم، وإنما يعتد الله بالمنافع الدينية، قال سبحانه تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة وأعظم هذه المنافع وأبعدها شوطا في النفع: محلها إلى البيت أى وجوب نحرها. أو وقت وجوب نحرها في الحرم منتهية إلى البيت، كقوله هديا بالغ الكعبة والمراد نحرها في الحرم الذي هو في حكم البيت، لأن الحرم هو حريم البيت. ومثل هذا في الاتساع قولك: بلغنا البلد، وإنما شارفتموه واتصل مسيركم بحدوده. وقيل: المراد بالشعائر: المناسك كلها، ومحلها إلى البيت العتيق يأباه.[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٤ الى ٣٥]ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)شرع الله لكل أمة أن ينسكوا له: أى يذبحوا لوجهه على وجه التقرب، وجعل العلة في ذلك أيذكر اسمه تقدست أسماؤه على النسائك: وقرئ منسكا بفتح السين وكسرها، وهو مصدر بمعنى النسك، والمكسور يكون بمعنى الموضع فله أسلموا أى أخلصوا له الذكر خاصة، واجعلوه لوجهه سالما، أى: خالصا لا تشوبوه بإشراك.المخبتون: المتواضعون الخاشعون، من الخبت وهو المطمئن من الأرض. وقيل: هم الذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لم ينتصروا. وقرأ الحسن والمقيمي الصلاة بالنصب على تقدير النون. وقرأ ابن مسعود: والمقيمين الصلاة، على الأصل.[سورة الحج (٢٢) : آية ٣٦]والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦)البدن جمع بدنة، سميت لعظم بدنها وهي الإبل خاصة، ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم." (١)

"قوله عز وجل:[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٢ الى ٣٥]ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)التقدير في هذا الموضع الأمر ذلك، و «الشعائر» جمع شعيرة وهي كل شيء لله تعالى، فيه أمر أشعر به وأعلم، قالت فرقة: قصد ب «الشعائر» في هذه الآية الهدي والأنعام المشعرة، ومعنى تعظيمها تسميتها والاهتبال بأمرها والمغالاة بها قاله ابن عباس ومجاهد وجماعة، وعود الضمير في «إنها» على التعظمة والفعلة التي يتضمنها الكلام، وقرأ «القلوب» بالرفع على أنها فاعلة بالمصدر الذي هو تقوى، ثم اختلف المتأولون في قوله لكم فيها منافع الآية، فقال مجاهد وقتادة: أراد أن للناس في أنعامهم منافع من الصوف واللبن وغير ذلك ما لم يبعثها ربها هديا فإذا بعثها فهو «الأجل المسمى» ، وقال عطاء بن أبي رباح: أراد في الهدي المبعوث منافع من الركوب والاحتلاب لمن اضطر، و «الأجل» نحرها وتكون ثم لترتيب الجمل، لأن المحل قبل الأجل ومعنى الكلام عند هاتين الفرقتين ثم محلها إلى موضع النحر فذكر البيت لأنه أشرف الحرم وهو المقصود بالهدي وغيره، وقال ابن زيد وابن عمر والحسن ومالك:«الشعائر» في هذه الآية مواضع الحج كلها ومعالمه بمنى وعرفة والمزدلفة والصفا والمروة والبيت وغير ذلك، وفي الآية التي تأتي أن البدن من الشعائر، و «المنافع» التجارة وطلب الرزق، ويحتمل أن يريد كسب الأجر والمغفرة، وبكل

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ١٥٧/٣

احتمال قالت فرقة و «الأجل» الرجوع إلى مكة لطواف الإفاضة وقوله، محلها مأخوذ من إحلال المحرم ومعناه ثم أخر هذا كله إلى طواف الإفاضة ب البيت العتيق، ف البيت على هذا التأويل مراد بنفسه، قاله مالك في الموطأ، ثم أخبر تعالى أنه جعل لكل أمة من الأمم المؤمنة منسكا أي موضع نسك وعبادة وهذا على أن المنسك ظرف كالمذبح ونحوه، ويحتمل أن يريد به المصدر، كأنه قال عبادة ونحو هذا، والناسك العابد، وقال مجاهد: سنة في هراقة دماء الذبائح، وقرأ معظم القراء «منسكا» بفتح السين وهو من نسك ينسك بضم السين في المستقبل، وقرأ حمزة والكسائي «منسكا» بكسر السين قال أبو علي: الفتح أولى لأنه إما المصدر وإما المكان وكلاهما مفتوح والكسر في هذا من الشاذ في اسم المكان أن يكون مفعل من فعل يفعل مثل مسجد من سجد يسجد، ولا يسوغ فيه القياس، ويشبه أن الكسائي سمعه من العرب. وقوله ليذكروا اسم الله معناه أمرناهم عند ذبائحهم بذكر الله وأن يكون الذبح له لأنه رازق ذلك، ثم رجع اللفظ من الخبر عن الأمم إلى إخبار الحاضرين بما معناه فالإله واحد لجميعكم بالأمر كذلك في الذبيحة إنما ينبغي أن تخلص له، وأسلموا معناه لحقه ولوجهه ولإنعامه آمنوا وأسلموا، ويحتمل أن يريد الاستسلام ثم أمر تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يبشر بشارة على الإطلاق وهي أبلغ من المفسرة لأنها مرسلة مع نهاية التخيل." (١)

"والمخبتين المتواضعين الخاشعين من المؤمنين، والخبت ما انخفض من الأرض والمخبت المتواضع الذي مشيه متطامن كأنه في حدود من الأرض وقال عمرو بن أوس المخبتون الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا.قال القاضي أبو محمد: وهذا مثال شريف من خلق المؤمن الهين اللين، وقال مجاهد: هم المطمئنون بأمر الله، ووصفهم تعالى بالخوف والوجل عند ذكر الله، وذلك لقوة يقينهم ومراعاتهم لربهم، وكأنهم بين يديه، ووصفهم بالصبر وبإقامة الصلاة وإدامتها، وقرأ الجمهور «الصلاة» بالخفض، وقرأ ابن أبي إسحاق «الصلاة» بالنصب على توهم النون وأن حذفها للتخفيف، ورويت عن أبي عمرو، وقرأ الأعمش «والمقيمين الصلاة» بالنون والنصب في «الصلاة» ، وقرأ الضحاك «والمقيم الصلاة» ، وروي أن هذه الآية، قوله وبشر المخبتين نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم.قوله عز وجل:[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٦ الى ٣٧]والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧)البدن جمع بدنة وهي ما أشعر من ناقة أو بقرة، قاله عطاء وغيره وسميت بذلك لأنها تبدن أي تسمن، وقيل بل هذا الاسم خاص بالإبل، وقالت فرقة البدن جمع بدن بفتح الدال والباء ثم اختلفت، فقال بعضها البدن مفرد اسم جنس يراد به العظيم السمين من الإبل والبقر، ويقال للمسلمين من الرجال بدن، وقال بعضها البدن جمع بدنة كثمرة وثمر، وقرأ الجمهور «والبدن» ساكنة الدال، وقرأ أبو جعفر وشيبة والحسن وابن أبي إسحاق «البدن» بضم الدال، فيحتمل أن يكون جمع بدنة كثمر، وعدد الله تعالى في هذه الآية نعمته على الناس في هذه البدن، وقد تقدم القول في «الشعائر» ، و «الخير» قيل فيه ما قيل في المنافع التي تقدم ذكرها والصواب عمومه في خير الدنيا والآخرة، وقوله، عليها يريد عند نحرها، وقرأ جمهور الناس «صواف» بفتح الفاء

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١٢١/٤

وشدها جمع صافة أي مصطفة في قيامها، وقرأ الحسن ومجاهد وزيد بن أسلم وأبو موسى الأشعري وشقيق وسليمان التيمي والأعرج «صوافي» جمع صافية أي خالصة لوجه الله تعالى لا شركة فيها لشيء كما كانت الجاهلية تشرك، وقرأ الحسن أيضا «صواف» بكسر الفاء وتنوينها مخففة وهي بمعنى التي قبلها لكن حذفت الياء تخفيفا على غير قياس وفي هذا نظر، وقرأ ابن مسعود وابن عمر وابن عباس وأبو جعفر محمد بن علي «صوافن» بالنون جمع صافنة وهي التي قد رفعت إحدى يديها بالعقل لئلا تضطرب، والصافن من الخيل الرافع لفراهيته إحدى يديه وقيل إحدى رجنيه ومنه قوله تعالى: الصافنات الجياد [ص: ٣١] .وقال عمرو بن كلثوم:تركنا الخيل عاكفة عليه ... مقلدة أعنتها صفونا." (١)

"من الأوثان: «من» لتلخيص الجنس، أي: اجتنبوا الرجس الذي هو وثن «١» .٣١ حنفاء لله: مستقيمي الطريقة على أمر الله «٢» .٣٢ ومن يعظم شعائر الله: مناسك الحج «٣» ، أو يعظم البدن المشعرة ويسمنها ويكبرها «٤» .٣٣ إلى أجل مسمى: إلى أن تقلد أو تنحر «٥» .٣٤ جعلنا منسكا: حجا «٦» . وقيل «٧» : عيدا وذبائح.وبشر المخبتين: المطمئنين بذكر الله.__________(١) نص هذا القول في معاني القرآن للزجاج: ٣/ ٤٢٥، وذكره النحاس في إعراب القرآن:٣/ ٩٦، ونقله ابن الجوزي في زاد المسير: ٥/ ٤٢٨ عن الزجاج.(٢) تفسير الماوردي: ٣/ ٧٨، والمفردات للراغب: ١٣٣، وتفسير القرطبي: ١٢/ ٥٥. [.....](٣) أخرج الطبري نحو هذا القول في تفسيره: ١٧/ ١٥٦ عن ابن زيد.وانظر تفسير الماوردي: ٣/ ٧٩، والمفردات للراغب: ٢٦٢، وزاد المسير: ٥/ ٤٣٠.(٤) أخرج الطبري نحو هذا القول في تفسيره: ١٧/ ١٥٦ عن ابن عباس، ومجاهد.وأورده السيوطي في الدر المنثور: ٦/ ٥٦، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما.(٥) ينظر تفسير الطبري: ١٧/ ١٥٨، وتفسير الماوردي: ٣/ ٧٩، وتفسير البغوي: ٣/ ٢٨٧.(٦) نقل الماوردي هذا القول في تفسيره: ٣/ ٨٠ عن قتادة، وكذا القرطبي في تفسيره:١٢/ ٥٨.(٧) ذكره الزجاج في معانيه: ٣/ ٤٢٦، والماوردي في تفسيره: ٣/ ٨٠، ورجحه القرطبي في تفسيره: ١٢/ ٥٨.." (٢)

"الحسن، والأعمش: بفتح التاء وكسر وتشديد الطاء ورفع الفاء. وكلهم فتح الطاء. وفي المراد بهذا المثل قولان: أحدهما: أنه شبه المشرك بالله في بعده عن الهدى وهلاكه، بالذي يخر من السماء، قاله قتادة. والثاني: أنه شبه حال المشرك في أنه لا يملك لنفسه نفعا ولا دفع ضر يوم القيامة، بحال الهاوي من السماء، حكاه الثعلبي.قوله تعالى: ذلك أي: الأمر ذلك الذي ذكرناه ومن يعظم شعائر الله قد شرحنا معنى الشعائر في البقرة «١» . وفي المراد بها ها هنا قولان: أحدهما: أنها البدن. وتعظيمها: استحسانها واستسمانها لكم فيها منافع قبل أن يسميها صاحبها هديا، أو يشعرها ويوجبها، فإذا فعل ذلك، لم يكن له من منافعها شيء، روى هذا المعنى مقسم عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وقتادة، والضحاك.وقال عطاء بن أبي رباح: لكم في هذه الهدايا منافع بعد إيجابها وتسميتها هدايا إذا احتجتم إلى شيء من ذلك أو اضطررتم إلى شرب ألبانها إلى أجل مسمى وهو أن تنحر. والثاني: أن الشعائر: المناسك ومشاهد مكة والمعنى: لكم

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١٢٢/٤

(٢) إيجاز البيان عن معاني القرآن النيسابوري، بيان الحق ٥٧٧/٢

فيها منافع بالتجارة إلى أجل مسمى، وهو الخروج من مكة، رواه أبو رزين عن ابن عباس. وقيل: لكم فيها منافع من الأجر، والثواب في قضاء المناسك إلى أجل مسمى، وهو انقضاء أيام الحج.قوله تعالى: فإنها يعني الأفعال المذكورة، من اجتناب الرجس وقول الزور، وتعظيم الشعائر. وقال الفراء: «فإنها» يعني الفعلة من تقوى القلوب، وإنما أضاف التقوى إلى القلوب، لأن حقيقة التقوى تقوى القلوب. قوله تعالى: ثم محلها أي: حيث يحل نحرها إلى البيت يعني:عند البيت، والمراد به: الحرم كله «٢» ، لأنا نعلم أنها لا تذبح عند البيت، ولا في المسجد، هذا على القول الاول، وعلى الثاني، يكون المعنى: ثم محل الناس من إحرامهم إلى البيت، وهو أن يطوفوا به بعد قضاء المناسك.[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٤ الى ٣٥]ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)قوله تعالى: ولكل أمة جعلنا منسكا قرأ حمزة، والكسائي، وبعض أصحاب أبي عمرو بكسر السين، وقرأ الباقون بفتحها: فمن أراد المصدر، من نسك ينسك، ومن كسر أراد مكان النسك كالمجلس والمطلع. ومعنى الآية: لكل جماعة مؤمنة من الأمم السالفة جعلنا ذبح القرابين ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام، وإنما خص بهيمة الأنعام، لأنها المشروعة في القرب.والمراد من الآية: أن الذبائح ليست من خصائص هذه الأمة، وأن التسمية عليها كانت مشروعة قبل هذه الأمة. قوله تعالى: فإلهكم إله واحد: لا ينبغي أن تذكروا على ذبائحكم سواه فله أسلموا أي:انقادوا واخضعوا. وقد ذكرنا معنى الإخبات في سورة هود «٣» . وكذلك ألفاظ الآية التي تلي هذه.______________(١) سورة البقرة: ١٥٨.(٢) تقدم الكلام عن محل الذبح في سورة المائدة.(٣) سورة هود: ٢٣. [.....]." (١)

"بدنة فيها جمل لأبي في أنفه برة من ذهب»والوجه الثاني: في تعظيم شعائر الله تعالى أن يعتقد أن طاعة الله تعالى في التقرب بها وإهدائها إلى بيته المعظم أمر عظيم لا بد وأن يحتفل به ويتسارع فيه فإنها من تقوى القلوب أي إن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات، ولا يستقيم المعنى إلا بتقديرها لأنه لا بد من راجع من الجزاء إلى من ارتبط به وإنما ذكرت القلوب لأن المنافق قد يظهر التقوى من نفسه.ولكن لما كان قلبه خاليا عنها لا جرم لا يكون مجدا في أداء الطاعات، أما المخلص الذي تكون التقوى متمكنة في قلبه/ فإنه يبالغ في أداء الطاعات على سبيل الإخلاص، فإن قال قائل: ما الحكمة في أن الله تعالى بالغ في تعظيم ذبح الحيوانات هذه المبالغة؟ فالجواب قوله تعالى:[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٣ الى ٣٥]لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)اعلم أن قوله تعالى: لكم فيها منافع إلى أجل مسمى لا يليق إلا بأن تحمل الشعائر على الهدي الذي فيه منافع إلى وقت النحر، ومن يحمل ذلك على سائر الواجبات يقول لكم فيها أي في التمسك بها منافع إلى أجل ينقطع التكليف عنده، والأول هو قول جمهور المفسرين، ولا شك أنه أقرب. وعلى هذا القول فالمنافع مفسرة بالدر والنسل والأوبار وركوب ظهورها، فأما

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٢٣٦/٣

قوله إلى أجل مسمى ففيه قولان: أحدهما: أن لكم أن تنتفعوا بهذه البهائم إلى أن تسموها ضحية وهديا فإذا فعلتم ذلك فليس لكم أن تنتفعوا بها، وهذا قول ابن عباس ومجاهد وعطاء وقتادة والضحاك وقال آخرون لكم فيها أي في البدن منافع مع تسميتها هديا بأن تركبوها إن احتجتم إليها وأن تشربوا ألبانها إذا اضطررتم إليها إلى أجل مسمى يعني إلى أن تنحروها هذه هي الرواية الثانية عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو اختيار الشافعي، وهذا القول أولى لأنه تعالى قال: لكم فيها منافع أي في الشعائر ولا تسمى شعائر قبل أن تسمى هدياوروى أبو هريرة أنه عليه السلام «مر برجل يسوق بدنة وهو في جهد، فقال عليه السلام اركبها فقال يا رسول الله إنها هدي فقال اركبها ويلك»وروى جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «اركبوا الهدي بالمعروف حتى تجدوا ظهرا»واحتج أبو حنيفة رحمه الله على أنه لا يملك منافعها بأن لا يجوز له أن يؤجرها للركوب فلو كان مالكا لمنافعها لملك عقد الإجارة عليها كمنافع سائر المملوكات، وهذا ضعيف لأن أم الولد لا يمكنه بيعها، ويمكنه الانتفاع بها فكذا هاهنا.أما قوله تعالى: ثم محلها إلى البيت العتيق فالمعنى أن لكم في الهدايا منافع كثيرة في دنياكم ودينكم وأعظم هذه المنافع محلها إلى البيت العتيق أي وجوب نحرها أو وقت وجوب نحرها منتهية إلى البيت، كقوله:هديا بالغ الكعبة [المائدة: ٩٥] وبالجملة فقوله: محلها يعني حيث يحل نحرها، وأما البيت العتيق فالمراد به الحرم كله، ودليله قوله تعالى: فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا [التوبة: ٢٨] أي الحرم كله فالمنحر على هذا القول كل مكة، ولكنها تنزهت عن الدماء إلى منى ومنى من مكة،قال عليه السلام: «كل." (١)

"فجاج مكة منحر وكل فجاج منى منحر»قال القفال هذا إنما يختص بالهدايا التي بلغت منى فأما الهدي المتطوع به إذا عطب قبل بلوغ مكة فإن محله موضعه.أما قوله تعالى: ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله فالمعنى شرعنا لكل أمة من الأمم السالفة من عهد إبراهيم عليه السلام إلى من بعده ضربا من القربان وجعل العلة في ذلك أن يذكروا اسم الله تقدست أسماؤه على المناسك، وما كانت العرب تذبحه للصنم يسمى العتر والعتيرة كالذبح والذبيحة، وقرأ أهل الكوفة إلا عاصما منسكا بكسر السين وقرأ الباقون بالفتح وهو مصدر بمعنى النسك والمكسور بمعنى الموضع.أما قوله تعالى: فإلهكم إله واحد ففي كيفية النظم وجهان: أحدهما: أن الإله واحد وإنما اختلفت التكاليف باختلاف الأزمنة والأشخاص لاختلاف المصالح الثاني: فإلهكم إله واحد فلا تذكروا على ذبائحكم غير اسم الله فله أسلموا أي أخلصوا له الذكر خاصة بحيث لا يشوبه إشراك البتة، والمراد الانقياد لله تعالى في جميع تكاليفه، ومن انقاد له كان مخبتا فلذلك قال بعده وبشر المخبتين والمخبت المتواضع الخاشع. قال أبو مسلم: حقيقة المخبت من صار في خبت من الأرض، يقال أخبت الرجل إذا صار في الخبت كما يقال أنجد وأشأم وأتهم، والخبت هو المطمئن من الأرض. وللمفسرين فيه عبارات أحدها: المخبتين المتواضعين عن ابن عباس وقتادة وثانيها: المجتهدين في العبادة عن الكلبي وثالثها: المخلصين عن مقاتل ورابعها: المطمئنين إلى ذكر الله تعالى والصالحين عن مجاهدو خامسها: هم الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا عن عمرو بن أوس.ثم وصفهم الله تعالى بقوله: الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم فيظهر عليهم الخوف من عقاب الله تعالى والخشوع والتواضع لله، ثم لذلك الوجل أثران أحدهما: الصبر على المكاره وذلك هو المراد بقوله:والصابرين على ما أصابهم وعلى ما يكون

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٢٤/٢٣

من قبل الله تعالى، لأنه الذي يجب الصبر عليه كالأمراض والمحن والمصائب. فأما ما يصيبهم من قبل الظلمة فالصبر عليه غير واجب بل إن أمكنه دفع ذلك لزمه الدفع ولو بالمقاتلة والثاني: الاشتغال بالخدمة وأعز الأشياء عند الإنسان نفسه وماله. أما الخدمة بالنفس فهي الصلاة، وهو المراد بقوله: والمقيمي الصلاة وأما الخدمة بالمال فهو المراد من قوله: ومما رزقناهم ينفقون قرأ الحسن والمقيمي الصلاة بالنصب على تقدير النون، وقرأ ابن مسعود والمقيمين الصلاة على الأصل.[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٦ الى ٣٧]والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧)اعلم أن قوله تعالى: والبدن فيه مسائل:المسألة الأولى: البدن جمع بدنة كخشب وخشبة، سميت بذلك إذا أهديت للحرم لعظم بدنها وهي الإبل خاصة، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألحق البقر بالإبل حينقال: «البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة»ولأنه قال: فإذا." (١)

"أنه لا يقنع بما يدفع إليه أبدا وقرأ الحسن والمعتري وقرأ أبو رجاء القنع وهو الراضي لا غير يقال قنع فهو قنع وقانع.أما قوله: كذلك سخرناها لكم فالمعنى أنها أجسم وأعظم وأقوى من السباع وغيرها مما يمتنع علينا التمكن منه، فالله تعالى جعل الإبل والبقر بالصفة التي يمكننا تصريفها على ما نريد، وذلك نعمة عظيمة من الله تعالى في الدين والدنيا، ثم لما بين تعالى هذه النعمة قال بعده لعلكم تشكرون والمراد لكي تشكروا. قالت المعتزلة: هذا يدل على أنه سبحانه أراد من جميعهم أن يشكروا فدل هذا/ على أنه يريد كل ما أمر به ممن أطاع وعصى، لا كما يقوله أهل السنة من أنه تعالى لم يرد ذلك إلا من المعلوم أن يطيع، والكلام عليه قد تقدم غير مرة.أما قوله تعالى: لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ففيه مسائل:المسألة الأولى: لما كانت عادة الجاهلية على ماروي في القربان أنهم يلوثون بدمائها ولحومها الوثن وحيطان الكعبةبين تعالى ما هو القصد من النحر فقال: لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم فبين أن الذي يصل إليه تعالى ويرتفع إليه من صنع المهدي من قوله ونحره وما شاكله من فرائضه هو تقوى الله دون نفس اللحم والدم، ومعلوم أن شيئا من الأشياء لا يوصف بأنه يناله سبحانه فالمراد وصول ذلك إلى حيث يكتب يدل عليه قوله: إليه يصعد الكلم الطيب [فاطر: ١٠] .المسألة الثانية: قالت المعتزلة دلت هذه الآية على أمور: أحدها: أن الذي ينتفع به المرء فعله دون الجسم الذي ينتفع بنحره وثانيها: أنه سبحانه غني عن كل ذلك، وإنما المراد أن يجتهد العبد في امتثال أوامره وثالثها: أنه لما لم ينتفع بالأجسام التي هي اللحوم والدماء وانتفع بتقواه وجب أن تكون تقواه فعلا وإلا لكانت تقواه بمنزلة اللحوم ورابعها: أنه لما شرط القبول بالتقوى وصاحب الكبيرة غير متق فوجب أن لا يكون عمله مقبولا وأنه لا ثواب له والجواب: أما الأولان فحقان، وأما الثالث فمعارض بالداعي والعلم، وأما الرابع فصاحب الكبيرة وإن لم يكن متقيا مطلقا ولكنه متق فيما أتى به من الطاعة على سبيل الإخلاص فوجب أن تكون طاعته مقبولة وعند هذا تنقلب الآية حجة عليهم.المسألة الثالثة: كلهم قرءوا ينال الله ويناله بالياء إلا يعقوب فإنه قرأ بالتاء في الحرفين فمن أنث فقد رده إلى اللفظ

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٢٥/٢٣

ومن ذكر فللحائل بين الاسم والفعل. ثم قال: كذلك سخرها لكم والمراد أنه إنما سخرها كذلك لتكبروا الله وهو التعظيم، بما نفعله عند النحر وقبله وبعده على ما هدانا ودلنا عليه وبينه لنا، ثم قال بعده على وجه الوعد لمن امتثل أمره وبشر المحسنين كما قال من قبل وبشر المخبتين [الحج: ٣٤] والمحسن هو الذي يفعل الحسن من الأعمال ويتمسك به فيصير محسنا إلى نفسه بتوفير الثواب عليه.[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٨ الى ٤١]إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور (٣٨) أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير (٣٩) الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز (٤٠) الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور (٤١)." (١)

"الحرم كله، أو يريد بالشعائر دين الله كله نعظمه بالتزامه " ح "، والمنافع: الأجر والأجل المسمى: القيامة ومحلها إلى البيت: " يحتمل إلى رب البيت "، أو ما اختص منها بالبيت "كالصلاة إليه وقصده بالحج والعمرة ". ﴿تقوى القلوب﴾ [٣٢] إخلاصها. ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾." (٢)

"الكذب منحرف مصروف عن الواقع.[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣١ الى ٣٢]حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق (٣١) ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢)حنفاء لله مخلصين له. غير مشركين به وهما حالان من الواو. ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء لأنه سقط من أوج الإيمان إلى حضيض الكفر. فتخطفه الطير فإن الأهواء الرديئة توزع أفكاره، وقرأ نافع وحده فتخطفه بفتح الخاء وتشديد الطاء. أو تهوي به الريح في مكان سحيق بعيد فإن الشيطان قد طوح به في الضلالة وأو للتخيير كما في قوله تعالى: أو كصيب من السماء، أو للتنويع فإن المشركين من لا خلاص له أصلا، ومنهم من يمكن خلاصه بالتوبة لكن على بعد، ويجوز أن يكون من التشبيهات المركبة فيكون المعنى: ومن يشرك بالله فقد هلكت نفسه هلاكا يشبه أحد الهلاكين.ذلك ومن يعظم شعائر الله دين الله أو فرائض الحج ومواضع نسكه، أو الهدايا لأنها من معالم الحج وهو أوفق لظاهر ما بعده، وتعظيمها أن تختارها حسانا سمانا غالية الأثمان.روي أنه صلى الله عليه وسلم أهدى مائة بدنة فيها جمل لأبي جهل في أنفه برة من ذهب، وأن عمر رضي الله تعالى عنه أهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار.فإنها من تقوى القلوب فإن تعظيمها منه من أفعال ذوي تقوى القلوب، فحذفت هذه المضافات والعائد إلى من وذكر القلوب لأنها منشأ التقوى والفجور أو الآمرة بهما.[سورة الحج (٢٢) : آية ٣٣]لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣)لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق أي لكم فيها منافع درها ونسلها وصوفها

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٢٧/٢٣

(٢) تفسير العز بن عبد السلام ابن عبد السلام ٣٥٤/٢

وظهرها إلى أن تنحر، ثم وقت نحرها منتهية إلى البيت أي ما يليه من الحرم، وثم تحتمل التراخي في الوقت والتراخي في الرتبة، أي لكم فيها منافع دنيوية إلى وقت النحر وبعده منافع دينية أعظم منها، وهو على الأولين إما متصل بحديث الأنعام والضمير فيه لها أو المراد على الأول لكم فيها منافع دينية تنتفعون بها إلى أجل مسمى هو الموت، ثم محلها منتهية إلى البيت العتيق الذي ترفع إليه الأعمال أو يكون فيه ثوابها وهو البيت المعمور أو الجنة، وعلى الثاني لكم فيها منافع التجارات في الأسواق إلى وقت المراجعة ثم وقت الخروج منها منتهية إلى الكعبة بالإحلال بطواف الزيارة.[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٤ الى ٣٥]ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)ولكل أمة ولكل أهل دين. جعلنا منسكا متعبدا أو قربانا يتقربون به إلى الله، وقرأ حمزة والكسائي بالكسر أي موضع نسك. ليذكروا اسم الله دون غيره ويجعلوا نسيكتهم لوجهه، علل الجعل به تنبيها على أن المقصود من المناسك تذكر المعبود. على ما رزقهم من بهيمة الأنعام عند ذبحها، وفيه تنبيه على أن القربان يجب أن يكون نعما. فإلهكم إله واحد فله أسلموا أخلصوا التقرب أو الذكر ولا تشوبوه بالإشراك. وبشر المخبتين المتواضعين أو المخلصين فإن الإخبات صفتهم.الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم هيبة منه لإشراق أشعة جلاله عليها. والصابرين على ما أصابهم من الكلف والمصائب. والمقيمي الصلاة في أوقاتها، وقرئ «والمقيمين الصلاة» على الأصل.." (١)

"ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤)﴿ولكل أمة﴾ جماعة مؤمنة قبلكم ﴿جعلنا منسكا﴾ حيث كان بكسر السين بمعنى الموضع علي وحمزة أي موضع قربان وغيرهما بالفتح على المصدر أي إراقة الدماء وذبح القرابين ﴿ليذكروا اسم الله﴾ دون غيره ﴿ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ أي عند نحرها وذبحها." (٢)

"﴿فإلهكم إله واحد﴾ أي اذكروا على الذبح اسم الله وحده فإن إلهكم إله واحد وفيه دليل على أن ذكر اسم الله شرط الذبح يعني أن الله تعالى شرع لكل أمة أن ينسكوا له أي يذبحوا له على وجه التقرب وجعل القلة فى ذلك أن يذكر اسمه تقدمت أسماؤه على النسائك وقوله ﴿فله أسلموا﴾ أي أخلصوا له الذكر خاصة واجعلوه له سالما أي خالصا لا تشوبوه بإشراك ﴿وبشر المخبتين﴾ المطمئنين بذكر الله أوالمتواضعين الخاشعين من الخبث وهو المطمئن من الأرض وعن ابن عباس رضى الله عنهما الذى لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا وقيل تفسيره ما بعده أي." (٣)

"العمرة أول ما يقدم فإنه يسعى ثلاثة أشواط ويمشي أربعا ثم يصلي سجدتين». والطواف الثاني هو طواف الإفاضة وذلك يوم النحر بعد الرمي والحلق (ق) عن عائشة قالت: «حاضت صفية ليلة النفر فقالت: ما أراني إلا

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٧١/٤

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٤٤٠/٢

(٣) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٤٤١/٢

حابستكم قال النبي صلى الله عليه وسلم عقرى حلقى أطافت يوم النحر قيل نعم قال فانفري». قوله عقرى وحلقى معناه عقرها الله أي أصابها بالعقر وبوجع في حلقها وقيل معناه مشئومة مؤذية ولم يرد به الدعاء عليها وإنما هو شيء يجري على ألسنة العرب كقولهم: لا أم لك وتربت يمينك وفيه دليل على أن من لم يطف يوم النحر طواف الإفاضة لا يجوز له أن ينفر. الثالث طواف الوداع لا رخصة لمن أراد مفارقة مكة إلى مسافة القصر في أن يفارقها حتى يطوف سبعا فمن تركه فعليه دم إلا المرأة الحائض فإنه يجوز لها تركه للحديث المتقدم ولما روى ابن عباس قال «أمر الناس أن يكون الطواف آخر عهدهم بالبيت إلا أنه رخص للمرأة الحائض» متفق عليه.الرمل سنة تختص بطواف القدوم ولا رمل في طواف الإفاضة والوداع وقوله «بالبيت العتيق» قال ابن عباس وغيره سمي عتيقا لأن الله أعتقه من أيدي الجبابرة أن يصلوا إلى تخريبه فلم يظهر عليه جبار قط، وقيل لأنه أول بيت وضع للناس وقيل لأن الله أعتقه من الغرق فإنه رفع أيام الطوفان وقيل لأنه لم يملك. قوله عز وجل ذلك أي الأمر ذلك يعني ما ذكر من أعمال الحج ومن يعظم حرمات الله أي ما نهى الله عنه من معاصيه وتعظيمها ترك ملابستها وقيل: حرمات الله ما لا يحل انتهاكه وقيل الحرمة ما وجب القيام به وحرم التفريط فيه وقيل: الحرمات هنا مناسك الحج وتعظيمها إقامتها وإتمامها وقيل الحرمات هنا البيت الحرام والبلد الحرام والمسجد الحرام والشهر الحرام ومعنى التعظيم العلم بأنه يجب القيام بمراعاتها وحفظ حرمتها فهو خير له عند ربه أي ثواب تعظيم الحرمات خير له عند الله في الآخرة وأحلت لكم الأنعام أي أن تأكلوها بعد الذبح وهي الإبل والبقر والغنم إلا ما يتلى عليكم أي تحريمه وهو قوله في سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والدم الآية فاجتنبوا الرجس من الأوثان أي اتركوا عبادتها فإنها سبب الرجس وهو العذاب وقيل سمى الأوثان رجسا لأن عبادتها أعظم من التلوث بالنجاسات واجتنبوا قول الزور يعني الكذب والبهتان.وقال ابن عباس: هي شهادة الزور وروي عن أيمن بن خريم قال: «إن النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيبا فقال أيها الناس عدلت شهادة الزور الإشراك بالله ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور» أخرجه الترمذي وقال قد اختلفوا في روايته ولا نعرف لأيمن سماعا من النبي صلى الله عليه وسلم وأخرجه أبو داود عن خريم بن فاتك بنحوه وقيل: هو قول المشركين في تلبيتهم لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك. قوله تعالى:[سورة الحج (٢٢): الآيات ٣١ الى ٣٤]حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق (٣١) ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤)حنفاء لله يعني مخلصين له غير مشركين به فدل ذلك على أن المكلف ينوي بما يأتيه من العبادة الإخلاص لله بها لا غيره وقيل كانوا في الشرك يحجون ويحرمون البنات والأمهات والأخوات وكانوا حنفاء فنزلت «حنفاء لله غير مشركين به» أي حجوا لله مسلمين موحدين ومن أشرك لا يكون حنيفا ومن يشرك بالله فكأنما خر أي سقط من السماء إلى الأرض فتخطفه الطير يعني تسلبه وتذهب به أو تهوي

به الريح يعني تميل وتذهب به في مكان سحيق يعني بعيد. ومعنى الآية أن من أشرك بالله بعيد من الحق والإيمان كبعد من سقط من السماء فذهبت به الطير أو هوت به الريح فلا يصل إليه بحال وقيل شبه حال المشرك بحال الهاوي." (١)

"من السماء لأنه لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع حيث تسقط الريح فهو هالك لا محالة. إما باستلاب الطير لحمه أو بسقوطه في المكان السحيق. وقيل معنى الآية من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكا ليس وراءه إهلاك بأن صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير ففرقت أجزاءه في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المهالك البعيدة. وقيل شبه الإيمان بالسماء في علوه والذي ترك الإيمان بالساقط من السماء والأهواء التي توزع أفكاره بالطير المختطفة والشياطين التي تطرحه في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة. قوله عز وجل ذلك يعني الذي ذكر من اجتناب الرجس وقول الزور ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب يعني تعظيم شعائر الله من تقوى القلوب قال ابن عباس: شعائر الله البدن والهدي وأصلها من الإشعار، وهو العلامة التي يعرف بها أنها هدى وتعظيمها استسمانها واستحسانها وقيل شعائر الله أعلام دينه وتعظيمها من تقوى القلوب لكم فيها أي في البدن منافع قيل هي درها ونسلها وصوفها ووبرها وركوب ظهرها إلى أجل مسمى أي إلى أن يسميها ويوجبها هديا فإذا فعل ذلك لم يكن له شيء من منافعها. وهو قول مجاهد وقتادة والضحاك ورواية عن ابن عباس وقيل معناه لكم في الهدايا منافع بعد إيجابها وتسميتها هدايا بأن تركبوها وتشربوا من ألبانها عند الحاجة إلى أجل مسمى يعني إلى أن تنحروها وهو قول عطاء. واختلف العلماء في ركوب الهدي فقال مالك والشافعي وأحمد وإسحاق: يجوز ركوبها والحمل عليها من غير ضرر بها لما روي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يسوق بدنة فقال: «اركبها فقال يا رسول الله إنها بدنة فقال: اركبها ويلك في الثانية أو الثالثة». أخرجاه في الصحيحين. وكذلك يجوز له أن يشرب من لبنها بعد ما يفضل عن ري ولدها. وقال أصحاب الرأي: لا يركبها إلا أن يضطر إليه وقيل أراد بالشعائر المناسك ومشاهدة مكة لكم فيها منافع يعني بالتجارة والأسواق إلى أجل مسمى يعني إلى الخروج من مكة وقيل لكم فيها منافع يعني بالأجر والثواب في قضاء المناسك إلى انقضاء أيام الحج ثم محلها إلى البيت العتيق يعني منحرها عند البيت العتيق يريد به جميع أرض الحرم. وروي عن جابر في حديث حجة الوداع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «نحرت ها هنا ومنى كلها منحر فانحروا في رحالكم» ومن قال الشعائر المناسك قال معنى ثم محلها يعني محل الناس من إحرامهم إلى البيت العتيق يطوفون به طواف الزيارة. قوله تعالى ولكل أمة يعني جماعة مؤمنة سلفت قبلكم جعلنا منسكا قرئ بكسر السين يعني مذبحا وهو موضع القربان منسكا بفتح السين وهو إراقة الدم وذبح القرابين ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام يعني عند ذبحها ونحرها سماها بهيمة لأنها لا تتكلم وقيد بالأنعام لأن ما سواها لا يجوز ذبحه في القرابين وإن جاز أكله. قوله عز وجل فإلهكم إله واحد يعني سموا على الذبح اسم الله وحده فإن إلهكم إله واحد فله أسلموا يعني أخلصوا وانقادوا وأطيعوا وبشر المخبتين قال ابن عباس: المتواضعين وقيل المطمئنين إلى الله وقيل الخاشعين الرقيقة قلوبهم وقيل هم الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لا ينتصرون ثم وصفهم فقال تعالى:[سورة الحج (٢٢): الآيات ٣٥ الى ٤٠]الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٢٥٦/٣

والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧) إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور (٣٨) أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير (٣٩)الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز (٤٠)." (١)

"سورة الحج[سورة الحج (٢٢) : الآيات ١ الى ٣٧]بسم الله الرحمن الرحيميا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم (١) يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد (٢) ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد (٣) كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير (٤)يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج (٥) ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحي الموتى وأنه على كل شيء قدير (٦) وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور (٧) ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير (٨) ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق (٩)ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد (١٠) ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين (١١) يدعوا من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد (١٢) يدعوا لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير (١٣) إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار إن الله يفعل ما يريد (١٤)من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ (١٥) وكذلك أنزلناه آيات بينات وأن الله يهدي من يريد (١٦) إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد (١٧) ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء (١٨) هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤسهم الحميم (١٩)يصهر به ما في بطونهم والجلود (٢٠) ولهم مقامع من حديد (٢١) كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق (٢٢) إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير (٢٣) وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد (٢٤)إن الذين

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٢٥٧/٣

كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم (٢٥) وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود (٢٦) وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق (٢٧) ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير (٢٨) ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق (٢٩)ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور (٣٠) حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق (٣١) ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤)الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧)." (١)

"يمكن التبعيض فيها بأن يعني بالرجس عبادة الأوثان، وقد روي ذلك عن ابن عباس وابن جريج، فكأنه قال: فاجتنبوا من الأوثان الرجس وهو العبادة لأن المحرم من الأوثان إنما هو العبادة، ألا ترى أنه قد يتصور استعمال الوثن في بناء وغير ذلك مما لم يحرمه الشرع؟فكأن للوثن جهات منها عبادتها، وهو المأمور باجتنابه وعبادتها بعض جهاتها، ولما كان قول الزور معادلا للكفر لم يعطف على الرجس بل أفرد بأن كرر له العامل اعتناء باجتنابه.وفي الحديث: «عدلت شهادة الزور بالشرك» .ولما أمر باجتناب عبادة الأوثان وقول الزور ضرب مثلا للمشرك فقال ومن يشرك بالله الآية. قال الزمخشري: يجوز في هذا التشبيه أن يكون من المركب والمفرق، فإن كان تشبيها مركبا فكأنه قال: من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكا ليس بعده بأن صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق مرعا في حواصلها، وعصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطارح البعيدة، وإن كان مفرقا فقد شبه الإيمان في علوه بالسماء والذي ترك الإيمان وأشرك بالله بالساقط من السماء والإهواء التي تنازع أوكاره بالطير المختطفة، والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي مما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة انتهى. وقرأ نافع فتخطفه بفتح الخاء والطاء مشددة وباقي السبعة بسكون الخاء وتخفيف الطاء. وقرأ الحسن وأبو رجاء والأعمش بكسر التاء والخاء والطاء مشددة، وعن الحسن كذلك إلا أنه فتح الطاء مشددة.وقرأ الأعمش أيضا تخطه بغير فاء وإسكان الخاء وفتح الطاء مخففة. وقرأ أبو جعفر والحسن وأبو رجاء: الرياح.ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٤٧٥/٧

أسلموا وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين.إعراب ذلك كإعراب ذلك المتقدم، وتقدم تفسير شعائر الله في أول." (١)

"﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) ﴾ .يخبر تعالى أنه لم يزل ذبح المناسك وإراقة الدماء على اسم الله مشروعا في جميع الملل.قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا﴾ قال: عيدا.وقال عكرمة: ذبحا. وقال زيد بن أسلم في قوله: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا﴾ ، إنها مكة، لم يجعل الله لأمة قط منسكا غيرها.[وقوله] (١) : ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ ، كما ثبت في الصحيحين عن أنس قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين أقرنين، فسمى وكبر، ووضع رجله على صفاحهما (٢) .وقال الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا يزيد بن هارون، أنبأنا سلام بن مسكين، عن عائذ الله المجاشعي، عن أبي داود -وهو نفيع بن الحارث-عن زيد بن أرقم قال: قلت -أو: قالوا-: يا رسول الله، ما هذه الأضاحي؟ قال: "سنة أبيكم إبراهيم". قالوا: ما لنا منها؟ قال: "بكل شعرة حسنة" قالوا: فالصوف؟ قال: "بكل شعرة من الصوف حسنة".وأخرجه الإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه في سننه، من حديث سلام بن مسكين، به (٣) .وقوله: ﴿فإلهكم إله واحد فله أسلموا﴾ أي: معبودكم واحد، وإن تنوعت شرائع الأنبياء ونسخ بعضها بعضا، فالجميع يدعون إلى عبادة الله وحده، لا شريك له، ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي (٤) إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ (٥) [الأنبياء: ٢٥] . ولهذا قال: ﴿فله أسلموا﴾ أي: أخلصوا واستسلموا لحكمه وطاعته.﴿وبشر المخبتين﴾ : قال مجاهد: المطمئنين، وقال الضحاك، وقتادة: المتواضعين. وقال السدي: الوجلين. وقال عمرو بن أوس (٦) : المخبتون (٧) : الذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لم ينتصروا.وقال الثوري: ﴿وبشر المخبتين﴾ قال: المطمئنين الراضين بقضاء الله، المستسلمين له.__________(١) زيادة من ف، أ.(٢) صحيح البخاري برقم (٥٥٥٨) وصحيح مسلم برقم (١٩٦٦) .(٣) المسند (٤/٣٦٨) .(٤) في ت، أ: "يوحى".(٥) في ت: "فاعبدوني".(٦) في ت، ف، أ: "إدريس".(٧) في ت: "المختبتين".." (٢)

"[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٤ الى ٣٥]ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)يخبر تعالى أنه لم يزل ذبح المناسك وإراقة الدماء على اسم الله مشروعا في جميع

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٧/٥٠٥

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٥/٤٢٤

الملل.وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس ولكل أمة جعلنا منسكا قال: عيدا. وقال عكرمة: ذبحا.وقال زيد بن أسلم في قوله: ولكل أمة جعلنا منسكا إنها مكة، لم يجعل الله لأمة قط منسكا غيرها.وقوله: ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام كما ثبت في الصحيحين عن أنس قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين أقرنين، فسمى وكبر ووضع رجله على صفاحهما «١» . وقال الإمام أحمد بن حنبل «٢» : حدثنا يزيد بن هارون، أنبأنا سلام بن مسكين عن عائذ الله المجاشعي عن أبي داود- وهو نفيع بن الحارث- عن زيد بن أرقم قال: قلت أو قالوا: يا رسول الله ما هذه الأضاحي؟ قال: «سنة أبيكم إبراهيم» قالوا: ما لنا منها؟ قال:«بكل شعرة حسنة قال فالصوف؟ قال «بكل شعرة من الصوف حسنة» «٣» وأخرجه الإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه في سننه من حديث سلام بن مسكين به.وقوله: فإلهكم إله واحد فله أسلموا أي معبودكم واحد وإن تنوعت شرائع الأنبياء ونسخ بعضها بعضا، فالجميع يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون [الأنبياء: ٢٥] ولهذا قال: فله أسلموا أي أخلصوا واستسلموا لحكمه وطاعته وبشر المخبتين قال مجاهد: المطمئنين. وقال الضحاك وقتادة: المتواضعين. وقال السدي: الوجلين. وقال عمرو بن أوس: المخبتين الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا «٤» . وقال الثوري وبشر المخبتين قال: المطمئنين الراضين بقضاء الله المستسلمين له، وأحسن بما يفسر بما بعده وهو قوله: الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم أي خافت منه قلوبهم والصابرين على ما أصابهم أي من المصائب.قال الحسن البصري: والله لنصبرن أو لنهلكن والمقيمي الصلاة قرأ الجمهور بالإضافة السبعة وبقية العشرة أيضا وقرأ ابن السميقع والمقيمين الصلاة بالنصب وعن الحسن البصري والمقيمي الصلاة وإنما حذفت النون هاهنا تخفيفا، ولو حذفت للإضافة لوجب خفض الصلاة ولكن على سبيل التخفيف، فنصبت، أي المؤدين حق الله فيما أوجب عليهم من أداء فرائضه ومما رزقناهم ينفقون أي وينفقون ما آتاهم الله من طيب الرزق على أهليهم______________(١) أخرجه البخاري في الأضاحي باب ٩، ١٣، ١٤، ومسلم في الأضاحي حديث ١٧، ١٨.(٢) المسند ٤/ ٣٦٨.(٣) أخرجه ابن ماجة في الأضاحي باب ٣، والترمذي في الأضاحي باب ١.(٤) انظر تفسير الطبري ٩/ ١٥١.." (١)

"المصدر، وقد شذت ألفاظ ضبطها النحاة في كتبهم مذكورة في هذا الكتاب.فصل«ولكل أمة» (أي: جماعة مؤمنة سلفت قبلكم من عهد إبراهيم عليه السلام «جعلنا منسكا») أي ضربا من القربان، وجعل العلة في ذلك أن يذكر اسمه عند ذبحها ونحرها فقال: ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ أي: عند الذبح والنحر لأنها لا تتكلم. وقال: «بهيمة الأنعام» قيد بالنعم، لأن من البهائم ما ليس من الأنعام كالخيل والبغال والحمير لا يجوز ذبحها في القرابين، وكانت العرب تسمي ما تذبحه للصنم العتر والعتيرة كالذبح والذبيحة.قوله: ﴿فإلهكم إله واحد﴾ في كيفية النظم وجهان:الأول: أن الإله واحد، وإنما اختلفت التكاليف باختلاف الأزمنة والأشخاص لاختلاف المصالح.والثاني: ﴿فإلهكم إله واحد﴾ لا تذكروا على ذبائحكم غير اسمه. «فله أسلموا» انقادوا وأطيعوا، فمن انقاد لله كان مخبتا فلذلك قال بعده «وبشر المخبتين» .قال ابن عباس وقتادة: المخبت المتواضع الخاشع وقال مجاهد: المطمئن إلى الله. والخبت

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية ابن كثير ٣٧٣/٥

المكان المطمئن من الأرض. قال أبو مسلم: حقيقة المخبت من صار في خبت من الأرض تقول: أخبت الرجل إذا صار في الخبت كما يقال: أنجد وأتهم وأشأم.." (١)

"وثالثها: أنه لما لم ينتفع بالأجسام التي هي اللحوم والدماء وانتفع بتقواه، وجب أن يكون تقواه فعلا له، وإلا كان تقواه بمنزلة اللحوم.ورابعها: أنه لما شرط القبول بالتقوى، وصاحب الكبيرة غير متق، فوجب أن لا يكون عمله مقبولا وأنه لا ثواب له.والجواب: أما الأولان فحقان، وأما الثالث فمعارض بالداعي والعلم.وأما الرابع: فصاحب الكبيرة وإن لم يكن متقيا مطلقا، ولكنه متق فيما أتى به من الطاعة على سبيل الإخلاص، فوجب أن تكون طاعته مقبولة، وعند هذا تنقلب الآية حجة عليهم.قوله: «كذلك سخرها» الكاف نعت مصدر أو حال من ذلك المصدر «ولتكبروا» متعلق به أي إنما سخرها كذلك لتكبروا الله، وهو التعظيم بما يفعله عند النحر وقبله وبعده. و ﴿على ما هداكم﴾ متعلق بالتكبير، عدي بعلى لتضمنه معنى الشكر على ما هداكم أرشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه، وهو أن يقول: الله أكبر ما هدانا والحمد لله على ما أبلانا وأولانا، ثم قال بعده على سبيل الوعد لمن امتثل أمره «وبشر المحسنين» كما قال من قبل «وبشر المخبتين» قال ابن عباس: المحسنين الموحدين. والمحسن الذي يفعل الحسن من الأعمال فيصير محسنا إلى نفسه بتوفير الثواب عليه.." (٢)

"فكانت صلاته قصدا، وخطبته قصدا» .وخرجه أبو داود ولفظه: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يطيل الموعظة يوم الجمعة، إنما هو كلمات يسيرات» .وخرجه مسلم من حديث أبي وائل قال: خطبنا عمار فأوجز وأبلغ، فلما نزل، قلنا: يا أبا اليقظان لقد أبلغت وأوجزت، فلو كنت تنفست، قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن طول صلاة الرجل، وقصر خطبته، مئنة من فقهه، فأطيلوا الصلاة، وأقصروا الخطبة، فإن من البيان سحرا» .وخرج الإمام أحمد وأبو داود من حديث الحاكم بن حزن، قال: «شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة فقام متوكئا على عصا أو قوس، فحمد الله، وأثنى عليه كلمات خفيفات طيبات مباركات» .وخرج أبو داود عن عمرو بن العاص أن رجلا قام يوما، فأكثر القول، فقال عمرو: لو قصد في قوله، لكان خيرا له، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لقد رأيت - أو أمرت - أن أتجوز في القول، فإن الجواز هو خير» .وقوله: " «ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب» " هذان الوصفان بهما مدح الله المؤمنين عند سماع الذكر كما قال تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ [الأنفال: ٢] [الأنفال: ٢] وقال: ﴿وبشر المخبتين - الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ [الحج: ٣٤ - ٣٥] [الحج: ٣٤ - ٣٥] وقال: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق﴾ [الحديد: ١٦] [الحديد: ١٦] ، وقال: ﴿الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ [الزمر: ٢٣] [الزمر: ٢٣] ، وقال تعالى: ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق﴾ [المائدة: ٨٣] [المائدة: ٨٣] .وكان صلى الله عليه وسلم يتغير حاله عند الموعظة،

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٨٨/١٤

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٩٨/١٤

كما قال جابر: «كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب، وذكر الساعة، اشتد غضبه، وعلا صوته، واحمرت عيناه، كأنه منذر جيش يقول: صبحكم ومساكم» . خرجه مسلم بمعناه.وفي " الصحيحين " عن أنس أن «النبي صلى الله عليه وسلم خرج حين زاغت الشمس، فصلى الظهر، فلما سلم، قام على المنبر، فذكر الساعة، وذكر أن بين يديها أمورا عظاما، ثم قال: من أحب أن يسأل عن شيء فليسأل عنه، فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به في مقامي هذا، قال أنس: فأكثر الناس البكاء وأكثر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول: سلوني، فقام إليه رجل فقال: أين مدخلي يا رسول الله، قال: النار» وذكر الحديث.وفي " مسند " الإمام أحمد «عن النعمان بن بشير أنه خطب، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يقول: أنذرتكم النار، حتى لو أن رجلا كان بالسوق لسمعه من مقامي هذا، قال: حتى وقعت خميصة على عاتقه عند رجليه» .وفي " الصحيحين " عن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اتقوا." (١)

"((لقد رأيت - أو أمرت - أن أتجوز في القول، فإن الجواز هو خير)) .وقوله: ((ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب)) هذان الوصفان بهما مدح الله المؤمنين عند سماع الذكر كما قال تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ (رَحِمَهُ اللَّهُ١) ، وقال: ﴿وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ (رَحِمَهُ اللَّهُ٢) ، وقال: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق﴾ (رَحِمَهُ اللَّهُ٣) ، وقال: ﴿الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ (رَحِمَهُ اللَّهُ٤) ، وقال تعالى: ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق﴾ (رَحِمَهُ اللَّهُ٥) .وكان - صلى الله عليه وسلم - يتغير حاله عند الموعظة، كما قال جابر: كان النبي - صلى الله عليه وسلم - إذاخطب، وذكر الساعة، اشتد غضبه، وعلا صوته، واحمرت عيناه، كأنه منذر جيش يقول: صبحكم ومساكم. خرجه مسلم بمعناه (رَحِمَهُ اللَّهُ٦) .وفي " الصحيحين " (رَحِمَهُ اللَّهُ٧) عن أنس: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - خرج حين زاغت الشمس، فصلى الظهر، فلما سلم، قام على المنبر، فذكر الساعة، وذكر أن بين يديها أمورا عظاما، ثم قال: ((من أحب أن يسأل عن شيء فليسأل عنه، فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به في مقامي هذا)) ، قال أنس: فأكثر الناس البكاء، وأكثر رسولرَحِمَهُ اللَّهُ____________(رَحِمَهُ اللَّهُ١) الأنفال: ٢.(رَحِمَهُ اللَّهُ٢) الحج: ٣٤ - ٣٥.(رَحِمَهُ اللَّهُ٣) الحديد: ١٦.(رَحِمَهُ اللَّهُ٤) الزمر: ٢٣.(رَحِمَهُ اللَّهُ٥) المائدة: ٨٣.(رَحِمَهُ اللَّهُ٦) في " صحيحه " ١١/٣ (٨٦٧) (٤٣) و (٤٤) .(رَحِمَهُ اللَّهُ٧) صحيح البخاري ١٤٣/١ (٥٤٠) و٩٦/٨ (٦٣٦٢) ١١٨/٩ (٧٢٩٤) ، وصحيح مسلم ٩٢/٧ (٢٣٥٩) (١٣٤) و٩٣/٧ (٢٣٥٩) و (١٣٦) و٩٤/٧ (٢٣٥٩)(١٣٧) .." (٢)

"٢٥ - باب إذا هبت الريح١٠٣٤ - حدثنا سعيد بن أبي مريم قال: أخبرنا محمد بن جعفر قال: أخبرني حميد أنه سمع أنسا يقول: كانت الريح الشديدة إذا هبت عرف ذلك في وجه النبي - صلى الله عليه وسلم -. [فتح: ٢/

---

(١) جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط ابن رجب الحنبلي ١١٢/٢

(٢) جامع العلوم والحكم ت ماهر الفحل ابن رجب الحنبلي ٧٦٢/٢

٥٢٠]ذكر فيه عن أنس قال: كانت الريح الشديدة إذا هبت عرف ذلك في وجه النبي - صلى الله عليه وسلم -. هذا الحديث من أفراده.وفي حديث آخر في "الصحيح" أن عائشة قالت: قيل له ذلك، فذكر قصة عاد (رحمه الله ١)، وقوله: ﴿هذا عارض ممطرنا﴾ [الأحقاف: ٢٤] وكان - صلى الله عليه وسلم - يخشى أن يصيبهم عقوبة ذنوب العامة، كما أصاب الذين قالوا: ﴿هذا عارض ممطرنا﴾ [الأحقاف: ٢٤]. وفيه تذكر ما ينسى الناس من عذاب الله -عز وجل- للأمم الخالية، والتحذير من طريقهم في العصيان خشية نزول ما حل بهم، قال تعالى ﴿أفأمن أهل القرى﴾ إلى قوله: ﴿الخاسرون﴾ [الأعراف: ٩٧ - ٩٨] وعلى هذا كان الأنبياء والصالحون يشعرون أنفسهم الخوف من الله تعالى، يقول الله: ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] وهم الخاشعون، كذا قال الداودي، واعترضه ابن التين بأن المعروف أن المخبت: المطمئن بأمر الله تعالى، وقيل: الذي لا يظلم، وإذا ظلم لم ينتصر.ومصدر (هبت الريح) هبوبا، والتيس هبابا، والنائم هبا، والسيف هبة، والبعير هبابا، إذا نشط من سفره. قال أشهب: إذا هبت الريح الشديدة فافزع إلى الصلاة.رحمه الله____________(رحمه الله ١) رواه مسلم برقم (٨٩٩) كتاب: صلاة الاستسقاء.." (١)

"تنصب من الدماغ إلى القلب. يصهر به ما في بطونهم من الأخلاق الحميدة الروحانية والجلود أي يفسد أحوالهم الباطنة والظاهرة بفساد تخيلاتهم، ولا مخلص لهم عن دركات تلك الملكات لغاية رسوخها والله أعلم بالصواب.[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٢٣ الى ٤١]إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير (٢٣) وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد (٢٤) إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم (٢٥) وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود (٢٦) وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق (٢٧)ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير (٢٨) ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق (٢٩) ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور (٣٠) حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق (٣١) ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢)لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧)إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور (٣٨) أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ابن الملقن ٢٧٩/٨

نصرهم لقدير (٣٩) الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز (٤٠) الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور (٤١)." (١)

"الواردات المطيفة والأخلاق الثابتة والأحوال المتوالية كالرغبة والرهبة والقبض والبسط والأنس والهيبة رجالا هي النفس وصفاتها وعلى كل ضامر هي البدن وجوارحه فإن الأعمال الشرعية قد ركبت الجوارح المرتاضة، فأعمال البدن مركبة من حركات الجوارح ونيات الضمير كما أن أعمال النفس بسيطة. لأنها نيات الضمير فقط من كل فج عميق هو مصالح الدنيا لأن مصالحها بعيدة عن مصالح الآخرة ليشهدوا منافع لهم فمنافع النفس وصفاتها بتبديل الأخلاق، ومنافع القلب والجوارح بظهور أثر الطاعة عليها ويذكروا أي القلب والنفس والقالب شكرا على ما رزقهم من تبديل الصفات البهيمية بالصفات الروحانية فانتفعوا بها وأفيضوا منها على الطالبين فهو خير لأن العبد يصل بالطاعة إلى الجنة ويصل بحرمة الطاعة إلى الله، وترك الخدمة يوجب العقوبة وترك الحرمة يوجب الفرقة. وأحلت لكم استعمال الصفات البهيمية بقدر الضرورة إلا ما يتلى عليكم في قولنا ولا تسرفوا [الأعراف: ٣١]وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»فاجتنبوا مقتضيات الهوى وكونوا صادقين في الطلب لا مزورين مائلين إلى الحق غير طالبين معه غيره، وخر من سماء القلب فاستلبه طير الشياطين أو تهوي به ريح الهوى والخذلان إلى أسفل سافلين البعد والحرمان. لكم في شواهد آثار صنع الإرشاد منافع وهي لذة العبور على المقامات ولذة البسط ولذة الأنس إلى أجل مسمى وهو حد الكمال، ثم انتهاء السلوك إلى حضرة القديم. ولكل سالك جعلنا مقصدا وطريقا، منهم من يطلب الله من طريق المعاملات، ومنهم من يطلبه من طريق المجاهدات، ومنهم من يطلبه بطريق المعارف، ومنهم من يطلبه به. فله أسلموا أي أخلصوا والإخلاص تصفية الأعمال من الآفات، ثم الأخلاق من الكدورات، ثم الأحوال من الالتفات، ثم الأنفاس من الأغيار وبشر المخبتين عنى المستقيمين على هذه الطريقة. وجلت قلوبهم الوجل عند الذكر على حسب تجلي الحق للقلب. والصابرين على ما أصابهم من غير تمني ترحة ولا روم فرحة والمقيمي الصلاة الحافظين مع الله أسرارهم لا يطلبون إطلاع الخلق على أحوالهم ومما رزقناهم ينفقون يبذلون الموجود في طلب المقصود والوجود بشهود المعبود والبدن يعني بدن الأبدان الجسام جعلنا قربانها عند كعبة القلب بذبحها عن شهواتها من شعائر أهل الصدق في الطلب، فإذا ماتت عن طبيعتها فانتفعوا بها أنتم وغيركم من الطالبين والقانعين بما أفضتم عليه، والمعترين المتعطشين الذين لا يروون ريا من ماء حياة المعرفةشربت الحب كأسا بعد كأس ... فما نفد الشراب وما رويتكذلك سخرناها لكم فيه أن ذبح النفس بسكين الرياضة لا يتيسر إلا بتسخير خالقها." (٢)

"قال الحين عند العرب من ساعة إلى ما لا يحصى عدده والمراد هنا يوم القيامة قوله حيهلا وحي على الفلاح كله بمعنى أقبلوا وسيأتي معنى هلا في الهاء قوله كان حييا أي شديد الحياء قوله التحيات جمع تحية وهي السلام قوله والشمس

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٧٣/٥

(٢) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٨٥/٥

حية أي باقية على شدة حرها قوله الحيات جمع حية وهي أنثى الثعبان قال الحيات أجناس الأفاعي والأساود والجان قوله سيد الحي الحي هو اسم لمنزل القبيلة ثم سميت القبيلة به قوله حرف الخاء المعجمة(فصل خ ب)قوله خبأت لك خبأ بالفتح وسكون الموحدة مهموزا ومنه يخرج الخبء وبالكسر في الموحدة بوزن عظيم وهو اسم ما خبأته فعيل بمعني مفعول وأختبيء دعوتي أي أدخر وأختبيء أنا أي استتر والخباء بالمد والكسر من بيوت الأعراب وقد يستعمل في غيرها والجمع أخباء وأخبية ومنه أهل أخباء قوله الخبب أي الإسراع ومنه يخب ثلاثة أطواف أي يسرع في المشي قوله وبشر المخبتين أي المطمئنين كذا في الأصل وهو تفسير باللازم قوله خبث الحديد بفتحتين وآخره مثلثة وخبث الفضة هو الرديء منهما وأما إذا كثر الخبث فالمراد به الفجور قوله الخبث والخبائث قيل ذكران الشياطين وإناثهم أو الخبث الشر كله والخبائث الخطايا أو الأفعال المذمومة قوله ولا خبثة بالكسر أراد بالخبثة الحرام أو الريبة وقيل بيع أهل العهد قوله خبيث النفس أي ثقيلا غير نشيط وقوله لا يقل أحد خبثت نفسي كره الاسم فقط وقوله الدواء الخبيث فسره الترمذي في روايته السم وقال غيره الحرام وقوله ثمن الكلب خبيث أي حرام أو مكروه أو فاسد ومنه من أكل من هذه الشجرة الخبيثة فإن خبثها من جهة كراهية رائحتها قوله نهى عن المخابرة هي المزارعة على جزء يخرج من الأرض وأصله أن أهل خيبر كانوا يتعاملون كذلك جزم بذلك بن الأعرابي وقال غيره الخبير في كلام الأنصار الأكار قوله خبزة واحدة هي الطلمة بالمهملة وزنا ومعنى والمراد الرغيف فصل خ ت قوله يختله أي يستغفله ويراوغه ليقتله أو يسمع كلامه بغير علمه قوله ختامه مسك أي طينه قوله خاتم النبيين أي آخرهم قوله الختان هو الموضع الذي يقطع من الفرج ثم استعمل للفعل قوله ختنه بالتحريك أي صهره فصل خ د قوله الأخدود شق في الأرض مستطيل قوله ذوات الخدور وقوله من خدرها وقوله في خدرها الخدر ستر يكون للجارية البكر في ناحية البيت وقيل الخدور البيوت قوله تخدشها هرة وقوله خدوشا في وجهه الخدش قشر الجلد بعود أو نحوه ولو لم يدم قوله الخداع ويخدع وخديعة كله من إظهار غير ما يكتم وقوله الحرب خدعة من ذلك والمشهور فيه بفتحتين ويقال بالضم ثم السكون ويقال بالفتح ثم السكون وحكى فتح الدال فيهما قوله خدلج الساقين بفتحتين وتشديد اللام بعدها جيم أي ممتلئ الساقين وقوله خدلا مثله لكن بلا جيم والدال ساكنة وكسرها الأصيلي قوله خدم سوقهما أي الخلاخيل الواحدة خدمة بفتحتين قوله أخدان أي إخلاء جمع خدن الكسر وهو الخيل قوله مذعنين مستخدين." (١)

"وإحدى وتسعون كلمة، وثمان وتسعون آية.(بسم الله الرحمان الرحيم)ثبتت البسملة للكل.وقال ابن عيينة المخبتين المطمئنينأي: قال سفيان بن عيينة في قوله تعالى: ﴿وبشر المخبتين﴾ (الحج: ٤٣) أي: (المطمئنين) كذا ذكره ابن عيينة في تفسيره عن ابن جريج عن مجاهد، وقيل: المطمئنين بأمر الله، وقيل: المطيعين، وقيل: المتواضعين، وقيل: الخاشعين وهو من الإخبات والخبت بفتح أوله المطمئن من الأرض.وقال ابن عباس في: ﴿إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته﴾ (الحج: ٢٥) إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه فيبطل الله ما يلقي الشيطان ويحكم آياته.أي: قال ابن عباس في قوله عز وجل: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته﴾ ... الآية، وهذا التعليق رواه أبو محمد

---

(١) فتح الباري لابن حجر ابن حجر العسقلاني ١/١١٠

الرازي عن أبيه: حدثنا أبو صالح حدثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عنه، وقد تكلم المفسرون في هذه الآية أشياء كثيرة، والأحسن منها ما قاله أبو الحسن بن علي الطبري: ليس هذا التمني من القرآن والوحي في شيء وإنما هو أن النبي صلى الله عليه وسلم، كان إذا صفرت يده من المال ورأى ما بأصحابه من سوء الحال تمنى الدنيا بقلبه ووسوسة الشيطان، وأحسن من هذا أيضا ما قاله بعضهم: كان النبي صلى الله عليه وسلم، يرتل القرآن فارتصده الشيطان في سكتة من السكتات ونطق بتلك الكلمات محاكيا نغمته بحيث سمعه من دنا إليه فظنها من قوله وأشاعها. قلت: تلك الكلمات هي ما أخرجه ابن أبي حاتم والطبري وابن المنذر من طرق عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة النجم فلما بلغ: ﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾ (النجم: ٩١) ألقى الشيطان على لسانه.(تلك الغرانيق العلى ... وإن شفاعتهن لترتجى)فقال المشركون: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم فسجد وسجدوا، فنزلت هذه الآية وروي هذا أيضا من طرق كثيرة، وقال ابن العربي: ذكر الطبري في ذلك روايات كثيرة باطلة لا أصل لها، وقال عياض: هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع إسناده، وكذا من تكلم بهذه القصة من التابعين والمفسرين لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحبه، وأكثر الطرق عنهم في ذلك ضعيفة. وقال بعضهم: هذا الذي ذكره ابن العربي وعياض لا يمضي على القواعد، فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على أن لها أصلا. انتهى.قلت: الذي ذكراه هو اللائق بجلالة قدر النبي صلى الله عليه وسلم فإنه قد قامت الحجة واجتمعت الأمة على عصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة، وحاشاه عن أن يجري على قلبه أو لسانه شيء من ذلك لا عمدا ولا سهوا. أو يكون للشيطان عليه سبيل أو أن يتقول على الله عز وجل لا عمدا ولا سهوا. والنظر والعرف أيضا يحيلان ذلك ولو وقع لارتد كثير ممن أسلم، ولم ينقل ذلك ولا كان يخفى على من كان بحضرته من المسلمين. قوله: (من رسول ولا نبي) الرسول هو الذي يأتيه جبريل عليه الصلاة والسلام، بالوحي عيانا وشفاها، والنبي هو الذي تكون نبوته إلهاما أو كلاما، فكل رسول نبي بغير عكس. قوله: (إذا تمنى) أي: إذا أحب واشتهى، وحدثت به نفسه مما لم يؤمر به. قوله: (في أمنيته) ، أي: مراده، وقال ابن العربي: أي في قراءته، فأخبر الله تعالى في هذه الآية أن سنته في رسله إذا قالوا قولا زاد الشيطان فيه من قبل نفسه، فهذا نص في أن الشيطان زاده في قول النبي صلى الله عليه وسلم لا أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله.ويقال أمنيته قراءته إلا أماني يقرؤون ولا يكتبونهو قول الفراء فإنه قال: معنى قوله: (إلا إذا تمنى) ، إلا إذا تلى قال الشاعر:(تمنى كتاب الله أول ليلة ... تمني داود الزبور على رسل)." (١)

"﴿ولكل أمة﴾ أي جماعة مؤمنة سلفت قبلكم ﴿جعلنا منسكا﴾ بفتح السين مصدر وبكسرها اسم مكان أي ذبحا قربانا أو مكانه ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ عند ذبحها ﴿فإلهكم إله واحد فله أسلموا﴾ انقادوا ﴿وبشر المخبتين﴾ المطيعين المتواضعين٣ -." (٢)

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري بدر الدين العيني ٦٦/١٩

(٢) تفسير الجلالين المحلي، جلال الدين ص/٤٣٨

"ويظهر أن الإشارة إلى زور أقوالهم في تحريم وتحليل ما كانوا قد شرعوا في الأنعام، وحنفاء معناه مستقيمين أو مائلين إلى الحق، بحسب أن لفظة الحنف من الأضداد، تقع على الاستقامة، وتقع على الميل، والسحيق: البعيد.[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٢ الى ٣٥]ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)وقوله سبحانه: ذلك ومن يعظم شعائر الله التقدير في هذا الموضع: الأمر ذلك، والشعائر جمع شعيرة وهي كل شيء لله عز وجل فيه أمر أشعر به وأعلم.قال الشيخ ابن أبي جمرة: ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب قال:____________– واستدل أبو حنيفة. بأن شريحا كان يشهر، ولا يضرب، وما روي عن عمر من أنه ضرب شاهد الزور أربعين سوطا وسخم وجهه، فمحمول على السياسة، بدلالة التبليغ إلى الأربعين، والتسخيم.والتشهير منقول عن شريح (رحمه الله تعالى) ، فإنه كان يبعثه إلى سوقه إن كان سوقيا، وإلى قومه إن كان غير سوقي بعد العصر أجمع ما كانوا، ويقول إن شريحا يقرئكم السلام، ويقول: إنا وجدنا هذا شاهد زور، فاحذروه، وحذروا الناس منه.واختلف القائلون بجواز الضرب، والحبس: فقال ابن أبي ليلى: يجلد خمسة وسبعين سوطا، وهذه رواية عن أبي يوسف، وفي رواية أخرى عنه: يجلد تسعة وسبعين سوطا.وقال الشافعي: لا يزيد على تسعة وثلاثين.وقال أحمد: لا يزداد على عشر جلدات.وقال الأوزاعي في شاهدي الطلاق: يجلدان مائة مائة، ويغرمان الصداق.وقال صاحب «الفتح» : اعلم أنه قد قيل: إن المسألة على ثلاثة أوجه: أن يرجع على سبيل الإصرار، مثل أن يقول لهم: شهدت في هذه بالزور، ولا أرجع عن مثل ذلك، فإنه يعزر بالضرب بالاتفاق، وإن رجع على سبيل التوبة لا يعزر اتفاقا، وإن كان لا يعرف حاله، فعلى الاختلاف المذكور.واختلفوا في قبول شهادته بعد توبته، فذهب الحنفية إلى أنه إذا تاب شاهد الزور، وأتت على ذلك مدة، قيل سنة، وقيل ستة أشهر، والصحيح أنها مفوضة لرأي القاضي.فإن كان فاسقا تقبل شهادته، لإن الحامل له على الزور فسقه، وقد زال بالتوبة.وإن كان مستورا لا يقبل أصلا، وكذا إذا كان عدلا، على رواية بشر عن أبي يوسف، لأن الحامل له على ذلك غير معلوم، فكان الحال قبل التوبة وبعدها سواء، وروى أبو جعفر أنها تقبل، قالوا: وعليه الفتوى.وقال الشافعي، وأبو ثور، وأحمد: تقبل شهادته إذا أتت على ذلك مدة تظهر فيها توبته، ويتبين فيها صدقه، وعدالته..وقال مالك: لا تقبل شهادته أبدا، لأنه لا يؤمن على قول الصدق.." (١)

"ت وأظهر هذه التأويلات عندي تأويل عطاء، وفي الثالث بعض تكلف، ثم أخبر تعالى أنه جعل لكل أمة من الأمم المؤمنة منسكا، أي: موضع نسك وعبادة، هذا على أن المنسك ظرف، ويحتمل أن يريد به المصدر كأنه قال: عبادة، والناسك العابد.وقال مجاهد «١» : سنة في هراقة دماء الذبائح.وقوله: ليذكروا اسم الله معناه أمرناهم عند ذبائحهم بذكر الله، وأن يكون الذبح له لأنه رازق ذلك، وقوله: فله أسلموا أي: آمنوا، ويحتمل أن يريد استسلموا، ثم أمر سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم أن يبشر بشارة على الإطلاق، وهي أبلغ من المفسرة لأنها مرسلة مع نهاية التخيل

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ١٢١/٤

للمخبتين المتواضعين الخاشعين المؤمنين، والخبت ما انخفض من الأرض، والمخبت المتواضع الذي مشيه متطامن كأنه في حدور من الأرض، وقال عمرو بن أوس «٢» : المخبتون الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا.قال ع «٣» : وهذا مثال شريف من خلق المؤمن الهين اللين، وقال مجاهد: هم المطمئنون بأمر الله تعالى، ووصفهم سبحانه بالخوف والوجل عند ذكر الله تعالى، وذلك لقوة يقينهم ومراقبتهم لربهم، وكأنهم بين يديه جل وعلا، ووصفهم بالصبر وبإقامة الصلاة وإدامتها، وروي: أن هذه الآية قوله: وبشر المخبتين نزلت في أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي (رضي الله عنهم أجمعين) .[سورة الحج (٢٢) : آية ٣٦]والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦)وقوله سبحانه: والبدن جعلناها لكم من شعائر الله البدن: جمع بدنة، وهي ما أشعر من ناقة أو بقرة قاله عطاء وغيره «٤» ، وسميت بذلك لأنها تبدن، أي:تسمن.__________(١) أخرجه الطبري (٩/ ١٥٠) برقم (٢٥١٧١) ، وذكره ابن عطية (٤/ ١٢١) والسيوطي (٤/ ٦٤٨) ، وعزاه لعبد بن حميد، وابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد.(٢) أخرجه الطبري (٩/ ١٥١) برقم (٢٥١٧٧) ، وذكره ابن عطية (٤/ ١٢٢) ، وابن كثير (٣/ ٢٢١) والسيوطي (٤/ ٦٤٩) ، وعزاه لسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن أبي شيبة، وابن أبي الدنيا في «ذم الغضب» ، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن عمرو بن أوس.(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ١٢٣) .(٤) أخرجه الطبري (٩/ ١٥٢) برقم (٢٥١٨٠) ، وذكره ابن عطية (٤/ ١٢٢) ، وابن كثير (٣/ ٢٢١) .." (١)

"في كل ما أمر به أو نهى عنه ناسخا كان أو لا وإن لم تفهموا معناه كغالب مناسك الحج.ولما أمر بالإسلام من يحتاج إلى ذلك إيجادا أو تكميلا أو إدامة، وكان الإسلام هو سهولة الانقياد من غير كبر ولا شماخة، وكان منشأ الطمأنينة والتواضع اللذين هما أنسب شيء لحال الحجاج المتجرد من المخيط المكشوف الرأس الطالب لوضع أوزاره، وتخفيف آصاره لستر عوراه، أقبل سبحانه وتعالى على الرأس من المأمورين، الحائز لما يمكن المخلوقين أن يصلوا إليه من رتب الكمال، وخلال الجمال والجلال، إشارة إلى أنه لا يلحقه أحد في ذلك فقال: ﴿وبشر المخبتين*﴾ أي المتواضعين، المنكسرين، من الخبت - للأرض المنخفضة الصالحة للاستطراق وغيره من المنافع؛ ثم بين علاماتهم فقال: ﴿الذين إذا ذكر الله﴾ أي الذي له الجلال والجمال ﴿وجلت﴾ أي خافت خوفا مزعجا ﴿قلوبهم﴾ .ولما كان في ذكر الحج، وكان ذلك مظنة لكثرة الخلطة الموجبة لكثرة الأنكاد ولا سيما وقد كان أكثر المخالطين مشركين، لأن السورة مكية، قال عاطفا غير متبع، إيذانا بالرسوخ في الأوصاف: ﴿والصابرين﴾ الذين صار الصبر عادتهم ﴿على ما أصابهم﴾." (٢)

"اجتنبوا (ومن يشرك بالله فكأنما خر): سقط، (من السماء فتخطفه): تسلبه، (الطير أو تهوي): تسقط، (به الريح في مكان سحيق): بعيد يعني: من أشرك فقد أهلك نفسه غاية الإهلاك فهو كجيفة اختطفته الطير فتفرق قطعا في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المهالك البعيدة، وأو للتخيير أو للتنويع فإن من المشركين من لا

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ١٢٣/٤

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٤٨/١٣

خلاص له أصلا، ومنهم من يمكن خلاصه بالإيمان لكن على بعد (ذلك): الأمر ذلك، (ومن يعظم شعائر الله): البدن والهدي وتعظيمها استسمانها أو أعمال الحج، (فإنها): تعظيمها، (من تقوى القلوب) أي: ناشئ من تقوى قلوبهم أو من أعمال ذوي تقوى القلوب، (لكم فيها). في الشعائر وهي البدن، (منافع): درها وصوفها وظهرها، (إلى أجل مسمى): وقت النحر وإن سماها وجعلها هديا أو الأجل المسمى تسمينها وجعلها هديا فما لم تسم بدنا ينتفع به، (ثم محلها): منحرها (إلى البيت العتيق) أي: عنده يعني: الحرم مطلقا.* * *(ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر." (١)

"الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧) إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور (٣٨)* * *(ولكل أمة)، لكل أهل دين، (جعلنا منسكا)، بفتح السين مصدر، أي: ذبح المناسك، وبكسرها موضع نسك يعني: إراقة الدماء مشروعة في جميع الملل، وعن بعض لم يجعل الله لأمه منسكا غير مكة، (ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) أي: المقصود من المناسك خلوص العبادة له، (فإلهكم): أنتم ومن قبلكم، (إله واحد فله أسلموا): انقادوا له لا لغيره (وبشر المخبتين): الخاشعين الراضين بقضائه، (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة): في أوقاتها، (ومما رزقناهم ينفقون):." (٢)

"- قوله تعالى: ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتينأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله ﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله﴾ قال: البدنوأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله ﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله﴾ قال: الاستسمان والاستحسان والاستعظاموفي قوله ﴿لكم فيها منافع إلى أجل مسمى﴾ قال: إلى أن تسمى بدناوأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن مجاهد ﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله﴾ قال: استعظام البدن واستسمانها واستحسانها ﴿لكم فيها منافع إلى أجل مسمى﴾ قال: ظهورها وأوبارها واشعارها وأصوافها إلى أن تسمى هديافإذا سميت هديا ذهبت المنافع ﴿ثم محلها﴾ يقول: حين يسمى إلى البيت العتيقوأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن الضحاك وعطاء في الأية قال: المنافع فيها الركوب عليها إذا احتاج وفي أوبارها." (٣)

---

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٥٥/٣

(٢) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٥٦/٣

(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور السيوطي ٤٦/٦

"وأخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم أنه قال: في هذه الآية ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا﴾ أنه مكة لم يجعل الله لأمة قط منسكا غيرهاأخرج أحمد وأبو داود والترمذي وابن أبي حاتم والحاكم وصححه عن جابر بن عبد الله: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى للناس يوم النحر فلما فرغ من خطبته وصلاته دعا بكبش فذبحه هو بنفسه وقال: بسم الله والله أكبراللهم هذا عني وعمن لم يضح من أمتيوأخرج أحمد وأبو داود وابن ماجة وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن جابر قال: ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين في يوم عيد فقال حين وجههما: وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا مسلما وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلميناللهم منك ولك وعن محمد وأمتهثم سمى الله وكبر وذبحوأخرج ابن أبي الدنيا في الأضاحي والبيهقي في الشعب عن علي أنه قال حين ذبح: وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا مسلما وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمينوأخرج أحمد والبخاري ومسلم والنسائي وابن ماجة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى بكبشين أملحين أقرنين فسمى وكبروأخرج ابن أبي الدنيا عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا ذبح قال: بسم الله والله أكبر اللهم منك ولك اللهم تقبل منيوأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل ﴿فله أسلموا﴾ يقول: فله أخلصواوأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتمعن مجاهد في قوله ﴿وبشر المخبتين﴾ قال: المطمئنينوأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا في ذم الغضب وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان عن عمرو بن أوس ﴿وبشر المخبتين﴾ قال: المخبتون الذين لا يظلمون الناس وإذا ظلموا لم ينتصروا." (١)

"وأخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن الضحاك رضي الله عنه ﴿وبشر المخبتين﴾ قال: المتواضعينوأخرج ابن أبي حاتم عن السدي رضي الله عنه ﴿وبشر المخبتين﴾ قال: الوجلينوأخرج ابن سعد وابن أبي شيبة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه كان إذا رأى الربيع بن خثيم قال: ﴿وبشر المخبتين﴾ وقال له: ما رأيتك إلا ذكرت المخبتين." (٢)

"أكبر لا إله إلا الله والله أكبر اللهم منك وإليك ثم علل الذكر بالنعمة تنبيها على التفكر فيها فقال تعالى: ﴿على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ فوجب شكره لذلك عليهم، وفيه تنبيه على أن القربان يجب أن يكون من الأنعام ﴿فإلهكم﴾ أي: الذي شرع هذه المناسك كلها ﴿إله واحد﴾ وإن اختلفت فروع شرائعه، ونسخ بعضها بعضا، وإذا كان واحدا وجب اختصاصه بالعبادة فلذا قال تعالى: ﴿فله﴾ وحده ﴿أسلموا﴾ أي: انقادوا بجميع ظواهركم وبواطنكم في كل ما أمر به أو نهى عنه ﴿وبشر المخبتين﴾ أي: المطيعين المتواضعين من الخبث، وهو المطمئن من الأرض وقيل: هم الذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لم ينتصروا.ثم بين علاماتهم بقوله تعالى: ﴿الذين إذا ذكر الله﴾ أي: الذي له الجلال والجمال

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور السيوطي ٤٨/٦

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور السيوطي ٤٩/٦

﴿وجلت﴾ أي: خافت خوفا مزعجا ﴿قلوبهم﴾ فيظهر عليها الخشوع والتواضع لله تعالى ﴿والصابرين﴾ الذين صار الصبر عادتهم ﴿على ما أصابهم﴾ من الكلف والمصائب ولماكان ذلك قد يشغل عن الصلاة قال تعالى ﴿والمقيمي الصلاة﴾ في أوقاتها والمحافظة عليها، وإن حصل لهم من المشاق بأفعال الحج وغيره ما عسى أن يحصل، ولذلك عبر بالوصف دون الفعل إشارة إلى أنه لا يقيمها على الوجه المشروع مع تلك المشاق والشواغل إلا راسخ في حبها فهم لما تمكن حبها في قلوبهم والخوف من الغفلة عنها كأنهم دائما في صلاة ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ في وجوه الخير من الهدايا التي يغالون في أثمانها وغير ذلك إحسانا إلى خلق الله تعالى. ولما قدم تعالى الحث على التقرب بالأنعام كلها وكانت الإبل أعظمها خلقا وأجلها في أنفسهم أمرا خصها بالذكر فقال تعالى: ﴿والبدن﴾ أي: الإبل المعروفة جمع بدنة كخشب وخشبة وانتصابه بفعل يفسره ﴿جعلناها لكم من شعائر الله﴾ أي: من أعلام دينه التي شرعها الله تعالى وقيل لأنها تشعر وهي أن تطعن بحديدة في سنامها ليعلم بذلك أنها هدي ﴿لكم فيها خير﴾ أي: نفع في الدنيا وثواب في العقبى كما قال ابن عباس دنيا وأخرى، وروى الترمذي وحسنه عن عائشة رضي الله تعالى عنه «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما عمل ابن آدم يوم النحر عملا أحب إلى الله من هراقة الدم وأنه ليؤتي يوم القيامة بقرونها وأظلافها وأشعارها وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع إلى الأرض فطيبوا بها نفسا» وروى الدارقطني في السنن عن ابن عباس قال «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنفقت الورق في شيء أفضل من نحيرة في يوم عيد» وعن بعض السلف أنه لم يملك إلا تسعة دنانير فاشترى بها بدنة فقيل له في ذلك فقال سمعت ربي يقول ﴿لكم فيها خير﴾ ﴿فاذكروا اسم الله عليها﴾ أي: على ذبحها بالتكبير حال كونها ﴿صواف﴾ أي قائمة على ثلاث معقولة اليد اليسرى لأن البدنة تعقل إحدى يديها فتقوم على ثلاث ﴿فإذا وجبت جنوبها﴾ أي: سقطت سقوطا بردت به بزوال أرواحها فلا حركة لها أصلا، من وجب الحائط وجبة سقط، ووجبت الشمس وجبة غربت، قال ابن كثير وقد جاء في حديث مرفوع ولا تعجلوا النفوس أن تزهق وقوله تعالى ﴿فكلوا منها﴾ أي: إذا كانت تطوعا أمر إباحة دفعا لما قد يظن أنه يحرم الأكل منها للأمر بتقريبها لله تعالى: ﴿وأطعموا القانع﴾ أي المتعرض للسؤال بخشوع وانكسار ﴿والمعتر﴾ أي: السائل وقيل بالعكس وهو قول الشافعي رحمه الله تعالى." (١)

"قال في كتاب اختلاف الحديث القانع هو السائل، والمعتر هو الزائر، وقيل: القانع هو الجالس في بيته المتعفف الذي يقنع بما يعطى ولا يسأل ولا يتعرض،والمعتر المعترض وقيل القانع هو المسكين والمعتر الذي ليس بمسكين، ولا تكون له ذبيحة فيجيء إلى القوم فيتعرض لهم لأجل لحمهم ﴿كذلك﴾ أي مثل هذا التسخير العظيم الذي وصفناه من نحرها قياما ﴿سخرناها﴾ بعظمتنا التي لولاها ما كان ذلك ﴿لكم﴾ وذللناها ليلا ونهارا مع عظمها وقوتها تأخذونها منقادة فتعقلونها وتحبسونها ولو شئنا لجعلناها وحشية لم تطق ولم تكن بأعجز من بعض الوحش التي هي أصغر منها جرما وأقل قوة ﴿لعلكم تشكرون﴾ إنعامنا عليكم لتعرفوا أن ما ذللها لكم إلا الله تعالى، فيكون حالكم حال من يرجو شكره فتوقعوا لشكر بأن لا تحرموا منها إلا ما حرم عليكم ولا تحلوا منها إلا ما أحل، وتهدوا منها ما حث على إهدائه وتتصرفوا بحسب

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ٢/٥٥٣

ما أمركم.ولما حث تعالى على التقرب بها مذكورا اسمه عليها قال تعالى: ﴿لن ينال الله﴾ الذي له صفات الكمال ﴿لحومها﴾ المأكولة ﴿ولا دماؤها﴾ المهراقة أي: لا يرفعان إليه ﴿ولكن يناله التقوى منكم﴾ أي: يرفع إليه منكم العمل الصالح الخالص له مع الإيمان، كما قال تعالى: ﴿والعمل الصالح يرفعه﴾ (فاطر: ١٠) أي: يقبله وقيل: كان أهل الجاهلية إذ انحروا البدن نضحوا الدماء حول البيت ولطخوه بالدم فلما حج المسلمون أرادوا مثل ذلك فنزلت.ثم كرر سبحانه وتعالى التنبيه على عظيم تسخيرها منبها على ما أوجب عليهم به بقوله تعالى: ﴿كذلك﴾ أي: التسخير العظيم ﴿سخرها لكم﴾ بعظمته وغناه عنكم ﴿لتكبروا الله على ما هداكم﴾ أي: أرشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه، كأن تقولوا الله أكبر على ما هدانا والحمد لله على ما أولانا، فاختصر الكلام بأن ضمن التكبير معنى الشكر وعدي تعديته.ثم وعد من امتثل الأمر بقوله تعالى: ﴿وبشر المحسنين﴾ أي: المخلصين فيما يفعلونه ويذرونه كما قال تعالى من قبل ﴿وبشر المخبتين﴾ والمحسن هو الذي يفعل الحسن من الأعمال ويتمسك به فيصير مخبتا إلى نفسه بتوفير الثواب عليه، وقال ابن عباس: الموحدين. وقوله تعالى:﴿إن الله﴾ أي: الذي لا كفء له ﴿يدفع عن الذين آمنوا﴾ وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء وسكون الدال وفتح الفاء والباقون بضم الياء وفتح الدال وبعدها ألف وكسر الفاء أي: يبالغ في الدفع مبالغة من يغالب فيه ولم يذكر الله تعالى ما يدفعه عنهم حتى يكون أعظم وأفخم وأعم وإن كان في الحقيقة أنه يدفع بأس المشركين فلذلك قال تعالى بعده ﴿إن الله﴾ أي: الذي له صفات الكمال ﴿لا يحب﴾ أي: لا يكرم كما يفعل المحب ﴿كل خوان﴾ في أمانته ﴿كفور﴾ لنعمته وهم المشركون، قال ابن عباس: خانوا الله فجعلوا معه شريكا وكفروا نعمه، فنبه بذلك على أنه يدفع عن المؤمنين كيد من هذه صفته وقال مقاتل: يدفع عن الذين آمنوا بمكة حين أمر المؤمنين بالكف عن كفار مكة قبل الهجرة حين آذوهم فاستأذنوا النبي صلى الله عليه وسلم في قتلهم سرا فنهاهم عن ذلك ثم أذن الله تعالى لهم قتالهم بقوله تعالى: ﴿أذن للذين يقاتلون﴾ أي: المشركين والمأذون فيه وهو في القتال محذوف لدلالة يقاتلون عليه ﴿بأنهم﴾ أي بسبب أنهم ﴿ظلموا﴾ فكانوا يأتونه صلى الله عليه وسلم بين مضروب ومشجوج يتظلمون إليه فيقول لهم: اصبروا فإني لم أومر بالقتال حتى هاجر فأنزلت وهي أول." (١)

"سورة الحج (٣٥٣٧) للقصر أي فإذا كان إلهكم إلها واحدا فأخلصوا له التقرب أو الذكر واجعلوه لوجهه خاصة ولا تشوبوه بالشرك ﴿وبشر المخبتين﴾ تجريد للخطاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أي المتواضعين أو المخلصين فإن الإخبات من الوظائف الخاصة بهم." (٢)

"الفصل الثاني٢٤٨٨ - (عن ابن عباس - رضي الله عنهما قال «كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يدعو يقول: رب أعني ولا تعن علي، وانصرني ولا تنصر علي، وامكر لي ولا تمكر علي، واهدني ويسر الهدى لي، وانصرني على من بغى علي، رب اجعلني شاكرا لك، ذاكرا لك، راهبا لك، مطواعا لك، مخبتا إليك، أواها منيبا. رب تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبت حجتي وسدد لساني، واهد قلبي، واسلل سخيمة صدري») رواه الترمذي وأبو

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ٥٥٤/٢

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ١٠٧/٦

داود وابن ماجه.ــــــــالفصل الثاني٢٤٨٨ - (عن ابن عباس قال كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يدعو يقول) بدل أو حال، (رب أعني) أي وفقني لذكرك وشكرك وحسن عبادتك، (ولا تعن علي) أي لا تغلب علي من يمنعني من طاعتك من شياطين الإنس والجن، (وانصرني ولا تنصر علي) أي أغلبني على الكفار ولا تغلبهم علي أو انصرني على نفسي فإنها أعدى أعدائي ولا تنصر النفس الأمارة علي بأن أتبع الهوى وأترك الهدى، (وامكر لي ولا تمكر علي) قال الطيبي: المكر الخداع وهو من الله إيقاع بلائه بأعدائه من حيث لا يشعرون، وقيل: هو استدراج العبد بالطاعة فيتوهم أنها مقبولة وهي مردودة، وقال ابن الملك: المكر الحيلة، والفكر في دفع عدو بحيث لا يشعر به العدو فالمعنى اللهم اهدني إلى طريق دفع أعدائي عني ولا تهد عدوي إلى طريق دفعه إياي عن نفسه قال بعض العارفين في قوله تعالى: ﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾ [الأعراف: ١٨٢] يظهر لهم الكرامات حتى يظنوا أنهم أولياء الله ثم يأخذهم على غفلة وغرة ويميتهم على غفلة، (واهدني) أي دلني على الخيرات أو على عيوب نفسي، (ويسر الهدى لي) أي وسهل اتباع الهداية أو طرق الدلالة لي حتى لا أستثقل الطاعة ولا أشتغل عن العبادة، (وانصرني) أي بالخصوص، (على من بغى علي) أي ظلمني وتعدى علي قال تأكيد لأعني إلخ والصواب أنه تخصيص لقوله: وانصرني في الأول، (رب اجعلني لك) قدم المتعلق للاهتمام والاختصاص أو لتحقيق مقام الإخلاص، (شاكرا) أي على النعماء والآلاء (لك ذاكرا) في الأوقات والآناء (لك راهبا) أي خائفا في السراء والضراء وفي الحصن لك شكارا لك رهابا على وزن فعال بصيغة المبالغة، وقال ابن حجر أي منقطعا عن الخلق وفيه أن هذا من لوازم معناه الأعم منه ومن غيره هو بإشارة الصوفية أشبه، وأما معنى العبارة فما قدمناه مع أن الرهبانية منسوخة عن هذه الأمة، ومراد الصوفية بالانقطاع إنما هو انصراف الهمة عن الخلق والتعلق بالحق وهذا تارة يصدر وينشأ من غاية الرهبة وتارة يصدر من غاية الرغبة.وجمهورهم على أن العبادة والعزلة بوصف من جهة الرجاء والترغيب أفضل من حصول الخوف والترهيب، ولهم مقام فوق ذلك وقد علم كل أناس مشربهم وكل قوم في منهاج مذهبهم، ومرتبة الجامعية المحمدية هي أكمل المقامات العلية والحالات السنية كما تدل عليه الدعوات الإلهية والتضرعات البهية التي تنبئ عن كمال العبودية عند التجليات الربوبية، (لك مطواعا) بكسر الميم مفعال للمبالغة أي كثير الطوع وهو الانقياد والطاعة وفي رواية ابن أبي شيبة مطيعا أي منقادا، (لك مخبتا) أي خاضعا خاشعا متواضعا من الخبت وهو المطمئن من الأرض يقال أخبت الرجل إذا نزل الخبت ثم استعمل الخبت استعمال اللين والتواضع قال تعالى: ﴿وأخبتوا إلى ربهم﴾ [هود: ٢٣] أي اطمأنوا إلى ذكره أو سكنت نفوسهم إلى أمره، وأقيم اللام مقام إلى لتفيد الاختصاص قال تعالى: ﴿وبشر المخبتين - الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾ [الحج: ٣٤ - ٣٥] (إليك أواها) أي متضرعا فعال للمبالغة من أوه تأويها وتأوه تأوها إذا قال: أوه، أي قائلا كثيرا لفظ أوه، وهو صوت الحزين، أي اجعلني حزينا ومتفجعا على التفريط، أو هو قول النادم من معصيته المقصر في طاعته، وقيل: الأواه البكاء (منيبا) أي راجعا، قيل: التوبة رجوع من المعصية إلى الطاعة والإنابة من الغفلة إلى الذكر والفكرة والأوبة من الغيبة إلى الحضور والمشاهدة قال الطيبي: وإنما اكتفي في قوله أواها منيبا بصلة واحدة لكون الإنابة

لازمة للتأوه ورديفا له فكأنه شيء واحد، ومنه قوله تعالى: ﴿إن إبراهيم لحليم أواه منيب﴾ [هود: ٧٥] اهـ. وتعقبه ابن حجر بما لا يصح ذكره.." (١)

"تصفية الأعمال من الآفات ثم تصفية الأخلاق من الكدورات ثم تصفية الأحوال من الالتفاتات ثم تصفية الأنفاس من الأغيار وبشر المخبتين المتواضعين او المخلصين فان الخبت هو المطمئن من الأرض وحقيقة المخبت من صار فى خبت الأرض ولما كان الإخبات من لوازم التواضع والإخلاص صح ان يجعل كناية عنهما قال الكاشفى [وبشارت ده اى محمد فروتنانرا ببزرگى آن سرا يا ترسكاران را برحمت بى منتهى. سلمى قدس سره فرموده كه مژده ده مشتاقانرا بسعادت لقا كه هيچ مژده ازين فرح افزاى تر نيست پس در صفت مخبتين ميفرمايد] الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم الوجل استشعار الخوف كما فى المفردات اى خافت منه تعالى لاشراق أشعة جلاله عليها وطلوع أنوار عظمته والوجل عند الذكر على حسب تجلى الحق للقلبهر كرا نور تجلى شد فزون ... خشيت وخوفش بود از حد برونوالصابرين على ما أصابهم من المصائب والكلف قال فى بحر العلوم الذين صبروا على البلايا والمصائب من مفارقة أوطانهم وعشائرهم ومن تجرع الغصص والأحزان واحتمال المشاق والشدائد فى نصر الله وطاعته وازدياد الخير ومعنى الصبر الحبس يقال صبرت نفسى على كذا اى حبستها وفى التأويلات النجمية (والصابرين على ما أصابهم) اى خامدين تحت جريان الحكم من غير استكراه ولا تمنى خروجه ولا روم فرجه يستسلمون طوعا: قال الحافظگر بلطف بخوانى مزيد الطافست ... وكر بقهر برانى درون ما صافستوقالبدرد وصاف ترا حكم نيست دم دركش ... كه هر چه ساقى ما كرد عين الطافستوقالعاشقانرا كر در آتش مينشاند قهر دوست ... تنك چشمم كرد نظر ز چشمه كوثر كنموقالآشنايان ره عشق أكرم خون بخورند ... ناكسم كر بشكايت سوى بيكانه رومموقالحافظ از جور تو حاشا كه بنالد روزى ... كه از ان روز كه در بند تؤام دلشادمو‌ايضا الحافظين مع الله أسرارهم لا يطلبون السلوة باطلاع الخلق على أحوالهم والمقيمي الصلاة فى أوقاتها أصله مقيمين والاضافة لفظية وفى التأويلات النجمية والمديمى النجوى مع الله كقوله (الذين هم على صلاتهم دائمون) قال شاعرهمإذا ما تمنى الناس روحا وراحة ... تمنيت ان أشكو إليك وتسمعومما رزقناهم ينفقون فى وجوه الخيرات قدم المفعول اشعارا بكونه أهم كأنه قيل ويخصون بعض المال الحلال بالتصدق به والمراد به اما الزكاة المفروضة لاقترانها بالصلاة المفروضة او مطلق ما ينفق فى سبيل الله لوروده مطلق اللفظ من غير قرينة الخصوص وفى الحديث (بدلاء أمتي لا يدخلون الجنة بصيامهم وقيامهم ولكن دخلوها بسلامة الصدر وسخاء النفس." (٢)

"من السماء إلى الأرض لأنه يسقط من أوج الإيمان إلى حضيض الكفر. وقيل: هو إشارة إلى ما يكون له حين يصعد بروحه عند الموت، فتطرح من السماء إلى الأرض. قاله ابن البنا. فتخطفه الطير أي: تتناوله بسرعة، فالخطف والاختطاف: تناول الشيء بسرعة لأن الأهواء المردية كانت توزع أفكاره، أو تهوي به الريح أي: تسقطه وتقذفه. والهوى: السقوط. في مكان سحيق: بعيد لأن الشيطان قد طرحه في الضلال والتحير الكبير. والله تعالى أعلم.الإشارة: جعل الحق

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح الملا على القاري ١٧٢٣/٥

(٢) روح البيان إسماعيل حقي ٣٤/٦

تعالى شكر النعم أمرين: طهارة الباطن من شرك الميل إلى السوى، ولسانه من زور الدعوى، وهو الترامي على مراتب الرجال قبل التحقق بها، حنيفا موحدا، شاكرا لأنعمه يجتبيه ربه، ويهديه إلى صراط مستقيم. ومن يشرك بالله بأن يحب معه غيره، فقد سقط عن درجة القرب والتحقيق، فتخطفه طيور الحظوظ والشهوات، وتهوي به ريح الهوى، في مكان سحيق. والعياذ بالله.ثم حض على الاعتناء بشأن الهدايا، فقال:[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٢ الى ٣٧]ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦)لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧)يقول الحق جل جلاله: ذلك أي: الأمر ذلك، أو امتثلوا ذلك، ومن يعظم شعائر الله أي:الهدايا، فإنها معالم الدين وشعائره تعالى، كما ينبيء عنه: والبدن جعلناها لكم من شعائر الله وتعظيمها: اعتقاد التقرب بها، وأن يختارها سمانا حسانا غالية الأثمان، روى «أنه صلى الله عليه وسلم أهدى مائة بدنة، فيها جمل لأبي جهل، في." (١)

"أنفه برة من ذهب «١»» . وأن عمر رضى الله عنه- أهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار «٢». وقيل: شعائر الله: مواضع الحج، كعرفة ومنى والمزدلفة. وتعظيمها: إجلالها وتوقيرها، والتقصد إليها. وقيل: الشعائر: أمور الدين على الإطلاق، وتعظيمها: القيام بها ومراعاة آدابها، فإنها أي: فإن تعظيمها من تقوى القلوب أي: من أفعال ذوي تقوى القلوب، فحذفت هذه المضافات. أو فإن تعظيمها ناشيء من تقوى القلوب لأنها مراكز التقوى.لكم فيها منافع من الركوب عند الحاجة، ولبنها عند الضرورة، إلى أجل مسمى إلى أن تنحر. ومن قال: شعائر الله: مواضع الحج، فالمنافع: التجارة فيها والأجر، والأجل المسمى: الرجوع إلى مكة لطواف الإفاضة.ثم محلها منتهية إلى البيت العتيق، قال ابن جزي: من قال: إن الشعائر الهدايا، فمحلها موضع نحرها، وهي منى ومكة. وخص البيت بالذكر لأنه أشرف الحرم، وهو المقصود بالهدي. و «ثم» ، على هذا، ليست للترتيب في الزمان لأن محلها قبل نحرها، وإنما هي لترتيب الجمل. ومن قال: إن الشعائر مواضع الحج، فمحلها مأخوذ من إحلال المحرم، أي: آخر ذلك كله: الطواف بالبيت، أي: طواف الإفاضة إذ به يحل المحرم. هـ. أي:محل شعائر الحج كلها تنتهي إلى الطواف بالبيت، طواف الإفاضة. ومثله في الموطأ.ولكل أمة جماعة مؤمنة قبلكم، جعلنا منسكا أي: متعبدا وقربانا يتقربون به إلى الله- عز وجل- والمنسك- بالفتح: مصدر، وبالكسر: اسم موضع النسك، أي: لكل جعلنا عبادة يتعبدون بها، أو موضع قربان، يذبحون فيه مناسكهم، ليذكروا اسم الله دون غيره، على ما رزقهم من بهيمة الأنعام أي: عند نحرها وذبحها، فإلهكم إله واحد أي: اذكروا على الذبائح اسم الله وحده فإن إلهكم إله واحد، فله أسلموا أي:فإذا كان إلهكم إلها واحدا فأخلصوا له التقرب، أو الذكر خاصة، واجعلوه له

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥٣٢/٣

سالما، لا تشوبوه بإشراك.وبشر المخبتين المطمئنين بذكر الله، أو المتواضعين، أو المخلصين، فإن الإخبات من الوظائف الخاصة بهم.والخبت: المطمئن من الأرض. وعن ابن عباس رضى الله عنه: هم الذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لم ينتصروا. وقيل:تفسيره ما بعده، وهو قوله: الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم: خافت منه هيبة لإشراق أشعة جلاله عليها. والصابرين على ما أصابهم من مشاق التكاليف ومصائب الزمان والنوائب، والمقيمي الصلاة في أوقاتها، ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخيرات.______________(١) البرة- بضم الموحدة-: الحلقة تجعل فى أنف الجمل، وكانوا يتخذونها من نحاس أو غيره، انظر اللسان (برى ١/ ٢٧٢) ، والحديث: أخرجه البيهقي فى دلائل النبوة (باب عدد حجات النبي صلى الله عليه وسلم ٥/ ٤٥٤) عن جابر رضى الله عنه. وفيه: «من فضة» ، بدلا من ذهب» .(٢) أخرجه أبو داود فى (المناسك، باب تبديل الهدى) عن سالم عن أبيه.." (١)

"متعبد والباقون بفتح السين بمعنى الموضع او المصدر اى اراقة الدعاء وذبح القرايين او قربانا يتقربون به الى الله ليذكروا اسم الله دون غيره ويجعلوا نسيلهم لوجهه علل الجعل به تنبيها على ان المقصود من جعل المناسك تذكر المعبود وفيه دليل على كون الذكر شرطا للذبح على ما رزقهم من بهيمة الأنعام عند نحرها وذبحها سماها بهيمة لانها لا تتكلم وقيدها بالانعام لان من البهائم ما ليس من الانعام كالخيل والبغال والحمير ولا يجوز ذبح شيء منها في القرابين الا الانعام بل الاهلية منها اجماعا- وهذه الجملة معترضة لتحريض امة محمد صلى الله عليه وسلم على التاسى بمن سبق فإلهكم إله واحد يعنى سموا على الذبائح اسم الله وحده إذ لا اله لكم غيره جملة معللة يعنى جعلنا لكل امة متعبدا ليذكروا الله وحده لان اله كلهم واحد وان كانوا امما شتى فله دون غيره أسلموا انقادوا واطبعوا يعنى أخلصوا التقرب او الذكر ولا تشوبوه بالاشراك وبشر المخبتين (٣٤) عطف على قوله وأذن في الناس بالحج ان كان خطابا لنبينا صلى الله عليه وسلم والا فعلى وإذ بوأنا يعنى اذكر وقت تبويتنا وبشر المخبتين- الخبيت الشيء الحقير يعنى من خشع وعد نفسه حقيرا يقال اخبت إذا خشع وتواضع كذا في القاموس ومن هاهنا قال ابن عباس وقتادة معناه المتواضعين وقال الأخفش الخاشعين وقيل الخبت المكان المطمئن من الأرض ومن هاهنا قال مجاهد المطمئنين الى الله وقال النخعي المخلصين فان الاطمئنان هو الإخلاص- وقال الكلبي هم الرقيقة قلوبهم- وقال عمرو بن أوس هم الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا.الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم هيبة منه لاشراق أشعة جلاله عليها وعرفان عظمته والصابرين على ما أصابهم من المصائب والمقيمي الصلاة فى أوقاتها ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) عطف على صلة اللام الموصول يعنى بشر الذين يقيمون الصلوة وينفقون مما رزقنهم.والبدن جمع بدنة كخشب وخشبة قال الجزري في النهاية البدنة يقع على الجمل والناقة والبقرة وهى." (٢)

"وتجنسونها؟؟؟ صافة قوائمها ثم تطعنون في لباتها لعلكم تشكرون (٣٦) إنعامنا عليكم بالتقرب والإخلاص- اخرج ابن ابى حاتم وابن جرير وابن المنذر عن ابن جريج قال كان اهل الجاهلية ينضحون البيت بلحوم الإبل ودمائها

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥٣٣/٣

(٢) التفسير المظهري المظهري، محمد ثناء الله ٣٢٢/٦

فقال اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فنحن أحق ان ننضح فانزل الله تعالى.لن ينال الله الاية- واخرج ابن المنذر وابن مردوية عن ابن عباس قال كان المشركون إذا ذبحوا استقبلوا الكعبة بالدماء فينتضحون بها نحو الكعبة- فاراد المسلمون ان يفعلوا ذلك فانزل الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها قال مقاتل اى لن يرفع الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله قرأ يعقوب لن تنال وتناله بالتاء المثناة من فوق فيهما والباقون بالياء المثناة من تحت اى ولكن يرفع الله التقوى منكم يعنى الأعمال الصالحة المترتبة على التقوى والإخلاص المراد بها وجه الله كذلك سخرها لكم كرره تذكيرا للنعمة وتعليلا له بقوله لتكبروا الله لتعرفوا عظمته باقتداره على مالا يقدر غيره فتوحدوه بالكبرياء شكرا على ما هداكم أرشدكم الى معالم دينه ومناسك حجه والى طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها- وما مصدرية او موصولة وعلى متعلقة بتكبر والتضمنه معنى الشكر- وقيل المراد التكبير عند الاحلال والذبح على انعام هداكم الله الى تسخيرها وبشر المحسنين (٣٧) قال ابن عباس يعنى الموحدين عطف على بشر المخبتين.إن الله يدافع «١» عن الذين آمنوا قرأ ابن كثير وابو عمرو يدفع بفتح الياء والفاء واسكان الدال والمفعول محذوف- اى يدفع غائلة المشركين عن المؤمنين ويمنعهم من المؤمنين والباقون يدافع من المفاعلة اى يبالغ في الدفع مبالغة من يغالب فيه إن الله لا يحب اى يبغض كل خوان في امانة الله كفور (٣٨) لنعمته قال ابن عباس خانوا الله يعنى كفار_______________(١) وقوله إن الله يدافع تمهيد للاذن بالقتال- يعنى لما كان دفع الكفار با المؤمنين سنة مستمرة من الله تعالى اذن بالقتال وهذا يتضمن الوعد بالنصر حتى يحصل الدفع ١٢ منه رح.." (١)

"أبي شيبة في المصنف، وابن منيع وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، والبيهقي في السنن، عن ابن عباس قال: لما فرغ إبراهيم من بناء البيت قال: رب قد فرغت، فقال وأذن في الناس بالحج قال: رب وما يبلغ صوتي؟ قال: أذن وعلي البلاغ، قال: رب كيف أقول؟ قال: قل: يا أيها الناس كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق، فسمعه من في السماء والأرض، ألا ترى أنهم يجيئون من أقصى الأرض يلبون. وفي الباب آثار عن جماعة من الصحابة. وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس ليشهدوا منافع لهم قال: أسواقا كانت لهم، ما ذكر الله منافع إلا الدنيا. وأخرج ابن أبي حاتم عنه قال: منافع في الدنيا ومنافع في الآخرة، فأما منافع الآخرة فرضوان الله، وأما منافع الدنيا فمما يصيبون من لحوم البدن في ذلك اليوم والذبائح والتجارات. وأخرج أبو بكر المروزي في «كتاب العيدين» عنه أيضا قال:الأيام المعلومات: أيام العشر. وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عنه أيضا قال: الأيام المعلومات:يوم النحر وثلاثة أيام بعده. وأخرج ابن جرير عنه أيضا قال: أيام التشريق. وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عنه أيضا في الأيام المعلومات قال: قبل يوم التروية بيوم، ويوم التروية ويوم عرفة. وأخرج ابن جرير عنه أيضا قال: البائس: الزمن «١» . وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن ابن عمر قال:التفث المناسك كلها. وأخرج هؤلاء عن ابن عباس نحوه. وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: التفث: حلق الرأس، والأخذ من العارضين، ونتف الإبط، وحلق العانة، والوقوف بعرفة، والسعي بين الصفا والمروة، ورمي الجمار، وقص الأظفار، وقص الشارب، والذبح. وأخرج ابن جرير وابن المنذر عنه وليطوفوا بالبيت العتيق: هو طواف الزيارة يوم

---

(١) التفسير المظهري المظهري، محمد ثناء الله ٣٢٥/٦

النحر.وورد في وجه تسمية البيت بالعتيق آثار عن جماعة من الصحابة، وقد أشرنا إلى ذلك سابقا، وورد في فضل الطواف أحاديث ليس هذا موضع ذكرها.[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٠ الى ٣٥]ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور (٣٠) حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق (٣١) ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤)الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)______________(١) . أي: المريض مرضا يطول شفاؤه.." (١)

"وهو علامتهم التي يتعارفون بها، ومنه إشعار البدنة، وهو الطعن في جانبها الأيمن، فشعائر الله أعلام دينه، وتدخل الهدايا في الحج دخولا أوليا، والضمير في قوله: فإنها من تقوى القلوب راجع إلى الشعائر بتقدير مضاف محذوف، أي: فإن تعظيمها من تقوى القلوب، أي: من أفعال القلوب التي هي من التقوى، فإن هذا التعظيم ناشئ من التقوى لكم فيها منافع أي: في الشعائر على العموم، أو على الخصوص، وهي البدن كما يدل عليه السياق. ومن منافعها: الركوب والدر والنسل والصوف وغير ذلك. إلى أجل مسمى وهو وقت نحرها ثم محلها إلى البيت العتيق أي: حيث يحل نحرها، والمعنى: أنها تنتهي إلى البيت وما يليه من الحرم، فمنافعهم الدنيوية المستفادة منها مستمرة إلى وقت نحرها، ثم تكون منافعها بعد ذلك دينية. وقيل: إن محلها هاهنا مأخوذ من إحلال الحرام، والمعنى: أن شعائر الحج كلها من الوقوف بعرفة ورمي الجمار والسعي تنتهي إلى طواف الإفاضة بالبيت، فالبيت على هذا مراد بنفسه ولكل أمة جعلنا منسكا المنسك هاهنا المصدر من نسك ينسك إذا ذبح القربان، والذبيحة نسيكة، وجمعها نسك. وقال الأزهري: إن المراد بالمنسك في الآية موضع النحر، ويقال: منسك بكسر السين وفتحها لغتان، قرأ بالكسر الكوفيون إلا عاصما، وقرأ الباقون بالفتح. وقال الفراء: المنسك في كلام العرب: الموضع المعتاد في خير أو شر، وقال ابن عرفة ولكل أمة جعلنا منسكا: أي مذهبا من طاعة الله. وروي عن الفراء أن المنسك العيد، وقيل: الحج، والأول أولى لقوله: ليذكروا اسم الله إلى آخره، والأمة: الجماعة المجتمعة على مذهب واحد، والمعنى: وجعلنا لكل أهل دين من الأديان ذبحا يذبحونه ودما يريقونه، أو متعبدا أو طاعة أو عيدا أو حجا يحجونه، ليذكروا اسم الله وحده، ويجعلوا نسكهم خاصا به على ما رزقهم من بهيمة الأنعام أي: على ذبح ما رزقهم منها، وفيه إشارة إلى أن القربان لا يكون إلا من الأنعام دون غيرها، وفي الآية دليل على أن المقصود من الذبح المذكور هو ذكر اسم الله عليه. ثم أخبرهم سبحانه بتفرده بالإلهية وأنه لا شريك له، والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها، ثم أمرهم بالإسلام له، والانقياد لطاعته وعبادته، وتقديم الجار والمجرور على الفعل للقصر، والفاء هنا كالفاء التي قبلها، ثم أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يبشر المخبتين من عباده أي: المتواضعين الخاشعين المخلصين، وهو مأخوذ من الخبت، وهو المنخفض من الأرض، والمعنى: بشرهم يا محمد بما أعد الله لهم من جزيل ثوابه

---

(١) فتح القدير للشوكاني الشوكاني ٥٣٣/٣

وجليل عطائه. وقيل: إن المخبتين هم الذي لا يظلمون غيرهم وإذا ظلمهم غيرهم لم ينتصروا، ثم وصف سبحانه هؤلاء المخبتين بقوله: الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم أي: خافت وحذرت مخالفته، وحصول الوجل منهم عند الذكر له سبحانه دليل على كمال يقينهم وقوة إيمانهم، ووصفهم بالصبر على ما أصابهم من البلايا والمحن في طاعة الله ثم وصفهم بإقامة الصلاة أي: الإتيان بها في أوقاتها على وجه الكمال. قرأ الجمهور: «والمقيمي الصلاة» بالجر على ما هو الظاهر، وقرأ أبو عمرو بالنصب على توهم بقاء النون، وأنشد سيبويه على ذلك قول الشاعر:الحافظو عورة العشيرة «١»............... .....______________(١) . البيت بتمامه:الحافظو عورة العشيرة لا ... يأتيهم من ورائنا نطف." (١)

"قال: ذبحا. وأخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم في الآية قال: مكة لم يجعل الله لأمة قط منسكا غيرها.وقد وردت أحاديث في الأضحية ليس هذا موضع ذكرها. وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله: وبشر المخبتين قال: المطمئنين. وأخرج سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا في ذم الغضب، وابن المنذر وابن أبي حاتم، والبيهقي في شعب الإيمان، عن عمرو بن أوس قال: المخبتون في الآية الذين لا يظلمون الناس، وإذا ظلموا لم ينتصروا.[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٦ الى ٣٧]والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧)قرأ ابن أبي إسحاق «والبدن» بضم الباء والدال، وقرأ الباقون بإسكان الدال، وهما لغتان، وهذا الاسم خاص بالإبل، وسميت بدنة لأنها تبدن، والبدانة: السمن. وقال أبو حنيفة ومالك: إنه يطلق على غير الإبل، والأول أولى لما سيأتي من الأوصاف التي هي ظاهرة في الإبل، ولما تفيده كتب اللغة من اختصاص هذا الاسم بالإبل. وقال ابن كثير في تفسيره: واختلفوا في صحة إطلاق البدنة على البقرة على قولين: أصحهما أنه يطلق عليها ذلك شرعا كما صح في الحديث. جعلناها لكم وهي ما تقدم بيانه قريبا لكم فيها خير أي: منافع دينية ودنيوية كما تقدم فاذكروا اسم الله عليها أي: على نحرها، ومعنى صواف أنها قائمة قد صفت قوائمها، لأنها تنحر قائمة معقولة، وأصل هذا الوصف في الخيل، يقال: صفن الفرس فهو صافن إذا قام على ثلاث قوائم وثنى الرابعة. وقرأ الحسن والأعرج ومجاهد وزيد بن أسلم وأبو موسى الأشعري «صوافي» أي: خوالص لله لا يشركون به في التسمية على نحرها أحدا، وواحد صواف صافة، وهي قراءة الجمهور. وواحد صوافي صافية. وقرأ ابن مسعود وابن عمر وابن عباس وأبو جعفر محمد بن علي «صوافن» بالنون جمع صافنة، والصافنة: هي التي قد رفعت إحدى يديها بالعقل لئلا تضطرب، ومنه قوله تعالى:الصافنات الجياد «١» ، ومنه قول عمرو بن كلثوم:تركنا الخيل عاكفة عليه ... مقلدة أعنتها صفوناوقال الآخر:ألف الصفون فما يزال كأنه ... مما يقوم على الثلاث كسيرافإذا وجبت جنوبها الوجوب: السقوط، أي: فإذا سقطت بعد نحرها، وذلك عند خروج روحها فكلوا منها ذهب الجمهور أن هذا الأمر للندب وأطعموا القانع والمعتر هذا

---

(١) فتح القدير للشوكاني الشوكاني ٣/٥٣٥

الأمر قبل هو للندب كالأول، وبه قال مجاهد والنخعي وابن جرير وابن سريج. وقال الشافعي وجماعة: هو للوجوب.__________(١) . ص: ٣١.." (١)

"أي عند ذبحها وفي هذا تنبيه على أن المقصود الأصلي من طلب الذبائح تذكر المعبود وعلى أن القربان يجب أن يكون من الأنعام فإلهكم إله واحد فلا تذكروا على ذبائحكم غير اسم الله وفي هذا بيان أن الله تعالى واحد في ذاته كما أنه واحد في إلهيته لكل الخلق فله أسلموا أي فإذا كان إلهكم إلها واحدا فأخلصوا له الذكر بحيث لا يشوبه إشراك ألبتة وانقادوا له تعالى في جميع تكاليفه وبشر المخبتين (٣٤) أي المتواضعين فالحج من صفات المتواضعين كالتجرد عن اللباس، وكشف الرأس، والغربة من الأوطان الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم من مشاق التكليف والمصائب، فأما ما يصيبهم من قبل الظلمة فالصبر عليه غير واجب بل إن أمكنه دفع ذلك لزمه الدفع ولو بالمقاتلة والمقيمي الصلاة في أوقاتها.وقرأ الحسن «والمقيمي الصلاة» بنصب «الصلاة» على تقدير النون. وقرأ ابن مسعود «والمقيمين الصلاة» على الأصل ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) في وجوه الخيرات وأمر الله تعالى رسوله أن يبشر بالجنة المتواضعين المتصفين بوجل القلوب إذا أمروا بأمر من الله تعالى وبالصبر إذا أصابهم البلاء من الله تعالى وبإقامة الصلاة في وقت السفر للحج وبصدقة التطوع، أي لذلك الوجل أثران الصبر على البلايا التي من قبل الله تعالى والاشتغال بالخدمة بالنفس وبالمال وهما أعز الأشياء عند الإنسان، فالخدمة بالنفس: هي الصلاة. والخدمة بالنفس وبالمال: هي إنفاقه في وجوه الخيرات والبدن جعلناها لكم من شعائر الله أي أعلام دينه وهو مفعول ثان و «لكم» متعلق به «والبدن» عند الشافعي خاصة بالإبل، وعند أبي حنيفة الإبل والبقر لكم فيها أي البدن خير أي منافع دينية ودنيوية هي درها ونسلها وصوفها وظهرها فاذكروا اسم الله عليها أي على نحرها صواف أي قياما على ثلاث قوائم قد صفت رجليها ويدها اليمنى ويد أخرى معقولة فينحرها كذلك بأن تقولوا عند الذبح بسم الله والله أكبر اللهم منك وإليك.وقرئ «صوافن» بضم النون. وقرئ «صوافي» أي خوالص لوجه الله تعالى، لا تشركوا بالله في التسمية أحدا على نحرها وخوالص من العيوب. وعن عمرو بن عبيد «صوافيا» بالتنوين عوضا عن حرف الإطلاق عند الوقف فإذا وجبت جنوبها أي سقطت على الأرض وذلك عند خروج الروح منها فكلوا منها إن شئتم إذا كانت الأضاحي تطوعا وأطعموا القانع أي الراضي بما يدفع إليه من غير سؤال والمعتر أي الذي يعتر بالسلام ولا يسأل بل يري نفسه للناس كالزائر كذلك مع كمال عظمها ونهاية قوتها، أي فالله تعالى جعل الإبل والبقر بالصفة التي يمكننا تصريفها على ما نريد وذلك نعمة عظيمة من الله تعالى في الدنيا والدين لعلكم تشكرون (٣٦) أي لتشكروا إنعامنا عليكم بالإخلاص لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم أي لن يصل إلى الله تعالى أي إلى مرضاته لحوم القرابين ولا دماؤها، ولكن يقبل." (٢)

"وعن البراء «١» مرفوعا. أربع لا تجوز في الأضاحي، العوراء البين عورها، والمريضة البين مرضها، والعرجاء البين ظلعها، والكسيرة التي لا تنقي: رواه أحمد وأهل السنن.فإنها أي فإن تعظيمها من تقوى القلوب أي من أفعال ذوي

---

(١) فتح القدير للشوكاني الشوكاني ٥٣٧/٣

(٢) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد نووي الجاوي ٧٣/٢

التقوى.والإضافة إلى القلوب، لأن التقوى وضدها تنشأ منها.القول في تأويل قوله تعالى: [سورة الحج (٢٢) : آية ٣٣]لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣)لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق أي لكم في الهدايا منافع درها ونسلها وصوفها وظهرها إلى وقت نحرها.وقد روي في الصحيحين «٢» عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يسوق بدنة قال: اركبها. قال: إنها بدنة قال:أركبها، ويحك. في الثانية أو الثالثة.وقوله: ثم محلها أي محل الهدايا وانتهاؤها إلى البيت العتيق وهو الكعبة كما قال تعالى: هديا بالغ الكعبة [المائدة: ٩٥] ، وقال: والهدي معكوفا أن يبلغ محله [الفتح: ٢٥] .قال في (الإكليل) : فيه أن الهدي لا يذبح إلا بالحرم. وقيل: المعنى: محل هذه الشعائر كلها الطواف بالبيت العتيق. فيقتضي أن الحاج بعد طواف الإفاضة.يحل له كل شيء. وكذا روي عن ابن عباس: ما طاف أحد بالبيت إلا حل، لهذه الآية. وقوله تعالى:القول في تأويل قوله تعالى: [سورة الحج (٢٢) : آية ٣٤]ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤)ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام.أي شرعنا لكل أمة أن ينسكوا. أي يذبحوا لوجهه تعالى، على وجه التقرب.وجعل العلة، أن يذكر اسمه. تقدست أسماؤه. على النسائك. ف (منسكا) مصدر________________(١) أخرجه النسائي في: الضحايا ٥- باب ما هي عنه من الأضاحي.(٢) أخرجه البخاري في: الحج، ١٠٣- باب ركوب البدن، حديث رقم ٨٧٨.وأخرجه مسلم في: الحج، حديث رقم ٣٧٣.." (١)

"ميمي على أصله. أو بمعنى المفعول. وفي الآية تنبيه على أن القربان يجب أن يكون نعما.فإلهكم إله واحد فله أسلموا أي أخلصوا له الذكر خاصة، لا تشوبوه بإشراك. وبشر المخبتين.القول في تأويل قوله تعالى: [سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٥ الى ٣٦]الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦)الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم أي خافت لتأثرهم عند ذكره مزيد تأثر والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيهاأي في ذبحها تضحية خير من المنافع الدينية والدنيوية فاذكروا اسم الله عليها صواف أي قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن. وعن ابن عباس: قياما على ثلاث قوائم، معقولة يدها اليسرى. يقول: بسم الله، والله أكبر، لا إله إلا الله: اللهم منك ولك. وفي الصحيحين «١» عن ابن عمر أنه أتى على رجل قد أناخ بدنة وهو ينحرها. فقال: ابعثها قياما مقيدة سنة أبي القاسم صلى الله عليه وسلم:وفي صحيح مسلم «٢» عن جابر في صفة حجة الوداع، قال فيه: فنحر رسول صلى الله عليه وسلم بيده ثلاثا وستين بدنة. جعل يطعنها بحربة في يده فإذا وجبت جنوبها أي سقطت على الأرض، وهو كناية عن الموت فكلوا منها وأطعموا القانع أي السائل والمعتر أي المتعرض بغير سؤال. أو القانع الراضي بما عنده وبما يعطي من غير سؤال، والمعتر المتعرض بسؤال وقد استنبط من الآية أن الأضحية تجزأ ثلاثة أجزاء: فيأكل ثلثا

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل القاسمي ٢٤٦/٧

ويهدي ثلثا ويتصدق بثلث.____________(١) أخرجه البخاري في: الحج، ١١٨- باب نحر الإبل مقيدة، حديث ٨٨٥.وأخرجه مسلم في: الحج، حديث ٣٥٨.(٢) أخرجه مسلم في: الحج، حديث رقم ١٤٧. [.....]." (١)

"مراجعة، وقد بينا هذا مع حكمته في تفسير وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله (٣: ١٥٩) وترى في تلك السورة كيف كانت مخالفة الرماة له صلى الله عليه وسلم سببا في ظهور العدو على المسلمين، فراجع تفسير أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم (٣: ١٦٥) في ١٨٤ وما بعدها ج ٤ ط الهيئة.ولأئمة المسلمين منهم من حق الطاعة في تنفيذ المشروع، وإدارة الأمور العامة، وقيادة الجند ما كان له صلى الله عليه وسلم منه، مقيدا بعدم معصية الله تعالى، وبمشاورة أولي الأمر، كما تقدم تفصيله في تفسير: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم (٤: ٥٩) الآية.ثم قال تعالى: إن كنتم مؤمنين أي: فامتثلوا الأوامر الثلاثة فإن الإيمان يقتضي ذلك كله ؛ لأن الله تعالى أوجبه، والمؤمن بالله غير المرتاب بوعده ووعيده يكون له سائق من نفسه إلى طاعته، إلا أن يعرض له ما يغلبه عليها أحيانا من ثورة شهوة أو ثورة غضب، ثم لا يلبث أن يفيء إلى أمر الله، ويتوب إليه مما عرض له، كما تقدم في تفسير: إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب (٤: ١٧) إلخ، ثم وصف الله المؤمنين بما يدل على هذا ويثبته فقال:إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم هذه جملة مستأنفة لبيان حال المؤمنين الذين بين في شرطية الآية قبلها شأنهم من التقوى وإصلاح ذات البين في الأمة وطاعة الله ورسوله على قاعدة أن النكرة إذا أعيد ذكرها معرفة تكون عين الأولى،أو بيان حال المؤمنين الكاملي الإيمان مطلقا ؛ ليعلم منه أن تلك الأمور الثلاثة هي بعض شأنهم، وقد بين صفاتهم بصيغة الحصر التي يخاطب بها من يعلم ذلك أو ينزل منزلة العالم به الذي لا ينكره، وهي " إنما " كما حققه إمام الفن الشيخ عبد القاهر، وصفهم بخمس صفات: (الصفة الأولى) قوله: الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم قال الراغب: الوجل استشعار الخوف، يعني ما يجعل القلب يشعر به بالفعل، وعبر غيره عنه بالفزع والخوف (وبابه فرح وتعب) وذلك أن الخوف توقع أمر مؤلم في المستقبل قد يصحبه شعور الألم والفزع، وقد يفارقه لضعفه أو لاعتقاد بعد أجله، فالوجل والفزع أخص منه، وفي سورة الحجر من حوار إبراهيم صلى الله عليه وسلم مع ضيفه المنكرين.قال إنا منكم وجلون قالوا لا توجل (١٥: ٥٢، ٥٣) إلخ، وفي سورة " المؤمنون " في صفة المؤمنين المشفقين من خشية ربهم: والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون (٢٣: ٦٠) فالوجل هنا مقترن بالعمل الصالح وهو البذل والعطاء، وفي سورة الحج: وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٢٢: ٣٤، ٣٥) وهي بمعنى آية الأنفال، وليس للوجل ذكر في." (٢)

"روى أن النبي صلى الله عليه وسلم أهدى مائة بدنة فيها جمل لأبي جهل فى أذنه برة- حلق- من ذهب، وأن عمر أهدى نجيبة- ناقة- طلبت منه بثلاثمائة دينار، وقد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعها ويشترى بثمنها بهما فنهاه عن ذلك وقال بل أهدها، وكان ابن عمر رضى الله عنهما يسوق البدن مجللة بالقباطي- ثياب مصرية غالية

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل القاسمي ٢٤٧/٧

(٢) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٤٩٠/٩

الثمن- فيتصدق بلجومها وبجلالها.(لكم فيها منافع إلى أجل مسمى) أي لكم فى تلك الهدايا منافع كركوبها حين الحاجة وشرب ألبانها حين الضرورة إلى أن تنحر ويؤكل منها ويتصدق بلحومها (ثم محلها إلى البيت العتيق) أي ثم مكان حل نحرها عند البيت العتيق أي عند الحرم جميعه، إذ الحرم كله فى حكم البيت الحرام.أخرج البخاري فى تاريخه والترمذي وحسنه والحاكم وصححه وابن جرير والطبري وغيرهم عن ابن الزبير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنما سماه الله البيت العتيق، لأنه أعتقه من الجبابرة فلم يظهر عليه جبار قط»وإلى هذا ذهب قتادة، وقد قصده تبع ليهدمه فأصابه الفالج فأشير عليه أن يكف عنه، وقيل له إن ربا يمنعه، فتركه وكساه، وهو أول من كساه، وقصده أبرهة فأصابه ما أصابه.[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٤ الى ٣٥]ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)تفسير المفرداتالمنسك (بكسر السين وفتحها) والنسك فى الأصل: العبادة مطلقا، وشاع استعماله فى أعمال الحج، والمراد به هنا الذبح وإراقة الدماء على وجه التقرب إليه تعالى، أسلموا:." (١)

"ثم أخبر سبحانه بتفرده بالألوهية وأنه لا شريك له فقال:(فإلهكم إله واحد فله أسلموا) أي فإن معبودكم واحد وإن اختلفت العبادات بحسب الأزمنة والأمكنة ونسخ بعضها بعضا، فما المقصد منها جميعا إلا عبادة الله وحده لا شريك له كما قال: «وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون» فأخلصوا له العمل واستسلموا لحكمه وانقادوا له فى جميع ما كلفكم به.(وبشر المخبتين) أي وبشر أيها الرسول الخاضعين لله بالطاعة، المذعنين له بالعبودية، المنيبين إليه بالتوبة، بما أعد لهم من جزيل ثوابه، وجليل عطائه.ثم بين سبحانه علاماتهم فقال:(١) (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) أي إنهم إذا ذكر الله عرتهم رهبة من خشيته، وخوف من عقابه.(٢) (والصابرين على ما أصابهم) من النوائب والمحن فى طاعة الله.(٣) (والمقيمي الصلاة) أي والمؤدين حقه تعالى فيما أوجبه عليهم من فريضة الصلاة فى الأوقات التي حددها لهم.(٤) (ومما رزقناهم ينفقون) أي وينفقون بعض ما آتاهم الله من طيب الرزق فى وجوه البر وعلى أهليهم وأقاربهم وعلى الخلق كافة، ومن ذلك إهداء الهدايا التي يغالون فى أثمانها.[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٦ الى ٣٧]والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧)." (٢)

"ثم وصف الله تعالى المؤمنين بخمس صفات تدل على وجوب التقوى وإصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله فقال:(إنما المؤمنون) أي إنما المؤمنون حقا المخلصون فى إيمانهم هم الذين اجتمعت فيهم خصال خمس:(١) (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) أي الذين إذا ذكروا الله بقلوبهم فزعوا لعظمته وسلطانه أو لوعده ووعيده ومحاسبته لخلقه، والآية بمعنى قوله: «وبشر المخبتين، الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم

---

(١) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ١١١/١٧

(٢) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ١١٣/١٧

ينفقون» .(٢) (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا) أي وإذا تليت عليهم آياته المنزلة على خاتم أنبيائه صلى الله عليه وسلم زادتهم يقينا فى الإيمان، وقوة فى الاطمئنان، ونشاطا فى الأعمال إذ أن تظاهر الأدلة وتعاضد الحجج يوجب زيادة اليقين، فابراهيم صلوات الله وسلامه عليه كان مؤمنا بإحياء الله الموتى حين دعا ربه أن يريه كيف يحييها كما قال تعالى: «أولم تؤمن؟ قال بلى ولكن ليطمئن قلبي» فمقام الطمأنينة فى الإيمان يزيد على ما دونه من الإيمان المطلق قوة وكمالا. ويروى أن عليا المرتضى قال: لو كشف عنى الحجاب ما ازددت يقينا، والعلم التفصيلي فى الإيمان أقوى من العلم الإجمالى، فمن آمن بأن لله علما محيطا بالمعلومات، وحكمة قام بها نظام الأرض والسموات، ورحمة وسعت جميع المخلوقات ويعلم ذلك علما إجماليا ولو سألته أن يبين لك شواهده فى الخلق لعجز- لا يوزن إيمانه بإيمان صاحب العلم التفصيلي بسنن الله فى الكائنات فى كل نوع من أنواع المخلوقات، ولا سيما فى العصور الحديثة التي اتسعت فيها معارف البشر بهذه السنن، فعرفوا منها ما لم يكن يخطر عشر معشاره لأحد من العلماء فى القرون الخوالى.وفى معنى الآية قوله تعالى فى وصف الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم." (١)

"﴿٣٤ - ٣٥﴾ ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين * الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾ .أي: ولكل أمة من الأمم السالفة جعلنا منسكا، أي: فاستبقوا إلى الخيرات وتسارعوا إليها، ولننظر أيكم أحسن عملا والحكمة في جعل الله لكل أمة منسكا، لإقامة ذكره، والالتفات لشكره، ولهذا قال: ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد﴾ وإن اختلفت أجناس الشرائع، فكلها متفقة على هذا الأصل، وهو ألوهية الله، وإفراده بالعبودية، وترك الشرك به ولهذا قال: ﴿فله أسلموا﴾ أي: انقادوا واستسلموا له لا لغيره، فإن الإسلام له طريق إلى الوصول إلى دار السلام. ﴿وبشر المخبتين﴾ بخير الدنيا والآخرة، والمخبت: الخاضع لربه، المستسلم لأمره، المتواضع لعباده، ثم ذكر صفات المخبتين فقال: ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ أي: خوفا وتعظيما، فتركوا لذلك المحرمات، لخوفهم ووجلهم من الله وحده، ﴿والصابرين على ما أصابهم﴾ من البأساء والضراء، وأنواع الأذى، فلا يجري منهم التسخط لشيء من ذلك، بل صبروا ابتغاء وجه ربهم، محتسبين ثوابه، مرتقبين أجره، ﴿والمقيمي الصلاة﴾ أي: الذين جعلوها قائمة مستقيمة كاملة، بأن أدوا اللازم فيها والمستحب، وعبوديتها الظاهرة والباطنة، ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ وهذا يشمل جميع النفقات الواجبة، كالزكاة، والكفارة، والنفقة على الزوجات والمماليك، والأقارب، والنفقات المستحبة، كالصدقات بجميع وجوهها، وأتي بـ ﴿من﴾ المفيدة للتبعيض، ليعلم سهولة ما أمر الله به ورغب فيه، وأنه جزء يسير مما رزق الله، ليس للعبد في تحصيله قدرة، لولا تيسير الله له ورزقه إياه. فيا أيها المرزوق من فضل الله، أنفق مما رزقك الله، ينفق الله عليك، ويزدك من فضله.." (٢)

---

(١) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ١٦٤/٩

(٢) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن عبد الرحمن السعدي ص/٥٣٨

"الدرس السابع والسبعون بعد المائة﴿إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم (٢٥) وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود (٢٦) وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق (٢٧) ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير (٢٨) ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق (٢٩) ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور (٣٠) حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق (٣١) ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)." (١)

"السماء﴾ ، قال: هذا مثل ضربه الله لمن أشرك بالله في بعده من الهدى وهلاكه، ﴿فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾ ، قال مجاهد: بعيد.قوله عز وجل: ﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ﴾ .قال محمد بن أبي موسى: الوقوف بعرفة من شعائر الله، والجمع من شعائر الله، ورمي الجمار من شعائر الله، والبدن من شعائر الله، ومن يعظمها فإنها من شعائر الله.في قوله: ﴿ومن يعظم شعائر الله﴾ فمن يعظمها، ﴿فإنها من تقوى القلوب﴾ . وعن ابن عباس في قوله: ﴿ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾ ، قال: استعظامها، واستحسانها، واستمساكها، ﴿لكم فيها منافع إلى أجل مسمى﴾ ، قال: ما لم يسم بدنا. وعن عطاء: ﴿لكم فيها منافع إلى أجل مسمى﴾ ، قال هو: ركوب البدن، وشرب لبنها إن احتاج، ﴿ثم محلها إلى البيت العتيق﴾ إلى مكة. وفي الصحيحين أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رأى رجلا يسوق بدنة قال: «اركبها» . قال: إنها بدنة، قال: «اركبها ويحك» ، في الثانية، أو في الثالثة. وفي حديث آخر عند مسلم قال: «اركبها بالمعروف إذا لجئت إليها» .قوله عز وجل: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤)." (٢)

"الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) ﴾ .عن مجاهد: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا﴾ ، قال: إهراق الدماء، ... ﴿ليذكروا اسم الله﴾ عليها، ﴿فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين﴾ المطمئنين إلى الله.وقال ابن زيد في قوله: ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ ، قال: لا تقسوا قلوبهم، ﴿والصابرين على ما أصابهم﴾ من شدة في أمر اللهونالهم من مكروه في جنبه، ﴿والمقيمي الصلاة﴾ المفروضة، ﴿ومما رزقناهم﴾ من الأموال، ﴿ينفقون﴾ في الواجب عليهم إنفاقها فيه، في زكاة ونفقة عيال، ومن وجبت عليه نفقته،

---

(١) توفيق الرحمن في دروس القرآن فيصل المبارك ١٦٣/٣

(٢) توفيق الرحمن في دروس القرآن فيصل المبارك ١٦٨/٣

وفي سبيل الله.قوله عز وجل: ﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧) ﴾ .قال عطاء: ﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر الله﴾ ، قال: البقرة، والبعير. وقال مجاهد: إنما البدن من الإبل، ويشهد له قوله – صلى الله عليه وسلم –: «من اغتسل يوم الجمعة ثم راح في الساعة الأولى، فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة» . الحديث.وعن مجاهد في قول الله: ﴿لكم فيها خير﴾ ، قال: أجر ومنافع في البدن. وعن ابن عباس في قوله: ﴿فاذكروا اسم الله عليها صواف﴾ ، قال: الله أكبر، الله أكبر، اللهم منك ولك قيامها على ثلاث أرجل، فقيل لابن عباس: ما نصنع بجلودها؟." (١)

"الإعراب:(لكم) متعلق بخبر مقدم (فيها) متعلق بحال من (منافع) «١» ، (إلى أجل) متعلق بنعت لمنافع تقديره مؤخرة أو مؤجلة (إلى البيت) متعلق بخبر محذوف للمبتدأ (محلها) .جملة: «لكم فيها منافع ... » لا محل لها استئنافية– أو تعليلية–.وجملة: «محلها إلى البيت ... » لا محل لها معطوفة على الاستئنافية.[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٤ الى ٣٥]ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)الإعراب:(الواو) استئنافية (لكل) متعلق بمحذوف مفعول به ثان عامله جعلنا (اللام) للتعليل (يذكروا) منصوب بأن مضمرة بعد اللام.والمصدر المؤول (أن يذكروا ... » في محل جر باللام متعلق ب (جعلنا) .(يذكروا.. بهيمة الأنعام) مر إعرابها «٢» ، (الفاء) الأولى استئنافية، والثانية رابطة لجواب شرط مقدر (له) متعلق ب (أسلموا) ، و (الواو) عاطفة.جملة: «جعلنا ... » لا محل لها استئنافية.وجملة: «يذكروا ... » لا محل لها صلة الموصول الحرفي (أن) المضمر.____________(١) أو متعلق بالخبر المحذوف.(٢) في الآية (٢٨) من هذه السورة.." (٢)

"وجملة: «رزقهم ... » لا محل لها صلة الموصول (ما) .وجملة: «إلهكم إله ... » لا محل لها استئنافية.وجملة: «أسلموا ... » في محل جزم جواب شرط مقدر أي إن طلبتم رضاه فأسلموا له.وجملة: «بشر المخبتين» معطوفة على جملة أسلموا «١» ..(الذين) موصول في محل نصب نعت ل (المخبتين) «٢» ، (إذا) ظرف للزمن المستقبل متعلق بالجواب وجلت (الواو) عاطفة في المواضع الثلاثة (الصابرين، المقيمي) اسمان معطوفان على المخبتين منصوبان مثله، وعلامة النصب فيهما الياء (الصلاة) مضاف إليه مجرور (مما) متعلق ب (ينفقون) والعائد محذوف أي رزقناهم إياه.وجملة: «الشرط وفعله وجوابه» لا محل لها صلة الموصول الذين.وجملة: «ذكر الله» في محل جر مضاف إليه.وجملة: «وجلت قلوبهم» لا محل لها جواب لشرط.وجملة: «أصابهم» لا محل لها صلة الموصول (ما) .وجملة: «رزقناهم» لا محل لها صلة الموصول (ما) الثاني.وجملة: «ينفقون» لا محل لها معطوفة على جملة صلة الذين.الصرف:(المخبتين) ، جمع المخبت، اسم

---

(١) توفيق الرحمن في دروس القرآن فيصل المبارك ١٦٩/٣

(٢) الجدول في إعراب القرآن محمود صافي ١١٣/١٧

فاعل من أخبت الرباعي بمعنى تواضع وأطاع، والإخبات النزول في الخبت وهو المكان المنخفض.____________(١) يجوز أن تكون الجملة مستأنفة فلا محل لها.(٢) أو في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف تقديره هم.. أو في محل نصب مفعول به لفعل محذوف تقديره أمدح أو أعني.." (١)

"منطلقا بقوة اليقين- فمثل هذا الذكر لا يعدو أن يكون أصواتا مرددة، أشبه بالجثث الهامدة.. لا روح فيه، ولا معقول له.. ومن هنا تكون آفته، فلا يطمئن به قلب، ولا ينشرح به صدر..أما الذكر الذي يقول فيه سبحانه وتعالى: «الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله.» ثم يؤكده بقوله: «ألا بذكر الله تطمئن القلوب» فهو الذكر الذي ينبعث عن إيمان، فتهتز له المشاعر، وتدفأ به الصدور، وتطمئن به القلوب.. ولهذا قدم سبحانه الإيمان على الذكر.. حتى يكون للذكر أصل يرجع إليه، ومنطق بنطق منه، وهو الإيمان.. فإذا ذكر المؤمن بالله ربه، غردت فى نفسه بلابل البهجة، وزغردت فى صدره عرائس الرضا، واستولت عليه حال من الشجا الممزوج بالنشوة، حتى ليكاد يكون كله عاطفة ترف بجناحي الصبابة والوجد، وتحلق فى سماوات عالية، مشرقة بنور الحق، معطرة بأريج الصفاء والطهر.ولا يكون الذكر لله ذكرا يثمر هذه الثمرة، التي يطمئن بها القلب، إلا إذا انبعث من قلب عارف بالله، مدرك لما ينبغى له سبحانه، من صفات الكمال والجلال، فذلك هو الذي يفيض على القلب خشية عند ذكر الله، وهو الذي يستثير مشاعر الولاء لله، والإخبات له، فتقشعر الجلود، وتدمع العيون..وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: «إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم» (٢: الأنفال) .. وقوله سبحانه: «وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم» (٣٤- ٣٥ الحج) وقوله جل شأنه «الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله» .. (٢٣: الزمر)." (٢)

"الآيات: (٣٤- ٣٧) [سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٤ الى ٣٧]ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧)التفسير:قوله تعالى:«ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين» .المنسك: اسم مكان، يؤدى فيه النسك.. والنسك: هو ما افترض الله على عباده من قربات

---

(١) الجدول في إعراب القرآن محمود صافي ١١٤/١٧

(٢) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب ١١١/٧

يتقربون بها إليه.والمخبتين: المطيعين، المطمئنين، الذين يؤدون أوامر الله فى رضا واطمئنان..والمعنى: أن الله سبحانه وتعالى جعل لكل أمة «منسكا» أي معلما من." (١)

"معالم دينهم، يدعون فيه إلى التقرب إلى الله بالذبائح، وذكر اسمه عليها عند ذبحها، ليذكروا بذلك فضله عليهم، فيما رزقهم من بهيمة الأنعام، ينتفعون بها في وجوه كثيرة.. كما يقول سبحانه: «والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤف رحيم والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة» (٥- ٨: النحل) .- وفى قوله تعالى: «فإلهكم إله واحد» إشارة إلى أن المناسك، والشعائر، والعبادات التي تعبد الله بها عباده على لسان رسله- وإن اختلفت صورا وأشكالا- هى من دين الله، وهى طريق عباده إلى طاعته ورضاه.. وأن هذا الاختلاف فى صورها وأشكالها، لا يجعل منها سببا إلى الاختلاف بين المؤمنين بالله.. فكلهم يعبدون إلها واحدا، ومن شأنهم، أن يكونوا أمة واحدة.- وقوله تعالى: «فله أسلموا» هو دعوة للمؤمنين أن يسلموا وجوههم لله، وأن ينقادوا له، ثم هو دعوة لأهل الكتاب أن يدخلوا فى دين الله، وهو الإسلام، إن كانوا مؤمنين بالله حقا.. فما الإسلام إلا دين الله، الذي اجتمع فيه ما تفرق منه فى الأمم السابقة ...- وقوله تعالى: «وبشر المخبتين» هو استدعاء، وإغراء للذين لم يمتثلوا بعد هذا الأمر- أن يسلموا لله وجوههم، وأن يدخلوا فى دينه، ليكونوا ممن لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ...قوله تعالى:«الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم." (٢)

": ٢٦] .[٣٤، ٣٥][سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٤ الى ٣٥]ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا.عطف على جملة ثم محلها إلى البيت العتيق [الحج: ٣٣] .والأمة: أهل الدين الذين اشتركوا في اتباعه. والمراد: أن المسلمين لهم منسك واحد وهو البيت العتيق كما تقدم. والمقصود من هذا الرد على المشركين إذ جعلوا لأصنامهم مناسك تشابه مناسك الحج وجعلوا لها مواقيت ومذابح مثل الغبغب منحر العزى، فذكرهم الله تعالى بأنه ما جعل لكل أمة إلا منسكا واحدا للقربان إلى الله تعالى الذي رزق الناس الأنعام التي يتقربون إليه منها فلا يحق أن يجعل لغير الله منسك لأن ما لا يخلق الأنعام المقرب بها ولا يرزقها الناس لا يستحق أن يجعل له منسك لقربانها فلا تتعدد المناسك.فالتنكير في قوله منسكا للإفراد، أي واحدا لا متعددا، ومحل الفائدة هو إسناد الجعل إلى ضمير الجلالة.وقد دل على ذلك قوله: ليذكروا اسم الله وأدل عليه التفريع بقوله فإلهكم إله واحد. والكلام يفيد الاقتداء ببقية الأمم أهل الأديان الحق.وعلى يجوز أن تكون للاستعلاء المجازي متعلقة ب ليذكروا اسم الله مع تقدير مضاف بعد على

---

(١) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب ١٠٣٦/٩

(٢) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب ١٠٣٧/٩

تقديره: إهداء ما رزقهم، أي عند إهداء ما رزقهم، يعني ونحرها أو ذبحها.ويجوز أن تكون على بمعنى: لام التعليل. والمعنى: ليذكروا اسم الله لأجل ما رزقهم من بهيمة الأنعام.." (١)

"وقد فرع على هذا الانفراد بالإلهية بقوله: فإلهكم إله واحد فله أسلموا أي إذ كان قد جعل لكم منسكا واحدا فقد نبهكم بذلك أنه إله واحد، ولو كانت آلهة كثيرة لكانت شرائعها مختلفة. وهذا التفريع الأول تمهيد للتفريع الذي عقبه وهو المقصود، فوقع في النظم تغيير بتقديم وتأخير. وأصل النظم: فلله أسلموا، لأن إلهكم إله واحد. وتقديم المجرور في فله أسلموا للحصر، أي أسلموا له لا لغيره. والإسلام: الانقياد التام، وهو الإخلاص في الطاعة، أي لا تخلصوا إلا لله، أي فاتركوا جميع المناسك التي أقيمت لغير الله فلا تنسكوا إلا في المنسك الذي جعله لكم، تعريضا بالرد على المشركين.وقرأ الجمهور منسكا- بفتح السين- وقرأه حمزة، والكسائي، وخلف- بكسر السين-، وهو على القراءتين اسم مكان للنسك، وهو الذبح. إلا أنه على قراءة الجمهور جار على القياس لأن قياسه الفتح في اسم المكان إذ هو من نسك ينسك- بضم العين- في المضارع. وأما على قراءة الكسر فهو سماعي مثل مسجد من سجد يسجد، قال أبو علي الفارسي: ويشبه أن الكسائي سمعه من العرب.وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) .اعتراض بين سوق المنن، والخطاب للنبيء صلى الله عليه وسلم وأصحاب هذه الصفات هم المسلمون.والمخبت: المتواضع الذي لا تكبر عنده. وأصل المخبت من سلك الخبت. وهو المكان المنخفض ضد المصعد، ثم استعير للمتواضع." (٢)

"وضمير أنه الحق عائد إلى العلم الذي أوتوه، أي ليزدادوا يقينا بأن الوحي الذي أوتوه هو الحق لا غيره مما ألقاه الشيطان لهم من التشكيك والشبه والتضليل، فالقصر المستفاد من تعريف الجزأين قصر إضافي. ويجوز أن يكون ضمير أنه عائدا إلى ماتقدم من قوله فينسخ الله إلى قوله ثم يحكم الله آياته، أي أن المذكور هو الحق، كقول رؤبة:فيها خطوط من سواد وبلق ... كأنه في الجلد توليع البهقأي كان كالمذكور.وقوله فيؤمنوا به معناه: فيزدادوا إيمانا أو فيؤمنوا بالناسخ والمحكم كما آمنوا بالأصل.والإخبات: الاطمئنان والخشوع. وتقدم آنفا عند قوله تعالى: وبشر المخبتين [الحج: ٣٤] ، أي فيستقر ذلك في قلوبهم كقوله تعالى: قال بلى ولكن ليطمئن قلبي [البقرة:٢٦٠] .وبما تلقيت في تفسير هذه الآية من الانتظام البين الواضح المستقل بدلالته والمستغنى بنهله عن علالته، والسالم من التكلفات والاحتياج إلى ضميمة القصص ترى أن الآية بمعزل عما ألصقه بها الملصقون والضعفاء في علوم السنة، وتلقاه منهم فريق من المفسرين حبا في غرائب النوادر دون تأمل ولا تمحيص، من أن الآية نزلت في قصة تتعلق بسورة النجم فلم يكتفوا بما أفسدوا من معنى الآية حتى تجاوزوا بهذا الإلصاق إلى إفساد معاني سورة النجم، فذكروا في ذلك رواياتعن سعيد بن جبير، وابن شهاب، ومحمد بن

---

(١) التحرير والتنوير ابن عاشور ٢٥٩/١٧

(٢) التحرير والتنوير ابن عاشور ٢٦٠/١٧

كعب القرطبي، وأبي العالية، والضحاك وأقربها رواية عن ابن شهاب وابن جبير والضحاك قالوا: إن النبيء صلى الله عليه وسلم جلس في ناد من أندية قريش كثير أهله من مسلمين وكافرين، فقرأ عليهم سورة." (١)

"أفراد هذا العموم، داخل فيه قطعا وذلك في قوله: والبدن جعلناها لكم من شعائر الله [٢٢ \ ٣٦] فيدخل في الآية تعظيم البدن واستسمانها واستحسانها كما قدمنا عن البخاري: أنهم كانوا يسمنون الأضاحي، وكانوا يرون أن ذلك من تعظيم شعائر الله، وقد قدمنا أن الله صرح بأن الصفا والمروة داخلان في هذا العموم بقوله: إن الصفا والمروة من شعائر الله الآية [٢ \ ١٥٨] وأن تعظيمها المنصوص في هذه الآية: يدل على عدم التهاون بالسعي بين الصفا والمروة كما تقدم إيضاحه في مبحث السعي، وقوله في هذه الآية ذلك فيه ثلاثة أوجه من الإعراب.الأول: أن يكون في محل رفع بالابتداء والخبر محذوف: أي ذلك حكم الله وأمره.الثاني: أن يكون خبر مبتدأ محذوف: أي اللازم ذلك أو الواجب ذلك.الثالث: أن يكون في محل نصب بفعل محذوف، أي اتبعوا ذلك أو امتثلوا ذلك، ومما يشبه هذه الإشارة في كلام العرب قال زهير:هذا وليس كمن يعي بخطته ... وسط الندى إذا ما قائل نطقاقاله القرطبي وأبو حيان والضمير المؤنث في قوله: فإنها من تقوى القلوب قال القرطبي: هو عائد إلى الفعلة التي يتضمنها الكلام، ثم قال: وقيل إنه راجع إلى الشعائر بحذف مضاف أي: فإن تعظيمها أي الشعائر فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه فرجع الضمير إلى الشعائر، اهـ، وقال الزمخشري في الكشاف: فإنها من تقوى القلوب أي: فإن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب، فحذفت هذه المضافات ولا يستقيم المعنى إلا بتقديرها، لأنه لا بد من راجع من الجزاء إلى " من ليرتبط به، اهـ منه.قوله تعالى: وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم، أمر الله – جل وعلا – نبيه – صلى الله عليه وسلم – أن يبشر المخبتين: أي المتواضعين لله المطمئنين الذين من صفتهم: أنهم إذا سمعوا ذكر الله، وجلت قلوبهم أي: خافت من الله – جل وعلا – وأن يبشر الصابرين على ما أصابهم من الأذى، ومتعلق التبشير محذوف لدلالة المقام عليه أي بشرهم بثواب الله وجنته، وقد بين في موضع آخر: أن الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم: هم المؤمنون حقا وكونهم هم المؤمنين حقا، يجعلهم جديرين بالبشارة." (٢)

"سؤال مهم وهو لماذا أنث الضمير؟ وعلى أي شيء يعود؟ والجواب لا يستقيم إلا بتقدير مضافات محذوفة ولا يستقيم المعنى إلا بتقديرها لأن الضمير يعود على الشعائر أي فإن تعظيمها من أفعال تقوى القلوب والعائد على من محذوف أي منه ويجوز أن الضمير ضمير مصدر مؤنث تقديره فإن العظمة أو الحرمة أو الخصلة.[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٤ الى ٣٨]ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله

---

(١) التحرير والتنوير ابن عاشور ٣٠٣/١٧

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٢٥٨/٥

التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧) إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور (٣٨)." (١)

"وفي القاموس «والمعتر الفقير والمعترض للمعروف من غير أن يسأل عره، عرا واعتره وبه» وفي الأساس واللسان: «وعن عائشة رضي الله عنها: مال اليتيم عرة لا أدخله في مالي ولا أخلطه به» . ولا تفعل هذا لا تصبك منه معرة وفي الحديث «كلما تعاررت ذكرت الله» وكان سلمان رضي الله عنه إذا تعار في الليل قال: سبحان رب النبيين وإله المرسلين، وهو أن يهب من النوم مع كلام من عرار الظليم وهو صياحه و «أطعموا القانع والمعتر» أي المعترض بسؤاله»

.الإعراب:(ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير التشريع الخاص بكل أمة ونوع التعبد الذي يتقربون به الى الله ولكل أمة متعلقان بمحذوف مفعول جعلنا الثاني المقدم وجعلنا فعل وفاعل ومنسكا مفعول جعلنا الأول وليذكروا اللام للتعليل ويذكروا مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والجار والمجرور متعلقان بجعلنا واسم الله مفعول به وعلى ما رزقهم متعلقان بيذكروا وجملة رزقهم صلة ومن بهيمة الأنعام متعلقان برزقهم. (فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين) الفاء الفصيحة وإلهكم مبتدأ وإله خبره وواحد صفة فله الفاء عاطفة وله متعلقان بأسلموا وأسلموا فعل أمر وفاعل وبشر الواو عاطفة وبشر فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت والمخبتين مفعول به.(الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) الذين نعت للمخبتين أو بدل منه وإذا." (٢)

"حرمات الله: التكاليف الدينية وكل ما نهى الله عنه. فاجتنبوا الرجس من الأوثان: ابتعدوا عن عبادتها. الزور: الكذب. حنفاء: واحدهم حنيف، وهو من استقام على دين الحق، ومال عن كل زيغ وضلال. كأنما خر من السماء: كأنما سقط من السماء. فتخطفه الطير: يعني بعد ان يسقط ويموت تأكله الطير. مكان سحيق: مكان بعيد. شعائر الله: جمع شعيرة وهي كل اعمال الحج والهدايا التي يسوقها الحاج. منسكا: مكانا للعبادة. مخبتين: خاشعين. وجلت قلوبهم: خافت.﴿ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور﴾ .ذلك الذي أمرءنا به من قضاء المناسك هو الواجب عليكم في حجكم، ومن يلتزم أوامر الله ونواهيه في حجه تعظيما لحدود الله يكن ذلك خيرا له عند ربه في دنياه وآخرته. لقد أحل الله لكم لحوم الإبل والبقرة والغنم، إلا في حالات مما بينه القرآن، كالميتة وغيرها، فاجتنبواعبادة الأوثان وطاعة الشيطان. . إن ذلك رجس. ابتعدوا عن قول الزور على الله وعلى الناس.﴿حنفآء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السمآء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾ .تمسكوا بهذه الأمور مخلصين العبادة لله وحده، دون إشراك أحد به. . . . إن من يشرك بالله يعرض نفسه للهلاك المريع، وكأنه سقط من السماء فتمزق قطعا تتخطفه الطور فلا تبقي له أثرا، أو كأن الريح العاتية عصفت به فشتتت أجزاءه، وهوت بكل جزء منها في مكان بعيد.﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى

---

(١) إعراب القرآن وبيانه محيي الدين درويش ٤٣١/٦

(٢) إعراب القرآن وبيانه محيي الدين درويش ٤٣٤/٦

القلوب﴾ .امتثلوا ذلك واحفظوه، لأن من يعظم دين الله وفرائض الحج وأعماله، ويسوق البدن والهدايا الى الحرم ويختارها عظيمة الأجسام صحيحة سمينة – فقد اتقى الله، لأن تعظيمها أثر من آثار تقوى القلوب.﴿لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلهآ إلى البيت العتيق﴾لكم في هذه الهدايا منافع دنيوية، فتركبونها حين الحاجة وتحمل أثقالكم، وتشربون من ألبانها، ثم لكم منافعها الدينية كذلك حين تذبحونها عند البيت الحرام تقربا الى الله.﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين﴾ .ليست هذه المناسك خاصة بكم، فقد جعلنا لأهل كل دين من الأديان من قبلكم قرابين يتقربون بها الى الله، يوذكرون اسم الله عليها ويعظمونه عند ذبحها شكرا له على ما أنعم عليهم، ويسره لهم منها. إن عبودكم إله واحد فاسلموا له وحده، ولا تشركوا معه أحدا. ويا أيها الرسول بشر بالجنة والثواب الجزيل المخلصين، الخاضعين لله من عباده. وقد بين الله علامات أولئك المختبين فقال:﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على مآ أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾ .وهؤلاء المختبين لهم صفات:أولاها: أنهم إذا ذكر الله عرتهم رهبة من خشيته، وخوف من عقابه.ثانيتها: الذين يصبرون عند الشدائد على ما يصيبهم من المكاره والمتاعب.ثالثتها: ويقيمون الصلاة على أحسن وجه في أوقاتها بخضوع ونشاط.رابعتها: وينفقون بعض ما آتاهم الله من طيب الرزق في وجوه البر وفي سبيل الله.." (١)

"والآيتان متصلتان بالسياق والموضوع كما هو واضح. واحتمال مكيتهما ومدنيتهما واردان تبعا لورودهما في سياق واحد مع الآيات السابقة التي تحتمل ذلك كما هو المتبادر.[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٤ الى ٣٥]ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥). (١) منسك: على وزن مفعل بمعنى محل نسك أو واجب نسك. ومن معاني النسك في اللغة القربان. وقد ورد بهذا المعنى في آية سورة البقرة هذه: فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك [١٩٦] .(٢) المخبتين: المتواضعين أو الخاشعين أو الخاضعين. وقيل إنها بمعنى المطمئن أيضا والمعاني الأولى أوجه ويؤيدها آية سورة هود هذه: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون (٢٣) .وفي هاتين الآيتين:١- تنبيه على أن الله تعالى قد أوجب على كل أمة واجبات في صدد ذبح القرابين أمكنة وأشكالا، ليذكروا اسمه عند ذبح الأنعام شكرا له على تسخيرها لهم.٢- وتعقيب على هذا التنبيه: فإن إله الناس جميعا هو واحد لا يصح عليه التعدد، وإن من واجبهم الإسلام والإخلاص والخضوع له.٣- وأمر للنبي صلى الله عليه وسلم بتبشير المخلصين الخاضعين الذين إذا ذكروا الله استشعرت قلوبهم هيبته، وإذا ما أصابتهم مصيبة صبروا وتحملوا والذين يواظبون على إقامة الصلاة له والإنفاق مما رزقهم.الجزء السادس من التفسير الحديث ٤." (٢)

---

(١) تيسير التفسير للقطان إبراهيم القطان ٤٥٨/٢

(٢) التفسير الحديث محمد عزة دروزة ٤٩/٦

"إليك أواها منيبا، رب تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبت حجتي، وسدد لساني، واهد قلبي، واسلل سخيمة صدري. رواه الترمذي، وأبو داود، وابن ماجة.ـــــــالمتواضع الذي اطمأن قلبه إلى ذكر ربه وأقيم اللام مقام ((إلى)) لتفيد الاختصاص قال تعالى: ﴿وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ الآية (٢٢: ٣٥) وفي رواية البغوي: ((إليك مخبتا)) (إليك) وللبغوي: ((لك)) مكان ((إليك)) (أواها) بتشديد الواو أي أكثر التأوه من الذنوب وهو التضرع ، وقيل: كثير الدعاء، وقيل: كثير البكاء. وقال القاري: أي متضرعا فعال للمبالغة من أوه تأويها وتأوه تأوها إذا قال: أوه أي قائلا لفظ أوه وهو صوت الحزين أي: اجعلني حزنيا ومتفجعا على التفريط أو هو قول النادم من معصيته المقصر في طاعته، وقيل: الأواه البكاء (منيبا) من الإنابة، أي راجعا إليك في أموري كلها، وقيل التوبة رجوع من المعصية إلى الطاعة والإنابة من الغفلة إلى الذكر والفكرة والأوبة من الغيبة إلى الحضور والمشاهدة. قال الطيبي: وإنما اكتفى في قوله: ((أواها منيبا)) بصلة واحدة لكون الإنابة لازمة للتأوه ورديفا له فكأنه شيء واحد ومنه قوله تعالى: ﴿إن إبراهيم لحليم أواه منيب﴾ (١١: ٧٥) (رب تقبل توبتي) بجعلها صحيحة بشرائطها واستجماع آدابها فإنها لا تتخلف عن حيز القبول قال تعالى: ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده﴾ (٤٢: ٢٥) (واغسل حوبتي) بفتح الحاء وتضم، أي امح ذنبي وأزل خطيئتي وإثمي. قيل: هي مصدر حبت بكذا، أي أثمت، تحوب حوبة وحوبا وحبابة والجواب بالضم، والحاب الإثم سمي بذلك لكونه مزجورا عنه إذ الحوب في الأصل لزجر الإبل وذكر المصدر دون الإثم وهو الحوب لأن الاستبراء من فعل الذنب أبلغ منه من نفس الذنب كذا قيل، ويمكن أن يكون مراعاة للسجع، ثم ذكر الغسل ليفيد إزالته بالكلية بحيث لا يبقى منه أثر، والتنزة والتفصي عنه عن القذر الذي يستنكف عن مجاورته (وأجب دعوتي) ، أي دعائي (وثبت حجتي) ، أي على أعدائك في الدنيا والعقبى أو ثبت قولي وتصديق في الدنيا وعن جواب الملكين في القبر وقيل: أي قو إيماني بك وثبتني على الصواب عند السؤال (وسدد لساني) ، أي صوبه وقومه حتى لا ينطق إلا بالصدق ولا يتكلم إلا بالحق (واهد قلبي) ، أي إلى الصراط المستقيم وقيل: أي إلى معرفة ربي، وقيل: أي إلى درك الحقائق الشرعية (واسلل) بضم اللام الأولى، أي أخرج وأنزع من سل السيف إذا أخرجه من الغمد (سخيمة صدري) ، بضم المهملة وكسر المعجمة، أي غشه وغله وحقده. قيل: السخيمة الضغينة من السخمة وهو السواد ومنه سخام القدر وإنما أضاف السخيمة إلى المصدر إضافة الشيء إلى محله والمعنى أخرج من صدري وانزع عنه ما ينشأ منه ويسكن فيه ويستولى عليه من مساوي الأخلاق وفي رواية ابن حبان، والبغوي ((قلبي)) بدل ((صدري)) . (رواه الترمذي) في الدعوات، (وأبو داود) في أواخر الصلاة، (وابن ماجة) في الدعاء، وأخرجه أيضا أحمد (ج١: ص٢٢٧) ، والبخاري في الأدب المفرد (ج٢: ص١١٨، ١١٩) ، والنسائي في اليوم والليلة، وابن حبان في صحيحه، والحاكم (ج١: ص٥٢٠) ، وابن أبي شيبة، والبغوي (ج٥: ص١٧٥، ١٧٦) وقال." (١)

"في مكان سحيق بعيد الغور، فلا أثر له.جعل حال المشرك يوم القيامة بمنزلة من لا يملك لنفسه نفعا، ولا يدفع عن نفسه ضرا، فهو بمنزلة من خر من السماء، أو هوى فى غور.[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٢ الى ٣٤]ذلك ومن

---

(١) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح عبيد الله الرحماني المباركفوري ٢٥٣/٨

يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤)٣٢- ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب:ذلك خبر لمبتدأ محذوف، أي الأمر والشأن ذلك.ومن يعظم يجل ويؤدها على وجهها الأتم.شعائر الله مناسك الحج وفرائضه.فإنها أي فإن تعظيمها.من تقوى القلوب من آثار تقوى القلوب.٣٣- لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق:لكم فيها أي هذه الهدايا التي تهدونها، يعنى النعم.منافع تركبونها وتشربون لبنها.إلى أجل مسمى الى أن يحين وقت ذبحها.ثم محلها إلى ثم مكانها الذي تنتهى اليه.البيت العتيق المسجد الحرام وهو أقدم بيت لله على الأرض، حيث تذبح تقربا الى الله تعالى.٣٤- ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين:ولكل أمة جعلنا منسكا قرابين يتقربون بها الى الله.ليذكروا اسم الله عند ذبحها.." (١)

"على ما رزقهم على ما أنعم عليهم.من بهيمة الأنعام من بهائم الإبل والبقر والغنم.فإلهكم إله واحد والذي شرع لكم ولهم إله واحد.فله أسلموا فأسلموا له وحده أمركم.وبشر المخبتين الخاضعين لله من عباده بأن لهم الجنة.[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٥ الى ٣٦]الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦)٣٥- الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون:وجلت قلوبهم خشعت لذكره.والصابرين على ما أصابهم من المكاره.والمقيمي الصلاة على أكمل وجوهها.ومما رزقناهم ينفقون والذين ينفقون فى وجوه الخير بعضا مما رزقناهم.٣٦- والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون:والبدن الإبل والبقر.من شعائر الله من أعلام الدين ومظاهره.لكم فيها خير بركوبها وشرب ألبانها فى الدنيا وفى الآخرة بالأجر والثواب.فاذكروا اسم الله عليها حين ذبحها.صواف مصطفة معدة للذبح ليس فيها ما يعيبها.فإذا وجبت جنوبها أي سقطت على جنوبها مذبوحة.." (٢)

"٣١- حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق فتخطفه:وقرئ:١- بفتح الخاء والطاء مشددة، وهى قراءة نافع.٢- بسكون الخاء وتخفيف الطاء، وهى قراءة باقى السبعة.٣- بكسر الخاء والطاء مشددة، وهى قراءة الحسن، وأبى رجاء، والأعمش.٤- بكسر الخاء وفتح الطاء مشددة، وهى قراءة الحسن.٥- بغير فاء، وإسكان الخاء وفتح الطاء مخففة، وهى قراءة الأعمش أيضا.الريح:وقرئ:الرياح، وهى قراءة أبى جعفر، والحسن.٣٤- ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين منسكا:١- بفتح الميم، وهى قراءة الجمهور.وقرئ:٢- بكسرها، وهى قراءة الأخوين، وابن

---

(١) الموسوعة القرآنية إبراهيم الإبياري ٣٥٢/١٠

(٢) الموسوعة القرآنية إبراهيم الإبياري ٣٥٣/١٠

سعدان، وأبي حاتم، عن أبي عمرو، ويونس، ومحبوب، وعبد الوارث.٣٥- الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والمقيمي الصلاة:١- بالخفض، على الإضافة، وحذف النون لأجلها، وهى قراءة الجمهور.وقرئ:٢- والمقيمين الصلاة، بالنون ونصب «الصلاة» ، وهى قراءة ابن مسعود، والأعمش.٣- والمقيم الصلاة، وهى قراءة الضحاك.." (١)

"بسم تبسم نم ١٩ فتبسم ضاحكا بشر بشروه. بشرتمونى. بشرناك يا ٢٨ وبشروه بغلام عليم جر ٥٤ أبشرتمونى على أن مسنى- ٥٥ قالوا بشرناك بالحق بشرناه بشرناهم ببشر لبشر صا ١٠١ فبشرناه بغلام- ١١٢ وبشرناه باسحق هد ٧١ فبشرناها باسحق شو ٢٣ الذى يبشر الله عباده سر ٩ ويبشر المؤمنين كه ٢ ويبشر المؤمنين مر ٩٧ لتبشر به المتقين يبشرك يبشرهم تبشرون نبشرك عمر ٣٩ أن الله يبشرك بيحيى بة ٢١ يبشرهم ربهم جر ٥٤ فبم تبشرون- ٥٣ انا نبشرك بغلام (مر ٦) بشر بشره نسا ١٣٨ بشر المنافقين زم ١٧ فبشر عباد بق ٢٥ وبشر الذين آمنوا (يو ٢) بق ١٥٥ وبشر الصابرين- ٢٢٣ وبشر المؤمنين (بة ١١٢ يو ٨٧ حب ٤٧ صف ١٣) بة ٣ وبشر الذين كفروا حج ٣٤ وبشر المخبتين- ٣٧ وبشر المحسنين لق ٧ فبشره بعذاب أليم (جا ٨) يس ١١ فبشره بمغفرة بشرهم بشر عمر ٢١ فبشرهم بعذاب أليم (بة ٣٤ نشق ٢٤) نح ٥٨ وإذا بشر أحدهم بالانثى- ٥٩ من سوء ما بشر به باشروهن تباشروهن أبشروا بق ١٨٧ فالآن باشروهن- ولا تباشروهن وأنتم حس ٣٠ وأبشروا بالجنة يستبشرون استبشروا عمر ١٧٠ ويستبشرون بالذين لم بة ١٢٤وهم يستبشرون جر ٦٧ أهل المدينة يستبشرون روم ٤٨ إذا هم يستبشرون (زم ٤٥) بة ١١١ فاستبشروا ببيعكم بشر بشرا عمر ٤٧ ولم يمسسنى بشر (مر ٢٠) ما ١٨ بل أنتم بشر ممن خلق ابر ١٠ إن أنتم إلا بشر مثلنا- ١١ إن نحن إلا بشر مثلكم نح ١٠٣ إنما يعلمه بشر كه ١١٠ قل إنما أنا بشر مثلكم (حس ٦) أن ٣ هل هذا إلا بشر مثلكم مو ٢٤ و ٣٣ ما هذا إلا بشر شع ١٥٤ و ١٨٦ ما أنت إلا بشر روم ٢٠ ثم إذا أنتم بشر يس ١٥ ما أنتم إلا بشر مثلنا تغ ٦ فقالوا أبشر يهدوننا نعم ٩١ ما أنزل الله على بشر عمر ٧٩ ما كان لبشر أن يؤتيه جر ٣٣ لم أكن لأسجد لبشر أن ٣٤ وما جعلنا لبشر من قبلك شو ٥١ وما كان لبشر أن هد ٢٧ وما نراك إلا بشرا مثلنا سف ٣١ ما هذا بشرا جر ٢٨ إنى خالق بشرا (ص ٧١) سر ٩٣ هل كنت إلا بشرا- ٩٤ أبعث الله بشرا مر ١٧ فتمثل لها بشرا سويا مو ٣٤ ولئن أطعتم بشرا مثلكم فر ٥٤ خلق من الماء بشرا قمر ٢٤ أبشرا منا واحدا نتبعه البشر بشرين مر ٢٦ فإما ترين من البشر أحدا مد ٢٥ إن هذا إلا قول البشر- ٢٩ لواحة للبشر- ٣١ وما هى إلا ذكرى للبشر- ٣٦ نذيرا للبشر مو ٤٧ أنؤمن لبشرين مثلنا." (٢)

"باب الخاءخبأ الخبء ٢٥ الذى يخرج الخبء خبت اخبتوا تخبت المخبتين هد ٢٣ واخبتوا إلى ربهم حج ٥٣ فتخبت له قلوبهم- ٣٤ وبشر المخبتين خبث خبث الخبيث عف ٥٧ والذى خبث لا يخرج ما ١٠٣ قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث بق ٢٦٧ ولا تيمموا الخبيث عمر ١٧٩ حتى يميز الخبيث نسا ٢ ولا تتبدلوا

---

(١) الموسوعة القرآنية إبراهيم الإبياري ٥٤/٦

(٢) الموسوعة القرآنية إبراهيم الإبياري ٦٢/٧

الخبيث نف ٣٨ ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض الخبيثون الخبيثين الخبيثات ور ٢٦ الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات خبيثة الخبائث ابر ٢٦ ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة عف ١٥٦ ويحرم عليهم الخبائث خبر خبر خبرا نم ٧ سآتيكم منها بخبر قص ٢٩ لعلى آتيكم منها بخبر كه ٦٩ على ما لم تحط به خبرا- ٩٢ وقد أحطنا بما لديه خبرا اخبارها اخباركم لز ٤ يومئذ تحدث أخبارها بة ٩٥ قد نبأنا الله من إخباركم محمد ٣١ ونبلو اخباركم خبير بق ٢٣٤ و ٢٧١ والله بما تعملون خبير (عمر ١٨٠ حد ١٠ مجا ٣ و ١١ تغ ٨) عمر ١٥٣ والله خبير بما تعملون (بة ١٧ مجا ١٣ منا ١١) ما ٩ إن الله خبير بما تعملون (ور ٥٣ حشر ١٨) هد ١١٢ إنه بما يعملون خبير حج ٦٣ إن الله لطيف خبير (لق ١٦) ور ٣٠ إن الله خبير بما يصنعون نم ٨٨ إنه خبير بما تفعلون لق ٢٩ وإن الله بما تعملون خبير- ٣٤ إن الله عليم خبير (رات ١٣) فط ٣١ إن الله بعباده لخبير شو ٢٧ إنه بعباده خبير بصير عا ١١ إن ربهم بهم يومئذ لخبير هد ١ من لدن حكيم خبير فط ١٤ ولا ينبئك مثل خبير خبيرا الخبير نسا ٣٤ إن الله كان عليما خبيرا- ٩٣ و ١٢٧ و ١٣٤ إن الله كان بما تعملون خبيرا (حب ٢) سر ١٧ بذنوب عباده خبيرا (فر ٥٨) - ٣٠ و ٩٦ إنه كان بعباده خبيرا." (١)

"الخاء(خبت) : الخبت المطمئن من الأرض وأخبت الرجل قصد الخبت أو نزله نحو أسهل وأنجد، ثم استعمل الإخبات استعمال اللين والتواضع، قال الله تعالى: وأخبتوا إلى ربهم وقال تعالى: وبشر المخبتين أي المتواضعين، نحو: لا يستكبرون عن عبادته وقوله تعالى: فتخبت له قلوبهم أي تلين وتخشع والإخبات هاهنا قريب من الهبوط فى قوله تعالى: وإن منها لما يهبط من خشية الله.(خبث) : المخبث والخبيث ما يكره رداءة وخساسة محسوسا كان أو معقولا، وأصله الرديء الدخلة الجاري مجرى خبث الحديد كما قال الشاعر:سبكناه ونحسبه لجينا فأبدى الكير عن خبث الحديد وذلك يتناول الباطل فى الاعتقاد والكذب فى المقال والقبيح فى الفعال، قال عز وجل: ويحرم عليهم الخبائث أي ما لا يوافق النفس من المحظورات وقوله تعالى: ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث فكناية عن إتيان الرجال. وقال تعالى: ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب أي الأعمال الخبيثة من الأعمال الصالحة، والنفوس الخبيثة من النفوس الزكية. وقال تعالى: ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب أي الحرام بالحلال، وقال تعالى: الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات أي الأفعال الردية والاختيارات المبهرجة لأمثالها وكذا: الخبيثون للخبيثات وقال تعالى: قل لا يستوي الخبيث والطيب أي الكافر والمؤمن والأعمال الفاسدة والأعمال الصالحة، وقوله تعالى: ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة فإشارة إلى كل كلمة قبيحة من كفر وكذب ونميمة وغير ذلك،وقال صلى الله عليه وسلم: «المؤمن أطيب من عمله، والكافر أخبث من عمله»ويقال خبيث مخبث أي فاعل الخبث.(خبر) : الخبر العلم بالأشياء المعلومة من جهة الخبر وخبرته خبرا وخبرة وأخبرت أعلمت بما حصل لى من الخبر، وقيل الخبرة المعرفة ببواطن الأمر والخبار والخبراء الأرض اللينة، وقد يقال ذلك لما فيها من الشجر، والمخابرة مزارعة." (٢)

---

(١) الموسوعة القرآنية إبراهيم الإبياري ١٣٣/٧

(٢) الموسوعة القرآنية إبراهيم الإبياري ١٥٩/٨

"ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧)." (١)

"ذبحها أو وقت تعيينها وتسميتها هديا، أما بعد ذلك فاتركوا الانتفاع بها للفقراء والمحتاجين، فهذا أكثر ثوابا لكم عند الله- تعالى-.وقوله- سبحانه- ثم محلها إلى البيت العتيق بيان لمكان ذبحها.والمحل مأخوذ من حل الشيء يحل- بالكسر- حلولا إذا وجب أو انتهى أجله. والمراد به في الآية مكان الحلول، أى: المكان الذي ينتهى فيه أجل تلك الأنعام، أو المكان الذي يجب ذبحها فيه.والمعنى: لكم في تلك الانعام منافع إلى أجل مسمى ثم المكان الذي تذبح فيه منته إلى البيت العتيق. ومتصل به.والمقصود بهذا المحل الحرم كله، لأن البيت ليس مكانا للذبح.وبعضهم يرى أن المراد بالمحل في قوله: ثم محلها إلى البيت العتيق: تحلل الحجاج من إحرامهم بعد أداء شعائر الحج المعبر عنها بقوله- تعالى-: ذلك ومن يعظم شعائر الله....قال القرطبي: قوله- تعالى-: ثم محلها إلى البيت العتيق يريد أنها تنتهي إلى البيت، وهو الطواف فقوله: محلها مأخوذ من إحلال المحرم.والمعنى: أن شعائر الحج كلها من الوقوف بعرفة ورمى الجمار والسعى ينتهى إلى طواف الإفاضة بالبيت العتيق. فالبيت على هذا التأويل مراد بنفسه.. «١» .ثم بين- سبحانه- أنه قد شرع لكل أمة الذبائح التي ينتفعون بها، لكي يذكروه- سبحانه- ويشكروه ويخلصوا له العبادة، ولكي يطعموا منها السائل والمحتاج، فقال- تعالى-:[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٤ الى ٣٧]ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧)______________(١) تفسير القرطبي ج ١٢ ص ٥٦.." (٢)

"وقوله- تعالى-: ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام بيان للعلة التي من أجلها شرعت تلك الذبائح.أى: شرعناها لكم وللأمم السابقة عليكم للإكثار من ذكر الله عند ذبحها فهو- سبحانه- الذي رزقكم إياها بفضله وإحسانه، فعليكم أن تكثروا من ذكره وشكره، ليزيدكم من خيره ورزقه.وفي هذه الجملة الكريمة تقريع وتوبيخ لمن يذكرون غير اسم الله- تعالى- عند الذبح، وتأكيد لوجوب ذكر اسمه- تعالى-، حتى لكأن المقصود الأعظم من وراء ذبح هذه الأنعام، هو المداومة على ذكر اسم الله- عز وجل- وعلى شكره- سبحانه- على نعمه، أما ما سوى ذلك كالأكل

---

(١) التيسير في أحاديث التفسير محمد المكي الناصري ١٦٤/٤

(٢) التفسير الوسيط لطنطاوي محمد سيد طنطاوي ٣٠٩/٩

منها، والانتفاع بها.. فهي مقاصد فرعية.ثم عقب- سبحانه- على ذلك بتقرير وحدانيته، وبوجوب إسلام الوجه إليه، فقال:فإلهكم إله واحد فله أسلموا.أى: شرعنا لكم ذلك لأن إلهكم إله واحد لا شريك له لا في ذاته ولا في صفاته، فله وحده أسلموا وجوهكم، وأخلصوها لعبادته وطاعته.فجملة فإلهكم إله واحد بمثابة العلة لما قبلها من تخصيص اسمه الكريم بالذكر عند الذبح، لأن تفرده- سبحانه- بالألوهية يستلزم هذا التخصيص.وقوله- تعالى-: فله أسلموا مرتب على ما قبله، لأنه متى ثبت أن المستحق للعبادة والطاعة هو الله الواحد الأحد، فعليهم أن يسلموا وجوههم إليه.ثم أمر الله- تعالى- نبيه صلى الله عليه وسلم أن يبشر المخبتين برضاه- سبحانه- وبمثوبته فقال: وبشر المخبتين أى: المتواضعين لله- تعالى- المطمئنين إلى عدالة قضائه فيهم، ولفظ المخبتين من الإخبات. وهو في الأصل نزول الخبت- بفتح الخاء وسكون الباء.أى: المكان المنخفض، ثم استعمل في اللين والتواضع. يقال: فلان مخبت، أى:متواضع خاشع لله رب العالمين.وحذف- سبحانه- المبشر به لتهويله وتعظيمه، أى: وبشر- أيها الرسول الكريم- هؤلاء المتواضعين لله- تعالى- بالثواب العظيم، والأجر الكبير الذي لا تحيط بوصفه عبارة.ثم مدحهم- سبحانه- بأربع صفات فقال: الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ...أى: بشر هؤلاء المخبتين الذين من صفاتهم أنهم إذا سمعوا ذكر الله- تعالى- وصفاته،." (١)

"أما القول بأنه طواف الوداع (الصدر) فهو بعيد لأن الطواف الذي يلي قضاء التفث إنما هو طواف الإفاضة، فلا مناسبة هنا لطواف الوداع.وللحج ثلاثة أطواف: طواف القدوم، وطواف الإفاضة، وطواف الوداع.أما طواف القدوم فهو سنة عند الجمهور، واجب على الأصح عند المالكية، وعكسه طواف الوداع: مستحب عند المالكية، واجب عند الجمهور، وأما طواف الإفاضة فهو فرض وركن لا يتم الحج إلا به بالاتفاق، لقوله تعالى: وليطوفوا بالبيت العتيق.تعظيم حرمات الله وشعائره[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٠ الى ٣٥]ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور (٣٠) حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق (٣١) ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤)الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)." (٢)

"يذبحونه تقربا إلى الله تعالى، وذلك ليس خاصا بأمة محمد صلى الله عليه وسلم وإنما هو في كل الملل. والصحيح كما قال ابن العربي أن المنسك: هو ما يرجع إلى العبادة والتقرب.ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام أي شرعنا لهم سنة ذبح الأنعام، لكي يذكروا اسم الله حين ذبحها، أي عند الشروع فيه، ويشكروه على نعمه التي أنعم بها عليهم.ويؤيده ما ثبت في الصحيحين عن أنس قال: أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين أقرنين، فسمى وكبر، ووضع رجله على صفاحهما.وروى الإمام أحمد وابن ماجه عن زيد بن أرقم قال: قلت يا رسول الله، ما هذه

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي محمد سيد طنطاوي ٣١١/٩

(٢) التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ٢٠٣/١٧

الأضاحي؟ قال:«سنة أبيكم إبراهيم» قالوا: ما لنا منها؟ قال: «بكل شعرة حسنة» قال:فالصوف؟ قال: «بكل شعرة من الصوف حسنة» .فإلهكم إله واحد، فله أسلموا، وبشر المخبتين أي فإن معبودكم واحد، وإن تنوعت شرائع الأنبياء، ونسخ بعضها بعضا، فالجميع يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له، كما قال سبحانه: وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون [الأنبياء ٢١/ ٢٥] . وقوله: فإلهكم..بمثابة العلة لما قبله من تخصيص اسمه الكريم بالذكر لأن تفرده تعالى بالألوهية يقتضي ألا يذكر على الذبائح غير اسمه. وإنما قال: إله واحد ولم يقل:«فإلهكم واحد» لإفادة أنه تعالى واحد في ذاته وفي ألوهيته.ومتى كان الإله واحدا فله أسلموا أي فيجب تخصيصه بالعبادة، والاستسلام له والانقياد له في جميع الأحكام. وقوله فله أسلموا مرتب بالفاء على الحكم بوحدانية الإله.وبشر أيها النبي بالثواب الجزيل المخبتين، أي المتواضعين الخاشعين لله، من." (١)

"للمؤمنين تدفعهم إلى تحقيق الخصال الثلاثة المتقدمة، فقال تعالى: إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ... وهذه الصفات هي ما يأتي:١- الخوف التام من الله: الذين إذا ذكروا الله بقلوبهم، وأحسوا بعظمته وجلاله، وتذكروا وعده ووعيده، خافوا منه أتم الخوف. كما قال تعالى في آية أخرى: وبشر المخبتين، الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ...[الحج ٢٢/ ٣٤- ٣٥] .٢- زيادة الإيمان بتلاوة القرآن: الذين إذا تليت عليهم آياته القرآنية، زادتهم إيمانا ويقينا وتصديقا، وإقبالا على العمل الصالح لأن كثرة الأدلة والتذكير بها، يوجب زيادة اليقين، وقوة الاعتقاد، فالرؤية البصرية أو الحسية مثلا تقوي القناعة الذاتية، كما حدث لإبراهيم عليه السلام الذي كان مؤمنا، وطلب من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى: قال: أولم تؤمن؟ قال: بلى، ولكن ليطمئن قلبي [البقرة ٢/ ٢٦٠] وهذا يدل على أن منزلة الطمأنينة في الإيمان أقوى وأعلى من مجرد الإيمان. ونظير الآية قوله تعالى: هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم [الفتح ٤٨/ ٤] وقوله:وإذا ما أنزلت سورة، فمنهم من يقول: أيكم زادته هذه إيمانا؟ فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون [التوبة ٩/ ١٢٤] .٣- التوكل على الله أي الاعتماد عليه والثقة به والتفويض إليه: الذين يتوكلون على ربهم وحده، وإليه يلجأون، ولا يرجون غيره، ولا يقصدون إلا إياه، ولا يطلبون الحوائج إلا منه، وذلك بعد اتخاذ الأسباب، فمن تعاطى الأسباب المطلوبة منه عقلا وعادة، ثم فوض الأمر لله، وأيقن أن الأمر كله بيد الله، فهو من أهل الإيمان. أما ترك الأسباب فهو جهل بمفهوم التوكل.٤- إقامة الصلاة: الذين يقيمون الصلاة، أي يؤدونها كاملة الأركان." (٢)

"والدوافع الدينية، وهذه ميزة الإسلام يحمل المسلمين على العمل بكل الأساليب المرغبة ليقبلوا على العمل بعقيدة ثابتة ونفس راضية.والأيام المعلومات هي أيام التشريق الثلاث ويوم العيد فتكون أربعة وقيل: هي العشر الأوائل من ذي الحجة ووقت الذبح يوم النحر، وقيل: يوم العيد وأيام التشريق.فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير: أما الأكل منها فالأمر فيه للإباحة جبرا لخاطر الفقير وإشعارا له بالمساواة في المأكل والمشرب ومخالفة لما كان في الجاهلية، والأمر في قوله وأطعموا للوجوب، ومذهب الشافعي رحمه الله أن الأكل مستحب والإطعام واجب فإن أطعمها جميعها أجزأه، وإن أكلها جميعها

---

(١) التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ٢١٠/١٧

(٢) التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ٢٤٦/٩

لم يجزه، هذا فيما إذا كان الذبح تطوعا. فأما الواجبات كالنذر والكفارات ودم الجبر الذي يذبح لنقص في أعمال الحج مثل دم القران والتمتع مثلا فلا يأكل منها، وقيل: يجوز له الأكل.ثم بعد تحللهم وخروجهم من الإحرام ليؤدوا تفثهم، وليزيلوا أوساخهم، ويتحللون بالحلق أو التقصير، ونتف الإبط وإزالة الوسخ، وتفسير القضاء في ليقضوا بالإزالة تفسيرا مجازيا.وليطوفوا طواف الإفاضة والزيارة، وهو غير طواف القدوم، وطواف الوداع وليطوفوا بالبيت العتيق الطاهر القديم شكرا لله على توفيقه لأداء الحج.ولعل في ذكر الحج والأذان به عقب التسجيل على الكافرين بالصد عن سبيل الله والمسجد الحرام، وبيان مكانة البيت وطهارته، ما يجعلنا نشعر بأن من يقف حائلا في يوم من الأيام ويمنع حج بيت الله الحرام يكون من الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله والمسجد الحرام ...توجيهات إلهية لتعظيم حرمات الله وشعائره [سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٠ الى ٣٥]ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور (٣٠) حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق (٣١) ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤)الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)." (١)

"على تقوى قلبه لربه تعالى والرسول يشير إلى صدره ويقول التقوى ها هنا التقوى ها هنا ثلاث مرات وقوله تعالى: ﴿لكم فيها منافع إلى أجل مسمى﴾ أي أذن الله تعالى للمؤمنين أن ينتفعوا بالهدايا وهم سائقوها إلى الحرم بأن يركبوها١ ويحملوا عليها ما لا يضرها ويشربوا من ألبانها وقوله تعالى: ﴿ثم محلها إلى البيت٢ العتيق﴾ أي محلها عند البيت العتيق وهو الحرم حيث تنحر إن كان مما ينحر أو تذبح إن كان مما يذبح.هداية الآياتمن هداية الآيات:١- وجوب تعظيم حرمات الله لما فيها من الخير العظيم.٢- تقرير حلية بهيمة الأنعام بشرط ذكر اسم ا! ته عند ذبحها أو نحرها.٣- حرمة قول الزور وشهادة الزور وفي الأثر عدلت٣ شهادة الزور الشرك بالله.٤- وجوب ترك عبادة الأوثان ووجوب البعد عنها وترك كل ما يمت إليها بصلة.٥- بيان عقوبة الشرك وخسران المشرك.٦- تعظيم شعائر الله وخاصة البدن من تقوى قلوب أصحابها.٧- جواز الانتفاع بالبدن الهدايا بركوبها وشرب لبنها والحمل عليها إلى غاية نحرها بالحرم.ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما______________١ في الصحيح أن رجلا يسوق بدنه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم "اركبها فقال الرجل إنها بدنة قال: اركبها قال: إنها بدنة، وفي الثالثة قال له صلى الله عليه وسلم: اركبها ويلك"٢ إن كان الهدي في الحج فمحله بعد رمي جمرة العقبة ولا ينحر أو يذبح قبله، وإن كان في غير

---

(١) التفسير الواضح محمد محمود حجازي ٢/٥٨٢

الحج، وإنما هدي مهدى إلى الحرم فمحله مكة حيث يطعمه فقراؤها وفقراء الحرم كله.٣ وفي الصحيح: "إن أكبر الكبائر الشرك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور.. " الحديث.." (١)

"رزقناهم ينفقون (٣٥) والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧)شرح الكلمات:منسكا: أي ذبائح من بهيمة الأنعام يتقربون بها إلى الله تعالى، ومكان الذبح يقال له منسك.فله أسلموا: أي انقادوا ظاهرا وباطنا لأمره ونهيه.وبشر المخبتين: أي المطيعين المتواضعين الخاشعين.وجلت قلوبهم: أي خافت من الله تعالى أن تكون قصرت في طاعته.والبدن: جمع بدنة وهى ما يساق للحرم من إبل وبقر ليذبح تقربا إلى الله تعالى.م ن شعائر الله: أي من أعلام دينه، ومظاهر عبادته.صوآف: جمع صافة وهي القائمة على ثلاث معقولة اليد اليسرى.فإذا وجبت جنوبها: أي بعد أن تسقط على جنوبها على الأرض لا روح فيها.القانع والمعتر: القانع١ السائل والمعتر الذي يتعرض للرجل ولا يسأله حياء وعفة.______________١ القانع: من الأضداد يطلق على ذي القناعة وعلى من لا قناعة له فهو يسأل، إلا أن الفعل الماضي لذي القناعة مكسور العين فعل كعلم، وفعل: من لا قناعة له فهو يسأل فعل: بفتح العين كنصح ينصح.." (٢)

"كذلك سخرناها: أي مثل هذا. التسخير سخرناها لكم لتركبوا عليها وتحملوا وتحلبوا.لعلكم تشكرون: أي لأجل أن تشكروا الله تعالى بحمده وطاعته.لن ينال الله لحومها: أي لا يرفع إلى الله لحم ولا دم، ولكن تقواه بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه.لتكبروا الله على ما هداكم: أي تقولون الله أكبر بعد الصلوات الخمس أيام التشريق شركا له على هدايته إياكم.وبشر المحسنين: أي الذين يريدون بالعبادة وجه الله تعالى وحده ويؤدونها على الوجه المشروع.معنى الآيات:ما زال السياق في توجيه المؤمنين وإرشادهم إلى ما يكملهم ويسعدهم في الدارين فقوله تعالى: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا﴾ أي ولكل أمة من الأمم السابقة من أهل الإيمان والإسلام جعلنا لهم مكان نسك يتعبدوننا فيه ومنسكا١ أي ذبح قربان ليتقربوا به إلينا، وقوله: ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ أي شرعنا لهم عبادة ذبح القربان لحكمة: وهو أن يذكروا اسمنا على ذبح ما يذبحون ونحر ما ينحرون بأن يقولوا بسم الله والله أكبر. وقوله تعالى: ﴿فإلهكم إله واحد﴾ أي فمعبودكم أيها الناس معبود واحد ﴿فله أسلموا﴾ وجوهكم وخصوه بعبادتكم ثم قال لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ﴿وبشر المخبتين﴾ برضواننا ودخول دار كرامتنا ووصف المخبتين معرفا بهم الذين تنالهم البشرى على لسان رسول الله فقال ﴿الذين إذا ذكر الله﴾ لهم أو بينهم ﴿وجلت قلوبهم﴾ أي خافت شعورا بالتقصير في طاعته وعدم أداء شكره والغفلة عن ذكره ﴿والصابرين على ما أصابهم﴾ من البلاء فلا يجزعون ولا يتسخطون ولكن يقولون إنا لله وإنا إليه راجعون،______________١ يقال: نسك ينسك نسكا: إذا ذبح ذبح تقرب لله تعالى، والذبيحة تسمى نسيكة

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري أبو بكر الجزائري ٤٧٣/٣

(٢) أيسر التفاسير للجزائري أبو بكر الجزائري ٤٧٤/٣

وجمعها: نسك، ومنها قوله تعالى: ﴿أو صدقة أو نسك﴾ والنسك: الطاعة لله، وهي عبادته، ومن ذلك قولهم: تنسك فلان: أي تعبد فهو ناسك ومتنسك، والمنسك بفتح السين وكسرها موضع العبادة، ومنه مناسك الحج وهي الأماكن التي تؤدى فيها الشعائر كعرفات ومزدلفة ومنى ومكة.." (١)

"﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)﴾المفردات:﴿ولكل أمة﴾ الأمة: هي الجماعة على مذهب واحد. ﴿جعلنا منسكا﴾ المنسك: بفتح السين وكسرها. موضع الذبح أو الذبح وإراقة الدم، والنسيكة: الذبيحة، وجمعها نسك بضمتين والفعل من باب نصر. ﴿فله أسلموا﴾: أي استسلموا وانقادوا. ﴿وبشر المخبتين﴾: وهم الذين خضعوا لله وخشعت قلوبهم، يقال: أخبت الرجل إخباتا فهو مخبت أي: هو خاضع خاشع. ﴿وجلت قلوبهم﴾: خافت وخشيت. ﴿والصابرين على ما أصابهم﴾: هم الذين يحبسون الجزع إذا نزلت بهم نازلة، وفعله من باب: ضرب.التفسير٣٤ - ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام .. ﴾ الآية.أي: ولكل أهل دين من الأديان السماوية السابقة، أو ولكل جماعة مؤمنة، جعلنا لهم مكانا للذبح وإراقة الدماء، تيسيرا لهم، وتمكينا لمن يريد التقرب إليه تعالى بإطعام عباده في مناسكهم، وفسر مجاهد المنسك: بالذبح على أنه مصدر ميمى، يريد أنه تعالى شرع لكل أهل دين أن يذبحوا تقربا إلى الله تعالى، لا لبعضهم دون بعض، واختاره الزمخشرى.." (٢)

"وقال الفراء: المنسك في كلام العرب: الموضع المعتاد في خير وبر، وفسره هنا: بالعيد، وقال ابن عرفة في قوله: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا﴾ أي: مذهبا من طاعة الله تعالى، يقال: نسك نسك قومه، إذا سلك مذهبهم.﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾: أي ليذكروا اسم الله وحده دون غيره عند ذبحها تعظيما له وشكرا على ما أنعم عليهم من بهائم الأنعام: الإبل، والبقر، والغنم. وفي ذلك إشارة إلى أن القرابين لا تكون إلا منها ﴿فإلهكم إله واحد﴾: أي: فإلهكم أيها المخاطبون إله واحد لأن شريعتكم وشرائع الأنبياء السابقين وإن تنوعت ونسخ بعضها بعضا، كلها قائمة على التوحيد والدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له ﴿فله أسلموا﴾: أي فإذا كان إلهكم واحدا منزها عن الشريك، فاستسلموا له وانقادوا لأمره. وأخلصوا له القول والعمل، واجعلوهما لوجهه ولا تشوبوهما بشرك ﴿وبشر المخبتين﴾: أي وبشر أيها النبي أولئك المخلصين المتواضعين - بشرهم - بالجنة والثواب العظيم، قال عمرو بن أوس: (المخبتون الذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لم ينتصروا) أي، لم ينتقموا: من الانتصار بمعنى الانتقام أي: عفوا عن ظالميهم.٣٥ - ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم ... ﴾ الآية.تعدد الآية أوصاف المخبتين المبشرين بالجنة فتذكر أن من أجل صفاتهم أنهم إذا ذكر الله اضطربت قلوبهم خشية منه ورهبة، وذلك لقوة إيمانهم وعمق يقينهم.﴿والصابرين على ما أصابهم﴾: من كوارث الزمن بتحمل المتاعب وحبس الجزع بنفس راضية، وإيمان بقضاء الله

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري أبو بكر الجزائري ٤٧٥/٣

(٢) التفسير الوسيط - مجمع البحوث مجموعة من المؤلفين ١٢١٧/٦

وقدره.﴿والمقيمي الصلاة﴾: في أوقاتها وعلى أكمل صورها حسبما شرعها الله.﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾: أي ومن بعض ما آتيناهم من طيب الرزق ينفقون في أوجه البر والخير التي تعود على دينهم ومجتمعهم بالنفع والصلاح.." (١)

"﴿هو اجتباكم﴾: هو اصطفاكم لحمل خاتم الأديان ونشر رسالته، فأرسل إليكم أفضل الأنبياء، وأنزل إليكم أكرم الكتب السماوية؛ وأتم عليكم نعمته بالتأييد والنصر.﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾: ولم يكلفكم ما يشق عليكم ويسبب لكم الضيق والحرج، فإنه سبحانه لا يكلف نفسا إلا وسعها، وهو تبارك وتعالى ييسر الأمور:﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ (رحمه الله١).ومن لطفه وتيسيره: أنه أباح لنا قصر الصلاة والإفطار في السفر الطويل، وأباح لنا التيمم عند فقد الماء أو تعذر استعماله، والقعود في الصلاة عند تعذر القيام فيها.﴿ملة أبيكم إبراهيم﴾: فالزموا الإسلام الذي هو ملة أبيكم إبراهيم، فهو الذي بنى لكم البيت ودعاكم إلى حجه والصلاة إليه. بتكليف من الله - سبحانه وتعالى - ودعا الله أن يمكنه وذريته من إقامة الصلاة بقوله: ﴿رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي﴾ (رحمه الله٢).﴿هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا﴾:هو الله - سبحانه - الذي سماكم بهذا الاسم وارتضى لكم الإسلام دينا من قديم، وأمركم به في هذا القرآن الكريم حيث قال فيه: ﴿فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين﴾ (رحمه الله٣) ﴿ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس﴾:ولما كان القرآن الكريم هو آخر الكتب السماوية، وقد أبلغه الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن الله إلى أمته بما يحويه من أوامر ونواه، وبما فيه من قصص الرسل والأنبياء السابقين فلهذا يشهد الرسول بأنه بلغ رسالة الإسلام إلى أمته، ويشهد المسلمون منهم على الأمم السابقة بما قصه عليهم القرآن من تبليغ رسلهم شرائع الله إلى أممهم.﴿فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾: أي؛ وإذا كان الله تعالى منحكم هذا الشرف العظيم، حيث جعلكم شهداء على الناس، فتقربوا إليه - سبحانه - بأنواع الطاعات، وأخصها إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.رحمه الله_____________(رحمه الله١) سورة البقرة، من الآية: ١٨٥(رحمه الله٢) سورة إبراهيم، من الآية: ٤٠(رحمه الله٣) سورة الحج، من الآية:." (٢)

"١١ - قال البخاري ج٦ص٩٧: قوله تعالى: ﴿فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤]وقال ابن عيينة: ﴿المخبتين﴾: «المطمئنين»." (٣)

"﴿فإلهكم إله واحد ، فله أسلموا ، وبشر المخبتين﴾ (رحمه الله١)قال البخاري ج٦ص٩٧: قال ابن عيينة ﴿المخبتين﴾: المطمئنين.رحمه الله_____________(رحمه الله١) [الحج: ٣٤]." (٤)

---

(١) التفسير الوسيط - مجمع البحوث مجموعة من المؤلفين ١٢١٨/٦

(٢) التفسير الوسيط - مجمع البحوث مجموعة من المؤلفين ١٢٦١/٦

(٣) المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة صهيب عبد الجبار ٧٥/٨

(٤) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ٢٣٣/٢٠

"﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾الفصل السابع من كتاب العبادات: ﴿الحج﴾مشروعية الحجقال تعالى: ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا ، وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود ، وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا ، وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ، فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ، ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ، ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه ، وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم ، فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور ، حنفاء لله غير مشركين به ، ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء ، فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ، ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ، لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ، ثم محلها إلى البيت العتيق ، ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ، فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين﴾ (رحمه الله١)رحمه الله____________(رحمه الله١) [الحج: ٢٦ - ٣٤]." (١)

"مسمى﴾ أي لكم في الهدايا منافع كثيرة من الدر والنسل والركوب إلى وقت نحرها ﴿ثم محلهآ إلى البيت العتيق﴾ أي ثم مكان ذبحها في الحرم بمكة أو منى، وخص البيت بالذكر لأنه أشرف الحرم كقوله تعالى ﴿هديا بالغ الكعبة﴾ [المائدة: ٩٥] ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا﴾ أي شرعنا لكل أمة من الأمم السابقة من عهد إبراهيم مكانا للذبح تقربا لله قال ابن كثير: يخبر تعالى أنه لم يزل ذبح المناسك وإراقة الدماء على اسم الله مشروعتا في جميع الملل ﴿ليذكروا اسم الله﴾ أي أمرناهم عند الذبح أو يذكروا اسم الله وأن يذبحوا لوجهه تعالى ﴿على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ أي شكرا لله على ما أنعم به عليهم من بهيمة الأنعام من الإبل والبقر والغنم، بين تعالى انه يجب أن يكون الذبح لوجهه تعالى وعلى اسمه لأنه هو الخالق الرازق لا كما كان المشركون يذبحون للأوثان ﴿فإلهكم إله واحد﴾ أي فربكم أيها الناس ومعبودكم إله واحد لا شريك له ﴿فله أسلموا﴾ أي فأخلصوا له العبدة واستسلموا لحكه وطاعته ﴿وبشر المخبتين﴾ أي بشر المطيعين المتواضعين الخاشعين بجنات النعيم، ثم وصف تعالى المخبتين بأربع صفات فقال ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ أي إذا ذكر الله خافت وارتعشت لذكره قلوبهم لإشراق أشعة جلاله عليها فكأنهم بين يديه واقفون، ولجلاله وعظمته مشاهدون ﴿والصابرين على مآ أصابهم﴾ أي يصبرون في السراء والضراء على الأمراض ولمصائب والمحن وسائر المكاره ﴿والمقيمي الصلاة﴾ أي الذين يؤدونها في أوقاتها مستقيمة كاملة مع الخشوع والخضوع ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ أي ومن بعض الذي رزقناهم من فضلنا تينفقون في وجوه الخيرات ﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر الله﴾ أي والإبل السمينة - سميت بدنا لبدانتها وضخامة أج سامها - جعلناها من أعلام الشريعة التي شرعها الله لعباده قال ابن كثير: وكونها من شعائر الدين انها تهدى إلى بيته الحرام بل هي أفضل ما يهدى ﴿لكم فيها خير﴾ قال ابن عباس: نفع في الدنيا وأجر في الآخرة ﴿فاذكروا اسم الله عليها صوآف﴾ أي اذكروا عند ذبحها اسم الله الجليل عليها حال كونها صواف أي قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهم ﴿فإذا وجبت جنوبها﴾ أي فإذا سقطت على الأرض بعد نحرها، وهو كناية عن الموت ﴿فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر﴾ أي كلوا من هذه الهدايا وأطعموا القانع أي المتعفف والمعتر أي السائل قاله ابن عباس، وقال

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ٢٦٨/٣٠

الرازي: الأقرب أن القانع هو الراضي بما يدفع إليه من غير سؤال وإلحاح، ولمعتر هو الذي يتعرض ويطلب ويعتريهم حالا بعد حال ﴿كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون﴾ أي مثل ذلك التسخير البديع جعلناها منقادة لكم مع ضخامة اجسامها لكي تشكروا الله على إنعامه ﴿لن ينال الله لحومها ولا دمآؤها﴾ أي لن يصل إليه تعالى شيء من لحومها ولا دمائها ﴿ولكن يناله التقوى منكم﴾ أي ولكن يصل إلأيه التقوى منكم بامتثالكم أوامره وطلبكم رضوانه ﴿كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم﴾ أي كرره للتأكيد أي كذلك ذللها لكم وجعلها منقادة لرغبتكم لتكبروا الله على ما أرشدكم إليه من أحكام دينه ﴿وبشر المحسنين﴾ أي بشر المحسنين في أعمالهم بالسعادة والفوز بدار النعيم.." (١)

"﴿فتخطفه الطير﴾ [الحج: ٣١] أي: تستلبه الطير وتذهب به، والخطف والاختطاف تناول الشيء بسرعة، وقرأ أهل المدينة فتخطفه بفتح الخاء وتشديد الطاء، أي يتخطفه، ﴿أو تهوي به الريح﴾ [الحج: ٣١] أي: تميل وتذهب به، ﴿في مكان سحيق﴾ [الحج: ٣١] أي: بعيد معناه أن بعد من أشرك بالحق كبعد من سقط من السماء فذهبت به الطير، أو هوت به الريح، فلا يصل بحال. وقيل: شبه حال المشرك بحال الهاوي من السماء في أنه لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع بحيث تسقطه الريح، فهو هالك لا محالة إما باستلاب الطير لحمه وإما بسقوطه إلى المكان السحيق، وقال الحسن: شبه أعمال الكفار بهذه الحال في أنها تذهب وتبطل فلا يقدرون على شيء منها.[٣٢] ﴿ذلك﴾ [الحج: ٣٢] يعني: الذي ذكرت من اجتناب الرجس وقول الزور، ﴿ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾ [الحج: ٣٢] قال ابن عباس: شعائر الله البدن والهدي وأصلها من الإشعار وهو إعلامها ليعلم أنها هدي وتعظيمها استسمانها واستحسانها، وقيل: شعائر الله أعلام دينه فإنها من تقوى القلوب، أي: فإن تعظيمها من تقوى القلوب.[٣٣] ﴿لكم فيها﴾ [الحج: ٣٣] أي: في البدن قبل تسميتها للهدى، ﴿منافع﴾ [الحج: ٣٣] في درها ونسلها وأصوافها وأوبارها وركوب ظهورها، ﴿إلى أجل مسمى﴾ [الحج: ٣٣] وهو أن يسميها ويوجبها هديا فإذا فعل ذلك لم يكن له شيء من منافعها، هذا قول مجاهد، وقول قتادة والضحاك، ورواه مقسم عن ابن عباس. وقيل: معناه لكم في الهدايا منافع بعد إيجابها وتسميتها هديا بأن تركبوها وتشربوا ألبانها عند الحاجة إلى أجل مسمى، يعني إلى أن تنحروها وهو قول عطاء ابن أبي رباح. وقال بعضهم: أراد بالشعائر المناسك ومشاهدة مكة، لكم فيها منافع بالتجارة والأسواق إلى أجل مسمى وهو الخروج من مكة. وقيل. لكم فيها منافع بالأجر والثواب في قضاء المناسك إلى أجل مسمى، أي: إلى انقضاء أيام الحج، ﴿ثم محلها﴾ [الحج: ٣٣] أي: منحرها، ﴿إلى البيت العتيق﴾ [الحج: ٣٣] أي: منحرها عند البيت العتيق، يريد أرض الحرم كلها، كما قال: ﴿فلا يقربوا المسجد الحرام﴾ [التوبة: ٢٨] أي: الحرم كله. وروي عن جابر في قصة حجة الوداع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «نحرت ههنا ومنى كلها منحر فانحروا في رحالكم» (رَحِمَهُ اللَّهُ١) . ومن قال: الشعائر المناسك قال معنى قوله ﴿ثم محلها إلى البيت العتيق﴾ [الحج: ٣٣] أي: محل الناس من إحرامهم إلى البيت العتيق، أي: أن يطوفوا به طواف الزيارة يوم النحر.[٣٤] قال الله تعالى: ﴿ولكل أمة﴾ [الحج: ٣٤] يعني جماعة مؤمنة سلفت قبلكم، ﴿جعلنا منسكا﴾ [الحج: ٣٤] قرأ حمزة والكسائي بكسر السين ههنا وفي آخر السورة، على معنى الاسم مثل

---

(١) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ٢/٢٦٥

المسجد والمطلع، يعني مذبحا وهو موضع القربان، وقرأ الآخرون بفتح السين على المصدر، مثل المدخل والمخرج يعني إراقة الدماء وذبح القرابين، ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ [الحج: ٣٤] عند نحرها وذبحها وسماها بهيمة لأنها لا تتكلم، وقال: ﴿بهيمة الأنعام﴾ [الحج: ٣٤] وقيدها بالنعم لأن من البهائم ما ليس من الأنعام كالخيل والبغال والحمير، لا يجوز ذبحها في القرابين. ﴿فإلهكم إله واحد﴾ [الحج: ٣٤] أي: سموا على الذبائح اسم الله وحده فإن إلهكم إله واحد، ﴿فله أسلموا﴾ [الحج: ٣٤] انقادوا وأطيعوا، ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] قال ابن عباس وقتادة: المتواضعين. وقال مجاهد: المطمئنين إلى الله عز وجل، والخبت المكان المطمئن من الأرض. وقال الأخفش: الخاشعين. وقال النخعي: المخلصين. وقال الكلبي: هم الرقيقة قلوبهم. وقال عمر بن أوس: هم الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا. رحمه الله______________(رحمه الله١) أخرجه مسلم في الحج رقم (١٢١٨) ٢ / ٨٩٣ والمصنف في شرح السنة ٧ / ١٥٠.." (١)

"- ٣٤ - ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين- ٣٥ - الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على مآ أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقونيخبر تعالى أنه لم يزل ذبح المناسك وإراقة الدماء على اسم الله مشروعا في جميع الملل، قال ابن عباس ﴿منسكا﴾: عيدا، وقال عكرمة: ذبحا، وقال زيد بن أسلم في قوله: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا﴾: إنها مكة لم يجعل الله لأمة منسكا غيرها، وقوله: ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ كما ثبت في الصحيحين عن أنس قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين أقرنين فسمى وكبر ووضع رجله على صفاحهما، وقال الإمام أحمد بن حنبل عن زيد بن أرقم قال، قلت أو قالوا: يا رسول الله ما هذه الأضاحي؟ قال: «سنة أبيكم إبراهيم»، قالوا: ما لنا منها؟ قال: «بكل شعرة حسنة»، قالوا: فالصوف؟ قال: «بكل شعرة من الصوف حسنة» (أخرجه الإمام أحمد في المسند)، وقوله: ﴿فإلهكم إله واحد فله أسلموا﴾ أي معبودكم واحد وإن تنوعت شرائع الأنبياء ونسخ بعضها بعضا، فالجميع يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ﴿ومآ أرسلنا منقبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾، ولهذا قال: ﴿فله أسلموا﴾ أي أخلصوا واستسلموا لحكمه وطاعته، ﴿وبشر المخبتين﴾ قال مجاهد: المطمئنين، وقال الضحاك: المتواضعين، وقال السدي: الوجلين، وقال الثوري: المطمئنين الراضين بقضاء الله المستسلمين له، وأحسن ما يفسر بما بعده وهو قوله: ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ أي خافت منه قلوبهم، ﴿والصابرين على مآ أصابهم﴾ أي من المصائب، قال الحسن البصري: والله لنصبرن أو لنهلكن، ﴿والمقيمي الصلاة﴾ أي المؤدين حق الله فيما أوجب عليهم من أداء فرائضه، ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ أي وينفقون مآ آتاهم الله من طيب الرزق على أهليهم وأقاربهم وفقرائهم ومحاويجهم، ويحسنون إلى الخلق مع محافظتهم على حدود الله.." (٢)

---

(١) مختصر تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل عبد الله الزيد ٦٢٠/٥

(٢) مختصر تفسير ابن كثير محمد علي الصابوني ٥٤٣/٢

"[١٨٠٧] وقد روى ابن أبي شيبة من وجه آخر عن ابن عباس "أن المعلومات يوم النحر وثلاثة أيام بعده" ١.قوله تعالى: ﴿وبشر المخبتين﴾ الآية: ٣٤[١٨٠٨] أسند ابن عيينة في تفسيره عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿المخبتين﴾ المطمئنين، وكذا هو عند ابن المنذر من هذا الوجه ٢.[١٨٠٩] ومن وجه آخر عن مجاهد قال: المصلين ٣.[١٨١٠] ومن طريق الضحاك قال: المتواضعين ٤.قوله تعالى: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا﴾ الآية: ٣٩[١٨١١] وأخرج هو والترمذي وصححه الحاكم من طريق سعيد بن جبير______________١ فتح الباري ٤٥٨,٢/٢ فتح الباري ٤٣٨/٨ .أخرجه ابن جرير ١٦١/١٧ من طريق سفيان وغيره، عن ابن أبي نجيح، به. وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤٨/٦ ونسبه إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.قال ابن حجر: المخبت من الإخبات؛ وأصله الخبت بفتح أوله وهو المطمئن من الأرض.٣ فتح الباري ٤٣٨/٨ .لم أقف على من ذكره غير ابن حجر.٤ فتح الباري ٤٣٨/٨ .ذكره ابن كثير في تفسيره ٤٢١/٥ عن الضحاك تعليقا. وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤٩/٦ وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم. وورد مثله عن قتادة، فيما أخرجه عبد الرزاق ٣٨/٢ عن معمر، عنه، وعن مجاهد من طريق الثوري، عن ابن أبي نجيح عنه.." (١)

"قوله تعالى: ﴿إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور﴾ [(٣٨) سورة الحج]. . . . . جاء قوله حسب ما تقدم في الآية التي قبلها ﴿وبشر المحسنين﴾ [(٣٧) سورة الحج].طالب:. . . . .﴿وبشر المخبتين﴾ [(٣٤) سورة الحج] الذين هم المحسنين، الذين سيأتي ذكرهم، يفسرهم بالأمرين أو بالوصفين؛ لأنهم اتصفوا بالإخبات وبالإحسان.روي أنها نزلت بسبب المؤمنين لما كثروا بمكة وآذاهم الكفار وهاجر من هاجر إلى أرض الحبشة، أراد بعض مؤمني مكة أن يقتل من أمكنه من الكفار ويغتال ويغدر ويحتال، فنزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿كفور﴾ فوعد فيها سبحانه بالمدافعة، ونهى أفصح نهي عن الخيانة والغدر، وقد مضى في (الأنفال) التشديد في الغدر وأنه: ((ينصب للغادر لواء عند استه بقدر غدرته يقال: هذه غدرة فلان)) وقيل: المعنى يدفع عن المؤمنين بأن يديم توفيقهم حتى يتمكن الإيمان من قلوبهم فلا تقدر الكفار على إمالتهم عن دينهم، وإن جرى إكراه فيعصمهم حتى لا يرتدوا بقلوبهم، وقيل: يدفع عن المؤمنين بإعلائهم بالحجة، ثم قتل كافر مؤمنا نادر، وإن فيدفع الله عن ذلك المؤمن بأن قبضه إلى رحمته، وقرأ نافع: (يدافع) ولولا دفاع، وقرأ أبو عمرو وابن كثير: يدفع ﴿ولولا دفع﴾ [(٤٠) سورة الحج] وقرأ عاصم وحمزة والكسائي: يدافع ﴿ولولا دفع الله﴾ [(٤٠) سورة الحج] ويدافع بمعنى يدفع مثل عاقبت اللص وعافاه الله، والمصدر دفعا.الأصل في هذا المبنى المفاعلة والمدافعة والمعاقبة تكون بين طرفين، الأصل في هذا البناء أن يكون بين طرفين، كالمبارزة والمخاصمة بين طرفين، لكن في مثل هذا يدافع فهو مدافعة، والمدافعة من طرف من واحد لا إشكال، كالمسافرة إذا سافر فلان تكون بين طرفين، إذا قيل: عاقب فلان اللص معاقبة، تكون هذه المعاقبة بين طرفين، من طرف واحد، فالأصل في هذا الوزن أن يكون بين طرفين، وخرج عنه ما خرج من الأزمنة.." (٢)

---

(١) الروايات التفسيرية في فتح الباري عبد المجيد الشيخ عبد الباري ٨١١/٢

(٢) التعليق على تفسير القرطبي - عبد الكريم الخضير عبد الكريم الخضير ١٤/١

"قوله تعالى (ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين)قال البخاري: حدثنا آدم بن أبي إياس: حدثنا شعبة: حدثنا قتادة، عن أنس قال: ضحى النبي – صلى الله عليه وسلم – بكبشين أملحين، فرأيته واضعا قدمه على صفاحهما يسمي ويكبر، فذبحهما بيده.(الصحيح ١٠/٢٠ ح ٥٥٥٨ – ك الأضاحي، ب من ذبح الأضاحي بيده) .أخرج الطبري بسنده الصحيح عن مجاهد (ولكل أمة جعلنا منسكا) قال: إهراق الدماء (ليذكروا اسم الله على ما رزقهم) .أخرج آدم بن أبي إياس بسنده الصحيح عن مجاهد، قوله (وبشر المخبتين) قال: المطمئنين.أخرج عبد الرزاق بسنده الصحيح عن قتادة، في قوله (وبشر المخبتين) قال: المتواضعين.وانظر الآية التالية لمعرفة صفات المخبتين.قوله تعالى (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون)في هذه الآية بيان صفات المخبتين، وانظر سورة الأنفال الآية (٢-٤) .قوله تعالى (والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون)قال البخاري: حدثنا عبد الله بن مسلمة، حدثنا يزيد بن زريع، عن يونس، عن زياد بن جبير قال: رأيت ابن عمر رضي الله عنهما أتى على رجل قد أناخ بدنته ينحرها، قال: ابعثها قياما مقيدة سنة محمد – صلى الله عليه وسلم –.(الصحيح ٣/٦٤٦ ح ١٧١٣ – ك الحج– ب من نحر الإبل مقيدة) ، وأخرجه مسلم (الصحيح – ك الحج، ب نحر البدن قياما مقيدة ح ١٣٢٠) .." (١)

"[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٤ الى ٣٥]ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)«١» «٢» »[الحج: ٢٢/ ٣٤- ٣٥] .المعنى: جعلنا لأهل كل دين سابق منسكا، أي موضع نسك وعبادة، يذبحون فيه الأنعام، تقربا إلى الله تعالى، وذلك ليس خاصا بأمة محمد صلى الله عليه وسلم، وإنما هو في كل الملل.وقد شرع الله وحدد أماكن الذبح: ذبح الأنعام، لكي يذكروا اسم الله حين ذبحها، أي حين الشروع في الذبح أمرناهم بذكر الله، وأن يكون الذبح له، لأنه هو الرزاق، ويشكروا الله على نعمه التي أنعم بها عليهم، وتلك هي السنة في إراقة دم الذبائح.وينبغي أن يتجه الذابح إلى الله الذي سخر للإنسان هذه المواشي، والله المقصود هو المعبود الواحد، وإن تنوعت الشرائع، فالجميع يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وهذه هي العلة في تخصيص الذبح باسم الله، وإفراده بالذكر، لأن تفرد الله بالألوهية يقتضي ألا يذكر على الذبائح غير اسمه تعالى. ومتى كان الإله واحدا، فله أسلموا، أي استسلموا وانقادوا لأمره وجميع أحكامه، وبشر أيها النبي بشارة على الإطلاق المخبتين، أي المتواضعين الخاشعين من المؤمنين برضوان الله، إذا اتصفوا بالصفات الأربع الآتية:أولا- الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم أي إن الخوف والخشوع يهيمن على قلوبهم ومشاعرهم عند ذكر الله، لما يتصف به من العظمة والجلال.____________(١) مكانا للنسك والعبادة وذبح القرابين.(٢) المتواضعين لله تعالى.(٣) خافت هيبة.." (٢)

---

(١) الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور حكمت بشير ياسين ٣/٤١٦

(٢) التفسير الوسيط للزحيلي وهبة الزحيلي ٢/١٦٤٥

"المهديين الراشدين بالبشارة الكريمة بقوله: وبشر المحسنين أي وبشر أيها النبي بالجنة والرضوان أهل الإحسان في العمل، القائمين بحدود الله، المتبعين ما شرع الله، الطائعين أوامر الله، المصدقين رسول الله فيما بلغهم، وحذرهم وأنذرهم، وكل ما جاءهم به من عند الله عز وجل. روي أن قوله تعالى: وبشر المحسنين والآية التي قبلها: وبشر المخبتين (٣٤) نزلت في الخلفاء الراشدين الأربعة رضي الله تعالى عنهم، لكن ظاهر اللفظة يقتضي العموم في كل محسن، متواضع خاشع لله رب العالمين. الإذن بالقتال ضد الأعداء إن المنهج الرباني في علاج الأمور الشاذة والانحرافات الخطيرة قائم على غاية الحكمة والاعتدال، والتأني والإمهال، فلم يعجل الله البدء بقتال المشركين أنصار الوثنية والضلال، وإنما صبر عليهم مدى خمسة عشر عاما، ليكون للعقل والفكر وإعمال الرأي والقناعة الدور المهم في القضايا، ولتبدأ الأمة الإسلامية قوية ناشطة، معذورة في كل ما تؤديه من واجبات، لأن لغة السيف وقعقعة السلاح إنما تكون حين استفحال العدوان، واليأس من الصلاح والاستقامة، وهذا المنهج هو الذي نجده في ساحة التشريع الإلهي بالإذن بمشروعية القتال، بعد طول الصبر والمصابرة، والدفع بالحكمة والحسنى، فقال الله تعالى: [سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٨ الى ٤١] إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور (٣٨) أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير (٣٩) الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز (٤٠) الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور (٤١) «١» ________________ (١) خائن للأمانة.." (١)

"أنا عبد الرحمن، قال: نا إبراهيم، قال: نا آدم، قال: نا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] قال: «المطمئنين»." (٢)

"[سورة الحج (٢٢) : الآيات ١ الى ٧٨]بسم الله الرحمن الرحيميا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم (١) يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد (٢) ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد (٣) كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير (٤)يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج (٥) ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحي الموتى وأنه على كل شيء قدير (٦) وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور (٧) ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير (٨) ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق (٩)ذلك بما قدمت يداك

---

(١) التفسير الوسيط للزحيلي وهبة الزحيلي ١٦٤٩/٢

(٢) تفسير مجاهد مجاهد بن جبر ص/٤٨١

وأن الله ليس بظلام للعبيد (١٠) ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين (١١) يدعوا من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد (١٢) يدعوا لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير (١٣) إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار إن الله يفعل ما يريد (١٤)من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ (١٥) وكذلك أنزلناه آيات بينات وأن الله يهدي من يريد (١٦) إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد (١٧) ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء (١٨) هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤسهم الحميم
(١٩)يصهر به ما في بطونهم والجلود (٢٠) ولهم مقامع من حديد (٢١) كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق (٢٢) إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير (٢٣) وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد (٢٤)إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم (٢٥) وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود (٢٦) وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق (٢٧) ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير (٢٨) ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق (٢٩)ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور (٣٠) حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق (٣١) ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب
(٣٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤)الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧) إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور (٣٨) أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير (٣٩)الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز (٤٠) الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور (٤١) وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود (٤٢) وقوم إبراهيم وقوم لوط (٤٣) وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم

فكيف كان نكير (٤٤)فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد (٤٥)
أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي
في الصدور (٤٦) ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون (٤٧) وكأين
من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإلي المصير (٤٨) قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين (٤٩)فالذين آمنوا
وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم (٥٠) والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم (٥١) وما أرسلنا
من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم
حكيم (٥٢) ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد (٥٣)
وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم
(٥٤)ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم (٥٥) الملك يومئذ لله يحكم
بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم (٥٦) والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين (٥٧)
والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين (٥٨) ليدخلنهم مدخلا
يرضونه وإن الله لعليم حليم (٥٩)ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله إن الله لعفو غفور (٦٠)
ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع بصير (٦١) ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون
من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير (٦٢) ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله
لطيف خبير (٦٣) له ما في السماوات وما في الأرض وإن الله لهو الغني الحميد (٦٤)ألم تر أن الله سخر لكم ما في
الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤف رحيم (٦٥) وهو
الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم إن الإنسان لكفور (٦٦) لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك في الأمر
وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم (٦٧) وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون (٦٨) الله يحكم بينكم يوم القيامة
فيما كنتم فيه تختلفون (٦٩)ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير (٧٠)
ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير (٧١) وإذا تتلى عليهم آياتنا
بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار
وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير (٧٢) يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا
ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب (٧٣) ما قدروا الله حق قدره
إن الله لقوي عزيز (٧٤)الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير (٧٥) يعلم ما بين أيديهم وما
خلفهم وإلى الله ترجع الأمور (٧٦) يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون (٧٧)
وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من

قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير (٧٨)." (١)

"شاء ذبح الغنم أو البقر ثم تصدق به كله، وإن شاء أكل وأمسك منه، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون شيئا من البدن، فأنزل الله- عز وجل- «فكلوا منها وأطعموا» فليس الأكل بواجب ولكنه رخصة، كقوله- سبحانه- « ... وإذا حللتم فاصطادوا «١» ... » وليس الصيد بواجب ولكنه رخصة ولكل أمة يعني لكل قوم من المؤمنين فيما خلا، كقوله- سبحانه-:« ... أن تكون أمة هي أربى من أمة «٢» ... » أن يكون قوم أكثر من قوم، ثم قال:جعلنا منسكا يعني ذبحا يعني هراقة الدماء ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام وإنما خص الأنعام من البهائم لأن من البهائم ما ليس من الأنعام، وإنما سميت البهائم لأنها لا تتكلم فإلهكم إله واحد ليس له شريك يقول فربكم رب واحد فله أسلموا وبشر المخبتين- ٣٤- يعني المخلصين بالجنة، ثم نعتهم فقال: الذين إذا ذكر الله وجلت يعني خافت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم من أمر الله والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون- ٣٥- من الأموال. قوله- عز وجل- والبدن جعلناها لكم من شعائر الله يعني من أمر المناسك لكم فيها خير يقول لكم في نحرها أجر في الآخرة ومنفعة في الدنيا، وإنما سميت البدن لأنها تقلد وتشعر وتساق إلى مكة «والهدى الذي ينحر بمكة ولم يقلد ولم يشعر والجزور البعير الذي ليس ببدنة ولا بهدى «٣» » .______________(١) سورة المائدة: ٢.(٢) سورة النحل: ٩٢.(٣) ما بين القوسين « ... » : من أوليس فى ر.." (٢)

"٦٨٢: ٢٢: ١٧ سفيان عن سعيد بن مسروق عن عكرمة أمة جعلنا منسكا هذه قال ذبايح هم ذابحوها سنة (الآية ٣٤) .٦٨٣: ٣٣: ٢٥ سفيان عن بن أبي نجيح عن مجاهد وبشر المخبتين قال المطمينين عمرو (الآية ٣٤) .٦٨٤: ٢٤: ١٠ سفيان عن منصور عن إبراهيم فيها خير قال هي البدنة إن احتاج إليها ركب وإن احتاج إلى لبنها شرب (الآية ٣٦) .٦٨٥: ٢٥: ١١ سفيان عن الأعمش عن أبي ظبيان قال سأل رجل عن بن عباس اسم الله عليها صواف قال قياما معقولة فقيل له ما يقولون عند النحر قال يقولون أكبر لا إله إلا الله اللهم منك ولك (الآية ٣٦) .." (٣)

"١٧٦ – أخبركم أبو عمر بن حيويه، وأبو بكر الوراق قالا: أخبرنا يحيى قال: حدثنا الحسين قال: أخبرنا ابن المبارك قال: أخبرنا ابن عون، عن مسلم أبي عبد الله، قال كان عبد الله بن مسعود إذا رأى الربيع بن خثيم قال: «وبشر المخبتين»." (٤)

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان مقاتل ١٠١/٣

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان مقاتل ١٢٧/٣

(٣) تفسير سفيان الثوري سفيان الثوري ص/٢١٣

(٤) الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد ابن المبارك ٥٧/١

"قوله: ﴿فإلهكم إله واحد فله أسلموا﴾ [الحج: ٣٤] يقوله للمشركين.قوله: ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] يعني بالجنة.تفسير الحسن: أن المخبتين الخاشعين الخائفين.والخشوع المخافة الثابتة في القلب.وبعضكم يقول: ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] يعني المطمئنين بالإيمان.قال: ﴿فتخبت له قلوبهم﴾ [الحج: ٥٤] فتطمئن إليه قلوبهم.وقال: ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله﴾ [الرعد: ٢٨] قوله: ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ [الحج: ٣٥] يعني خافت قلوبهم.﴿والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة﴾ [الحج: ٣٥] المفروضة، الصلوات الخمس يحافظون على وضوئها، ومواقيتها، وركوعها، وسجودها.﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ [الحج: ٣٥] يعني الزكاة المفروضة.قوله: ﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير﴾ [الحج: ٣٦] يعني أجر في نحرها والصدقة منها تتقربون بها إلى الله.تفسير السدي: ﴿لكم فيها﴾ [الحج: ٣٦] يعني في البدن أجر.نا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم قال: ﴿لكم فيها خير﴾ [الحج: ٣٦] قال: البدنة.إن احتاج ركب وإن احتاج إلى اللبن شرب.." (١)

"١٩٣٠ - عبد الرزاق قال: أرنا معمر ، عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] ، قال: «هم المتواضعون»." (٢)

"١٩٣١ - الثوري ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] ، قال: «المخبتون المتواضعون»." (٣)

"حدثنا-[٢٢٠]-٣٥٤٩٢ - أبو أسامة، عن جويبر، عن الضحاك، في قوله: ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] قال: «المتواضعين»." (٤)

"حدثنا٣٥٥٥٠ - سعيد بن عبد الله بن الربيع بن خثيم، عن نسير بن ذعلوق، عن بكر بن ماعز، قال: كان عبد الله بن مسعود إذا رأى الربيع بن خثيم مقبلا قال: «بشر المخبتين، أما والله لو رآك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحبك»." (٥)

"الكعبة أعتقها من الجبابرة. فوجه هؤلاء تأويل ذلك إلى سمي منحر البدن والهدايا التي أوجبتموها إلى أرض الحرم، وقالوا: عنى بالبيت العتيق أرض الحرم كلها. وقالوا: وذلك قوله: (فلا يقربوا المسجد الحرام) والمراد: الحرم كله.وقال آخرون: معنى ذلك: ثم محلكم أيها الناس من مناسك حجكم إلى البيت العتيق أن تطوفوا به يوم النحر بعد قضائكم ما أوجبه الله عليكم في حجكم.*ذكر من قال ذلك: حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا داود بن

---

(١) تفسير يحيى بن سلام يحيى بن سلام ٣٧٥/١

(٢) تفسير عبد الرزاق عبد الرزاق الصنعاني ٤٠٦/٢

(٣) تفسير عبد الرزاق عبد الرزاق الصنعاني ٤٠٧/٢

(٤) مصنف ابن أبي شيبة أبو بكر بن أبي شيبة ٢١٩/٧

(٥) مصنف ابن أبي شيبة أبو بكر بن أبي شيبة ٢٢٧/٧

أبي هند، عن محمد بن أبي موسى: (ثم محلها إلى البيت العتيق) قال: محل هذه الشعائر كلها الطواف بالبيت.وقال آخرون: معنى ذلك: ثم محل منافع أيام الحج إلى البيت العتيق بانقضائها.*ذكر من قال ذلك:- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: (ثم محلها إلى البيت العتيق) حين تنقضي تلك الأيام، أيام الحج إلى البيت العتيق.وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ثم محل الشعائر التي لكم فيها منافع إلى أجل مسمى إلى البيت العتيق، فما كان من ذلك هديا أو بدنا فبموافاته الحرم في الحرم، وما كان من نسك فالطواف بالبيت.وقد بينا الصواب في ذلك من القول عندنا في معنى الشعائر.القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) ﴾يقول تعالى ذكره: (ولكل أمة) ولكل جماعة سلف فيكم من أهل الإيمان بالله أيها الناس، جعلنا ذبحا يهريقون دمه (ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من." (١)

"بهيمة الأنعام) بذلك لأن من البهائم ما ليس من الأنعام، كالخيل والبغال والحمير. وقيل: إنما قيل للبهائم بهائم لأنها لا تتكلم.وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله: (جعلنا منسكا) قال أهل التأويل.*ذكر من قال ذلك: حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال. حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: (ولكل أمة جعلنا منسكا) قال: إهراق الدماء (ليذكروا اسم الله عليها) .حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال. ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.وقوله: (فإلهكم إله واحد) يقول تعالى ذكره: فاجتنبوا الرجس من الأوثان، واجتنبوا قول الزور، فإلهكم إله واحد لا شريك له، فإياه فاعبدوا وله أخلصوا الألوهة. وقوله: (فله أسلموا) يقول: فلإلهكم فاخضعوا بالطاعة، وله فذلوا بالإقرار بالعبودية. وقوله: (وبشر المخبتين) يقول تعالى ذكره: وبشر يا محمد الخاضعين لله بالطاعة، المذعنين له بالعبودية، المنيبين إليه بالتوبة. وقد بينا معنى الإخبات بشواهده فيما مضى من كتابنا هذا.وقد اختلف أهل التأويل في المراد به في هذا الموضع، فقال بعضهم: أريد به: وبشر المطمئنين إلى الله.*ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: (وبشر المخبتين) قال: المطمئنين.حدثني أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: (وبشر المخبتين) المطمئنين إلى الله.حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى. وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: (وبشر المخبتين) قال: المطمئنين.حدثنا الحسن، قال: ثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: (وبشر المخبتين) قال: المتواضعين.." (٢)

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر الطبري، أبو جعفر ٥٢٧/١٨

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر الطبري، أبو جعفر ٦٢٨/١٨

"١٤٦٦ - أخبرني أحمد بن شعيب، قال أنبأ سويد بن نصر، قال حدثنا عبد الله بن المبارك، عن ابن عون، عن مسلم أبي عبد الله، قال: كان ابن مسعود إذا رأى ربيع بن خثيم قال: «بشر المخبتين» يقال: إنه مسلم بن أبي عمران البطين." (١)

"القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] يقول تعالى ذكره: ﴿ولكل أمة﴾ [الأعراف: ٣٤] ولكل جماعة سلف فيكم من أهل الإيمان بالله أيها الناس، جعلنا ذبحا يهريقون دمه ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ [الحج: ٣٤] بذلك ، لأن من البهائم ما ليس من الأنعام، كالخيل والبغال والحمير. وقيل: إنما قيل للبهائم: بهائم ، لأنها لا تتكلم وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله: ﴿جعلنا منسكا﴾ [الحج: ٣٤] قال أهل التأويل." (٢)

"وقوله: ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] يقول تعالى ذكره: وبشر يا محمد الخاضعين لله بالطاعة، المذعنين له بالعبودية، المنيبين إليه بالتوبة. وقد بينا معنى الإخبات بشواهده فيما مضى من كتابنا هذا. وقد اختلف أهل التأويل في المراد به في هذا الموضع، فقال بعضهم: أريد به: -[٥٥١]- وبشر المطمئنين إلى الله." (٣)

"حدثنا الحسن، قال: ثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] قال: «المتواضعين» وقال آخرون في ذلك." (٤)

"حدثني محمد بن عمرو قال: ثنا أبو عاصم قال: ثنا عيسى. وحدثني الحارث قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] قال: «المطمئنين»." (٥)

"ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] قال: «المطمئنين»." (٦)

"حدثنا أبو كريب قال: ثنا ابن يمان، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] «المطمئنين إلى الله»." (٧)

---

(١) الكنى والأسماء للدولابي الدولابي ٨٣٩/٢

(٢) تفسير الطبري ٥٤٩/١٦

(٣) تفسير الطبري ٥٥٠/١٦

(٤) تفسير الطبري ٥٥١/١٦

(٥) تفسير الطبري ٥٥١/١٦

(٦) تفسير الطبري ٥٥١/١٦

(٧) تفسير الطبري ٥٥١/١٦

"قوله: (ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢)شعائر الله المعالم التي ندب إليها وأمر بالقيام بها، واحدتها شعيرة.فالصفا والمروة من شعائر الله، " الذى يعنى به هنا البدن.* * *وقوله: (لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق(٣٣)يعنى أن لكم في البدن - قبل أن تعلموها، وتسموها هديا إلى بيتي - منافع.فإذا أشعرتموها - والإشعار أن يشق في السنام حتى يدمى ويعلق عليها نعلاليعلم أنها بدنة، فأكثر الناس لا يرى الانتفاع بها إذا جعلت بدنة، لابلبنها ولا بوبرها ولا بظهرها، يقول لا يعطى لبنها ووبرها وظهرها أحدا لأنهابدنة فلا ينتفع بها غير أهل الله إلا عند الضرورة المخوف معها الموت.وبعضهم يقول: إن له أن ينتفع بها فيركبها المعيي وينتفع بمنافعها إلى وقتمحلها - مكان نحرها -.والحجة في ذلك أن النبي - صلى الله عليه وسلم - مر برجل يسوق بدنةفأمره - صلى الله عليه وسلم - بركوبها، فقال: إنها بدنة فأمره الثانية وأمره الثالثة، وقال له في الثالثة: اركبها ويحك، فهذا - يجوز أن النبي - صلى الله عليه وسلم - رآه مضطرا في ركوبها من شدةالإعياء، وجائز على ظاهر الحديث أن يكون ركوبها جائزا.ومن أجاز ركوبها والانتفاع بها يقول: ليس له أن يهزلها وينضيها لأنها بدنة.* * *وقوله عز وجل: (ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤)وتقرأ منسكا، والمنسك في هذا الموضع يدل على معنى النحر فكأنهقال جعلنا لكل أمة أن تتقرب بأن تذبح الذبائح لله، ويدل على ذلك قولهتعالى (ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام).المعنى ليذكروا اسم الله على نحر ما رزقهم من بهيمة الأنعام.وقال بعضهم: المنسك الموضع الذي يجب تعهده، وذلك جائز.." (١)

"ومن قال منسك فمعناه مكان نسك مثل مخلس مكان خلوس.ومن قال منسك فهو بمعنى المصدر نحو النسك والنسوك.وقوله: (فإلهكم إله واحد).أي لا ينبغي أن تذكروا على ذبائحكم إلا الله وحده.وقوله: (وبشر المخبتين).قيل المخبتون المتواضعون، وقيل المخبتون المطمئنون بالإيمان باللهعز وجل، وقيل المخبتون الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا.وكل ذلك جائز.واشتقاقه من الخبت من الأرض وهي المكان المنخفض منها، فكلمخبت متواضع.* * *وقوله عز وجل: (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)(والمقيمي الصلاة).القراءة الخفض وإسقاط التنوين، والخفض على الإضافة، ويجوز:والمقيمين الصلاة، إلا أنه بخلاف المصحف.ويجوز أيضا على بعد والمقيمي الصلاة، على حذف النون ونصب الصلاة لطول الاسم، وأنشد سيبويه:الحافظو عورة العشيرة لا. . . يأتيهم من ورائهم نطفوزعم أنه شاذ.* * *وقوله تعالى: (والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦)النصب أحسن لأن قبله فعلا، المعنى وجعلنا البدن، فنصب بفعل." (٢)

"١٣٩٢٩ - عن جابر بن عبد الله: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى للناس يوم النحر، فلما فرغ من خطبته وصلاته دعا بكبش فذبحه هو بنفسه وقال:بسم الله والله أكبر اللهم، هذا عني وعمن لم يضح من أمتي» «١»

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج الزجاج ٤٢٦/٣

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج الزجاج ٤٢٧/٣

.١٣٩٣٠ - عن جابر قال: «ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين في يوم عيد فقال حين وجهها: وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا مسلما وما أنا من المشركين ... ، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين. اللهم منك ولك وعن محمد وأمته. ثم سمي الله.وكبر وذبح.» «٢» .١٣٩٣١ - عن مقاتل فله أسلموا يقول: فله أخلصوا «٣» .١٣٩٣٢ - عن مجاهد في قوله: وبشر المخبتين قال: المخبتون، الذين لا يظلمون الناس، وإذا ظلموا لم ينتصروا «٤» .١٣٩٣٣ - عن الضحاك رضى الله عنه وبشر المخبتين قال: المتواضعين «٥» .١٣٩٣٤ - عن السدى رضى الله عنه وبشر المخبتين قال: الوجلين «٦» .قوله تعالى: الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم١٣٩٣٥ - عن مقاتل الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم عند ما يخوفون والصابرين على ما أصابهم من البلاء والمصيبات والمقيمي الصلاة يعني إقامتها بأداء ما استحفظهم الله فيها «٧» .قوله تعالى: والبدن١٣٩٣٦ - عن ابن عمر رضي الله عنه قال: البدنة، ذات الخف «٨» .١٣٩٣٧ - عن ابن عمر رضي الله عنه قال: البدنة ذات البدن من الإبل والبقر «٩» .١٣٩٣٨ - عن مجاهد رضي الله عنه قال: ليس البدن إلا من الإبل «١٠»
.________(١) . الدر ٦/ ٤٨- ٤٩.(٢) . الدر ٦/ ٤٨- ٤٩.(٣) . الدر ٦/ ٤٨- ٤٩.(٤) . الدر ٦/ ٤٨- ٤٩.(٥) . الدر ٦/ ٤٨- ٤٩.(٦) . الدر ٦/ ٤٨- ٤٩.(٧) . الدر ٦/ ٤٨- ٤٩.(٨) . الدر ٦/ ٤٩- ٥٠.(٩) . الدر ٦/ ٤٩- ٥٠.(١٠) . الدر ٦/ ٤٩- ٥٠.." (١)

"٤١٦ - حدثنا أبو إسماعيل الترمذي، نا الوليد بن صالح، نا محمد بن مسلم الطائفي، عن عثمان بن عبد الله بن أوس، عن عمه عمرو بن أوس؛ قال في قول الله عز وجل: ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] ؛ قال: الذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لا ينتصرون.." (٢)

"٣٠٣١ - حدثنا أحمد، نا جعفر بن محمد، نا الوليد بن صالح؛ قال: حدثنا محمد بن مسلم الطائفي، عن عثمان بن عبد الله بن أوس، عن عمه عمرو بن أوس في قوله عز وجل: ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] ؛ قال: الذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لا ينتصرون.." (٣)

"تمكر علي، واهدني ويسر الهدى لي، وانصرني على من بغى علي، رب اجعلني لك شاكرا، لك ذاكرا، لك أواها، لك مطواعا، لك مخبتا أواها منيبا، رب تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبت حجتي، واهد قلبي، وسدد لساني، واسلل سخيمة قلبي» (رحمه الله ١) . [٥: ١٢]رحمه الله________(رحمه الله ١) إسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح، غير طليق بن قيس، وهو ثقة، سفيان: هو الثوري، وعبد الله بن الحارث. هو الزبيدي المعروف بالمكتب، وأخرجه أبو داود (١٥١٠) في الصلاة: باب ما يقول الرجل إذا سلم، عن محمد ابن كثير العبدي، بهذا الإسناد،

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم - محققا الرازي، ابن أبي حاتم ٢٤٩٣/٨

(٢) المجالسة وجواهر العلم الدِّينَوري، أبو بكر ٢٧٢/٢

(٣) المجالسة وجواهر العلم الدِّينَوري، أبو بكر ١٣٤/٧

وصححه الحاكم ٥١٩/١-٥٢٠ ووافقه الذهبي.وأخرجه ابن أبي شيبة ٢٨٠/١٠، وأحمد ٢٢٧/١، والترمذي (٣٥٥١) في الدعوات: باب في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم، والنسائي في، "عمل اليوم والليلة" (٦٠٧) ، وابن ماجة (٣٨٣٠) في الدعاء: باب دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، والبخاري في "الأدب. المفرد" (٦٦٤) و (٦٦٥) ، والبغوي في " شرح السنة " (١٣٧٥) ، من طرق عن سفيان، به، وهو في السنة (٣٨٤) لابن أبي عاصم من طريق سفيان مختصرا، وانظر الحديث بعده. قال الطيبي: المكر: الخداع، وهو من الله تعالى إيقاع بلائه بأعدائه من حيث لا يشعرون، وقوله: "ولا تمكر على" أي: ولا تمكر لأعدائي، وقوله: " إليك مخبتا " من الخبت: وهو المطمئن من الأرض قال الله تعالى. (وأخبتوا إلى ربهم) أي: اطمأنوا إلى ذكره أو سكنت نفوسهم إلى أمره، وقال سبحانه ﴿وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ أي: خافت، فالمخبت: هو الواقف بين الخوف والرجاء، وقيل: خاشعا من الإخبات: وهو الخشوع والتواضع. والأواه: كثير التأوه والبكاء، أي. اجعلني حزينا متوجعا على التفريط، ومنه قوله تعالى ﴿لأواه حليم﴾ والحوبة: الزلة والخطيئة، وقوله: " واسلل سخيمة قلبي " أي: غله وحقده وحسده ونحوها مما ينشأ من الصدر ويسكن في القلب من مساوىء الأخلاق، وسلها: إخراجها، وتنقية القلب منها، من: سل السيف: إذا أخرجه من الغمد "بذل المجهود" ٣٦٥/٧-٣٦٦.." (١)

"حمزة والكسائي وعاصم: ثم ليقضوا بجزم اللام وكذلك وليوفوا وليطوفوا وقرأ أبو عمرو الثلاثة كلها بالكسر، بمعنى لام كي. وقرأ ابن كثير بكسر اللام الأولى خاصة. فمن قرأ بالجزم، جعلها أمر الغائب، ومن قرأ بالكسر، جعله خبرا عطفا على قوله: يذكروا. وقرأ عاصم في رواية أبي بكر وليوفوا بنصب الواو وتشديد الفاء، وقرأ الباقون بالتخفيف من أوفى يوفي، والأول من وفى يوفي، ومعناهما واحد.[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٠ الى ٣١]ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور (٣٠) حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق (٣١)ثم قال عز وجل: ذلك، يعني: هذا الذي ذكر من أمور المناسك. ثم قال: ومن يعظم حرمات الله، يعني: أمر المناسك كلها، فهو خير له عند ربه يعني: أعظم لأجره.وأحلت لكم الأنعام يعني: الإبل والبقر والغنم وغيره. إلا ما يتلى عليكم في التحريم في سورة المائدة. فاجتنبوا الرجس من الأوثان، يعني: اتركوا عبادة الأوثان، فاجتنبوا يعني: اتركوا قول الزور، يعني: الكذب، وهو قولهم: هذا حلال وهذا حرام. ويقال:معناه اتركوا الشرك، ويقال: اتركوا شهادة الزور.ثم قال عز وجل: حنفاء لله، يعني: مخلصين بالتلبية لله تعالى لأن أهل الجاهلية كانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك، إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك. ويقال: إن هذا القول بالزور الذي أمرهم باجتنابه.ثم قال: غير مشركين به، ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء، أي: وقع من السماء، فتخطفه الطير، يعني: تختلسه الطير، أو تهوي به الريح، يعني: تذهب به الريح في مكان سحيق، أي: بعيد، فكذلك الكافر في البعد من الله عز وجل. ويقال: معناه من يشرك بالله فقد ذهب أصله. وقال الزجاج: الخطف هو أخذ الشيء بسرعة، فهذا مثل ضربه الله عز وجل للكافرين في بعدهم من الحق، فأخبر أن بعد من

---

(١) صحيح ابن حبان - محققا ابن حبان ٢٢٨/٣

أشرك من الحق، كبعد من خر من السماء، فذهبت به الطير، وهوت به الريح في مكان سحيق، يعني: بعيد. قرأ نافع:فتخطفه الطير بنصب الخاء والتشديد، وقرأ الباقون بالجزم والتخفيف من خطف. ومن قرأ بالتشديد، فلأن أصله: فتخطفه فأدغم التاء في الطاء، وألقيت حركة التاء على الخاء.[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٢ الى ٣٥]ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)." (١)

"ثم قال عز وجل: ذلك يقول: هذا الذي أمر من اجتناب الأوثان. ومن يعظم شعائر الله، يعني: البدن، فيذبح أعظمها وأسمنها. وروي عن ابن عباس أنه قال: «تعظيمها استعظامها، وأيضا استسمانها واستحسانها» . ثم قال: فإنها من تقوى القلوب، يعني: من إخلاص القلوب، ويقال: من صفاء القلوب، وشعائر الله: معالم الله ودينه، التي ندب إلى القيام بها وواحدها: شعيرة.قوله عز وجل: لكم فيها منافع، يعني: في البدن. وقال مجاهد: يعني: في ركوبها وشرب ألبانها وأوبارها. إلى أجل مسمى، يعني: إلى أجل مسمى بدنا، فمحلها إلى البيت العتيق. وروي عن ابن عباس نحو هذا، وقد قول بعض الناس: إنه يجوز ركوب البدن، وقال أهل العراق: لا يجوز إلا عند الضرورة، ويضمن ما نقصها الركوب، وهذا القول أحوط الوجهين. ثم محلها يعني: منحرها إلى البيت العتيق، يعني: في الحرم. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «جميع فجاج مكة منحر» .ثم قال عز وجل: ولكل أمة، يعني: لكل أهل دين، ويقال: لكل قوم من المؤمنين فيما خلا، جعلنا منسكا يعني: ذبحا لهراقة دمائهم. ويقال: مذبحا يذبحون فيه. قال الزجاج: معناه، جعلنا لكل أمة أن تتقرب بأن تذبح الذبائح لله تعالى. قرأ حمزة والكسائي منسكا بكسر السين، وقرأ الباقون بالنصب. فمن قرأ بالكسر، يعني: مكان النسك. ومن قرأ بالنصب، فعلى المصدر. وقال أبو عبيد: قراءتنا هي بالنصب لفخامتها.ثم قال: ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام، يعني: يذكرون اسم الله تعالى عند الذبح. فإلهكم إله واحد، أي ربكم رب واحد. فله أسلموا، أي: أخلصوا بالتسمية عند الذبيحة وفي التلبية. وبشر المخبتين، أي: المخلصين بالجنة. ويقال:المجتهدين في العبادة والسكون فيها. قال قتادة: المختبون المتواضعون. وقال الزجاج: أصله من الخبت من الأرض، وهو المكان المنخفض. ويقال: المخبت الذي فيه الخصال التي ذكرها الله بعده، وهو قوله عز وجل: الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم، يعني: خافت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم من أمر الله من المرازي والمصائب والمقيمي الصلاة يعني:يقيمونها بمواقيتها، ومما رزقناهم ينفقون يعني: يتصدقون وينفقون في الطاعة. ثم ذكر البدن، يعني: ينحرون البدن. فهذه الخصال الخمسة صفة المخبتين.." (٢)

"٦٣٠ - أخبركم أبو الفضل الزهري، نا عبد الله بن سليمان بن الأشعث قراءة عليه، نا محمد بن المصفى، نا يحي بن سعيد العطار، نا يزيد بن عطاء، عن علقمة بن مرثد، قال: انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين، منهم: عامر بن عبد

---

(١) تفسير السمرقندي = بحر العلوم أبو الليث السمرقندي ٤٥٨/٢

(٢) تفسير السمرقندي = بحر العلوم أبو الليث السمرقندي ٤٥٩/٢

الله، وأويس القرني، وهرم بن حيان، والربيع بن خثيم، وأبو مسلم الخولاني، والأسود بن يزيد، ومسروق بن الأجدع، والحسن بن أبي الحسن البصري، رضوان الله عليهم. فأما عامر بن عبد الله، إن كان ليصلي، فيتمثل له إبليس في صورة الحية، فيدخل تحت قميصه حتى يخرج من جيبه فما يمسه، فقلت له: ألا تنحي الحية عنك؟ قال: أستحي من الله عز وجل أن أخاف سواه، فقيل له: إن الجنة تدرك بدون ما تصنع، وتتقى النار بدون ما تصنع، فقال: والله لأجهدن، فإن نجوت فبرحمة الله عز وجل، وإن دخلت النار فلبعد جهدي، فلما احتضر بكى، فقيل له: أتجزع من الموت، وتبكي، قال: مالي لا أبكي، ومن أحق بذلك مني، والله ما -[٥٨١]- أبكي جزعا من الموت ولا حرصا على دنياكم رغبة فيها، ولكني أبكى على ظمأ الهواجر وقيام ليل الشتاء، وكان يقول: ألهى في الدنيا الهموم والأحزان، وفي الآخرة الحساب والعذاب، فأين الروح والفرج. وأما الربيع بن خثيم، فقيل له حين أصابه الفالج: لو تداويت، قال: قد علمت أن الدواء حق، ولكني ذكرت: ﴿وعادا وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا﴾ [الفرقان: ٣٨]، وكانت فيهم الأوجاع وكانت فيهم الأطباء، فما بقي المداوي والمداوى، وقال غيره: لا الناعت ولا المنعوت له، وقيل له: ألا تذكر الناس، قال: ما أنا عن نفسي براض، فأتفرغ من ذمها إلى ذم الناس، إن الناس خافوا الله عز وجل، في ذنوب الناس وأصروا على ذنوبهم، قال: فقيل له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحنا ضعفاء مذنبين، نأكل أرزاقنا وننتظر آجالنا قال: وكان ابن مسعود إذا رآه قال: ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤]. أما لو رآك محمد صلى الله عليه وسلم لأحبك، وكان الربيع بن خثيم يقول: أما بعد: فأعد زادك، وخذ في جهازك، وكن وصي نفسك. وأما أبو مسلم الخولاني، فلم يجالس أحدا قط فتكلم في شيء من أمر الدنيا، إلا تحول عنه، فدخل ذات يوم المسجد، فنظر إلى قوم قد اجتمعوا، فرجى أن يكونوا على ذكر وخير، فجلس إليهم، فإذا بعضهم يقول: قدم غلام لي فأصاب كذا وكذا، وقال الآخر: جهزت غلامي، فنظر إليهم فقال: سبحان الله أتدرون ما مثلي ومثلكم، كرجل أصابه مطر غزير وابل، فالتفت فإذا هو بمصراعين عظيمين فقال: لو دخلت -[٥٨٢]- هذا حتى يذهب عني هذا المطر، فدخل فإذا البيت لا سقف له، جلست إليكم وأنا أرجو أن تكونوا على خير، فإذا أنتم أصحاب دنيا. قال له قائل حين كبر ورق: لو قصرت عن بعض ما تصنع، فقال: أرأيتم لو أرسلتم الخيل في الحلبة، ألستم تقولون لفارسها: ودعها وأرفق بها حتى إذا رأيت الغاية، فلا تستبق منه شيئا، قالوا: بلى، قال: فإني قد أبصرت الغاية، وإن لكل ساع غاية، وغاية كل شيء الموت، فسابق ومسبوق. وأما الأسود بن يزيد، فكان مجاهدا في العبادة، ويصوم حتى يصفر جسده، ويخضر، فكان علقمة بن قيس يقول له: لم تعذب هذا الجسد هذا العذاب، فيقول: إن الأمر جد، كرامة هذا الجسد أريد، فلما احتضر، بكى، فقيل له: ما هذا الجزع قال: مالي لا أجزع، ومن أحق بذلك مني، والله لو أتيت بالمغفرة من الله، لهمني الحياء منه مما صنعت، إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير، فيعفو عنه فلا يزال مستحيا منه حتى يموت، ولقد حج ثمانين حجة. وأما مسروق بن الأجدع، فإن امرأته قالت: ما كان يوجد إلا وساقيه قد انتفختا من طول الصلاة، قالت: وإن كنت والله لأجلس خلفه فأبكي رحمة له، فلما احتضر بكى، فقيل له: ما هذا الجزع؟ فقال: ومالي لا أجزع وإنما هي ساعة، ثم لا أدري أين يسلك بي. وأما الحسن بن أبي الحسن، فما رأيت أحدا من الناس كان أطول حزنا منه، ما كنا نرى إلا أنه حديث عهد بمصيبة، ثم قال: نضحك ولا ندري لعل الله تعالى اطلع على بعض أعمالنا فقال: لا أقبل منكم شيئا، ويحك يا ابن آدم، هل لك بمحاربة الله من طاقة، إنه من عصى الله تعالى، فقد

حاربه، والله لقد أدركت سبعين بدريا أكثر لباسهم -[٥٨٣]- الصوف، ولو رأيتموهم، لقلتم: مجانين، ولو رأوا خياركم، لقالوا: ما لهؤلاء عند الله من خلاق، ولو رأوا شراركم لقالوا: ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب، ولقد رأيت إخوانا كانت الدنيا أهون على أحدهم من التراب تحت قدمه، ولقد رأيت أقواما عسى أن لا يجد أحدهم عشاء ولا قوتا، فيقول: والله، لا أجعل هذا كله في بطني، لأجعلن بعضه لله عز وجل، فيتصدق ببعضه، وإن كان هو أحوج ممن تصدق به عليه. قال علقمة بن مرثد: فلما قدم عمر بن هبيرة العراق، أرسل إلى الحسن وإلى الشعبي رضي الله عنهما، فأمر لهما ببيت كانا فيه شهرا، أو نحوه، ثم إن الخصي غدا عليهما فقال: إن الأمير داخل عليكما، فجاء عمر يتوكأ على عصا له، فسلم، ثم جلس تعظيما لهما فقال: إن أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك، يكتب إلي كتبا، أعرف أن في إنفاذها الهلكة، فإن أطعته عصيت الله، وإن عصيته أطعت الله تعالى، فهل تريان لي في متابعتي إياه فرجا؟ فقال الحسن: يا أبا عمرو، أجب الأمير، فتكلم الشعبي، فانحط في شأن ابن هبيرة فقال: ما تقول أنت يا أبا سعيد؟ قال: فقال: أيها الأمير، قد قال الشعبي ما قد سمعت، -[٥٨٤]- قال: ما تقول أنت؟ قال: أقول: يا عمر بن هبيرة، يوشك أن ينزل بك ملك من ملائكة الله عز وجل، فظا غليظا لا يعصي الله ما أمره، فيخرجك من سعة قصرك، فصرت في ضيق قبرك، يا عمر بن هبيرة، إن تتقي الله عز وجل يعصمك من يزيد بن عبد الملك، ولن يعصمك يزيد بن عبد الملك من الله، يا عمر بن هبيرة، لا تأمن أن ينظر الله إلى قبح ما تعمل في طاعة يزيد بن عبد الملك، نظرة مقت، فيغلق بها باب المغفرة دونك، يا عمر بن هبيرة، لقد أدركت ناسا من صدر هذه الأمة كانوا – والله – على الدنيا وهي مقبلة أشد إدبارا من إقبالكم عليها وهي مدبرة، يا عمر بن هبيرة، إني أخوفك مقاما خوفكه الله سبحانه وتعالى فقال: ﴿ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد﴾ [إبراهيم: ١٤]، يا عمر بن هبيرة، إن تك مع الله عز وجل على طاعته، كفاك الله – والله – يزيد بن عبد الملك، وإن تك مع يزيد بن عبد الملك على معاصي الله عز وجل، وكلك الله عز وجل إليه، فبكى عمر بن هبيرة، وقام بعبرته، فلما كان من الغد أرسل إليهما بإذنهما، وجوائزهما، فكثر فيها للحسن، وكان في جائزة الشعبي بعض الإقتار، فخرج الشعبي إلى المسجد فقال: يا معشر الناس من استطاع أن يؤثر الله عز وجل على خلقه فليفعل، فوالذي نفسي بيده، ما علم الحسن منه شيئا فجهلته، ولكني أردت وجه ابن هبيرة، فأقصاني الله تعالى منه، وكان الحسن رضي الله عنه، مع الله في طاعته، فحياه وأدناه. قال: فقام المغيرة بن مخادش ذات يوم إلى الحسن فقال: كيف نصنع بمجالسة قوم يخوفونا حتى تكاد قلوبنا تطير؟، فقال الحسن: -[٥٨٥]- والله لأن تصحب أقواما يخوفونك، حتى تدرك أمنا خير لك من أن تصحب أقواما يؤمنونك حتى تلحقك المخاوف، فقال له بعض القوم: أخبرنا بصفة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فبكى، ثم قال: ظهرت منهم علامات الخير في السر والسمت والصدق، وحسنت علانيتهم بالاقتصاد، وممشاهم بالتواضع ومطلعهم بالفصل، وطيب مطعمهم ومشربهم بالطيب من الرزق، وبصرهم بالطاعة، واستعدادهم للحق فيما أحبوا وكرهوا، وإعطاؤهم الحق من أنفسهم للعدو والصديق، وبحفظهم في المنطق مخافة الوزر، ومسارعتهم في الخير رجاء الأجر، والاجتهاد لله تعالى، ومزاحاتهم، وكانوا أوصياء أنفسهم، ظمئت هواجرهم، وكلت أجسامهم لله عز وجل، واستحبوا سخط المخلوقين برضا خالقهم، لم يفرطوا في غضب ولم يخوضوا في جور، ولم يجاوزوا حكم الله تعالى في القرآن، فشغلوا الألسن بالذكر، بذلوا لله تعالى دماءهم حين اشتراهم، وبذلوا لله أموالهم حين استقرضهم، لم يكن خوفهم من المخلوقين، حسنت أخلاقهم وهانت

مؤنتهم، كفاهم اليسير من دنياهم إلى آخرتهم. وأما أويس القرني، وهرم بن حيان، فإن أهله ظنوا أنه مجنون، فبنوا له بيتا عند باب دارهم، فكانت تأتي عليه السنة والسنتان لا يرون له وجها، فكان طعامه ما يلتقط من النوى، فإذا أمسى باعه لإفطاره، وإذا أصاب حشفة حبسها لإفطاره، فلما ولي عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، قال: أيها الناس، قوموا بالموسم، فقاموا فقال: ألا اجلسوا إلا من كان من أهل الكوفة، فجلسوا فقال: ألا اجلسوا إلا من كان من أهل اليمن، فجلسوا فقال: ألا اجلسوا إلا من كان من مراد، -[٥٨٦]- فجلسوا فقال: ألا اجلسوا إلا من كان من قرن، فجلسوا إلا رجل، وكان ابن عم أويس بن أنس فقال له عمر: أقرني أنت؟ قال: نعم، فقال: تعرف أويسا؟ فقال: وما تسأل عن ذلك، يا أمير المؤمنين، فوالله، ما فينا أحمق منه، ولا أجن منه، ولا أحوج منه، فبكى عمر، ثم قال: سمعت رسول الله صلوات الله عليه وسلم يقول: «يدخل الجنة بشفاعة رجل منكم مثل ربيعة ومضر». قال هرم بن حيان: فلما بلغني ذلك قدمت الكوفة، فلم يكن لي هم إلا طلبه، حتى سقطت عليه وهو جالس على شاطئ الفرات نصف النهار يتوضأ، فعرفته بالنعت الذي نعت لي، فإذا هو رجل لحيم آدم شديد الأدمة أشعر محلوق الرأس، مهيب المنظر، وزاد غيره قال: كان رجلا أشهل أصهب عريض ما بين المنكبين وفي عنقه اليسرى وضح، وضارب بلحيته على صدره، ناصب بصره، فسلمت عليه، فرد علي، فنظر إلي ومددت يدي لأصافحه فأبى أن يصافحني، فقلت: يرحمك الله يا أويس -[٥٨٧]- وغفر لك، رحمك الله، كيف أنت، رحمك الله، ثم خنقتني العبرة من حبي إياه، ورقتي عليه، لما رأيت من حالته، حتى بكيت وبكى قال: وأنت حياك الله يا هرم بن حيان، كيف أنت يا أخي من دلك علي؟ فقلت: الله عز وجل، فقال: لا إله إلا الله، ﴿سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا﴾ [الإسراء: ١٠٨]، فقلت له: من أين عرفت اسمي واسم أبي، وما رأيتك قبل اليوم قال: أنبأني العليم الخبير، عرفت روحي روحك حين كلمت نفسي نفسك، إن الأرواح لها أنفاس كأنفاس الأجساد، وإن المؤمنين يعرف بعضهم بعضا، ويتحابون بروح الله تعالى، ولو لم يلتقوا ويتعارفوا، وإن نأت بهم الدار، وتفرقت بهم المنازل، فقلت: حدثني، يرحمك الله، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني لم أر رسول الله، ولم يكن لي معه صحبة، بأبي وأمي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن قد رأيت رجالا قد أدركوه، ولست أحب أن أفتح هذا الباب على نفسي أن أكون محدثا، أو قاصا، أو مفتيا، في نفسي شغل عن الناس، فقلت: أي أخي، اقرأ علي آيات من كتاب الله عز وجل، أسمعها منك، أو أوصني بوصية أحفظها عنك، فإني أحبك في الله عز وجل، قال: فأخذ بيدي، ثم قال: أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم قال ربي وأحق القول، قول ربي، وأصدق الحديث حديث ربي عز وجل، ثم قرأ: ﴿وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين، ما خلقناهما إلا بالحق﴾ [الدخان: ٣٩] إلى قوله: ﴿العزيز الرحيم﴾ [الدخان: ٤٢]، فشهق شهقة، فنظرت إليه وأنا أحسبه قد غشي عليه قال: يا ابن حيان، مات أبوك، يا ابن حيان، ويوشك أن تموت فإما إلى الجنة، وإما إلى النار، ومات أبوك -[٥٨٨]- آدم عليه السلام، وماتت أمك حواء، يا ابن حيان، ومات نوح نبي الله صلى الله عليه وسلم، ومات إبراهيم خليل الله، مات موسى نجي الرحمن، ومات داود خليفة الرحمن، ومات محمد صلوات الله عليه وعليهم، ومات أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومات أخي وصديقي عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، فقلت: يرحمك الله، إن عمر لم يمت، قال: بلى، قد نعاه ربي إلى نفسي، وأنا وأنت في الموتى، ثم صلى على النبي صلوات الله عليه وسلم، ودعا بدعوات خفاف، ثم قال: هذه وصيتي إياك، كتاب الله

عز وجل، ونعي المرسلين، ونعي صالح المؤمنين، فعليك بذكر الموت، فلا يفارق قلبك طرفة عين ما بقيت، وأنذر قومك إذا رجعت إليهم، وانصح الأمة جميعا، وإياك أن تفارق الجماعة، فتفارق دينك وأنت لا تعلم، فتدخل النار، وادع لي في نفسك، ثم قال: اللهم إن هذا زعم أنه يحبني فيك، وزارني فيك، فعرفني وجهه في الجنة، وأدخله علي في دارك، دار السلام، واحفظه ما دام في الدنيا حيا، وأرضه من الدنيا باليسير، واجعله لما أعطيته من نعمك من الشاكرين، واجزه عني خيرا، ثم قال: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، لا أراك بعد اليوم، رحمك الله، فإني أكره الشهرة، والوحدة أعجب إلي لأني كثير الغم ما دمت مع هؤلاء الناس حيا، فلا تطلبني، ولا تسأل عني، واعلم أنك مني على بال، وإن لم أرك وتراني، فاذكرني وادعو لي، فإني سأدعو لك، وأذكرك، إن شاء الله، انطلق أنت هاهنا حتى آخذ أنا هاهنا، فحرجت عليه أن أمشي معه ساعة، -[٥٨٩]- فأبى علي، ففارقته أبكي ويبكي، فجعلت أنظر في قفاه حتى دخل في بعض السكك، ثم سألت عنه بعد ذلك، وطلبته فما رأيت أحدا يخبرني عنه بشيء، رحمه الله وغفر له، وما أتت علي جمعة إلا وأنا أراه في منامي مرة أو مرتين رحمة الله عليه"." (١)

"١١٨٨ - حدثنا علي، ثنا الحسن بن سفيان، ثنا محمود بن خالد قال: سمعت أبي يقول: " ما قرأت هذه الآية ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] إلا ذكرت سعيد بن جبير "." (٢)

"٢٨٨ - حدثنا الحسن بن محمد بن عثمان الفارسي، بالبصرة، ثنا يعقوب بن سفيان، ثنا زكريا بن نافع الأرسوفي، ثنا محمد بن مسلم، عن عثمان بن عبد الله بن أوس، عن عمرو بن أوس، في قوله: ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] قال: «الذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لم ينتصروا»." (٣)

"﴿ولكل أمة﴾ (ولكل قوم) ﴿جعلنا منسكا﴾ قال قتادة: يعني: حجا وذبحا. ﴿وبشر المخبتين﴾ يعني: الخاشعين.قال محمد: واشتقاق الكلمة من: الخبت؛ وهو المكان المنخفض من الأرض.." (٤)

"أن لا تشرك يعني أمرناه وعهدنا إليه أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين يعني المصلين والركع السجود.[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٢٧ الى ٣٧]وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق (٢٧) ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير (٢٨) ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق (٢٩) ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور (٣٠) حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق (٣١)ذلك ومن

---

(١) حديث أبي الفضل الزهري أبو الفضل الزهري ص/٥٨٠

(٢) معجم ابن المقرئ ابن المقرئ ص/٣٦١

(٣) الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك لابن شاهين ابن شاهين ص/٩١

(٤) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ابن أبي زَمَنِين ٣/١٨٠

يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦)لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧)وأذن يعني وعهدنا إلى إبراهيم ايضا أن أذن أي أعلم وناد في الناس بالحج.فقال إبراهيم: يا رب وما يبلغ صوتي؟ فقال: عليك الأذان وعلي البلاغ، فقام إبراهيم على المقام وقيل: على جبل أبي قبيس ونادى: يا أيها الناس ألا إن ربكم قد بنى بيتا فحجوه، فأسمع الله ذلك من في أصلاب الرجال وأرحام النساء، وما بين المشرق والمغرب والبر والبحر ممن سبق في علم الله سبحانه أن يحج إلى يوم القيامة، فأجابه: لبيك اللهم لبيك.وقال ابن عباس: عنى بالناس في هذه الآية أهل القبلة وزعم الحسن أن قوله تعالى وأذن في الناس بالحج كلام مستأنف، وأن المأمور بهذا التأذين محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، أمر أن يفعل ذلك في حجة الوداع.يأتوك رجالا مشاة على أرجلهم جمع راجل مثل قائم وقيام وصائم وصيام.وعلى كل ضامر أي وركبانا، والضامر البعير المهزول، وإنما جمع يأتين لمكان كل، أراد النوق من كل فج عميق طريق بعيد.سمعت أبا الحسن محمد بن القاسم الفقيه يقول: سمعت أبا القاسم بشر بن محمد بن." (١)

"إلى أجل مسمى وهو أن يسميها هديا ويوجبها، فإذا فعل ذلك لم يكن له من منافعها شيء، هذا قول مجاهد وعطاء والضحاك وقتادة، ورواية مقسم عن ابن عباس، وقيل: معناه:لكم في هذه الهدايا منافع بعد إنجابها وتسميتها هديا بأن تركبوها إذا احتجتم إليها وتشربوا ألبانها إن اضطررتم إليها، إلى أجل مسمى يعني إلى أن تنحر، وهذا قول عطاء بن أبي رباح.وقال بعضهم: أراد بالشعائر المناسك ومشاهد مكة، ومعنى الآية: لكم فيها منافع بالتجارة والأسواق إلى أجل مسمى وهو الخروج من مكة، وهذه رواية أبي ذر عن ابن عباس.وقال بعضهم: لكم فيها منافع بالأجر والثواب في قضاء المناسك وإقامة شعائر الحج إلى أجل مسمى وهو انقضاء أيام الحج.ثم محلها إلى البيت العتيق أي منحرها عند البيت العتيق يعني أرض الحرم كلها، نظيرها قوله سبحانه فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا أي الحرم كله، وقال الذين قالوا: عنى بالشعائر المناسك، معنى الآية: ثم محل الناس من إحرامهم إلى البيت العتيق أن يطوفوا به طواف الزيارة يوم النحر بعد قضاء المناسك.ولكل أمة جماعة مؤمنة سلفت قبلكم جعلنا منسكا اختلف القراء فيه فقرأ أهل الكوفة إلا عاصما بكسر السين في الحرفين على معنى الاسم مثل المجلس والمطلع أي مذبحا موضع قربان، وقرأ الآخرون بفتح السين فيهما على المصدر مثل المدخل والمخرج أي إهراق الدماء وذبح القرابين.ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام عند ذبحها ونحرها، وإنما خص بهيمة الأنعام لأن من البهائم ما ليس من الأنعام كالخيل والبغال والحمير، وإنما قيل بهائم لأنها لا تتكلم.فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين قال ابن عباس وقتادة: المتواضعين، مجاهد: المطمئنين إلى الله

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١٨/٧

سبحانه، الأخفش: الخاشعين، ابن جرير: الخاضعين، عمرو بن أوس: هم الذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لم ينتصروا.الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والبدن أي الإبل العظام الضخام الأجسام، وتخفف وتثقل واحدتها بدنة مثل تمرة وتمر وخشبة وخشب وبادن مثل فاره وفره، والبدن هو الضخم من كل شيء ومنه قيل لامرئ القيس بن النعمان صاحب الخورنق والسدير: البدن لضخمه، وقد بدن الرجل بدنا وبدانة إذا ضخم، فأما إذا أشفى واسترخى قيل: بدن تبدينا.وقال عطاء والسدي: البدن: الإبل والبقر.." (١)

"وكان ابن مسعود إذا رآه قال: " ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] أما إن محمدا صلى الله عليه وسلم لو رآك لأحبك "." (٢)

"حدثنا أبو بكر بن مالك، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: ثنا محمد بن أحمد بن أيوب، ثنا أبو بكر بن عياش، عن عاصم، قال: "كان عبد الله بن مسعود إذا رأى الربيع بن خثيم قال: «وبشر المخبتين». وإذا رأى أبا وائل قال: «التائب»." (٣)

"﴿فإلهكم إله واحد فله أسلموا﴾، أي: اخضعوا بالطاعة.﴿وبشر المخبتين﴾.أي: الخاشعين المطمئنين إلى الله، قاله مجاهد.قال ابن عيينة: " المخبتين ": المطئنين.وقال قتادة: المتواضعين.وقيل: المخبتون: الذين لا يظلمون الناس، وإذا ظلموا لم ينتصروا.والخبت في اللغة: المكان المطمئن المنخفض، والزور: الباطل.وقيل: إنه أريد به في هذا الموضع الكذب.وقيل: المخبتين: المخلصين.ثم قال تعالى: ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾.أي: خشعت قلوبهم وجلا من عقابه.قال ابن زيد: وجلت قلوبهم: لا تقسوا ﴿والصابرين على مآ أصابهم﴾ أي: من." (٤)

"﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾ قوله عز وجل: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا﴾ فيه ثلاثة تأويلات: أحدها: يعني حجا ، وهو قول قتادة.." (٥)

"والثاني: ذبحا ، وهو قول مجاهد. والثالث: عيدا ، وهو قول الكلبي والفراء ، والمنسك في كلام العرب هو الموضع المعتاد ، ومنه تسمية مناسك الحج ، لاعتياد مواضعها. ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ فيها وجهان: أحدهما: أنها الهدي، إذا قيل إن المنسك الحج. والثاني: الأضاحي ، إذا قيل إن المنسك العيد. قوله عز وجل: ﴿ ... وبشر المخبتين﴾ فيه تسعة تأويلات: أحدها: المطمئنين إلى ذكر إلههم ، وهو قول مجاهد ، ومنه قوله تعالى: ﴿فتخبت له

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٢٢/٧

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ١٠٧/٢

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ١٠٢/٤

(٤) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٤٨٨٩/٧

(٥) تفسير الماوردي = النكت والعيون الماوردي ٢٤/٤

قلوبهم﴾ [الحج: ٥٤]. والثاني: معناه المتواضعين ، وهو قول قتادة. والثالث: الخاشعين ، وهو قول الحسن. والفرق بين التواضع والخشوع أن التواضع في الأخلاق والخشوع في الأبدان. والرابع: الخائفين ، وهو معنى قول يحيى بن سلام. والخامس: المخلصين ، وهو قول إبراهيم النخعي. والسادس: الرقيقة قلوبهم ، وهو قول الكلبي. والسابع: أنهم المجتهدون في العبادة ، وهو قول الكلبي ومجاهد. والثامن: أنهم الصالحون المطمئنون ، وهو مروي عن مجاهد أيضا. والتاسع: هم الذين لا يظلمون ، وإذا ظلموا لم ينتصروا ، وهو قول الخليل بن أحمد.." (١)

"٢٤٧-[٢٥٦] كتب إلي أبو الحسن أحمد بن إبراهيم بن علي بن أحمد بن فراس من مكة يخبر أن أبا التريك محمد بن الحسين الأطرابلسي حدثهم بمكة قال: ثنا أبو عتبة أحمد بن الفرج بن سليمان المؤذن الكندي الحجازي قال: ثنا يحيى بن سعيد العطار قال: ثنا يزيد بن عطاء الواسطي عن علقمة بن مرثد الحضرمي قال: انتهى الزهد إلى ثمانية نفر من التابعين عامر بن عبد الله القيسي وأويس القرني وهرم بن حيان العبدي والربيع بن خثيم الثوري وأبي مسلم الخولاني والأسود بن يزيد ومسروق [بن] (رحمه الله١) الأجدع والحسن بن أبي الحسن البصريفأما عامر بن عبد الله: إن كان ليصلي فيتمثل له إبليس في صورة الحية فيدخل من تحت قميصه حتى يخرج من جيبه فما يمسه فقيل له ألا تنحى الحية عنك؟ فقال: إني لأستحي من الله أن أخاف سواه فقيل له إن الجنة لتدرك بدون ما تصنع فقال: والله لأجتهدن ثم والله لأجتهدن فإن نجوت فبرحمة الله وإن دخلت النار فلبعد جهدي فلما احتضر بكى فقيل له أتجزع من الموت وتبكي؟ قال: ومالي لا أبكي ومن أحق بالبكاء مني؟ والله ما أبكي جزعا من الموت ولا حرصا على دنياكم رغبة فيها ولكني أبكي على ظمإ الهواجر وقيام ليل الشتاء وكان يقول: إلهي في الدنيا الهموم والأحزان وفي الآخرة الحساب والعذاب فأين الروح والفرح.وأما الربيع بن خثيم: فقيل له حين أصابه الفالج لو تداويت فقال: قد عرفت أن الدواء حق ولكن ذكرت عادا وثمودا وقرونا بين ذلك كثيرا كانت فيهم الأوجاع وكانت فيهم الأطباء فما بقي المداوي ولا المداوى وقال غيره: فلا الناعت بقي ولا المنعوت قال: وقيل له ألا تذكر الناس؟ قال: ما أنا عن نفسي براض فأتفرغ -[١٢٥٣]- من ذمها إلى ذم الناس إن الناس خافوا الله في ذنوب الناس وأمنوا على ذنوبهم قال: وقيل له كيف أصبحت؟ فقال: أصبحنا ضعافا (رحمه الله٢) مذنبين نأكل أرزاقنا وننتظر آجالنا.قال: وكان عبد الله بن مسعود إذا رآه قال: وبشر المخبتين أما إنه لو رآك محمد صلى الله عليه وسلم لأحبك وكان الربيع بن خثيم يقول: أما بعد فأعد زادك وخذ في جهازك وكن وصي نفسك.قال: وأما أبو مسلم الخولاني: فلم يكن يجالس أحدا قط يتكلم بشيء من أمر الدنيا إلا تحول عنه فدخل ذات يوم المسجد فنظر إلى نفر قد اجتمعوا فرجا أن يكونوا على ذكر وخير فجلس إليهم فإذا بعضهم يقول قدم غلام لي فأصاب كذا وكذا وقال الآخر جهزت غلاما لي فنظر إليهم فقال: سبحان الله العظيم أتدرون ما مثلي ومثلكم؟ كمثل رجل أصابه مطر غزير وابل فالتفت فإذا هو بمصراعين عظيمين فقال: لو دخلت هذا البيت حتى يذهب عني [هذا] (رحمه الله٣) المطر فدخل فإذا البيت لا سقف له جلست إليكم وأنا أرجو أن تكونوا على ذكر وخير فإذا أنتم أصحاب دنيا.قال: وقال له قائل حين كبر ورق لو قصرت عن بعض ما تصنع، فقال: أرأيتم لو أرسلتم الخيل ألستم تقولون لفارسها ودعها وارفق بها حتى إذا

---

(١) تفسير الماوردي = النكت والعيون الماوردي ٢٥/٤

رأيتم الغاية فلا تستبقوا منها شيئا؟ قالوا: بلى قال: فإني قد أبصرت الغاية وإن لكل شيء غاية وغاية كل ساعي الموت فسابق ومسبوق.وأما الأسود بن يزيد فكان يجتهد في العبادة يصوم حتى يخضر جسده ويصفر وكان علقمة بن قيس يقول له لم تعذب هذا الجسد؟ فيقول: -[١٢٥٤]- إن الأمر جد كرامة هذا الجسد أريد فلما احتضر بكى فقيل له: ما هذا الجزع قال: ومالي لا أجزع ومن أحق بذلك مني والله لو أتيت بالمغفرة من الله لهمني الحياء منه مما قد صنعت إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيعفو عنه ولا يزال مستحيا منه ولقد حج ثمانين حجة.وأما مسروق بن الأجدع فإن امرأته قالت: ما كان يوجد إلا وساقيه قد انتفختا من طول الصلاة قالت: وإن كنت والله لأجلس خلفه فأبكي رحمة له فلما احتضر بكى فقيل له: ما هذا الجزع؟ فقال: ومالي لا أجزع وإنما هي ساعة ثم لا أدري أين يسلك بي طريقان بعد يومي لا أدري إلى الجنة أم إلى النار؟وأما الحسن بن أبي الحسن فما رأيت أحدا من الناس كان أطول حزنا منه ما كنا نراه إلا أنه حديث عهد بمصيبة ثم قال: نضحك ولا ندري لعل الله تعالى اطلع على بعض أعمالنا فقال: لا أقبل منكم شيئا ويحك يا ابن آدم ما لك في محاربة الله من طاقة إنه من عصى الله فقد حاربه والله لقد أدركت سبعين بدريا أكثر ثيابهم (رَحِمَهُ اللَّهُ٤) الصوف لو رأيتموهم لقلتم: مجانين ولو رأوا خياركم لقالوا: ما لهؤلاء من خلاق ولو رأوا شراركم لقالوا: ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب ولقد رأيت أقواما كانت الدنيا أهون على أحدهم من التراب تحت قدميه ولقد رأيت أقواما عسى أحدهم ألا يجد عشاء إلا قوتا (رَحِمَهُ اللَّهُ٥) فيقول: لا أجعل هذا كله في بطني لأجعلن بعضه لله فيتصدق به وإن كان أجوع ممن يتصدق به عليه.قال علقمة بن مرثد فلما قدم عمر بن هبيرة العراق أرسل إلى الحسن وإلى الشعبي فأمر لهما ببيت فكانا فيه شهرا أو نحوه ثم إن الخصي -[١٢٥٥]- غدا عليهما ذات يوم فقال إن الأمير داخل عليكما يعني فدخل عمر بن هبيرة متوكئ على عصا له فسلم ثم جلس معظما لهما فقال إن الأمير يزيد بن عبد الملك يكتب إلي كتبا أعرف أن في إنفاذها الهلكة فإن أطعته عصيت الله وإن عصيته أطعت الله فما تريا لي في متابعتي إياه فرجا قال الحسن أجب الأمير فتكلم الشعبي فانحط في حبل ابن هبيرة فقال ما تقول أنت يا أبا سعيد فقال أيها الأمير قد قال الشعبي ما قد سمعت قال ما تقول قال أقول يا عمر بن هبيرة يوشك أن ينزل بك ملك من ملائكة الله فظا غليظا لا يعصي الله ما أمره فيخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك يا عمر بن هبيرة إن تعصي الله لا يعصمك من يزيد بن عبد الملك ولن يعصمك يزيد بن عبد الملك من الله يا عمر بن هبيرة لا تأمن أن ينظر الله إليك نظرة مقت على أقبح ما تعمل في طاعة يزيد بن عبد الملك فيغلق بها باب المغفرة دونك يا عمر بن هبيرة لقد أدركت ناسا من صدر هذه الأمة كانوا والله على الدنيا وهي مقبلة أشد إدبارا عليها من إقبالكم عليها وهي مدبرة يا عمر بن هبيرة إني أخوفك مقاما خوفكه الله فقال ﴿ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد﴾ يا عمر بن هبيرة إن تك مع الله في طاعته كفاك بائقة يزيد بن عبد الملك وإن تك مع يزيد بن عبد الملك على معصية الله وكلك إليهقال فبكى ابن هبيرة وقام بعبرته قال: فلما كان من الغد أرسل إليهما بإذنهما وجوائزهما فأكثر فيها للحسن وكان في جائزة الشعبي بعض الإقتار فخرج الشعبي إلى المسجد فقال أيها الناس من استطاع منكم أن يؤثر الله على خلقه فليفعل فوالذي نفسي بيده ما -[١٢٥٦]- علم الحسن منه شيئا فجهلته ولكن أردت وجه ابن هبيرة فأقصاني الله منه فكان الحسن مع الله على طاعته فحباه الله وأدناهقال وقام المغيرة بن مخادش ذات يوم إلى الحسن فقال كيف نصنع بمجالسة أقوام يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير؟ فقال الحسن والله لأن تصحب أقواما يخوفونك

حتى يدركك الأمن خير لك من أن تصحب أقواما يؤمنونك حتى تلحقك المخاوف فقال له بعض القوم أخبرنا بصفة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فبكى ثم قال ظهرت منهم علامات بالخير في السيماء والصمت والصدق وآنست علانيتهم بالاقتصاد ومماثلهم بالتواضع ومنطقهم بالعمل ويطيب مطعمهم ومشربهم بالطيب من الرزق وخضوعهم بالطاعة لربهم واستعدادهم للحق فيما أحبوا وكرهوا وإعطائهم الحق من أنفسهم للعدو والصديق وتحفظهم في المنطق مخافة الوزر ومسارعتهم في الخير رجاء الأجر والاجتهاد لله رموا جهازهم في أجسادهم وكانوا أوصياء أنفسهم ظمئت هواجرهم ونحلت أجسامهم واستحقوا سخط المخلوقين برضا الخالق لم يفرطوا في غضب ولم يحيفوا في جور ولا تجاوزوا حكم الله في القرآن شغلوا الألسن بالذكر وبذلوا لله دماءهم حين استنصرهم وبذلوا لله أموالهم حين استقرضهم فلم يكن خوفهم من المخلوقين حسنت أخلاقهم وهانت مؤنتهم فكفى اليسير من دنياهم إلى آخرتهم.وأما أويس القرني فإن أهله ظنوا أنه مجنون فبنوا له بيتا على باب -[١٢٥٧]- دارهم فكان يأتي عليه السنة والسنتان لا يرون له وجها كان طعامه مما يلقط من النوى فإذا أمسى باعه لإفطاره وإن أصاب حشفة خبأها لإفطاره.قال فلما ولي عمر بن الخطاب [رضي الله عنه] قال يا أيها الناس قوموا بالموسم فقال ألا اجلسوا إلا من كان من أهل اليمن فجلسوا فقال ألا اجلسوا إلا من كان من أهل الكوفة فجلسوا فقال ألا اجلسوا إلا من كان من مراد فجلسوا فقال ألا اجلسوا إلا من كان من قرن فجلسوا إلا رجل وكان عم أويس بن أنيس فقال عمر له أقرني أنت قال نعم قال أتعرف أويس قال وما تسأل عن ذلك يا أمير المؤمنين فوالله ما فينا أحمق منه ولا أجن منه ولا أهوج منه فبكى عمر قال بك لا به سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل الجنة بشفاعته مثل ربيعة ومضرفقال هرم بن حيان العبدي فلما بلغني ذلك قدمت الكوفة فلم يكن لي هم إلا طلبه حتى سقطت عليه جالسا على شاطئ الفرات نصف النهار يتوضأ للصلاة فعرفته بالنعت الذي نعت لي فإذا رجل لحيم آدم شديد الأدمة أشعث محلوق الرأس مهيب المنظر وزاد غيره كان رجل أشهل أصهب عريض ما بين المنكبين وفي كتفه اليسرى وضح ضارب بلحيته على صدره ناصب بصره موضع السجود، قال: فسلمت عليه فرد علي السلام ونظر إلي ومددت يدي إليه لأصافحه فأبى أن يصافحني فقلت يرحمك الله يا أويس وغفر لك كيف أنت رحمك الله وخنقتني العبرة من حبي إياه ورقتي عليه لما رأيت من حاله حتى بكيت وبكى قال وأنت فحياك الله يا هرم بن حيان كيف أنت يا أخي من دلك علي؟ قلت الله قال لا إله إلا الله سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا فقلت له فمن أين عرفت اسمي -[١٢٥٨]- واسم أبي وما رأيتك قبل اليوم ولا رأيتني قال أنبأني بذلك العليم الخبير عرفت روحي روحك حيث كلمت نفسي نفسك إن الأرواح لها أنفاس كأنفاس الأجساد وأن المؤمنين ليعرف بعضهم بعضا ويتحابون بروح الله وإن لم يلتقوا ويتعارفوا وإن نأت بهم الديار وتفرقت بهم المنازل قلت حدثني رحمك الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إني لم أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن لي معه صحبة بأبي وأمي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكني قد رأيت رجالا رأوه ولست أحب أن أفتح هذا الباب على نفسي أن أكون محدثا أو قاصا أو مفتيا في نفسي شغل عن الناس قلت أي أخي اقرأ علي آيات من كتاب الله أسمعها منك وأوصني بوصية أحفظها فإني أحبك في اللهقال فأخذ بيدي ثم قال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم قال ربي وأحق القول قول ربي وأصدق الحديث حديث ربي فقرأ ﴿وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما إلا بالحق﴾ إلى قوله ﴿إنه هو العزيز الرحيم﴾ فشهق شهقة فنظرت

إليه وأنا أحسبه قد غشي عليه ثم قال يا هرم بن حيان مات أبوك حيان ويوشك أن تموت أنت فإما إلى الجنة وإما إلى النار ومات أبوك آدم ويوشك أن تموت وماتت أمك حواء يا ابن حيان ومات نوح نبي الله ومات إبراهيم خليل الله ومات موسى نجي الرحمن ومات داود خليفة الرحمن ومات محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين ومات أبو بكر رضي الله عنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات أخي وصديقي عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقلت له إن عمر لم يمت قال بلى قد نعاه إلي ربي ونعى إلي نفسي وأنا -[١٢٥٩]- وأنت من الموتى ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا بدعوات خفاف ثم قال: هذه وصيتي إياك كتاب الله ونعي المرسلين ونعى صالح المؤمنين وعليك بذكر الموت ولا يفارق قلبك طرفة عين ما بقيت فأنذر بها قومك إذا رجعت إليهم وانصح الأمة جميعا وإياك أن تفارق الجماعة فتفارق دينك وأنت لا تعلم فتدخل النار وادع لي ولنفسك ثم قال اللهم إن هذا يزعم أنه يحبني فيك وزارني من أجلك فعرفني وجهه في الجنة وأدخله علي في دارك دار السلام واحفظه ما دام في الدنيا حيا وأرضه باليسير واجعله لما أعطيته من نعمتك من الشاكرين واجزه عني خيرا ثم قال السلام عليك ورحمة الله وبركاته لا أراك بعد اليوم يرحمك الله فإني أكره الشهرة والوحدة أعجب إلي لأني كثير الغم ما دمت مع هؤلاء الناس حيا ولا تسأل عني ولا تطلبني واعلم أنك مني على بال وإن لم أرك وتراني فادع لي فإني سأدعو لك وأذكرك إن شاء الله انطلق أنت ها هنا حتى آخذ أنا ها هنا فحرصت أن أمشي معه ساعة فأبى علي ففارقته وأنا أبكي وبكى (رحمه الله٦) فجعلت أنظر في قفاه حتى دخل بعض السكك ثم سألت عنه بعد ذلك وطلبته فما وجدت أحدا يخبرني عنه بشيء رحمه الله وغفر له وما أتت علي جمعة إلا وأنا أراه في منامي مرة أو مرتين.هذا حديث غريب من حديث يزيد بن عطاء الواسطي وهو مولى أبي عوانة من فوق عن علقمة بن مرثد الحضرمي ما نعرفه إلا من حديث يحيى بن سعيد العطار الحمصي عنه وقد رواه محمد بن مصفى الحمصي أيضا عن يحيى بن سعيد العطار كما رواه أبو عتبة، وقد روي من غير هذا الوجه والله أعلم.رحمه الله____________(رحمه الله١) [[من طبعة السلفي]](رحمه الله٢) [[في طبعة السلفي: ضعفاء]](رحمه الله٣) [[من طبعة السلفي]](رحمه الله٤) [[في طبعة السلفي: لباسهم]](رحمه الله٥) [[من طبعة السلفي، وفي المطبوع: عياله أقواتا]](رحمه الله٦) [[في طبعة السلفي: ففارقته أبكي ويبكي]]." (١)

"ذلك معناه، ولا يكون الذي يجرى عليه ما يجرى مضطرا إلى ما يجرى. وليس يمكن أن يقال إنه ليس له اختيار «١» ، بل يكون مختارا ولكن سببه عليه مشكل، والعجب من هذا أن العبارة عنه كالبعيد.قوله جل ذكره:[سورة الحج (٢٢) : آية ٣٣]لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣)لكل من تلك الجملة منفعة بقدره وحده «٢» فلأقوام بركات فى دفع البلايا عن نفوسهم وعن أموالهم، ولآخرين فى لذاذات بسطهم، ولآخرين فى حلاوة طاعاتهم، ولآخرين فى أنس أنفاسهم.قوله جل ذكره:[سورة الحج (٢٢) : آية ٣٤]ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤)الشرائع مختلفة فيما كان من المعاملات، متفقة فيما كان من جملة المعارف، ثم هم فيها مختلفون: فقوم هم أصحاب التضعيف «٣» فيما أوجب عليهم

---

(١) فوائد الحنائي = الحنائيات أبو القاسم الحنائي ١٢٥٢/٢

وجعل لهم، وقوم هم أصحاب التخفيف فيما ألزموا وفيما وعد لهم. قوله «ليذكروا اسم الله على..» وذكر اسم الله على ما رزقهم على أقسام: منها معرفتهم إنعام الله بذلك عليهم.. وذلك من حيث الشكر، ثم يذكرون اسمه على ما رفقهم لمعرفته بأنه هو الذي يتقبل منهم وهو الذي يثيبهم.قوله جل ذكره: فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين.أي استسلموا لحكمه بلا تعبيس ولا استكراه من داخل القلب.____________(١) هذه وجهة نظر باحث صوفى فيما يشغل المتكلمين عن الجبر والاختيار.(٢) أي بحسب ماله من قدر وهمة، وما هو واقف عنده من حد ورتبة.(٣) أصحاب التضعيف أي أصحاب التشدد الذين يأبون اتباع الرخص، لأن الرخص لا تكون إلا لأرباب الحوائج والأشغال وهؤلاء لا حاجة ولا شغل لهم إلا بالحق.." (١)

"والإسلام «١» يكون بمعنى الإخلاص، والإخلاص تصفية الأعمال من الآفات، ثم تصفية الأخلاق من الكدورات، ثم تصفية الأحوال، ثم تصفية الأنفاس. «وبشر المخبتين» :الإخبات استدامة الطاعة بشرط الاستقامة بقدر الاستطاعة. ومن أمارات الإخبات كمال الخضوع بشرط دوام الخشوع، وذلك بإطراق السريرة.قوله جل ذكره:[سورة الحج (٢٢) : آية ٣٥]الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)الوجل الخوف من المخافة، والوجل عند الذكر على أقسام: إما لخوف عقوبة ستحصل أو لمخافة عاقبة بالسوء تختم، أو لخروج من الدنيا على غفلة من غير استعداد للموت، أو إصلاح أهبة، أو حياء من الله سبحانه فى أمور إذا ذكر اطلاعه- سبحانه- عليها لما بدرت منه تلك الأمور التي هى غير محبوبة.ويقال الوجل على حسب تجلى الحق للقلب فإن القلوب فى حال المطالعة والتجلي تكون بوصف الوجل والهيبة.ويقال وجل له سبب ووجل بلا سبب فالأول مخافة من تقصير، والثاني معدود فى جملة الهيبة «٢» .ويقال الوجل خوف المكر والاستدراج، وأقربهم من الله قلبا أكثرهم من الله- على هذا الوجه- خوفا.قوله جل ذكره: والصابرين على ما أصابهم.أي خامدين تحت جريان الحكم من غير استكراه ولا تمنى خرجة، ولا روم فرجة بل يستسلم طوعا:____________(١) هكذا فى م ولكنها فى ص (السلام) والصواب الأولى ففى الآية (أسلموا) .(٢) فالخوف إذن أدنى منزلة من الهيبة، والترتيب هكذا: الخوف والرجاء ثم القبض والبسط ثم الهيبة والأنس (الرسالة ص ٣٥ وص ٣٦) .." (٢)

"والأعظم، ﴿فإنها من تقوى القلوب﴾ [الحج: ٣٢] أي: فبان تعظيمها، ثم حذف المضاف لدلالة يعظم على التعظيم، وأضاف التقوى إلى القلوب، لأن حقيقة التقوى تقوى القلوب.قوله: لكم فيها في الشعائر، منافع بركوبها وشرب لبنها إن احتاج إليه، ﴿إلى أجل مسمى﴾ [الحج: ٣٣] إلى أن ينحر، فهذا قول عطاء بن أبي رباح، ومذهب الشافعي، وعنده أن المهدي لو ركب هدية ركوبا غير فادح فلا بأس، والأكثرون من المفسرين يذهبون إلى أن المنافع من رسلها ونسلها وركوب ظهرها وأصوافها وأدبارها، إنما يكون قبل أن يسميها هديا، فإذا سماها هديا انقطعت المنافع بعد ذلك.وهو قوله: ﴿إلى أجل مسمى﴾ [الحج: ٣٣] وبعد أن سميت هديا لا ينتفع بها غير أهل الله، والقول هو الأول

---

(١) لطائف الإشارات = تفسير القشيري القشيري، عبد الكريم ٥٤٣/٢

(٢) لطائف الإشارات = تفسير القشيري القشيري، عبد الكريم ٥٤٤/٢

لقوله تعالى: ﴿لكم فيها منافع﴾ [الحج: ٣٣] أي: في الشعائر، وقبل إيجابها لا تسمى شعائر، ولما روى أبو هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يسوق بدنة، فقال: «اركبها» .فقال: إنها بدنة.فقال: «اركبها ويحك» ، أو «ويلك» .وقوله: ثم محلها أي: حيث يحل نحرها، ﴿إلى البيت العتيق﴾ [الحج: ٣٣] يعني: عند البيت، وهو الحرم كله.﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين ﴿٣٤﴾ الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ﴿٣٥﴾ ﴾ [الحج: ٣٤-٣٥] قوله: ولكل أمة أي: جماعة مؤمنة، يعني: من الذين سلفوا، جعلنا منسكا المنسك ههنا مصدر من نسك ينسك إذا ذبح القربان، قال مجاهد: يريد إراقة الدماء.وقال عكرمة، ومقاتل: يعني ذبح.وقرأ حمزة بكسر السين، والفتح أولى، لأن المصدر من هذا الباب بفتح العين، والمعنى: جعلنا لكل أمة أن يتقرب إلى الله بأن تذبح الذبائح، ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم﴾ [الحج: ٣٤] أي: على نحر ما رزقهم، ﴿من بهيمة الأنعام﴾ [الحج: ٣٤] وبهيمة غير الأنعام لا يحل ذبحها، ولا التقرب بها، والآية دالة على أن الذبائح ليست من خصائص هذه الأمة، وأن التسمية على الذبائح كانت مشروعة قبلنا، وقوله: ﴿فإلهكم إله واحد﴾ [الحج: ٣٤] أي: لا ينبغي أن تذكروا على ذبائحكم إلا الله وحده، فله أسلموا انقادوا وأطيعوا، وبشر المخبتين المتواضعين المطمئنين إلى الله.﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ [الحج: ٣٥] إذا خوفوا بالله خافوا، ﴿والصابرين على ما أصابهم﴾ [الحج: ٣٥] من البلاء والمصائب في طاعة الله، والمقيمين الصلاة في أوقاتها، يؤدونها كما استحفظهم الله، ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ [الحج: ٣٥] قال ابن عباس: يتصدقون من الواجب وغيره.قوله: ﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون﴾ [الحج: ٣٦]." (١)

"كانت لكل أمة، وعلى أن الضحايا لم تزل من الأنعام، وأن التسمية على الذبح كانت مشروعة.قوله تعالى: ﴿فإلهكم إله واحد﴾ قال أبو إسحاق: أي لا ينبغي أن تذكروا على ذبائحكم (رحمه الله١) إلا الله وحده (رحمه الله٢).وقوله ﴿أسلموا﴾ أي: انقادوا وأطيعوا. وقال ابن عباس: أخلصوا (رحمه الله٣).وقوله: ﴿وبشر المخبتين﴾ قال ابن عباس، وقتادة، والضحاك: المتواضعين (رحمه الله٤). وقال مجاهد: المطمئنين إلى الله سبحانه (رحمه الله٥). وقال الأخفش: الخاشعين (رحمه الله٦). وقال ابن جرير: الخاضعين (رحمه الله٧).رحمه الله______________(رحمه الله١) في (أ): (ذبائحهم).(رحمه الله٢) "معاني القرآن" للزجاج ٣/ ٤٢٧.(رحمه الله٣) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" ٦/ ٤٨ عن مقاتل بن حيان، وعزاه لابن أبي حاتم.(رحمه الله٤) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ٣/ ٥٢ ب عن ابن عباس وقتادة.ورواه عبد الرزاق في "تفسيره" ٢/ ٣٨ والطبري ١٧/ ١٦١ عن قتادة.ورواه ابن أبي شيبة في "مصنفه" ١٣/ ٥٨٠ عن الضحاك، وذكره السيوطي في "الدر المنثور" ٦/ ٤٩ عنه وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.(رحمه الله٥) ذكره عنه بهذا اللفظ الثعلبي في "الكشف والبيان" ٣/ ٥٢ ب.ورواه الطبري ١٧/ ١٦١ مقتصرا على أدلة. وذكره السيوطي في "الدر المنثور" ٦/ ٤٨ بمثل رواية الطبري وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.(رحمه الله٦) ذكره عنه الثعلبي في "الكشف

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٣/٢٧١

والبيان" ٣/ ٥٢ ب. ولم أجده في كتابه "معاني القرآن".(ﷺ٧) قوله في "تفسيره" ١٧/ ١٦١ بأطول من هذا حيث قال: الخاضعين لله بالطاعة، المذعنيق له بالعبودية، المنيبين إليه بالتوبة.." (١)

"﴿ولكل أمة﴾ جماعة سلفت قبلكم ﴿جعلنا منسكا﴾ ذبحا للقرابين ﴿ليذكروا اسم الله﴾ عند الذبح ﴿على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ يعني: الأنعام ﴿فإلهكم إله واحد﴾ أي: لا تذكروا على ذبائحكم إلا الله وحده ﴿فله أسلموا﴾ أخلصوا العبادة ﴿وبشر المخبتين﴾ المتواضعين." (٢)

"﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) والبدن جعلناها لكم من﴾ مذبحا، ويقال: متعبدا.وقوله: ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ يعني: ليذكروا اسم الله تعالى على نحر ما رزقهم الله من بهيمة الأنعام.وقوله: ﴿فإلهكم إله واحد﴾ يعني: سموا على الذبائح اسم الله تعالى وحده، فإن إلهكم إله واحد.وقوله: ﴿فله أسلموا﴾ أي: فله أخلصوا.وقوله: ﴿وبشر المخبتين﴾ فيه أقوال: أحدها: أنه بمعنى المتواضعين، وقال إبراهيم النخعي: بمعنى المخلصين، وقال غيره: بمعنى الصالحين، ويقال: بمعنى المسلمين، وعن عمرو بن أوس قال: هم الذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لم ينتصروا، وذكر الكلبي أن المخبتين هم الرقيقة قلوبهم، والخبت هو المكان المطمئن من الأرض، قال امرؤ القيس شعرا:(فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى ... بنا بطن خبت ذي خفاف عقنقل)." (٣)

"وبعد ذلك يجب أن نبين ما يجوز في النسخ وما لا يجوز، وقد علم أن النسخ لا يصح إلا في التعبد الذي هو الأمر والنهي دون الإخبار كما يصح ذلك في الاعتقادات المذكورة إذ كان ذلك أشياء أمرنا أن نعرفها على ما هي بها، فنعتقدها بحسب ما هي عليه، وذلك لا يتغير، وما كان من الآداب الخلقية، فإنما هي ما هي عقليات ظاهرة لا يأتي شرع بخلاف مقتضاها.وأما العبادات والمعاملات والمزاجر فلا يصح، في أصولها النسخ، وإنما يصح في فروعها، وذاك أنه محال أن تنفك شريعة من الشرائع عن عبادة الله تعالى واقعة في حيز البدن، وهي مثل الصلاة، وعبادة في حيز المال، وهي كالزكاة، وعبادة في إمساك الشهوة كالصوم.وأن تنفك عن معاملات تحثهم على العدالة وتمنعهم عن التهارج، وعن مزاجر تزجرهم عن استباحة نفوس الغير وأعراضهم وأموالهم وأنسابهم، وأما هيآتها وأشكالها وأمكنتها وأزمنتها وأعدادها، فهي فروعها التي لم تزل تعرض النسخ على حسب ما عرف الله تعالى من مصلحة كل قوم، ومما يدل على أنه لا نسخ في عامة أصول هذه الأشياء ما ورد من النصوص على ذلك في القرآن نحو قوله تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾، وقوله ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾ الآية، وقال حكاية عن عيسى: ﴿وأوصاني

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٤٠٠/١٥

(٢) الوجيز للواحدي الواحدي ص/٧٣٤

(٣) تفسير السمعاني السمعاني، أبو المظفر ٤٣٩/٣

بالصلاة والزكاة ما دمت حيا﴾وقال في الزكاة: ﴿وويل للمشركين (٦) الذين لا يؤتون الزكاة﴾، وقال في القبلة: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين﴾ ..، وقال في الصوم: ﴿كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم﴾، وقال." (١)

"وقال قوم: لا يركبها إلا أن يضطر إليه.وقال بعضهم: أراد بالشعائر: المناسك ومشاهدة مكة. "لكم فيها منافع" بالتجارة والأسواق "إلى أجل مسمى" وهو الخروج من مكة.وقيل: "لكم فيها منافع" بالأجر والثواب في قضاء المناسك. "إلى أجل مسمى"، أي: إلى انقضاء أيام الحج.﴿ثم محلها﴾ أي: منحرها، ﴿إلى البيت العتيق﴾ أي: منحرها عند البيت العتيق، يريد أرض الحرم كلها، كما قال: ﴿فلا يقربوا المسجد الحرام﴾ (التوبة: ٢٨) أي: الحرم كله.وروي عن جابر في قصة حجة الوداع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ٢٧/أقال: "نحرت هاهنا ومنى كلها منحر فانحروا في رحالكم" (١) .ومن قال: "الشعائر" المناسك، قال: معنى قوله "ثم محلها إلى البيت العتيق" أي: محل الناس من إحرامهم إلى البيت العتيق، أي: أن يطوفوا به طواف الزيادة يوم النحر.﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) ﴾قال الله تعالى: ﴿ولكل أمة﴾ أي: جماعة مؤمنة سلفت قبلكم، ﴿جعلنا منسكا﴾ قرأ حمزة والكسائي بكسر السين هاهنا وفي آخر السورة، على معنى الاسم مثل المسجد والمطلع، أي: مذبحا وهو موضع القربان، وقرأ الآخرون بفتح السين على المصدر، مثل المدخل والمخرج، أي: إراقة الدماء وذبح القرابين، ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ [عند نحرها وذبحها، وسماها بهيمة] (٢) لأنها لا تتكلم، وقال: "بهيمة الأنعام" وقيدها بالنعم، لأن من البهائم ما ليس من الأنعام كالخيل والبغال والحمير، لا يجوز دخلها (٣) في القرابين.﴿فإلهكم إله واحد﴾ أي: سموا على الذبائح اسم الله وحده، فإن إلهكم إله واحد،______________(١) أخرجه مسلم في الحج، باب: ما جاء أن عرفه كلها موقف، برقم (١٢١٨) ٢ / ٨٩٣، والمصنف في شرح السنة: ٧ / ١٥٠.(٢) ما بين القوسين زيادة من "ب".(٣) في "ب" ذبحها.." (٢)

"﴿فله أسلموا﴾ انقادوا وأطيعوا، ﴿وبشر المخبتين﴾ قال ابن عباس وقتادة: المتواضعين. وقال مجاهد: المطمئنين إلى الله عز وجل، "والخبت" المكان المطمئن من الأرض. وقال الأخفش: الخاشعين. وقال النخعي: المخلصين. وقال الكلبي: هم الرقيقة قلوبهم. وقال عمرو بن أوس: هم الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا.﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) ﴾﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم﴾ من البلاء والمصائب ﴿والمقيمي الصلاة﴾ أي: المقيمين للصلاة في أوقاتها، ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ يتصدقون. قوله عز وجل: ﴿والبدن﴾ جمع بدنة سميت بدنة لعظمها وضخامتها، يريد: الإبل العظام الصحاح الأجسام، يقال بدن الرجل بدنا وبدانة إذا ضخم، فأما إذا أسن واسترخى يقال

---

(١) تفسير الراغب الأصفهاني الراغب الأصفهاني ٣٠/١

(٢) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٣٨٥/٥

بدن تبدينا. قال عطاء والسدي: البدن: الإبل والبقر أما الغنم فلا تسمى بدنة. ﴿جعلناها لكم من شعائر الله﴾ من أعلام دينه، سميت شعائر لأنها تشعر، وهو أن تطعن بحديدة في سنامها فيعلم أنها هدي، ﴿لكم فيها خير﴾ النفع في الدنيا والأجر في العقبى، ﴿فاذكروا اسم الله عليها﴾ عند نحرها، ﴿صواف﴾ أي: قياما على ثلاث قوائم قد صفت رجليها وإحدى يديها، ويدها اليسرى معقولة فينحرها كذلك.أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا عبد الله بن مسلمة، أخبرنا يزيد بن زريع، عن يونس، عن زياد بن جبير قال: رأيت ابن عمر أتى على رجل قد أناخ بدنة ينحرها، قال: ابعثها قياما مقيدة سنة محمد صلى الله عليه وسلم (١) .وقال مجاهد: الصواف إذا عقلت رجلها اليسرى وقامت على ثلاث قوائم.وقرأ ابن مسعود: "صوافن" وهي أن تعقل منها يد وتنحر على ثلاث، وهو مثل صواف. وقرأ أبي والحسن ومجاهد: "صوافي" بالياء أي: صافية خالصة لله لا شريك له فيها.﴿فإذا وجبت جنوبها﴾ أي: سقطت بعد النحر فوقعت جنوبها على الأرض. وأصل الوجوب:___________(١) أخرجه البخاري في الحج، باب: نحر الإبل مقيدة: ٣ / ٥٥٣، ومسلم في الحج، باب: نحر البدن قياما مقيدة، برقم (١٣٢٠) ٢ / ٩٥٦، والمصنف في شرح السنة: ٧ / ١٩٨.." (١)

"وقيل: هو قول المشركين في تلبيتهم لبيك لا شريك لك لبيك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك.[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣١ الى ٣٤]حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق (٣١) ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤)حنفاء لله، مخلصين له، غير مشركين به، قال قتادة: كانوا في الشرك يحجون ويحرمون البنات والأمهات والأخوات وكانوا يسمون حنفاء، فنزلت: حنفاء لله غير مشركين به أي: حجاجا لله مسلمين موحدين يعني: من أشرك لا يكون حنيفا. ومن يشرك بالله فكأنما خر، أي: سقط، من السماء، إلى الأرض، فتخطفه الطير، أي: تستلبه الطير وتذهب به، والخطف والاختطاف تناول الشيء بسرعة، وقر أهل المدينة (فتخطفه) بفتح الخاء وتشديد الطاء، أي: يتخطفه، أو تهوي به الريح، أي:تميل وتذهب به، في مكان سحيق، أي بعيد معناه أن بعد من أشرك بالحق كبعد من سقط من السماء فذهبت به الطير، أو هوت به الريح، فلا يصل [إليه] [١] بحال. وقيل: شبه حال المشرك بحال الهاوي من السماء في أنه لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع بحيث تسقطه الريح، فهو هالك لا محالة إما باستلاب الطير لحمه وإما بسقوطه إلى المكان السحيق، وقال الحسن: شبه أعمال الكفار بهذه الحال في أنها تذهب وتبطل فلا يقدرون على شيء منها.ذلك، يعني الذي ذكرت من اجتناب الرجس وقول الزور، ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب، قال ابن عباس: شعائر الله البدن والهدي وأصلها من الإشعار وهو إعلامها ليعرف [٢] أنها هدي وتعظيمها استسمانها واستحسانها، وقيل: شعائر الله أعلام دينه فإنها من تقوى القلوب، أي:فإن تعظيمها من تقوى القلوب.لكم فيها أي: في البدن قبل تسميتها للهدي، منافع، في درها ونسلها وأصوافها وأوبارها وركوب ظهورها، إلى

---

(١) تفسير البغوي – طيبة البغوي ، أبو محمد ٣٨٦/٥

أجل مسمى، وهو أن يسميها ويوجبها هديا فإذا فعل ذلك لم يكن له شيء من منافعها، هذا قول مجاهد، وقتادة والضحاك، ورواه مقسم عن ابن عباس. وقيل معناه: لكم في الهدايا منافع بعد إيجابها وتسميتها هديا بأن تركبوها وتشربوا ألبانها عند الحاجة إلى أجل مسمى، يعني إلى أن تنحروها وهو قول عطاء بن أبي رباح واختلف أهل العلم في ركوب الهدي، فقال قوم: يجوز له ركوبها والحمل عليها غير مضر بها، وهو قول مالك والشافعي وأحمد وإسحاق، لما:«١٤٦١» أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا أبو علي زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو

مصعب__________١٤٦١- إسناده على شرط البخاري ومسلم.- أبو مصعب أحمد بن أبي بكر المدني، مالك بن أنس، أبو الزناد عبد الله بن ذكوان، الأعرج، عبد الرحمن بن هرمز.- وهو في «شرح السنة» ١٩٤٧ بهذا الإسناد.- وهو في «الموطأ» ١/ ٣٧٧ عن أبي الزناد به.(١) زيادة عن المخطوط. [.....](٢) في المطبوع «ليعلم» .." (١)

"عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يسوق بدنة فقال [له] [١] «اركبها، فقال [يا رسول الله] [٢] إنها بدنة، فقال: اركبها [٣] ، ويلك، في الثانية أو الثالثة» «١٤٦٢» وكذلك قال له: «اشرب لبنها بعد ما فضل من ري ولدها» .وقال أصحاب الرأي: لا يركبها. وقال قوم: لا يركبها إلا أن يضطر إليه. وقال بعضهم: أراد بالشعائر المناسك ومشاهدة مكة، لكم فيها منافع بالتجارة والأسواق إلى أجل مسمى، وهو الخروج من مكة. وقيل: لكم فيها منافع بالأجر والثواب في قضاء المناسك إلى أجل مسمى، أي: إلى انقضاء أيام الحج، ثم محلها إلى البيت العتيق أي: منحرها عند البيت العتيق، يريد أرض الحرم كلها، كما قال: فلا يقربوا المسجد الحرام [التوبة: ٢٨] أي: الحرم كله.«١٤٦٣» وروي عن جابر في قصة حجة الوداع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «نحرت هاهنا ومنى كلها منحر فانحروا في رحالكم» .ومن قال الشعائر المناسك قال معنى قوله: ثم محلها إلى البيت العتيق أي: محل الناس من إحرامهم إلى البيت العتيق، أي: أن يطوفوا به طواف الزيادة يوم النحر.قال الله تعالى: ولكل أمة، يعني جماعة مؤمنة سلفت قبلكم، جعلنا منسكا، قرأ حمزة والكسائي بكسر السين هاهنا وفي آخر السورة، على معنى الاسم مثل المجلس [٤] والمطلع، يعني مذبحا وهو موضع القربان، وقرأ الآخرون بفتح السين على المصدر، مثل المدخل والمخرج يعني إهراق [٥] الدماء وذبح القرابين، ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام، عند نحرها وذبحها وسماها بهيمة لأنها لا تتكلم، وقال: بهيمة الأنعام وقيدها بالنعم لأن من البهائم ما ليس من الأنعام كالخيل والبغال والحمير، لا يجوز ذبحها في القرابين. فإلهكم إله واحد، أي: سموا على الذبائح اسم الله وحده فإن إلهكم إله واحد، فله أسلموا، انقادوا وأطيعوا، وبشر المخبتين، قال ابن عباس وقتادة: المتواضعين. وقال مجاهد: المطمئنين إلى الله عز وجل، والخبت المكان المطمئن من الأرض. وقال الأخفش: الخاشعين. وقال النخعي: المخلصين. وقال الكلبي: هم الرقيقة قلوبهم. وقال عمرو [٦] بن__________- وأخرجه البخاري ١٦٨٩ و٦١٦٠ ومسلم ١٣٢٢ ح ٣٧١ وأبو داود ١٧٦٠ والنسائي ٥/ ١٧٦ وأحمد ٢/ ٤٨٧ وابن الجارود في «المنتقى» ٤٢٨ والبيهقي ٥/ ٢٣٦ من طرق عن مالك به.١٤٦٢- لم أره مرفوعا. وإنما أخرجه مالك ١/ ٣٧٨ ومن طريقه البيهقي ٥/ ٢٣٦ عن هشام بن عروة: أن أباه قال: إذا اضطرت إلى

---

(١) تفسير البغوي - إحياء التراث البغوي ، أبو محمد ٣٣٩/٣

بدنتك فاركبها ركوبا غير فادح، وإذا اضطررت إلى لبنها، فاشرب بعد ما يروى فصيلها، فإذا نحرتها فانحر فصيلها معها.-وكذا ذكره المصنف في «شرح السنة» ٤/ ١١٦ من قول عروة بن الزبير.فلعل البغوي سبق قلمه هاهنا، فجعله مرفوعا.١٤٦٣- هو بعض حديث جابر في صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم وقد تقدم برقم ١٤٥١ أخرجه مسلم وغيره.(١) سقط من المطبوع.(٢) سقط من المطبوع.(٣) زيد في المطبوع «فقال إنها بدنه اركبها» .(٤) في المطبوع «المسجد» .(٥) في المطبوع «إراقه» .(٦) تصحف في المطبوع «عمر» وفي المخطوط «عروة» والمثبت عن «الدر المنثور» ٤/ ٦٤٩ وكتب التراجم.." (١)

"إلى من ليرتبط به، وإنما ذكرت القلوب لأنها مراكز التقوى التي إذا ثبتت فيها وتمكنت، ظهر أثرها في سائر الأعضاء. إلى أجل مسمى إلى أن تنحر ويتصدق بلحومها ويؤكل منها.وثم للتراخي في الوقت، فاستعيرت للتراخي في الأحوال. والمعنى: أن لكم في الهدايا منافع كثيرة في دنياكم ودينكم، وإنما يعتد الله بالمنافع الدينية، قال سبحانه تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة وأعظم هذه المنافع وأبعدها شوطا في النفع: محلها إلى البيت أى وجوب نحرها. أو وقت وجوب نحرها في الحرم منتهية إلى البيت، كقوله هديا بالغ الكعبة والمراد نحرها في الحرم الذي هو في حكم البيت، لأن الحرم هو حريم البيت. ومثل هذا في الاتساع قولك: بلغنا البلد، وإنما شارفتموه واتصل مسيركم بحدوده. وقيل: المراد بالشعائر: المناسك كلها، ومحلها إلى البيت العتيق يأباه.[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٤ الى ٣٥]ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)شرع الله لكل أمة أن ينسكوا له: أى يذبحوا لوجهه على وجه التقرب، وجعل العلة في ذلك أيذكر اسمه تقدست أسماؤه على النسائك: وقرئ منسكا بفتح السين وكسرها، وهو مصدر بمعنى النسك، والمكسور يكون بمعنى الموضع فله أسلموا أى أخلصوا له الذكر خاصة، واجعلوه لوجهه سالما، أى: خالصا لا تشوبوه بإشراك.المخبتون: المتواضعون الخاشعون، من الخبت وهو المطمئن من الأرض. وقيل: هم الذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لم ينتصروا. وقرأ الحسن والمقيمي الصلاة بالنصب على تقدير النون. وقرأ ابن مسعود: والمقيمين الصلاة، على الأصل.[سورة الحج (٢٢) : آية ٣٦]والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦)البدن جمع بدنة، سميت لعظم بدنها وهي الإبل خاصة، ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم." (٢)

"قوله عز وجل:[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٢ الى ٣٥]ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)التقدير في هذا الموضع الأمر ذلك، و «الشعائر» جمع شعيرة

---

(١) تفسير البغوي - إحياء التراث البغوي ، أبو محمد ٣٤٠/٣

(٢) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ١٥٧/٣

وهي كل شيء لله تعالى، فيه أمر أشعر به وأعلم، قالت فرقة: قصد ب «الشعائر» في هذه الآية الهدي والأنعام المشعرة، ومعنى تعظيمها تسميتها والاهتبال بأمرها والمغالاة بها قاله ابن عباس ومجاهد وجماعة، وعود الضمير في «إنها» على التعظمة والفعلة التي يتضمنها الكلام، وقرأ «القلوب» بالرفع على أنها فاعلة بالمصدر الذي هو تقوى، ثم اختلف المتأولون في قوله لكم فيها منافع الآية، فقال مجاهد وقتادة: أراد أن للناس في أنعامهم منافع من الصوف واللبن وغير ذلك ما لم يبعثها ربها هديا فإذا بعثها فهو «الأجل المسمى» ، وقال عطاء بن أبي رباح: أراد في الهدي المبعوث منافع من الركوب والاحتلاب لمن اضطر، و «الأجل» نحرها وتكون ثم لترتيب الجمل، لأن المحل قبل الأجل ومعنى الكلام عند هاتين الفرقتين ثم محلها إلى موضع النحر فذكر البيت لأنه أشرف الحرم وهو المقصود بالهدي وغيره، وقال ابن زيد وابن عمر والحسن ومالك:«الشعائر» في هذه الآية مواضع الحج كلها ومعالمه بمنى وعرفة والمزدلفة والصفا والمروة والبيت وغير ذلك، وفي الآية التي تأتي أن البدن من الشعائر، و «المنافع» التجارة وطلب الرزق، ويحتمل أن يريد كسب الأجر والمغفرة، وبكل احتمال قالت فرقة و «الأجل» الرجوع إلى مكة لطواف الإفاضة وقوله، محلها مأخوذ من إحلال المحرم ومعناه ثم أخر هذا كله إلى طواف الإفاضة ب البيت العتيق، ف البيت على هذا التأويل مراد بنفسه، قاله مالك في الموطأ، ثم أخبر تعالى أنه جعل لكل أمة من الأمم المؤمنة منسكا أي موضع نسك وعبادة وهذا على أن المنسك ظرف كالمذبح ونحوه، ويحتمل أن يريد به المصدر، كأنه قال عبادة ونحو هذا، والناسك العابد، وقال مجاهد: سنة في هراقة دماء الذبائح، وقرأ معظم القراء «منسكا» بفتح السين وهو من نسك ينسك بضم السين في المستقبل، وقرأ حمزة والكسائي «منسكا» بكسر السين قال أبو علي: الفتح أولى لأنه إما المصدر وإما المكان وكلاهما مفتوح والكسر في هذا من الشاذ في اسم المكان أن يكون مفعل من فعل يفعل مثل مسجد من سجد يسجد، ولا يسوغ فيه القياس، ويشبه أن الكسائي سمعه من العرب. وقوله ليذكروا اسم الله معناه أمرناهم عند ذبائحهم بذكر الله وأن يكون الذبح له لأنه رازق ذلك، ثم رجع اللفظ من الخبر عن الأمم إلى إخبار الحاضرين بما معناه فالإله واحد لجميعكم بالأمر كذلك في الذبيحة إنما ينبغي أن تخلص له، وأسلموا معناه لحقه ولوجهه ولإنعامه آمنوا وأسلموا، ويحتمل أن يريد الاستسلام ثم أمر تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يبشر بشارة على الإطلاق وهي أبلغ من المفسرة لأنها مرسلة مع نهاية التخيل،." (١)

"والمخبتين المتواضعين الخاشعين من المؤمنين، والخبت ما انخفض من الأرض والمخبت المتواضع الذي مشيه متطامن كأنه في حدود من الأرض وقال عمرو بن أوس المخبتون الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا.قال القاضي أبو محمد: وهذا مثال شريف من خلق المؤمن الهين اللين، وقال مجاهد: هم المطمئنون بأمر الله، ووصفهم تعالى بالخوف والوجل عند ذكر الله، وذلك لقوة يقينهم ومراعاتهم لربهم، وكأنهم بين يديه، ووصفهم بالصبر وبإقامة الصلاة وإدامتها، وقرأ الجمهور «الصلاة» بالخفض، وقرأ ابن أبي إسحاق «الصلاة» بالنصب على توهم النون وأن حذفها للتخفيف، ورويت عن أبي عمرو، وقرأ الأعمش «والمقيمين الصلاة» بالنون والنصب في «الصلاة» ، وقرأ الضحاك «والمقيم الصلاة» ، وروي أن هذه الآية، قوله وبشر المخبتين نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم.قوله عز وجل:[سورة الحج (٢٢) :

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١٢١/٤

الآيات ٣٦ الى ٣٧]والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧)البدن جمع بدنة وهي ما أشعر من ناقة أو بقرة، قاله عطاء وغيره وسميت بذلك لأنها تبدن أي تسمن، وقيل بل هذا الاسم خاص بالإبل، وقالت فرقة البدن جمع بدن بفتح الدال والباء ثم اختلفت، فقال بعضها البدن مفرد اسم جنس يراد به العظيم السمين من الإبل والبقر، ويقال للمسلمين من الرجال بدن، وقال بعضها البدن جمع بدنة كثمرة وثمر، وقرأ الجمهور «والبدن» ساكنة الدال، وقرأ أبو جعفر وشيبة والحسن وابن أبي إسحاق «البدن» بضم الدال، فيحتمل أن يكون جمع بدنة كثمر، وعدد الله تعالى في هذه الآية نعمته على الناس في هذه البدن، وقد تقدم القول في «الشعائر» ، و «الخير» قيل فيه ما قيل في المنافع التي تقدم ذكرها والصواب عمومه في خير الدنيا والآخرة، وقوله، عليها يريد عند نحرها، وقرأ جمهور الناس «صواف» بفتح الفاء وشدها جمع صافة أي مصطفة في قيامها، وقرأ الحسن ومجاهد وزيد بن أسلم وأبو موسى الأشعري وشقيق وسليمان التيمي والأعرج «صوافي» جمع صافية أي خالصة لوجه الله تعالى لا شركة فيها لشيء كما كانت الجاهلية تشرك، وقرأ الحسن أيضا «صواف» بكسر الفاء وتنوينها مخففة وهي بمعنى التي قبلها لكن حذفت الياء تخفيفا على غير قياس وفي هذا نظر، وقرأ ابن مسعود وابن عمر وابن عباس وأبو جعفر محمد بن علي «صوافن» بالنون جمع صافنة وهي التي قد رفعت إحدى يديها بالعقل لئلا تضطرب، والصافن من الخيل الرافع لفراهيته إحدى يديه وقيل إحدى رجنيه ومنه قوله تعالى: الصافنات الجياد [ص: ٣١] .وقال عمرو بن كلثوم:تركنا الخيل عاكفة عليه ... مقلدة أعنتها صفونا." (١)

"من الأوثان: «من» لتلخيص الجنس، أي: اجتنبوا الرجس الذي هو وثن «١» .٣١ حنفاء لله: مستقيمي الطريقة على أمر الله «٢» .٣٢ ومن يعظم شعائر الله: مناسك الحج «٣» ، أو يعظم البدن المشعرة ويسمنها ويكبرها «٤» .٣٣ إلى أجل مسمى: إلى أن تقلد أو تنحر «٥» .٣٤ جعلنا منسكا: حجا «٦» . وقيل «٧» : عيدا وذبائح.وبشر المخبتين: المطمئنين بذكر الله.______________(١) نص هذا القول في معاني القرآن للزجاج: ٣/ ٤٢٥، وذكره النحاس في إعراب القرآن:٣/ ٩٦، ونقله ابن الجوزي في زاد المسير: ٥/ ٤٢٨ عن الزجاج.(٢) تفسير الماوردي: ٣/ ٧٨، والمفردات للراغب: ١٣٣، وتفسير القرطبي: ١٢/ ٥٥. [.....](٣) أخرج الطبري نحو هذا القول في تفسيره: ١٧/ ١٥٦ عن ابن زيد.وانظر تفسير الماوردي: ٣/ ٧٩، والمفردات للراغب: ٢٦٢، وزاد المسير: ٥/ ٤٣٠.(٤) أخرج الطبري نحو هذا القول في تفسيره: ١٧/ ١٥٦ عن ابن عباس، ومجاهد.وأورده السيوطي في الدر المنثور: ٦/ ٥٦، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما.(٥) ينظر تفسير الطبري: ١٧/ ١٥٨، وتفسير الماوردي: ٣/ ٧٩، وتفسير البغوي: ٣/ ٢٨٧.(٦) نقل الماوردي هذا القول في تفسيره: ٣/ ٨٠ عن

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١٢٢/٤

قتادة، وكذا القرطبي في تفسيره:١٢/ ٥٨.(٧) ذكره الزجاج في معانيه: ٣/ ٤٢٦، والماوردي في تفسيره: ٣/ ٨٠، ورجحه القرطبي في تفسيره: ١٢/ ٥٨.." (١)

"الحسن، والأعمش: بفتح التاء وكسر وتشديد الطاء ورفع الفاء. وكلهم فتح الطاء. وفي المراد بهذا المثل قولان: أحدهما: أنه شبه المشرك بالله في بعده عن الهدى وهلاكه، بالذي يخر من السماء، قاله قتادة. والثاني: أنه شبه حال المشرك في أنه لا يملك لنفسه نفعا ولا دفع ضر يوم القيامة، بحال الهاوي من السماء، حكاه الثعلبي.قوله تعالى: ذلك أي: الأمر ذلك الذي ذكرناه ومن يعظم شعائر الله قد شرحنا معنى الشعائر في البقرة «١» . وفي المراد بها ها هنا قولان: أحدهما: أنها البدن. وتعظيمها: استحسانها واستسمانها لكم فيها منافع قبل أن يسميها صاحبها هديا، أو يشعرها ويوجبها، فإذا فعل ذلك، لم يكن له من منافعها شيء، روى هذا المعنى مقسم عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وقتادة، والضحاك.وقال عطاء بن أبي رباح: لكم في هذه الهدايا منافع بعد إيجابها وتسميتها هدايا إذا احتجتم إلى شيء من ذلك أو اضطررتم إلى شرب ألبانها إلى أجل مسمى وهو أن تنحر. والثاني: أن الشعائر: المناسك ومشاهد مكة والمعنى: لكم فيها منافع بالتجارة إلى أجل مسمى، وهو الخروج من مكة، رواه أبو رزين عن ابن عباس. وقيل: لكم فيها منافع من الأجر، والثواب في قضاء المناسك إلى أجل مسمى، وهو انقضاء أيام الحج.قوله تعالى: فإنها يعني الأفعال المذكورة، من اجتناب الرجس وقول الزور، وتعظيم الشعائر. وقال الفراء: «فإنها» يعني الفعلة من تقوى القلوب، وإنما أضاف التقوى إلى القلوب، لأن حقيقة التقوى تقوى القلوب. قوله تعالى: ثم محلها أي: حيث يحل نحرها إلى البيت يعني:عند البيت، والمراد به: الحرم كله «٢» ، لأنا نعلم أنها لا تذبح عند البيت، ولا في المسجد، هذا على القول الاول، وعلى الثاني، يكون المعنى: ثم محل الناس من إحرامهم إلى البيت، وهو أن يطوفوا به بعد قضاء المناسك.[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٤ الى ٣٥]ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)قوله تعالى: ولكل أمة جعلنا منسكا قرأ حمزة، والكسائي، وبعض أصحاب أبي عمرو بكسر السين، وقرأ الباقون بفتحها: فمن أراد المصدر، من نسك ينسك، ومن كسر أراد مكان النسك كالمجلس والمطلع. ومعنى الآية: لكل جماعة مؤمنة من الأمم السالفة جعلنا ذبح القرابين ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام، وإنما خص بهيمة الأنعام، لأنها المشروعة في القرب.والمراد من الآية: أن الذبائح ليست من خصائص هذه الأمة، وأن التسمية عليها كانت مشروعة قبل هذه الأمة. قوله تعالى: فإلهكم إله واحد: لا ينبغي أن تذكروا على ذبائحكم سواه فله أسلموا أي:انقادوا واخضعوا. وقد ذكرنا معنى الإخبات في سورة هود «٣» . وكذلك ألفاظ الآية التي تلي هذه.________(١) سورة البقرة: ١٥٨.(٢) تقدم الكلام عن محل الذبح في سورة المائدة.(٣) سورة هود: ٢٣. [.....]." (٢)

---

(١) إيجاز البيان عن معاني القرآن النيسابوري، بيان الحق ٥٧٧/٢

(٢) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٢٣٦/٣

"بدنة فيها جمل لأبي في أنفه برة من ذهب»والوجه الثاني: في تعظيم شعائر الله تعالى أن يعتقد أن طاعة الله تعالى في التقرب بها وإهدائها إلى بيته المعظم أمر عظيم لا بد وأن يحتفل به ويتسارع فيه فإنها من تقوى القلوب أي إن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات، ولا يستقيم المعنى إلا بتقديرها لأنه لا بد من راجع من الجزاء إلى من ارتبط به وإنما ذكرت القلوب لأن المنافق قد يظهر التقوى من نفسه.ولكن لما كان قلبه خاليا عنها لا جرم لا يكون مجدا في أداء الطاعات، أما المخلص الذي تكون التقوى متمكنة في قلبه/ فإنه يبالغ في أداء الطاعات على سبيل الإخلاص، فإن قال قائل: ما الحكمة في أن الله تعالى بالغ في تعظيم ذبح الحيوانات هذه المبالغة؟ فالجواب قوله تعالى:[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٣ الى ٣٥]لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)اعلم أن قوله تعالى: لكم فيها منافع إلى أجل مسمى لا يليق إلا بأن تحمل الشعائر على الهدي الذي فيه منافع إلى وقت النحر، ومن يحمل ذلك على سائر الواجبات يقول لكم فيها أي في التمسك بها منافع إلى أجل ينقطع التكليف عنده، والأول هو قول جمهور المفسرين، ولا شك أنه أقرب. وعلى هذا القول فالمنافع مفسرة بالدر والنسل والأوبار وركوب ظهورها، فأما قوله إلى أجل مسمى ففيه قولان: أحدهما: أن لكم أن تنتفعوا بهذه البهائم إلى أن تسموها ضحية وهديا فإذا فعلتم ذلك فليس لكم أن تنتفعوا بها، وهذا قول ابن عباس ومجاهد وعطاء وقتادة والضحاك وقال آخرون لكم فيها أي في البدن منافع مع تسميتها هديا بأن تركبوها إن احتجتم إليها وأن تشربوا ألبانها إذا اضطررتم إليها إلى أجل مسمى يعني إلى أن تنحروها هذه هي الرواية الثانية عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو اختيار الشافعي، وهذا القول أولى لأنه تعالى قال: لكم فيها منافع أي في الشعائر ولا تسمى شعائر قبل أن تسمى هدياوروى أبو هريرة أنه عليه السلام «مر برجل يسوق بدنة وهو في جهد، فقال عليه السلام اركبها فقال يا رسول الله إنها هدي فقال اركبها ويلك»وروى جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «اركبوا الهدي بالمعروف حتى تجدوا ظهرا»واحتج أبو حنيفة رحمه الله على أنه لا يملك منافعها بأن لا يجوز له أن يؤجرها للركوب فلو كان مالكا لمنافعها لملك عقد الإجارة عليها كمنافع سائر المملوكات، وهذا ضعيف لأن أم الولد لا يمكنه بيعها، ويمكنه الانتفاع بها فكذا هاهنا.أما قوله تعالى: ثم محلها إلى البيت العتيق فالمعنى أن لكم في الهدايا منافع كثيرة في دنياكم ودينكم وأعظم هذه المنافع محلها إلى البيت العتيق أي وجوب نحرها أو وقت وجوب نحرها منتهية إلى البيت، كقوله:هديا بالغ الكعبة [المائدة: ٩٥] وبالجملة فقوله: محلها يعني حيث يحل نحرها، وأما البيت العتيق فالمراد به الحرم كله، ودليله قوله تعالى: فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا [التوبة: ٢٨] أي الحرم كله فالمنحر على هذا القول كل مكة، ولكنها تنزهت عن الدماء إلى منى ومنى من مكة،قال عليه السلام: «كل." (١)

"فجاج مكة منحر وكل فجاج منى منحر»قال القفال هذا إنما يختص بالهدايا التي بلغت منى فأما الهدي المتطوع به إذا عطب قبل بلوغ مكة فإن محله موضعه.أما قوله تعالى: ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله فالمعنى شرعنا لكل

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٢٤/٢٣

أمة من الأمم السالفة من عهد إبراهيم عليه السلام إلى من بعده ضربا من القربان وجعل العلة في ذلك أن يذكروا اسم الله تقدست أسماؤه على المناسك، وما كانت العرب تذبحه للصنم يسمى العتر والعتيرة كالذبح والذبيحة، وقرأ أهل الكوفة إلا عاصما منسكا بكسر السين وقرأ الباقون بالفتح وهو مصدر بمعنى النسك والمكسور بمعنى الموضع.أما قوله تعالى: فإلهكم إله واحد ففي كيفية النظم وجهان: أحدهما: أن الإله واحد وإنما اختلفت التكاليف باختلاف الأزمنة والأشخاص لاختلاف المصالح الثاني: فإلهكم إله واحد فلا تذكروا على ذبائحكم غير اسم الله فله أسلموا أي أخلصوا له الذكر خاصة بحيث لا يشوبه إشراك البتة، والمراد الانقياد لله تعالى في جميع تكاليفه، ومن انقاد له كان مخبتا فلذلك قال بعده وبشر المخبتين والمخبت المتواضع الخاشع. قال أبو مسلم: حقيقة المخبت من صار في خبت من الأرض، يقال أخبت الرجل إذا صار في الخبت كما يقال أنجد وأشأم وأتهم، والخبت هو المطمئن من الأرض. وللمفسرين فيه عبارات أحدها: المخبتين المتواضعين عن ابن عباس وقتادة وثانيها: المجتهدين في العبادة عن الكلبي وثالثها: المخلصين عن مقاتل ورابعها: المطمئنين إلى ذكر الله تعالى والصالحين عن مجاهدو خامسها: هم الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا عن عمرو بن أوس.ثم وصفهم الله تعالى بقوله: الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم فيظهر عليهم الخوف من عقاب الله تعالى والخشوع والتواضع لله، ثم لذلك الوجل أثران أحدهما: الصبر على المكاره وذلك هو المراد بقوله:والصابرين على ما أصابهم وعلى ما يكون من قبل الله تعالى، لأنه الذي يجب الصبر عليه كالأمراض والمحن والمصائب. فأما ما يصيبهم من قبل الظلمة فالصبر عليه غير واجب بل إن أمكنه دفع ذلك لزمه الدفع ولو بالمقاتلة والثاني: الاشتغال بالخدمة وأعز الأشياء عند الإنسان نفسه وماله. أما الخدمة بالنفس فهي الصلاة، وهو المراد بقوله: والمقيمي الصلاة وأما الخدمة بالمال فهو المراد من قوله: ومما رزقناهم ينفقون قرأ الحسن والمقيمي الصلاة بالنصب على تقدير النون، وقرأ ابن مسعود والمقيمين الصلاة على الأصل.[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٦ الى ٣٧]والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧)اعلم أن قوله تعالى: والبدن فيه مسائل:المسألة الأولى: البدن جمع بدنة كخشب وخشبة، سميت بذلك إذا أهديت للحرم لعظم بدنها وهي الإبل خاصة، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألحق البقر بالإبل حينقال: «البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة»ولأنه قال: فإذا." (١)

"أنه لا يقنع بما يدفع إليه أبدا وقرأ الحسن والمعتري وقرأ أبو رجاء القنع وهو الراضي لا غير يقال قنع فهو قنع وقانع.أما قوله: كذلك سخرناها لكم فالمعنى أنها أجسم وأعظم وأقوى من السباع وغيرها مما يمتنع علينا التمكن منه، فالله تعالى جعل الإبل والبقر بالصفة التي يمكننا تصريفها على ما نريد، وذلك نعمة عظيمة من الله تعالى في الدين والدنيا، ثم لما بين تعالى هذه النعمة قال بعده لعلكم تشكرون والمراد لكي تشكروا. قالت المعتزلة: هذا يدل على أنه سبحانه أراد من جميعهم أن يشكروا فدل هذا/ على أنه يريد كل ما أمر به ممن أطاع وعصى، لا كما يقوله أهل السنة من أنه تعالى لم يرد

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٢٥/٢٣

ذلك إلا من المعلوم أن يطيع، والكلام عليه قد تقدم غير مرة.أما قوله تعالى: لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ففيه مسائل:المسألة الأولى: لما كانت عادة الجاهلية على ماروي في القربان أنهم يلوثون بدمائها ولحومها الوثن وحيطان الكعبةبين تعالى ما هو القصد من النحر فقال: لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم فبين أن الذي يصل إليه تعالى ويرتفع إليه من صنع المهدي من قوله ونحره وما شاكله من فرائضه هو تقوى الله دون نفس اللحم والدم، ومعلوم أن شيئا من الأشياء لا يوصف بأنه يناله سبحانه فالمراد وصول ذلك إلى حيث يكتب يدل عليه قوله: إليه يصعد الكلم الطيب [فاطر: ١٠] .المسألة الثانية: قالت المعتزلة دلت هذه الآية على أمور: أحدها: أن الذي ينتفع به المرء فعله دون الجسم الذي ينتفع بنحره وثانيها: أنه سبحانه غني عن كل ذلك، وإنما المراد أن يجتهد العبد في امتثال أوامره وثالثها: أنه لما لم ينتفع بالأجسام التي هي اللحوم والدماء وانتفع بتقواه وجب أن تكون تقواه فعلا وإلا لكانت تقواه بمنزلة اللحوم ورابعها: أنه لما شرط القبول بالتقوى وصاحب الكبيرة غير متق فوجب أن لا يكون عمله مقبولا وأنه لا ثواب له
والجواب: أما الأولان فحقان، وأما الثالث فمعارض بالداعي والعلم، وأما الرابع فصاحب الكبيرة وإن لم يكن متقيا مطلقا ولكنه متق فيما أتى به من الطاعة على سبيل الإخلاص فوجب أن تكون طاعته مقبولة وعند هذا تنقلب الآية حجة عليهم.المسألة الثالثة: كلهم قرءوا ينال الله ويناله بالياء إلا يعقوب فإنه قرأ بالتاء في الحرفين فمن أنث فقد رده إلى اللفظ ومن ذكر فللحائل بين الاسم والفعل. ثم قال: كذلك سخرها لكم والمراد أنه إنما سخرها كذلك لتكبروا الله وهو التعظيم، بما نفعله عند النحر وقبله وبعده على ما هدانا ودلنا عليه وبينه لنا، ثم قال بعده على وجه الوعد لمن امتثل أمره وبشر المحسنين كما قال من قبل وبشر المخبتين [الحج: ٣٤] والمحسن هو الذي يفعل الحسن من الأعمال ويتمسك به فيصير محسنا إلى نفسه بتوفير الثواب عليه.[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٨ الى ٤١]إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور (٣٨) أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير (٣٩) الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز (٤٠) الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور (٤١)." (١)

"الحرم كله، أو يريد بالشعائر دين الله كله نعظمه بالتزامه " ح "، والمنافع: الأجر والأجل المسمى: القيامة ومحلها إلى البيت: " يحتمل إلى رب البيت "، أو ما اختص منها بالبيت "كالصلاة إليه وقصده بالحج والعمرة ". ﴿تقوى القلوب﴾ [٣٢] إخلاصها. ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾." (٢)

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٢٧/٢٣

(٢) تفسير العز بن عبد السلام ابن عبد السلام ٣٥٤/٢

"الكذب منحرف مصروف عن الواقع.[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣١ الى ٣٢]حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق (٣١) ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢)حنفاء لله مخلصين له. غير مشركين به وهما حالان من الواو. ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء لأنه سقط من أوج الإيمان إلى حضيض الكفر. فتخطفه الطير فإن الأهواء الردية توزع أفكاره، وقرأ نافع وحده فتخطفه بفتح الخاء وتشديد الطاء. أو تهوي به الريح في مكان سحيق بعيد فإن الشيطان قد طوح به في الضلالة وأو للتخيير كما في قوله تعالى: أو كصيب من السماء، أو للتنويع فإن المشركين من لا خلاص له أصلا، ومنهم من يمكن خلاصه بالتوبة لكن على بعد، ويجوز أن يكون من التشبيهات المركبة فيكون المعنى: ومن يشرك بالله فقد هلكت نفسه هلاكا يشبه أحد الهلاكين.ذلك ومن يعظم شعائر الله دين الله أو فرائض الحج ومواضع نسكه، أو الهدايا لأنها من معالم الحج وهو أوفق لظاهر ما بعده، وتعظيمها أن تختارها حسانا سمانا غالية الأثمان.روي أنه صلى الله عليه وسلم أهدى مائة بدنة فيها جمل لأبي جهل في أنفه برة من ذهب، وأن عمر رضي الله تعالى عنه أهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار.فإنها من تقوى القلوب فإن تعظيمها منه من أفعال ذوي تقوى القلوب، فحذفت هذه المضافات والعائد إلى من وذكر القلوب لأنها منشأ التقوى والفجور أو الآمرة بهما.[سورة الحج (٢٢) : آية ٣٣]لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣)لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق أي لكم فيها منافع درها ونسلها وصوفها وظهرها إلى أن تنحر، ثم وقت نحرها منتهية إلى البيت أي ما يليه من الحرم، وثم تحتمل التراخي في الوقت والتراخي في الرتبة، أي لكم فيها منافع دنيوية إلى وقت النحر وبعده منافع دينية أعظم منها، وهو على الأولين إما متصل بحديث الأنعام والضمير فيه لها أو المراد على الأول لكم فيها منافع دينية تنتفعون بها إلى أجل مسمى هو الموت، ثم محلها منتهية إلى البيت العتيق الذي ترفع إليه الأعمال أو يكون فيه ثوابها وهو البيت المعمور أو الجنة، وعلى الثاني لكم فيها منافع التجارات في الأسواق إلى وقت المراجعة ثم وقت الخروج منها منتهية إلى الكعبة بالإحلال بطواف الزيارة.[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٤ الى ٣٥]ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)ولكل أمة ولكل أهل دين. جعلنا منسكا متعبدا أو قربانا يتقربون به إلى الله، وقرأ حمزة والكسائي بالكسر أي موضع نسك. ليذكروا اسم الله دون غيره ويجعلوا نسيكتهم لوجهه، علل الجعل به تنبيها على أن المقصود من المناسك تذكر المعبود. على ما رزقهم من بهيمة الأنعام عند ذبحها، وفيه تنبيه على أن القربان يجب أن يكون نعما. فإلهكم إله واحد فله أسلموا أخلصوا التقرب أو الذكر ولا تشوبوه بالإشراك. وبشر المخبتين المتواضعين أو المخلصين فإن الإخبات صفتهم.الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم هيبة منه لإشراق أشعة جلاله عليها. والصابرين على ما أصابهم من الكلف والمصائب. والمقيمي الصلاة في أوقاتها، وقرئ «والمقيمين الصلاة» على الأصل.." (١)

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٧١/٤

"ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤)﴿ولكل أمة﴾ جماعة مؤمنة قبلكم ﴿جعلنا منسكا﴾ حيث كان بكسر السين بمعنى الموضع علي وحمزة أي موضع قربان وغيرهما بالفتح على المصدر أي إراقة الدماء وذبح القرابين ﴿ليذكروا اسم الله﴾ دون غيره ﴿ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ أي عند نحرها وذبحها." (١)

"﴿فإلهكم إله واحد﴾ أي اذكروا على الذبح اسم الله وحده فإن إلهكم إله واحد وفيه دليل على أن ذكر اسم الله شرط الذبح يعني أن الله تعالى شرع لكل أمة أن ينسكوا له أي يذبحوا له على وجه التقرب وجعل القلة فى ذلك أن يذكر اسمه تقدمت أسماؤه على النسائك وقوله ﴿فله أسلموا﴾ أي أخلصوا له الذكر خاصة واجعلوه له سالما أي خالصا لا تشوبوه بإشراك ﴿وبشر المخبتين﴾ المطمئنين بذكر الله أوالمتواضعين الخاشعين من الخبث وهو المطمئن من الأرض وعن ابن عباس رضى الله عنهما الذى لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا وقيل تفسيره ما بعده أي." (٢)

"العمرة أول ما يقدم فإنه يسعى ثلاثة أشواط ويمشي أربعا ثم يصلي سجدتين». والطواف الثاني هو طواف الإفاضة وذلك يوم النحر بعد الرمي والحلق (ق) عن عائشة قالت: «حاضت صفية ليلة النفر فقالت: ما أراني إلا حابستكم قال النبي صلى الله عليه وسلم عقرى حلقى أطافت يوم النحر قيل نعم قال فانفري». قوله عقرى وحلقى معناه عقرها الله أي أصابها بالعقر وبوجع في حلقها وقيل معناه مشئومة مؤذية ولم يرد به الدعاء عليها وإنما هو شيء يجري على ألسنة العرب كقولهم: لا أم لك وتربت يمينك وفيه دليل على أن من لم يطف يوم النحر طواف الإفاضة لا يجوز له أن ينفر. الثالث طواف الوداع لا رخصة لمن أراد مفارقة مكة إلى مسافة القصر في أن يفارقها حتى يطوف سبعا فمن تركه فعليه دم إلا المرأة الحائض فإنه يجوز لها تركه للحديث المتقدم ولما روى ابن عباس قال «أمر الناس أن يكون الطواف آخر عهدهم بالبيت إلا أنه رخص للمرأة الحائض» متفق عليه.الرمل سنة تختص بطواف القدوم ولا رمل في طواف الإفاضة والوداع وقوله «بالبيت العتيق» قال ابن عباس وغيره سمي عتيقا لأن الله أعتقه من أيدي الجبابرة أن يصلوا إلى تخريبه فلم يظهر عليه جبار قط، وقيل لأنه أول بيت وضع للناس وقيل لأن الله أعتقه من الغرق فإنه رفع أيام الطوفان وقيل لأنه لم يملك. قوله عز وجل ذلك أي الأمر ذلك يعني ما ذكر من أعمال الحج ومن يعظم حرمات الله أي ما نهى الله عنه من معاصيه وتعظيمها ترك ملابستها وقيل: حرمات الله ما لا يحل انتهاكه وقيل الحرمة ما وجب القيام به وحرم التفريط فيه وقيل: الحرمات هنا مناسك الحج وتعظيمها إقامتها وإتمامها وقيل الحرمات هنا البيت الحرام والبلد الحرام والمسجد الحرام والشهر الحرام ومعنى التعظيم العلم بأنه يجب القيام بمراعاتها وحفظ حرمتها فهو خير له عند ربه أي ثواب تعظيم الحرمات خير له عند الله في الآخرة وأحلت لكم الأنعام أي أن تأكلوها بعد الذبح وهي الإبل والبقر والغنم إلا ما يتلى عليكم أي تحريمه وهو قوله في سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والدم الآية فاجتنبوا الرجس من الأوثان أي اتركوا عبادتها فإنها سبب الرجس وهو العذاب وقيل سمى الأوثان رجسا لأن عبادتها أعظم من التلوث بالنجاسات واجتنبوا قول الزور يعني الكذب

---

(١) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٢/٤٤٠

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٢/٤٤١

والبهتان.وقال ابن عباس: هي شهادة الزور وروي عن أيمن بن خريم قال: «إن النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيبا فقال أيها الناس عدلت شهادة الزور الإشراك بالله ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور» أخرجه الترمذي وقال قد اختلفوا في روايته ولا نعرف لأيمن سماعا من النبي صلى الله عليه وسلم وأخرجه أبو داود عن خريم بن فاتك بنحوه وقيل: هو قول المشركين في تلبيتهم لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك. قوله تعالى:[سورة الحج (٢٢): الآيات ٣١ الى ٣٤]حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق (٣١) ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤)حنفاء لله يعني مخلصين له غير مشركين به فدل ذلك على أن المكلف ينوي بما يأتيه من العبادة الإخلاص لله بها لا غيره وقيل كانوا في الشرك يحجون ويحرمون البنات والأمهات والأخوات وكانوا حنفاء فنزلت «حنفاء لله غير مشركين به» أي حجوا لله مسلمين موحدين ومن أشرك لا يكون حنيفا ومن يشرك بالله فكأنما خر أي سقط من السماء إلى الأرض فتخطفه الطير يعني تسلبه وتذهب به أو تهوي به الريح يعني تميل وتذهب به في مكان سحيق يعني بعيد. ومعنى الآية أن من أشرك بالله بعيد من الحق والإيمان كبعد من سقط من السماء فذهبت به الطير أو هوت به الريح فلا يصل إليه بحال وقيل شبه حال المشرك بحال الهاوي." (١)

"من السماء لأنه لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع حيث تسقط الريح فهو هالك لا محالة. إما باستلاب الطير لحمه أو بسقوطه في المكان السحيق. وقيل معنى الآية من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكا ليس وراءه إهلاك بأن صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير ففرقت أجزاءه في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المهالك البعيدة. وقيل شبه الإيمان بالسماء في علوه والذي ترك الإيمان بالساقط من السماء والأهواء التي توزع أفكاره بالطير المختطفة والشياطين التي تطرحه في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة. قوله عز وجل ذلك يعني الذي ذكر من اجتناب الرجس وقول الزور ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب يعني تعظيم شعائر الله من تقوى القلوب قال ابن عباس: شعائر الله البدن والهدي وأصلها من الإشعار، وهو العلامة التي يعرف بها أنها هدى وتعظيمها استسمانها واستحسانها وقيل شعائر الله أعلام دينه وتعظيمها من تقوى القلوب لكم فيها أي في البدن منافع قيل هي درها ونسلها وصوفها ووبرها وركوب ظهرها إلى أجل مسمى أي إلى أن يسميها ويوجبها هديا فإذا فعل ذلك لم يكن له شيء من منافعها. وهو قول مجاهد وقتادة والضحاك ورواية عن ابن عباس وقيل معناه لكم في الهدايا منافع بعد إيجابها وتسميتها هدايا بأن تركبوها وتشربوا من ألبانها عند الحاجة إلى أجل مسمى يعني إلى أن تنحروها وهو قول عطاء. واختلف العلماء في ركوب الهدي فقال مالك والشافعي وأحمد وإسحاق: يجوز ركوبها والحمل عليها من غير ضرر بها لما روي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يسوق بدنة فقال: «اركبها فقال يا رسول الله إنها بدنة فقال: اركبها ويلك في الثانية أو الثالثة». أخرجاه في الصحيحين. وكذلك يجوز له أن يشرب من لبنها بعد ما

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٢٥٦/٣

يفضل عن ري ولدها. وقال أصحاب الرأي: لا يركبها إلا أن يضطر إليه وقيل أراد بالشعائر المناسك ومشاهدة مكة لكم فيها منافع يعني بالتجارة والأسواق إلى أجل مسمى يعني إلى الخروج من مكة وقيل لكم فيها منافع يعني بالأجر والثواب في قضاء المناسك إلى انقضاء أيام الحج ثم محلها إلى البيت العتيق يعني منحرها عند البيت العتيق يريد به جميع أرض الحرم. وروي عن جابر في حديث حجة الوداع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «نحرت ها هنا ومنى كلها منحر فانحروا في رحالكم» ومن قال الشعائر المناسك قال معنى ثم محلها يعني محل الناس من إحرامهم إلى البيت العتيق يطوفون به طواف الزيارة. قوله تعالى ولكل أمة يعني جماعة مؤمنة سلفت قبلكم جعلنا منسكا قرئ بكسر السين يعني مذبحا وهو موضع القربان منسكا بفتح السين وهو إراقة الدم وذبح القرابين ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام يعني عند ذبحها ونحرها سماها بهيمة لأنها لا تتكلم وقيد بالأنعام لأن ما سواها لا يجوز ذبحه في القرابين وإن جاز أكله. قوله عز وجل فإلهكم إله واحد يعني سموا على الذبح اسم الله وحده فإن إلهكم إله واحد فله أسلموا يعني أخلصوا وانقادوا وأطيعوا وبشر المخبتين قال ابن عباس: المتواضعين وقيل المطمئنين إلى الله وقيل الخاشعين الرقيقة قلوبهم وقيل هم الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لا ينتصرون ثم وصفهم فقال تعالى:[سورة الحج (٢٢): الآيات ٣٥ الى ٤٠]الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧) إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور (٣٨) أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير (٣٩)الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز (٤٠)." (١)

"سورة الحج[سورة الحج (٢٢) : الآيات ١ الى ٣٧]بسم الله الرحمن الرحيميا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم (١) يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد (٢) ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد (٣) كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير (٤)يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج (٥) ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحي الموتى وأنه على كل شيء قدير (٦) وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور (٧) ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير (٨) ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق (٩)ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد (١٠) ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٢٥٧/٣

أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين (١١) يدعوا من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد (١٢) يدعوا لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير (١٣) إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار إن الله يفعل ما يريد (١٤)من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ (١٥) وكذلك أنزلناه آيات بينات وأن الله يهدي من يريد (١٦) إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد (١٧) ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء (١٨) هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤسهم الحميم (١٩)يصهر به ما في بطونهم والجلود (٢٠) ولهم مقامع من حديد (٢١) كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق (٢٢) إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير (٢٣) وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد (٢٤)إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم (٢٥) وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود (٢٦) وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق (٢٧) ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير (٢٨) ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق (٢٩)ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور (٣٠) حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق (٣١) ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤)الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧)." (١)

"يمكن التبعيض فيها بأن يعني بالرجس عبادة الأوثان، وقد روي ذلك عن ابن عباس وابن جريج، فكأنه قال: فاجتنبوا من الأوثان الرجس وهو العبادة لأن المحرم من الأوثان إنما هو العبادة، ألا ترى أنه قد يتصور استعمال الوثن في بناء وغير ذلك مما لم يحرمه الشرع؟فكأن للوثن جهات منها عبادتها، وهو المأمور باجتنابه وعبادتها بعض جهاتها، ولما كان

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٤٧٥/٧

قول الزور معادلا للكفر لم يعطف على الرجس بل أفرد بأن كرر له العامل اعتناء باجتنابه.وفي الحديث: «عدلت شهادة الزور بالشرك» .ولما أمر باجتناب عبادة الأوثان وقول الزور ضرب مثلا للمشرك فقال ومن يشرك بالله الآية. قال الزمخشري: يجوز في هذا التشبيه أن يكون من المركب والمفرق، فإن كان تشبيها مركبا فكأنه قال: من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكا ليس بعده بأن صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق مرعا في حواصلها، وعصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطارح البعيدة، وإن كان مفرقا فقد شبه الإيمان في علوه بالسماء والذي ترك الإيمان وأشرك بالله بالساقط من السماء والإهواء التي تنازع أوكاره بالطير المختطفة، والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي مما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة انتهى. وقرأ نافع فتخطفه بفتح الخاء والطاء مشددة وباقي السبعة بسكون الخاء وتخفيف الطاء. وقرأ الحسن وأبو رجاء والأعمش بكسر التاء والخاء والطاء مشددة، وعن الحسن كذلك إلا أنه فتح الطاء مشددة.وقرأ الأعمش أيضا تخطه بغير فاء وإسكان الخاء وفتح الطاء مخففة. وقرأ أبو جعفر والحسن وأبو رجاء: الرياح.ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين.إعراب ذلك كإعراب ذلك المتقدم، وتقدم تفسير شعائر الله في أول." (١)

"﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) ﴾ .يخبر تعالى أنه لم يزل ذبح المناسك وإراقة الدماء على اسم الله مشروعا في جميع الملل.قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا﴾ قال: عيدا.وقال عكرمة: ذبحا. وقال زيد بن أسلم في قوله: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا﴾ ، إنها مكة، لم يجعل الله لأمة قط منسكا غيرها.[وقوله] (١) : ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ ، كما ثبت في الصحيحين عن أنس قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين أقرنين، فسمى وكبر، ووضع رجله على صفاحهما (٢) .وقال الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا يزيد بن هارون، أنبأنا سلام بن مسكين، عن عائذ الله المجاشعي، عن أبي داود -وهو نفيع بن الحارث-عن زيد بن أرقم قال: قلت -أو: قالوا-: يا رسول الله، ما هذه الأضاحي؟ قال: "سنة أبيكم إبراهيم". قالوا: ما لنا منها؟ قال: "بكل شعرة حسنة" قالوا: فالصوف؟ قال: "بكل شعرة من الصوف حسنة".وأخرجه الإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه في سننه، من حديث سلام بن مسكين، به (٣) .وقوله: ﴿فإلهكم إله واحد فله أسلموا﴾ أي: معبودكم واحد، وإن تنوعت شرائع الأنبياء ونسخ بعضها بعضا،

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٥٠٥/٧

فالجميع يدعون إلى عبادة الله وحده، لا شريك له، ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي (٤) إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ (٥) [الأنبياء: ٢٥] . ولهذا قال: ﴿فله أسلموا﴾ أي: أخلصوا واستسلموا لحكمه وطاعته.﴿وبشر المخبتين﴾ : قال مجاهد: المطمئنين، وقال الضحاك، وقتادة: المتواضعين. وقال السدي: الوجلين. وقال عمرو بن أوس (٦) : المخبتون (٧) : الذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لم ينتصروا.وقال الثوري: ﴿وبشر المخبتين﴾ قال: المطمئنين الراضين بقضاء الله، المستسلمين له.__________(١) زيادة من ف، أ.(٢) صحيح البخاري برقم (٥٥٥٨) وصحيح مسلم برقم (١٩٦٦) .(٣) المسند (٤/٣٦٨) .(٤) في ت، أ: "يوحى".(٥) في ت: "فاعبدوني".(٦) في ت، ف، أ: "إدريس".(٧) في ت: "المختبتين".." (١)

"[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٤ الى ٣٥]ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)يخبر تعالى أنه لم يزل ذبح المناسك وإراقة الدماء على اسم الله مشروعا في جميع الملل.وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس ولكل أمة جعلنا منسكا قال: عيدا. وقال عكرمة: ذبحا.وقال زيد بن أسلم في قوله: ولكل أمة جعلنا منسكا إنها مكة، لم يجعل الله لأمة قط منسكا غيرها.وقوله: ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام كما ثبت في الصحيحين عن أنس قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين أقرنين، فسمى وكبر ووضع رجله على صفاحهما «١» . وقال الإمام أحمد بن حنبل «٢» : حدثنا يزيد بن هارون، أنبأنا سلام بن مسكين عن عائذ الله المجاشعي عن أبي داود- وهو نفيع بن الحارث- عن زيد بن أرقم قال: قلت أو قالوا: يا رسول الله ما هذه الأضاحي؟ قال: «سنة أبيكم إبراهيم» قالوا: ما لنا منها؟ قال:«بكل شعرة حسنة قال فالصوف؟ قال «بكل شعرة من الصوف حسنة» «٣» وأخرجه الإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه في سننه من حديث سلام بن مسكين به.وقوله: فإلهكم إله واحد فله أسلموا أي معبودكم واحد وإن تنوعت شرائع الأنبياء ونسخ بعضها بعضا، فالجميع يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون [الأنبياء: ٢٥] ولهذا قال: فله أسلموا أي أخلصوا واستسلموا لحكمه وطاعته وبشر المخبتين قال مجاهد: المطمئنين. وقال الضحاك وقتادة: المتواضعين. وقال السدي: الوجلين. وقال عمرو بن أوس: المخبتين الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا «٤» . وقال الثوري وبشر المخبتين قال: المطمئنين الراضين بقضاء الله المستسلمين له، وأحسن بما يفسر بما بعده وهو قوله: الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم أي خافت منه قلوبهم والصابرين على ما أصابهم أي من المصائب.قال الحسن البصري: والله لنصبرن أو لنهلكن والمقيمي الصلاة قرأ الجمهور بالإضافة السبعة وبقية العشرة أيضا وقرأ ابن السميقع والمقيمين الصلاة بالنصب وعن الحسن البصري والمقيمي الصلاة وإنما حذفت النون هاهنا تخفيفا، ولو حذفت للإضافة لوجب خفض الصلاة ولكن على سبيل التخفيف، فنصبت، أي المؤدين حق الله فيما أوجب عليهم من أداء فرائضه ومما رزقناهم ينفقون أي وينفقون ما آتاهم الله من طيب الرزق على أهليهم__________(١) أخرجه البخاري في

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٥/٤٢٤

الأضاحي باب ٩، ١٣، ١٤، ومسلم في الأضاحي حديث ١٧، ١٨.(٢) المسند ٤/ ٣٦٨.(٣) أخرجه ابن ماجة في الأضاحي باب ٣، والترمذي في الأضاحي باب ١.(٤) انظر تفسير الطبري ٩/ ١٥١.." (١)

"المصدر، وقد شذت ألفاظ ضبطها النحاة في كتبهم مذكورة في هذا الكتاب.فصل«ولكل أمة» (أي: جماعة مؤمنة سلفت قبلكم من عهد إبراهيم عليه السلام «جعلنا منسكا») أي ضربا من القربان، وجعل العلة في ذلك أن يذكر اسمه عند ذبحها ونحرها فقال: ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ أي: عند الذبح والنحر لأنها لا تتكلم. وقال: «بهيمة الأنعام» قيد بالنعم، لأن من البهائم ما ليس من الأنعام كالخيل والبغال والحمير لا يجوز ذبحها في القرابين، وكانت العرب تسمي ما تذبحه للصنم العتر والعتيرة كالذبح والذبيحة.قوله: ﴿فإلهكم إله واحد﴾ في كيفية النظم وجهان:الأول: أن الإله واحد، وإنما اختلفت التكاليف باختلاف الأزمنة والأشخاص لاختلاف المصالح.والثاني: ﴿فإلهكم إله واحد﴾ لا تذكروا على ذبائحكم غير اسمه. «فله أسلموا» انقادوا وأطيعوا، فمن انقاد لله كان مخبتا فلذلك قال بعده «وبشر المخبتين» .قال ابن عباس وقتادة: المخبت المتواضع الخاشع وقال مجاهد: المطمئن إلى الله. والخبت المكان المطمئن من الأرض. قال أبو مسلم: حقيقة المخبت من صار في خبت من الأرض تقول: أخبت الرجل إذا صار في الخبت كما يقال: أنجد وأتهم وأشأم.." (٢)

"وثالثها: أنه لما لم ينتفع بالأجسام التي هي اللحوم والدماء وانتفع بتقواه، وجب أن يكون تقواه فعلا له، وإلا كان تقواه بمنزلة اللحوم.ورابعها: أنه لما شرط القبول بالتقوى، وصاحب الكبيرة غير متق، فوجب أن لا يكون عمله مقبولا وأنه لا ثواب له.والجواب: أما الأولان فحقان، وأما الثالث فمعارض بالداعي والعلم.وأما الرابع: فصاحب الكبيرة وإن لم يكن متقيا مطلقا، ولكنه متق فيما أتى به من الطاعة على سبيل الإخلاص، فوجب أن تكون طاعته مقبولة، وعند هذا تنقلب الآية حجة عليهم.قوله: «كذلك سخرها» الكاف نعت مصدر أو حال من ذلك المصدر «ولتكبروا» متعلق به أي إنما سخرها كذلك لتكبروا الله، وهو التعظيم بما يفعله عند النحر وقبله وبعده. و ﴿على ما هداكم﴾ متعلق بالتكبير، عدي بعلى لتضمنه معنى الشكر على ما هداكم أرشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه، وهو أن يقول: الله أكبر ما هدانا والحمد لله على ما أبلانا وأولانا، ثم قال بعده على سبيل الوعد لمن امتثل أمره «وبشر المحسنين» كما قال من قبل «وبشر المخبتين» قال ابن عباس: المحسنين الموحدين. والمحسن الذي يفعل الحسن من الأعمال فيصير محسنا إلى نفسه بتوفير الثواب عليه.." (٣)

"فكانت صلاته قصدا، وخطبته قصدا» .وخرجه أبو داود ولفظه: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يطيل الموعظة يوم الجمعة، إنما هو كلمات يسيرات» .وخرجه مسلم من حديث أبي وائل قال: خطبنا عمار فأوجز وأبلغ، فلما

---

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية ابن كثير ٥/٣٧٣

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٤/٨٨

(٣) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٤/٩٨

نزل، قلنا: يا أبا اليقظان لقد أبلغت وأوجزت، فلو كنت تنفست، قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن طول صلاة الرجل، وقصر خطبته، مئنة من فقهه، فأطيلوا الصلاة، وأقصروا الخطبة، فإن من البيان سحرا» .وخرج الإمام أحمد وأبو داود من حديث الحاكم بن حزن، قال: «شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة فقام متوكئا على عصا أو قوس، فحمد الله، وأثنى عليه كلمات خفيفات طيبات مباركات» .وخرج أبو داود عن عمرو بن العاص أن رجلا قام يوما، فأكثر القول، فقال عمرو: لو قصد في قوله، لكان خيرا له، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لقد رأيت - أو أمرت - أن أتجوز في القول، فإن الجواز هو خير» .وقوله: " «ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب» " هذان الوصفان بهما مدح الله المؤمنين عند سماع الذكر كما قال تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ [الأنفال: ٢] [الأنفال: ٢] وقال: ﴿وبشر المخبتين - الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ [الحج: ٣٤ - ٣٥] [الحج: ٣٤ - ٣٥] وقال: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق﴾ [الحديد: ١٦] [الحديد: ١٦] ، وقال: ﴿الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ [الزمر: ٢٣] [الزمر: ٢٣] ، وقال تعالى: ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق﴾ [المائدة: ٨٣] [المائدة: ٨٣] .وكان صلى الله عليه وسلم يتغير حاله عند الموعظة، كما قال جابر: «كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب، وذكر الساعة، اشتد غضبه، وعلا صوته، واحمرت عيناه، كأنه منذر جيش يقول: صبحكم ومساكم» . خرجه مسلم بمعناه.وفي " الصحيحين " عن أنس أن «النبي صلى الله عليه وسلم خرج حين زاغت الشمس، فصلى الظهر، فلما سلم، قام على المنبر، فذكر الساعة، وذكر أن بين يديها أمورا عظاما، ثم قال: من أحب أن يسأل عن شيء فليسأل عنه، فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به في مقامي هذا، قال أنس: فأكثر الناس البكاء وأكثر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول: سلوني، فقام إليه رجل فقال: أين مدخلي يا رسول الله، قال: النار» وذكر الحديث.وفي " مسند " الإمام أحمد «عن النعمان بن بشير أنه خطب، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يقول: أنذرتكم النار، حتى لو أن رجلا كان بالسوق لسمعه من مقامي هذا، قال: حتى وقعت خميصة على عاتقه عند رجليه» .وفي " الصحيحين " عن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اتقوا." (١)

"((لقد رأيت - أو أمرت - أن أتجوز في القول، فإن الجواز هو خير)) .وقوله: ((ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب)) هذان الوصفان بهما مدح الله المؤمنين عند سماع الذكر كما قال تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ (رَحِمَهُ اللَّهُ١) ، وقال: ﴿وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ (رَحِمَهُ اللَّهُ٢) ، وقال: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق﴾ (رَحِمَهُ اللَّهُ٣) ، وقال: ﴿الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكرالله﴾ (رَحِمَهُ اللَّهُ٤) ، وقال تعالى: ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق﴾ (رَحِمَهُ اللَّهُ٥) .وكان - صلى الله عليه وسلم - يتغير حاله عند

---

(١) جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط ابن رجب الحنبلي ١١٢/٢

الموعظة، كما قال جابر: كان النبي - صلى الله عليه وسلم - إذاخطب، وذكر الساعة، اشتد غضبه، وعلا صوته، واحمرت عيناه، كأنه منذر جيش يقول: صبحكم ومساكم. خرجه مسلم بمعناه (رَحِمَهُ اللَّهُ٦) .وفي " الصحيحين " (رَحِمَهُ اللَّهُ٧) عن أنس: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - خرج حين زاغت الشمس، فصلى الظهر، فلما سلم، قام على المنبر، فذكر الساعة، وذكر أن بين يديها أمورا عظاما، ثم قال: ((من أحب أن يسأل عن شيء فليسأل عنه، فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به في مقامي هذا)) ، قال أنس: فأكثر الناس البكاء، وأكثر رسولرَحِمَهُ اللَّهُ__________(رَحِمَهُ اللَّهُ١) الأنفال: ٢.(رَحِمَهُ اللَّهُ٢) الحج: ٣٤ - ٣٥.(رَحِمَهُ اللَّهُ٣) الحديد: ١٦.(رَحِمَهُ اللَّهُ٤) الزمر: ٢٣.(رَحِمَهُ اللَّهُ٥) المائدة: ٨٣.(رَحِمَهُ اللَّهُ٦) في " صحيحه " ٣/ ١١ (٨٦٧) (٤٣) و (٤٤) .(رَحِمَهُ اللَّهُ٧) صحيح البخاري ١/ ١٤٣ (٥٤٠) و٨/ ٩٦ (٦٣٦٢) و٩/ ١١٨ (٧٢٩٤) ، وصحيح مسلم ٧/ ٩٢ (٢٣٥٩) (١٣٤) و٧/ ٩٣ (٢٣٥٩) و (١٣٦) و٧/ ٩٤ (٢٣٥٩)(١٣٧) .." (١)

"٢٥ - باب إذا هبت الريح١٠٣٤ - حدثنا سعيد بن أبي مريم قال: أخبرنا محمد بن جعفر قال: أخبرني حميد أنه سمع أنسا يقول: كانت الريح الشديدة إذا هبت عرف ذلك في وجه النبي - صلى الله عليه وسلم -. [فتح: ٢/ ٥٢٠]ذكر فيه عن أنس قال: كانت الريح الشديدة إذا هبت عرف ذلك في وجه النبي - صلى الله عليه وسلم -. هذا الحديث من أفراده.وفي حديث آخر في "الصحيح" أن عائشة قالت: قيل له ذلك، فذكر قصة عاد (رَحِمَهُ اللَّهُ١)، وقوله: ﴿هذا عارض ممطرنا﴾ [الأحقاف: ٢٤] وكان - صلى الله عليه وسلم - يخشى أن يصيبهم عقوبة ذنوب العامة، كما أصاب الذين قالوا: ﴿هذا عارض ممطرنا﴾ [الأحقاف: ٢٤]. وفيه تذكر ما ينسى الناس من عذاب الله -عز وجل- للأمم الخالية، والتحذير من طريقهم في العصيان خشية نزول ما حل بهم، قال تعالى ﴿أفأمن أهل القرى﴾ إلى قوله: ﴿الخاسرون﴾ [الأعراف: ٩٧ - ٩٨] وعلى هذا كان الأنبياء والصالحون يشعرون أنفسهم الخوف من الله تعالى، يقول الله: ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] وهم الخاشعون، كذا قال الداودي، واعترضه ابن التين بأن المعروف أن المخبت: المطمئن بأمر الله تعالى، وقيل: الذي لا يظلم، وإذا ظلم لم ينتصر.ومصدر (هبت الريح) هبوبا، والتيس هبابا، والنائم هبا، والسيف هبة، والبعير هبابا، إذا نشط من سفره. قال أشهب: إذا هبت الريح الشديدة فافزع إلى الصلاة.رَحِمَهُ اللَّهُ__________(رَحِمَهُ اللَّهُ١) رواه مسلم برقم (٨٩٩) كتاب: صلاة الاستسقاء.." (٢)

"تنصب من الدماغ إلى القلب. يصهر به ما في بطونهم من الأخلاق الحميدة الروحانية والجلود أي يفسد أحوالهم الباطنة والظاهرة بفساد تخيلاتهم، ولا مخلص لهم عن دركات تلك الملكات لغاية رسوخها والله أعلم بالصواب.[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٢٣ الى ٤١]إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير (٢٣) وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد (٢٤) إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه

---

(١) جامع العلوم والحكم ت ماهر الفحل ابن رجب الحنبلي ٢/ ٧٦٢

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ابن الملقن ٨/ ٢٧٩

من عذاب أليم (٢٥) وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود (٢٦) وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق (٢٧)ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير (٢٨) ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق (٢٩) ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور (٣٠) حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق (٣١) ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢)لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧)إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور (٣٨) أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير (٣٩) الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز (٤٠) الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور (٤١)." (١)

"الواردات المطيفة والأخلاق الثابتة والأحوال المتوالية كالرغبة والرهبة والقبض والبسط والأنس والهيبة رجالا هي النفس وصفاتها وعلى كل ضامر هي البدن وجوارحه فإن الأعمال الشرعية قد ركبت الجوارح المرتاضة، فأعمال البدن مركبة من حركات الجوارح ونيات الضمير كما أن أعمال النفس بسيطة. لأنها نيات الضمير فقط من كل فج عميق هو مصالح الدنيا لأن مصالحها بعيدة عن مصالح الآخرة ليشهدوا منافع لهم فمنافع النفس وصفاتها بتبديل الأخلاق، ومنافع القلب والجوارح بظهور أثر الطاعة عليها ويذكروا أي القلب والنفس والقالب شكرا على ما رزقهم من تبديل الصفات البهيمية بالصفات الروحانية فانتفعوا بها وأفيضوا منها على الطالبين فهو خير لأن العبد يصل بالطاعة إلى الجنة ويصل بحرمة الطاعة إلى الله، وترك الخدمة يوجب العقوبة وترك الحرمة يوجب الفرقة. وأحلت لكم استعمال الصفات البهيمية بقدر الضرورة إلا ما يتلى عليكم في قولنا ولا تسرفوا [الأعراف: ٣١]وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»فاجتنبوا مقتضيات الهوى وكونوا صادقين في الطلب لا مزورين مائلين إلى الحق غير طالبين معه غيره، وخر من سماء القلب فاستلبه طير الشياطين أو تهوي به ريح الهوى والخذلان إلى أسفل سافلين البعد والحرمان. لكم في شواهد آثار صنع الإرشاد منافع وهي لذة العبور على المقامات ولذة البسط ولذة الأنس إلى أجل مسمى وهو حد الكمال، ثم انتهاء السلوك إلى حضرة القديم. ولكل سالك جعلنا مقصدا وطريقا، منهم من يطلب الله من طريق

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٧٣/٥

المعاملات، ومنهم من يطلبه من طريق المجاهدات، ومنهم من يطلبه بطريق المعارف، ومنهم من يطلبه به. فله أسلموا أي أخلصوا والإخلاص تصفية الأعمال من الآفات، ثم الأخلاق من الكدورات، ثم الأحوال من الالتفات، ثم الأنفاس من الأغيار وبشر المخبتين عنى المستقيمين على هذه الطريقة. وجلت قلوبهم الوجل عند الذكر على حسب تجلي الحق للقلب. والصابرين على ما أصابهم من غير تمني ترحة ولا روم فرحة والمقيمي الصلاة الحافظين مع الله أسرارهم لا يطلبون إطلاع الخلق على أحوالهم ومما رزقناهم ينفقون يبذلون الموجود في طلب المقصود والوجود بشهود المعبود والبدن يعني بدن الأبدان الجسام جعلنا قربانها عند كعبة القلب بذبحها عن شهواتها من شعائر أهل الصدق في الطلب، فإذا ماتت عن طبيعتها فانتفعوا بها أنتم وغيركم من الطالبين والقانعين بما أفضتم عليه، والمعترين المتعطشين الذين لا يروون ريا من ماء حياة المعرفةشربت الحب كأسا بعد كأس ... فما نفد الشراب وما رويتكذلك سخرناها لكم فيه أن ذبح النفس بسكين الرياضة لا يتيسر إلا بتسخير خالقها." (١)

"قال الحين عند العرب من ساعة إلى ما لا يحصى عدده والمراد هنا يوم القيامة قوله حيهلا وحي على الفلاح كله بمعنى أقبلوا وسيأتي معنى هلا في الهاء قوله كان حييا أي شديد الحياء قوله التحيات جمع تحية وهي السلام قوله والشمس حية أي باقية على شدة حرها قوله الحيات جمع حية وهي أنثى الثعبان قال الحيات أجناس الأفاعي والأساود والجان قوله سيد الحي الحي هو اسم لمنزل القبيلة ثم سميت القبيلة به قوله حرف الخاء المعجمة(فصل خ ب)قوله خبأت لك خبأ بالفتح وسكون الموحدة مهموزا ومنه يخرج الخبء وبالكسر في الموحدة بوزن عظيم وهو اسم ما خبأته فعيل بمعني مفعول وأختبىء دعوتي أي أدخر وأختبىء أنا أي استتر والخباء بالمد والكسر من بيوت الأعراب وقد يستعمل في غيرها والجمع أخباء وأخبية ومنه أهل أخباء قوله الخبب أي الإسراع ومنه يخب ثلاثة أطواف أي يسرع في المشي قوله وبشر المخبتين أي المطمئنين كذا في الأصل وهو تفسير باللازم قوله خبث الحديد بفتحتين وآخره مثلثة وخبث الفضة هو الرديء منهما وأما إذا كثر الخبث فالمراد به الفجور قوله الخبث والخبائث قيل ذكران الشياطين وإناثهم أو الخبث الشر كله والخبائث الخطايا أو الأفعال المذمومة قوله ولا خبثة بالكسر أراد بالخبثة الحرام أو الريبة وقيل بيع أهل العهد قوله خبيث النفس أي ثقيلا غير نشيط وقوله لا يقل أحد خبثت نفسي كره الاسم فقط وقوله الدواء الخبيث فسره الترمذي في روايته السم وقال غيره الحرام وقوله ثمن الكلب خبيث أي حرام أو مكروه أو فاسد ومنه من أكل من هذه الشجرة الخبيثة فإن خبثها من جهة كراهية رائحتها قوله نهى عن المخابرة هي المزارعة على جزء يخرج من الأرض وأصله أن أهل خيبر كانوا يتعاملون كذلك جزم بذلك بن الأعرابي وقال غيره الخبير في كلام الأنصار الأكار قوله خبزة واحدة هي الطلمة بالمهملة وزنا ومعنى والمراد الرغيف فصل خ ت قوله يختله أي يستغفله ويراوغه ليقتله أو يسمع كلامه بغير علمه قوله ختامه مسك أي طينه قوله خاتم النبيين أي آخرهم قوله الختان هو الموضع الذي يقطع من الفرج ثم استعمل للفعل قوله ختنه بالتحريك أي صهره فصل خ د قوله الأخدود شق في الأرض مستطيل قوله ذوات الخدور وقوله من خدرها وقوله في خدرها الخدر ستر يكون للجارية البكر في ناحية البيت وقيل الخدور البيوت قوله تخدشها هرة وقوله خدوشا في وجهه الخدش قشر الجلد

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٨٥/٥

بعود أو نحوه ولو لم يدم قوله الخداع ويخدع وخديعة كله من إظهار غير ما يكتم وقوله الحرب خدعة من ذلك والمشهور فيه بفتحتين ويقال بالضم ثم السكون ويقال بالفتح ثم السكون وحكى فتح الدال فيهما قوله خدلج الساقين بفتحتين وتشديد اللام بعدها جيم أي ممتلئ الساقين وقوله خدلا مثله لكن بلا جيم والدال ساكنة وكسرها الأصيلي قوله خدم سوقهما أي الخلاخيل الواحدة خدمة بفتحتين قوله أخدان أي إخلاء جمع خدن الكسر وهو الخيل قوله مذعنين مستخدين." (١)

"وإحدى وتسعون كلمة، وثمان وتسعون آية.(بسم الله الرحمان الرحيم)ثبتت البسملة للكل.وقال ابن عيينة المخبتين المطمئنينأي: قال سفيان بن عيينة في قوله تعالى: ﴿وبشر المخبتين﴾ (الحج: ٤٣) أي: (المطمئنين) كذا ذكره ابن عيينة في تفسيره عن ابن جريج عن مجاهد، وقيل: المطمئنين بأمر الله، وقيل: المطيعين، وقيل: المتواضعين، وقيل: الخاشعين وهو من الإخبات والخبت بفتح أوله المطمئن من الأرض.وقال ابن عباس في: ﴿إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته﴾ (الحج: ٢٥) إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه فيبطل الله ما يلقي الشيطان ويحكم آياته.أي: قال ابن عباس في قوله عز وجل: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته﴾ ... الآية، وهذا التعليق رواه أبو محمد الرازي عن أبيه: حدثنا أبو صالح حدثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عنه، وقد تكلم المفسرون في هذه الآية أشياء كثيرة، والأحسن منها ما قاله أبو الحسن بن علي الطبري: ليس هذا التمني من القرآن والوحي في شيء وإنما هو أن النبي صلى الله عليه وسلم، كان إذا صفرت يده من المال ورأى ما بأصحابه من سوء الحال تمنى الدنيا بقلبه ووسوسة الشيطان، وأحسن من هذا أيضا ما قاله بعضهم: كان النبي صلى الله عليه وسلم، يرتل القرآن فارتصده الشيطان في سكتة من السكتات ونطق بتلك الكلمات محاكيا نغمته بحيث سمعه من دنا إليه فظنها من قوله وأشاعها. قلت: تلك الكلمات هي ما أخرجه ابن أبي حاتم والطبري وابن المنذر من طرق عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة النجم فلما بلغ: ﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾ (النجم: ٩١) ألقى الشيطان على لسانه.(تلك الغرانيق العلى ... وإن شفاعتهن لترتجى)فقال المشركون: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم فسجد وسجدوا، فنزلت هذه الآية وروي هذا أيضا من طرق كثيرة، وقال ابن العربي: ذكر الطبري في ذلك روايات كثيرة باطلة لا أصل لها، وقال عياض: هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع إسناده، وكذا من تكلم بهذه القصة من التابعين والمفسرين لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحبه، وأكثر الطرق عنهم في ذلك ضعيفة. وقال بعضهم: هذا الذي ذكره ابن العربي وعياض لا يمضي على القواعد، فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على أن لها أصلا. انتهى.قلت: الذي ذكراه هو اللائق بجلالة قدر النبي صلى الله عليه وسلم فإنه قد قامت الحجة واجتمعت الأمة على عصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة، وحاشاه عن أن يجري على قلبه أو لسانه شيء من ذلك لا عمدا ولا سهوا. أو يكون للشيطان عليه سبيل أو أن يتقول على الله عز وجل لا عمدا ولا سهوا. والنظر والعرف أيضا يحيلان ذلك ولو وقع لارتد كثير ممن أسلم، ولم ينقل

---

(١) فتح الباري لابن حجر ابن حجر العسقلاني ١/ ١١٠

ذلك ولا كان يخفى على من كان بحضرته من المسلمين. قوله: (من رسول ولا نبي) الرسول هو الذي يأتيه جبريل عليه الصلاة والسلام، بالوحي عيانا وشفاها، والنبي هو الذي تكون نبوته إلهاما أو كلاما، فكل رسول نبي بغير عكس. قوله: (إذا تمنى) أي: إذا أحب واشتهى، وحدثت به نفسه مما لم يؤمر به. قوله: (في أمنيته) ، أي: مراده، وقال ابن العربي: أي في قراءته، فأخبر الله تعالى في هذه الآية أن سنته في رسله إذا قالوا قولا زاد الشيطان فيه من قبل نفسه، فهذا نص في أن الشيطان زاده في قول النبي صلى الله عليه وسلم لا أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله.ويقال أمنيته قراءته إلا أماني يقرؤون ولا يكتبونهو قول الفراء فإنه قال: معنى قوله: (إلا إذا تمنى) ، إلا إذا تلى قال الشاعر:(تمنى كتاب الله أول ليلة ... تمني داود الزبور على رسل)." (١)

"﴿ولكل أمة﴾ أي جماعة مؤمنة سلفت قبلكم ﴿جعلنا منسكا﴾ بفتح السين مصدر وبكسرها اسم مكان أي ذبحا قربانا أو مكانه ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ عند ذبحها ﴿فإلهكم إله واحد فله أسلموا﴾ انقادوا ﴿وبشر المخبتين﴾ المطيعين المتواضعين٣ -." (٢)

"ويظهر أن الإشارة إلى زور أقوالهم في تحريم وتحليل ما كانوا قد شرعوا في الأنعام، وحنفاء معناه مستقيمين أو مائلين إلى الحق، بحسب أن لفظة الحنف من الأضداد، تقع على الاستقامة، وتقع على الميل، والسحيق: البعيد.[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٢ الى ٣٥]ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)وقوله سبحانه: ذلك ومن يعظم شعائر الله التقدير في هذا الموضع: الأمر ذلك، والشعائر جمع شعيرة وهي كل شيء لله عز وجل فيه أمر أشعر به وأعلم.قال الشيخ ابن أبي جمرة: ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب قال:______________- واستدل أبو حنيفة. بأن شريحا كان يشهر، ولا يضرب، وما روي عن عمر من أنه ضرب شاهد الزور أربعين سوطا وسخم وجهه، فمحمول على السياسة، بدلالة التبليغ إلى الأربعين، والتسخيم.والتشهير منقول عن شريح (رحمه الله تعالى) ، فإنه كان يبعثه إلى سوقه إن كان سوقيا، وإلى قومه إن كان غير سوقي بعد العصر أجمع ما كانوا، ويقول إن شريحا يقرئكم السلام، ويقول: إنا وجدنا هذا شاهد زور، فاحذروه، وحذروا الناس منه.واختلف القائلون بجواز الضرب، والحبس: فقال ابن أبي ليلى: يجلد خمسة وسبعين سوطا، وهذه رواية عن أبي يوسف، وفي رواية أخرى عنه: يجلد تسعة وسبعين سوطا.وقال الشافعي: لا يزيد على تسعة وثلاثين.وقال أحمد: لا يزداد على عشر جلدات.وقال الأوزاعي في شاهدي الطلاق: يجلدان مائة مائة، ويغرمان الصداق.وقال صاحب «الفتح» : اعلم أنه قد قيل: إن المسألة على ثلاثة أوجه: أن يرجع على سبيل الإصرار، مثل أن يقول لهم: شهدت في هذه بالزور، ولا أرجع عن مثل ذلك، فإنه يعزر بالضرب بالاتفاق، وإن رجع على سبيل التوبة لا يعزر اتفاقا، وإن كان لا يعرف حاله، فعلى

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري بدر الدين العيني ٦٦/١٩

(٢) تفسير الجلالين المحلي، جلال الدين ص/٤٣٨

الاختلاف المذكور.واختلفوا في قبول شهادته بعد توبته، فذهب الحنفية إلى أنه إذا تاب شاهد الزور، وأتت على ذلك مدة، قيل سنة، وقيل ستة أشهر، والصحيح أنها مفوضة لرأي القاضي.فإن كان فاسقا تقبل شهادته، لإن الحامل له على الزور فسقه، وقد زال بالتوبة.وإن كان مستورا لا يقبل أصلا، وكذا إذا كان عدلا، على رواية بشر عن أبي يوسف، لأن الحامل له على ذلك غير معلوم، فكان الحال قبل التوبة وبعدها سواء، وروى أبو جعفر أنها تقبل، قالوا: وعليه الفتوى.وقال الشافعي، وأبو ثور، وأحمد: تقبل شهادته إذا أتت على ذلك مدة تظهر فيها توبته، ويتبين فيها صدقه، وعدالته..وقال مالك: لا تقبل شهادته أبدا، لأنه لا يؤمن على قول الصدق.." (١)

"ت وأظهر هذه التأويلات عندي تأويل عطاء، وفي الثالث بعض تكلف، ثم أخبر تعالى أنه جعل لكل أمة من الأمم المؤمنة منسكا، أي: موضع نسك وعبادة، هذا على أن المنسك ظرف، ويحتمل أن يريد به المصدر كأنه قال: عبادة، والناسك العابد.وقال مجاهد «١» : سنة في هراقة دماء الذبائح.وقوله: ليذكروا اسم الله معناه أمرناهم عند ذبائحهم بذكر الله، وأن يكون الذبح له لأنه رازق ذلك، وقوله: فله أسلموا أي: آمنوا، ويحتمل أن يريد استسلموا، ثم أمر سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم أن يبشر بشارة على الإطلاق، وهي أبلغ من المفسرة لأنها مرسلة مع نهاية التخيل للمخبتين المتواضعين الخاشعين المؤمنين، والخبت ما انخفض من الأرض، والمخبت المتواضع الذي مشيه متطامن كأنه في حدور من الأرض، وقال عمرو بن أوس «٢» : المخبتون الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا.قال ع «٣» : وهذا مثال شريف من خلق المؤمن الهين اللين، وقال مجاهد: هم المطمئنون بأمر الله تعالى، ووصفهم سبحانه بالخوف والوجل عند ذكر الله تعالى، وذلك لقوة يقينهم ومراقبتهم لربهم، وكأنهم بين يديه جل وعلا، ووصفهم بالصبر وبإقامة الصلاة وإدامتها، وروي: أن هذه الآية قوله: وبشر المخبتين نزلت في أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي (رضي الله عنهم أجمعين) .[سورة الحج (٢٢) : آية ٣٦]والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦)وقوله سبحانه: والبدن جعلناها لكم من شعائر الله البدن: جمع بدنة، وهي ما أشعر من ناقة أو بقرة قاله عطاء وغيره «٤» ، وسميت بذلك لأنها تبدن، أي:تسمن.__________(١) أخرجه الطبري (٩/ ١٥٠) برقم (٢٥١٧١) ، وذكره ابن عطية (٤/ ١٢١) والسيوطي (٤/ ٦٤٨) ، وعزاه لعبد بن حميد، وابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد.(٢) أخرجه الطبري (٩/ ١٥١) برقم (٢٥١٧٧) ، وذكره ابن عطية (٤/ ١٢٢) ، وابن كثير (٣/ ٢٢١) والسيوطي (٤/ ٦٤٩) ، وعزاه لسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن أبي شيبة، وابن أبي الدنيا في «ذم الغضب» ، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن عمرو بن أوس.(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ١٢٣) .(٤) أخرجه الطبري (٩/ ١٥٢) برقم (٢٥١٨٠) ، وذكره ابن عطية (٤/ ١٢٢) ، وابن كثير (٣/ ٢٢١) .." (٢)

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ١٢١/٤

(٢) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ١٢٣/٤

"في كل ما أمر به أو نهى عنه ناسخا كان أو لا وإن لم تفهموا معناه كغالب مناسك الحج.ولما أمر بالإسلام من يحتاج إلى ذلك إيجادا أو تكميلا أو إدامة، وكان الإسلام هو سهولة الانقياد من غير كبر ولا شماخة، وكان منشأ الطمأنينة والتواضع اللذين هما أنسب شيء لحال الحجاج المتجرد من المخيط المكشوف الرأس الطالب لوضع أوزاره، وتخفيف آصاره لستر عوراه، أقبل سبحانه وتعالى على الرأس من المأمورين، الحائز لما يمكن المخلوقين أن يصلوا إليه من رتب الكمال، وخلال الجمال والجلال، إشارة إلى أنه لا يلحقه أحد في ذلك فقال: ﴿وبشر المخبتين*﴾ أي المتواضعين، المنكسرين، من الخبت – للأرض المنخفضة الصالحة للاستطراق وغيره من المنافع؛ ثم بين علاماتهم فقال: ﴿الذين إذا ذكر الله﴾ أي الذي له الجلال والجمال ﴿وجلت﴾ أي خافت خوفا مزعجا ﴿قلوبهم﴾ .ولما كان في ذكر الحج، وكان ذلك مظنة لكثرة الخلطة الموجبة لكثرة الأنكاد ولا سيما وقد كان أكثر المخالطين مشركين، لأن السورة مكية، قال عاطفا غير متبع، إيذانا بالرسوخ في الأوصاف: ﴿والصابرين﴾ الذين صار الصبر عادتهم ﴿على ما أصابهم﴾." (١)

"اجتنبوا (ومن يشرك بالله فكأنما خر): سقط، (من السماء فتخطفه): تسلبه، (الطير أو تهوي): تسقط، (به الريح في مكان سحيق): بعيد يعني: من أشرك فقد أهلك نفسه غاية الإهلاك فهو كجيفة اختطفته الطير فتفرق قطعا في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المهالك البعيدة، وأو للتخيير أو للتنويع فإن من المشركين من لا خلاص له أصلا، ومنهم من يمكن خلاصه بالإيمان لكن على بعد (ذلك): الأمر ذلك، (ومن يعظم شعائر الله): البدن والهدي وتعظيمها استسمانها أو أعمال الحج، (فإنها): تعظيمها، (من تقوى القلوب) أي: ناشئ من تقوى قلوبهم أو من أعمال ذوي تقوى القلوب، (لكم فيها). في الشعائر وهي البدن، (منافع): درها وصوفها وظهرها، (إلى أجل مسمى): وقت النحر وإن سماها وجعلها هديا أو الأجل المسمى تسمينها وجعلها هديا فما لم تسم بدنا ينتفع به، (ثم محلها): منحرها (إلى البيت العتيق) أي: عنده يعني: الحرم مطلقا.* * *(ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر." (٢)

"الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧) إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور (٣٨)* * *(ولكل أمة)، لكل أهل دين، (جعلنا منسكا)، بفتح السين مصدر، أي: ذبح المناسك، وبكسرها موضع نسك يعني: إراقة الدماء مشروعة في جميع الملل، وعن بعض لم يجعل الله لأمه منسكا غير مكة، (ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) أي: المقصود من المناسك خلوص العبادة له، (فإلهكم): أنتم ومن قبلكم، (إله واحد فله أسلموا): انقادوا له لا

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٤٨/١٣

(٢) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٥٥/٣

لغيره (وبشر المخبتين): الخاشعين الراضين بقضائه، (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة): في أوقاتها، (ومما رزقناهم ينفقون):." (١)

"- قوله تعالى: ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتينأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله ﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله﴾ قال: البدنوأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله ﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله﴾ قال: الاستسمان والاستحسان والاستعظاموفي قوله ﴿لكم فيها منافع إلى أجل مسمى﴾ قال: إلى أن تسمى بدناوأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن مجاهد ﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله﴾ قال: استعظام البدن واستسمانها واستحسانها ﴿لكم فيها منافع إلى أجل مسمى﴾ قال: ظهورها وأوبارها واشعارها وأصوافها إلى أن تسمى هديافإذا سميت هديا ذهبت المنافع ﴿ثم محلها﴾ يقول: حين يسمى إلى البيت العتيقوأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن الضحاك وعطاء في الأية قال: المنافع فيها الركوب عليها إذا احتاج وفي أوبارها." (٢)

"وأخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم أنه قال: في هذه الآية ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا﴾ أنه مكة لم يجعل الله لأمة قط منسكا غيرهاأخرج أحمد وأبو داود والترمذي وابن أبي حاتم والحاكم وصححه عن جابر بن عبد الله: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى للناس يوم النحر فلما فرغ من خطبته وصلاته دعا بكبش فذبحه هو بنفسه وقال: بسم الله والله أكبراللهم هذا عني وعمن لم يضح من أمتيوأخرج أحمد وأبو داود وابن ماجة وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن جابر قال: ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين في يوم عيد فقال حين وجههما: وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا مسلما وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلميناللهم منك ولك وعن محمد وأمتهثم سمى الله وكبر وذبحوأخرج ابن أبي الدنيا في الأضاحي والبيهقي في الشعب عن علي أنه قال حين ذبح: وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا مسلما وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمينوأخرج أحمد والبخاري ومسلم والنسائي وابن ماجة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى بكبشين أملحين أقرنين فسمى وكبروأخرج ابن أبي الدنيا عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا ذبح قال: بسم الله والله أكبر اللهم منك ولك اللهم تقبل منيوأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل ﴿فله أسلموا﴾ يقول: فله أخلصواوأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتمعن مجاهد في قوله ﴿وبشر المخبتين﴾ قال: المطمئنينوأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا في ذم الغضب وابن المنذر وابن أبي حاتم

---

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٥٦/٣

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور السيوطي ٤٦/٦

والبيهقي في شعب الإيمان عن عمرو بن أوس ﴿وبشر المخبتين﴾ قال: المخبتون الذين لا يظلمون الناس وإذا ظلموا لم ينتصروا." (١)

"وأخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن الضحاك رضي الله عنه ﴿وبشر المخبتين﴾ قال: المتواضعينوأخرج ابن أبي حاتم عن السدي رضي الله عنه ﴿وبشر المخبتين﴾ قال: الوجلينوأخرج ابن سعد وابن أبي شيبة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه كان إذا رأى الربيع بن خثيم قال: ﴿وبشر المخبتين﴾ وقال له: ما رأيتك إلا ذكرت المخبتين." (٢)

"أكبر لا إله إلا الله والله أكبر اللهم منك وإليك ثم علل الذكر بالنعمة تنبيها على التفكر فيها فقال تعالى: ﴿على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ فوجب شكره لذلك عليهم، وفيه تنبيه على أن القربان يجب أن يكون من الأنعام ﴿فإلهكم﴾ أي: الذي شرع هذه المناسك كلها ﴿إله واحد﴾ وإن اختلفت فروع شرائعه، ونسخ بعضها بعضا، وإذا كان واحدا وجب اختصاصه بالعبادة فلذا قال تعالى: ﴿فله﴾ وحده ﴿أسلموا﴾ أي: انقادوا بجميع ظواهركم وبواطنكم في كل ما أمر به أو نهى عنه ﴿وبشر المخبتين﴾ أي: المطيعين المتواضعين من الخبث، وهو المطمئن من الأرض وقيل: هم الذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لم ينتصروا.ثم بين علاماتهم بقوله تعالى: ﴿الذين إذا ذكر الله﴾ أي: الذي له الجلال والجمال ﴿وجلت﴾ أي: خافت خوفا مزعجا ﴿قلوبهم﴾ فيظهر عليها الخشوع والتواضع لله تعالى ﴿والصابرين﴾ الذين صار الصبر عادتهم ﴿على ما أصابهم﴾ من الكلف والمصائب ولما كان ذلك قد يشغل عن الصلاة قال تعالى ﴿والمقيمي الصلاة﴾ في أوقاتها والمحافظة عليها، وإن حصل لهم من المشاق بأفعال الحج وغيره ما عسى أن يحصل، ولذلك عبر بالوصف دون الفعل إشارة إلى أنه لا يقيمها على الوجه المشروع مع تلك المشاق والشواغل إلا راسخ في حبها فهم لما تمكن حبها في قلوبهم والخوف من الغفلة عنها كأنهم دائما في صلاة ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ في وجوه الخير من الهدايا التي يغالون في أثمانها وغير ذلك إحسانا إلى خلق الله تعالى.ولما قدم تعالى الحث على التقرب بالأنعام كلها وكانت الإبل أعظمها خلقا وأجلها في أنفسهم أمرا خصها بالذكر فقال تعالى: ﴿والبدن﴾ أي: الإبل المعروفة جمع بدنة كخشب وخشبة وانتصابه بفعل يفسره ﴿جعلناها لكم من شعائر الله﴾ أي: من أعلام دينه التي شرعها الله تعالى وقيل لأنها تشعر وهي أن تطعن بحديدة في سنامها ليعلم بذلك أنها هدي ﴿لكم فيها خير﴾ أي: نفع في الدنيا وثواب في العقبى كما قال ابن عباس دنيا وأخرى، وروى الترمذي وحسنه عن عائشة رضي الله تعالى عنه «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما عمل ابن آدم يوم النحر عملا أحب إلى الله من هراقة الدم وأنه ليؤتى يوم القيامة بقرونها وأظلافها وأشعارها وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع إلى الأرض فطيبوا بها نفسا» وروى الدارقطني في السنن عن ابن عباس قال «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنفقت الورق في شيء أفضل من نحيرة في يوم عيد» وعن بعض السلف أنه لم يملك إلا تسعة دنانير فاشترى بها بدنة فقيل له في ذلك فقال سمعت ربي يقول ﴿لكم فيها خير﴾ ﴿فاذكروا اسم الله عليها﴾ أي: على

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور السيوطي ٤٨/٦

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور السيوطي ٤٩/٦

ذبحها بالتكبير حال كونها ﴿صواف﴾ أي قائمة على ثلاث معقولة اليد اليسرى لأن البدنة تعقل إحدى يديها فتقوم على ثلاث ﴿فإذا وجبت جنوبها﴾ أي: سقطت سقوطا بردت به بزوال أرواحها فلا حركة لها أصلا، من وجب الحائط وجبة سقط، ووجبت الشمس وجبة غربت، قال ابن كثير وقد جاء في حديث مرفوع ولا تعجلوا النفوس أن تزهق وقوله تعالى ﴿فكلوا منها﴾ أي: إذا كانت تطوعا أمر إباحة دفعا لما قد يظن أنه يحرم الأكل منها للأمر بتقريبها لله تعالى: ﴿وأطعموا القانع﴾ أي المتعرض للسؤال بخشوع وانكسار ﴿والمعتر﴾ أي: السائل وقيل بالعكس وهو قول الشافعي رحمه الله تعالى." (١)

"قال في كتاب اختلاف الحديث القانع هو السائل، والمعتر هو الزائر، وقيل: القانع هو الجالس في بيته المتعفف الذي يقنع بما يعطى ولا يسأل ولا يتعرض،والمعتر المعترض وقيل القانع هو المسكين والمعتر الذي ليس بمسكين، ولا تكون له ذبيحة فيجيء إلى القوم فيتعرض لهم لأجل لحمهم ﴿كذلك﴾ أي مثل هذا التسخير العظيم الذي وصفناه من نحرها قياما ﴿سخرناها﴾ بعظمتنا التي لولاها ما كان ذلك ﴿لكم﴾ وذللناها ليلا ونهارا مع عظمها وقوتها تأخذونها منقادة فتعقلونها وتحبسونها ولو شئنا لجعلناها وحشية لم تطق ولم تكن بأعجز من بعض الوحش التي هي أصغر منها جرما وأقل قوة ﴿لعلكم تشكرون﴾ إنعامنا عليكم لتعرفوا أن ما ذللها لكم إلا الله تعالى، فيكون حالكم حال من يرجو شكره فتوقعوا لشكر بأن لا تحرموا منها إلا ما حرم عليكم ولا تحلوا منها إلا ما أحل، وتهدوا منها ما حث على إهدائه وتتصرفوا بحسب ما أمركم.ولما حث تعالى على التقرب بها مذكورا اسمه عليها قال تعالى: ﴿لن ينال الله﴾ الذي له صفات الكمال ﴿لحومها﴾ المأكولة ﴿ولا دماؤها﴾ المهراقة أي: لا يرفعان إليه ﴿ولكن يناله التقوى منكم﴾ أي: يرفع إليه منكم العمل الصالح الخالص له مع الإيمان، كما قال تعالى: ﴿والعمل الصالح يرفعه﴾ (فاطر: ١٠) أي: يقبله وقيل: كان أهل الجاهلية إذ انحروا البدن نضحوا الدماء حول البيت ولطخوه بالدم فلما حج المسلمون أرادوا مثل ذلك فنزلت.ثم كرر سبحانه وتعالى التنبيه على عظيم تسخيرها منبها على ما أوجب عليهم به بقوله تعالى: ﴿كذلك﴾ أي: التسخير العظيم ﴿سخرها لكم﴾ بعظمته وغناه عنكم ﴿لتكبروا الله على ما هداكم﴾ أي: أرشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه، كأن تقولوا الله أكبر على ما هدانا والحمد لله على ما أولانا، فاختصر الكلام بأن ضمن التكبير معنى الشكر وعدي تعديته.ثم وعد من امتثل الأمر بقوله تعالى: ﴿وبشر المحسنين﴾ أي: المخلصين فيما يفعلونه ويذرونه كما قال تعالى من قبل ﴿وبشر المخبتين﴾ والمحسن هو الذي يفعل الحسن من الأعمال ويتمسك به فيصير محبتا إلى نفسه بتوفير الثواب عليه، وقال ابن عباس: الموحدين. وقوله تعالى:﴿إن الله﴾ أي: الذي لا كفء له ﴿يدفع عن الذين آمنوا﴾ وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء وسكون الدال وفتح الفاء والباقون بضم الياء وفتح الدال وبعدها ألف وكسر الفاء أي: يبالغ في الدفع مبالغة من يغالب فيه ولم يذكر الله تعالى ما يدفعه عنهم حتى يكون أعظم وأفخم وأعم وإن كان في الحقيقة أنه يدفع بأس المشركين فلذلك قال تعالى بعده ﴿إن الله﴾ أي: الذي له صفات الكمال ﴿لا يحب﴾ أي: لا يكرم كما يفعل المحب ﴿كل خوان﴾ في أمانته ﴿كفور﴾ لنعمته وهم المشركون، قال ابن عباس: خانوا الله فجعلوا معه شريكا وكفروا نعمه، فنبه بذلك

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ٥٥٣/٢

على أنه يدفع عن المؤمنين كيد من هذه صفته وقال مقاتل: يدفع عن الذين آمنوا بمكة حين أمر المؤمنين بالكف عن كفار مكة قبل الهجرة حين آذوهم فاستأذنوا النبي صلى الله عليه وسلم في قتلهم سرا فنهاهم عن ذلك ثم أذن الله تعالى لهم قتالهم بقوله تعالى: ﴿أذن للذين يقاتلون﴾ أي: المشركين والمأذون فيه وهو في القتال محذوف لدلالة يقاتلون عليه ﴿بأنهم﴾ أي بسبب أنهم ﴿ظلموا﴾ فكانوا يأتونه صلى الله عليه وسلم بين مضروب ومشجوج يتظلمون إليه فيقول لهم: اصبروا فإني لم أومر بالقتال حتى هاجر فأنزلت وهي أول." (١)

"سورة الحج (٣٥٣٧) للقصر أي فإذا كان إلهكم إلها واحدا فأخلصوا له التقرب أو الذكر واجعلوه لوجهه خاصة ولا تشوبوه بالشرك ﴿وبشر المخبتين﴾ تجريد للخطاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أي المتواضعين أو المخلصين فإن الإخبات من الوظائف الخاصة بهم." (٢)

"الفصل الثاني٢٤٨٨ - (عن ابن عباس - رضي الله عنهما قال «كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يدعو يقول: رب أعني ولا تعن علي، وانصرني ولا تنصر علي، وامكر لي ولا تمكر علي، واهدني ويسر الهدى لي، وانصرني على من بغى علي، رب اجعلني شاكرا لك، ذاكرا لك، راهبا لك، مطواعا لك، مخبتا إليك، أواها منيبا. رب تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبت حجتي وسدد لساني، واهد قلبي، واسلل سخيمة صدري») رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه.ـــــــالفصل الثاني٢٤٨٨ - (عن ابن عباس قال كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يدعو يقول) بدل أو حال، (رب أعني) أي وفقني لذكرك وشكرك وحسن عبادتك، (ولا تعن علي) أي لا تغلب علي من يمنعني من طاعتك من شياطين الإنس والجن، (وانصرني ولا تنصر علي) أي أغلبني على الكفار ولا تغلبهم علي أو انصرني على نفسي فإنها أعدى أعدائي ولا تنصر النفس الأمارة علي بأن أتبع الهوى وأترك الهدى، (وامكر لي ولا تمكر علي) قال الطيبي: المكر الخداع وهو من الله إيقاع بلائه بأعدائه من حيث لا يشعرون، وقيل: هو استدراج العبد بالطاعة فيتوهم أنها مقبولة وهي مردودة، وقال ابن الملك: المكر الحيلة، والفكر في دفع عدو بحيث لا يشعر به العدو فالمعنى اللهم اهدني إلى طريق دفع أعدائي عني ولا تهد عدوي إلى طريق دفعه إياي عن نفسه قال بعض العارفين في قوله تعالى: ﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾ [الأعراف: ١٨٢] يظهر لهم الكرامات حتى يظنوا أنهم أولياء الله ثم يأخذهم على غفلة وغرة ويميتهم على غفلة، (واهدني) أي دلني على الخيرات أو على عيوب نفسي، (ويسر الهدى لي) أي وسهل اتباع الهداية أو طرق الدلالة لي حتى لا أستثقل الطاعة ولا أشتغل عن العبادة، (وانصرني) أي بالخصوص، (على من بغى علي) أي ظلمني وتعدى علي قال تأكيد لأعني إلخ والصواب أنه تخصيص لقوله: وانصرني في الأول، (رب اجعلني لك) قدم المتعلق للاهتمام والاختصاص أو لتحقيق مقام الإخلاص، (شاكرا) أي على النعماء والآلاء (لك ذاكرا) في الأوقات والآناء (لك راهبا) أي خائفا في السراء والضراء وفي الحصن لك شكارا لك رهابا على وزن فعال بصيغة المبالغة، وقال ابن حجر أي منقطعا عن الخلق وفيه أن هذا من لوازم معناه الأعم منه ومن غيره هو بإشارة الصوفية أشبه، وأما معنى العبارة فما

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ٥٥٤/٢

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ١٠٧/٦

قدمناه مع أن الرهبانية منسوخة عن هذه الأمة، ومراد الصوفية بالانقطاع إنما هو انصراف الهمة عن الخلق والتعلق بالحق وهذا تارة يصدر وينشأ من غاية الرهبة وتارة يصدر من غاية الرغبة.وجمهورهم على أن العبادة والعزلة بوصف من جهة الرجاء والترغيب أفضل من حصول الخوف والترهيب، ولهم مقام فوق ذلك وقد علم كل أناس مشربهم وكل قوم في منهاج مذهبهم، ومرتبة الجامعية المحمدية هي أكمل المقامات العلية والحالات السنية كما تدل عليه الدعوات الإلهية والتضرعات البهية التي تنبئ عن كمال العبودية عند التجليات الربوبية، (لك مطواعا) بكسر الميم مفعال للمبالغة أي كثير الطوع وهو الانقياد والطاعة وفي رواية ابن أبي شيبة مطيعا أي منقادا، (لك مخبتا) أي خاضعا خاشعا متواضعا من الخبت وهو المطمئن من الأرض يقال أخبت الرجل إذا نزل الخبت ثم استعمل الخبت استعمال اللين والتواضع قال تعالى: ﴿وأخبتوا إلى ربهم﴾ [هود: ٢٣] أي اطمأنوا إلى ذكره أو سكنت نفوسهم إلى أمره، وأقيم اللام مقام إلى لتفيد الاختصاص قال تعالى: ﴿وبشر المخبتين – الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾ [الحج: ٣٤ – ٣٥] (إليك أواها) أي متضرعا فعال للمبالغة من أوه تأويها وتأوه تأوها إذا قال: أوه، أي قائلا كثيرا لفظ أوه، وهو صوت الحزين، أي اجعلني حزينا ومتفجعا على التفريط، أو هو قول النادم من معصيته المقصر في طاعته، وقيل: الأواه البكاء (منيبا) أي راجعا، قيل: التوبة رجوع من المعصية إلى الطاعة والإنابة من الغفلة إلى الذكر والفكرة والأوبة من الغيبة إلى الحضور والمشاهدة قال الطيبي: وإنما اكتفي في قوله أواها منيبا بصلة واحدة لكون الإنابة لازمة للتأوه ورديفا له فكأنه شيء واحد، ومنه قوله تعالى: ﴿إن إبراهيم لحليم أواه منيب﴾ [هود: ٧٥] اهـ. وتعقبه ابن حجر بما لا يصح ذكره.." (١)

"تصفية الأعمال من الآفات ثم تصفية الأخلاق من الكدورات ثم تصفية الأحوال من الالتفاتات ثم تصفية الأنفاس من الأغيار وبشر المخبتين المتواضعين او المخلصين فان الخبت هو المطمئن من الأرض وحقيقة المخبت من صار فى خبت الأرض ولما كان الإخبات من لوازم التواضع والإخلاص صح ان يجعل كناية عنهما قال الكاشفى [وبشارت ده اى محمد فروتنانرا ببزركى آن سرا يا ترسكاران را برحمت بى منتهى. سلمى قدس سره فرموده كه مژده ده مشتاقانرا بسعادت لقا كه هيچ مژده ازين فرح افزاى تر نيست لاجرم در صفت مخبتين ميفرمايد] الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم الوجل استشعار الخوف كما فى المفردات اى خافت منه تعالى لاشراق أشعة جلاله عليها وطلوع أنوار عظمته والوجل عند الذكر على حسب تجلى الحق للقلبهر كرا نور تجلى شد فزون ... خشيت وخوفش بود از حد برونوالصابرين على ما أصابهم من المصائب والكلف قال فى بحر العلوم الذين صبروا على البلايا والمصائب من مفارقة أوطانهم وعشائرهم ومن تجرع الغصص والأحزان واحتمال المشاق والشدائد فى نصر الله وطاعته وازدياد الخير ومعنى الصبر الحبس يقال صبرت نفسى على كذا اى حبستها وفى التأويلات النجمية (والصابرين على ما أصابهم) اى خامدين تحت جريان الحكم من غير استكراه ولا تمنى خروجه ولا روم فرجه يستسلمون طوعا: قال الحافظ بلطف بخوانى مزيد الطافست ... وكر بقهر برانى درون ما صافستوقالبدرد وصاف ترا حكم نيست دم دركش ... كه هر چه ساقى ما كرد عين الطافستوقالعاشقانرا كر

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح الملا على القاري ١٧٢٣/٥

در آتش مينشاند قهر دوست ... تنك چشمم كرد نظر ز چشمه كوثر كنموقالآشنايان ره عشق أكرم خون بخورند ... ناكسم كر بشكايت سوى بيكانه روموقالحافظ از جور تو حاشا كه بنالد روزى ... كه از ان روز كه در بند تؤام دلشادموايضا الحافظين مع الله أسرارهم لا يطلبون السلوة باطلاع الخلق على أحوالهم والمقيمي الصلاة فى أوقاتها أصله مقيمين والاضافة لفظية وفى التأويلات النجمية والمديمى النجوى مع الله كقوله (الذين هم على صلاتهم دائمون) قال شاعرهمإذا ما تمنى الناس روحا وراحة ... تمنيت ان أشكو إليك وتسمعوامما رزقناهم ينفقون فى وجوه الخيرات قدم المفعول اشعارا بكونه أهم كأنه قيل ويخصون بعض المال الحلال بالتصدق به والمراد به اما الزكاة المفروضة لاقترانها بالصلاة المفروضة او مطلق ما ينفق فى سبيل الله لوروده مطلق اللفظ من غير قرينة الخصوص وفى الحديث (بدلاء أمتي لا يدخلون الجنة بصيامهم وقيامهم ولكن دخلوها بسلامة الصدر وسخاء النفس." (١)

"من السماء إلى الأرض لأنه يسقط من أوج الإيمان إلى حضيض الكفر. وقيل: هو إشارة إلى ما يكون له حين يصعد بروحه عند الموت، فتطرح من السماء إلى الأرض. قاله ابن البنا. فتخطفه الطير أي: تتناوله بسرعة، فالخطف والاختطاف: تناول الشيء بسرعة لأن الأهواء المردية كانت توزع أفكاره، أو تهوي به الريح أي: تسقطه وتقذفه. والهوى: السقوط. في مكان سحيق: بعيد لأن الشيطان قد طرحه في الضلال والتحير الكبير. والله تعالى أعلم.الإشارة: جعل الحق تعالى شكر النعم أمرين: طهارة الباطن من شرك الميل إلى السوى، ولسانه من زور الدعوى، وهو الترامي على مراتب الرجال قبل التحقق بها، حنيفا موحدا، شاكرا لأنعمه يجتبيه ربه، ويهديه إلى صراط مستقيم. ومن يشرك بالله بأن يحب معه غيره، فقد سقط عن درجة القرب والتحقيق، فتخطفه طيور الحظوظ والشهوات، وتهوي به ريح الهوى، في مكان سحيق. والعياذ بالله.ثم حض على الاعتناء بشأن الهدايا، فقال:[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٢ الى ٣٧]ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦)لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧)يقول الحق جل جلاله: ذلك أي: الأمر ذلك، أو امتثلوا ذلك، ومن يعظم شعائر الله أي:الهدايا، فإنها معالم الدين وشعائره تعالى، كما ينبيء عنه: والبدن جعلناها لكم من شعائر الله وتعظيمها: اعتقاد التقرب بها، وأن يختارها سمانا حسانا غالية الأثمان، روى «أنه صلى الله عليه وسلم أهدى مائة بدنة، فيها جمل لأبي جهل، في." (٢)

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٣٤/٦

(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥٣٢/٣

"أنفه برة من ذهب «١»» . وأن عمر رضى الله عنه- أهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار «٢». وقيل: شعائر الله: مواضع الحج، كعرفة ومنى والمزدلفة. وتعظيمها: إجلالها وتوقيرها، والتقصد إليها. وقيل: الشعائر: أمور الدين على الإطلاق، وتعظيمها: القيام بها ومراعاة آدابها، فإنها أي: فإن تعظيمها من تقوى القلوب أي: من أفعال ذوي تقوى القلوب، فحذفت هذه المضافات. أو فإن تعظيمها ناشىء من تقوى القلوب لأنها مراكز التقوى.لكم فيها منافع من الركوب عند الحاجة، ولبنها عند الضرورة، إلى أجل مسمى إلى أن تنحر. ومن قال: شعائر الله: مواضع الحج، فالمنافع: التجارة فيها والأجر، والأجل المسمى: الرجوع إلى مكة لطواف الإفاضة.ثم محلها منتهية إلى البيت العتيق، قال ابن جزي: من قال: إن الشعائر الهدايا، فمحلها موضع نحرها، وهي منى ومكة. وخص البيت بالذكر لأنه أشرف الحرم، وهو المقصود بالهدي. و «ثم» ، على هذا، ليست للترتيب في الزمان لأن محلها قبل نحرها، وإنما هي لترتيب الجمل. ومن قال: إن الشعائر مواضع الحج، فمحلها مأخوذ من إحلال المحرم، أي: آخر ذلك كله: الطواف بالبيت، أي: طواف الإفاضة إذ به يحل المحرم. هـ. أي:محل شعائر الحج كلها تنتهي إلى الطواف بالبيت، طواف الإفاضة. ومثله في الموطأ.ولكل أمة جماعة مؤمنة قبلكم، جعلنا منسكا أي: متعبدا وقربانا يتقربون به إلى الله- عز وجل- والمنسك- بالفتح: مصدر، وبالكسر: اسم موضع النسك، أي: لكل جعلنا عبادة يتعبدون بها، أو موضع قربان، يذبحون فيه مناسكهم، ليذكروا اسم الله دون غيره، على ما رزقهم من بهيمة الأنعام أي: عند نحرها وذبحها، فإلهكم إله واحد أي: اذكروا على الذبائح اسم الله وحده فإن إلهكم إله واحد، فله أسلموا أي:فإذا كان إلهكم إلها واحدا فأخلصوا له التقرب، أو الذكر خاصة، واجعلوه له سالما، لا تشوبوه بإشراك.وبشر المخبتين المطمئنين بذكر الله، أو المتواضعين، أو المخلصين، فإن الإخبات من الوظائف الخاصة بهم.والخبت: المطمئن من الأرض. وعن ابن عباس رضى الله عنه: هم الذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لم ينتصروا. وقيل:تفسيره ما بعده، وهو قوله: الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم: خافت منه هيبة لإشراق أشعة جلاله عليها. والصابرين على ما أصابهم من مشاق التكاليف ومصائب الزمان والنوائب، والمقيمي الصلاة في أوقاتها، ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخيرات.______________(١) البرة- بضم الموحدة-: الحلقة تجعل فى أنف الجمل، وكانوا يتخذونها من نحاس أو غيره، انظر اللسان (برى ١/ ٢٧٢) ، والحديث: أخرجه البيهقي فى دلائل النبوة (باب عدد حجات النبي صلى الله عليه وسلم ٥/ ٤٥٤) عن جابر رضى الله عنه. وفيه: «من فضة» ، بدلا من ذهب» .(٢) أخرجه أبو داود فى (المناسك، باب تبديل الهدى) عن سالم عن أبيه.." (١)

"متعبد والباقون بفتح السين بمعنى الموضع او المصدر اى اراقة الدعاء وذبح القرايين او قربانا يتقربون به الى الله ليذكروا اسم الله دون غيره ويجعلوا نسيلهم لوجهه علل الجعل به تنبيها على ان المقصود من جعل المناسك تذكر المعبود وفيه دليل على كون الذكر شرطا للذبح على ما رزقهم من بهيمة الأنعام عند نحرها وذبحها سماها بهيمة لانها لا تتكلم وقيدها بالانعام لان من البهائم ما ليس من الانعام كالخيل والبغال والحمير ولا يجوز ذبح شيء منها في القرابين الا الانعام بل الاهلية منها اجماعا- وهذه الجملة معترضة لتحريض امة محمد صلى الله عليه وسلم على التاسى بمن سبق فإلهكم إله

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥٣٣/٣

واحد يعنى سموا على الذبائح اسم الله وحده إذ لا اله لكم غيره جملة معللة يعنى جعلنا لكل امة متعبدا ليذكروا الله وحده لان اله كلهم واحد وان كانوا امما شتى فله دون غيره أسلموا انقادوا واطبعوا يعنى أخلصوا التقرب او الذكر ولا تشوبوه بالاشراك وبشر المخبتين (٣٤) عطف على قوله وأذن في الناس بالحج ان كان خطابا لنبينا صلى الله عليه وسلم والا فعلى وإذ بوأنا يعنى اذكر وقت تبويتنا وبشر المخبتين- الخبيت الشيء الحقير يعنى من خشع وعد نفسه حقيرا يقال اخبت إذا خشع وتواضع كذا في القاموس ومن هاهنا قال ابن عباس وقتادة معناه المتواضعين وقال الأخفش الخاشعين وقيل الخبت المكان المطمئن من الأرض ومن هاهنا قال مجاهد المطمئنين الى الله وقال النخعي المخلصين فان الاطمئنان هو الإخلاص- وقال الكلبي هم الرقيقة قلوبهم- وقال عمرو بن أوس هم الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا.الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم هيبة منه لاشراق أشعة جلاله عليها وعرفان عظمته والصابرين على ما أصابهم من المصائب والمقيمي الصلاة فى أوقاتها ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) عطف على صلة اللام الموصول يعنى بشر الذين يقيمون الصلوة وينفقون مما رزقنهم.والبدن جمع بدنة كخشب وخشبة قال الجزري في النهاية البدنة يقع على الجمل والناقة والبقرة وهى." (١)

"وتجنسوها؟؟؟ صافة قوائمها ثم تطعنون في لباتها لعلكم تشكرون (٣٦) إنعامنا عليكم بالتقرب والإخلاص- اخرج ابن ابى حاتم وابن جرير وابن المنذر عن ابن جريج قال كان اهل الجاهلية ينضحون البيت بلحوم الإبل ودمائها فقال اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فنحن أحق ان ننضح فانزل الله تعالى.لن ينال الله الاية- واخرج ابن المنذر وابن مردوية عن ابن عباس قال كان المشركون إذا ذبحوا استقبلوا الكعبة بالدماء فينتضحون بها نحو الكعبة- فاراد المسلمون ان يفعلوا ذلك فانزل الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها قال مقاتل اى لن يرفع الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله قرأ يعقوب لن تنال وتناله بالتاء المثناة من فوق فيهما والباقون بالياء المثناة من تحت اى ولكن يرفع الله التقوى منكم يعنى الأعمال الصالحة المترتبة على التقوى والإخلاص المراد بها وجه الله كذلك سخرها لكم كرره تذكيرا للنعمة وتعليلا له بقوله لتكبروا الله لتعرفوا عظمته باقتداره على مالا يقدر غيره فتوحدوه بالكبرياء شكرا على ما هداكم أرشدكم الى معالم دينه ومناسك حجه والى طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها- وما مصدرية او موصولة وعلى متعلقة بتكبر والتضمنه معنى الشكر- وقيل المراد التكبير عند الاحلال والذبح على انعام هداكم الله الى تسخيرها وبشر المحسنين (٣٧) قال ابن عباس يعنى الموحدين عطف على بشر المخبتين.إن الله يدافع «١» عن الذين آمنوا قرأ ابن كثير وابو عمرو يدفع بفتح الياء والفاء واسكان الدال والمفعول محذوف- اى يدفع غائلة المشركين عن المؤمنين ويمنعهم من المؤمنين والباقون يدافع من المفاعلة اى يبالغ في الدفع مبالغة من يغالب فيه إن الله لا يحب اى يبغض كل خوان في امانة الله كفور (٣٨) لنعمته قال ابن عباس خانوا الله يعنى كفار______________(١) وقوله إن الله يدافع تمهيد للاذن بالقتال- يعنى لما كان دفع الكفار با المؤمنين سنة مستمرة من الله تعالى اذن بالقتال وهذا يتضمن الوعد بالنصر حتى يحصل الدفع ١٢ منه رح.." (٢)

---

(١) التفسير المظهري المظهري، محمد ثناء الله ٣٢٢/٦

(٢) التفسير المظهري المظهري، محمد ثناء الله ٣٢٥/٦

"أبي شيبة في المصنف، وابن منيع وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، والبيهقي في السنن، عن ابن عباس قال: لما فرغ إبراهيم من بناء البيت قال: رب قد فرغت، فقال وأذن في الناس بالحج قال: رب وما يبلغ صوتي؟ قال: أذن وعلي البلاغ، قال: رب كيف أقول؟ قال: قل: يا أيها الناس كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق، فسمعه من في السماء والأرض، ألا ترى أنهم يجيئون من أقصى الأرض يلبون. وفي الباب آثار عن جماعة من الصحابة. وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس ليشهدوا منافع لهم قال: أسواقا كانت لهم، ما ذكر الله منافع إلا الدنيا. وأخرج ابن أبي حاتم عنه قال: منافع في الدنيا ومنافع في الآخرة، فأما منافع الآخرة فرضوان الله، وأما منافع الدنيا فمما يصيبون من لحوم البدن في ذلك اليوم والذبائح والتجارات. وأخرج أبو بكر المروزي في «كتاب العيدين» عنه أيضا قال:الأيام المعلومات: أيام العشر. وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عنه أيضا قال: الأيام المعلومات:يوم النحر وثلاثة أيام بعده. وأخرج ابن جرير عنه أيضا قال: أيام التشريق. وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عنه أيضا في الأيام المعلومات قال: قبل يوم التروية بيوم، ويوم التروية ويوم عرفة. وأخرج ابن جرير عنه أيضا قال: البائس: الزمن «١» . وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن ابن عمر قال:التفث المناسك كلها. وأخرج هؤلاء عن ابن عباس نحوه. وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: التفث: حلق الرأس، والأخذ من العارضين، ونتف الإبط، وحلق العانة، والوقوف بعرفة، والسعي بين الصفا والمروة، ورمي الجمار، وقص الأظفار، وقص الشارب، والذبح. وأخرج ابن جرير وابن المنذر عنه وليطوفوا بالبيت العتيق: هو طواف الزيارة يوم النحر.وورد في وجه تسمية البيت بالعتيق آثار عن جماعة من الصحابة، وقد أشرنا إلى ذلك سابقا، وورد في فضل الطواف أحاديث ليس هذا موضع ذكرها.[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٠ الى ٣٥]ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور (٣٠) حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق (٣١) ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤)الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)__________(١) . أي: المريض مرضا يطول شفاؤه.." (١)

"وهو علامتهم التي يتعارفون بها، ومنه إشعار البدنة، وهو الطعن في جانبها الأيمن، فشعائر الله أعلام دينه، وتدخل الهدايا في الحج دخولا أوليا، والضمير في قوله: فإنها من تقوى القلوب راجع إلى الشعائر بتقدير مضاف محذوف، أي: فإن تعظيمها من تقوى القلوب، أي: من أفعال القلوب التي هي من التقوى، فإن هذا التعظيم ناشئ من التقوى لكم فيها منافع أي: في الشعائر على العموم، أو على الخصوص، وهي البدن كما يدل عليه السياق. ومن منافعها: الركوب والدر والنسل والصوف وغير ذلك. إلى أجل مسمى وهو وقت نحرها ثم محلها إلى البيت العتيق أي: حيث يحل

---

(١) فتح القدير للشوكاني الشوكاني ٥٣٣/٣

نحرها، والمعنى: أنها تنتهي إلى البيت وما يليه من الحرم، فمنافعهم الدنيوية المستفادة منها مستمرة إلى وقت نحرها، ثم تكون منافعها بعد ذلك دينية. وقيل: إن محلها هاهنا مأخوذ من إحلال الحرام، والمعنى: أن شعائر الحج كلها من الوقوف بعرفة ورمي الجمار والسعي تنتهي إلى طواف الإفاضة بالبيت، فالبيت على هذا مراد بنفسه ولكل أمة جعلنا منسكا المنسك هاهنا المصدر من نسك ينسك إذا ذبح القربان، والذبيحة نسيكة، وجمعها نسك. وقال الأزهري: إن المراد بالمنسك في الآية موضع النحر، ويقال: منسك بكسر السين وفتحها لغتان، قرأ بالكسر الكوفيون إلا عاصما، وقرأ الباقون بالفتح. وقال الفراء: المنسك في كلام العرب: الموضع المعتاد في خير أو شر، وقال ابن عرفة ولكل أمة جعلنا منسكا: أي مذهبا من طاعة الله. وروي عن الفراء أن المنسك العيد، وقيل: الحج، والأول أولى لقوله: ليذكروا اسم الله إلى آخره، والأمة: الجماعة المجتمعة على مذهب واحد، والمعنى: وجعلنا لكل أهل دين من الأديان ذبحا يذبحونه ودما يريقونه، أو متعبدا أو طاعة أو عيدا أو حجا يحجونه، ليذكروا اسم الله وحده، ويجعلوا نسكهم خاصا به على ما رزقهم من بهيمة الأنعام أي: على ذبح ما رزقهم منها، وفيه إشارة إلى أن القربان لا يكون إلا من الأنعام دون غيرها، وفي الآية دليل على أن المقصود من الذبح المذكور هو ذكر اسم الله عليه. ثم أخبرهم سبحانه بتفرده بالإلهية وأنه لا شريك له، والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها، ثم أمرهم بالإسلام له، والانقياد لطاعته وعبادته، وتقديم الجار والمجرور على الفعل للقصر، والفاء هنا كالفاء التي قبلها، ثم أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يبشر المخبتين من عباده أي: المتواضعين الخاشعين المخلصين، وهو مأخوذ من الخبت، وهو المنخفض من الأرض، والمعنى: بشرهم يا محمد بما أعد الله لهم من جزيل ثوابه وجليل عطائه. وقيل: إن المخبتين هم الذي لا يظلمون غيرهم وإذا ظلمهم غيرهم لم ينتصروا، ثم وصف سبحانه هؤلاء المخبتين بقوله: الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم أي: خافت وحذرت مخالفته، وحصول الوجل منهم عند الذكر له سبحانه دليل على كمال يقينهم وقوة إيمانهم، ووصفهم بالصبر على ما أصابهم من البلايا والمحن في طاعة الله ثم وصفهم بإقامة الصلاة أي: الإتيان بها في أوقاتها على وجه الكمال. قرأ الجمهور: «والمقيمي الصلاة» بالجر على ما هو الظاهر، وقرأ أبو عمرو بالنصب على توهم بقاء النون، وأنشد سيبويه على ذلك قول الشاعر:الحافظو عورة العشيرة «١»............... .....______________(١) . البيت بتمامه:الحافظو عورة العشيرة لا ... يأتيهم من ورائنا نطف." (١)

"قال: ذبحا. وأخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم في الآية قال: مكة لم يجعل الله لأمة قط منسكا غيرها.وقد وردت أحاديث في الأضحية ليس هذا موضع ذكرها. وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله: وبشر المخبتين قال: المطمئنين. وأخرج سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا في ذم الغضب، وابن المنذر وابن أبي حاتم، والبيهقي في شعب الإيمان، عن عمرو بن أوس قال: المخبتون في الآية الذين لا يظلمون الناس، وإذا ظلموا لم ينتصروا.[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٦ الى ٣٧]والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم

---

(١) فتح القدير للشوكاني الشوكاني ٥٣٥/٣

تشكرون (٣٦) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧)قرأ ابن أبي إسحاق «والبدن» بضم الباء والدال، وقرأ الباقون بإسكان الدال، وهما لغتان، وهذا الاسم خاص بالإبل، وسميت بدنة لأنها تبدن، والبدانة: السمن. وقال أبو حنيفة ومالك: إنه يطلق على غير الإبل، والأول أولى لما سيأتي من الأوصاف التي هي ظاهرة في الإبل، ولما تفيده كتب اللغة من اختصاص هذا الاسم بالإبل. وقال ابن كثير في تفسيره: واختلفوا في صحة إطلاق البدنة على البقرة على قولين: أصحهما أنه يطلق عليها ذلك شرعا كما صح في الحديث. جعلناها لكم وهي ما تقدم بيانه قريبا لكم فيها خير أي: منافع دينية ودنيوية كما تقدم فاذكروا اسم الله عليها أي: على نحرها، ومعنى صواف أنها قائمة قد صفت قوائمها، لأنها تنحر قائمة معقولة، وأصل هذا الوصف في الخيل، يقال: صفن الفرس فهو صافن إذا قام على ثلاث قوائم وثنى الرابعة. وقرأ الحسن والأعرج ومجاهد وزيد بن أسلم وأبو موسى الأشعري «صوافي» أي: خوالص لله لا يشركون به في التسمية على نحرها أحدا، وواحد صواف صافة، وهي قراءة الجمهور. وواحد صوافي صافية. وقرأ ابن مسعود وابن عمر وابن عباس وأبو جعفر محمد بن علي «صوافن» بالنون جمع صافنة، والصافنة: هي التي قد رفعت إحدى يديها بالعقل لئلا تضطرب، ومنه قوله تعالى:الصافنات الجياد «١» ، ومنه قول عمرو بن كلثوم:تركنا الخيل عاكفة عليه ... مقلدة أعنتها صفوناوقال الآخر:ألف الصفون فما يزال كأنه ... مما يقوم على الثلاث كسيرافإذا وجبت جنوبها الوجوب: السقوط، أي: فإذا سقطت بعد نحرها، وذلك عند خروج روحها فكلوا منها ذهب الجمهور أن هذا الأمر للندب وأطعموا القانع والمعتر هذا الأمر قيل هو للندب كالأول، وبه قال مجاهد والنخعي وابن جرير وابن سريج. وقال الشافعي وجماعة: هو للوجوب.____________(١) . ص: ٣١.." (١)

"أي عند ذبحها وفي هذا تنبيه على أن المقصود الأصلي من طلب الذبائح تذكر المعبود وعلى أن القربان يجب أن يكون من الأنعام فإلهكم إله واحد فلا تذكروا على ذبائحكم غير اسم الله وفي هذا بيان أن الله تعالى واحد في ذاته كما أنه واحد في إلهيته لكل الخلق فله أسلموا أي فإذا كان إلهكم إلها واحدا فأخلصوا له الذكر بحيث لا يشوبه إشراك ألبتة وانقادوا له تعالى في جميع تكاليفه وبشر المخبتين (٣٤) أي المتواضعين فالحج من صفات المتواضعين كالتجرد عن اللباس، وكشف الرأس، والغربة من الأوطان الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم من مشاق التكليف والمصائب، فأما ما يصيبهم من قبل الظلمة فالصبر عليه غير واجب بل إن أمكنه دفع ذلك لزمه الدفع ولو بالمقاتلة والمقيمي الصلاة في أوقاتها.وقرأ الحسن «والمقيمي الصلاة» بنصب «الصلاة» على تقدير النون. وقرأ ابن مسعود «والمقيمين الصلاة» على الأصل ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) في وجوه الخيرات وأمر الله تعالى رسوله أن يبشر بالجنة المتواضعين المتصفين بوجل القلوب إذا أمروا بأمر من الله تعالى وبالصبر إذا أصابهم البلاء من الله تعالى وبإقامة الصلاة في وقت السفر للحج وبصدقة التطوع، أي لذلك الوجل أثران الصبر على البلايا التي من قبل الله تعالى والاشتغال بالخدمة بالنفس وبالمال وهما أعز الأشياء عند الإنسان، فالخدمة بالنفس: هي الصلاة. والخدمة بالنفس وبالمال: هي إنفاقه في

---

(١) فتح القدير للشوكاني الشوكاني ٥٣٧/٣

وجوه الخيرات والبدن جعلناها لكم من شعائر الله أي أعلام دينه وهو مفعول ثان و «لكم» متعلق به «والبدن» عند الشافعي خاصة بالإبل، وعند أبي حنيفة الإبل والبقر لكم فيها أي البدن خير أي منافع دينية ودنيوية هي درها ونسلها وصوفها وظهرها فاذكروا اسم الله عليها أي على نحرها صواف أي قياما على ثلاث قوائم قد صفت رجليها ويدها اليمنى ويد أخرى معقولة فينحرها كذلك بأن تقولوا عند الذبح بسم الله والله أكبر اللهم منك وإليك.وقرئ «صوافن» بضم النون. وقرئ «صوافي» أي خوالص لوجه الله تعالى، لا تشركوا بالله في التسمية أحدا على نحرها وخوالص من العيوب. وعن عمرو بن عبيد «صوافيا» بالتنوين عوضا عن حرف الإطلاق عند الوقف فإذا وجبت جنوبها أي سقطت على الأرض وذلك عند خروج الروح منها فكلوا منها إن شئتم إذا كانت الأضاحي تطوعا وأطعموا القانع أي الراضي بما يدفع إليه من غير سؤال والمعتر أي الذي يعتر بالسلام ولا يسأل بل يري نفسه للناس كالزائر كذلك مع كمال عظمها ونهاية قوتها، أي فالله تعالى جعل الإبل والبقر بالصفة التي يمكننا تصريفها على ما نريد وذلك نعمة عظيمة من الله تعالى في الدنيا والدين لعلكم تشكرون (٣٦) أي لتشكروا إنعامنا عليكم بالإخلاص لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم أي لن يصل إلى الله تعالى أي إلى مرضاته لحوم القرابين ولا دماؤها، ولكن يقبل." (١)

"وعن البراء «١» مرفوعا. أربع لا تجوز في الأضاحي، العوراء البين عورها، والمريضة البين مرضها، والعرجاء البين ظلعها، والكسيرة التي لا تنقي: رواه أحمد وأهل السنن.فإنها أي فإن تعظيمها من تقوى القلوب أي من أفعال ذوي التقوى.والإضافة إلى القلوب، لأن التقوى وضدها تنشأ منها.القول في تأويل قوله تعالى: [سورة الحج (٢٢) : آية ٣٣]لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣)لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق أي لكم في الهدايا منافع درها ونسلها وصوفها وظهرها إلى وقت نحرها.وقد روي في الصحيحين «٢» عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يسوق بدنة قال: اركبها. قال: إنها بدنة قال:أركبها، ويحك. في الثانية أو الثالثة.وقوله: ثم محلها أي محل الهدايا وانتهاؤها إلى البيت العتيق وهو الكعبة كما قال تعالى: هديا بالغ الكعبة [المائدة: ٩٥] ، وقال: والهدي معكوفا أن يبلغ محله [الفتح: ٢٥] .قال في (الإكليل) : فيه أن الهدي لا يذبح إلا بالحرم. وقيل: المعنى: محل هذه الشعائر كلها الطواف بالبيت العتيق. فيقتضي أن الحاج بعد طواف الإفاضة.يحل له كل شيء. وكذا روي عن ابن عباس: ما طاف أحد بالبيت إلا حل، لهذه الآية. وقوله تعالى:القول في تأويل قوله تعالى: [سورة الحج (٢٢) : آية ٣٤]ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤)ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام.أي شرعنا لكل أمة أن ينسكوا. أي يذبحوا لوجهه تعالى، على وجه التقرب.وجعل العلة، أن يذكر اسمه. تقدست أسماؤه. على النسائك. ف (منسكا) مصدر__________(١) أخرجه النسائي في: الضحايا ٥- باب ما هي عنه من الأضاحي.(٢) أخرجه البخاري في: الحج، ١٠٣- باب ركوب البدن، حديث رقم ٨٧٨.وأخرجه مسلم في: الحج، حديث رقم ٣٧٣.." (٢)

---

(١) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد نووي الجاوي ٧٣/٢

(٢) تفسير القاسمي = محاسن التأويل القاسمي ٢٤٦/٧

"ميمي على أصله. أو بمعنى المفعول. وفي الآية تنبيه على أن القربان يجب أن يكون نعما.فإلهكم إله واحد فله أسلموا أي أخلصوا له الذكر خاصة، لا تشوبوه بإشراك. وبشر المخبتين.القول في تأويل قوله تعالى: [سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٥ الى ٣٦]الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦)الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم أي خافت لتأثرهم عند ذكره مزيد تأثر والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيهاأي في ذبحها تضحية خير من المنافع الدينية والدنيوية فاذكروا اسم الله عليها صواف أي قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن. وعن ابن عباس: قياما على ثلاث قوائم، معقولة يدها اليسرى. يقول: بسم الله، والله أكبر، لا إله إلا الله: اللهم منك ولك. وفي الصحيحين «١» عن ابن عمر أنه أتى على رجل قد أناخ بدنة وهو ينحرها. فقال: ابعثها قياما مقيدة سنة أبي القاسم صلى الله عليه وسلم:وفي صحيح مسلم «٢» عن جابر في صفة حجة الوداع، قال فيه: فنحر رسول صلى الله عليه وسلم بيده ثلاثا وستين بدنة. جعل يطعنها بحربة في يده فإذا وجبت جنوبها أي سقطت على الأرض، وهو كناية عن الموت فكلوا منها وأطعموا القانع أي السائل والمعتر أي المتعرض بغير سؤال. أو القانع الراضي بما عنده وبما يعطي من غير سؤال، والمعتر المتعرض بسؤال وقد استنبط من الآية أن الأضحية تجزأ ثلاثة أجزاء: فيأكل ثلثا ويهدي ثلثا ويتصدق بثلث.______________(١) أخرجه البخاري في: الحج، ١١٨- باب نحر الإبل مقيدة، حديث ٨٨٥.وأخرجه مسلم في: الحج، حديث ٣٥٨.(٢) أخرجه مسلم في: الحج، حديث رقم ١٤٧. [.....]." (١)

"مراجعة، وقد بينا هذا مع حكمته في تفسير وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله (٣: ١٥٩) وترى في تلك السورة كيف كانت مخالفة الرماة له صلى الله عليه وسلم سببا في ظهور العدو على المسلمين، فراجع تفسير أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم (٣: ١٦٥) في ١٨٤ وما بعدها ج ٤ ط الهيئة.ولأئمة المسلمين منهم من حق الطاعة في تنفيذ المشروع، وإدارة الأمور العامة، وقيادة الجند ما كان له صلى الله عليه وسلم منه، مقيدا بعدم معصية الله تعالى، وبمشاورة أولي الأمر، كما تقدم تفصيله في تفسير: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم (٤: ٥٩) الآية.ثم قال تعالى: إن كنتم مؤمنين أي: فامتثلوا الأوامر الثلاثة فإن الإيمان يقتضي ذلك كله ؛ لأن الله تعالى أوجبه، والمؤمن بالله غير المرتاب بوعده ووعيده يكون له سائق من نفسه إلى طاعته، إلا أن يعرض له ما يغلبه عليها أحيانا من ثورة شهوة أو ثورة غضب، ثم لا يلبث أن يفيء إلى أمر الله، ويتوب إليه مما عرض له، كما تقدم في تفسير: إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب (٤: ١٧) إلخ، ثم وصف الله المؤمنين بما يدل على هذا ويثبته فقال:إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم هذه جملة مستأنفة لبيان حال المؤمنين الذين بين في شرطية الآية قبلها شأنهم من التقوى وإصلاح ذات البين في الأمة وطاعة الله ورسوله على قاعدة أن النكرة إذا أعيد ذكرها معرفة تكون عين الأولى،أو بيان حال المؤمنين الكاملي الإيمان مطلقا ؛ ليعلم منه أن تلك الأمور الثلاثة هي بعض

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل القاسمي ٢٤٧/٧

شأنهم، وقد بين صفاتهم بصيغة الحصر التي يخاطب بها من يعلم ذلك أو ينزل منزلة العالم به الذي لا ينكره، وهي " إنما " كما حققه إمام الفن الشيخ عبد القاهر، وصفهم بخمس صفات: (الصفة الأولى) قوله: الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم قال الراغب: الوجل استشعار الخوف، يعني ما يجعل القلب يشعر به بالفعل، وعبر غيره عنه بالفزع والخوف (وبابه فرح وتعب) وذلك أن الخوف توقع أمر مؤلم في المستقبل قد يصحبه شعور الألم والفزع، وقد يفارقه لضعفه أو لاعتقاد بعد أجله، فالوجل والفزع أخص منه، وفي سورة الحجر من حوار إبراهيم صلى الله عليه وسلم مع ضيفه المنكرين.قال إنا منكم وجلون قالوا لا توجل (١٥: ٥٢، ٥٣) إلخ، وفي سورة " المؤمنون " في صفة المؤمنين المشفقين من خشية ربهم: والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون (٢٣: ٦٠) فالوجل هنا مقترن بالعمل الصالح وهو البذل والعطاء، وفي سورة الحج: وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٢٢: ٣٤، ٣٥) وهي بمعنى آية الأنفال، وليس للوجل ذكر في." (١)

"روى أن النبي صلى الله عليه وسلم أهدى مائة بدنة فيها جمل لأبى جهل فى أذنه برة- حلق- من ذهب، وأن عمر أهدى نجيبة- ناقة- طلبت منه بثلاثمائة دينار، وقد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعها ويشترى بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل أهدها، وكان ابن عمر رضى الله عنهما يسوق البدن مجللة بالقباطي- ثياب مصرية غالية الثمن- فيتصدق بلحومها وبجلالها.(لكم فيها منافع إلى أجل مسمى) أي لكم فى تلك الهدايا منافع كركوبها حين الحاجة وشرب ألبانها حين الضرورة إلى أن تنحر ويؤكل منها ويتصدق بلحومها (ثم محلها إلى البيت العتيق) أي ثم مكان حل نحرها عند البيت العتيق أي عند الحرم جميعه، إذ الحرم كله فى حكم البيت الحرام.أخرج البخاري فى تاريخه والترمذي وحسنه والحاكم وصححه وابن جرير والطبري وغيرهم عن ابن الزبير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنما سماه الله البيت العتيق، لأنه أعتقه من الجبابرة فلم يظهر عليه جبار قط»وإلى هذا ذهب قتادة، وقد قصده تبع ليهدمه فأصابه الفالج فأشير عليه أن يكف عنه، وقيل له إن ربا يمنعه، فتركه وكساه، وهو أول من كساه، وقصده أبرهة فأصابه ما أصابه.[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٤ الى ٣٥]ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)تفسير المفرداتالمنسك (بكسر السين وفتحها) والنسك فى الأصل: العبادة مطلقا، وشاع استعماله فى أعمال الحج، والمراد به هنا الذبح وإراقة الدماء على وجه التقرب إليه تعالى، أسلموا:." (٢)

"ثم أخبر سبحانه بتفرده بالألوهية وأنه لا شريك له فقال:(فإلهكم إله واحد فله أسلموا) أي فإن معبودكم واحد وإن اختلفت العبادات بحسب الأزمنة والأمكنة ونسخ بعضها بعضا، فما المقصد منها جميعا إلا عبادة الله وحده لا شريك له كما قال: «وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون» فأخلصوا له العمل واستسلموا لحكمه وانقادوا له فى جميع ما كلفكم به.(وبشر المخبتين) أي وبشر أيها الرسول الخاضعين لله بالطاعة،

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٤٩٠/٩

(٢) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ١١١/١٧

المذعنين له بالعبودية، المنيبين إليه بالتوبة، بما أعد لهم من جزيل ثوابه، وجليل عطائه.ثم بين سبحانه علاماتهم فقال:(١) (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) أي إنهم إذا ذكر الله عرتهم رهبة من خشيته، وخوف من عقابه.(٢) (والصابرين على ما أصابهم) من النوائب والمحن فى طاعة الله.(٣) (والمقيمي الصلاة) أي والمؤدين حقه تعالى فيما أوجبه عليهم من فريضة الصلاة فى الأوقات التي حددها لهم.(٤) (ومما رزقناهم ينفقون) أي وينفقون بعض ما آتاهم الله من طيب الرزق فى وجوه البر وعلى أهليهم وأقاربهم وعلى الخلق كافة، ومن ذلك إهداء الهدايا التي يغالون فى أثمانها.[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٦ الى ٣٧]والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧)." (١)

"ثم وصف الله تعالى المؤمنين بخمس صفات تدل على وجوب التقوى وإصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله فقال:(إنما المؤمنون) أي إنما المؤمنون حقا المخلصون فى إيمانهم هم الذين اجتمعت فيهم خصال خمس:(١) (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) أي الذين إذا ذكروا الله بقلوبهم فزعوا لعظمته وسلطانه أو لوعده ووعيده ومحاسبته لخلقه، والآية بمعنى قوله: «وبشر المخبتين، الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون» .(٢) (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا) أي وإذا تليت عليهم آياته المنزلة على خاتم أنبيائه صلى الله عليه وسلم زادتهم يقينا فى الإيمان، وقوة فى الاطمئنان، ونشاطا فى الأعمال إذ أن تظاهر الأدلة وتعاضد الحجج يوجب زيادة اليقين، فابراهيم صلوات الله وسلامه عليه كان مؤمنا بإحياء الله الموتى حين دعا ربه أن يريه كيف يحييها كما قال تعالى: «أولم تؤمن؟ قال بلى ولكن ليطمئن قلبي» فمقام الطمأنينة فى الإيمان يزيد على ما دونه من الإيمان المطلق قوة وكمالا.
ويروى أن عليا المرتضى قال: لو كشف عنى الحجاب ما ازددت يقينا، والعلم التفصيلي فى الإيمان أقوى من العلم الإجمالى، فمن آمن بأن لله علما محيطا بالمعلومات، وحكمة قام بها نظام الأرض والسموات، ورحمة وسعت جميع المخلوقات ويعلم ذلك علما إجماليا ولو سألته أن يبين لك شواهده فى الخلق لعجز- لا يوزن إيمانه بإيمان صاحب العلم التفصيلي بسنن الله فى الكائنات فى كل نوع من أنواع المخلوقات، ولا سيما فى العصور الحديثة التي اتسعت فيها معارف البشر بهذه السنن، فعرفوا منها ما لم يكن يخطر عشر معشاره لأحد من العلماء فى القرون الخوالى.وفى معنى الآية قوله تعالى فى وصف الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم." (٢)

"﴿٣٤ - ٣٥﴾ ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين * الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾ .أي: ولكل أمة من الأمم السالفة جعلنا منسكا، أي: فاستبقوا إلى الخيرات وتسارعوا إليها، ولننظر أيكم أحسن عملا والحكمة في جعل الله لكل أمة منسكا، لإقامة ذكره، والالتفات لشكره، ولهذا قال: ﴿ليذكروا اسم الله على

---

(١) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ١١٣/١٧

(٢) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ١٦٤/٩

ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد﴾ وإن اختلفت أجناس الشرائع، فكلها متفقة على هذا الأصل، وهو ألوهية الله، وإفراده بالعبودية، وترك الشرك به ولهذا قال: ﴿فله أسلموا﴾ أي: انقادوا واستسلموا له لا لغيره، فإن الإسلام له طريق إلى الوصول إلى دار السلام. ﴿وبشر المخبتين﴾ بخير الدنيا والآخرة، والمخبت: الخاضع لربه، المستسلم لأمره، المتواضع لعباده، ثم ذكر صفات المخبتين فقال: ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ أي: خوفا وتعظيما، فتركوا لذلك المحرمات، لخوفهم ووجلهم من الله وحده، ﴿والصابرين على ما أصابهم﴾ من البأساء والضراء، وأنواع الأذى، فلا يجري منهم التسخط لشيء من ذلك، بل صبروا ابتغاء وجه ربهم، محتسبين ثوابه، مرتقبين أجره، ﴿والمقيمي الصلاة﴾ أي: الذين جعلوها قائمة مستقيمة كاملة، بأن أدوا اللازم فيها والمستحب، وعبوديتها الظاهرة والباطنة، ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ وهذا يشمل جميع النفقات الواجبة، كالزكاة، والكفارة، والنفقة على الزوجات والمماليك، والأقارب، والنفقات المستحبة، كالصدقات بجميع وجوهها، وأتي بـ ﴿من﴾ المفيدة للتبعيض، ليعلم سهولة ما أمر الله به ورغب فيه، وأنه جزء يسير مما رزق الله، ليس للعبد في تحصيله قدرة، لولا تيسير الله له ورزقه إياه. فيا أيها المرزوق من فضل الله، أنفق مما رزقك الله، ينفق الله عليك، ويزدك من فضله.." (١)

"الدرس السابع والسبعون بعد المائة﴿إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم (٢٥) وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود (٢٦) وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق (٢٧) ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير (٢٨) ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق (٢٩) ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور (٣٠) حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق (٣١) ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)." (٢)

"السماء﴾ ، قال: هذا مثل ضربه الله لمن أشرك بالله في بعده من الهدى وهلاكه، ﴿فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾ ، قال مجاهد: بعيد.قوله عز وجل: ﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ﴾ .قال محمد بن أبي موسى: الوقوف بعرفة من شعائر الله، والجمع من شعائر الله، ورمي الجمار من شعائر الله، والبدن من شعائر الله، ومن يعظمها فإنها من شعائر الله.في قوله: ﴿ومن يعظم شعائر الله﴾ فمن يعظمها، ﴿فإنها من تقوى القلوب﴾ . وعن ابن عباس في قوله: ﴿ومن يعظم شعائر الله

---

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن عبد الرحمن السعدي ص/٥٣٨

(٢) توفيق الرحمن في دروس القرآن فيصل المبارك ١٦٣/٣

فإنها من تقوى القلوب﴾ ، قال: استعظامها، واستحسانها، واستمساكها، ﴿لكم فيها منافع إلى أجل مسمى﴾ ، قال: ما لم يسم بدنا. وعن عطاء: ﴿لكم فيها منافع إلى أجل مسمى﴾ ، قال هو: ركوب البدن، وشرب لبنها إن احتاج، ﴿ثم محلها إلى البيت العتيق﴾ إلى مكة. وفي الصحيحين أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رأى رجلا يسوق بدنة قال: «اركبها» . قال: إنها بدنة، قال: «اركبها ويحك» ، في الثانية، أو في الثالثة. وفي حديث آخر عند مسلم قال: «اركبها بالمعروف إذا لجئت إليها» .قوله عز وجل: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤)." (١)

"الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) ﴾ .عن مجاهد: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا﴾ ، قال: إهراق الدماء، ... ﴿ليذكروا اسم الله﴾ عليها، ﴿فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين﴾ المطمئنين إلى الله.وقال ابن زيد في قوله: ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ ، قال: لا تقسوا قلوبهم، ﴿والصابرين على ما أصابهم﴾ من شدة في أمر اللهوناهم من مكروه في جنبه، ﴿والمقيمي الصلاة﴾ المفروضة، ﴿ومما رزقناهم﴾ من الأموال، ﴿ينفقون﴾ في الواجب عليهم إنفاقها فيه، في زكاة ونفقة عيال، ومن وجبت عليه نفقته، وفي سبيل الله.قوله عز وجل: ﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧) ﴾ .قال عطاء: ﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر الله﴾ ، قال: البقرة، والبعير. وقال مجاهد: إنما البدن من الإبل، ويشهد له قوله – صلى الله عليه وسلم –: «من اغتسل يوم الجمعة ثم راح في الساعة الأولى، فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة» . الحديث.وعن مجاهد في قول الله: ﴿لكم فيها خير﴾ ، قال: أجر ومنافع في البدن. وعن ابن عباس في قوله: ﴿فاذكروا اسم الله عليها صواف﴾ ، قال: الله أكبر، الله أكبر، اللهم منك ولك قيامها على ثلاث أرجل، فقيل لابن عباس: ما نصنع بجلودها؟." (٢)

"الإعراب:(لكم) متعلق بخبر مقدم (فيها) متعلق بحال من (منافع) «١» ، (إلى أجل) متعلق بنعت لمنافع تقديره مؤخرة أو مؤجلة (إلى البيت) متعلق بخبر محذوف للمبتدأ (محلها) .جملة: «لكم فيها منافع ... » لا محل لها استئنافية- أو تعليلية-.وجملة: «محلها إلى البيت ... » لا محل لها معطوفة على الاستئنافية.[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٤ الى ٣٥]ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون
(٣٥)الإعراب:(الواو) استئنافية (لكل) متعلق بمحذوف مفعول به ثان عامله جعلنا (اللام) للتعليل (يذكروا) منصوب بأن مضمرة بعد اللام.والمصدر المؤول (أن يذكروا ... » في محل جر باللام متعلق ب (جعلنا) .(يذكروا.. بهيمة الأنعام) مر

---

(١) توفيق الرحمن في دروس القرآن فيصل المبارك ١٦٨/٣

(٢) توفيق الرحمن في دروس القرآن فيصل المبارك ١٦٩/٣

إعرابها «٢» ، (الفاء) الأولى استئنافية، والثانية رابطة لجواب شرط مقدر (له) متعلق ب (أسلموا) ، و (الواو) عاطفة.جملة: «جعلنا ... » لا محل لها استئنافية.وجملة: «يذكروا ... » لا محل لها صلة الموصول الحرفي (أن) المضمر.____________(١) أو متعلق بالخبر المحذوف.(٢) في الآية (٢٨) من هذه السورة.." (١)

"وجملة: «رزقهم ... » لا محل لها صلة الموصول (ما) .وجملة: «إلهكم إله ... » لا محل لها استئنافية.وجملة: «أسلموا ... » في محل جزم جواب شرط مقدر أي إن طلبتم رضاه فأسلموا له.وجملة: «بشر المخبتين» معطوفة على جملة أسلموا «١» ..(الذين) موصول في محل نصب نعت ل (المخبتين) «٢» ، (إذا) ظرف للزمن المستقبل متعلق بالجواب وجلت (الواو) عاطفة في المواضع الثلاثة (الصابرين، المقيمي) اسمان معطوفان على المخبتين منصوبان مثله، وعلامة النصب فيهما الياء (الصلاة) مضاف إليه مجرور (مما) متعلق ب (ينفقون) والعائد محذوف أي رزقناهم إياه.وجملة: «الشرط وفعله وجوابه» لا محل لها صلة الموصول الذين.وجملة: «ذكر الله» في محل جر مضاف إليه.وجملة: «وجلت قلوبهم» لا محل لها جواب لشرط.وجملة: «أصابهم» لا محل لها صلة الموصول (ما) .وجملة: «رزقناهم» لا محل لها صلة الموصول (ما) الثاني.وجملة: «ينفقون» لا محل لها معطوفة على جملة صلة الذين.الصرف:(المخبتين) ، جمع المخبت، اسم فاعل من أخبت الرباعي بمعنى تواضع وأطاع، والإخبات النزول في الخبت وهو المكان المنخفض.____________(١) يجوز أن تكون الجملة مستأنفة فلا محل لها.(٢) أو في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف تقديره هم.. أو في محل نصب مفعول به لفعل محذوف تقديره أمدح أو أعني.." (٢)

"منطلقا بقوة اليقين- فمثل هذا الذكر لا يعدو أن يكون أصواتا مرددة، أشبه بالجثث الهامدة.. لا روح فيه، ولا معقول له.. ومن هنا تكون آفته، فلا يطمئن به قلب، ولا ينشرح به صدر..أما الذكر الذي يقول فيه سبحانه وتعالى: «الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله.» ثم يؤكده بقوله: «ألا بذكر الله تطمئن القلوب» فهو الذكر الذي ينبعث عن إيمان، فتهتز له المشاعر، وتدفأ به الصدور، وتطمئن به القلوب.. ولهذا قدم سبحانه الإيمان على الذكر.. حتى يكون للذكر أصل يرجع إليه، ومنطق بنطق منه، وهو الإيمان.. فإذا ذكر المؤمن بالله ربه، غردت فى نفسه بلابل البهجة، وزغردت فى صدره عرائس الرضا، واستولت عليه حال من الشجا الممزوج بالنشوة، حتى ليكاد يكون كله عاطفة ترف بجناحي الصبابة والوجد، وتحلق فى سماوات عالية، مشرقة بنور الحق، معطرة بأريج الصفاء والطهر.ولا يكون الذكر لله ذكرا يثمر هذه الثمرة، التي يطمئن بها القلب، إلا إذا انبعث من قلب عارف بالله، مدرك لما ينبغى له سبحانه، من صفات الكمال والجلال، فذلك هو الذي يفيض على القلب خشية عند ذكر الله، وهو الذي يستثير مشاعر الولاء لله، والإخبات له، فتقشعر الجلود، وتدمع العيون..وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: «إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم» (٢: الأنفال) .. وقوله سبحانه: «وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم» (٣٤- ٣٥ الحج) وقوله جل

---

(١) الجدول في إعراب القرآن محمود صافي ١١٣/١٧

(٢) الجدول في إعراب القرآن محمود صافي ١١٤/١٧

شأنه «الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله» .. (٢٣: الزمر)." (١)

"الآيات: (٣٤- ٣٧) [سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٤ الى ٣٧]ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧)التفسير:قوله تعالى:«ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين» .المنسك: اسم مكان، يؤدى فيه النسك.. والنسك: هو ما افترض الله على عباده من قربات يتقربون بها إليه.والمخبتين: المطيعين، المطمئنين، الذين يؤدون أوامر الله فى رضا واطمئنان..والمعنى: أن الله سبحانه وتعالى جعل لكل أمة «منسكا» أي معلما من." (٢)

"معالم دينهم، يدعون فيه إلى التقرب إلى الله بالذبائح، وذكر اسمه عليها عند ذبحها، ليذكروا بذلك فضله عليهم، فيما رزقهم من بهيمة الأنعام، ينتفعون بها في وجوه كثيرة.. كما يقول سبحانه: «والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤف رحيم والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة» (٥- ٨: النحل) .- وفى قوله تعالى: «فإلهكم إله واحد» إشارة إلى أن المناسك، والشعائر، والعبادات التي تعبد الله بها عباده على لسان رسله- وإن اختلفت صورا وأشكالا- هى من دين الله، وهى طريق عباده إلى طاعته ورضاه.. وأن هذا الاختلاف فى صورها وأشكالها، لا يجعل منها سببا إلى الاختلاف بين المؤمنين بالله.. فكلهم يعبدون إلها واحدا، ومن شأنهم، أن يكونوا أمة واحدة.- وقوله تعالى: «فله أسلموا» هو دعوة للمؤمنين أن يسلموا وجوههم لله، وأن ينقادوا له، ثم هو دعوة لأهل الكتاب أن يدخلوا فى دين الله، وهو الإسلام، إن كانوا مؤمنين بالله حقا.. فما الإسلام إلا دين الله، الذي اجتمع فيه ما تفرق منه فى الأمم السابقة ...- وقوله تعالى: «وبشر المخبتين» هو استدعاء، وإغراء للذين لم يمتثلوا بعد هذا الأمر- أن يسلموا لله وجوههم، وأن يدخلوا فى دينه، ليكونوا ممن لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ...قوله تعالى:«الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم." (٣)

---

(١) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب ١١١/٧

(٢) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب ١٠٣٦/٩

(٣) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب ١٠٣٧/٩

": ٢٦] .[٣٤، ٣٥][سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٤ الى ٣٥]ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا.عطف على جملة ثم محلها إلى البيت العتيق [الحج: ٣٣] .والأمة: أهل الدين الذين اشتركوا في اتباعه. والمراد: أن المسلمين لهم منسك واحد وهو البيت العتيق كما تقدم. والمقصود من هذا الرد على المشركين إذ جعلوا لأصنامهم مناسك تشابه مناسك الحج وجعلوا لها مواقيت ومذابح مثل الغبغب منحر العزى، فذكرهم الله تعالى بأنه ما جعل لكل أمة إلا منسكا واحدا للقربان إلى الله تعالى الذي رزق الناس الأنعام التي يتقربون إليه منها فلا يحق أن يجعل لغير الله منسك لأن ما لا يخلق الأنعام المقرب بها ولا يرزقها الناس لا يستحق أن يجعل له منسك لقربانها فلا تتعدد المناسك.فالتنكير في قوله منسكا للإفراد، أي واحدا لا متعددا، ومحل الفائدة هو إسناد الجعل إلى ضمير الجلالة.وقد دل على ذلك قوله: ليذكروا اسم الله وأدل عليه التفريع بقوله فإلهكم إله واحد. والكلام يفيد الاقتداء ببقية الأمم أهل الأديان الحق.وعلى يجوز أن تكون للاستعلاء المجازي متعلقة ب ليذكروا اسم الله مع تقدير مضاف بعد على تقديره: إهداء ما رزقهم، أي عند إهداء ما رزقهم، يعني ونحرها أو ذبحها.ويجوز أن تكون على بمعنى: لام التعليل. والمعنى: ليذكروا اسم الله لأجل ما رزقهم من بهيمة الأنعام.." (١)

"وقد فرع على هذا الانفراد بالإلهية بقوله: فإلهكم إله واحد فله أسلموا أي إذ كان قد جعل لكم منسكا واحدا فقد نبهكم بذلك أنه إله واحد، ولو كانت آلهة كثيرة لكانت شرائعها مختلفة. وهذا التفريع الأول تمهيد للتفريع الذي عقبه وهو المقصود، فوقع في النظم تغيير بتقديم وتأخير. وأصل النظم: فلله أسلموا، لأن إلهكم إله واحد. وتقديم المجرور في فله أسلموا للحصر، أي أسلموا له لا لغيره. والإسلام: الانقياد التام، وهو الإخلاص في الطاعة، أي لا تخلصوا إلا لله، أي فاتركوا جميع المناسك التي أقيمت لغير الله فلا تنسكوا إلا في المنسك الذي جعله لكم، تعريضا بالرد على المشركين.وقرأ الجمهور منسكا- بفتح السين- وقرأه حمزة، والكسائي، وخلف- بكسر السين-، وهو على القراءتين اسم مكان للنسك، وهو الذبح. إلا أنه على قراءة الجمهور جار على القياس لأن قياسه الفتح في اسم المكان إذ هو من نسك ينسك- بضم العين- في المضارع. وأما على قراءة الكسر فهو سماعي مثل مسجد من سجد يسجد، قال أبو علي الفارسي: ويشبه أن الكسائي سمعه من العرب.وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) .اعتراض بين سوق المنن، والخطاب للنبيء صلى الله عليه وسلم وأصحاب هذه الصفات هم المسلمون.والمخبت: المتواضع الذي لا تكبر عنده. وأصل المخبت من سلك الخبت. وهو المكان المنخفض ضد المصعد، ثم استعير للمتواضع." (٢)

---

(١) التحرير والتنوير ابن عاشور ٢٥٩/١٧

(٢) التحرير والتنوير ابن عاشور ٢٦٠/١٧

"وضمير أنه الحق عائد إلى العلم الذي أوتوه، أي ليزدادوا يقينا بأن الوحي الذي أوتوه هو الحق لا غيره مما ألقاه الشيطان لهم من التشكيك والشبه والتضليل، فالقصر المستفاد من تعريف الجزأين قصر إضافي. ويجوز أن يكون ضمير أنه عائدا إلى ماتقدم من قوله فينسخ الله إلى قوله ثم يحكم الله آياته، أي أن المذكور هو الحق، كقول رؤبة:فيها خطوط من سواد وبلق ... كأنه في الجلد توليع البهقأي كان كالمذكور.وقوله فيؤمنوا به معناه: فيزدادوا إيمانا أو فيؤمنوا بالناسخ والمحكم كما آمنوا بالأصل.والإخبات: الاطمئنان والخشوع. وتقدم آنفا عند قوله تعالى: وبشر المخبتين [الحج: ٣٤] ، أي فيستقر ذلك في قلوبهم كقوله تعالى: قال بلى ولكن ليطمئن قلبي [البقرة:٢٦٠] .وبما تلقيت في تفسير هذه الآية من الانتظام البين الواضح المستقل بدلالته والمستغنى بنهله عن علالته، والسالم من التكلفات والاحتياج إلى ضميمة القصص ترى أن الآية بمعزل عما ألصقه بها الملصقون والضعفاء في علوم السنة، وتلقاه منهم فريق من المفسرين حبا في غرائب النوادر دون تأمل ولا تمحيص، من أن الآية نزلت في قصة تتعلق بسورة النجم فلم يكتفوا بما أفسدوا من معنى الآية حتى تجاوزوا بهذا الإلصاق إلى إفساد معاني سورة النجم، فذكروا في ذلك رواياتعن سعيد بن جبير، وابن شهاب، ومحمد بن كعب القرظي، وأبي العالية، والضحاك وأقربها رواية عن ابن شهاب وابن جبير والضحاك قالوا: إن النبيء صلى الله عليه وسلم جلس في ناد من أندية قريش كثير أهله من مسلمين وكافرين، فقرأ عليهم سورة." (١)

"أفراد هذا العموم، داخل فيه قطعا وذلك في قوله: والبدن جعلناها لكم من شعائر الله [٢٢ \ ٣٦] فيدخل في الآية تعظيم البدن واستسمانها واستحسانها كما قدمنا عن البخاري: أنهم كانوا يسمنون الأضاحي، وكانوا يرون أن ذلك من تعظيم شعائر الله، وقد قدمنا أن الله صرح بأن الصفا والمروة داخلان في هذا العموم بقوله: إن الصفا والمروة من شعائر الله الآية [٢ \ ١٥٨] وأن تعظيمها المنصوص في هذه الآية: يدل على عدم التهاون بالسعي بين الصفا والمروة كما تقدم إيضاحه في مبحث السعي، وقوله في هذه الآية ذلك فيه ثلاثة أوجه من الإعراب.الأول: أن يكون في محل رفع بالابتداء والخبر محذوف: أي ذلك حكم الله وأمره.الثاني: أن يكون خبر مبتدأ محذوف: أي اللازم ذلك أو الواجب ذلك.الثالث: أن يكون في محل نصب بفعل محذوف، أي اتبعوا ذلك أو امتثلوا ذلك، ومما يشبه هذه الإشارة في كلام العرب قال زهير:هذا وليس كمن يعي بخطته ... وسط الندى إذا ما قائل نطقاقاله القرطبي وأبو حيان والضمير المؤنث في قوله: فإنها من تقوى القلوب قال القرطبي: هو عائد إلى الفعلة التي يتضمنها الكلام، ثم قال: وقيل إنه راجع إلى الشعائر بحذف مضاف أي: فإن تعظيمها أي الشعائر فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه فرجع الضمير إلى الشعائر، اه، وقال الزمخشري في الكشاف: فإنها من تقوى القلوب أي: فإن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب، فحذفت هذه المضافات ولا يستقيم المعنى إلا بتقديرها، لأنه لا بد من راجع من الجزاء إلى " من ليرتبط به، اه منه.قوله تعالى: وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم، أمر الله - جل وعلا - نبيه - صلى الله عليه وسلم - أن يبشر المخبتين: أي المتواضعين لله المطمئنين الذين من صفتهم: أنهم إذا سمعوا ذكر الله، وجلت قلوبهم أي: خافت من الله - جل وعلا - وأن يبشر الصابرين على ما أصابهم من الأذى، ومتعلق التبشير محذوف لدلالة المقام عليه أي

---

(١) التحرير والتنوير ابن عاشور ٣٠٣/١٧

بشرهم بثواب الله وجنته، وقد بين في موضع آخر: أن الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم: هم المؤمنون حقا وكونهم هم المؤمنين حقا، يجعلهم جديرين بالبشارة." (١)

"سؤال مهم وهو لماذا أنث الضمير؟ وعلى أي شيء يعود؟ والجواب لا يستقيم إلا بتقدير مضافات محذوفة ولا يستقيم المعنى إلا بتقديرها لأن الضمير يعود على الشعائر أي فإن تعظيمها من أفعال تقوى القلوب والعائد على من محذوف أي منه ويجوز أن الضمير ضمير مصدر مؤنث تقديره فإن العظمة أو الحرمة أو الخصلة.[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٤ الى ٣٨]ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧) إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور (٣٨)." (٢)

"وفي القاموس «والمعتر الفقير والمعترض للمعروف من غير أن يسأل عره، عرا واعتره وبه» وفي الأساس واللسان: «وعن عائشة رضي الله عنها: مال اليتيم عرة لا أدخله في مالي ولا أخلطه به» . ولا تفعل هذا لا تصبك منه معرة وفي الحديث «كلما تعاررت ذكرت الله» وكان سلمان رضي الله عنه إذا تعار في الليل قال: سبحان رب النبيين وإله المرسلين، وهو أن يهب من النوم مع كلام من عرار الظليم وهو صياحه و «أطعموا القانع والمعتر» أي المعترض بسؤاله»
.الإعراب:(ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير التشريع الخاص بكل أمة ونوع التعبد الذي يتقربون به الى الله ولكل أمة متعلقان بمحذوف مفعول جعلنا الثاني المقدم وجعلنا فعل وفاعل ومنسكا مفعول جعلنا الأول وليذكروا اللام للتعليل ويذكروا مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والجار والمجرور متعلقان بجعلنا واسم الله مفعول به وعلى ما رزقهم متعلقان بيذكروا وجملة رزقهم صلة ومن بهيمة الأنعام متعلقان برزقهم. (فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين) الفاء الفصيحة وإلهكم مبتدأ وإله خبره وواحد صفة فله الفاء عاطفة وله متعلقان بأسلموا وأسلموا فعل أمر وفاعل وبشر الواو عاطفة وبشر فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت والمخبتين مفعول به.(الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) الذين نعت للمخبتين أو بدل منه وإذا." (٣)

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٥/٢٥٨

(٢) إعراب القرآن وبيانه محيي الدين درويش ٦/٤٣١

(٣) إعراب القرآن وبيانه محيي الدين درويش ٦/٤٣٤

"حرمات الله: التكاليف الدينية وكل ما نهى الله عنه. فاجتنبوا الرجس من الأوثان: ابتعدوا عن عبادتها. الزور: الكذب. حنفاء: واحدهم حنيف، وهو من استقام على دين الحق، ومال عن كل زيغ وضلال. كأنما خر من السماء: كأنما سقط من السماء. فتخطفه الطير: يعني بعد ان يسقط ويموت تأكله الطير. مكان سحيق: مكان بعيد. شعائر الله: جمع شعيرة وهي كل اعمال الحج والهدايا التي يسوقها الحاج. منسكا: مكانا للعبادة. مخبتين: خاشعين. وجلت قلوبهم: خافت.﴿ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور﴾ .ذلك الذي أمرنا به من قضاء المناسك هو الواجب عليكم في حجكم، ومن يلتزم أوامر الله ونواهيه في حجه تعظيما لحدود الله يكن ذلك خيرا له عند ربه في دنياه وآخرته. لقد أحل الله لكم لحوم الإبل والبقرة والغنم، إلا في حالات مما بينه القرآن، كالميتة وغيرها، فاجتنبواعبادة الأوثان وطاعة الشيطان. . إن ذلك رجس. ابتعدوا عن قول الزور على الله وعلى الناس.﴿حنفآء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السمآء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾ .تمسكوا بهذه الأمور مخلصين العبادة لله وحده، دون إشراك أحد به. . . . إن من يشرك بالله يعرض نفسه للهلاك المريع، وكأنه سقط من السماء فتمزق قطعا تتخطفه الطور فلا تبقي له أثرا، أو كأن الريح العاتية عصفت به فشتتت أجزاءه، وهوت بكل جزء منها في مكان بعيد.﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾ .امتثلوا ذلك واحفظوه، لأن من يعظم دين الله وفرائض الحج وأعماله، ويسوق البدن والهدايا الى الحرم ويختارها عظيمة الأجسام صحيحة سمينة – فقد اتقى الله، لأن تعظيمها أثر من آثار تقوى القلوب.﴿لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلهآ إلى البيت العتيق﴾لكم في هذه الهدايا منافع دنيوية، فتركبونها حين الحاجة وتحمل أثقالكم، وتشربون من ألبانها، ثم لكم منافعهها الدينية كذلك حين تذبحونها عند البيت الحرام تقربا الى الله.﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين﴾ .ليست هذه المناسك خاصة بكم، فقد جعلنا لأهل كل دين من الأديان من قبلكم قرابين يتقربون بها الى الله، يوذكرون اسم الله عليها ويعظمونه عند ذبحها شكرا له على ما أنعم عليهم، ويسره لهم منها. إن عبودكم إله واحد فاسلموا له وحده، ولا تشركوا معه أحدا. ويا أيها الرسول بشر بالجنة والثواب الجزيل المخلصين، الخاضعين لله من عباده. وقد بين الله علامات أولئك المختبين فقال:﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على مآ أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾ .وهؤلاء المختبين لهم صفات:أولاها: أنهم إذا ذكر الله عرتهم رهبة من خشيته، وخوف من عقابه.ثانيتها: الذين يصبرون عند الشدائد على ما يصيبهم من المكاره والمتاعب.ثالثتها: ويقيمون الصلاة على أحسن وجه في أوقاتها بخضوع ونشاط.رابعتها: وينفقون بعض ما آتاهم الله من طيب الرزق في وجوه البر وفي سبيل الله.." (١)

"والآيتان متصلتان بالسياق والموضوع كما هو واضح. واحتمال مكيتهما ومدنيتهما واردان تبعا لورودهما في سياق واحد مع الآيات السابقة التي تحتمل ذلك كما هو المتبادر.[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٤ الى ٣٥]ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر

---

(١) تيسير التفسير للقطان إبراهيم القطان ٤٥٨/٢

الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥). (١) منسك: على وزن مفعل بمعنى محل نسك أو واجب نسك. ومن معاني النسك في اللغة القربان. وقد ورد بهذا المعنى في آية سورة البقرة هذه: فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك [١٩٦] .(٢) المخبتين: المتواضعين أو الخاشعين أو الخاضعين. وقيل إنها بمعنى المطمئن أيضا والمعاني الأولى أوجه ويؤيدها آية سورة هود هذه: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون (٢٣) .وفي هاتين الآيتين:١- تنبيه على أن الله تعالى قد أوجب على كل أمة واجبات في صدد ذبح القرابين أمكنة وأشكالا، ليذكروا اسمه عند ذبح الأنعام شكرا له على تسخيرها لهم.٢- وتعقيب على هذا التنبيه: فإن إله الناس جميعا هو واحد لا يصح عليه التعدد، وإن من واجبهم الإسلام والإخلاص والخضوع له.٣- وأمر للنبي صلى الله عليه وسلم بتبشير المخلصين الخاضعين الذين إذا ذكروا الله استشعرت قلوبهم هيبته، وإذا ما أصابتهم مصيبة صبروا وتحملوا والذين يواظبون على إقامة الصلاة له والإنفاق مما رزقهم.الجزء السادس من التفسير الحديث ٤." (١)

"إليك أواها منيبا، رب تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبت حجتي، وسدد لساني، واهد قلبي، واسلل سخيمة صدري. رواه الترمذي، وأبو داود، وابن ماجة.ـــــــــالمتواضع الذي اطمأن قلبه إلى ذكر ربه وأقيم اللام مقام ((إلى)) لتفيد الاختصاص قال تعالى: ﴿وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ الآية (٢٢: ٣٥) وفي رواية البغوي: ((إليك مخبتا)) (إليك) وللبغوي: ((لك)) مكان ((إليك)) (أواها) بتشديد الواو أي أكثر التأوه من الذنوب وهو التضرع ، وقيل: كثير الدعاء، وقيل: كثير البكاء. وقال القاري: أي متضرعا فعال للمبالغة من أوه تأويها وتأوه تأوها إذا قال: أوه أي قائلا لفظ أوه وهو صوت الحزين أي: اجعلني حزنيا ومتفجعا على التفريط أو هو قول النادم من معصيته المقصر في طاعته، وقيل: الأواه البكاء (منيبا) من الإنابة، أي راجعا إليك في أموري كلها، وقيل التوبة رجوع من المعصية إلى الطاعة والإنابة من الغفلة إلى الذكر والفكرة والأوبة من الغيبة إلى الحضور والمشاهدة. قال الطيبي: وإنما اكتفى في قوله: ((أواها منيبا)) بصلة واحدة لكون الإنابة لازمة للتأوه ورديفا له فكأنه شيء واحد ومنه قوله تعالى: ﴿إن إبراهيم لحليم أواه منيب﴾ (١١: ٧٥) (رب تقبل توبتي) بجعلها صحيحة بشرائطها واستجماع آدابها فإنها لا تتخلف عن حيز القبول قال تعالى: ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده﴾ (٤٢: ٢٥) (واغسل حوبتي) بفتح الحاء وتضم، أي امح ذنبي وأزل خطيئتي وإثمي. قيل: هي مصدر حبت بكذا، أي أثمت، تحوب حوبة وحوبا وحبابة والجواب بالضم، والحاب الإثم سمي بذلك لكونه مزجورا عنه إذ الحوب في الأصل لزجر الإبل وذكر المصدر دون الإثم وهو الحوب لأن الاستبراء من فعل الذنب أبلغ منه من نفس الذنب كذا قيل، ويمكن أن يكون مراعاة للسجع، ثم ذكر الغسل ليفيد إزالته بالكلية بحيث لا يبقى منه أثر، والتنزة والتفصي عنه عن القذر الذي يستنكف عن مجاورته (وأجب دعوتي) ، أي دعائي (وثبت حجتي) ، أي على أعدائك في الدنيا والعقبى أو ثبت قولي وتصديق في الدنيا وعن جواب الملكين في القبر وقيل: أي قو إيماني بك وثبتني على الصواب عند السؤال (وسدد لساني) ، أي صوبه وقومه حتى لا ينطق إلا بالصدق ولا يتكلم إلا بالحق

---

(١) التفسير الحديث محمد عزة دروزة ٤٩/٦

(واهد قلبي) ، أي إلى الصراط المستقيم وقيل: أي إلى معرفة ربي، وقيل: أي إلى درك الحقائق الشرعية (واسلل) بضم اللام الأولى، أي أخرج وأنزع من سل السيف إذا أخرجه من الغمد (سخيمة صدري) ، بضم المهملة وكسر المعجمة، أي غشه وغله وحقده. قيل: السخيمة الضغينة من السخمة وهو السواد ومنه سخام القدر وإنما أضاف السخيمة إلى المصدر إضافة الشيء إلى محله والمعنى أخرج من صدري وانزع عنه ما ينشأ منه ويسكن فيه ويستولى عليه من مساوي الأخلاق وفي رواية ابن حبان، والبغوي ((قلبي)) بدل ((صدري)) . (رواه الترمذي) في الدعوات، (وأبو داود) في أواخر الصلاة، (وابن ماجة) في الدعاء، وأخرجه أيضا أحمد (ج١: ص٢٢٧) ، والبخاري في الأدب المفرد (ج٢: ص١١٨، ١١٩) ، والنسائي في اليوم والليلة، وابن حبان في صحيحه، والحاكم (ج١: ص٥٢٠) ، وابن أبي شيبة، والبغوي (ج٥: ص١٧٥، ١٧٦) وقال." (١)

"في مكان سحيق بعيد الغور، فلا أثر له.جعل حال المشرك يوم القيامة بمنزلة من لا يملك لنفسه نفعا، ولا يدفع عن نفسه ضرا، فهو بمنزلة من خر من السماء، أو هوى فى غور.[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٢ الى ٣٤]ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤)٣٢- ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب:ذلك خبر لمبتدأ محذوف، أي الأمر والشأن ذلك.ومن يعظم يجل ويؤدها على وجهها الأتم.شعائر الله مناسك الحج وفرائضه.فإنها أي فإن تعظيمها.من تقوى القلوب من آثار تقوى القلوب.٣٣- لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق:لكم فيها أي هذه الهدايا التي تهدونها، يعنى النعم.منافع تركبونها وتشربون لبنها.إلى أجل مسمى الى أن يحين وقت ذبحها.ثم محلها إلى ثم مكانها الذي تنتهى اليه.البيت العتيق المسجد الحرام وهو أقدم بيت لله على الأرض، حيث تذبح تقربا الى الله تعالى.٣٤- ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين:ولكل أمة جعلنا منسكا قرابين يتقربون بها الى الله.ليذكروا اسم الله عند ذبحها.." (٢)

"على ما رزقهم على ما أنعم عليهم.من بهيمة الأنعام من بهائم الإبل والبقر والغنم.فإلهكم إله واحد والذي شرع لكم ولهم إله واحد.فله أسلموا فأسلموا له وحده أمركم.وبشر المخبتين الخاضعين لله من عباده بأن لهم الجنة.[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٥ الى ٣٦]الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦)٣٥- الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون:وجلت قلوبهم خشعت لذكره.والصابرين على ما أصابهم من المكاره.والمقيمي الصلاة على أكمل وجوهها.ومما رزقناهم ينفقون والذين ينفقون فى وجوه الخير بعضا مما رزقناهم.٣٦-

---

(١) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح عبيد الله الرحماني المباركفوري ٢٥٣/٨

(٢) الموسوعة القرآنية إبراهيم الإبياري ٣٥٢/١٠

والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون:والبدن الإبل والبقر.من شعائر الله من أعلام الدين ومظاهره.لكم فيها خير بركوبها وشرب ألبانها فى الدنيا وفى الآخرة بالأجر والثواب.فاذكروا اسم الله عليها حين ذبحها.صواف مصطفة معدة للذبح ليس فيها ما يعيبها.فإذا وجبت جنوبها أي سقطت على جنوبها مذبوحة.." (١)

"٣١- حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق فتخطفه:وقرئ:١- بفتح الخاء والطاء مشددة، وهى قراءة نافع.٢- بسكون الخاء وتخفيف الطاء، وهى قراءة باقى السبعة.٣- بكسر الخاء والطاء مشددة، وهى قراءة الحسن، وأبى رجاء، والأعمش.٤- بكسر الخاء وفتح الطاء مشددة، وهى قراءة الحسن.٥- بغير فاء، وإسكان الخاء وفتح الطاء مخففة، وهى قراءة الأعمش أيضا.الريح:وقرئ:الرياح، وهى قراءة أبى جعفر، والحسن.٣٤- ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين منسكا:١- بفتح الميم، وهى قراءة الجمهور.وقرئ:٢- بكسرها، وهى قراءة الأخوين، وابن سعدان، وأبى حاتم، عن أبى عمرو، ويونس، ومحبوب، وعبد الوارث.٣٥- الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والمقيمي الصلاة:١- بالخفض، على الإضافة، وحذف النون لأجلها، وهى قراءة الجمهور.وقرئ:٢- والمقيمين الصلاة، بالنون ونصب «الصلاة» ، وهى قراءة ابن مسعود، والأعمش.٣- والمقيم الصلاة، وهى قراءة الضحاك.." (٢)

"بسم تبسم نم ١٩ فتبسم ضاحكا بشر بشروه. بشرتمونى. بشرناك يا ٢٨ وبشروه بغلام عليم جر ٥٤ أبشرتمونى على أن مسنى- ٥٥ قالوا بشرناك بالحق بشرناه بشرناهم ببشر لبشر صا ١٠١ فبشرناه بغلام- ١١٢ وبشرناه باسحق هد ٧١ فبشرناها باسحق شو ٢٣ الذى يبشر الله عباده سر ٩ ويبشر المؤمنين كه ٢ ويبشر المؤمنين مر ٩٧ لتبشر به المتقين يبشرك يبشرهم تبشرون نبشرك عمر ٣٩ أن الله يبشرك بيحيي بة ٢١ يبشرهم ربهم جر ٥٤ فبم تبشرون- ٥٣ انا نبشرك بغلام (مر ٦) بشر بشره نسا ١٣٨ بشر المنافقين زم ١٧ فبشر عباد بق ٢٥ وبشر الذين آمنوا (يو ٢) بق ١٥٥ وبشر الصابرين- ٢٢٣ وبشر المؤمنين (بة ١١٢ يو ٨٧ حب ٤٧ صف ١٣) بة ٣ وبشر الذين كفروا حج ٣٤ وبشر المخبتين- ٣٧ وبشر المحسنين لق ٧ فبشره بعذاب أليم (جا ٨) يس ١١ فبشره بمغفرة بشرهم بشر عمر ٢١ فبشرهم بعذاب أليم (بة ٣٤ نشق ٢٤) نح ٥٨ وإذا بشر أحدهم بالانثى- ٥٩ من سوء ما بشر به باشروهن تباشروهن أبشروا بق ١٨٧ فالآن باشروهن- ولا تباشروهن وأنتم حس ٣٠ وأبشروا بالجنة يستبشرون استبشروا عمر ١٧٠ ويستبشرون بالذين لم بة ١٢٤وهم يستبشرون جر ٦٧ أهل المدينة يستبشرون روم ٤٨ إذا هم يستبشرون (زم ٤٥) بة ١١١ فاستبشروا ببيعكم بشر بشرا عمر ٤٧ ولم يمسسنى بشر (مر ٢٠) ما ١٨ بل أنتم بشر ممن خلق ابر ١٠ إن أنتم إلا بشر مثلنا- ١١ إن نحن إلا بشر مثلكم نح ١٠٣ إنما يعلمه بشر كه ١١٠ قل إنما أنا بشر مثلكم (حس ٦) أن ٣ هل هذا

---

(١) الموسوعة القرآنية إبراهيم الإبياري ٣٥٣/١٠

(٢) الموسوعة القرآنية إبراهيم الإبياري ٥٤/٦

إلا بشر مثلكم مو ٢٤ و ٣٣ ما هذا إلا بشر شع ١٥٤ و ١٨٦ ما أنت إلا بشر روم ٢٠ ثم إذا أنتم بشر يس ١٥ ما أنتم إلا بشر مثلنا تغ ٦ فقالوا أبشر يهدوننا نعم ٩١ ما أنزل الله على بشر عمر ٧٩ ما كان لبشر أن يؤتيه جر ٣٣ لم أكن لأسجد لبشر أن ٣٤ وما جعلنا لبشر من قبلك شو ٥١ وما كان لبشر أن هد ٢٧ وما نراك إلا بشرا مثلنا سف ٣١ ما هذا بشرا جر ٢٨ إنى خالق بشرا (ص ٧١) سر ٩٣ هل كنت إلا بشرا- ٩٤ أبعث الله بشرا مر ١٧ فتمثل لها بشرا سويا مو ٣٤ ولئن أطعتم بشرا مثلكم فر ٥٤ خلق من الماء بشرا قمر ٢٤ أبشرا منا واحدا نتبعه البشر بشرين مر ٢٦ فإما ترين من البشر أحدا مد ٢٥ إن هذا إلا قول البشر- ٢٩ لواحة للبشر- ٣١ وما هى إلا ذكرى للبشر- ٣٦ نذيرا للبشر مو ٤٧ أنؤمن لبشرين مثلنا." (١)

"باب الخاءخبأ الخبء ٢٥ الذى يخرج الخبء خبت اخبتوا تخبت المخبتين هد ٢٣ واخبتوا إلى ربهم حج ٥٣ فتخبت له قلوبهم- ٣٤ وبشر المخبتين خبث خبث الخبيث عف ٥٧ والذى خبث لا يخرج ما ١٠٣ قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث بق ٢٦٧ ولا تيمموا الخبيث عمر ١٧٩ حتى يميز الخبيث نسا ٢ ولا تتبدلوا الخبيث نف ٣٨ ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض الخبيثون الخبيثين الخبيثات ور ٢٦ الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات خبيثة الخبائث ابر ٢٦ ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة عف ١٥٦ ويحرم عليهم الخبائث خبر خبر خبرا نم ٧ سآتيكم منها بخبر قص ٢٩ لعلى آتيكم منها بخبر كه ٦٩ على ما لم تحط به خبرا- ٩٢ وقد أحطنا بما لديه خبرا اخبارها اخباركم لز ٤ يومئذ تحدث أخبارها بة ٩٥ قد نبأنا الله من إخباركم محمد ٣١ ونبلو اخباركم خبير بق ٢٣٤ و ٢٧١ والله بما تعملون خبير (عمر ١٨٠ حد ١٠ مجا ٣ و ١١ تغ ٨) عمر ١٥٣ والله خبير بما تعملون (بة ١٧ مجا ١٣ منا ١١) ما ٩ إن الله خبير بما تعملون (ور ٥٣ حشر ١٨) هد ١١٢ إنه بما يعملون خبير حج ٦٣ إن الله لطيف خبير (لق ١٦) ور ٣٠ إن الله خبير بما يصنعون نم ٨٨ إنه خبير بما تفعلون لق ٢٩ وإن الله بما تعملون خبير- ٣٤ إن الله عليم خبير (رات ١٣) فط ٣١ إن الله بعباده لخبير شو ٢٧ إنه بعباده خبير بصير عا ١١ إن ربهم بهم يومئذ لخبير هد ١ من لدن حكيم خبير فط ١٤ ولا ينبئك مثل خبير خبيرا الخبير نسا ٣٤ إن الله كان عليما خبيرا- ٩٣ و ١٢٧ و ١٣٤ إن الله كان بما تعملون خبيرا (حب ٢) سر ١٧ بذنوب عباده خبيرا (فر ٥٨) - ٣٠ و ٩٦ إنه كان بعباده خبيرا." (٢)

"الخاء(خبت) : الخبت المطمئن من الأرض وأخبت الرجل قصد الخبت أو نزله نحو أسهل وأنجد، ثم استعمل الإخبات استعمال اللين والتواضع، قال الله تعالى: وأخبتوا إلى ربهم وقال تعالى: وبشر المخبتين أي المتواضعين، نحو: لا يستكبرون عن عبادته وقوله تعالى: فتخبت له قلوبهم أي تلين وتخشع والإخبات هاهنا قريب من الهبوط فى قوله تعالى: وإن منها لما يهبط من خشية الله.(خبث) : المخبث والخبيث ما يكره رداءة وخساسة محسوسا كان أو معقولا، وأصله الرديء الدخلة الجاري مجرى خبث الحديد كما قال الشاعر:سبكناه ونحسبه لجينا فأبدى الكير عن خبث الحديد وذلك

---

(١) الموسوعة القرآنية إبراهيم الإبياري ٦٢/٧

(٢) الموسوعة القرآنية إبراهيم الإبياري ١٣٣/٧

يتناول الباطل فى الاعتقاد والكذب فى المقال والقبيح فى الفعال، قال عز وجل: ويحرم عليهم الخبائث أي ما لا يوافق النفس من المحظورات وقوله تعالى: ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث فكناية عن إتيان الرجال. وقال تعالى: ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب أي الأعمال الخبيثة من الأعمال الصالحة، والنفوس الخبيثة من النفوس الزكية. وقال تعالى: ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب أي الحرام بالحلال، وقال تعالى: الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات أي الأفعال الردية والاختيارات المبهرجة لأمثالها وكذا: الخبيثون للخبيثات وقال تعالى: قل لا يستوي الخبيث والطيب أي الكافر والمؤمن والأعمال الفاسدة والأعمال الصالحة، وقوله تعالى: ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة فإشارة إلى كل كلمة قبيحة من كفر وكذب ونميمة وغير ذلك،وقال صلى الله عليه وسلم: «المؤمن أطيب من عمله، والكافر أخبث من عمله»ويقال خبيث مخبث أي فاعل الخبث.(خبر) : الخبر العلم بالأشياء المعلومة من جهة الخبر وخبرته خبرا وخبرة وأخبرت أعلمت بما حصل لى من الخبر، وقيل الخبرة المعرفة ببواطن الأمر والخبار والخبراء الأرض اللينة، وقد يقال ذلك لما فيها من الشجر، والمخابرة مزارعة." (١)

"ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧)." (٢)

"ذبحها أو وقت تعيينها وتسميتها هديا، أما بعد ذلك فاتركوا الانتفاع بها للفقراء والمحتاجين، فهذا أكثر ثوابا لكم عند الله- تعالى-.وقوله- سبحانه- ثم محلها إلى البيت العتيق بيان لمكان ذبحها.والمحل مأخوذ من حل الشيء يحل- بالكسر- حلولا إذا وجب أو انتهى أجله. والمراد به في الآية مكان الحلول، أى: المكان الذي ينتهى فيه أجل تلك الأنعام، أو المكان الذي يجب ذبحها فيه.والمعنى: لكم في تلك الانعام منافع إلى أجل مسمى ثم المكان الذي تذبح فيه منته إلى البيت العتيق. ومتصل به.والمقصود بهذا المحل الحرم كله، لأن البيت ليس مكانا للذبح.وبعضهم يرى أن المراد بالمحل في قوله: ثم محلها إلى البيت العتيق: تحلل الحجاج من إحرامهم بعد أداء شعائر الحج المعبر عنها بقوله- تعالى-: ذلك ومن يعظم شعائر الله....قال القرطبي: قوله- تعالى-: ثم محلها إلى البيت العتيق يريد أنها تنتهي إلى البيت، وهو الطواف فقوله: محلها مأخوذ من إحلال المحرم.والمعنى: أن شعائر الحج كلها من الوقوف بعرفة ورمى الجمار والسعى ينتهى إلى طواف الإفاضة بالبيت العتيق. فالبيت على هذا التأويل مراد بنفسه.. «١» .ثم بين- سبحانه- أنه قد شرع لكل أمة الذبائح التي ينتفعون بها، لكي يذكروه- سبحانه- ويشكروه ويخلصوا له العبادة، ولكي يطعموا منها السائل والمحتاج، فقال- تعالى-:[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٤ الى ٣٧]ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من

---

(١) الموسوعة القرآنية إبراهيم الإبياري ١٥٩/٨

(٢) التيسير في أحاديث التفسير محمد المكي الناصري ١٦٤/٤

بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧)____________(١) تفسير القرطبي ج ١٢ ص ٥٦.." (١)

"وقوله- تعالى-: ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام بيان للعلة التي من أجلها شرعت تلك الذبائح.أى: شرعناها لكم وللأمم السابقة عليكم للإكثار من ذكر الله عند ذبحها فهو- سبحانه- الذي رزقكم إياها بفضله وإحسانه، فعليكم أن تكثروا من ذكره وشكره، ليزيدكم من خيره ورزقه.وفي هذه الجملة الكريمة تقريع وتوبيخ لمن يذكرون غير اسم الله- تعالى- عند الذبح، وتأكيد لوجوب ذكر اسمه- تعالى-، حتى لكأن المقصود الأعظم من وراء ذبح هذه الأنعام، هو المداومة على ذكر اسم الله- عز وجل- وعلى شكره- سبحانه- على نعمه، أما ما سوى ذلك كالأكل منها، والانتفاع بها.. فهي مقاصد فرعية.ثم عقب- سبحانه- على ذلك بتقرير وحدانيته، وبوجوب إسلام الوجه إليه، فقال:فإلهكم إله واحد فله أسلموا.أى: شرعنا لكم ذلك لأن إلهكم إله واحد لا شريك له لا في ذاته ولا في صفاته، فله وحده أسلموا وجوهكم، وأخلصوها لعبادته وطاعته.فجملة فإلهكم إله واحد بمثابة العلة لما قبلها من تخصيص اسمه الكريم بالذكر عند الذبح، لأن تفرده- سبحانه- بالألوهية يستلزم هذا التخصيص.وقوله- تعالى-: فله أسلموا مرتب على ما قبله، لأنه متى ثبت أن المستحق للعبادة والطاعة هو الله الواحد الأحد، فعليهم أن يسلموا وجوههم إليه.ثم أمر الله- تعالى- نبيه صلى الله عليه وسلم أن يبشر المخبتين برضاه- سبحانه- وبمثوبته فقال: وبشر المخبتين أى: المتواضعين لله- تعالى- المطمئنين إلى عدالة قضائه فيهم، ولفظ المخبتين من الإخبات. وهو في الأصل نزول الخبت- بفتح الخاء وسكون الباء.أى: المكان المنخفض، ثم استعمل في اللين والتواضع. يقال: فلان مخبت، أى:متواضع خاشع لله رب العالمين.وحذف- سبحانه- المبشر به لتهويله وتعظيمه، أى: وبشر- أيها الرسول الكريم- هؤلاء المتواضعين لله- تعالى- بالثواب العظيم، والأجر الكبير الذي لا تحيط بوصفه عبارة.ثم مدحهم- سبحانه- بأربع صفات فقال: الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ...أى: بشر هؤلاء المخبتين الذين من صفاتهم أنهم إذا سمعوا ذكر الله- تعالى- وصفاته،." (٢)

"أما القول بأنه طواف الوداع (الصدر) فهو بعيد لأن الطواف الذي يلي قضاء التفث إنما هو طواف الإفاضة، فلا مناسبة هنا لطواف الوداع.وللحج ثلاثة أطواف: طواف القدوم، وطواف الإفاضة، وطواف الوداع.أما طواف القدوم فهو سنة عند الجمهور، واجب على الأصح عند المالكية، وعكسه طواف الوداع: مستحب عند المالكية، واجب عند الجمهور، وأما طواف الإفاضة فهو فرض وركن لا يتم الحج إلا به بالاتفاق، لقوله تعالى: وليطوفوا بالبيت العتيق.تعظيم حرمات الله وشعائره[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٠ الى ٣٥]ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي محمد سيد طنطاوي ٣٠٩/٩

(٢) التفسير الوسيط لطنطاوي محمد سيد طنطاوي ٣١١/٩

لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور (٣٠) حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق (٣١) ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤)الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)." (١)

"يذبحونه تقربا إلى الله تعالى، وذلك ليس خاصا بأمة محمد صلى الله عليه وسلم وإنما هو في كل الملل. والصحيح كما قال ابن العربي أن المنسك: هو ما يرجع إلى العبادة والتقرب.ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام أي شرعنا لهم سنة ذبح الأنعام، لكي يذكروا اسم الله حين ذبحها، أي عند الشروع فيه، ويشكروه على نعمه التي أنعم بها عليهم.ويؤيده ما ثبت في الصحيحين عن أنس قال: أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين أقرنين، فسمى وكبر، ووضع رجله على صفاحهما.وروى الإمام أحمد وابن ماجه عن زيد بن أرقم قال: قلت يا رسول الله، ما هذه الأضاحي؟ قال:«سنة أبيكم إبراهيم» قالوا: ما لنا منها؟ قال: «بكل شعرة حسنة» قال:فالصوف؟ قال: «بكل شعرة من الصوف حسنة» .فإلهكم إله واحد، فله أسلموا، وبشر المخبتين أي فإن معبودكم واحد، وإن تنوعت شرائع الأنبياء، ونسخ بعضها بعضا، فالجميع يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له، كما قال سبحانه: وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون [الأنبياء ٢١/ ٢٥] . وقوله: فإلهكم..بمثابة العلة لما قبله من تخصيص اسمه الكريم بالذكر لأن تفرده تعالى بالألوهية يقتضي ألا يذكر على الذبائح غير اسمه. وإنما قال: إله واحد ولم يقل:«فإلهكم واحد» لإفادة أنه تعالى واحد في ذاته وفي ألوهيته.ومتى كان الإله واحدا فله أسلموا أي فيجب تخصيصه بالعبادة، والاستسلام له والانقياد له في جميع الأحكام. وقوله فله أسلموا مرتب بالفاء على الحكم بوحدانية الإله.وبشر أيها النبي بالثواب الجزيل المخبتين، أي المتواضعين الخاشعين لله، من." (٢)

"للمؤمنين تدفعهم إلى تحقيق الخصال الثلاثة المتقدمة، فقال تعالى: إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ... وهذه الصفات هي ما يأتي:١- الخوف التام من الله: الذين إذا ذكروا الله بقلوبهم، وأحسوا بعظمته وجلاله، وتذكروا وعده ووعيده، خافوا منه أتم الخوف. كما قال تعالى في آية أخرى: وبشر المخبتين، الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ...[الحج ٢٢/ ٣٤- ٣٥] .٢- زيادة الإيمان بتلاوة القرآن: الذين إذا تليت عليهم آياته القرآنية، زادتهم إيمانا ويقينا وتصديقا، وإقبالا على العمل الصالح لأن كثرة الأدلة والتذكير بها، يوجب زيادة اليقين، وقوة الاعتقاد، فالرؤية البصرية أو الحسية مثلا تقوي القناعة الذاتية، كما حدث لإبراهيم عليه السلام الذي كان مؤمنا، وطلب من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى: قال: أولم تؤمن؟ قال: بلى، ولكن ليطمئن قلبي [البقرة ٢/ ٢٦٠] وهذا يدل على أن منزلة الطمأنينة في الإيمان أقوى وأعلى من مجرد الإيمان. ونظير الآية قوله تعالى: هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم

---

(١) التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ٢٠٣/١٧

(٢) التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ٢١٠/١٧

[الفتح ٤٨/ ٤] وقوله:وإذا ما أنزلت سورة، فمنهم من يقول: أيكم زادته هذه إيمانا؟ فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون [التوبة ٩/ ١٢٤] .٣- التوكل على الله أي الاعتماد عليه والثقة به والتفويض إليه: الذين يتوكلون على ربهم وحده، وإليه يلجأون، ولا يرجون غيره، ولا يقصدون إلا إياه، ولا يطلبون الحوائج إلا منه، وذلك بعد اتخاذ الأسباب، فمن تعاطى الأسباب المطلوبة منه عقلا وعادة، ثم فوض الأمر لله، وأيقن أن الأمر كله بيد الله، فهو من أهل الإيمان. أما ترك الأسباب فهو جهل بمفهوم التوكل.٤- إقامة الصلاة: الذين يقيمون الصلاة، أي يؤدونها كاملة الأركان." (١)

"والدوافع الدينية، وهذه ميزة الإسلام يحمل المسلمين على العمل بكل الأساليب المرغبة ليقبلوا على العمل بعقيدة ثابتة ونفس راضية.والأيام المعلومات هي أيام التشريق الثلاث ويوم العيد فتكون أربعة وقيل: هي العشر الأوائل من ذي الحجة ووقت الذبح يوم النحر، وقيل: يوم العيد وأيام التشريق.فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير: أما الأكل منها فالأمر فيه للإباحة جبرا لخاطر الفقير وإشعارا له بالمساواة في المأكل والمشرب ومخالفة لما كان في الجاهلية، والأمر في قوله وأطعموا للوجوب، ومذهب الشافعى رحمه الله أن الأكل مستحب والإطعام واجب فإن أطعمها جميعها أجزأه، وإن أكلها جميعها لم يجزه، هذا فيما إذا كان الذبح تطوعا. فأما الواجبات كالنذر والكفارات ودم الجبر الذي يذبح لنقص في أعمال الحج مثل دم القران والتمتع مثلا فلا يأكل منها، وقيل: يجوز له الأكل.ثم بعد تحللهم وخروجهم من الإحرام ليؤدوا تفثهم، وليزيلوا أوساخهم، ويتحللون بالحلق أو التقصير، ونتف الإبط وإزالة الوسخ، وتفسير القضاء في ليقضوا بالإزالة تفسيرا مجازيا.وليطوفوا طواف الإفاضة والزيارة، وهو غير طواف القدوم، وطواف الوداع وليطوفوا بالبيت العتيق الطاهر القديم شكرا لله على توفيقه لأداء الحج.ولعل في ذكر الحج والأذان به عقب التسجيل على الكافرين بالصد عن سبيل الله والمسجد الحرام، وبيان مكانة البيت وطهارته، ما يجعلنا نشعر بأن من يقف حائلا في يوم من الأيام ويمنع حج بيت الله الحرام يكون من الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله والمسجد الحرام ...توجيهات إلهية لتعظيم حرمات الله وشعائره [سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٠ الى ٣٥]ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور (٣٠) حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق (٣١) ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣) ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤)الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)." (٢)

"على تقوى قلبه لربه تعالى والرسول يشير إلى صدره ويقول التقوى ها هنا التقوى ها هنا ثلاث مرات وقوله تعالى: ﴿لكم فيها منافع إلى أجل مسمى﴾ أي أذن الله تعالى للمؤمنين أن ينتفعوا بالهدايا وهم سائقوها إلى الحرم بأن يركبوها١ ويحملوا عليها ما لا يضرها ويشربوا من ألبانها وقوله تعالى: ﴿ثم محلها إلى البيت٢ العتيق﴾ أي محلها عند البيت العتيق

---

(١) التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ٢٤٦/٩

(٢) التفسير الواضح محمد محمود حجازي ٥٨٢/٢

وهو الحرم حيث تنحر إن كان مما ينحر أو تذبح إن كان مما يذبح.هداية الآياتمن هداية الآيات:١- وجوب تعظيم حرمات الله لما فيها من الخير العظيم.٢- تقرير حلية بهيمة الأنعام بشرط ذكر اسم ا! ته عند ذبحها أو نحرها.٣- حرمة قول الزور وشهادة الزور وفي الأثر عدلت٣ شهادة الزور الشرك بالله.٤- وجوب ترك عبادة الأوثان ووجوب البعد عنها وترك كل ما يمت إليها بصلة.٥- بيان عقوبة الشرك وخسران المشرك.٦- تعظيم شعائر الله وخاصة البدن من تقوى قلوب أصحابها.٧- جواز الانتفاع بالبدن الهدايا بركوبها وشرب لبنها والحمل عليها إلى غاية نحرها بالحرم.ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما______________١ في الصحيح أن رجلا يسوق بدنه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم "اركبها فقال الرجل إنها بدنة قال: اركبها قال: إنها بدنة، وفي الثالثة قال له صلى الله عليه وسلم: اركبها ويلك"٢ إن كان الهدي في الحج فمحله بعد رمي جمرة العقبة ولا ينحر أو يذبح قبله، وإن كان في غير الحج، وإنما هدي مهدى إلى الحرم فمحله مكة حيث يطعمه فقراؤها وفقراء الحرم كله.٣ وفي الصحيح: "إن أكبر الكبائر الشرك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور.. " الحديث.." (١)

"رزقناهم ينفقون (٣٥) والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧)شرح الكلمات:منسكا: أي ذبائح من بهيمة الأنعام يتقربون بها إلى الله تعالى، ومكان الذبح يقال له منسك.فله أسلموا: أي انقادوا ظاهرا وباطنا لأمره ونهيه.وبشر المخبتين: أي المطيعين المتواضعين الخاشعين.وجلت قلوبهم: أي خافت من الله تعالى أن تكون قصرت في طاعته.والبدن: جمع بدنة وهى ما يساق للحرم من إبل وبقر ليذبح تقربا إلى الله تعالى.م ن شعائر الله: أي من أعلام دينه، ومظاهر عبادته.صوآف: جمع صافة وهي القائمة على ثلاث معقولة اليد اليسرى.فإذا وجبت جنوبها: أي بعد أن تسقط على جنوبها على الأرض لا روح فيها.القانع والمعتر: القانع١ السائل والمعتر الذي يتعرض للرجل ولا يسأله حياء وعفة.______________١ القانع: من الأضداد يطلق على ذي القناعة وعلى من لا قناعة له فهو يسأل، إلا أن الفعل الماضي لذي القناعة مكسور العين فعل كعلم، وفعل: من لا قناعة له فهو يسأل فعل: بفتح العين كنصح ينصح.." (٢)

"كذلك سخرناها: أي مثل هذا. التسخير سخرناها لكم لتركبوا عليها وتحملوا وتحلبوا.لعلكم تشكرون: أي لأجل أن تشكروا الله تعالى بحمده وطاعته.لن ينال الله لحومها: أي لا يرفع إلى الله لحم ولا دم، ولكن تقواه بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه.لتكبروا الله على ما هداكم: أي تقولون الله أكبر بعد الصلوات الخمس أيام التشريق شركا له على هدايته إياكم.وبشر المحسنين: أي الذين يريدون بالعبادة وجه الله تعالى وحده ويؤدونها على الوجه المشروع.معنى الآيات:ما زال

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري أبو بكر الجزائري ٤٧٣/٣

(٢) أيسر التفاسير للجزائري أبو بكر الجزائري ٤٧٤/٣

السياق في توجيه المؤمنين وإرشادهم إلى ما يكملهم ويسعدهم في الدارين فقوله تعالى: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا﴾ أي ولكل أمة من الأمم السابقة من أهل الإيمان والإسلام جعلنا لهم مكان نسك يتعبدوننا فيه ومنسكا١ أي ذبح قربان ليتقربوا به إلينا، وقوله: ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ أي شرعنا لهم عبادة ذبح القربان لحكمة: وهو أن يذكروا اسمنا على ذبح ما يذبحون ونحر ما ينحرون بأن يقولوا بسم الله والله أكبر. وقوله تعالى: ﴿فإلهكم إله واحد﴾ أي فمعبودكم أيها الناس معبود واحد ﴿فله أسلموا﴾ وجوهكم وخصوه بعبادتكم ثم قال لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ﴿وبشر المخبتين﴾ برضواننا ودخول دار كرامتنا ووصف المخبتين معرفا بهم الذين تنالهم البشرى على لسان رسول الله فقال ﴿الذين إذا ذكر الله﴾ لهم أو بينهم ﴿وجلت قلوبهم﴾ أي خافت شعورا بالتقصير في طاعته وعدم أداء شكره والغفلة عن ذكره ﴿والصابرين على ما أصابهم﴾ من البلاء فلا يجزعون ولا يتسخطون ولكن يقولون إنا لله وإنا إليه راجعون،__________١ يقال: نسك ينسك نسكا: إذا ذبح ذبح تقرب لله تعالى، والذبيحة تسمى نسيكة وجمعها: نسك، ومنها قوله تعالى: ﴿أو صدقة أو نسك﴾ والنسك: الطاعة لله، وهي عبادته، ومن ذلك قولهم: تنسك فلان: أي تعبد فهو ناسك ومتنسك، والمنسك بفتح السين وكسرها موضع العبادة، ومنه مناسك الحج وهي الأماكن التي تؤدى فيها الشعائر كعرفات ومزدلفة ومنى ومكة.." (١)

"﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)﴾المفردات:﴿ولكل أمة﴾ الأمة: هي الجماعة على مذهب واحد. ﴿جعلنا منسكا﴾ المنسك: بفتح السين وكسرها. موضع الذبح أو الذبح وإراقة الدم، والنسيكة: الذبيحة، وجمعها نسك بضمتين والفعل من باب نصر. ﴿فله أسلموا﴾: أي استسلموا وانقادوا. ﴿وبشر المخبتين﴾: وهم الذين خضعوا لله وخشعت قلوبهم، يقال: أخبت الرجل إخباتا فهو مخبت أي: هو خاضع خاشع. ﴿وجلت قلوبهم﴾: خافت وخشيت. ﴿والصابرين على ما أصابهم﴾: هم الذين يحبسون الجزع إذا نزلت بهم نازلة، وفعله من باب: ضرب.التفسير٣٤ - ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام .. ﴾ الآية.أي: ولكل أهل دين من الأديان السماوية السابقة، أو ولكل جماعة مؤمنة، جعلنا لهم مكانا للذبح وإراقة الدماء، تيسيرا لهم، وتمكينا لمن يريد التقرب إليه تعالى بإطعام عباده في مناسكهم، وفسر مجاهد المنسك: بالذبح على أنه مصدر ميمى، يريد أنه تعالى شرع لكل أهل دين أن يذبحوا تقربا إلى الله تعالى، لا لبعضهم دون بعض، واختاره الزمخشرى.." (٢)

"وقال الفراء: المنسك في كلام العرب: الموضع المعتاد في خير وبر، وفسره هنا: بالعيد، وقال ابن عرفة في قوله: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا﴾ أي: مذهبا من طاعة الله تعالى، يقال: نسك نسك قومه، إذا سلك مذهبهم.﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾: أي ليذكروا اسم الله وحده دون غيره عند ذبحها تعظيما له وشكرا على ما أنعم

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري أبو بكر الجزائري ٤٧٥/٣

(٢) التفسير الوسيط - مجمع البحوث مجموعة من المؤلفين ١٢١٧/٦

عليهم من بهائم الأنعام: الإبل، والبقر، والغنم. وفي ذلك إشارة إلى أن القرابين لا تكون إلا منها ﴿فإلهكم إله واحد﴾: أي: فإلهكم أيها المخاطبون إله واحد لأن شريعتكم وشرائع الأنبياء السابقين وإن تنوعت ونسخ بعضها بعضا، كلها قائمة على التوحيد والدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له ﴿فله أسلموا﴾: أي فإذا كان إلهكم واحدا منزها عن الشريك، فاستسلموا له وانقادوا لأمره. وأخلصوا له القول والعمل، واجعلوهما لوجهه ولا تشوبوهما بشرك ﴿وبشر المخبتين﴾: أي وبشر أيها النبي أولئك المخلصين المتواضعين – بشرهم – بالجنة والثواب العظيم، قال عمرو بن أوس: (المخبتون الذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لم ينتصروا) أي، لم ينتقموا: من الانتصار بمعنى الانتقام أي: عفوا عن ظالميهم.٣٥ – ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم ... ﴾ الآية.تعدد الآية أوصاف المخبتين المبشرين بالجنة فتذكر أن من أجل صفاتهم أنهم إذا ذكر الله اضطربت قلوبهم خشية منه ورهبة، وذلك لقوة إيمانهم وعمق يقينهم.﴿والصابرين على ما أصابهم﴾: من كوارث الزمن بتحمل المتاعب وحبس الجزع بنفس راضية، وإيمان بقضاء الله وقدره.﴿والمقيمي الصلاة﴾: في أوقاتها وعلى أكمل صورها حسبما شرعها الله.﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾: أي ومن بعض ما آتيناهم من طيب الرزق ينفقون في أوجه البر والخير التي تعود على دينهم ومجتمعهم بالنفع والصلاح.." (١)

"﴿هو اجتباكم﴾: هو اصطفاكم لحمل خاتم الأديان ونشر رسالته، فأرسل إليكم أفضل الأنبياء، وأنزل إليكم أكرم الكتب السماوية؛ وأتم عليكم نعمته بالتأييد والنصر.﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾: ولم يكلفكم ما يشق عليكم ويسبب لكم الضيق والحرج، فإنه سبحانه لا يكلف نفسا إلا وسعها، وهو تبارك وتعالى ييسر الأمور:﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ (رحمه الله١).ومن لطفه وتيسيره: أنه أباح لنا قصر الصلاة والإفطار في السفر الطويل، وأباح لنا التيمم عند فقد الماء أو تعذر استعماله، والقعود في الصلاة عند تعذر القيام فيها.﴿ملة أبيكم إبراهيم﴾: فالزموا الإسلام الذي هو ملة أبيكم إبراهيم، فهو الذي بنى لكم البيت ودعاكم إلى حجه والصلاة إليه. بتكليف من الله – سبحانه وتعالى – ودعا الله أن يمكنه وذريته من إقامة الصلاة بقوله: ﴿رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي﴾ (رحمه الله٢).﴿هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا﴾:هو الله – سبحانه – الذي سماكم بهذا الاسم وارتضى لكم الإسلام دينا من قديم، وأمركم به في هذا القرآن الكريم حيث قال فيه: ﴿فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين﴾ (رحمه الله٣) ﴿ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس﴾:ولما كان القرآن الكريم هو آخر الكتب السماوية، وقد أبلغه الرسول – صلى الله عليه وسلم – عن الله إلى أمته بما يحويه من أوامر ونواه، وبما فيه من قصص الرسل والأنبياء السابقين فلهذا يشهد الرسول بأنه بلغ رسالة الإسلام إلى أمته، ويشهد المسلمون منهم على الأمم السابقة بما قصه عليهم القرآن من تبليغ رسلهم شرائع الله إلى أممهم.﴿فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾: أي؛ وإذا كان الله تعالى منحكم هذا الشرف العظيم، حيث جعلكم شهداء على الناس، فتقربوا إليه – سبحانه – بأنواع الطاعات، وأخصها إقامة الصلاة وإيتاء

(١) التفسير الوسيط – مجمع البحوث مجموعة من المؤلفين ١٢١٨/٦

الزكاة.ﷺ______________(ﷺ١) سورة البقرة، من الآية: ١٨٥(ﷺ٢) سورة إبراهيم، من الآية: ٤٠(ﷺ٣) سورة الحج، من الآية:." (١)

"١١ - قال البخاري ج٦ص٩٧: قوله تعالى: ﴿فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤]وقال ابن عيينة: ﴿المخبتين﴾: «المطمئنين»." (٢)

"﴿فإلهكم إله واحد ، فله أسلموا ، وبشر المخبتين﴾ (ﷺ١)قال البخاري ج٦ص٩٧: قال ابن عيينة ﴿المخبتين﴾: المطمئنين.ﷺ______________(ﷺ١) [الحج: ٣٤]." (٣)

"﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾الفصل السابع من كتاب العبادات: ﴿الحج﴾مشروعية الحجقال تعالى: ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا ، وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود ، وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا ، وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ، فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ، ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ، ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه ، وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم ، فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور ، حنفاء لله غير مشركين به ، ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء ، فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ، ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ، لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ، ثم محلها إلى البيت العتيق ، ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ، فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين﴾ (ﷺ١)ﷺ______________(ﷺ١) [الحج: ٢٦ - ٣٤]." (٤)

"مسمى﴾ أي لكم في الهدايا منافع كثيرة من الدر والنسل والركوب إلى وقت نحرها ﴿ثم محلهآ إلى البيت العتيق﴾ أي ثم مكان ذبحها في الحرم بمكة أو منى، وخص البيت بالذكر لأنه أشرف الحرم كقوله تعالى ﴿هديا بالغ الكعبة﴾ [المائدة: ٩٥] ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا﴾ أي شرعنا لكل أمة من الأمم السابقة من عهد إبراهيم مكانا للذبح تقربا لله قال ابن كثير: يخبر تعالى أنه لم يزل ذبح المناسك وإراقة الدماء على اسم الله مشروعتا في جميع الملل ﴿ليذكروا اسم الله﴾ أي أمرناهم عند الذبح أو يذكروا اسم الله وأن يذبحوا لوجهه تعالى ﴿على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ أي شكرا لله على ما أنعم به عليهم من بهيمة الأنعام من الإبل والبقر والغنم، بين تعالى انه يجب أن يكون الذبح لوجهه تعالى وعلى اسمه لأنه هو الخالق الرازق لا كما كان المشركون يذبحون للأوثان ﴿فإلهكم إله واحد﴾ أي فربكم أيها الناس ومعبودكم إله واحد لا شريك له ﴿فله أسلموا﴾ أي فأخلصوا له العبدة واستسلموا لحكه وطاعته ﴿وبشر المخبتين﴾ أي بشر المطيعين

---

(١) التفسير الوسيط - مجمع البحوث مجموعة من المؤلفين ١٢٦١/٦

(٢) المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة صهيب عبد الجبار ٧٥/٨

(٣) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ٢٣٣/٢٠

(٤) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ٢٦٨/٣٠

المتواضعين الخاشعين بجنات النعيم، ثم وصف تعالى المخبتين بأربع صفات فقال ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ أي إذا ذكر الله خافت وارتعشت لذكره قلوبهم لإشراق أشعة جلاله عليها فكأنهم بين يديه واقفون، ولجلاله وعظمته مشاهدون ﴿والصابرين على مآ أصابهم﴾ أي يصبرون في السراء والضراء على الأمراض ولمصائب والمحن وسائر المكاره ﴿والمقيمي الصلاة﴾ أي الذين يؤدونها في أوقاتها مستقيمة كاملة مع الخشوع والخضوع ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ أي ومن بعض الذي رزقناهم من فضلنا تينفقون في وجوه الخيرات ﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر الله﴾ أي والإبل السمينة – سميت بدنا لبدانتها وضخامة أج سامها – جعلناها من أعلام الشريعة التي شرعها الله لعباده قال ابن كثير: وكونها من شعائر الدين انها تهدى إلى بيته الحرام بل هي أفضل ما يهدى ﴿لكم فيها خير﴾ قال ابن عباس: نفع في الدنيا وأجر في الآخرة ﴿فاذكروا اسم الله عليها صوآف﴾ أي اذكروا عند ذبحها اسم الله الجليل عليها حال كونها صواف أي قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهم ﴿فإذا وجبت جنوبها﴾ أي فإذا سقطت على الأرض بعد نحرها، وهو كناية عن الموت ﴿فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر﴾ أي كلوا من هذه الهدايا وأطعموا القانع أي المتعفف والمعتر أي السائل قاله ابن عباس، وقال الرازي: الأقرب أن القانع هو الراضي بما يدفع إليه من غير سؤال وإلحاح، ولمعتر هو الذي يتعرض ويطلب ويعتريهم حالا بعد حال ﴿كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون﴾ أي مثل ذلك التسخير البديع جعلناها منقادة لكم مع ضخامة اجسامها لكي تشكروا الله على إنعامه ﴿لن ينال الله لحومها ولا دمآؤها﴾ أي لن يصل إليه تعالى شيء من لحومها ولا دمائها ﴿ولكن يناله التقوى منكم﴾ أي ولكن يصل إلأيه التقوى منكم بامتثالكم أوامره وطلبكم رضوانه ﴿كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم﴾ أي كرره للتأكيد أي كذلك ذللها لكم وجعلها منقادة لرغبتكم لتكبروا الله على ما أرشدكم إليه من أحكام دينه ﴿وبشر المحسنين﴾ أي بشر المحسنين في أعمالهم بالسعادة والفوز بدار النعيم.." (١)

"﴿فتخطفه الطير﴾ [الحج: ٣١] أي: تستلبه الطير وتذهب به، والخطف والاختطاف تناول الشيء بسرعة، وقرأ أهل المدينة فتخطفه بفتح الخاء وتشديد الطاء، أي يتخطفه، ﴿أو تهوي به الريح﴾ [الحج: ٣١] أي: تميل وتذهب به، ﴿في مكان سحيق﴾ [الحج: ٣١] أي: بعيد معناه أن بعد من أشرك بالحق كبعد من سقط من السماء فذهبت به الطير، أو هوت به الريح، فلا يصل بحال. وقيل: شبه حال المشرك بحال الهاوي من السماء في أنه لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع بحيث تسقطه الريح، فهو هالك لا محالة إما باستلاب الطير لحمه وإما بسقوطه إلى المكان السحيق، وقال الحسن: شبه أعمال الكفار بهذه الحال في أنها تذهب وتبطل فلا يقدرون على شيء منها.[٣٢] ﴿ذلك﴾ [الحج: ٣٢] يعني: الذي ذكرت من اجتناب الرجس وقول الزور، ﴿ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾ [الحج: ٣٢] قال ابن عباس: شعائر الله البدن والهدي وأصلها من الإشعار وهو إعلامها ليعلم أنها هدي وتعظيمها استسمانها واستحسانها، وقيل: شعائر الله أعلام دينه فإنها من تقوى القلوب، أي: فإن تعظيمها من تقوى القلوب.[٣٣] ﴿لكم فيها﴾ [الحج: ٣٣] أي: في البدن قبل تسميتها للهدى، ﴿منافع﴾ [الحج: ٣٣] في درها ونسلها وأصوافها وأوبارها وركوب ظهورها، ﴿إلى أجل مسمى﴾ [الحج: ٣٣] وهو أن يسميها ويوجبها هديا فإذا فعل ذلك لم يكن له شيء من منافعها، هذا قول

---

(١) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ٢/٢٦٥

مجاهد، وقول قتادة والضحاك، ورواه مقسم عن ابن عباس. وقيل: معناه لكم في الهدايا منافع بعد إيجابها وتسميتها هديا بأن تركبوها وتشربوا ألبانها عند الحاجة إلى أجل مسمى، يعني إلى أن تنحروها وهو قول عطاء ابن أبي رباح. وقال بعضهم: أراد بالشعائر المناسك ومشاهدة مكة، لكم فيها منافع بالتجارة والأسواق إلى أجل مسمى وهو الخروج من مكة. وقيل. لكم فيها منافع بالأجر والثواب في قضاء المناسك إلى أجل مسمى، أي: إلى انقضاء أيام الحج، ﴿ثم محلها﴾ [الحج: ٣٣] أي: منحرها، ﴿إلى البيت العتيق﴾ [الحج: ٣٣] أي: منحرها عند البيت العتيق، يريد أرض الحرم كلها، كما قال: ﴿فلا يقربوا المسجد الحرام﴾ [التوبة: ٢٨] أي: الحرم كله. وروي عن جابر في قصة حجة الوداع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «نحرت ههنا ومنى كلها منحر فانحروا في رحالكم» (رحمه الله١) . ومن قال: الشعائر المناسك قال معنى قوله ﴿ثم محلها إلى البيت العتيق﴾ [الحج: ٣٣] أي: محل الناس من إحرامهم إلى البيت العتيق، أي: أن يطوفوا به طواف الزيارة يوم النحر.[٣٤] قال الله تعالى: ﴿ولكل أمة﴾ [الحج: ٣٤] يعني جماعة مؤمنة سلفت قبلكم، ﴿جعلنا منسكا﴾ [الحج: ٣٤] قرأ حمزة والكسائي بكسر السين ههنا وفي آخر السورة، على معنى الاسم مثل المسجد والمطلع، يعني مذبحا وهو موضع القربان، وقرأ الآخرون بفتح السين على المصدر، مثل المدخل والمخرج يعني إراقة الدماء وذبح القرابين، ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ [الحج: ٣٤] عند نحرها وذبحها وسماها بهيمة لأنها لا تتكلم، وقال: ﴿بهيمة الأنعام﴾ [الحج: ٣٤] وقيدها بالنعم لأن من البهائم ما ليس من الأنعام كالخيل والبغال والحمير، لا يجوز ذبحها في القرابين. ﴿فإلهكم إله واحد﴾ [الحج: ٣٤] أي: سموا على الذبائح اسم الله وحده فإن إلهكم إله واحد، ﴿فله أسلموا﴾ [الحج: ٣٤] انقادوا وأطيعوا، ﴿وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] قال ابن عباس وقتادة: المتواضعين. وقال مجاهد: المطمئنين إلى الله عز وجل، والخبت المكان المطمئن من الأرض. وقال الأخفش: الخاشعين. وقال النخعي: المخلصين. وقال الكلبي: هم الرقيقة قلوبهم. وقال عمر بن أوس: هم الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا. رحمه الله__________(رحمه الله١) أخرجه مسلم في الحج رقم (١٢١٨) ٢ / ٨٩٣ والمصنف في شرح السنة ٧ / ١٥٠.." (١)

"- ٣٤ - ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين- ٣٥ - الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على مآ أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقونيخبر تعالى أنه لم يزل ذبح المناسك وإراقة الدماء على اسم الله مشروعا في جميع الملل، قال ابن عباس ﴿منسكا﴾: عيدا، وقال عكرمة: ذبحا، وقال زيد بن أسلم في قوله: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا﴾: إنها مكة لم يجعل الله لأمة منسكا غيرها، وقوله: ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ كما ثبت في الصحيحين عن أنس قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين أقرنين فسمى وكبر ووضع رجله على صفاحهما، وقال الإمام أحمد بن حنبل عن زيد بن أرقم قال، قلت أو قالوا: يا رسول الله ما هذه الأضاحي؟ قال: «سنة أبيكم إبراهيم»، قالوا: ما لنا منها؟ قال: «بكل شعرة حسنة»، قالوا: فالصوف؟ قال: «بكل شعرة من الصوف حسنة» (أخرجه الإمام أحمد في المسند)، وقوله:

---

(١) مختصر تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل عبد الله الزيد ٥/٦٢٠

﴿فإلهكم إله واحد فله أسلموا﴾ أي معبودكم واحد وإن تنوعت شرائع الأنبياء ونسخ بعضها بعضا، فالجميع يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ﴿ومآ أرسلنا منقبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾، ولهذا قال: ﴿فله أسلموا﴾ أي أخلصوا واستسلموا لحكمه وطاعته، ﴿وبشر المخبتين﴾ قال مجاهد: المطمئنين، وقال الضحاك: المتواضعين، وقال السدي: الوجلين، وقال الثوري: المطمئنين الراضين بقضاء الله المستسلمين له، وأحسن ما يفسر بما بعده وهو قوله: ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ أي خافت منه قلوبهم، ﴿والصابرين على مآ أصابهم﴾ أي من المصائب، قال الحسن البصري: والله لنصبرن أو لنهلكن، ﴿والمقيمي الصلاة﴾ أي المؤدين حق الله فيما أوجب عليهم من أداء فرائضه، ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ أي وينفقون مآ آتاهم الله من طيب الرزق على أهليهم وأقاربهم وفقرائهم ومحاويجهم، ويحسنون إلى الخلق مع محافظتهم على حدود الله.." (١)

"[١٨٠٧] وقد روى ابن أبي شيبة من وجه آخر عن ابن عباس "أن المعلومات يوم النحر وثلاثة أيام بعده" ١.قوله تعالى: ﴿وبشر المخبتين﴾ الآية: ٣٤[١٨٠٨] أسند ابن عيينة في تفسيره عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿المخبتين﴾ المطمئنين، وكذا هو عند ابن المنذر من هذا الوجه ٢.[١٨٠٩] ومن وجه آخر عن مجاهد قال: المصلين ٣.[١٨١٠] ومن طريق الضحاك قال: المتواضعين ٤.قوله تعالى: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا﴾ الآية: ٣٩[١٨١١] وأخرج هو والترمذي وصححه الحاكم من طريق سعيد بن جبير__________١ فتح الباري ٤٥٨،٢/٢ فتح الباري ٤٣٨/٨ .أخرجه ابن جرير ١٦١/١٧ من طريق سفيان وغيره، عن ابن أبي نجيح، به. وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤٨/٦ ونسبه إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.قال ابن حجر: المخبت من الإخبات؛ وأصله الخبت بفتح أوله وهو المطمئن من الأرض.٣ فتح الباري ٤٣٨/٨ .لم أقف على من ذكره غير ابن حجر.٤ فتح الباري ٤٣٨/٨ .ذكره ابن كثير في تفسيره ٤٢١/٥ عن الضحاك تعليقا. وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤٩/٦ وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم. وورد مثله عن قتادة، فيما أخرجه عبد الرزاق ٣٨/٢ عن معمر، عنه، وعن مجاهد من طريق الثوري، عن ابن أبي نجيح عنه.." (٢)

"قوله تعالى: ﴿إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور﴾ [(٣٨) سورة الحج]. . . . . جاء قوله حسب ما تقدم في الآية التي قبلها ﴿وبشر المحسنين﴾ [(٣٧) سورة الحج].طالب:. . . . .﴿وبشر المخبتين﴾ [(٣٤) سورة الحج] الذين هم المحسنين، الذين سيأتي ذكرهم، يفسرهم بالأمرين أو بالوصفين؛ لأنهم اتصفوا بالإخبات وبالإحسان.روي أنها نزلت بسبب المؤمنين لما كثروا بمكة وآذاهم الكفار وهاجر من هاجر إلى أرض الحبشة، أراد بعض مؤمني مكة أن يقتل من أمكنه من الكفار ويغتال ويغدر ويحتال، فنزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿كفور﴾ فوعد فيها سبحانه بالمدافعة، ونهى أفصح نهي عن الخيانة والغدر، وقد مضى في (الأنفال) التشديد في الغدر وأنه: ((ينصب للغادر لواء عند استه بقدر غدرته يقال: هذه غدرة فلان)) وقيل: المعنى يدفع عن المؤمنين بأن يديم

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير محمد علي الصابوني ٥٤٣/٢

(٢) الروايات التفسيرية في فتح الباري عبد المجيد الشيخ عبد الباري ٨١١/٢

توفيقهم حتى يتمكن الإيمان من قلوبهم فلا تقدر الكفار على إمالتهم عن دينهم، وإن جرى إكراه فيعصمهم حتى لا يرتدوا بقلوبهم، وقيل: يدفع عن المؤمنين بإعلائهم بالحجة، ثم قتل كافر مؤمنا نادر، وإن فيدفع الله عن ذلك المؤمن بأن قبضه إلى رحمته، وقرأ نافع: (يدافع) ولولا دفاع، وقرأ أبو عمرو وابن كثير: يدفع ﴿ولولا دفع﴾ [(٤٠) سورة الحج] وقرأ عاصم وحمزة والكسائي: يدافع ﴿ولولا دفع الله﴾ [(٤٠) سورة الحج] ويدافع بمعنى يدفع مثل عاقبت اللص وعافاه الله، والمصدر دفعا.الأصل في هذا المبنى المفاعلة والمدافعة والمعاقبة تكون بين طرفين، الأصل في هذا البناء أن يكون بين طرفين، كالمبارزة والمخاصمة بين طرفين، لكن في مثل هذا يدافع فهو مدافعة، والمدافعة من طرف من واحد لا إشكال، كالمسافرة إذا سافر فلان تكون بين طرفين، إذا قيل: عاقب فلان اللص معاقبة، تكون هذه المعاقبة بين طرفين، من طرف واحد، فالأصل في هذا الوزن أن يكون بين طرفين، وخرج عنه ما خرج من الأزمنة.." (١)

"قوله تعالى (ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين)قال البخاري: حدثنا آدم بن أبي إياس: حدثنا شعبة: حدثنا قتادة، عن أنس قال: ضحى النبي - صلى الله عليه وسلم - بكبشين أملحين، فرأيته واضعا قدمه على صفاحهما يسمي ويكبر، فذبحهما بيده.(الصحيح ١٠/ ٢٠ ح ٥٥٥٨ - ك الأضاحي، ب من ذبح الأضاحي بيده) .أخرج الطبري بسنده الصحيح عن مجاهد (ولكل أمة جعلنا منسكا) قال: إهراق الدماء (ليذكروا اسم الله على ما رزقهم) .أخرج آدم بن أبي إياس بسنده الصحيح عن مجاهد، قوله (وبشر المخبتين) قال: المطمئنين.أخرج عبد الرزاق بسنده الصحيح عن قتادة، في قوله (وبشر المخبتين) قال: المتواضعين.وانظر الآية التالية لمعرفة صفات المخبتين.قوله تعالى (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون)في هذه الآية بيان صفات المخبتين، وانظر سورة الأنفال الآية (٢-٤) .قوله تعالى (والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون)قال البخاري: حدثنا عبد الله بن مسلمة، حدثنا يزيد بن زريع، عن يونس، عن زياد بن جبير قال: رأيت ابن عمر رضي الله عنهما أتى على رجل قد أناخ بدنته ينحرها، قال: ابعثها قياما مقيدة سنة محمد - صلى الله عليه وسلم -.(الصحيح ٣/٦٤٦ ح ١٧١٣ - ك الحج- ب من نحر الإبل مقيدة) ، وأخرجه مسلم (الصحيح - ك الحج، ب نحر البدن قياما مقيدة ح ١٣٢٠) .." (٢)

"[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٤ الى ٣٥]ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)«١» «٢» »[الحج: ٢٢/ ٣٤- ٣٥] .المعنى: جعلنا لأهل كل دين سابق منسكا، أي موضع نسك وعبادة، يذبحون فيه الأنعام، تقربا إلى الله تعالى، وذلك ليس خاصا بأمة محمد صلى الله عليه وسلم، وإنما هو في كل الملل.وقد شرع الله وحدد أماكن الذبح: ذبح الأنعام، لكي يذكروا اسم الله حين ذبحها، أي حين

---

(١) التعليق على تفسير القرطبي - عبد الكريم الخضير عبد الكريم الخضير ١٤/١

(٢) الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور حكمت بشير ياسين ٤١٦/٣

الشروع في الذبح أمرناهم بذكر الله، وأن يكون الذبح له، لأنه هو الرزاق، ويشكروا الله على نعمه التي أنعم بها عليهم، وتلك هي السنة في إراقة دم الذبائح.وينبغي أن يتجه الذابح إلى الله الذي سخر للإنسان هذه المواشي، والله المقصود هو المعبود الواحد، وإن تنوعت الشرائع، فالجميع يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وهذه هي العلة في تخصيص الذبح باسم الله، وإفراده بالذكر، لأن تفرد الله بالألوهية يقتضي ألا يذكر على الذبائح غير اسمه تعالى. ومتى كان الإله واحدا، فله أسلموا، أي استسلموا وانقادوا لأمره وجميع أحكامه، وبشر أيها النبي بشارة على الإطلاق المخبتين، أي المتواضعين الخاشعين من المؤمنين برضوان الله، إذا اتصفوا بالصفات الأربع الآتية:أولا- الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم أي إن الخوف والخشوع يهيمن على قلوبهم ومشاعرهم عند ذكر الله، لما يتصف به من العظمة والجلال.______________(١) مكانا للنسك والعبادة وذبح القرابين.(٢) المتواضعين لله تعالى.(٣) خافت هيبة.." (١)

"المهديين الراشدين بالبشارة الكريمة بقوله: وبشر المحسنين أي وبشر أيها النبي بالجنة والرضوان أهل الإحسان في العمل، القائمين بحدود الله، المتبعين ما شرع الله، الطائعين أوامر الله، المصدقين رسول الله فيما بلغهم، وحذرهم وأنذرهم، وكل ما جاءهم به من عند الله عز وجل. روي أن قوله تعالى: وبشر المحسنين والآية التي قبلها: وبشر المخبتين (٣٤) نزلت في الخلفاء الراشدين الأربعة رضي الله تعالى عنهم، لكن ظاهر اللفظة يقتضي العموم في كل محسن، متواضع خاشع لله رب العالمين. الإذن بالقتال ضد الأعداء إن المنهج الرباني في علاج الأمور الشاذة والانحرافات الخطيرة قائم على غاية الحكمة والاعتدال، والتأني والإمهال، فلم يعجل الله البدء بقتال المشركين أنصار الوثنية والضلال، وإنما صبر عليهم مدى خمسة عشر عاما، ليكون للعقل والفكر وإعمال الرأي والقناعة الدور المهم في القضايا، ولتبدأ الأمة الإسلامية قوية ناشطة، معذورة في كل ما تؤديه من واجبات، لأن لغة السيف وقعقعة السلاح إنما تكون حين استفحال العدوان، واليأس من الصلاح والاستقامة، وهذا المنهج هو الذي نجده في ساحة التشريع الإلهي بالإذن بمشروعية القتال، بعد طول الصبر والمصابرة، والدفع بالحكمة والحسنى، فقال الله تعالى: [سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٨ الى ٤١] إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور (٣٨) أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير (٣٩) الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز (٤٠) الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور (٤١) «١» ______________ (١) خائن للأمانة.." (٢)

---

(١) التفسير الوسيط للزحيلي وهبة الزحيلي ١٦٤٥/٢

(٢) التفسير الوسيط للزحيلي وهبة الزحيلي ١٦٤٩/٢